

المنار

١٣١٥

مجلة علمية أدبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر في كل شهر عربي مرتين »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

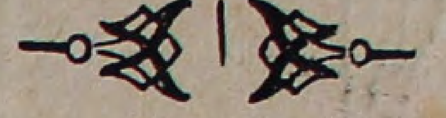
عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

المجلد الثامن

قيمة الاشتراك في مصر خمسون قرشاً أميرياً في السنة و٣٥ قرشاً عن نصف سنة وفي الخارج ١٨ فرنكاً وفي الهند عشر روبيات وفي روسيا ٧ روابل

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

﴿فهرس المجلد الثامن للمنار﴾



فهرس ثان لآيات القرآن المفسرة والمستشهد بها في المنار

فهرس ثالث للأحاديث النبوية

﴿ص - ق﴾

﴿ك﴾

﴿ل﴾

﴿م - ي﴾

(فهرس رابع لجماعة من رواة الحديث تكلم فيهم رجال الجرح والتعديل)

﴿ تنبيهات للناظر في الفهارس ﴾

(١) ان الفهرس الاول للمسائل والمباحث لايختص بالعناوين فلك ان تنظر مطلبك في أثناء الكلام واذا رأيت على يسار الأرقام صفراً (أي نقطة هكذا٠) فاعلم ان المطلب مكرر في ذلك المقال فاقرأ تجده٠ (٢) ان الفهرس الثاني لم يحتو جميع الايات والغرض منه بيان الآيات التي يستفيد مراجعها ولو شيئا من معناها لا ماوردت في الكلام على طريق الاقتباس وقد ميزنا آيات التفسير بحرف (ت) فما عداها شواهد (٣) ان الغرض من الفهرس الرابع ذكر من تكلم في جرحهم وتعديلهم من الرواة في المنار لاجميع الرواة فيه ٠ ولعلنا نزيد الفهارس اتقانا في المجلدات الاتية

الجزء الاول (١) المجلد الثامن

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ومايذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الثلاثاء غرة المحرم سنة ١٣٢٣ — ٧ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥)

﴿ فاتحة السنة الثامنة ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، والصلاة والسلام على روح الإصلاح وإمام المصلحين ، الذي أرسله الله رحمةً للعالمين ، « لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » ، « ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون ، واتقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب ، واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض

تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون »

تلك آيات من الكتاب المبين ، يذكر بها المنار قراءه على رأس ثمان سنين ، ليتذكروا أن في الكون ظلمة ونورا ، وكلِما خبيثا وكلِما مأثورا ، وعملا سيئا وعملا مبرورا ، وأن للأمم حياة وموتا ، وأن فى الناس مكرا وفتنا ، وأن للحياة دعوة يخاطب بها الأحياء ، وأن لها فتنة من قبل الكبراء والروساء ، وان العاقبة للمتقين ، وإن كانوا مستضعفين ، « أوَ من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زُيّن للكافرين ما كانوا يعملون * وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون »

ليتذكروا أن من يدعو الى الحياة فهو يدعو الى الاستقلال والمساواة ، ومن يدعو الى الحق فهو مقاوم للباطل ، وان أبغض الأشياء الى الرؤساء المستبدين استقلال الفكر ، والتساوي بين الناس فى الحقوق ، وأبغض الناس الى الكبراء المترفين من يدعو الى نصرة الحق ومقاومة الباطل ، والى جعل التفاضل بين الناس بالأعمال والفضائل ، فالسادات الدالون والكبراء المستكبرون ، أعداء المصلحين في كل زمان ، وخصماء الحق والفضيلة فى كل مكان ، غرورا بالقوة وطغيانا بالغنى و « استكبارا في الارض ومكرَ السيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله ، فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا * ولن تجد لسنة الله تحويلا * أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا فى الارض إنه كان عليما قديرا ،

ليتذكروا بهذه الآيات كلها أن الله تعالى بين للناس أن له سننا في حياة الأمم وموتها لا بد لمعرفتها بالتفصيل من الرجوع الى التاريخ الذي يبين مصداق آياته فى الغابرين ، ومن السير فى الأرض لمعرفة تأويلها فى الأولين والآخرين ، وقد نطقت سير البشر بتصديق قوله تعالى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وأنه ما وقع تغيير الا بدعوة وأن دعاة الخير والاصلاح فى كل أمة كانوا ممقوتين من أصحاب السلطة ، ومضطهدين من رؤساء الأمة اولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام ابي حنيفة حتى مات في السجن ، وجلدوا الامام مالكا وألزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة ، واضطروا الامام الشافعي الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه ، ووطئوا الامام أحمد بالنعال ، وما زالوا من تلك العصور يفتنون أهل العلم والتقوى ، حتى تم لهم بطول الزمان إفساد الدين والدنيا ، « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

واذا تذكروا أن انتقال الامم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين ، ولا يأتي باختيار الأمراء والسلاطين ، وانما يكون بتغيير أفراد الامة ما بأنفسهم من الافكار والعقائد والاخلاق والسجايا - وتذكروا أن المسلمين غيروا ما كان بأنفسهم في أول نشأتهم بالتدريج فغير الله ما كان بهم من عزة العلم والقوة ، وسيادة العدل والفضيلة ، ولن يغير ما هم الآن فيه ، الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه ، وشرطه قلع جراثيم التقليد ، واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب ، وأساسه جمع كلمة الأمة ، وتحقيق معنى الوحدة ، - فأنا أدعوهم الى الاصلاح الديني قبل كل شيء لانه يتوقف عليه كل شيء فانه لا يصلح آخر هذه الامة الا ما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن

أنس رحمه الله تعالى . صلح أول هذه الامة بهدي كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهداهم ذلك الى كل إصلاح صوري ومعنوي «أفلم يدَّبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون»

أدعوهم الى هذا الاصلاح بهذه المجلة وأدعوهم الى الدعوة إليها والى ماتدعو اليه ما أصابت، والى بيان خطأها فيها اذا رأوها أخطأت

أدعوهم الى قطع الآمال من السياسة والسياسيين، والى ترك الغرور بالرؤساء والحاكمين، وعدم السماع لأتباعهم، والانخداع لانصارهم وأشياعهم، لئلا يصرفوكم عن الجد باصلاح النفس، الى الهذل بارضاء الحس، فانهم طلاب مال وجاه، طلاب رتبة ووسام، أصحاب أوهام، وشقشقة ألسنة واقلام، «ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم * ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم»

أدعوهم الى الدعوة معي الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين، في بلاد أبيح فيها القول للقائلين، وسهل فيها النشر على الكاتبين، وأطلقت فيها حرية العلم والدين، فصرح فيها الملحد بالحاده، وجاهر فيها الفاسق بفسقه، ودعا فيها الكافر الى كفره، ونشرت فيها الكتب والجرائد تطعن فى القرآن، وتشنع على شريعة الاسلام، ولم توجد فيها صحيفة إسلامية ترد شبهات الطاعنين، وتؤيد العقائد بالحجج والبراهين، وتبين حكم الاحكام، وانطباقها على مصالح البشر فى كل زمان ومكان، وتأمر بالعرف والبر، وتنهى عن البدعة والنكر، حتى اذا أنشىء المنار وقام بهذه الفرائض نقم منه بعض المسلمين فى بلاد الحرية، وانتقم بعضهم من عشيرته فى بلاد العبودية، نقم منه المتجرون بالدين، ومقلدة المبتدعين و «الذين يخلطون الدين

بغيره، ويظنون أو يزعمون انهم أئمة أهله» (*) هاج عليه أهل المذاهب المتعصبون، لأنه يقول ان الوهابية السلفية والاشاعرة والماتريدية والشيعة والاباضية كلهم مسلمون، وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيماهم فيه يختلفون، «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»

دعوت الى هذا منذ بضع سنين، وسأدعو اليه ان شاء الله حتى يأتيني اليقين، وقد عارض الدعوة قوم أكثرهم معذور بالجهل، ثم استهدفت بعد

(*) هذه العبارة لجريدة المؤيد من تقريظها للمنار وقد رأينا أن ننشر ذلك التقريظ هنا لانه في معنى هذه الفاتحة وقد نشر في العدد ٣٦٣٧ من المؤيد الاغر الصادر في ١٩ المحرم سنة ١٣٢٠ ونصه: «صدر العدد الأول للسنة الخامسة من مجلة «المنار» الغراء وهي المجلة العلمية الدينية التهذيبية الاسلامية الوحيدة في القطر المصري لحضرة صاحبها ٠٠٠٠٠ السيد محمد رشيد رضا الطرابلسي . وقد قضى حضرته اربع سنوات يصدر هذه المجلة مثابرا على الخدمة الملية الصحيحة، محاربا البدع المضللة، بالحكم المدللة، والهوى بالعقل والاوهام الغاشيات على الأفهام، بالآيات البينات من الكلام، يعمل للاصلاح الديني جهد المستطيع، وهو والحق يقال مستطيع فيما يجهد به نفسه . يبارز المبتدعين غير هياب، ويعتمد فى ابحاثه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة والكتاب، ولذلك كان كلامه مرا على اذواق الذين يخلطون الدين بغيره، ويظنون او يزعمون انهم أئمة أهله، يشتد كلما اعتقد الحق في جانبه وفى اعتقادنا انه لو كان أخف اسلوبا فى الوطأة، وألين جانبا فى المقال، من حيث لا يحيد يمنة أو يسرة عن خطته الحالية ولا يضيع شيئاً من غرضه الذي يسعي اليه لكان «المنار» اضعاف ماهو اليوم انتشارا واكثر فائدة، واعم عائدة، وكل مسلم يشعر بحاجة الاصلاح الديني للأمة المحمدية يتمنى من صميم فؤاده أن يكون لكل قطر من الاقطار الاسلامية منار مثل هذا «المنار» له من الانتشار أضعاف ما لهذا من الظهور والانتشار، وفق الله صاحبه الفاضل دائما الى طريق السداد، وانجح عمله دائما بالتوفيق والرشاد، آمين» اه

التمكن والانتشار لنضال قوم أضلهم الله على علم ، يخذلون الحق لأنهم على باطل، وينفرون من الهداية لأنهم على ضلالة ، وانك لتراهم من وراء الجدار، وتستشفهم من خلل السجوف والاستار ، يكيدون ويأتمرون ، ويوسوسون ويهمسون ، ويستفتون ويفتون ، « والله يعلم ما يسرون وما يعلنون » على انهم هم الذين يفشون أسرارهم، ويكشفون عوارهم ، فهم كمن نزل فيهم « لايقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أومن وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون * كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم * ـ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون »

لماذا لايعارضون المعترضين على دينهم ؟ لماذا لايناهضون الطاعنين فى كتابهم ؟ لماذا لايعادون العادين على حقيقتهم ؟ لماذا لايخرجون الخارجين على أمتهم ؟ لماذا لا يفتنون الفاتنين لعامتهم ؟ لماذا لايهاجون المتهجمين على خاصتهم ؟ لماذا خفت عليهم دعوة كل ملة ؟ وثقلت عليهم الدعوة الى الكتاب والسنة ؟ ماذاك الا ان قوة الحق ترهب المبطلين، ونور الرشاد يعشي أبصار الغاوين، وأما الباطل فانه يمد بعضه بعضا وان اختلفت الوانه، وتشعبت أفنانه، «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون»

انما يغر هؤلاء وأمثالهم تلك الكلمة المشهورة «القوة تغلب الحق» وهي كلمة لاتصدق على الإطلاق ، وليس هذا موضع بيان ما فيها من الاجمال، وإنما نقول ليست القوة محصورة في المال والجاه ، ولا في السلطة والحكم، ولا بكثرة الاعوان والانصار فان في العالم قوى حسية وقوى معنوية ، كقوة

الاعتقاد وقوة الشعور وقوة العلم وقوة الاتحاد وقوة العدل وقوة الفضيلة وقوة الحاجة وقوة الحق ، فكم من ملك كبير ، يتضاءل امام صعلوك فقير، لانه يشعر بضعف الرذيلة امام الفضيلة و بذل الباطل تجاه الحق، وهذا قيصر روسيا الملك المستبد القاهر قد أصبح كالمسجون فى قصره على ماله من السلطة السياسية والدينية ، وقد مزق عمه كل ممزق ثم مزقت صورته هو إشارة الى نية الايقاع به ، أنسوا التاريخ وما فيه من السير ، التي هي منابع العبر ، كلا إن الباطل لا يقف أمام الحق اذا وجد الحق ناصرا وصادف الناصر حرية « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

ان للحقائق رجالا كما ان للاوهام رجالا، ان للدين أنصارا كما ان للدنيا أنصارا ، إن الدين من حاجات البشر الطبيعية ، وقوة من أعظم قواتهم المعنوية، ان الضعيف فى الدين لا يستطيع الزعامة فيه، وفاقد الشيء لا يعطيه، ان الأحرار يميلون للشيء بقدر إحساسهم بالحاجة اليه ، وعلى حسب اعتقادهم بالفائدة منه ، ان الاعتقاد فى الامة قوة لا تغالب ، والاحساس الوجداني فيها ثروة لا تنفد ، ان لوم المحبين مدعاة الاغراء ، ومقاومة المعتقدين داعية التمكن والثبات ، ان المخلص فى عمله يفيده ظهور خطأه كما يفيده ظهور صوابه، لان كلا منهما يزيده يقينا فيما يرغب فيه عنه ، ان الله تعالى وعد بنصر من ينصر الدين ، وجعل العاقبة للمتقين ، « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ـ الذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور »

يقولون إن الاحساس بالحاجة الى الاصلاح الديني ضعيف ، وإن عدد المعتقدين بوجوب اتباع السلف قليل ، وان الدعوة هنا الى الرابطة

الملية ، معارضة بالدعوة الى الوطنية ، : ونقول ان كل إصلاح فى الكون بدأ بضعف وانتهى بقوة زلزلت جميع المعارضين و « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين »» ومابلغو به احداث العصر ، من وجوب مقاومة من يهاجر الى مصر ، فهو مخالف لسنة الكون فى الامم الحية وتعوز نجاحه القدرة على جميع العناصر الاجنبية ، وأما دعوتنا هذه الاسلامية ، فهي هي التي تأتي بالنهضة الوطنية ، لانها تهدم التقاليد التي فرقت بين الناس ، وألقت العداوة والبغضاء بين أهل الملل والمذاهب والاجناس ، فكما تذكر المسلمين بقوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » تذكرهم أيضا بقوله فى المخالفين « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »

وجملة القول ان دعوتنا هذه دعوة عامة معروضة في صحيفتنا كما يعرض غيرها من الدعوات السياسية والأدبية وفى اعتقادنا أنها خير دعوة ألقيت للناس وإن من أسسها البعد عن مثارات الخلاف والشقاق ، ونشهد الله تعالى أنه ليس فى قلبنا حرج على أحد من الناس وقد صفحنا عمن ظلمنا ، وعفونا عمن اعتدى علينا « ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » واننا نحمد الله ونشكره أن أعطانا فوق ما كنا نرجو ، ثم نشكر أصحاب القلوب الطاهرة والافكار النيرة الذين تنتشر بهم الدعوة وتنمو ، « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢١٠:٢٠٧) سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * (٢١١:٢٠٨) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ *

تقدم ان في قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » وجهين أحدهما ان المراد بالذين آمنوا أهل الكتاب وثانيهما ان المخاطب بها المؤمنون من المسلمين . وقوله عز وجل (سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) ظاهر على كلا الوجهين فهو على الأول بيان لحقيقة حالهم ، وأن الآيات والنذر لا ترجعهم عن ضلالهم ، فاذا استمروا على المجاحدة والخصام ، وأعرضوا عن الدعوة الى الدخول فى السلام ، فليس ذلك بدعا منهم ، ولا دليلا على ان الاسلام غير بين لهم ، فكم جاءهم أنبياؤهم بالآيات البينات ، وكم بلاهم الله تعالى بالحسنات والسيئات ، ولم يغن ذلك عنهم ، ولا صدهم عن خلافهم وشقاقهم ، بل بدل الذين كفروا منهم قولا غير الذي قيل لهم ، وبدلوا نعمة الله كفرا ، (ومن يبدل نعمة الله) عليه بالآية الدالة على الحق ، والوحدة الداعية الى الشكر ، (من بعد ما جاءته) بالبيان ، وأبرهت بالبرهان ، (فان الله شديد العقاب) لمن تنكب سنته ، وخالف شرعته ، وهذا المبدل منهم فالعقاب الشديد نازل به لا محالة . ولم يقل فان الله

يعاقبه ليشعرنا بأن هذا من سننه العامة فحذرنا أن نكون من المخالفين المبدلين. توهما أن العقاب خاص ببعض الغابرين، كما يلغو كثير من الجاهلين، فأنت ترى أن هذه الجملة فى معنى قوله «فان زللتم من بعد ماجاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم» والتقييد بمجيء البينات والآيات دليل على أن من لم تبلغه الدعوة الصحيحة بالبينة والدليل لايخاطب بهذا الوعيد فحسبه حرمانه من هداية الانبياء عليهم السلام فكيف يطالب مع ذلك بما لايعلم، ويجعل مع من عاند الحق من بعد ظهوره له في قرن.

وفى هذه من الهداية أيضاً بيان أمر عظيم يغفل عنه العلماء والأذكياء وهو أن الآيات والبينات إنما تفيد النفوس الخيرة المستعدة لقبول الحق المتوجهة الى طلبه وأما النفوس الخبيثة التي يفضحها الحق ويظهر باطلها الذي تحب ستره والاسترسال فيما هي فيه من اللذة الحسية والجاه الباطل فان الآيات والبينات لاتزيدها إلا مماراة وجدلا فى القول، ومجاحدة وعنادا بالفعل، هذه سنة الله تعالى في البشر عامة، لافى بني اسرائيل خاصة، كذلك كان وكذلك يكون وسيكون وسوف يكون الى ماشاء الله.

وأما تفسير الآية على الوجه الآخر المختار فى المخاطبين بالدخول فى السلم فهو أنها هادية الى الاعتبار بسنة الله تعالى فى الأمم الماضية على مابينا آنفا كأنه يقول يا أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم - عليكم بالدخول فى السلم والاتفاق والاعتصام بالاسلام فى جملته لاتفرقوه ولا تتفرقوا فيه وتكونوا شيعا كيلا يصيبكم ما أصاب أولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءتهم البينات، وهؤلاء بنو اسرائيل بين أيديكم، وحالهم لاتخفى عليكم، فسلوهم حالهم، واستنطقوا آثارهم، واقرؤا تاريخهم، تروا أنهم أوتوا

نحو ما أوتيتم من البينات، وأمروا كما أمرتم بالاتحاد والاجتماع، فتفرقوا الى مذاهب وشيع، وزلوا عن صراط الله فتفرقت بهم السبل، فأخذهم الله بعزته، ونفذ فيهم حكم سنته، زال سلطانهم، ولفظتهم أوطانهم، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، ومزقوا فى الأرض كل ممزق.

والآية على كلا الوجهين عبرة للمخاطبين بالقرآن من المؤمنين به لاحكاية تاريخية عن بني إسرائيل. ولكن هل يعتبر بها المنتسبون الى القرآن وهل يفهمون منها أن ملكهم الذي يتقلص ظله عن رءوسهم عاما بعد عام، وعزهم الذي تتخطفه منهم حوادث الأيام، مابدلهما الله تعالى الا بعد ما بدلوا نعمته عليهم فى قوله «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا» ؟؟ «ذلك أن لم يكن ربك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» كلا انهم لم يفهموا هذا ولو تغنوا وترنموا بهذه الآيات فى كل مأتم وكل موسم، وان رؤساءهم لايمقتون أحدا مقتهم لمن يذكرهم به وان أكثر عامتهم تبع لهؤلاء الرؤساء كما كان بنو إسرائيل على عهد نزول القرآن. وإنا لنعلم أن الساكتين منهم على جميع ما مني به المسلمون من البدع والخرافات والفسوق والعصيان يتفقون مع المدافعين عن الفاسقين والمبتدعين، على إيذاء الواعظين الناصحين، باسم المدافعة عن الدين، والسبب في هذا وامثاله لم يفرط فيه الكتاب المبين، بل هو ماهدانا الله تعالى اليه بقوله

(زين للذين كفروا الحياة الدنيا) خص الجلال كبعض المفسرين السخرية بالفقراء وفسر الكافرين بالمشركين والآية تعم غيرهم والمقام مقام الأمر بالاتفاق في الدين والأخذ بجميع أحكامه وشرائعه والنهي عن التفرق

فيها والمسلمون هم المخاطبون بالوعيد على التفرق واتباع خطوات الشيطان على رأيه وتفسيره وهو المختار . فبعد أن أمرنا تعالى ونهانا وتوعد من يزل عن سبيله منا بعد ما جاءنا من البينات ذكرنا بحال من سبقنا من أهل الكتاب الذين نزل بهم عذاب التفرق والخلاف فى الدنيا ولم يمنعه عنهم انهم أهل الكتاب وأنهم منتمون الى نبي مرسل وعندهم شريعة إلهية ذلك أنهم لم يجتمعوا على الكتاب لاختلاف أئمتهم واحبارهم في التأويل والتأليف وكان كل فريق منهم يعتذر عن تركه العمل بالتوراة بأنه متبع لبعض الأحبار الذين هم أعلم منه بها - بعد هذا كله يسأل سائل كيف يختلف الناس فى دينهم ويتفرقون شيعا بعد مجيء البينات المانعة من ذلك ؟ فهذه الآية جواب لهذا السؤال، وحل لما فيها من الإشكال، ملخصه ان حب الدنيا والغرور بزينتها يصرفان جميع قوى النفس الى التفاني فى طلبها وبذلك تنصرف عن النظر الصحيح في آيات الحق وبيناته - أما الرؤساء فانهم ينصرفون الى حب الامتياز والشهرة والاستعلاء على الاقران ولا يكون ذلك الا بالخلاف وانتصار كل رئيس لمذهب والذب عنه بالجدل والتأويل، واما المرءوسون فان كل فريق منهم ينتمي الى رئيس يعتز به ويقلده دينه ولا يسمع قولا لمخالفه، ويربط كلا منهما بالآخر الاشتراك في المصالح الدنيوية فحب الدنيا هو علة العلل ورأس كل خطيئة . وقد تقدم شرح ارتباط الرؤساء بالمرءوسين فى تفسير « ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا » الآيات. وما ذكرناه هنا قاض بان يختص الذين كفروا بمن أوتوا كتابا وجاءتهم بينات تجمع كلمتهم، وتحقق وحدتهم، فقصموا بالخلاف عروتها، ومزقوا بالتفرق نسيج وحدتها، وذلك كفر بهذه النعمة، وتبديل لها بالنقمة، . ويدلك على ان الكلام

لا يزال فى مسألة الخلاف والوفاق فى الدين الآية التالية لهذه فانها مبينة لأصل الخلاف فى الدين، منذ بعث الله النبيين ،

جملة: زين للذين كفروا الخ فى معنى قوله تعالى « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » ابتلاهم فغرتهم زينتها، وفتنتهم بهجتها، فانصرفت هممهم الى الاستمتاع بلذاتها ، وانحصرت أفكارهم فى استنباط الوسائل لشهواتها، ومسابقة طلاب المال والجاه عند أربابها، ومزاحمة الطارقين لأبوابها، فلم يبق فيها سعة لطالب شيء آخر وان لم يكن معارضا لهم فيما يرغبون، وحائلا بينهم وبين ما يشتهون ، فما بالك بطالب الحق والتطلع الى حياة بعد هذه الحياة والحق ينعي عليهم إسرافهم فى أمرهم، ويطالبهم بحقوق عليهم لغيرهم ، والتطلع الى حياة أخرى يزعزع من سكونهم الى لهوهم ، ويغض شيئا من تعاليهم فى زهوهم ، بل يكدر عليهم بعض صفوهم ، ويقف بهم دون شأوهم ، ومن لم يطلب الحق من طريقه باخلاص وإنصاف لا يجده ولا يتفق مع أهله . وأنى للمفتونين بالزينة بالإخلاص والإنصاف ؟ والمراد بالذين كفروا من لا يؤمنون بالحقوق المشروعة لله وللناس إيمان إذعان وانقياد بل يؤثرون الحياة الدنيا على ما عند الله تعالى من النعيم المقيم لا المشركون أو الكافرون فى عرف بعض الناس كالذين لا يسمون مسلمين كما أن القرآن لا يعني بالمؤمنين طائفة يسمون أنفسهم أو يصفونها بالإيمان أو الاسلام وانما يعني أولئك الموقنين بما عند الله الذين يؤثرون الحق على كل ما يعارضه من شهواتهم ولذاتهم واذا عثر أحدهم فعمل السوء بجهالة يتوب من قريب . وانظر سائر ما عرف الله تعالى به المؤمنين والكافرين من النعوت والاوصاف يظهر لك هذا . وأظهر أوصاف الكافر أن تكون زينة الدنيا أكبر همه

يؤثرها على كل شيء حتى ان أمر الدين لا يزحزحه عن شيء يقدر عليه من هذه الزينة ومتاعها بلا معارض من الدنيا كحاكم يزع، أو إهانة تتوقع، لانه لا يقين له فى الآخرة فإن كان منتسبا الى دين فما دينه الا تقاليد على أعين الناس، وخواطر تتنازعها الشبهات، وتتجاذبها الشكوك والتأويلات، ومنهم من يسلم تقليدا بأن هنالك آخرة فيها نعيم خاص بأهل ملته وإن كانوا على ماوصف الله الكافرين وضد مانعت المؤمنين كما كان اليهود في زمن التنزيل وقد أطلق القرآن عليهم اسم الايمان فى مواضع منها الآية السابقة قريبا على قول وأطلق عليهم اسم الكفر فى مواضع وذلك ان للإيمان - كما ذكرنا قبل - اطلاقين فيطلق على المؤمن الموقن المذعن للعمل والاتباع ويطلق على من يصدق تقليدا بأن للعالم إلها أرسل رسلا وينتسب إلى بعضهم وان لم يكن على يقين فى إيمانه وبصيرة فى دينه وحسن اتباع لنبيه بل هو على خلاف ذلك كما تقدم وهؤلاء قد يكونون فى عرف القرآن كافرين وذكر من علامتهم الافتتان بزينة الحياة الدنيا فهم يعدون الكياسة فى الانغماس فى نعيمها والفضل فى الاستكثار من فضولها (ويسخرون من الذين آمنوا) إيمانا حقيقيا يحمل على العمل - يسخرون من فقرائهم لأنهم محرومون من زينتهم وان كانوا راضين من الله مغبوطين بما منحهم من الايمان والرجاء بالآخرة - ومن أغنيائهم لانهم لا يتنوقون فى النعيم بل يرون الكياسة في الاستعداد لما بعد الموت بترقية النفس بالاعتقاد الصحيح المؤيد بالبينات والتحلي بالفضائل وأحاسن الأخلاق ويعدون الفضل فى القيام بحقوق الناس وخدمة الأمة والإفاضة من فضل المال على العاجزين والبائسين وكلما أنفقوا فى سبيل الله درهما، عده اولئك المستهزءون مغرما،

قال تعالى ردًّا على هؤلاء الساخرين الذين يرون أنهم في زينتهم ولذاتهم، خير من أهل اليقين في نزاهتهم وتقاتهم، (والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة) فاذا استعلى بعضهم على بعض المؤمنين طائفة من الزمن فى هذه الحياة القصيرة الفانية بما يكون لهم من الأتباع والأنصار والمال والسلطان فان المؤمنين المتقين يكونون أعلى منهم مقاما يوم القيامة فى تلك الحياة العلية الأبدية. ولم يقل: والذين آمنوا فوقهم: لأن هؤلاء المفتونين بزينة الحياة الدنيا يدعون الإيمان لأنهم ولدوا ونشأوا بين قوم يدعون بأهل الايمان وأهل الكتاب فالله يرشدنا الى أنه لا اعتداد بالايمان في الآخرة إلا اذا صحبته التقوى وكانت أثرا له فى النفس والعمل الصالح «تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا - أعدت للمتقين - ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا» والآيات فى هذا كثيرة جدا ولكن الذين يزعمون أن النجاة فى الآخرة والدرجات العلى فيها تحصل بمجرد اللقب والجنسية أو بعض التقاليد التي لا أثر لها فى النفس لا يلتفتون الى مثلها واذا قيل لعلمائهم فيها يحرفون ويأولون، أو يقولون هكذا قال شيوخنا وانما نحن مقلدون، وهؤلاء الداعون الى الكتاب ضالون مضلون،

ذكر تعالى ما يمتاز به المؤمن المتقي على الكافر بتبديل النعمة، وتفريق الكلمة، وهو العلوّ فى دار الكرامة ثم أخبرنا أن رزق الدنيا ونعيمها ليس خاصا فيها بتقي ولا شقي بل هو مبذول لكل أحد، وانه قد يأتي من حيث لا يظن المرء ولا يحتسب، فقال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) الحساب التقدير أي من غير تقدير له على حسب الايمان والتقوى والكفر

والفجور . وفيه وجه آخر وهو كناية عن السعة وعدم التقتير والتضييق كقولهم : ينفق فلان بغير حساب : أي ينفق كثيرا . والمعنى انه بذل العطاء في الدنيا لكل أحد بخلق الارزاق وإقدار الناس على الكسب وقيل ان المعنى بغير حساب عليه من أحد فهو الذي خلق وهو الذي قدّر فهدى من غير محاسبة أحد ولا مراجعته، وقد بسط معنى هذا الكلام في آيات أخرى قال تعالى في سورة الاسراء (١٧) « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا » فأنت ترى أنه لم يشترط السعي لرزق الدنيا لانه قد يأتي بلاسعي كالإرث، وعدم اشتراط السعي لا ينافي ان أكثره بالسعي كما هو المشاهد واشترط للآخرة السعي مع الايمان كما خصها هنا بالذين اتقوا من المؤمنين لأن الكلام فيهم . ثم ذكر ان عطاءه واسع مبذول لكل أحد ليس فيه حظر من الله تعالى فللمشمر تشميره ، وعلى المقصر تقصيره ، وفي الحساب هنا وجه آخر وهو الاحتساب والتقدير من جانب العبد فيكون بمعنى قوله تعالى في سورة الطلاق (٦٥) « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب »

قال الاستاذ الامام : ان الرزق بغير حساب ولا سعي في الدنيا إنما يصح بالنسبة الى الافراد فانك ترى كثيرا من الابرار وكثيرا من الفجار أغنياء موسرين متمتعين بسعة الرزق وكثيرا من الفريقين فقراء معسرين

والمتقي يكون دائما أحسن حالا وأكثر احتمالا ومحلا لعناية الله تعالى به فلا يؤلمه الفقر كما يؤلم الفاجر فهو يجد بالتقوى مخرجا من كل ضيق ويجد من عناية الله رزقا غير محتسب . وأما الامم فأمرها على غير هذا فان الامة التي ترونها فقيرة ذليلة معدمة مهينة لايمكن أن تكون متقية لأسباب نقم الله وسخطه بالجري على سنته الحكيمة وشريعته العادلة . ولم يكن من سنة الله تعالى ان يرزق الامة العزة والثروة والقوة والسلطة من حيث لاتحتسب ولا تقدّر، ولا تعمل ولا تدبر، بل يعطيها بعملها، ويسلبها بزلها، وقد بين الاستاذ هذا المعنى غير مرة وتقدم في التفسير. وهو مؤيد بآيات الكتاب المبينة لسنن الله العامة، كقوله تعالى « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » فجعل وقوع الظلم سببا في وقوع البلاء على الامة من ظلم منها ومن لم يظلم . ومن الظلم ترك مقاومة الظلم حتى يفشو ويكون له السلطان الذي يذهب بكل سلطان . وكقوله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ولاجل هذه السنة أمر بالاستعداد على قدر الطاقة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ولاقوة مع الخلاف والنزاع ، والتفرق والانقسام ، ولذلك أمرنا تعالى بالدخول في السلم كافة، ومنحنا على ذلك البينات الكافية ، وضرب لنا الامثال، وتوعدنا بالوعيد بعد الوعيد ثم بين لنا منشأ الاختلاف في البشر لنكون على بصيرة فقال

(تنبيه) نعيد هنا ما بيناه في المجلد الماضي من أن العدد الذي يذكر في أوائل الآيات الكريمة هو عدد الآيات في المصحف العثماني المطبوع في الآستانة والمصحف المطبوع في المانيا وقد فصلنا بين العددين بنقطتين هكذا: ومايراه القراء في هذه السنة من الأرقام عند بعض الآيات التي تذكر شواهد فهو عدد السور

فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبـه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعـد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ فطرة الاسلام وحديث الولادة عليها ﴾

(س١) سليمان عبدالله في (السويس) وهو رجل غريب كتب الينا بان عنده شبهات في الدين يجب كشفها وانه يبدأ بالسؤال الآتي تمهيدا لها وهو :

الحديث المشهور (مامن مولود الا يولد على الفطرة الاسلامية او فطرة الاسلام وانما أبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) أصحيح هو وما هي الفطرة الاسلامية ؟ أمسلما يولد المولود ؟ أيعرف الاركان الاسلامية بالطبع والفطرة ام يعرف الله والنبي محمدا فقط حاشا الاركان الأخرى ؛ فبالاجمال مامعنى هذا الحديث الشريف ؟

(ج) أما الحديث فصحيح اخرجه البخاري من حديث ابن شهاب عن أبي هريرة وهو لم يدرك أباهريرة فالحديث عنده منقطع بلفظ «كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ورواه مسلم والترمذي وصححه وفيه «يشركانه» بدل يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث ماجاء في قوله تعالى «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون» (سورة الروم ٣٠) وقد قرأ أبوهريرة الآية بعد الحديث وأشار البخارى الى أنه أدرجها للبيان وتقدم لنا تفسير الآية في المنار ونقول هنا مالابد منه لان السائل لم يطلع على المنار الا قليلا

اننا نرى جميع اهل الملل حتى الكتابيين يعتقدون ان الدين شرع لمقاومة مقتضى الخلقة وان اصوله فوق قضايا العقول وأحكامه وراء مدى الافهام وان الغرض منه تعذيب النفس وحرمانها من نعيم الحياة وانه لاحق لصاحب الدين في طلب الدليل على عقائده ولا فى السؤال عن حكمة عباداته ولا فى تطبيق أحكامه على مصالح الأمة

وخير البشر بل عليه أن يسلم بكل ما يرويه له الرؤساء ويقلدهم تقليدا أعمى

ثم انهم يعتقدون ان الدين رابطة جنسية لاهله عند الله تعالى من الحقوق مثل مالأهل الاجناس في عرف السياسة وقوانينها اي ان اليهودي مثلا يعتقد ان الله اصطفى كل يهودي وميزه على العالمين لانه يهودي فهو اذا اذنب يعفو الله عنه بفضله او بشفاعة احد سلفه الصالحين واذا عذبه فانما يعذبه أياما معدودات ، وان غير اليهودي لاقيمة له عند الله تعالى اذا أحسن لايقبل احسانه واذا أساء يتضاعف عذابه . كما ان أهل السياسة يميزون الامة التي تضمها جنسية الدولة ويخصها قانونها بحقوق لاتكون لغيرها فلا يجيزون محاربة طائفة منها ولا تدمير بلد من بلادها وان كانوا أجهل الناس واعرقهم في الرذائل ويستبيحون محاربة قوم آمنين مهذبين وإذلال كبرائهم واهانة عظمائهم واستعباد دهمائهم وان افضى ذلك الى التخريب والتدمير . وسرت عدوى هذه العقيدة وما قبلها الى المسلمين فلا يكاد يسلم منها الا الواقف على اسرار القرآن ودقائق السنة

أما القرآن فقد أتى على أمثال هذه القواعد التقليدية فنسفها نسفا وبين للناس أن الدين مع الفطرة فى قرن ارتقاؤه هو ارتقاء الفطرة وضعفه هو ضعف الفطرة وفساده هو فساد الفطرة فعقائده وضعت لترقية العقل وآدابه وعباداته لترقية النفس وأحكامه وشرائعه لترقية حال الاجتماع والتعامل بين الناس ولذلك جعل العلم بالعالم علويه وسفليه والبحث عن حكمه ونظامه واسراره وفوائده هو الاساس الذي يقوم عليه بناء التوحيد ومعرفة الله، وذكر عند طلب كل عبادة بيان فائدتها فى تقوي الله تعالى وتهذيب النفس وتحليتها بالاخلاق العالية كما بين عند ذكر كل خلق وأدب وحكم فائدته ومنفعته . وبين ان العقوبة على الكفر والرذائل والاعمال القبيحة هي علة تأثيرها الأثر السيء في النفس كما ان المثوبة الحسنة أثر المعارف الصحيحة والاعمال الصالحة فى النفس . والآيات المؤيدة لجميع ماقلناه كثيرة جدا وقد فسرنا فى مجلدات المنار الماضية العشرات منها فى الاصول العامة والفروع الجزئية واعادته هنا تطويل لامحل له فاذا اشتبه السائل أو خلا فليسأل عن الشواهد يجب . وفي باب التفسير من هذا الجزء شيء من ذلك

ولم يجعل اسم الاسلام اسم جنس لطائفة من الطوائف بل سمى أهل الحق

مسلمين كما سماهم مؤمنين وحنفاء ومخلصين لأن معاني هذه الالفاظ قائمة بهم وجعل مدار السعادة على ما يتحقق به معنى الاسم لا على قبول التسمي والرضى باللفظ والمعيشة مع أصحابه ولذلك قال في بعض المسلمين «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» وقال «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب» الآيات وقال مارأيت تفسيره في هذا الجزء

فعلم مما تقدم أن معنى كون دين الاسلام دين الفطرة هو انه موافق لسنن الله تعالى في الخلقة الانسانية لانه يعطي القوى الجسدية حقوقها والقوى الروحانية حقوقها ويسير مع هذه القوى على طريق الاعتدال حتى تبلغ كمالها . ومعنى ولادة كل مولود على هذه الفطرة هو أنه يولد مستعدا للارتقاء بالاسلام الذي يسير به على سنن فطرته التي خلقه الله عليها بما يبين له ان كل عمل نفسي أو بدني يصدر عنه يكون له أثر في نفسه وان ماينطبع في نفسه من ذلك يكون علة سعادته أو شقائه في الدنيا والآخرة . فاذا فهم هذا وأدركه يظهر له أنه سنة الفطرة وناموس الطبيعة واذا كان له أبوان (وفي معناها من يقوم مقامها في تربيته وتعليمه) على غير الاسلام يطبعان في نفسه التقاليد التي تحيد به عن صراط الفطرة فالنصرانيان ينشئانه ولدهما على التسليم بأن البشر خلقوا كلهم أشرارا فجارا بمقتضى الفطرة وأن نجاتهم وسعادتهم انما تكون بالاعتراف بشيء واحد يجب القول به والاعتماد عليه وأن لم يعقل وهو أن واجب الوجود الذي كان منه كل شيء وبيده ملكوت كل شيء قد اعتنى بأمرهم وأعياه خلاص أرواحهم بغيرما أنفذه منذ زمن قريب لايبلغ ألفي سنة وهو أن حل في بطن امرأة منهم واتحد فيه بجنين فصار إلها وانسانا ثم خرج من حيث يخرج الطفل ونشأ فيهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون، ويألم مما يألمون له ويتعب مما يتعبون، ثم مكن شرارهم من صلبه فصلبوه وهو يصيح ويستغيث فلا يغاث ثم قبر ولعن ودخل الجحيم وخرج منها لاجل الرحمة بهم وانجائهم ومع ذلك كله لم تكن طريقته هذه كافلة بعموم رحمته بهم وانما كانت خاصة بطائفة منهم وهم الذين استطاعوا أن يبدلوا فطرتهم ويسلموا بهذا القول تسليما

فهذا ياسيدي معني كون دين الاسلام دين الفطرة وهذا هو الفرق بينه وبين

أديان التقليد وليس معناه أن المولود يولد عالماً بالشريعة فان هذا ليس من الفطرة في شيء وفسر كثير من العلماء الفطرة بالاستعداد للخير والشر والحق والباطل ورواية مسلم هكذا: كل مولود تلده أمه على الفطرة فأبواه بعد يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فان كانا مسلمين فمسلم» وهو الذي جرينا عليه في كتابنا (الحكمة الشرعية) ولا تنافي الا انناهنا شرحنا موافقة الاسلام للفطرة والله أعلم

﴿اختلاف المذاهب في الاحكام . وشهادة أوربي للاسلام﴾

(س ٢) ح ٠ ح في الجبل الاسود :

فقيركم هذا مشغول بالتجارة وقبل عيد الاضحى خرجت في أوربا لاجل التجارة فاجتمعت يوما بأحد الأوربيين فقال ان أكمل الاديان وأجملها دين الاسلام لكن الذي كان عليه محمد (ص) وأصحابه (رض) فقلت ونحن الحمد لله على دينهم وعلى سبيلهم . فقال نعم ولكن منكم الحنفية ومنكم الشافعية وغير ذلك فكل واحد من هؤلاء مخالف لصاحبه في الاعمال والاحكام الدينية فعند الحنفية اذا جرى دم أحدهم ينقض وضوءه وعند الشافعية لا، واذا مس الامرأة أحد الشافعية ينقض وضوءه وعند الحنفية لا . فهل كان النبي يفعل كما يفعل الحنفية أم كما يفعل الشافعية .. فبقيت لا أقدر على رد جوابه فان أحسنتم بالجواب ، فلكم من الله الثواب

(ج) انه لا خلاف بين أئمة الاحكام في شيء من أصول الدين وأحكامه التي لا يتحقق الاسلام بدونها وانما اختلفوا في مسائل فرعية للاجتهاد والرأي فيها مجال اذ لم يصح فيها شيء قطعي في الكتاب العزيز والسنة المتواترة المجمع عليها ولذلك كان يعذر بعضهم بعضاً في اختلاف الرأي فيها ويعد كل عبادة المخالف له صحيحة ويصلي وراءه كما بيناه غير مرة . ولذلك قلنا في مقالات المصلح والمقلد ان الطريق الى الوحدة الاسلامية هي أن يجعل ما اجمعت عليه جميع المذاهب هو الاصل الذي يؤاخي به بعضنا بعضا ونقلنا عن كتاب القسطاس المستقيم لحجة الاسلام الغزالي ان رأيه ترك المسائل الخلافية والعمل بما اتفقوا عليه . وانك لتجد المتعصبين لمسائل الخلاف، لا يعملون بجميع مسائل الاجماع والاتفاق ، ولو عملوا بها لأدوا جميع الفرائض وتأدبوا بأكمل الآداب وتركوا جميع الرذائل والمحرمات الضارة بأفرادهم وأمتهم ولكنهم قد أهملوا وتهاونوا في كل شيء الا في تعصب

كل فريق على الآخر فيما تفرقوا فيه واذا دعوتهم الى الوفاق الذى دعا اليه الغزالي فى آخر عمره قالوا يا للغيرة انه يريد هدم المذاهب وافساد الدين.

أما طريقة الوفاق بين من يحبون البحث فى هذه الفروع الخلافية ولا يرضون بالبراءة الاصلية التى قال بها الغزالي فالتوفيق بينهم لا يكون الا بالرجوع الى السنة الآحادية والروايات القولية ، ولم يثبت حديث يحتج به على وجوب الوضوء من خروج الدم بل ورد خلافه على أن الوضوء منه احتياطا لا يضر بل الاولى ان يتوضأ الانسان لكل صلاة اذا لم يجد مشقة في ذلك . وأما مسألة لمس المرأة ففيها آية (أو لامستم النساء) والارجح أن الملامسة فيها كناية عن الوقاع وأما الروايات فهي متعارضة ولكن ما ورد فى عدم النقض هو الذي يصح كحديث وضع عائشة يدها على بطن قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي رواه مسلم والترمذي وحديث مسها برجله هو عند ما اعترضت أمامه وهو يصلي رواه النسائي وصححه الحافظ ابن حجر والاحتياط لا يخفى لاسيما اذا كان اللمس بشهوة والله أعلم

﴿ نتف ريش الطائر ﴾

(س ٣) الشيخ محمد خطاب بالازهر : نرى قوما من صادة السمان في شواطىء البحر الابيض المتوسط ينتفون ريشه قبل ذبحه لانه لا جلد له بل الريش مغروس في اللحم وفي هذا من تعذيب الحيوان ما لا يخفى ولو نتف ريشه بعد ذبحه خرج ما فيه من الدسم مع ريشه لانتفاء حرارته بالذبح وقد عمت هذه البلوى كل أهالى بلادنا فهل يجوز أكله وهل يسوغ استعمال هذه الطريقة في تنظيفه

(ج) لا خلاف في أن تعذيب الحيوان محرم ولكن تحريم نتف الطائر حيا لا يقتضي تحريم أكل المنتوف المذكى تذكية شرعية • ولعلهم لو نتفوا السماني عقب الذبح قبل أن تبرد حرارته لتيسر لهم والا فلهم ان يصبوا على ريشه ماء سخنا من غير مبالغة تؤثر في بطنه وما يفعلونه من وضع الطيور في الماء المغلي زمنا يؤثر تأثير امتزاج برطوبة النجاسة اللحم غير ضروري للتسهيل النتف وهو جهل فينبغي تنبيههم له .

﴿ الصيد بالبندق والرصاص ﴾

(س ٤) ومنه : كثيرا ما يصطاد الصيادون الطيور بالرصاص ويسمون وقت الطلق ولكن

بعض الصيد ينزل حيا والبعض ميتا وما كان حيا بعضه به حياة مستقرة والبعض ليس به هذه الحياة والصياد يذبح الجميع وربما توانى بالتذكية عن بعض ما فيه الحياة فلا يدركه الا وقد فارقته فهل يجوز أكل هذا وهل ذكاة فاقد الحياة واجبة ؟ والمصيبة الكبرى أن كثيرا من البيوت بل عامتهم يضعون هذه الطيور وكل انواع الدجاج فى ماء مغلي لسهولة نتف الريش قبل استخراج ما فى بطنها وربما أوقدوا نارا تحت هذا الماء وهي فيه فما حكم الله فى هذا معلنا في المنار للاسترشاد به شد الله به أواصر الدين

(ج) قد اختلف المشتغلون بالفقه فى حل صيد بندق الرصاص بعد وجوده فحرمه بعضهم لانه مثقل فهو بمعنى الوقذ وأحله آخرون وجعلوه بمعنى الصيد بالسهام وألف ابن عابدين رسالة فى حله وكذلك أحد مشايخ الاسلام في تونس . وهو الذى أراه أقوى وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم الصيد بالمعراض وهو عصا في رأسها حديدة أو سهم لا نصل له ولا ريش اذا خزق أي خدش وان أدرك الصيد ميتا والحديث في الصحيحين والرصاص والبندق أشد خزقا وأسرع قتلا وانما حرم الوقذ لانه تعذيب (راجع مقالات التذكية والموقوذة في المجلد السادس) ولا حاجة لذبح الصيد الذي يرمي فيدرك ميتا أو يأتي به الكلب ونحوه ميتا بشرطه لان ذلك تذكية له بلا خلاف واذا جاز الصيد بالبندق والرصاص فهو كذلك

﴿ الجبر والقدر ﴾

(س ٥) ومنه : طالما يخطر في بالي ويتردد في فكري قول القائل

ماحيلة العبد والاقدار جاريه ... عليه فى كل حال ايها الرائي
ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ... اياك اياك ان تبتل بالماء

ولا اجد منه مخلصا او اقف على مسلك فلجأت لساحتكم مسترشدا جعلكم الله ركنا ركينا للمسلمين

(ج) هذا القائل يخاطب الرائي وهو لا يرى فانه اكتفى بما فى خياله عما تحت نظره اذ يري العبد يحتال وهو يسأل ما حيلته والاقدار هي التي جعلته يحتال ويعمل كما هو مشاهد • ومنه ان بعض اناس ألقوا انفسهم فى اليم ومنهم من لم يلقها ولو كانت الاقدار حكمت على كل انسان بان يلقى فى اليم مكتوفا لكانوا كلهم سواء وما هم بسواء • وظاهر انه يريد بالالقاء فى اليم الحال السيئة التي يقع الانسان فيها ولا يجد

له مفرا منها وليس كل الناس كذلك ، والمسألة عقدتها كثرة الكلام والتخيلات فيها وهي بديهية لمن فهم معنى الانسان ، وسنن الاكوان ، ومن شدة الظهور الخفاء ، فان القدر والتقدير والمقدار الواردة في الكتاب والسنة معناها ظاهر وهو ان كل شيء يجري في العالم فهو يجرى بسنن ونواميس ومقادير معينة ثابتة . وهذا هو الذي يزيل الحيرة ويهدي الانسان الى كسب المنافع واجتناب المضار ولو كانت الاشياء تجري بغير تقدير ولا حساب لكان الانسان الذي خلق عالماً متفكراً في حيرة دائمة لانه لايعرف طريقا لشيء من مصالحه . وهذا أسهل حل لمسألة القدر وأقربه وأخصره ومن زاد عليه البحث في كيفية الخلق والتكوين فهو من المجانين

باب الفقه في أحكام الدين

(رسالة البدعة * في صلاة الظهر بعد الجمعة)

البحث الثالث في عرض المسئلة على كتاب الله وسنة رسوله

اعلم ان الله عز وجل قد امر بفهم كتابه الكريم والعمل بسنة رسوله الرؤف الرحيم ، قال تعالى « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها » وقال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » واخبرنا عليه الصلاة والسلام انه ترك لنا شيئين لانضل اذا تمسكنا بهما ابدا وهما كتاب الله وسنة رسوله وقد أمرنا الله بان نعرض ما تنازع فيه الناس واختلفوا على الله ورسوله فقال « ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا » وقال أيضاً « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا » وقال « فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » فهذه الآيات ونحوها تدل ابلغ دلالة على ان المرجع مع الاختلاف انما هو الى حكم الله ورسوله . وحكم الله كتابه وحكم رسوله بعد ان قبضه الله هو ما صح عنه من الاحاديث ولايقال ان ما استشهدت به وارد في أمر مخصوص فلا يصلح دليلا لانا نقول : ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب وهو مطلق حكم في مطلق اختلاف ومشاجرة ، ولا ريب ان الامر هنا للوجوب اذ ان الله قد تعبدنا بكلامه

وكلام رسوله دون سواهما من الخلق لانهما هما عليهما المعول وكلام غيرهما قد يخطئ وقد يصيب فلذا قال امام أهل المدينة مالك ابن انس رضي الله عنه « مامنا الا من رد ورد عليه الا صاحب هذا القبر » واشار الى قبر الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وسلم ، وقد نقل عن الائمة الاربعة وغيرهم رضوان عليهم جمل كثيرة كلها دالة على ان الانسان لابد ان يعرض الاحكام كلها على الكتاب والسنة فما وافقهما عمل به وما خالفهما نبذه وراء ظهره

ولما كانت مسئلتنا هذه مما اختلفت المذاهب فيها ليس بين الشافعية وغيرهم فقط بل بين الشافعية انفسهم أمواتهم واحيائهم وجب علينا ان نعرضها على كتاب الله وسنة رسوله وقد بينا مسئلة التعدد بيانا شافيا وعرفنا انه لم يرد نص يمنعه من القرآن ولا الاحاديث وان مذهب الشافعي يقتضي التعدد عند الحاجة اليه وقد بقي علينا عرض مسئلة صلاة الظهر بعد الجمعة مع تعددها فنقول قال تعالى « ياايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ثم قال « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » فانت ترى انه قد امرنا بان ننتشر في الارض بعد انقضاء الصلاة ونطلب من فضل الله ولم يأمرنا ان نصلي الظهر بعد الجمعة ولم يقل ان تعددت فصلوها ، فمن اين استنبطنا هذه الصلاة ومن اين اتينا بها حتى انه قد ورد ان النبي ما كان يصلي سنة الجمعة البعدية في المسجد بل كان يذهب ويصليها في البيت عملا بهذه الآية لانه تعالى أمر بالانتشار بعد صلاة الجمعة يدل على ذلك ماروي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته رواه الجماعة ، وعنه « انه اذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين ثم تقدم فصلى اربعاً واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل في المسجد » رواه أبو داود . قال الآلوسي عند تفسير هذه الآية « واخرج أبو عبيد وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن بر الحراني قال رأيت عبد الله ابن بر المازني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد فصلى ما شاء الله تعالى ان يصلي فقيل له لاي شيء تصنع

هذا قال انى رأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم هكذا صنع وتلا هذه الآية (فاذا قضيت الصلاة) الخ. فعلم من هذا ان الكتاب لاينطق بلزوم الظهر بعد الجمعة مع التعدد بل يفهم منه خلاف ذلك لان الامر بالانتشار مطلق غير مقيد

واما السنة السنية ، والاحاديث النبوية ، فهى طافحة بما يدل على خلاف ذلك ويناقضه كل التناقض . اذ معلوم من الدين بالضرورة انه لم يثبت عن النبي القول بصلاتها مع تعدد الجمعة وانت تعلم ان الدين قد كمل في عهده صلى الله عليه وسلم بحكم قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» فلا حاجة لنا اذن بعبادة لم نؤمر بها

هذا ولو اردنا ان نبحث لوجدنا التعدد لحاجة اولغير حاجة ليس شرطاً فى صحة الجمعة تفسد بفقده لما علمت في البحث الاول من انه لم يرد نص عن المعصوم ولا عن الصحابة ناطق او مقتض لعدم جواز التعدد ولو لغير ضرورة . واما كونها لم تفعل الا في مصلى واحد فليس بدليل لما اوضحناه لك سابقاً ايضاحاً شافياً ولما هو مقرر من انه لا ينسب لساكت قول على ان إيجابكم عدم التعدد لانها لم تعدد فى زمن الرسول يلزمكم أن توجبوا الخروج لصلاة العيد خارج البلد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج لصلاتها مع الصحابة الى الصحراء ولا قائل منكم بذلك والمسئلتان سواء (*)

فالحق الذي لامحيد عنه ان المصلى الواحد ليس شرطاً فى صحة الجمعة وانما هو حكمة من حكمها ، ولو تعددت الجمعة فهي صحيحة ولا ظهر بعدها سواء أكان تعددها لضرورة أم لا لانه لم يرد ما يحظر ذلك بل الوارد خلافه فقد روي عن ابن عباس انه يجيز للرجل أن يصلي الجمعة منفرداً فى بستانه قال ذلك الشعراني فى كشف الغمه

وإني ذاكر لك الاحاديث الدالة على عدم مشروعية الظهر بعد الجمعة بحال من الاحوال حتى لو لم تصل الجمعة (١)

(*) اللهم إلا ماورد من صلاته اياها في المسجد لمطر وقع كما فى حديث أبي هريرة عند أبي داود وابن ماجه والحاكم وذلك لعذر كما رأيت اه منه

(١) اختلف العلماء في صلاة الجمعة هل فرضت بطريق الاصالة ام بطريق البدل عن الظهر فمنهم من قال بالاول ومنهم من قال بالثاني وهذه الاحاديث التي سنسردها لك تؤكد مذهب القائلين بانها فرضت بطريق الاصالة لا البدل الا حديث العير فليس فيه دليل لهم

عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية التي في الجمعة «واذا رأوا تجارة اولهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً» الآية رواه احمد ومسلم والترمذي وفى رواية اقبلت عير ونحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فانفض الناس الا اثني عشر رجلا فنزلت هذه الآية « واذا رأوا الخ » رواه احمد والبخاري فنسألكم معشر الفقهاء الذين توجبون لصحة الجمعة اربعين رجلا احرارا مقيمين لا يظعنون صيفاً ولا شتاء يستمعون اركان الخطبة كلها ويقيمون الجمعة كيف ان النبي عليه الصلاة والسلام لم يعد الجمعة او لم يصل الظهر ؟ لان جمعته غير صحيحة اذ لم يبق وهو يخطب الا اثنا عشر رجلا ولا شك انه لا يسعكم الا التسليم بأن الجمعة لايشترط فيها العدد المخصوص وهو غير مذهبكم او ان تقولوا يحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر او اعاد الجمعة والحال انه لم يثبت ذلك قطعا والدين لايثبت بالاحتمال او تقولوا : حقا ان صلاة الظهر بعد الجمعة بدعة لاتجوز لأن النبي لم يفعلها ولو لزمت لفعلها يوم العير (*)

(*) وقد علمت من هذا الحديث أن الاربعين ليسوا بشرط فى صحة الجمعة فلو صلاها رجلان في مكان لم يكن فيه غيرهما لفعلا ما يجب عليهما فان خطب أحدهما فقد عملا بالسنة وإن تركا الخطبة فهي سنة فقط لانه لم يرد مايدل على وجوبها . وقد قال عليه الصلاة والسلام «الجمعة واجبة على كل قرية وإن لم يكن فيها إلا أربعة» وما روي عن كعب بن مالك رضي الله عنه انه قال «أول جمعة جمع بنا أسعد ابن زرارة فى بقيع الخضمان قيل لكعب كم كنتم يومئذ قال اربعون رجلا فجمع بنا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة» فهو مما لا يستدل به على عدم صحتها باقل من العدد المذكور لان الجمهور على أن وقائع الاعيان لا تصلح دليلاً للعموم ولذا قال الشعراني الشافعي في كشف الغمة قال شيخنا رضي الله عنه « والظاهر أن العدد المذكور ليس بشرط ولو كان أسعد وجد دون الاربعين لجمع بهم وأقام شعار الجمعة فهي واقعة حال ولذلك اختلفت مذاهب العلماء فى العدد فذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن الجمعة تصح من الواحد وذهب ابراهيم النخعي وداود وأهل الظاهر الى أنها

ومن الادلة على عدم طلب الظهر بعد الجمعة بل على عدم مشروعيتها يوم الجمعة مطلقا صليت الجمعة أم لم تصل ما ورد من اجتماع عيد وجمعة في عهد الرسول الاكرم فصلى العيد ورخص في الجمعة ولم يرد أنه أمرهم بالظهر لانه لم يثبت ذلك وهاك النصوص ، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه وسأله معاوية هل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتمعا قال: نعم ، صلى العيد أول النهار ثم رخص في الجمعة فقال من شاء ان يجمع فليجمع ، رواه احمد وابو داود وابن ماجه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء اجزأه من الجمعة وانا مجمعون ، رواه أبو داود وابن ماجه وعن وهب بن كيسان قال « اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير فاخر الخروج حتى تعالى النهار ثم خرج فخطب ثم نزل فصلى ولم يصل للناس يوم الجمعة فذكرت ذلك لابن عباس فقال أصاب السنة ، رواه النسائي وابو داود بنحوه لكن من رواية عطاء ولابي داود عن عطاء قال « اجتمع يوم الجمعة ويوم الفطر على عهد ابن الزبير في يوم واحد فجمعهما جميعاً فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر .

فهذه الاحاديث ناطقة بلسان فصيح على منبر الحق بأنه لاظهر بعد الجمعة بل ان الظهر لم تشرع ذلك اليوم اقيمت الجمعة ام لم تقم وفيما روي عن ابن عباس وقد سئل عن رجل صلى الجمعة منفرداً في بستانه فقال « لا بأس اذا قام شعار الجمعة بغيره » دليل على مانقول لان صلاته على ما اشترطه الفقهاء فاسدة وان كنا لانقول بصحة الجمعة في غير جماعة لما روى ابو داود من حديث طارق بن شهاب « الجمعة

تصح من اثنين وذهب ابو حنيفة وسفيان الثوري رضي الله عنهما الى انها تنعقد باربعة أحدهم الامام الى آخر ما قال ،

وأما الرجولية والاقامة والحرية فهي شروط لوجوبها دون صحتها إذ لا تجب الجمعة على المرأة والمسافر والرقيق لحديث أبي داود الآتي ولكن ان فعلوها تصح منهم فلو صلى رقيقان أو مسافران الجمعة مثلا احدهما امام والآخر مأموم صحت منهما . وقد ورد أن النبي صلى الجمعة في بعض أسفاره مع الصحابة فلو كان يشترط في صحتها الاقامة لما فعلها الرسول ولا تحضرني الآن ألفاظ الحديث

حق واجب على كل مسلم في جماعة الا اربعة عبد مملوك او امرأة اوصبي اومريض » وفي حديث ابي هريرة وحديث جابر (ذكر المسافر)

وقد قال في نيل الاوطار بعد ما اورد حديث ابي داود السابق وحديث النسائي وظاهره انه لم يصل الظهر وفيه ان الجمعة اذا سقطت بوجه من الوجوه المسوغة لم يجب على من سقطت عنه ان يصلي الظهر واليه ذهب عطاء حكى ذلك عنه في البحر والظاهر انه يقول بذلك القائلون بأن الجمعة اصل وانت خبير بأن الذى افترضه الله تعالى على عباده في يوم الجمعة هو صلاة الجمعة فايجاب صلاة الظهر على من تركها لعذر او لغير عذر محتاج الى دليل ولا دليل يصلح للتمسك به على ذلك فيما اعلم » اه وانت تعلم ان مؤلفه الامام الشوكاني من مشاهير حفاظ الحديث وفقهائه المعول عليهم وربما يثقل هذا القول على فقهاء العصر ، في كل قرية ومصر ، اللهم الا من كان محباً للحقيقة منهم

قال في كشف الغمة « وكان صلى الله عليه وسلم يقول: من ترك صلاة الجمعة لغير عذر فليتصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار فان لم يجد فبدرهم او نصف درهم او صاع حنطة او نصف صاع او مد » فأنت ترى انه لم يأمره بصلاة الظهر بل امره بالصدقة ولا يقال امره بالظهر والصدقة لانه لم يثبت ذلك والخير في الاتباع والشر في الابتداع

(الخلاصة) اعلم ان صفوة الكلام ان تعدد الجمعة للحاجة جائز عند الامام الشافعي وان الجمع في بلدتنا ونحوها متعددة للحاجة وعليه فصلاة الظهر بعدها غير واجبة ولا مسنونة بل هي بدعة غير جائزة وعلمت ان القول بصلاتها بعد الجمعة مبني على التعدد لغير حاجة في بعض الصور وقد وفينا الكلام حقه في الابحاث السابقة فراجعه بدقة وانصاف والله اعلم

هذا ما اردت انشاءه وايراده في هذه الرسالة فعسى ان تكون فصل الخطاب ، فقد جمعت من الكلام ما هو اضوأ من الشمس ، وأنور من البدر ، ومن الادلة الساطعة ، والبراهين الناصعة ، ما أزال عن وجه الحقيقة الغشاء ، فبدت وضاحة الجبين ، غراء الطلعة ، وفيها كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد فاجعلها اللهم خالصة لوجهك الكريم

آثار علمية ادبية

(انتقاد شواهد الطبعة الاولى من تفسير ابن جرير الطبري)

تابع لماقبله

(٧٣) تعمد حقي ظالماً ولوى يدى   لوى يده الله الذى هو غالبه

ورد شطره الثاني فى الثالث ص٢١١ وكله في الخامس عشر ص١٤٩ وأنشد الشطر الاول هكذا * يظلمني مالى كذا ولوى يدى * والصواب ما ذكرنا والبيت فى الصفحة العاشرة من الجزء الرابع حماسة

(٧٤) وان مهاجرين تكنفاه   لعمر الله قد خطئا وحابا

ورد فى الاول ص ٢٣١ وهنا أنشد صحيحاً . وفى الرابع ص١٤٣ وكتب هكذا

وان مهاجرين تكنفاغدا   نبيذ القد خطيا وحابا

وفي الثالث عشر ص ٣٢ وكتب هكذا

وإن مهاجرين تكيفاه غدا   بيد لقد خطئا وخابا

(٧٥) رمى فأخطأ والاقدار غالبة   فانصمن والويل هجيراه والحرب

فى الخامس ص ٤٠ وقد كتب فى أول الشطر الثاني فالضفن والصواب فانصمن

(٧٦) فلم أر معشراً أسروا هديا   ولم أر جار بيت يستباء

فى الثاني ص ١٢٤ ووردت الكلمة الاخيرة هكذا يستيبا ٧

(٧٧) أسيئى بنا أو احسنى لاملولة   لدينا ولا مقلية ان تقلت

ورد فى الاول ص٢٩٥ وكتب الكلمة الاولى هكذا أسيئن وفي العاشر ص ٩٣ وكتب هكذا

أسيئى بنا أو أحسنى   لاملولة ولاممعلنة ان تعلنى

(٧٨) وليلة ذات ندى سريت   ولم يلتنى عن سراها ليت

ورد فى موضعين في الثالث ص ١٥ وكتب هكذا

وليلة ذات دجى سريت   ولم يردنى عن سراها ليت

وفي السادس والعشرين ص ٨٣ وكتب صحيحاً .

(٧٩) كأن لها في الارض نسياً تقصه   على امها وان تحدثك تبلتِ

فى السادس عشر ص ٤٤ وكتب الشطر الثاني هكذا

اذا ما غدت وان تحدث تبلت

والبيت للشنفرى والبلت الانقطاع وتبلت الكلام لما يعتريها من البُهْر

(٨٠) سلام الاله وريحانه   ورحمته وسماء دِرَرْ

في السابع والعشرين ص ٦٥ وكتب هكذا

سلام الله وريحانه   وجته وسهادرته ٧ وبعد البيت

غمام ينزل رزق العباد   فأحيا البلاد وطاب الشجر

(٨١) ياحبذا القمراء والليل الساج   وطرق مثل مُلاء النسّاج

في الثلاثين ص ١٢٧ وكتب هكذا

ياحبذا القمر والليل ساج   وطرق مثل ملا النساج

(٨٢) وليست بسنهاء ولا رُجَّبِيَّة   ولكن عرايا في السنين الجوائح

فى الثالث ص ٢٤ وكتب بدل بسنهاء فى الشطر الاول سنهاء . وبدل عرايا فى الشطر الثاني غزانا

(٨٣) فهممت ان أغشى اليها محجرا   فلمثلها يغشى اليه المحجر

في التاسع عشر ص٢ وكتب بدل أغشى ويغشى القى ويلقى وقبل هذا البيت

ذهبت بعقلك ريطة مطوية   وهى التى يهدى بها لو تنشر

(٨٤) ورهبان مدين لو رأوك تنزلوا   والعصم من شعف العقول الفادر

وردفى موضعين (١) في السابع ص ٤ وكتب الشطر الثاني هكذا

والعصم من سعف العقول القادر

(٢) في العشرين ص ٣٢ وكتب هكذا الا انه أحاله على عدد ٧ يقال وعل عاقل صعد الجبل والفادر بالفاء المسن من الوعول

(٨٥) هنالك لاأرجو حياة تسرني   سجيس الليالى مبسلا بالجرائر

فى السابع ص ١٣٩ وكتب بدل سجيس سمير وهو غلط

(٨٦) وان كلاباً هذه عشر أبطن   وانت برىء من قبائلها العشر

في التاسع ص ٥٦ وكتب بدل كلابا كلانا وبدل برى ترى فاختل المعنى والوزن

(٨٧) وظلت باعراف تعالت كانها   رماح نحاها وجهة الريح راكز

في الثامن ص ١٢٨ وكتب الشطر الثاني هكذا * رماح وجهه راكز * ٧

وانشد الاساس البيت هكذا

مسبَّبة قبُّ البطون كأنها   رماح نحاها وجهة الريح راكز

وفيه يقال خيل مسببة يقال لها قاتلها الله واخزاها اذا استجيدت وفي الجمهرة كتب البيت هكذا

واضحت تغالى بالستار كانها   رماح نحاها وجهة الريح راكز

وتغالى تسابق تدخل رأسها بين اخواتها

والبيت الذى فيه الاعراف بيت آخر في أول قصيدة الشماخ وهو

وظلت بأعراف كان عيونها   الى الشمس هل تدنو ركيّ نواكز

(٨٨) لقد مريتكم لو ان درتكم   يوماً يجيء بها مسحى وابساسي

في الخامس ص ٧٢ وكتب هكذا

وقد نظرتكم لو ان درتكم   يوما يجى بهمسحى واساسى

(٨٩) حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها   حجر حرام الا تلك الدهاريس

ورد الشطر الثاني في الثامن ص ٣١ وكتب بدل الا تلك :الاثم: وورد البيت كله في التاسع عشر ص ٢ وكتب بدل حنت جئت وبدل الا تلك الا ملك

(٩٠) مالك ترغين ولا ترغو الخلف   وتضجرين والمطى معترف

في الثاني ص ٣٠٥ وكتب الشطر الاول وهو الذى أنشد هكذا

مالك ترعين ولا ترعوا الخلف

(٩١) ناج طواه الاين مما وجفا * طي الليالى زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

الأولان في الثاني عشر ص ٧٣ والاخيران في التاسع عشر ص ٤٦ وكتب بدل سماوة سماؤه

(٩٢) ان سميراً أرى عشيرته   قد حدبوا دونه وقد أنفوا

ان يكن الظن صادقاً بنى النجار لا يطعموا الذى علفوا

في الرابع ص ٢٣ وكتبا هكذا

ان سميراً أرى عشيرته قد   حدثوا دونه وقد أبقوا

ان يكن الظن صادقى بنى النجار لم يطعمو الذى علقوا

والبيتان من كلمة مالك بن العجلان فائية الروى

(٩٣) تخوف السير منها تامكا قردا   كما تخوف عود النبعة السفن

وردفي الرابع عشر ص ٧٠ وكتب بدل قرداً قوداً وبدل النبعة النيعة وكلاهما غلط

(٩٤) تنشطته كل مغلاة الوهق   مضبورة قرواء هرجاب فنق

ورد الاول في الثلاثين ص ١٧ وكتب بدل مغلاة معلات. المغلاة الناقة التى تبعد الخطو والوهق بالتحريك المباراة والمسايرة . مضبورة مجتمعة الخلق . القرواء الطويلة القرا بالفتح وهو الظهر وقالوا في تثنيته قروان وقريان. الهرجاب كمفتاح الطويلة أو السريعة وقيل هو كل عظيم البطن. الفنق بضمتين الناقة الفتية الضخمة . والهاء عائدة على ما وصف قبل في قوله * وقاتم الاعماق خاوى المخترق *

(٩٥) حسبت بغام راحلتى عناقاً   وما هي ويب غيرك بالعناق

فلو أني رميتك من قريب   لعاقك عن دعاء الذئب عاق

ورد الاول في الاول ص ٤١٩ وكتب بدل بغام ثغام وبدل ويب ويل وفي الثاني ص ٥٣ وفيه كتب ويل بدل ويب . وفي الرابع ص ٥٦ وكتب فيه بدل بغام راحلتى: نعام راحل : . وفي الخامس عشر ص ١٣ وكتب فيه بدل ويب غيرك: وثب عيرك ــ وورد الثاني في الخامس عشر ص ٥٨ وكتب الشطر الاول هكذا

ولو انى رميتك من بعيد

(٩٦) لئن حللت بجوٍّ في بني أسد   في دين عمرو وحالت بيننا فدك

وردفي العاشر ص ٦٨ وكتب بدل بجو بجد

(٩٧) أقول له والرمح يأطر متنه   تأمل خفافاً انني انا ذالكا

ورد في الاول في موضعين اولهما ص ٢٩٩ وكتب بدل: يأطر: ناظر: وبدل تأمل: تبين. الثاني ص ٤١٦ وكتب صحيحاً الا انه ترك همز يأطر فصارت هكذا ياطر

(٩٨) طمحت بنظرة فرأيت منها   تحيت الخدر واضعة القرام

ورد في الاول ص ١٢٥ وكتب الشطر الثاني هكذا* نحيت الحذر ناصعة القوام .
وروى الطبري: سمت لى نظرة: بدل طمحت بنظرة

(٩٩) وحليل غانية تركت مجدلا   تمكو فريصته كشدق الاعلم

من معلقة عنترة ورد في التاسع ص ١٣٧ وكتب بدل وحليل غانية وخليل غانية

(١٠٠) عرفت المنتأى وعرفت منها   مطايا القدر كالحدا الجثوم

وورد في الثامن ص ١٥٣ وكتب هكذا

عرفت الصبا وعرفت منها   مطايا العذر كالحدا الجثوم

(١٠١) عهدي به شد النهار كأنما   خضب البنان ورأسه بالعظلم

من معلقة عنترة وورد في الثامن ص ٥٧ وكتب الشطر الثاني هكذا . خضب اللبان ورأسه بالعظلم .

(١٠٢) رفوني وقالوا ياخويلد لاترع   فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

لابي خراش ورد في السابع ص ١٥١ وكتب الشطر الاول هكذا . زقوني وقالوا ياخويلد لم ترع .

ومعنى رفوني بالفاء سكنوني وقيل أراد رفؤني فالقى الهمزة والهمزة لاتلقى الافى الشعر وقد ألقاها فى هذا البيت ومعناه اني فزعت فطار قلبي فضموا بعضي الى بعض.

(١٠٣) ماوي يا ربتما غارة   شعواء كاللذعة بالميسم

وورد في الثامن عشر ص ١٤ وكتب هكذا

يا ربتما غارة شعواء   كاللذعة بالميسم

(١٠٤) حواء قرحاء أشراطية وكفت   فيها الذهاب وحفتها البراعيم

وورد في الثلاثين ص ٨٤ وكتب هكذا

حوى فرحا سراطيه وكفت   فيها الذهاب وحفتها البراعيم

(١٠٥) تقول اذ درأت لها وضيني   أهذا دينه ابدا وديني

ورد في الاول ص ٣٨٥ وكتب صحيحا وورد فى الرابع ص ١٠٥ وكتب هكذا

أقول وقد درأت لها وضيني   وهذا دينه أبدا ودينى

(١٠٦) مهلا بني عمنا مهلا موالينا   لاتنبشوا بيننا ماكان مدفونا

وورد في الخامس ص ٣١ وكتب الشطر الثاني هكذا . لاتظهرون لنا ما كان مدفونا .

(١٠٧) ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا

ورد في العاشر ص ٧٦ وكتب بدل الشباب الشاب وبدل يعاص يقاص وهو غلط لامعنى له

(١٠٨) اذا ماقمت أرحلها بليل   تأوّه آهة الرجل الحزين

وورد في الحادي عشر ص ٣٣ وكتب بدل اذا ماقمت: اذا قضت: فاختل المعنى والوزن

(١٠٩) عجبت من دهماء اذ تشكونا . ومن ابي دهماء اذ يوصينا . خيرا بها كأننا جافونا

وردت في الخامس عشر ص ٤٤ وكتبت صحيحة الا أن تشكونا كتبت بياء مثناة من تحت وهو غلط

ووردت في العشرين ص ٧٧ وكتب الأخيران هكذا

ومن أبي دهما اذ توصينا7   خيرا بها كأنهم خافونا

ولو أنه أحال على ماتقدم لكان خيرا

باب التقريظ والانتقاد

(خواطر الخواطر)

مقالات أدبية حكمية وعظية لمحمود أفندي سلامه صاحب جريدة الواعظ كان يكتبها في جريدة اللواء أيام كان محرراً لها وكانت خير ماينشر فى تلك الجريدة وأعذبه في ذوق القراء على مافيها من السجع ومرارة الوعظ لانها كانت محاورات بين تلميذ واستاذه الدهر ثم عاد الكاتب الى هـذا في جريدته الواعظ لأنها أجدر بمثله . وقد اقترح عليه ما وافق رغبته من جمع ذلك في كتاب يجمل أجزاء لجمع معظم ما كتب في جريدة اللواء وطبعه بمطبعة الواعظ فجاء جزءاً لطيفا ومن مباحثه مقالات في الخمر والميسر والقتل والانتحار وطلب الدنيا وآداب الصيام وآثار الغرب في الشرق وغير ذلك فنحث القراء على مطالعته وثمنه خمسة قروش صحيحة

طولة العمر . في حديث أبو يوسف ونمر

كتاب ألفه شكري أفندي الخوري السوري المقيم فى البرازيل باللغة العامية السورية وأودعه من الفوائد والنصائح الصحية والادبية مالايستغني عنه أحد من العامة على أنه لايقتصر عن إفادة الخاصة . جعله محاورة بين رجلين من عامة اللبنانين وقد رأينا

فيه من قدرته على تصوير أفكار العوام ، مايناسب قدرته على ضبط عبارتهم في الكتاب؛ وكلا الأمرين عسير على الناشئين في دور العلم والمشتغلين بالكتابة والتأليف باللغة العربية الصحيحة واننا لنعرف من أنفسنا العجز عن المضي في ذلك بل إننا نجهل كثيرا من كلام عامتنا وأتذكر الآن أنني كنت أحتاج الى تصوير بعض المسائل الفقهية في الدرس باللغة العامية فلا أدري ماذا أقول وأنني لاجهل كثيرا من مفرداتهم. ولكنني رأيت فيما قرأته من الكتاب لحنا وغلطا أعني خروجا عن العامية الملتزمة فيه كاستعمال الذال والعطف بالفاء وغير ذلك . ولا يخلو من غلط فى الرسم كاستعمال الهاء فى موضع الواو فى مثل قوله « الواحد بيبيع استقلاله الشخصي وحريته بوظيفة حقيره و بيكون موش عاوز الوظيفة ويخون بلاده وأهله وعشيرته لاجل كم قرش يقبضها آخر كل شهر » فالمعروف في الكلام العامي أن يقال « استقلالو » عند الناطقين بالقاف وقليل ماهم ولكن الكتاب جرى على طريقتهم ومثلها « بلادو ووظيفتو » وفى هذا المثال أيضا قوله « يقبضها » من غير إلحاق الباء بالفعل ولعلها تقال قليلا

ومن نصائح الكتاب النهي عن الخوض فى الامور الدينية والسياسية الآن (والقيد بالآن للاخيرة) وجعل ذلك من أسباب الراحة التي تطيل العمر وبهذه المناسبة تكلم في حال النصارى في سوريا وآمالهم ومستقبلهم بالاختصار وقد انتقدنا عليه فى هذا السياق ماقاله عن المسلمين من مقتهم للولاة والحكام العادلين لانهم يحولون بينهم وبين ايذاء النصارى فهذا شيء لايصح الان يكون بالنسبة الى بعض أهل بيروت ولهم من النصارى أكفاؤهم في حب الاعتداء وأما سائر مسلمي بيروت وسوريا فان حالهم مع الحكام الظالمين شر من حال النصارى لان الضرائب والمظالم عليهم أكثر .

الجرائد والجامعة الاسلامية وانتقدنا عليه قوله إن جرائد الاسلام فى كل الدنيا تدعو الى جامعة دينية اسلامية وكلها تستقى من ينبوع واحد بخلاف جرائدهم التي بحت لكثرة النداء بالجامعة العثمانية لاسيما جرائد المهجر المشتعلة بنار الغيرة على الوطن :

أقول ليعلم هذا الوطني الغيور أن أكثر جرائد المسلمين لم تفكر فى مسألة الجامعة الاسلامية الدينية وان منها مايدعو الى جامعة وطنية غريبة يبغض فيها المسلم الى المسلم الموافق له في لغته وجنسيته السياسية اذا كان من بلد آخر ولو مجاورا له . وان أكثر

أصحابها لايعرفون حقيقة الاسلام وأنه ليس فيها جرائد دينية وياليت للعالم الاسلامي كله من الجرائد الدينية بعدد ما للنصارى في بيروت أو القاهرة . وهذه مجلة المنار الاسلامية وجد في مسلمي مصر من يحرض عليها جميع جرائد المسلمين وغيرهم في مصر وان كان الاكثر لم يسمع ولم يجب . بل إن بعض الجرائد اليومية للمسلمين تنشر أحيانا ماهو طعن صريح فى الشريعة والدين . وجملة القول أنها لم تتفق على دعوة واحدة . ثم ان الجامعة الاسلامية التي تكلم بها بعض فضلاء المسلمين لاتنافي الجامعة العثمانية فى بلاد الدولة العلية بل تجتمع معها

سوريا والحجاز والسياسة : وانتقدنا عليه أيضا ماقاله فى سكة الحديد الحجازية « اللي بدها تقلب وجه السياسة قلبه ملعونه » اذ تخيل أن غرض السلطان أو الدولة تنحية النصارى عن سوريا وجعلها مع الحجاز بلادا اسلامية محضة ومحط رحال المسلمين من كل الدنيا . ليعلم أن هذا الخاطر لم يطف في دماغ تركي قط لانه فرع الرضى بالتنازل عن الجنسية التركية وعدم تمييز التركي على العربي وانى ذلك وجريدة (ترك) المعتدلة التي تصدر فى مصر تعبر عن الترك « بالملة المالكة » وانما الغرض الاول من هذه السكة أن يسهل على الدولة سوق العساكر الى الحجاز عند الحاجة لاسيما اذا حدثت فيه انقلابات سياسية بدسائس الانكليز اذ لايمكنها حينئذ أن ترسل اليه الجيش فى البحر.

وقد عنينا بنقد الكتاب لفائدته ولانه نشر في جريدة الهدى الغراء وجمع منها وطبع وانتشر ولا نحب ان نسكت على مايحدث نفوراً ويقوي فتورا بين أهل الوطن فعسى أن تنبه جريدة الهدى على ذلك كما تفعل جريدة المناظر في مثله

كمال بلاغة العربية

« فى مدح الفرد الكامل والاستاذ المطلق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية » أهديت إلينا رسالة بهذا الاسم أنشأها الشيخ كمال الدين العراقي وطبعها على نفقته وذكر في آخرها قصيدة له سماها « لسان الحق في بيان الحقيقة والاخلاء والمحبوب » والرسالة ساجعة بالنثر ، مزينة بالشعر ، مرصعة بالتوجيه والتصريع ، مصنوعة من طينة أنواع البديع ، على طريق أهل القرون المتوسطة وهي مناظرة بين منشئها وأحد الشيوخ في الأزهر وتباع عند جميع الكتبية .

(الرياض) صحيفة تهذيبية علمية صناعية اجتماعية تصدر فى أول كل شهر إفرنجي في

حجم المنار لصاحبها حسن أفندي صديق في بني سويف وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً وقد صدر العدد الثاني منها في أول فبراير الماضي ولم نر عدد شهر مارس وفيما صدر فوائد كثيرة أنفعها الكلام في مضار الخمر فعسى ان يكون احتجابها عنا لا لاحتجابها في نفسها

(التربية) مجلة مدرسية شهرية لمديرها محمود أفندي عمر الباجوري يتألف العدد منها من ٨ صفحات كبيرة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش في القطر المصري واربعة فرنكات في غيره وقد أرسل الينا العدد الثاني منها (دون الأول) وفيه نبذ علمية وأدبية وفكاهات وجيزة بلغة الولدان العرفية وفوائد منزلية منها مانصه :
البيض يلزم غمسه في ماء مغلي عشر ثوان — لتنظيف الزجاج تضاف قطعة من زهرة «لحفظ الغسيل الى الماء الذي يغسل به — لكي يكون ضوء اللامبة لامعا ينقع الشريط في الخل قبل استعماله» ولعلنا نجد عبارتها في الاعداد الآتيه خيرا من هذه العبارة وأصح فقد جاء في صدر العدد أن الغرض مما ينشر فيها من المقالات التمرين على الانشاء واختيار الأساليب المفيدة • والتلميذ في حاجة الى ذلك في كل ما يكتبه

(جريدة العجائب) أرسلت ادارة جريدة العجائب رقاعاً الى الجرائد ترغب اليهم فيها بالتنويه بدخولها في السنة الرابعة فنهنئها بذلك ونرجو لها العمر الطويل بما رأيناه من ثباتها على خطة واحدة في الاستحسان والمدح والاستهجان والنقد على حين نرى كثيرا من الجرائد تذم اليوم من مدحت أمس وتستحسن غداما استهجنت اليوم

ديوان أبي تمام الطائي

لايجهل أحد من الادباء مكان شعر ابي تمام من البلاغة وقد طبع ديوانه غير مرة فنفدت نسخه حتى لاتكاد تجد منها نسخة عند كتبي في مصر وقد علمنا ان محمد افندي جمال من أدباء بيروت شرع بطبعه على ورق جيد بإذن من نظارة المعارف في الاستانة وكلف الشيخ محي الدين الخياط أحد محرري جريدتي بيروت والاقبال بضبطه وتفسير غريبه وسيتم طبعه في أواخر صفر الآتي ويصدر في ٥٠٠ صفحة وهو يقبل الاشتراك فيه إلى ان يتم طبعه بثمانية قروش مصريه صحيحة وسيكون ثمنه بعد ذلك اثني عشر قرشاً فمن احب الاشتراك من أهل هذه الديار فليرسل القيمة الى مكتبة المنار بمصر أو لملتزم الطبع في بيروت وله بعد حضور الكتاب ان يستلمه من هذه المكتبة

باب الأخبار والآراء

سنتنا الجديدة

نهنئ قراء المنار بالعام الهجري الجديد ونسأل الله تعالى ان يجعله عاما مباركا عليهم وعلى جميع الامم • وقد صدرنا هذا الجزء بفاتحة أطول من فواتح السنين السابقه ولكنها على طولها مختصرة تشير الى قواعد وحوادث في تاريخ الاصلاح يوشك أن تشرح يوما ما في سفر كبير

شرط الاشتراك في المنار

المنار يتألف من ٢٤ جزءا تبلغ صفحاتها ٩٦٠ ماعدا الفهرس فالذي يشترك فيه يطلب شيئاً معلوما بثمن معين وهو مايكتب على غلافه • وهذا البيع من قبيل الاستصناع وشرطه أن من يقبل الجزء الاول من السنة يكون ملزما بدفع ثمن أجزاء السنة وليس له أن يرد شيئا منها الا ان في هذا ضررا علينا وفقد جزء من المنار كفقد مجموعة السنة كلها • ومن لا يصل اليه بعض الاجزاء فله ان يطلبه الى مابعد موعد صدوره بشهر فان طلبه بعد ذلك لم نكن مكلفين بارساله اليه ، ومن فقد بعض الاجزاء فادارة المجلة غير مكلفة بإعطائه بدلا عنها ولكنها تعد بأن تبيع الجزء ان وجد فيها زائدا عن المجموعات الكاملة بخمسة وعشرين مليما لأهل مصر وبخمسة وسبعين سنتيما لسائر الناس . فمن قبل بهذا فقد وجب عليه دفع قيمة أجزاء السنة كلها بقبول الجزء الاول وحسبنا رضاهم حجة وذمتهم وكيلا • وإنما ذكرناهذا مع العلم بأنه قد ينتقد لما نقاسي كل عام من طلب الكثيرين للاجزاء المفقودة ومنهم أصدقاؤنا الذين يؤلمنا العجز عن اجابة طلبهم

(فهرس المنار أو فهارسه)

جمع فهرس المنار العادي المرتب على حروف المعجم وكان في العزم توزيعه مع هذا الجزء ولكن تراءى لنا أن نضم اليه فهرسين آخرين او أكثر وقد بدأنا بجمع فهرس الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وربما نضيف اليهما فهرسا لاسماء الاشخاص • فلينتظر من يريد تجليد أجزاء السنة السابعة صدوره مع الجزئين الثاني والثالث فانهما سيصدران معا في أوائل صفر ان شاء الله تعالى .

﴿ تقريظ المنار ﴾

جاءنا ما يأتي من أحد علماء سوريا الفضلاء المخلصين فنشرناه مع الحياء والخجل امتثالا لامره وطلبا لرضاه قال حفظه الله

لقد منّ الله على المسلمين اذ اقام لهم منارا يهديهم سبل الحكمة، ووقاهم وعث السبيل ، ولو فتح الذين أعرضوا عنه بصائرهم لرأوا أنهم في مكان وبيل، أفسكرت بصيرتهم بل هم مسحورون بما هويت آباؤهم من المناهج وكم ضل جيل بما ضل من قبل به القبيل ، هاهم أولاء تنزفهم أيدي الزمن بما ضلوا عن الحقائق وبما كانوا يتوهمون ، أفلم يأن لهم أن يفيقوا من سكرتهم وينظروا ما قدمت أيديهم وسعت اليه أرجلهم من الحال الهون، أولم يأن لهم أن ينظروا ما منّ الله عليهم اذ هيأ رشيداً منهم لرفع «المنار» لعلهم يرشدون .

سلام أيها الرشيد بما رفعت «المنار» ، طوبى ونعم عقبى الرشداء الابرار، بشرى وان لك مدحاً في الامصار والاعصار، نعمى تدوم لك العمر، يسرى تقى لك الدهر، حسنى تخلد لك الذكر، فوقى لك في الملأ الغرّ، مرحى لاصلاحك، أكرم بعملك، لقد جلوت الديجور بالسناء، وأرشدت القاصي كمن دنا، وقد عنيت بمن عنى، ولم تعن بمن حسد وشنا، كذاك حزب الهدى، لا يعنيهم السدى، ولا يثنيهم الهوى، ولا يروعهم من جفا، حسبك الحق وكفى ، لم يخب من اليه انتمى، ان لديه الآخرة والأولى ، ان هذا رجاء أولي النهى، فاستفتح هذه الثامنة بمثل ذلك الهدى، وتوكل على الذي برأ الحجى، وأرسل محمداً بالهدى للورى؛ ليكونوا اخواناً في الطريقة المثلى؛ عليه الصلاة الحسنى ، والسلام الاسنى .

وسلام عليكم قراء «المنار» بما طبتم في الملة إن لكم فيه لما ينفعكم في الدين ، وان لكم فيه لما يرفعكم بين العالمين، وان لكم فيه لما تعارفون، وان لكم فيه لما تعاطفون، وانه لهناء لكم وتبصرة للمستمعين، ولقد من الله علينا ببلوغه (الثامنه) يفيض بالنور المبين، وهذه كلمات لاخ لكم ليهديكم التحيات الطيبات، ويملن اشترا كه معكم بالمسرات ، وتذكرة لعلنا نكون من العرفاء بالفضل وعسى أن نكون من الشاكرين .

(سوري شمالي)

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الاربعاء ١٦ المحرم سنة ١٣٢٣ — ٢٢ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

﴿ كتب تفسير هذه الآية الاستاذ الامام نفسه ﴾

(٢١٢ : ٢٠٩) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بينهم ، فَهَدَى ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَٱللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *

تطلق الأمة في كتاب الله تعالى بمعنى الملة أي العقائد وأصول الشريعة كما في قوله تعالى في سورة الانبياء « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » بعد ما ذكر من شأن جماعة من الانبياء صلوات الله

عليهم وكما قال في سورة المؤمنين « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون» رجح كثير من المفسرين أن المراد من الآية في الآيتين الملة أي العقائد وأصول الشرائع أي إن جميع الأنبياء ورسل الله على ملة واحدة ودين واحد كما قال « إن الدين عند الله الاسلام » وقال كثير منهم ان الأمة في هذه الآية بمعنى الجماعة كما هي في قوله تعالى « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » أي جماعة وكما في قوله « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ولا تكون بمعنى الجماعة مطلقا وانما هي بمعنى الجماعة الذين تربطهم رابطة اجتماع يعتبرون بها واحدا وتسوّغ أن يطلق عليهم اسم واحد كاسم الأمة وتكون بمعنى السنين كما في قوله تعالى « ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة » وفي قوله « وادّكر بعد أمة » وبمعنى الامام الذي يقتدى به كما في قوله « إن ابرهيم كان أمة قانتا لله » وبمعنى إحدى الامم المعروفة كما في قوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وهذا المعنى الأخير لا يخرج عن معنى الجماعة على ما ذكرنا وانما خصصه العرف تخصيصا

وقد حمل جمهور من المفسرين لفظ الامة في هذه الآية على الملة ثم اختلفوا فيم كانت الملة فقال جمهورهم إنها ملة الهدى والدين القويم فيكون معنى الآية في رأيهم: كان الناس ملة واحدة قيمة الدين صحيحة العقائد جارية في أعمالها على أحكام الشرائع فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه: ولما وجدوا أن المعنى لا يكون قويما لأنه لا معنى لإرسال الرسل الى الأمم الصالحة

المهتدية ليحكموا بينهم فيما يختلفون فيه اذ لا يتأتى الاختلاف الذي يحتاج في رفعه الى رسالة الرسل مع استقامة العمل والوقوف عند حدود الشرائع قالوا لابد من تقدير في العبارة فيكون الكلام كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين والقرينة على هذه القضية المقدرة قوله فيما بعد «ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» وأنت ترى أن هذا بمنزلة أن تقول كان زيد عالما فبعثت اليه من يعلمه ما كان نسيه من معلوماته أو كان عاملا فأرسلت اليه من يعظه في العود الى ما ترك من عمله وتقول ان كلامي على تقدير كان عالما فنسي أو كان عاملا فترك العمل فبعثت اليه أو أرسلت اليه الخ وهو مما لا يقبله ذوق عربي فإذا كنت لا تراه لائقا بكلامك فكيف تجده لائقا بكلام الله أبلغ الكلام ، وأولى قول بملك العقول والافهام ، ومما استدلوا به على صحة قولهم ان آدم عليه السلام كان نبيا وكان أولاده على ملته هادين مهتدين الى أن وقع التحاسد بين ولديه وكان من قتل أحدهما للآخر ماهو معروف وان الانسان يولد على الفطرة السليمة والدين الحق وانما يعرض له ما ينحرف به عن الفطرة من تحكم الاهواء وإغواء الشهوات ورين الشبهات ونحو ذلك فلا ريب يكون للإنسان طور أول كان فيه خيرا عادلا واقفا عند الحق فيما يعتقد وما يعمل ثم يعرض عليه ما يعرض من الميل الى الشر والقبيح من الاعمال.

ولكن هذه الادلة لا تغير شيئا مما ذكرناه مختصا بتأليف الكلام على انه قد عرض على أولاد آدم من بعده أطوار كثيرة بلغ بهم الجهل في بعضها ان كانوا ملة واحدة في الكفر وفساد الاعمال كما كانت الحال لعهد نوح وعهد ابراهيم من بعده والآية لم تحدد زمن كان الناس أمة واحدة وغاية

مافى الأمر ان يكون النبيون المبعوثون مخصوصين بغير آدم أو نوح مثلا اذا حملت الأمة الواحدة على أمة الضلال ، وملة الفساد والاعتلال

ولذلك ذهبت طائفة أخرى وفي مقدمتهم ابن عباس وعطاء والحسن الى ان الامة الواحدة أمة الضلال التي لاتهتدي بحق ولا تقف في أعمالها عند حد شريعة واحتجوا على قولهم بهذا التعقب في الآية فانه جعل بعثة الرسل تابعة لوحدة الامة ولاتكون كذلك حتى تكون تلك الوحدة قاضية بالحاجة الى ارسالهم ليحكموا بينهم في الاختلاف الذي يقع فيهم بسبب الفساد فى العقائد والذهاب مع الاهواء الضالة فى الاعمال واعتداء بعضهم على بعض لذلك وانتهاكهم حرمة ماأمر الله برعاية حرمته فيجب أن تكون وحدة الامة وحدة في الباطل حتى يرد الحق عليه فيزهقه أما لو كانت الامة واحدة فى الهدى واتباع الحق فلا معنى لجعل بعثة الرسل مترتبة عليها كما هو ظاهر . ودفعوا مايقال من أن آدم كان نبيا وكان من أولاده من بقي على شريعته فكيف يقال ان الناس كانوا أمة واحدة على الباطل بأن الحكم على الغالب فقد كان الناس لعهد نوح كفارا الا القليل منهم ومن المعروف انه يقال دار كفر لمن كان أغلب سكانها كفارا وان كان فيها مسلمون . وقد يجاب بما تقدم ذكره من تخصيص النبيين بمابعد آدم ونوح من ابراهيم ومن بعده ولكن المعنى كما تراه ليس مما تطمئن اليه النفس بعد النظر الى آدم ورسالته ، ومن بقي من أولاده على ملته ،

وقال أبو مسلم والقاضي أبو بكر ان وحدة الامة كانت فيما هو من مقتضى أصل الفطرة من الاخذ بمايرشد اليه العقل فى الاعتقاد والعمل فكان الناس يهتدون بعقولهم والنظر المحض فى الآيات الدالة على وجود الصانع

ووجوب شكره ثم كانوا يميزون الحسن من القبيح والباطل من الصحيح بالنظر فى المنافع والمضار والاتفاق مع مايليق بالله على حسب مايرشد اليه العقل أومالا يليق . ولاريب أن استسلام الناس الى عقولهم بدون هداية إلهية مما يدعو الى الاختلاف بل كثيرا ماحالت الاوهام ، دون الوصول الى المراد من العقائد والاحكام ، فيكون الاختلاف مفهوما من معنى الوحدة على هذا التأويل وما سبقه ولهذا رتب عليها بعثة الانبياء ليحكموا بما أنزل الله فيما اختلف فيه الناس وقد أورد القاضي على نفسه مسألة آدم ورسالته وأجاب عنها بأنه من الجائز أن يكون آدم وأولاده قد بدأ أمرهم على سنة الفطرة فكانوا من أهل النظر ثم بعد ان كثر أولاده وظهر أن هداية العقل وحده لا تكفي فى حفظ سلامة القلوب ولاصلاح الاعمال أرسله الله اليهم بهداية إلهية من عنده وانه من المحتمل بل يكاد يكون من المحقق انه طرأ على نسل آدم ماأنساهم شرعه فعادوا الى استعمال عقولهم وحدها فعادت اليهم الوحدة فيما يؤدي الى الاختلاف فبعث الله النبيين الخ

وتوقف قوم في معنى الامة وقالوا لاحاجة الى البحث فى أنها كانت أمة هداية أو أمة ضلال أو أمة عقل وهو قول غاية في الغرابة لأنه ذهاب الى ترك فهم الآية الكريمة ومعنى ترتيب بعثة الانبياء على وحدة الامة اللهم الا أن يكون القائل قد أراد ماسيأتي لنا ذكره ان شاء الله تعالى

وأغرب من هذا القول قول بعض المفسرين ونقل عن مجاهد أن الناس هم آدم وحده وانه كان أمة يقتدى به ولاندري ماذا يقول أصحاب هذا القول فى تفسير بقية الآية نعوذ بالله من الخذلان

ويزعم آخرون أن المراد من الآية أهل الكتاب الذين آمنوا بموسى

عليه السلام ثم اختلفوا بغيا بينهم فأرسلت اليهم الرسل بكتب تهذبهم كما أرسل داود بزبوره وعيسى بانجيله ليردوهم الى الحق فيما اختلفوا فيه وهو تخصيص للناس وللنبيين بما لادليل عليه ألبتة كما لايخفى

قال ابن العادل نقلا عن القرطبي ولفظة كان على هذه الاقوال على بابها من المضي ويحتمل أن تكون للثبوت والمراد الاخبار عن الناس الذين هم الجنس كله انهم أمة واحدة فى خلوهم عن الشرائع وجهلهم بالحقائق لولا ان الله منّ عليهم بالرسل تفضلا منه فلا تختص بالمضي فقط بل يكون معناها كقوله «وكان الله غفورا رحيما اه

وقد قارب الصواب فى هذا الاحتمال الثاني وهو الذي كان يذهب الذهن اليه لأول الأمر لولا مايشتغل به من النظر فى تلك الضروب من التأويل، فتتفرق به السبل ويكاد يضل السبيل. ونحن ذاكرون لك ان شاء الله مايجلي المعنى في الآية مقتفين أثر ابن العادل والقرطبي فيما قالاه في معنى كان وانها للثبوت لا للمضي غير أنا نقدم لك ماجاء فى كتاب الله من وصف الامة بالواحدة والمعنى من ذلك الوصف فى مواضعه المختلفة ليكون فى ذلك توضيح لما نقصد، وسند لنا فيما اليه نعمد، والله الموفق

ورد وصف الأمة بالواحدة فى قوله تعالى فى سورة الانبياء (٢١) «إن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون * وتقطعوا أمرهم بينهم كلٌّ الينا راجعون » جاءت هذه الآية الكريمة « ان هذه أمتكم الخ » بعد ذكر جمع من الانبياء صلوات الله عليهم وذكر ما كان من شأنهم مع قومهم والخطاب فيها للانبياء كما يفسره قوله تعالى فى سورة المؤمنين بعد ما ذكر من أحوال الانبياء والمرسلين وما كان من أقوامهم معهم (٢٣) « يا أيها

الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وأن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون » وقد جاء لفظ أمة بالنصب فى الآيتين على الحال والخبر قد تم في قوله «وان هذه أمتكم» أي هذا الجمع من الانبياء والمرسلين أمتكم أي جماعتكم حال انها أمة واحدة أي ليس جمعا تربطه الروابط البعيدة كما يقال أمة الهند على اختلاف مللها وتفرق كلمتها بل هي أمة تربطها رابطة قريبة هي رابطة الاهتداء بنور الله والدعوة الى توحيده والقيام على شرعه وحمل الناس على اتباع أحكامه فهي مجتمعة على أمر واحد لاتعدد فيه هو الحق والعدل فهي جديرة بأن تكون أمة واحدة وان شئت قلت كما قالوا ان الامة بمعنى الملة فى الآيتين يراد بذلك ان الله يخبر المرسلين بأن هذا الذي سبق فى الكلام من السير في الناس بهداية الله والمثابرة على ذلك وعدم المبالاة بما يكون منهم من تكذيب أو تثريب أو تعذيب هذه هي ملتكم ودينكم وهو أمر واحد لاتعدد فيه يأتي به السابق ويتبعه عليه اللاحق لايختلف فيه نبي عن نبي ولا يناكر فيه مرسل مرسلا

هذا المعنى من الوحدة هو الذي جاء في قوله تعالى في سورة هود (١١) «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وفى قوله في سورة الشورى (٤٢) «ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون مالهم من ولي ولا نصير » أي لو شاء ربك خلق الناس على غريزة تميل بهم الى الحق وفطرة يسطع فيها نور الهداية اليه بدون حجاب من الهوى والشهوة أو ظلمة الفكر وستر الغواية فكانوا جميعا

على مثال الانبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان وكانوا بذلك من أهل السعادة وسكان دار النعيم ولكن قضى ربك أن يخلق الانسان انسانا يكله الى فكره ويدعه الى سعيه وكسبه فلا يزال يتخبط في الاختلاف وسيجرهم الاختلاف الى دار الشقاء بعد الخزي فى دار الفناء الا اؤلئك الذين رحمهم ربك من هداة العالمين وقادة الناس الى خير الدارين ومن وفقه الله لاستجابة دعوتهم والاهتداء بسنتهم فأدخلهم فى رحمته ، بعد شمل الظالمين بسخطه ونقمته ، ويفهم من هاتين الآيتين الكريمتين ان الناس لم يكونوا أمة واحدة قط لا بمعنى انهم كانوا جميعا على الخير والهدى لأن الله خلق الانسان على غريزة تبعد به عن الاتحاد على الحق ، والاتفاق على العدل ، كما تراه من صريح النسق الشريف فكان الناس ولا يزالون منهم المحسن والمسيء والمهتدي والضال سنة الله فى هذا الخلق

لكنك تجد فى سورة يونس (١٠) نصًّا صريحاً في أن الله تعالى شاء أن يكون الناس أمة واحدة قال تعالى « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون » ولا يمكنك أن تحمل كان على معناها من المضي لأن الحصر يبعد ذلك بالمرة فالمراد منه أن الناس كانوا أولا يزالون أمة واحدة ونشأ عن هذه الوحدة نفسها اختلافهم وكان الله سبحانه يقضي فى الخلاف باهلاك من ينحرف منهم عن سبيل الفطرة السليمة فلا يبقى من الناس الا من استقام عليها ولكن سبقت كلمته وثبت فى علمه وتم فى مشيئته أن يكون الناس فى أمرهم كاسبين لسعيهم مكلفين بالنظر فيما بين أيديهم من الآيات وأن يكون منهم الضال والمهتدي ، والعادل والمعتدي ، حتى يوفي كلا جزاءه فى الدار الأخرى

ولهذا بعث فيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ليكونوا لهم أئمة فى الايمان وأسوة فى العمل الصالح

فهل يمكنك مع هذا أن تحمل وحدة الامة على وحدة العقيدة والعمل كما حملتها على ذلك في الآيات الاخر ؟ ليس ذلك يمكن لان الناس ليسوا أمة واحدة بذلك المعنى بل هم مختلفون فلا ريب انه يجب حمل وحدة الامة على معنى آخر ، وهو ذلك الذي نختاره فى الآية التي نحن بصدد تفسيرها

خلق الله الانسان أمة واحدة أي مرتبطا بعضه ببعض فى المعاش لا يسهل على أفراده أن يعيشوا فى هذه الحياة الدنيا الى الأجل الذي قدره الله لهم الا مجتمعين يعاون بعضهم بعضا ولا يمكن أن يستغني بعضهم عن بعض فكل واحد منهم يعيش ويحيا بشيء من عمله لكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفيته جميع ما يحتاج اليه فلا بد من انضمام قوى الآخرين الى قوته فيستعين بهم فى شأنه كما يستعينون به فى بعض شأنهم . وهذا الذى يعبرون عنه بقولهم « الانسان مدني بالطبع » يريدون بذلك أنه لم يوهب من القوى ما يكفي للوصول الى جميع حاجاته بل قدر له أن تكون منزلة أفراده من الجماعة منزلة العضو من البدن لا يقوم البدن الا بعمل الاعضاء كما لا تؤدي الاعضاء وظائفها الا بسلامة البدن

فلما كان الناس أمة واحدة ولا يمكن أن يكونوا بمقتضى فطرهم الا كذلك وهم انما يعملون بمقتضى آرائهم وينحون فى أعمالهم نحو المنافع التي يرونها لازمة لقوام معيشتهم ولم يمنحوا من قوة الالهام ما يعرف كلا منهم وجه المصلحة فى حفظ حق غيره لتوفير المنفعة بذلك لنفسه ـ لما كانوا كذلك كان لا بد لهم من الاختلاف وكان من رحمة الله بهم أن يرسل

اليهم الرسل مبشرين ومنذرين وترتيب بعثة الرسل على وحدة الامة فى الآية التي تفسرها يكون على هـذا المعنى : ان الناس أمة واحدة لابدلهم أن يعيشوا تحت نظام واحد يكفل لهم مايحتاجون اليه مدة بقائهم فى هذه الحياة الدنيا ، ويضمن لهم مابه يسعدون فى الحياة الأخرى، ولا يمكنهم فى هـذه الوحدة ومع تلك الوصلة اللازمة بمقتضى الضرورة أن يتفقوا على تحديد ذلك النظام مع اختلاف الفطر وتفاوت العقول وحرمانهم من الإلهام الهادي لكل منهم الى مايجب عليه لصاحبه . كما كانوا كذلك كان من لطف الله ورحمته بهم أن يرسل اليهم الرسل مبشرين ومنذرين يبشرونهم بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة اذا لزم كل واحد منهم ما حدد له واكتفى بماله من الحق ولم يمتد على حق غيره وينذرونهـم بخيبة الامل وحبوط العمل وعذاب الآخرة اذا اتبعوا شهواتهم الحاضرة ولم ينظروا في العاقبة

هذه الآية الكريمة جاءت بمنزلة بيان الحكمة فيما سبقها من الأوامر الإلهيـة والاخبار السماوية أمر الله الذين آمنوا بنبيه وكتابه بأن يدخلوا فى السلم كافة وهو على أحد الوجوه السلام وعلى أحدهما الاسلام والسلام هو الوفاق الذي ليس معه نزاع ولا يليق بمن جاءته الهداية من ربه تبين له الطريق الذي يسلكه فى معاملة اخوانه ومن يرتبط معه برابطة بعيدة أو قريبة من الناس أن ينحو فى عمله نحو ما يدعو الى الخلاف ويثير النزاع بل الواجب عليه أن يقف عند ما حددته هداية الكتاب الالهي والسنن النبوي والاسلام كذلك يدعو الى السلام ثم بين سبب ما يقع من الاختلاف بين الناس ويحرمهـم حيطة النظام فقال «زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا» أي ان جاحد الحق والمعرض

عن هداية الله له التي يسوقها اليه على ايدي رسله إنما ينظر فى عمله الى ما يوفر عليه لذاته فى هـذه الحياة الدنيا فهو لا يسعى الا الى لذة عاجلة، ولا ينظر الى عاقبة آجلة ، ومن كان هذا شأنه كان أمره اختلافا وشقاقا، ورياء ونفاقا ، ثم أراد الله تعالى أن يقيم الدليل على أن الاهتداء بهدي الانبياء ضروري للبشر وانه لاغنى لهم عنه مهما بلغوا من كمال العقل فقال ان الله قضى أن يكون الناس أمة واحدة يرتبط بعضهم ببعض ولا سبيل لعقولهم وحدها الى الوصول الى ما يلزم لهم فى توفير مصالحهم ودفع المضار عنهـم فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأيدهم بالدلائل القاطعة على صدقهم وعلى ان ما يأتون به انما هو من عند الله تعالى القادر على إثابتهم وعقوبتهم، العالم بما يخطر فى ضمائرهم، الذي لا تخفى عليه خافية من سرائرهم

قال تعالى (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) الاتيان بهـذه القضية بعد وصف الانبياء بالمبشرين المنذرين يدل على أن التبشير والانذار عمل يسبق إنزال الكتب وهو حق لأن الانبياء أول ما يبعثون ينبهون قومهـم الى ما غفلوا عنه، ويحذرونهم عاقبة ما يكونون فيه، من عادة سيئة أو خلق قبيح أو عمل غير صالح، فإذا تهيأت الأذهان لقبول ما بعـد ذلك من تشريع الاحكام وتحديد الحدود أنزل الله الكتب لبيان ما يريد حمـل الناس عليه مما هو صالح لهم على حسب استعدادهم ثم فى قوله «وأنزل معهـم الكتاب» وعود الضمير على جميع النبيين ما يفيد أن الله أنزل مع كل نبي كتابا معجزا كان أو غير معجز طويلا كان أم قصيرا دوّن وحفظ أم لم يدون ولم يحفظ ليؤدى من سلف الى خلف وقوله «ليحكم بين الناس» قرأ يزيد بضم الياء وفتح الكاف والباقون

بفتح الياء وضم الكاف وهي الرواية المشهورة المعروفة . أما على رواية يزيد فالمعنى أن الله أنزل الكتب مع النبيين بالحق أي بيان ما يجب أن يعتقد به مما هو منطبق على الواقع وبيان ما يجب أن يعمل به مما هو صالح لامفسدة فيه ليقع الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من الأمرين والحاكم هو المتولي للفصل بين الناس فى الخصومات بالنسبة الى الاعمال والمرشد الى صحيح العقائد على مقتضى ماجاء فى الكتاب النازل بالحق والمبين لما ينطبق على نصوصه من الاعمال التى يحكم فيها الحاكمون

أما على القراءة المعروفة فالحكم مسند الى الكتاب نفسه فالكتاب ذاته هو الذي يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه وفيه نداء على الحاكمين بالكتاب أن يلزموا حكمه وان لا يعدلوا عنه الى ماتسوله الأنفس وتزينه الاهواء فان الكتاب نفسه هو الحاكم وليس الحاكم فى الحقيقة سواه ولو ساغ للناس أن لا يؤوّلوا نصا من نصوص الكتب على حسب ماتنزع اليه عقولهم بدون رجوع الى بقية النصوص وبناء التأويل على مايؤخذ من جميعها جملة لما كان لإنزال الكتب فائدة ولما كانت الكتب فى الحقيقة حاكمة بل تتحكم الأهواء وتذهب النفوس منازع شتى فينضم الى الاختلاف في المنافع اختلاف آخر جديد وهو الاختلاف فى ضروب التأويل وبناء كل واحد حكما على ما نزع اليه فتعود المصلحة مفسدة وينقلب الدواء علة ولهذا رد الله تعالى الحكم الى الكتاب نفسه لا الى هوى الحاكم به وقال « فيما اختلفوا فيه » لأن الاختلاف كان تابعا لتلك الوحدة التي بيناها فكان كأنه لازم لها وهو كذلك كما يبينه تاريخ البشر وما توارثوه عن أسلافهم . وكما يقضي فيما اختلفوا فيه يقضي فيما يختلفون به من بعد ونسبة الحكم الى الكتاب هي كنسبة

النطق والهدى والتبشير اليه فى قوله « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » وقوله « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين » وكنسبة القضاء اليه في قول الشاعر

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

والسر في التجوز هو ماذكرت لك . وقد يعود الضمير على الله أي أنزل الله معهم الكتاب بالحق ليحكم سبحانه بين الناس فيما اختلفوا فيه وهو يشعر كذلك بأن الحاكم يجب أن يكون هو الله دون آراء البشر وظنونهم التي لا ترد اليه جل شأنه

(وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم)

وقد عرفت فيما سبق ان الناس بحكم اشتراكهم فى الأعمال وضرورة اشتباكهم فى المعاملات عرضة الاختلاف فى الحق لأن عقولهم وحدها ليست كافية فى الهداية اليه على الوجه الذي يحفظ جامعتهم من الاضطراب، ويؤدي بهم الى السعادة العظمى فى المآب ، فلا يصح بعد ذلك أن يعود الضمير فى «فيه» الى الحق فلا يقال وما اختلف فى الحق الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات فان الحق يختلف فيه الناس قبل مجيء البينات الاولى ولا أعجب مما ذكره بعض المفسرين من أن النص فى الآية دليل على أن الناس لم يكن منهم اختلاف فى الحق الا بعد بعثة الانبياء وإرسال الرسل وانزال الكتب أما فيما قبل ذلك فكانوا متفقين على الحق فكأن رذيلة الاختلاف والتفرق لم تقع فى العالم الانساني الا ببعثة الرسل والقول بمثله من أغرب ماينسب الى صاحب دين ما فما بالك به اذا صدر عن مسلم والحق ان الضمير فى قوله « وما اختلف فيه » يعود الى الكتاب وهو

استدراك على ماعساه يقال: اذا كان الناس في جامعتهم مستعدين للتخالف بمقتضى فطرتهم اذا تركت وحدها ولا غنى لهم عن هداية تعليمية تأتيهم من الله تعالى ولهذا بعث الانبياء ليكونوا قوادا للفطرة الى ماهو خير الدنيا والاخرة فما بال الناس بعد انزال الكتب لايزالون مختلفين ولا يرتفع من بينهم ذلك الخلاف الذي كان يخشى منه إفساد جماعتهم وهلاك خاصتهم فقد كانوا يختلفون على جلب المنافع والتوسع فى مطالب الشهوات ولم تكن لديهم فى ذلك آلة يستعملها كل منهم فى نيل مطلبه من صاحبه سوى القوة أو الحيلة وبعد انزال الكتب قد انضم الى تلك الآلات آلة أخرى ربما كانت أقوى من سواها وهي آلة الاقناع بالكتاب فيتخذ الواحد منهم كلمة من الكتاب أو أثرا ممن جاء به وسيلة الى تسخير غيره لما يريد وذلك بقطع الكلمة أو الاثر عن بقية ماجاء فى الكتاب والاثار الاخر وليّ اللسان به وتأويله بغير ماقصد منه وماهمّ المؤول أن يعمل بالكتاب وانما كل ما يقصد هو أن يصل الى مطالب لشهوته، أو عضد لسطوته، سواء عليه هدمت أحكام الله أم قامت، واعوجت السبيل أم استقامت، ثم يأتي ضال آخر يريد أن ينال من هذا مانال هذا من غيره فيحرّف ويؤوّل حتى يجد المخدوعين بقوله ويتخذهم عونا على ذلك الخادع الاول فيقع الخلاف والاضطراب، وآلة المختلفين فى ذلك هي الكتاب، وقد شوهد ذلك فى الازمان الغابرة بين اليهود وبين من سبقهم وبين النصارى ولا يزال الامر على ما كان عليه عند هاتين الطائفتين الى اليوم وكم حروب وقعت بين المسلمين أنفسهم حتى قصمت ظهورهم، ودمرت ما كان من قواهم، وما كان آلة المبطلين فى تلك الشاغب الا دعوى الدين، وحمل الناس على الحق

المبين، والله يعلم انهم لكاذبون فيما يقولون، وانهم لخاطئون فيما يفعلون، وما كلمة الدين ودعوى تأييد الكتاب الا وسائل لارضاء الشهوة، وتمكين الظالم من السطوة، ثم هناك داع اخر للخلاف وهو اختلاف القوم فى فهم ماجاء في الكتاب فكل يذهب الى أن الواجب أن يعتقد كذا أو ربما كان حسن النية فيما يقول ويعد المخالف مخطئا فيما يزعم وقد يعرض لكل منهم التعصب لرأيه فيذهب حسن النية ولايبقى الا الميل الى تأييد المذهب، وتقرير المشرب، بدون رعاية للدليل ولا نظر الى البرهان، فلم يستفد النوع الانساني من ارسال الرسل ونزول الكتب الاحدوث سبب جديد للخلاف لم يكن، ولا موضوعا للشقاق كان العالم فى سلامة منه، فما فائدة إرسال الرسل وكيف يمن الله على الناس بأمر لم يزدهم الا شقاء، ولم يكسب بصائرهم الا عماء،

أراد الله جل شأنه أن يستدرك على هذا الظن ويبين وجه الخطأ فيه فقال «وما اختلف فيه» الخ وحاصل الاستدراك أن غرائز البشر وحدها ليست كافية فى توجيه أعمالهم الى ما فيه صلاحهم فلا بد لهم من هداية أخرى تعليمية تتفق مع القوة المميزة لنوعهم وهي قوة الفكر والنظر، تلك الهداية التعليمية هي هداية الرسل منهم والكتب التي ينزلها الله عليهم مع الادلة القائمة على عصمة الرسل من الكذب وعصمة الكتب من الخطأ فعلى الناس أن يستعملوا عقولهم فى فهم الادلة على الرسالة والعصمة أولا، وسطوع الادلة يحمل المستعدين منهم على التصديق حتما، فاذا عقلوا ماجاءت به الرسل وجب عليهم أن يقوموا عليه، ولا يعدلوا بعمل من أعمالهم عنه، ذلك كما وهب لهم السمع والبصر ليهتدوا بهما الى ما يوفر لهم الفوائد، ويدفع عنهم

الغوائل، ويتقوا بهما الوقوع في المكاره، وكما وهب لهم العقل ليهتدوا فيما يتبع الأعمال من العواقب وانما عليهم أن ينظروا فى فهم الاحكام الالهية الى جملتها ومجموع ماتفرق منها لا يقصرون نظرهم على بعض ويغضون بصرهم عن بعض آخر ثم عليهم أن يقفوا على حكمة الله فى تشريع شريعته ووضع ماقرره من الاحكام فيها بحيث لايحيدون عن تلك الحكمة التي أشارت اليها كتبه بل صرحت بها نصوصها لايمنة ولا يسرة حتى يتم لهم الاهتـداء بها فان الغفلة عن حكمة العمل غفلة عن فائدته والغفلة عن فائدته انصراف عن روحه التي لايقوم الا بها غير ان عامة الخاطئين لايمكنهم أن يصلوا الى كل ذلك بأفهامهم على قصرها وانما ذلك فرض على الخاصة الذين قد مهد الرسـل للنيابة عنهم وهؤلاء هم الذين أوتوه وأعطاهم الله الكتاب علي أن يقرروا مافيه، ويراقبوا انطباق سير العامة عليه، ولذلك قال : من بعـد ماجاءهم البينات : وفي ايات أخرى ان اختلافهم من بعد ماجاءهم العلم . والبينات هي الدلائل القائمة على عصمة الكتاب من وصمة اثارة الخلاف وعلي انه ماجاء الا لإسعاد الناس والتوفيق بينهم لالاشقائهم وتمزيق شملهم . وعلى ان الحكمة الالهية فيه راجعة الى جميع ماجاء به فلا بد أن يكون فهم كل جزء منه مرتبطا بفهم بقية أجزائه وعلى أن دعوة الرسول لذي جاء به انما كانت الى جملته لا الى الانقاض المتفرقة منه وقال ان هـذا الاختلاف الذي وقع منهم لم يكن الا بغيا بينهم وتعديا لحدود الشريعة التي أقامها حواجز بين الناس والخلاف داعية البغي ان الحر أو الكاهن أو العالم أو لرئيس أو أي واحد ممن تسميه من أهل النظر فى الدين القائمين عليه الذين ينوبون عن الرسل فى حفظه والدعوة الى صيانته الواحـد من هؤلاء يرى لرأي

ويفهم الفهم ويأخذ الحكم من نص يقف عنده ذهنه ،أو أثر يصل اليه وربما لم يكن وصل اليه ماهو أصح منه، وآخر يرى غير مايرى، ويزعم وصول أثر غير الذي وصل الى صاحبه ، فكان اتباع الكتاب يقضي عليهما بالاجتماع والتمحيص وتخليص النفس من كل هوى سوى الميل الى تقرير الحق وتطبيق الواقعة عليه ولو لم يتيسر لهما ذلك وجب على من يأتي بعدهما ما كان يجب عليهما حتى يستمر الاتفاق بين هؤلاء الخاصة ويـود بهم بين العامة

لكن قد يشوب طلب الحق شيء من الرغبة فى عزة الرئاسة أو ميل مع أربابها أو خوف منهم أو شهوة خفية فى منفعة أخرى فياج ذلك بصاحب الرأي حتى يكون شقاق، ويحدث افتراق، ولا ريب أن هذا الشوب وان كان قد يكون غير ملحوظ لصاحبه بل دخل على نفسه من حيث لا يشعر فهو من البغي على حق الله فى عباده أولا، والبغي على حقوق العباد الذين جاء الكتاب لتعزيز الوفاق بينهم ثانيا، أما العامة من الناس فلا جريمة لهم فى هذا ولذلك جاء بالحصر فى قوله « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم البينات بغيا بينهم » فاذا كان الرؤساء قد جنوا هذه الجناية على أنفسهم وعلى الناس بسبب البغي الخاص بهم فهل هذا يقدح فى هداية الكتاب الى مايتفق الناس عليه من الحق ويرتفع به النزاع فيما بينهم ؟ كلا فقد رأينا كل دين فى بدء نشأته يقرب البعيـد ويجمع المتشتت ويلم الشعث ويمحق أسباب الخلاف من النفوس ويقرر بين الآخذين به أخوة لاتدانيها أخوة النسب في شيء.. وهل يؤثر الأخ فى النسب أخاه بماله على نفسه وهو فى أشد الحاجة اليه كما كان يفعل أولئك الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ وهل يبذل الأخ النسبي روحه دون أخيه ويؤثره بالحياة

على نفسه كما آثره بالمال، كما كان يقع من أولئك الأبطال ؟ هذا شأن الدين وهو باق على أصله ، معروف بحقيقته لأهله ، تبينه للناس رؤساؤه ، ويمشي بنوره فيهم علماؤه ، لا خلاف ولا اعتساف ، ولا طرق ولا مشارب ، ولا منازعات في الدين ولا مشاغب

هذا هو الدين الإلهي الذي قدر الله أن يكون هداية للبشر فوق الهدايات التي وهبها لهم من الحواس والعقول فاذا لم يهتد بها الذين أوتوها وهم علماء الدين وبغوا بالتأويل ، وكثرة القال والقيل ، فهل يمس ذلك جانبها بعيب ؟ ماذا يقول القائل فى أولئك الذين يؤتيهم الله العقل ثم لا يستعملونه فيما أوتي لأجله ؟ هل تنقص حالهم هذه من منزلة العقل وتدل على ان العقل ليس من نعم الله على الإنسان ؟ ماذا يقول القائل فى أولئك الذين لهم أبصار وأسماع ولكن يخبط الواحد منهم فى سيره فلا يستعمل بصره فى معرفة الطريق التي يسير فيها ، أو في وقاية رجليه من الشوك الواقع عليها، أو التباعد عن حفرة يتردي فيها، وربما كانت نظرة واحدة تقيه من التهلكة لو وجهها نحوها، وقد يسمع من الاصوات التي تنذره بالخطر القريب منه ثم لا يبالي بما يسمع، حتى يصيبه ما ليس له مدفع، فهل تحط حال هؤلاء الناس من قيمة السمع والبصر؟

هذه الآية الكريمة ترفع من شأن الدين وتعلو به الى أرفع مقام من مقامات الهدايات الإلهية وتدفع عنه مطاعن أولئك السفهاء الذين تغشي أعينهم حجب الظواهر ، فتقف بهم دون معرفة السرائر ، يناديهم الحق فلا يصل اليهم الا صدى صوت الباطل ، ثم يرفع النص الكريم مقام المؤمنين الصادقين ، ويحلهم من الكرامة أعلى عليين ، اذ يقول بعد ماذكر

جناية أهل الخلاف (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) الاذن هنا التيسير والتوفيق والذين آمنوا هم أهل الايمان الصادق فى كل دين أو هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى كل فالله جل شأنه يخبرنا وهو أصدق القائلين بأن المؤمنين هم الذين يهتدون لما اختلف الناس فيه من الحق أي يصلون الي الحق الذي تختلف مزاعم الناس فيه، فيزعم كل واحد انه عليه ، وهو إما بعيد عنه بعد الباطل عن الحق ، وإما على شيء منه غير انه على حكم المصادفة والاتفاق، والذي حمله على زعمه انما هو الهوى والميل الى الشقاق ، وهو فى الحالتين على الباطل لأن موافقة الحق على غير بصيرة لا تمد هداية اليه . الايمان الصحيح له نور يسطع في العقول فيهديها في ظلمات الشبه ويضيء لها السبيل الى الحق الذي لا يخالطه باطل فيسهل عليها أن تميط كل أذى يتعثر فيه السالك ، وقد يسقط به فى مهاو من المهالك ، الايمان الصحيح لا يسمح لصاحبه أن يأخذ بأمر قبل أن يتبصر فيه ويمحص الدليل على انه نافع له في دينه أو دنياه ، ولا يدع أمرا حتى يشهد عنده البرهان أو العيان بأنه ليس مما يجب عليه أن يأتيه بحكم إيمانه . الايمان الصحيح يجعل من نفس صاحبه رقيبا عليها فى كل خطرة تمر بباله، وكل نظرة تقع منه على ما بين يديه من آيات الله فى خلقه، لا يطير الخيال بصاحب الايمان الصحيح الا الى صور من الحق تنزل منه منزلة العبارة من معناها فهو اذا اعتقد فانما يعتقد ما هو مطابق للواقع واذا تخيل فانما يتخيل صورا تمثل ذلك الواقع وتجليه في أقوى مظاهره، بهذا يكون تيسير الله له الهداية الى الحق الذي يختلف فيه الناس فهو مطمئن ساكن القلب ، وهم فى اضطراب وحرب،

تولوا عن هداية الله فحرموا توفيقه وكفروا بنعمة العقل والدين فعوقبوا عليها بفشو الشر وفساد الأمر والله لا يصلح عمل المفسدين ولا فساد أعظم من الاختلاف في الدين « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر المشركين ماتدعوهم اليه » « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »

هذه آيات الله لا يعرض عنها الا بعيد عن الله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

هذا ما اخترناه من التأويل وهناك ما رمى اليه قول أبي مسلم الاصفهاني والقاضي أبي بكر فيما نقلناه عنهما سابقا وهو أن الناس كانوا أمة واحدة على سنة الفطرة والتمسك بالشرائع العقلية فيما يعتقدون وما يعملون وما يتركون والدليل على ذلك أن الفاء توجب التعقيب فيعلم من ذلك أن تلك الوحدة كانت متقدمة على جميع الشرائع الإلهية فلا تكون الا الاستفادة من العقل ولا بد لبيان ما رمى اليه قول الشيخين من بيان يطمئن إليه الجنان

ماجاءنا من أنباء الامم وما رأيناه من آثارهم وما عرفناه من حال بعضهم اليوم يشهد شهادة لا يرتاب فيها من أديت اليه ان العناية الالهية سارت بالانسان في جماعته كما سارت به في أفراده يخلق الله الفرد من البشر خفيف القوة فاقد العلم لا يعرف شيئا من أمره كما جاء في التنزيل « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار

والافئدة لعلكم تشكرون » ثم أبواه أو من يكفله سواهما يقوم عليه يقوي بنيته ويدفع عنه ماعساه يهدمها ويعلمه كيف يسمع وكيف ينظر وكيف يتقي ببصره وسمعه ما تخشى عاقبة وقعه الى أن يبلغ من السن حدا معلوما يكون فيه الحس قد أعده لاستعمال قوة أخرى كانت لا تزال قاصرة فيه وهي قوة العقل ويسهل عليه أن يفكر فيما مضى وينظر فيما حضر ليعرف منهما كيف يسلك في علمه لما يستقبل فكمال استعداد العقل للنظر في شؤون الشخص هو منتهى نمو القوى المدركة كما أن وصول البنية الى الحد المعروف في السن المعلوم هو منتهى نمو البدن. ذلك السن هو المعروف بسن الرشد

لم يكن من متناول قوة الصبي في زمن الصبا الإحاطة بكنه الجمعية البشرية وما وضع الله فيها من الروابط المعنوية والمعاني الروحية التي تقوم بها بنية الاجتماع ولم يكن من طوق مداركه أن تخترق هذا الكون المحسوس لتصل الى معرفة مكونه ويشرق عليها نور وجوده الباهر وانما كان كل هم الصبي منصرفا الى تغذية جسمه ورياضة قواه البدنية ولا يبالي بما وراء ذلك واذا ذكر له شيء من تلك المعاني العالية لم يتمثلها ذهنه الا في صور من الخيال هي الى الباطل أقرب منها الى الحق. كل ذلك معروف لكل من كان طفلا ثم صار صبيا ثم بلغ سنا عرف نفسه فيه رجلا عاقلا فلا حاجة بنا الى الاطالة فيه

على هذه السنة قادت العناية الالهية جماعة البشر لان الحكمة قد قضت بأن يحيا الانسان الى أجله المحدود في جماعة من نوعه كما قدمنا لا مناص له عن ذلك . هذه الجماعة هي التي تسمى أمة كما عرفت ويمكنك أن تسميها بنية الاجتماع وتسمي كل فرد منها عضوا من تلك البنية فكما ينشأ الفرد قاصرا

في جميع قواه ضعيفا في جميع أعضائه. كذلك نشأت الجمعية البشرية على ضرب من السذاجة لا تبلغ بها الى تناول الشؤون الرفيعة والمعاني العالية والمعارف السامية غير أن الذي يربي الفرد ويسوس قواه الى أن يبلغ رشده هو الأبوان أو من يقوم مقامها ، والذي يكفل الجمعية ويربي قواها ، ويشد بناها ، انما هو الكون وما يمسها من حوادثه ، والحاجات ووقعها ، والضرورات ولذعها ، وكما يؤدب الصبي أبواه يؤدب الجماعة شدة وقع الحوادث الكونية منها وهي في هذا الطور لا هم لها الا المحافظة على بنيتها الجسمية وحاجتها البدنية وليس عندها من الزمن ما تتفرغ فيه لأدنى من ذلك كما هو شأن الطفل في صباه. والآثار التي عثر عليها الباحثون في مبادىء ظهور الصناعة عند البشر وارتقائها من أدنى الأعمال الى ما يظنه الناظر أعلاها اليوم تشهد شهادة كافية بأن البشر كانوا في بدء أمرهم من قصور القوى على حالة تشبه حالة الصبيان في الافراد فقد كانوا في بعض أطواره لا يهتدون الى اصطناع المعادن القابلة للطرق كالنحاس والحديد وأن آلاتهم للدفاع ونحوه كانت من الحجارة ثم ارتقوا الى استعمال النحاس ثم ارتقوا بعد ذلك الى استعمال الحديد وعلى هذا النحو كان رقي معارفهم في جميع أبواب الصنعة وما عليك الا أن تنظر كيف ابتدأوا وضع حروف الكتابة من الخط المسماري ثم لم يزالوا يرتقون فيه الى أن وصلوا الى ما تعرف اليوم. كل ذلك يدل على أن سنة الله في الجماعة هي بعينها سنته في الفرد منها من التدرج به من ضعف إلى قوة ومن قصور إلى كمال

كانوا في طور القصور منغمسين في الحس والمحسوس فاذا تخلصوا منه الى شيء تخلصوا الى وهم يثيره الحس وانما هو ظل له يظن شيئا وليس بشيء ـ اذا عجبوا كيف يموت الميت ولم يهتدوا الى فهم معنى الموت ظنوا

انه يغيب عنهم غيبة ولكن لا يزال يتعهدهم بما يؤذيهم كأن الموت يحدث بينه وبينهم عداوة فظنوا أن أرواح الاموات من جملة الماديات الضارات المعينات النافعات ولذلك كانوا يمدون لها ما يرضيها وكانوا يخافون أن يذكروا أسماءها، واذا سمعوا رعدا أو رأوا برقا أو أمطرتهم السماء أو ذعرتهم الاعاصير تخيلوا اشباحا مثلهم ترسل ذلك كله عليهم ويذهب بهم الخيال فيها الى ماشاء من صور وتماثيل وهكذا كان شأنهم في كثير من الحيوان والنبات والنجوم اذا استعظموا منها شيئا لعظم مضرته أو لكثرة منفعته توهموا فيها ماشاؤا من قدرة تفوق قدرتهم وإرادة تقهر إرادتهم

ولم يزالوا كذلك والتجارب تكشف لهم خطأهم فيما يتوهمون ، والحوادث تأتيهم بعلم مالم يكونوا يعلمون، حتى عقلوا كثيرا من أصول اجتماعهم وكشفوا شيئا من عناصر بنيته المعنوية ووصلوا الى منزلة الاستعداد لأن يفهموا باطن ماعقلوا وسر ماعرفوا ، ولأن يخلصوا من هذا العالم الجسماني الذي كانوا فيه الى عالم روحاني كانوا يسيرون في طلبه من حيث لا يشعرون . هنالك تهيأ لهم أن ينتقلوا من طور قصور الصبي الى أول سن الرشد فجاءتهم النبوة تهديهم الى ما يستقبلونه في ذلك الطور الجديد . طور يكون واضع النظام لاجتماعهم هو الله جل شأنه ويكون المحدد لصلتهم بربهم تعالت أسماؤه هو الرحيم بهم العليم بمصالحهم وهو مع ذلك مما لا تحدده عقولهم، ولا تسمو الى اكتناه ذاته معارفهم ، هذه هي الغاية التي لم يكن لهم ان يدركوها وهم في قصور الطور الاول قد انتهوا اليها عند دخولهم في الطور الثاني

فهذا هو قول الشيخين: ان الأمة الواحدة هي الامة الآخذة في اعتقادها وعملها بالعقل ومقتضى الفطرة قبل النبوات جميعها لان ظهور النبوة والاستعداد

لقبولها طور من الاطوار البشرية لا يصل اليه النوع الانساني الا بعد التدرج فى طريق طويلة تنتهي غايتها الى هذا النوع من الكمال الانساني

الاستعداد لظهور النبوة وقبول دعوتها مرحلة من المراحل التي تسير فيها الجمعية البشرية عند ما تبلغ العقول منزلة من القوة ومقاما من السلطة وتبلغ النفوس من قوة التصرف فى المنافع والمضار ما يخشى معه من ضلالها أن توقعها في خبالها عند ما تعظم مطامع العقول والشهوات وتتسع مجالاتها وتبعد مطامحها ، هنالك يخشى على الجمعية البشرية من بعض أفرادها أو من كل واحد منهم على بقية أركانها كما يخشى من قوى الشاب أن تهلكه عند ما تبلغ البنية حد النمو وتبدو له الشهوات فى أجلى صورها فكما كان من حكمة الله ان يهب الشاب قوة العقل عند بلوغ السن الذي تعظم فيه الشهوة ويقوى فيه الاحساس بالحاجة الى توفير الرغائب حتى يقوده في تلك الغمار كذلك فعل الله بالجمعية البشرية عند ما بلغت بمعارف أفرادها ذلك الحد الذي ذكرنا ـ وهبها تلك الهداية الجديدة وأيدها بالدلائل التي بلغ من قوة العقول أن تدركها ، وأن تصل من مقدماتها الى نتائجها ، تلك الآيات البينات التي جاء بها الانبياء على اختلاف أزمانهم وأممهم جاءت الى كل أمة بما يلائم حالتها النفسية ومكانتها العقلية فكان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأمم بمنزلة الرأس من البدن . جاءوهم يبينون لهم الخير ويبشرونهم بحسن الجزاء لكاسبه ، ويكشفون لهم مسالك السوء وينذرونهم بسوء المصير لصاحبه

ولما كان الاستعداد يتفاوت في الأمم كانت أمة أولى من أمة بتقدم عهد النبوات فيها وكانت تلك الامة المتقدمة جديرة بأن تكون إماما للأمة

المتأخرة سنة الله فى الخلق . هذا الطور النوراني الجديد طور ظهور النبوة هو طور خير وسعادة ، طور هداية ورشاد ، وأخوة بين المهتدين فيه وسداد فى أعمالهم، ونزوع الى تكميل غيرهم بمثل ما كملت به أنفسهم ، وإضاءة ما أظلم من جو غيرهم بمثل ما ضاء به جوهم ، ولا يزالون كذلك ماقاموا على فهم ما جاء اليهم ، وما قيدوا عقولهم ونفوسهم بالحدود التي وضعها لهم ، وما وقفوا على سر ما حملوا عليه ، ولزموا روح ما دعوا اليه ، وما حدب كل واحد منهم على الآخر ليرده اذا زاغ عن الطريق المعبدة ، ويقيمه على السنة المعروفة ، فهذا قوله تعالى « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه »

فقد قطع الانسان فى سيره الى الكمال مرحلة أولى انتهت الى ظهور النبوات ثم هو يسير فى هذه الى مرحلة أخرى الى أن يصل الى منزل آخر ولكنه يا للأسف ليس بالمنزل المرتضى . ذلك أنه اذا طال الأمد على عهد النبوة وبعد الناس عن مبعث نورها وينبوع نميرها قست القلوب وأظلمت الانفس وغلبت الشهوات فضعف العلم بسر الدعوة ، وعمدت الجمعية لتقويم الطريقة، واستعمل أهل العلم بالدين نصوص الدين فيما يضيع حكمة الدين ويذهب بأثره في الناس فيقع الاختلاف والاضطراب ، وينقلب سبب السعادة الأولى، عاملا للشقاء فى الاخرى، وذلك باتباع خطوات شيطان الرئاسة ، والانقياد لغوايات السياسة ، فهذا قوله تعالى « وما اختلف الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم »

هذا طور ثالث للجمعية البشرية ومرحلة تسير فيها ماشاء الله أن تسير حتى تذوق وبال أمرها وحتى تبصر عواقب الخلاف بما كان من فوائد

الالفة وحتى تردها الضرورات إلى النظر فيما أغمضت عنه ، والى الرجوع الى ماخرجت منه ،فتعود الى محو ما عرض من العادات، وتنقية القلوب من فاسد الاعتقادات ،وتطهير النفس من رديء الملكات ، فتشرق لها شمس الحق الاول ، وتقوم على الطريق الامثل ، وتعود الطمأنينة الى النفوس ، ويتساوي فى الحق الرئيس والمرؤوس ، ويجتمع الناس على التنزيل ، ويتحدون على صحيح التأويل ، وهذا قوله تعالى « فهدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه فى الحق باذنه»

تلك الأطوار التي لابد للبشرية ان تمر فيها حتى تبلغ كمالها ، وتنال تفصيلها وإجمالها ، وتأويل الآية على طريقة الشيخين المذكورين لايضايق مااخترناه ، ولا يبعد عما قررناه ، ومكانة آدم عليه السلام من الرسالة لا تزعج صاحب هذا التأويل ، ولاتلصق به شذوذا أبعد من شذوذ من قال كان الناس على الحق متفقين ، ثم كان الخلاف أثر بعثة النبيين ، ولا شذوذ من قال ان الناس هم آدم كما علمت . فانه يقول ان رسالة آدم لم تعلم بم كانت والى من كانت فيجوز أن تكون بأمور تتفق مع تلك السذاجة الأولى الى واحد أو أكثر من أبنائه ثم نسي ما كان من ذلك عند من بلغه وجهل عند من لم يبلغه . على أن ماسبق فى تأويل قوله تعالى « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » من رأي ابن عباس وأناس معه من أن الارض كان فيها عمار يعملون فيها مايعمل بنو آدم يسمح لصاحب التأويل أن يقول إن آدم عليه السلام مع نبيه كانوا في عمارة الارض كولد نوح وإن الارض كانت معمورة من قبله بأقوام فيهم تلك الصفات البشرية ثم انقرضوا وخلفهم آدم . كما تنقرض أمة وتخلفها أمة، يهلك الله صنفا وينشيء آخر والنوع

واحد، ولا يزال الهالك يترك أثرا للباقي يحدث فيه فكرة ،ويثير في نفسه عبرة ، ويكون ذلك سلما له الى رقي كان من قبل دونه ، وان مثال هذه الاعتراضات التي تكاد تكون ضروبا من انكار المشهود ، لقول قائل انه غير موجود ، لاتقف دون العقلاء من أهل الدين خصوصا علماء الدين الاسلامي الذي لم يحدد تاريخا خاصا يبتديء منه الوجود الانساني في هذه الارض فهم أحرار فيما ينظرون ماداموا لم يخالفوا نصا قاطعا من نصوص الكتاب ، ولا سنة خلا نقلها من الريب والاضطراب، والله أعلم بما أودع كتابه من أسرار وحكمة، نسأله سبحانه أن يتم علينا هذه النعمة ، فهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهو يقول الحق ويهدي السبيل

باب المقالات

حياة الأمم وموتها

ان للاجسام حياة وللنفوس حياة غير حياة الاجسام ولكن بعضهما يرتبط ببعض، وان للافراد حياة وللامم حياة غير حياة الافراد ولكن احداهما تتوقف على الأخرى

يعرف الجسم الحي بطلب الغذاء الذي يحفظ حياته من الخارج ويدفع العوارض الضارة عنه وإفراز المواد الميتة من بنيته . ويستوي في هذه الحياة النبات والحيوان . وتعرف النفس الحية بالحرص على الكرامة وارتفاع المنزلة بالحق وبدفع أسباب المهانة وتوقي طرقها و بالنضال عن الشرف أن تصل إليه أيدي العابثين ، أو يصيبه وهم الواهمين ، وأما حياة الامة فهي أثر روح يسري في أفرادها فيشعرهم بأن مكان كل واحد منهم من مجموع الأمة مكان أحد أعضائه من جسده فهو يلاحظ في كل عمل منفعة نفسه ومنفعة أمته معاً كما ان عمل كل عضو فى البدن يكون سبباً فى حفظ حياته من حيث هو سبب لحفظ حياة البدن كله

الجسم الحي أشرف من الجسم الميت وأبقى بل الاجسام الميتة تكون غذاء للاجسام

الحيـة ومتاعاً تتناول منه ما تحتاج اليه لتجعله عوضاً عمـا يندثر منها وينفصل عنها، كذلك الأمم الحية تتغذى من الامم الميتة وتنتزع منها ما تحتاج اليه في حفظ حياتهـا وطول بقائها ودوام عزتهـا وشرفها . فالأمة الحية أشرف من الأمة الميتة وأرقى فى مرتبة الوجود

قد يشتبه على الجاهلين التفاضل بين الناس في الحياة والموت بهذا المعنى فيذهب الجهل ببعضهم الى أن زيداً الميت أفضل من عمرو الحي بمـا هو أكثر مالا وعشيرة وأحسن أثاثاً ورئياً . ولو رجعوا إلى العلم الصحيح والاختبار الدقيق لرأوا أنفسهم يفضلون معاملة فلان التاجر الذى يملك ألف دينار على فلان الوارث الذي يملك مئة ألف ويرون من الثقـة والرجاء فى الأول مالا يرون في الثـاني لان الاول يجمع ويشـيد ، والثاني يبيد ويبدد ، فالالف تنمو في كل عام ، ومئة الألف تنقص في كل يوم من الأيام ، حتى ان حديد البصر يرى الأول غنياً مثرياً، والثاني فقيراً مستجدياً، ذلك أنه ينظر الى المستقبل الذي يسيران اليه ، فيمتثل له في الحاضر الذي يراهما فيه،

معرفة شؤون الامم والشعوب، اخفى على الاكثرين من معرفة حال الافراد والبيوت، فكم من جاهل يفضـل أمة على أخرى لأنها أصـح ديناً وأعدل شريعة ، أولأنها أشرف أرومة وأعرق في المجد جرثومة ، أو لأن تراثها من سلفها أكثر ، ومزاياها الجنسية أشهر، اولأنها أكثر عدداً ومدداً، واعز عشيرة ونفراً، واذا صح أن يكون هذا كله أو بعضه للأمة الميتة زمناً من الأزمان فانه لايبقى الا ريثما تتصل بها أمة حية، فترى هذه تمتص جميع مزايا تلك ومقوماتها الحيوية ، وتلك تحمل آفات هذه وعللها البشرية، حتى تكون إحداهما في عليين، والأخرى في أسفل سافلين ،

يسهل على القارئ في الشرق القريب ، أن ينظر فيما بين يديه من الشعوب التي تضمها جنسية سياسية أولغوية ، وتفصل بينها روابط نسبية أو ملية، فانه يرى شعبين يمتاز أحدهما بكثرة العدد وكثرة المال وقوة الحـكم وقوة العلم ثم يجد نفسه تفضل قليل المزايا منهما على كثيرها لانه يرى الشـعب الكثير المزايا يتمزق ويتفرق فتذهب مزاياه بذهاب الاعوام ، والشعب القليـل المزايا ينمو ويسمو ويجتمع ويتألف فيعتز ويشرف باقبال الايام ، يرى الشعب الكبير يتخاذل فيتضاءل ، والشعب الصغير يتلاءم

ويتعاظم ، وما ذلك الا ان فى أحدهما نسمة حياة تدفع عنه الاعراض الضارة بالشعوب فيقوى ويزكو ، وتغذيه كل يوم بغذاء جديد فينمو ويسمو ، وليس في الآخر شيء من هذه الحياة فهو كجسم العاشق يذوب ويضمحل ، ويحقر ويذل،

ويسهل على القارئ في الشرق البعيد (كالهند) أن يرى مثل هذين الشعبين المتقابلين في الحياة والموت ولـكنه يرى أكبرهما هو الذي يعز ويترقى ، وأصغرهما هو الذي يذلّ ويتدلّى ، فلا تغره حينئذ دعوى بعض المتطفلين على علم الاجتماع وسنن الخليقة أن عـلة الحياة فى الشعب الصغير القريب هي صغره وقلة عـدده لان اجتماع العدد القليل للتعاون والتناصر وتوحيد المصلحة العامة أسهل من اجتماع العدد الكثير. ويشبه هذا الوهم تعليـل بعضهم لنجاح صاحب الالف ونموّ ثروته ، وخيبة صاحب المئة الالف والعقار الواسع وتبدد تراثه. بأن تثمير المال القليل أسهل من تثمير الكثير. كذلك يقول من لايعرف معنى الحياة فى الامم والافراد ولسنا بصدد بيان علة حياة الحي وموت الميت على الاطلاق ولا بيان عـلة حياة أمة معينة وموت أخرى فنفيض في كشف وهم الواهمين وجهـل الجاهلين ، وانما غرضنا بيان معـنى الحياة المعنوية ومميزات واجديها، ومخازي فاقديها،

التمييز بين أمة فى أعلى مراقي الحياة وأوج العـزة والقوة ، وأمة فى الحضيض الأوهد، والشقاء المؤصد، مما يتناوله كل نظر، ويحكم به كل عقل، ولكن التمييز بين أمتين أوشعبين أحدهما يموت بعد حياة وثانيهما يحيا بعـد موت هو الذي يخفى على غير علماء الاجتماع المدققين لان الذي اعتاد على الحـكم بادي الرأي يخدع بما يرى فى الاول من علامات الحياة الموروثة كأثارة من علم، وبقية من حكم؛ لايجـد مثلهما عند الثاني فهو كمن يفضل وارث مئة الالف على كاسب الالف جاهلا بما وراء ذلك من مصير ثروة الوارث الى الزوال، ومصير ثروة الكاسب الى الكمال ؛

لايغرنك ماترى من آيات الحياة فى أمة تقطعت روابطها، وانفصمت عروة الثقة بين أفرادها، وبغض اليها النظام، وفقدت التلاحم والالتئام، وان كان ماتراه أخـلاقا كريمة. ومعارف صحيحة، وثروة واسعة، وسلطة نافـذة، مع العلم بأن هـذه الاشياء كلها هي آثار الحياة توجد بوجودها وتذهب لذهابها، فقد يكون ذلك من بقايا ارث

قديم ، يعبث به الفساد الحديث، الا أن ترى العلم والاخـلاق تقرب البعيد. وتجمع الشتيت ، وتزيد في الثقة بين الناس ، وتدعو الى التعاون على البر والإحسان، وترى الثروة تجمع مع ملاحظة مصلحة الامة، وينفق جزء منها على المنافـع العامة، وترى السلطة موجهة لدفع الاذى عن البـلاد ، واقامة العدل في العباد، واسعاد الافراد على الاستقلال، واعدادهم لمشاركة الحاكمين في الاعمال،

روح الحياة في الامة تحول الشر الى خير . وفقدها يحوّل الفضائل الى رذائل، فما يكون فيها من عزة وإباء يصير كبراً وعجباً ، وما يبقى من كرم وسماح يصير اسرافاً وتبذيراً ، وتكون الشجاعة فيها سبباً للاعتداء والإيذاء، وجودة الرأي وسيلة للمكر والاحتيال ، ويتحول فيها حب الشرف والكمال، الى حب الفخفخة بالالقاب، وينقلب التنافس تحاسداً ، والايثار أثرة وطمعاً،وقس على هذا سائر الاخلاق التي تفسد . كذلك يكون العلم آلة لاهـله يكيدون بها للناس ويوقعون بينهم ليستفيد الكائد من النزاع والشـقاق .أما السلطة فانها تكون الآلة المحللة لكل التئام، والممزقـة لكل شمل ، والمفرقة لكل اجتماع ، الا الاجتماع لتأييدها والخنوع لاصحابها حتى ان الملك أو الامير ليتجر بالامة اتجاراً بل يكون هو الغاصب والناهب ما اسـتطاع حتى اذا لم يبق للامة قوة حافظة يبيعها للاجانب بالمحافظة على رياسته الصورية،وتمكينه من شهواته الحيوانية والشيطانية ،

تسري الامراض الاجتماعية فى الامم فتذهب منها بمقوّمات الحياة من حيث لاتشعر ولا تدري ولذلك يبقى لهما الغـرور والدعوى بأنها أشرف الامم وأفضلها ويعسر على من يكون على علم بأمراض الامم ان يقنعها بأن أمة وضـيعة مهينة وان كانت أصوات الاهانة تصيح بها فى كل يوم، وأسواط العذاب تقع عليها فى كل آن ، واذا كانت متكئة فى غرورها على عصا الدين كان اقناعها أعسر، وإشعارها أبعد ،وان نخرت أرضة البدع تلك المنسأة فانكسرت،وخرت الامة فى مهواة الضلال فهلكت،

اذا أهاب الداعي بالامة المغرورة بالدين . وحاول اقناعها بالبراهين . وايقاظ الشعور فيها بما تذوق من العذاب المهين، وانبه حماة البدع الجديد، وحمل عليه انصار التقليد، واستعانوا عليه بالامراء المستبدين، وحالوا بينه وبين العامة المساكين . بل

العامة هي قوة رؤساء الدنيا والدين ، بها يصولون على المصلحين ، ولو كانوا يقارعون الدليل بالدليـل ، ويصارعون البرهان بالبرهان ، لظهر للعامة سوء حالهم ، وفساد أقوالهم وأفعالهم ، ولكان للمصلح على انفراده ، وضعف أنصاره واعوانه ، مايغلبهم به على عزة سلطانهم ، وعظم شأنهـم ، لان الحق نصيره ، والفطرة البشرية عونه، لولا أنهم يفسدونها بتقاليدهم،ويحولون بينها وبين نور الاصلاح بغيوم سلطتهم « وقالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون»

أظهر دلائل الحياة فى الامة التولد والنموّ فى أسباب الارتقاء من العلوم والفضائل والاعمال العمومية فلا يموت فيها شيء بموت القائم به . وأظهـر دلائل الموت العقم والتحلل فى ذلك فلا يكاد يذهب منها شيء من الخير ويخلفه مثله وانما يموت العـلم بموت العلماء والفضل بموت الفضلاء حتى تبقى حثالة بهم تبسل الامة

لاتنزع روح الحياة من الامة بما يعرض عليها من الامراض الا اذا فتكت هذه بمزاج الامة الجامع لافرادها واذا كان مزاج الجسم يتألف من أمشاج متعددة كالدم والعصب واللمفا فمزاج الامة الاجتماعي يتألف مثله من اصول متعددة كالنسب والجنسية والدين والحـكومة لذلك ترى الباحثين فى اصلاح الامم الفاسدة المزاج يختلفون فيقول بعضهم ان الامة لاتحيا الا بتربية النساء التي هي الاصل في صلاح البيوت ويقول آخرون إنها لاتحيا الا بتقوية الرابطة الجنسيه التي تكون باللغة أو الوطن ويقول غيرها ان الاصل فى الحياة هو الاصلاح الديني ـ على ان الدين عند المسلمين حاكم في كل شيء فاصلاحهم من جهته اصلاح لكل شيء ـ ويخالفهم مخالفون قائلين بل الاصلاح انما يكون بصلاح حال الحـكومة لان السياسة هي المدبرة لكل شيء.والصواب ان معالجة كل مافسد من الاصول التي يتألف منها المزاج مما لابد منه لشفاء الامة وجعلها في عداد الامم الحية. ولكن يقال ان هذه الاصول ترجع الى أصلين الامة والحـكومة أيهما صلح يسهل عليه اصلاح الآخر ولكن ما يجيء من جانب الحكومة يكون أسرع، ومايأتي من الامة يكون أدوم وأثبت ، وقد بينا ذلك في الـسنة الاولى من سني المنار ، وسننشر في الاجزاء الآتية مقالات فى أنواع الحياة النسبية أو الزوجية والملية والجنسية والسياسية ونبين كيف يكون الاصلاح فيها والله الملهم للسداد

آثار علمية أدبية

رأي عالم أزهري في العلماء وحالهم في مصر

وصف مؤلف كتاب العلم والعلماء العالم الديني المسلم بأنه المرشد الى مصالح الدنيا وطريق الآخرة ومما قاله في ذلك (ص ٨) : « بينما تجده في درسه يقرر خفيات المسائل في العلوم المختلفة تجده قد خرج يخالط الناس على اختلاف طبقاتهم كأنه واحد منهم يرشد هذا بالعبارة وذاك بالاشارة، هذا بالاحاديث وهذا بالآيات، هذا بالحجج العقلية وهذا بالمشاهدات والمكتشفات، طوراً يستشهد بحال الصحابة والتابعين، وطوراً بحال فلاسفة اليونان وحكماء الاوروبيين، » الخ

وقال في (ص ٩) : العلماء لاتحصر وظيفتهم في تعليم الطلاب فنون العلم في المدارس الدينية بالكيفية الجارية الآن . بل هي على الحقيقة أعم من ذلك وأشمل وأنفع . وظيفة لها دخل في سائر الاعمال والاحوال، وترتبط بسائر الامور الدنيوية والاخروية، لان العالم يعتبر مؤسس المبدأ الذي يسير عليه الانسان ويبني عليه سائر أفعاله المتعلقه بالمعاش والمعاد . وواضع الخطة التي تجري عليها الامة في سائر شؤونها المادية والادبية وغيرها:

ثم ذكر أن للتعليم ثلاث مراتب أولها تعليم صغار المسلمين في المدارس الابتدائية المسماة بالمكاتب وثانيها تعليم جمهور الناس وثالثها التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي . ثم قال في علماء مصر (ص ١١) ما نصه : « ولكن من موجب الاسف أن علماءنا أعرضوا عن المرتبتين الاوليين ولم يعيروهما أقل التفات مع أنهما من أهم الضروريات اللازمة التي يتوقف عليها تقدم الامة وحسن نشأتها في امري الدين والدنيا بل هما اللذان ينبغي أن يكونا ثمرة هذا التعليم العالي الذي يشتغلون به في المدارس الدينية ويضيعون فيه الاعمار من غير ان يعود على الامة منه فائدة تذكر . على انه في الحين الذي يأنف فيه العلماء من القيام بهذين الواجبين ارى انهم لايمكنهم ان يقوموا بهما حق القيام» الخ

ثم ألمّ بفائدة الارشاد وتعليم العامة وقال (ص ١٢) : ومما يوجب الاسف ان

هذه الوظيفة السامية لايقوم بها العلماء الآن ايضاً وقد بني على إهمالها ما نراه من النقص العظيم وعلى قواعد هذا الاهمال ثبتت جدرانه القوية التي قد (لا) تهدمها الا معاول القدرة القاهرة والروح الالهي ان شاء الله تعالى » اه

ثم قال في (ص ١٧) : « ولكن من اعجب العجب انهم أهملوا الآن هذا الواجب وأعرضوا عنه فكان من نتائج ذلك ضعف الشعور الديني وانتهاك حرمات الشرع حتى فيما يرجع الى مصالح هذه الحياة الدنيا . بل كان من نتائج ذلك ضياع حرمة العلماء وانحياز أمر الدين حتى كاد يعد من الاحوال الشخصية والامور الاستحسانية التي تختلف باختلاف المشارب والاذواق»

ثم قال في ذلك بعد كلمات في أهل الطريق : « فوا اسفا على هذه الوظيفة السامية والصفة العالية التي ضاعت بين رجال العلم ورجال الطريق . وا أسفا على تركة الاسلام التي تفرقت ايدي سبأ في ايدي من لم يعرفوا حقها ولم يقوموا بواجبها بل ونسوها وشوهوها حتى صارت في ظاهر الامر من المعاني السافلة والامور الدنيئة . » الخ

وقال في الكلام على الكمال في الملكات والوجدان (ص ٣٢) : « وإننا نرى بأعيننا من العلماء المشهورين الذين أحرزوا التقدم وشغلوا الوظائف العالية وعدوا من الرؤساء من ينقصهم هذا المعنى وان ملكاتهم ووجداناتهم النفسية دنيئة ناقصة تباين مراكزهم الرسمية وتضادّ منزلتهم بين الناس وانهم لايزال لهم من الصفات الناقصة مايحطهم عن أكثر الناس وان كان ذلك لايتراءى الا لمن يعاشرهم ويعاملهم ويخترق حجاب المظاهر الكاذبة وقد ينبني على ذلك صدور أعمال منهم تعد من الاعمال التي تورث النقص العام وتوجب العار الفاضح للامة والدين والشواهد على ذلك كثيرة »

إننا وان كنا نريد بيان رأي هذا العالم الازهري ابن العالم الازهري في وصف العلماء دون انتقاد او استحسان لايسعنا الآن نستدرك عليه ونقول ان في هؤلاء العلماء من يعد فخراً للعلم والدين بعلو الهمة وشهامة النفس وعزة الدين ووقار العلم كما يشهد العدو والصديق والقريب والغريب وكان ينبغي ان يصرح بذلك هنا

ثم قال في فصل « الكمال في التنور والتأثير » وشدة حاجة العالم اليهما (ص ٣٣):

« اصبح علماؤنا اليوم فاقدين كل شيء من معـنى النفوذ والتأثير عارين عن سائر موادها ولا شك ان هذا نقص شديد يجب تداركه . لا اقول فقدوا النفوذ والتأثير فقط بل وا كتسبوا صبغة الاستثقال والاحتقار من اكثر الطبقات العليا حتى كاد يكون الحق منهم باطلا والصدق منهم كذباً والنصح منهم غشاً فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

«ولو نظرنا بعين الاستبصار الى سائر المرشدين الى الحقائق وهـداة العالم واولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأبنائهم اولا كانوا موضع الازدراء والتحقير من الناس (ليته استبدل بهذين اللفظين ماهو انزه منهما) وان من يتبعهم كان اقل القليل فاذا ما اكتسبوا قوة النفوذ والتأثير انعكس الامر واقبل الناس عليهم ودخلوا في دين الله افواجاً ورأوهم بعين غير الأولى كانهم ليس هم اولئك الاولون (كذا) ذلك لان الناس دائماً اسراء العادة عباد المظاهر ايمانهم في عيونهم كما قال بعض العارفين فهم دائماً لايستمعون الا لمقال من يكتسب صفات الاحـترام العام ولا يرضخون الا لمن يحرز قوة النفوذ (١) واذا كان الامر هكذا فلم لانكتسب هـذه القوة لنتمكن من نشر الحقائق الاسلامية ونتوصـل الى إعلاء كلمة الله ثم لم لانكتسبها وهي التي ترفع الانسان من الطبقات السافلة الى اعلى المراتب وتجعله سلطان القلوب وقائد الافكار

«هاهو فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده واحد منا انظر لماذا علا دون أمثاله ولم وصل الى ان صار صاحب الرأي الاعلى فى سائر الشؤون الازهرية وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة المسموعة عند اكثر اهل الطبقة العالية حتى امكنه ان يسود اكثر الذين يبغضونه من العلماء وقد كان في اول قدومه للازهر عنـد الناس كآحاد الطلاب . اشيء جاء (بالصدفة) ام هـذا نتيجة العمل والاجتهاد ؟ لاجرم ان هـذا كان اولا نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل وحسن البيان وإتقان العمل وذلك جعـل له مكانة عند الطبقة العليا وتلك المكانة اكسبته نفوذا آخر وجعلت تأثيره اقوى وقد تمكن بهذا وذاك ان يرأس العلماء وتكون له كلمة التصرف حتى على شيوخه ومن

(١) العامة تستعمل الرضوخ بمعـنى الخضوع والامتثال وهو المـراد هنا والا فالرضخ في اللغة هو العطاء القليل ولا يصح في هذا السياق

يبغضونه وان ينشر مبادئه ويدعو الناس اليها ويلبي دعوته كثير من الناس وهو لو دعا اليها فى بدء نشأته ما اجتمع اليه أكثر المجتمعين حوله الان» اه

ثم أطال في وصف الشيخ ونفوذه مما لاحاجة الى ذكره وقد ذكرناه ليعلم القارئ ان المؤلف لم يكتب الا ما يعتقد ولذلك لم يعمم الا واستثنى .

ثم انه انتقل الى الكلام على (الكمال في الفعل) فانتقد عادات العلماء وذكر من مخالفتهم لما عده كمالا ذلك لاسيما حالهم في حفلات التشريفات وتشييع الجنائز والمجامع وفي مجالسهم الخاصة الحافلة وفضـل عليهم سائر الفرق . وقفى ذلك بذكر (التنور العام) اي المشاركة في فنون العصر وحال البشر في عامة شؤونهم وقال فى (ص ٤٢)

«لكن هناك من العلماء من يرى تنورهم قاصراً على مناقشات الفنون والكتب التي يدرسونها حتى لايمكنه أن يخوض مع انسان في حديث ما فيتقنه وان جلس في مجلس عام لم يحسن التكلم فيه بل اما سكوت واما كلام تمجه الاسماع ويأباه الطبع السليم» اه

ثم تكلم في مطالعة الجرائد والمجلات وقال (ص ٤٣) : «هناك من العلماء من يرى ان كلام الجرائد كـذب لاتجوز قراءته وهو رأي واضح الفساد فان عـدم قراءة الجرائد تجعل الانسان في انحياز تام عن العالم وبعيـدا عنهم كانه ليس على ظهر البسيطة وتجعله ايضاً مستثقلا محتقراً في أعين المتنورين كما يحتقر الجاهـل بأبسط الاشياء حتى انهم ليعدون مخاطبتهم له تنزلا ومجاراتهم واحترامهم له تفضلا لانه فى أعينهم رجـل بسيط لايعرف الا أحكام الدين ولايدري ماعليه الناس» . ثم قال في المجلات خاصة :

« ومن أهم مايجب الاطلاع عليه أيضا المجلات العلمية كالمقتطف والهلال والمنار فانها تطلع الانسان على معلومات لايستغني عنها العالم وحبذا لو امتلأت صفحات المجلات الدينية بمقالاتهم الضافية وإرشاداتهم المفيدة » اه وللنقل بقية

﴿ تقويم المؤيد لعام ١٣٢٣ ﴾

هذه هي السنة السابعة لهذا التقويم المفيد الذي يؤلفه محمد افندي مسعود المحرر بجريدة المؤيد وقد صدر فى أول المحرم مطبوعا بمطبعة الجمهور وهو فيما صار اليه من الشهرة، وماصادفه من الاقبال والرغبة، غني عن التقريظ له والترغيب فيه الآن يذكر ذاكر بعض مايمتاز به فى كل سنة عما قبلها وقد يستغني قراؤه ومقتنوه عن ذلك بما

عرفوا من ذوق مؤلفه فى حسن الاختيار ومنه أن فتح في هذه السنة باباً للحرب الروسية اليابانية واسعا ذكر فيه ملخص تاريخها وأكبر ملاحمها وأشهر مواقعها وصور قوادها فى البر والبحر • وفي غير هذا الباب من التطويل في المسائل السياسية ما لا يستغنى عن معرفته وفى باب التاريخ فصل طويل فى تاريخ تونس ودولها مزين بصورة الباي السابق رحمه الله والباي الحاضر وفقه الله • وثمن النسخة منه خمسة قروش ما عدا أجرة البريد ويطلب من المكاتب المشهورة •

باب الأخبار والآراء

الأزهر ـ مشيخته وإدارته

ما كانت مشيخة الازهر في زمن الازمان عرضة للتغيير والتبديل من الحكام كما نراها فى هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيوخ هذا الجامع عدة مرات فى بضع سنين ـ عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الامير وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فاختار الامير للمشيخة الشيخ سليما البشري ثم عزله بمحض إرادته وولي مكانه السيد عليا البيلاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الامر كما يقال وفى هذا الشهر استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشربيني باتفاق الحكومة وتلا الشيخ البيلاوي فى الاستقالة من مجلس ادارة الازهر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والشيخ عبد الكريم سلمان أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا والسيد أحمد الحنبلي شيخ رواق الحنابلة وكان سبق الشيخ وهؤلاء الاعضاء في الاستقالة من ادارة الازهر الشيخ أبو الفضل الجيزاوي عضو المالكية والشيخ سليمان العبد عضو الشافعية والعلة فى استقالة الجميع واحدة في الحقيقة لا يسمح لنا هذا الوقت بشرحها والتاريخ لا ينسى شيئاً

أما الشيخ حسونة فكان من علماء الازهر الذين علموا فى مدارس الحكومة ووقفوا على شيء من نظامها وكان الغرض من جعله شيخاً الازهر وجعل الشيخ محمد عبده معه فى الادارة تغيير نظام التعليم وترقيته فيه • وأما الشيخ سليم البشري

فهو من علماء الدرجة الاولى وقد ولي في وقت تألب المشايخ على الحكومة فى مسألة المحاكم الشرعية المعروفة • وأما السيد علي البيلاوي فقد ولي لشهرته بالصلاح بعدما استشار الامير الحكومة في نفر من أشهر الشيوخ فلم ترض أحداً منهم وقد كان أقدر من سبقه على الادارة حتى ان أولي الامر وأهل الفهم قالوا ما كنا نظن أنه يوجد فى هؤلاء المشايخ الذين لم يزاولوا الاعمال الادارية ولم يعنوا بالاطلاع على أمور العالم مثل هذا الرجل . وأما الشيخ عبد الرحمن الشربيني فهو مشهور بالعلم والصلاح والزهد وقد عرضت عليه مشيخة الازهر من قبل غير مرة فلم يقبلها على أنها منتهى ما يطمح اليه علماء هذا الجامع من الرياسة. وقد عجب الناس من قبوله فى هذه المرة ويقال ان الناس الذين كانوا عالمين باستقالة السيد البيلاوي قبل وقوعها وقبل ظهورها كانوا يرغبونه في ذلك ويقال انه لم يرض الا بعد صدور الامر بتوليته والله اعلم اي ذلك قد كان. وقد كثر القال والقيل وتباينت الآراء في خطته والصواب انه لا يؤخذ بشيء مما قيل ولا مما يقال ، حتى يعرف السير وتشاهد الاعمال . ونسأل الله تعالى أن يوفقه لما فيه مصلحة هذا الجامع ومصلحة الاسلام وان يشد ازره بقرناء الخير والله على كل شيء قدير

غرض الحكومة الخديوية من الازهر

قد شاع وذاع ان سمو الامير اتفق مع حكومته على ان كل ما يهم الحكومة من الازهر شيئان الاول ان يكون اهله فى امان والثاني تخريج القضاة الشرعيين. ولما كان التعليم فى الازهر غير كاف لتخريج القضاة الذين تصلح بهم حال المحاكم وينفذ حكم الشريعة عزمت الحكومة الخديوية على انشاء مدرسة خاصة لتخريج القضاة يكون تلامذتها من طلبة الجامع الازهر ولم يكن أحد يصدق هذه الاشاعة لولا ان المؤيد ذكر أن الامير قال ذلك فى كلامه الذي خاطب به مشايخ الازهر في حفلة إلباس الخلعة للشيخ الشربيني ووافقه المقطم في معناه وأسنده الى أولياء الامور

وقد كثر التساؤل بين الناس عن سبب استقالة الشيخ محمد عبده من ادارة الازهر على عنايته العظيمة بخدمة الازهر وحرصه على تخريج رجال فيه يقدرون على خدمة الشرع وتأييد الدين . وكان ينبغي ان يكون اول سبب يخطر فى البال ، بعد الاطلاع على تلك الاقوال ، هو بلوغ الشغب فى هذه المدرسة غايته ومثله من رجال

الجد لم يخلق للعب بالشغب ، بدون فائدة تكافئ إنفاق الوقت فى التعب . ثم اكتفاؤه بعناية اولياء الامور بتربية جماعة من طلبة الازهر في مدرسة خاصة ليتخرج منهم اساتذة وقضاة وهو شيء مما كان يميل اليه ، قد تيسر الوصول اليه . ويقول المقطم ان الحكومة ستنيط بالشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية امر هذه المدرسة فان صح ذلك فحسبه تربية البعض من الكل على ان تركه لادارة الازهر ليس للازهر كله فانه شيخ رواق الحنفية وهو أكثر الاروقة طلابا فهو يبث فيهم النظام ويرشدهم الى روح العلم والدين وهذا بعض آخر من كل و «كل ميسر لما خلق له»

﴿ مقام الافتاء ﴾

جرت العادة فى هذه البلاد وفي سائر بلاد الدولة العلية أن المفتي يجعل داره معهداً للافتاء وقد كان الشيخ العباسي مفتياً وشيخاً للازهر وكان مع هذا يفتي فى داره . ولكن الشيخ حسونه النواوي لما سار شيخاً للازهر ومفتياً جعل محل الافتاء فى الازهر لانه محل عمله وكذلك فعل الشيخ محمد عبده فانه لكثرة شغله في ادارة الازهر ولكون داره في خارج القاهرة أبقى محل الافتاء حيث وضعه الشيخ حسونه من الازهر ولما استقال في هذه الايام من ادارة الازهر رأى انه لا معنى لبقاء محل الافتاء فى الازهر فعزم على اتخاذ محل آخر له ويقال ان الحكومة ستبني له مكاناً فى نظارة الحقانية

﴿ المعرض الزراعي ﴾

ما ارتقى الناس فى عمل من الاعمال الا بمحاولة المتأخر ان يفوق من قبله فى عمله ولن يحاول أحد أن يفوق أحداً فى شيء الا بعد اطلاعه على منتهى ما وصل اليه وبحثه عن أسباب ارتقائه فيه . والمعارض أكبر معين على اطلاع الناس على غاية ما وصل اليه الناس لذلك عنيت الامم الحية بهذه المعارض فجعلت فى بلادها معارض عامة ومعارض خاصة بالزراعة وبالصناعة وببعض فروع العلوم والاعمال . وقلدتها الحكومة المصرية في المعرض الزراعي إذ كانت هذه البلاد زراعية قوام معيشتها الزراعة . وانك لترى هذا المعرض يتقدم وتكثر المعروضات فيه ويستفيد الزراع منه عاما بعد عام . وقد كانت المعروضات في هذه السنة أكثر منها فى غيرها لاسيما الآلات الزراعية للحرث

والعزق والسقي والنقل حتى أن محل أورنستين كوبل مد في ميدان المعرض سكة زراعية سير عليها القطارات بهيئة وجهت اليها الانظار .

تعرض في هذا المعرض كل سنة الآلات والأدوات ، وكذلك الاسمدة ونتائج الغلات ، وتعرض الانعام والخيل والحمير والبغال . وقد عرض محمد افندي صالح سليمان أنواعا من الاخشاب المصرية الجميلة ومصنوعات محله منها فنالت الجائزة الاولى . وتعرض فيه أيضاً آلات الخياطة والتطريز . وعرضت فيه في هذه السنة الآلة الكاتبة بالعربية وهذا وما قبله ليس من الامور الزراعية .

﴿ الشيخ عبد الباقي الافغاني ــ وفاته ﴾

نمت الينا أخبار سوريا هذا السائح العالم العامل التقي الذي عرفناه ونحن في صبيان المكتب إذ كان يزور بلدنا في سياحته ويقيم فيها اياما . ومرت السنين عليه ولم تر تغييراً فى سيرته المحمودة . وكان له حسن ظن فى منشئ هذه المجلة حتى كان يقول: ان علم رشيد لدنّي: وقد كتب الينا بعض من عرفه وأخذ عنه ما يأتي نعيا وترجمة :

فضل الحياة لا ينكره الا حلفاء أوهام وسفسطة قد عمي عليهم فيها سبل النظام الكوني البديع الذي تدور السعادة الانسانية على محور العلم والعمل به من غير هوس بالتنقيب عن غير النافع والضار لكن العقلاء فى فلسفة الحياة مجمعون على أمر ومختلفون فى أمر والوهميون السوفسطائية لا من هؤلاء ولا من هؤلاء . يجمع العقلاء على أن الحيّ يجب عليه إيفاء شكر لواهب الحياة ويختلفون فى طرق ايفاء هذا الشكر وكل مذاهبهم المختلفة تؤدي الى نقطتين متقاربتين ولكن بينهما سد ثخين من الاصطلاحات والاوهام وبئست هي من سدّ بين البشر القرباء فان الاكثرين لم يتمكنوا من هدم هذا السد إما لعدم مساعدة علمهم وإما لعدم مساعدة ظروف حياتهم (النقطة الاولى) شكر الله بقبول دعوته الى المائدة التي وضعها للانام والرضاء عن كل خادم بهذه المائدة . (النقطة الثانية) شكر الله باللسان بتكرير الثناء عليه مع عدم الالتفات للمائدة ولمن يهيئها البتة فلا يتناولون منها الا التافه وكثير منهم يرون أن يسبوا المائدة والذين يتناولون منها . أما تقارب النقطتين فلان كلا من السائرين يرون هذه المائدة حاضرة فيها من كل

الانواع ويعرفون الذي أعدها ويعلمون انه لابد من التناول منها وانه لابد من شكر هذا الكريم العظيم • وأما السد الذي بينهم فهو ان الشكر هل هو بقول المرء أمدحك ياواهب أمدحك ياواهب أمدحك ياواهب ملايين من المرات او بتتميم المرء مقصود الواهب من تلك الهبة فتعريف الشكر بأحد التعريفين هو من الاصطلاح وهو ذلك السد ومن وراء هؤلاء كلهم من ليس لهم الا صورة بشرية لهـا من الحياة مالسائر أنواع الحيوان منها فليسوا ممن نتكلم عنهم•

ونحن لم نرد في هذا الموقف الآن أن ندل على مسلكنا بهذا الشأن ولكن قدمنا هذه الكلمات لنقول إننا نحترم العقلاء مهما اختلفوا وكيفما كانوا ولهذا يؤسفنا انقضاء حياة كبرائهم ويجدر بنا ان نعلن أسفنا لهم وان نذكر محاسنهم بعد مايودعوننا ويسبقوننا بذلك الرحيل الابدي . وكل ذلك نقدمه امام نعينا الاستاذ العالم الزاهد الورع الشيخ عبد الباقي الافغاني الذي يعرفه أكثر قراء «المنار» في سوريا•

كان الاستاذ من الزاهدين الصادقين فى زهدهم لايماري فى ذلك من عرفه فمن كان ممن ينتقد الزهد نطالبه ان لاينتقد هذا الزاهد الذي كان كبير العقل فإن زهده قد أعانه على رحل طويلة بث فيها العقليات بقدر الامكان فأكرم بزهد يثمر مثل هذه الثمرة فى مثل هذه البلاد•

نشأ هذا الفقيد (الذي عز على عارفيه فقده) فى « بشاور » ثم رحل فى غضاضة شبابه الى « رانفور » وهناك أكمل تحصيله على المفتي سعدالله وأخذ يدرس هناك نحوا من خمس وعشرين سنة من بعدها قصد الحجاز وفى عودته رأى فى البلاد الشامية نقص العلوم العقلية فبعد تردد طويل رجح لديه ان يدرس فى بعض البلاد من غير أن يقيم في بلدة واحدة فطفق يسيح فى البلاد من شمالي ولاية حلب الى الولاية الحجازية وكانت جل سياحاته مشيا على أقدامه كان يقيم فى البلدة أوالقرية شهرين ثلاثة ـ أقل او أكثر ـ ثم يرحل عنها لغيرها وحيث وجد شبانا مستعدين للعلم يرشدهم الى سبله بقدر معارفه• مكث على ذلك اكثر من عشرين سنه ثم انقطع عن التدريس البتة وكان يحب ان ينتشر علم اصول الفقه ولخص فيه اوراقا على الطريقة المألوفة وفى اخريات هذه الحياة التي مرت بالعلم والتعليم بمبلغ العلم اقام فى حمص ثلاث سنين وهناك اتاه اليقين ورحل الرحلة الابدية يوم الجمعة رابع المحرم ١٣٢٣ وكان لجنازته احتفال يفوق الوصف عليه الرحمة ولعارفيه جزاء اسفهم على فضله •

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ومايذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة صفر سنة ١٣٢٣ — ٦ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢١٣ : ٢١٠) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ *

الآية متصلة بما قبلها فقد أمر الله تعالى بالوفاق والسلام ، وذكر سبب التنازع والخصام ، وأرشـد الى ما فطر عليه البشر من حاجة بعضهم الى التعاون مع بعض عنـد ما كثروا واجتمعوا وكثرت مطالبهـم وتعددت رغائبهم ومن إفضاء ذلك الى التنازع والتعادي ومن حاجتهم الى نظام جامع وشرع يحـدد الحقوق، ويهدي القلوب، لامجال فيه للنزاع والاختلاف لوجوب أخذه بالتسليم لما معه أو لما فيه من البينات على انه من عند الله ـ

وذكر إحسان الله تعالى اليهم إذ بعث فيهم الانبياء وأنزل عليهم الكتاب ليحكم في الاختلاف ثم ذكر اختلاف الذين أوتو الكتاب فى الكتاب نفسه وتحويلهم الدواء داء واتخاذهم الرابطة الجامعة آلة مفرقة ثم هداية الله تعالى أهل الايمان الصحيح لما وقع فيه الاختلاف من الحق برجوعهم الى الاصل وهو الكتاب وتحكيمه فى كل خلاف وقبول حكمه فى كل نزاع، والاعتماد فى فهمه على مايؤخذ من جملته وما علم علما صحيحا من سنة من جاء به ومن صدقوه واتبعوه قبل الخلاف. بين الله تعالى هذه الاطوار فى البشر فأنار لنا الطريق التي اهتدت فيها الامم بعد ضلال ثم ضلت بعد هداية لنكون على بصيرة فيما نعمله للخروج من الخلاف بعد وقوعه ولكن الذي يحاول الخروج من الخلاف يكون عرضة لبغي المختلفين وإيذائهم وهكذا أهل الضلالة يبغون على أهل الهداية وان كان هؤلاء يريدون خيرهم سواء كان مايحاولون هدايتهم فيه هو الضلال فى طريق الفطرة والعقل، أم الضلال فى تأويل الكتاب والتصرف فى الشرع، ولذلك قفّى ذلك البيان كله بتمثيل حال الاولين الذين سلكوا سبيل الهداية في أنفسهم وتصدوا لهداية الناس وارشادهم الى السلم والوفاق فقال

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم)

الخ الخطاب موجه الى الذين هداهم الله تعالى الى السلم والخروج من ظلمة الخلاف الى نور الكتاب الذي أنزل لازالته فى زمن النزول وفى كل زمن يأتي بعده، وتوجيهه أولا وبالذات الى أهل الصدر الأول من المسلمين الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس أكبر عبرة وموعظة لمن يأتي بعدهم ويحسبون انهم بمجرد الانتماء الى الاسلام يكونون أهلا لدخول الجنة جاهلين

سنة الله تعالى فى أهل الهدى منذ خلقهم وهي تحمل الشدائد والمصائب والضرر والإيذاء فى طريق الحق وهداية الخلق. وعجيب من أمة ينطق كتابها بالآيات البينات على أن سنة الله فى خلقه واحدة لاتحويل لها ولا تبديل ويحثها دائما على الاعتبار بها والسير فى الأرض لمعرفة آثارها في الأمم البائدة والامم الحاضرة ثم هم يحولون هذه السنة عنهم ويفشو فيهم الانكار على من يعظهم بما حكى الله تعالى عن حال تلك الامم التي كفرت بنعمة الله تعالى عليها بالسلم والهداية قائلين انه يقيس المسلمين على الكافرين

«أم» ههنا هي الواقعة في طريق الاستفهام وهي تشعر بمحذوف دل عليه الكلام فى وصف الذين خلوا من قبلنا وما نالوا من البأساء والضراء كأنه يقول قد خلت من قبلكم أمم أوتوا الكتاب ودعوا الى الحق فآذاهم الناس في ذلك فصبروا وثبتوا أفتصبرون مثلهم على المكاره وتثبتون ثباتهم علي الشدائد أم حسبتم ان تدخلوا الجنة وتنالوا رضوان الله تعالى من غير أن تفتنوا فى سبيل الحق فتصبروا على ألم الفتنة وتؤذوا فى الله فتصبروا على الإيذاء كما هي سنة الله تعالى فى انصار الحق وأهل الهداية فى كل زمن

قرر الاستاذ الامام معنى الآية على هذا الوجه وقال انه معنى ظاهر من الآية يسبق الى ذهن كل قارىء وإن لم يستطع كل أحد التعبير عنه واذا جعلت «أم» بمعنى الإضراب والاستفهام معا كما قال المفسر بطل هذا المعنى الذي يملك النفس ويؤثر في الوجدان

قيل ان الآية نزلت فى غزوة أحد حين غلب المشركون المؤمنين وشجوا رأس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكسروا رباعيته. وقيل إنها

نزلت في غزوة الاحزاب اذ اجتمع المشركون مع أهل الكتاب وتحالفوا على الإيقاع بالمسلمين وقطع دابرهم وأصاب المؤمنين يومئذ ماأصابهم من الجهد والشدة والجوع والحاجة وضروب الإيذاء ـ وإذ انتقض المنافقون على المؤمنين الصادقين وقالوا كما قال الذين في قلوبهم مرض « ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا » ـ وإذ جاءهم الأعداء من فوقهم ومن أسفل منهم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون ـ واذ ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ـ وإذ رأي المؤمنون الصادقون الأحزاب متحزبة عليهم فقالوا على قلتهم وضعفهم وجوعهم وعراهم « هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله : وما زادهم الا إيمانا وتسليما »

أمثال هؤلاء يخاطبهم الله تعالى بقوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أي والى الآن لم يصبكم ماأصاب الذين سبقوكم بالايمان والهدى والدعوة الى الحق من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فالمراد بالمثل الوصف العظيم والحال التي لهاشأن بحيث يضرب بها المثل . أي لم يكن لكم هذه الحال الشديدة . إلى الآن وهذا النفي المستغرق مما يلفت الاذهان الى معرفة ما أصاب أولئك الأقوام ولذلك قفاه بالبيان فقال (مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) البأساء الشدة تصيب الانسان في غير نفسه وبدنه كأخذ المال والاخراج من الديار وتهديد الامن ومقاومة الدعوة وفسره الجلال بالفقر وهو من أثره ، والضراء مايصيب الانسان في نفسه كالجرح والقتل وفسره الجلال بالمرض . وأما الزلزال فهو الاضطراب في الأمر يتكرر حتى يكاد يزلّ صاحبه عنه ، وهذا الحرف فيه لفظ

زلّ مكررا ومعناه زلق وانحرف فزلزله بمعنى هزه ودعّه ليزله عماهو عليه أي إنهم وصلوا الى درجة حدوث الاضطراب والاشراف على الزلل في مجموعهم كما قال تعالى في المؤمنين يوم الأحزاب « وزلزلوا زلزالا شديدا » والآية التي نفسرها تصرح بأن بعض السابقين كانوا أشد زلزالا ولعل الغاية التي وصلوا اليها ولم يصل اليها سلفنا هي قوله تعالى (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) أي حتى وصلوا الى غاية من الشدائد والاهوال لم يروا فيها منفذا لسبب من أسباب الفوز لأن قوة أعداء الحق أحاطت بهم من كل جانب ودنت منهم حتى أخذت بأكظامهم فاعتقدوا أن وقت العناية الالهية والنصر الذي وعد الله به من ينصر الحق قد حان وقته أو أبطأ فاستعجلوه بقولهم : متى نصر الله ؟ فأجابهم تعالى (ألا إن نصر الله قريب) بأن نصرهم وكف عنهم شر أهل البغي وأيد دعوتهم وجعل كلمتهم العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى وكان الله قويا عزيزا . فالرسول هنا للجنس وقد ذكرت هذه الغاية في الشدة بصيغة المضارع تصويرا لها كأنها حاضرة ليتمثل المخاطب هولها وشدتها فيخف عنده مايجده مما هو دون ذلك . وكل شدة هي دون الشدة التي يستعجل بها رسل الله تعالى نصر الله استبطاء له وهم أعلم الناس بالله تعالى وأشدهم اتكالا عليه وتسليما له . ولعمري ان المسلمين لم يصلوا في تلك الشدة التي حملت عليها الآية الى تلك النهاية التي قال فيها اولئك الرسل ماقالوا ولقد قتل بعض النبيين ضروبا من القتل حتى ورد أن منهم من نشر بالمنشار حيا وناهيك بأصحاب الاخدود الذين أحرقوا المؤمنين فيه بالنار « وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » . وحاصل معنى الآية لوم المؤمنين على ذلك الحسبان وبيان ان

ما كانوا فيه من الشدة والألم فى واقعة الأحزاب أو وقعة أحد ان صح ان الآية نزلت فى ذلك الوقت أو فى عامة أحوالهم قبل فتح مكة اذ كانوا يألمون من منازعة المشركين واليهود والمنافقين ويقاسون من مجاحدتهم ومكايدتهم مايقاسون - كل ذلك قليل فى جنب ماقاسى غيرهم ممن سبقهم بالايمان والهدى اذ كان استعداد البشر أضعف وقسوتهم أشد وعنادهم أقوى

جاء في معنى هذه الآية آيات أقربها منها لفظا ومعنى قوله تعالى في سورة آل عمران (٣) «أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» وهذه نزلت في غزوة أحد لامحالة. وأما قوله تعالى فى سورة التوبة (٩) «أم أحسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون» فقد قيل انه خطاب للمؤمنين وقيل انه للمنافقين . ومن خطاب المؤمنين في مثل هذا المقام قوله فى أول سورة ألم العنكبوت (٢٨) «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * الى قوله « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » . فهذه الآيات وأمثالها تؤيد الآية التي نفسرها فى ابتلاء الله المؤمنين الصادقين الداعين الى الحق ولكنك تجد أكثر المسلمين الذين تقرأ عليهم دائما فى غفلة عنها فمن لم يغفل عن تصور المعنى في ذهنه يغفل عن انطباقه على الواقع ولذلك تجد الكثيرين منهم يذهبون الى من يؤذى فى سبيل الحق بالقول أو بالفعل كان وقوع الأذى عليه دليلا على انه مبطل لا يطلب الحق !! فما أجهلهم بكتاب الله، وما أبعدهم عن العلم بسنن الله ، وما أغفلهم عن تأويلهما فى خلق الله ،

اتخذ الناس هذا القرآن مهجورا الا ما يتغنون به من بعض سوره فى المحافل الجامعة ففقدوا روح الدين وتبع الروح الجسمان الا قليلا من الرسوم الماثلة في جانب بروج البدع المشيدة وإنما أبقى على تلك الرسوم تمسك العوام بها فلولاهم لما بالى بها الأمراء والرؤساء الذين لاقوام لعظمتهم الا خضوع العامة لهم لذلك جعلوا الدين رابطة سياسية وآلة لإخضاع العامة لهم ولذلك يحاربون من يدعو الأمة الى الكتاب العزيز ويستعينون عليه بعلماء الرسوم الذين يستمدون سلطتهم ورزقهم وجاههم منهم لئلا تتوجه نفوس الجمهور الى الكتاب ، فيعرو رياستهم الزلزال والاضطراب ،

هذا هو الحجاب بين الأمة وبين الاعتبار بالقرآن والاهتداء بهديه - المسلم العارف بتاريخ دينه يعرف قيمة أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلم العامي المقلد يعظمهم فى خياله وشعوره أشد مما يعظمهم العارف فى فكره وقلبه حتى إن الكثيرين أو الأكثرين من المسلمين يكادون يرفعونهم عن مرتبة البشر ويكاد تعظيمهم إياهم يشبه العبادة ولكن ما بال هؤلاء وأولئك لا يعتبرون بما خاطبهم الله تعالى به في مثل هذه الآية ولا يتأملون كيف عاتبهم الله تعالى هذا العتاب الشديد على ظنهم وحسبانهم أنهم يدخلون الجنة وهم لم يقاسوا من البأساء والضراء واحتمال الشدائد فى سبيله ماقاسى الذين سبقوهم بالايمان حتى استحقوا الجنة . يقول الاستاذ الامام ان الآية عتاب لهم وقال غيره من المفسرين انها إنكار عليهم وهذا القول أشد مما قاله الاستاذ الامام . فكيف لا ينكر مسلم على نفسه مثل هذا وهو يعلم أنه دون الصحابة الكرام إيمانا وإسلاما ودعوة الى الحق وصبراً على المكاره فى سبيله . لماذا لا ينكر على نفسه

وعلى من يراه من أمثاله الذين يقولون آمنا بالله فاذا أوذي أحدهم فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله، وآثر ما عند الناس على ما عند الله، بل لماذا لا ينكر على نفسه وعلى من يراهم لاهم لهم الا زينة هذه الحياة الدنيا والاستكثار من المال ولو من غير حله والانبساط في الأرض ولو بالبغي فى الأرض والاعتداء على حقوق الجيران وغيرهم.

أم حسبت أن هؤلاء الذين يغشون أنفسهم ويغشون الناس بدعواهم الإيمان وغرورهم بالانتساب الى الاسلام كانوا بدعا من الناس بجهلهم وأمانيهم، كلا ان هذه كانت حال كل أمة طال عليها الأمد بعد زمن البعثة فقست من أفرادها القلوب وفسقوا عن أمر ربهم فلم يزنوا إيمانهم ولا إسلامهم بالميزان الذي وضعه الله تعالى فى كتابه ليميز به الراجح والطائش وبه حكم على أصحاب النبيين وأتباعهم كما قرأت فى الآية الكريمة وما ذكرنا في تفسيرها مما فى معناها. وانما البدع الغريب، والامر العجيب، الذي لم يعرف له نظير فى أمة من الامم هو ما نراه فى هذا العصر من تصدي أناس لدعوى نصر الدين والزعامة فيه وحفظه على أهله وهم لم يقرءوا كتابه ولو قرأوه لما فهموه، ولم يتلقوا سنته ولو سمعوها لما وعوها، ولم ينظروا في عقائده ولو نظروا فيها لما عقلوها، ولم يعرفوا معظم أحكامه وما يعرفونه منها لا يعملون به، وأعجب من هذا وأغرب انهم بلغوا من الوقاحة والتهجم ان صاروا يعارضون حملة القرآن وانصار السنة وعرفاء الشريعة وحجج العقائد وحكماء الأحكام ويجادلونهم فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وقد حلوا رابطة الدين، ودعوا إلى رابطة أخرى يسمونها الوطنية يفرقون بها بين المؤمنين، وقد جرأهم على ذلك كله جهل العامة

وقلة الذين يميزون بين العلماء العاملين، والأدعياء الجاهلين، ولو كان هؤلاء على شيء من الايمان لاستحوا من الله تعالى أن يدعوا هذه الدعاوى التي يكذبهم بها كتابه كما تكذبهم سيرة السابقين الاولين. لكنهم لاهمّ لهم الا العامة التي يبتغون عندها الرزق والاستعلاء فى الأرض وهم فى مأمن من فهمها معنى الإيمان وصفات أهله لأنهم يحولون بينها وبين كل من يوجه وجهها الى كتاب الله تعالى الهادي الى ذلك

جعل الله تعالى للمؤمنين آيات ووصفهم في كتابه بصفات غيرها المحرفون واستبدلوا بها آيات الغش وصفات المخادعة التي يفتنون بها العامة. أكبر آيات الايمان وأظهرها الاهتداء بكتاب الله تعالى والدعوة اليه وإيثاره على كل ما يخالفه واحتمال البأساء والضراء فى سبيل الحق الذي يهدي اليه، والخير الذي يحض عليه، ويدخل فى ذلك بذل المال والنفس فمن بخل بما آتاه الله من مال وقوة على تأييد كلمة الله، فلا وزن لإيمانه فى كتاب الله،

فيا أيها المسلم المقلد لوالديه ومعاشريه وأقرانه الذي يحسب انه من أهل الجنة لأنه ولد وربي بين المسلمين، ورضي ببعض ما هم عليه من رسوم الدين، أو اتكالا على شفاعة الاولين، اقرأ أو اسمع وتأمل ما عاتب الله تعالى به أفضل سلفك الصالحين، وما ذكره عمن سبقهم من اتباع النبيين،

ويا أيها العلماء بالرسوم، والعاكفون على قراءة كتب العلوم، ليس بأمانيكم ولا أماني الكاتبين، فقد وضع كتاب الله الميزان للصادقين والمنافقين، فعليكم ان تتذكروا وتذكروا به إخوانكم المسلمين، ولا يصدنكم عن آيات الله والاهتداء بكتاب الله، انكم فضلتم الناس بقراءة مطولات الكتب العربية، وصرف السنين الطوال في فهم الاحكام الفقهية، والاكتفاء

من علم الايمان بمثل السنوسية والنسفية، فان ينبوع الايمان كتاب الله تعالى فأحصوا مافيه من الشعب والآيات على الايمان، «وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان،»

ويا أيها الأمراء والسلاطين، الذين انتحلتم لأنفسكم الرياسة في هذا الدين، وإفاضة السلطة الدينية على العلماء والحاكمين، اعلموا انكم مخاطبون كغيركم بهذه الآيات، بل هي موجهة الى غيركم بالتبع واليكم أولا وبالذات، لأنكم سلبتم الأمة الاستطاعة على العمل للملة، ومنكم من سلبها أيضا حرية القول والدعوة، فعليكم ان تخفضوا من هذه الكبرياء، وأن تتحملوا فى سبيل الحق البأساء والضراء، وان تبذلوا فى تأييد كلمة الله قناطير الذهب التي تخزنون، وهذه المزارع والدساكر التي تتأثلون، فان ماتستدلون به على أصل سلطتكم من القرآن، مقيد بكونكم من اهل الايمان، وهذه آيات المؤمنين، وما أعلم الله به أهل الإيمان الصادقين، بل عليكم بعد إقامة شعب الايمان في أنفسكم، ان تقيموها فى أنفس رعيتكم، وتكونوا قدوة لعالمهم وعاملهم، وغنيهم وفقيرهم، لتكونوا أئمة هدى ونور، لا أئمة ضلالة وفجور، وإلا كان عليكم إثمكم، وإثم جميع الأمم التي منيت بكم،

وجملة القول انه يجب على كل مكلف أن يتحقق بصفات الايمان التى جاء بها الكتاب العزيز ويعلم ان للايمان عليه حقوقا عامة وواجبات خاصة هنّ آيات الايمان وثمراته فى الانفس والاعمال وبهنّ يؤدي الى غايته من سعادة الدارين. ولم يسلب الله هذه الامة تلك النعم التي أنعم بها على سلفها بقيامهم بحقوق الإيمان الا بعد التفريط فيها. ثم انهم ليمنون انفسهم بالجنة، بدلا عما فاتهم من السيادة والعزة، غافلين عن الآيات البينات التي

تفرض عليهم من الاعمال لسعادة الآخرة، أكثر مما تفرضه عليهم لسعادة الدنيا، وان فى كل آية منها مايكفي لاستئصال جراثيم الغرور والأماني فما بالك بمجموعها، فعلى المسلم المذعن ان يشغله تطبيقها على نفسه، عن اشتغاله بعيوب غيره، وأن يتعاون مع أهلها على البر والتقوى، ويهجر الراغبين عنها غرورا بزينة الدنيا،

ومن مباحث اللفظ فى الآية أن الجلال فسر «أم» هنا ببل والهمزة فجعلها للإضراب مع الاستفهام تبعا للبصريين ووفاقا لكثير من المفسرين. وقال الأستاذ الإمام ان «أم» تقع فى أول الكلام فلا يصح فيها المعنى المشهور إذ لا معنى للاضراب فى أول القول وما استشهدوا به من الشعر لايشهد لقولهم بل يصح على ان تكون «ام» فى الآية للاستفهام المجرد وهو ماقاله الزجاج. وقد فسر الآية بنحو ماتقدم وهو مبني على جعل «أم» للمعادلة وحذف ماعطفت عليه وقال فى المغني ان الزمخشري هو الذي أجاز هذا وحده ثم قال وجوز ذلك الواحدي أيضا. وعزا مجيئها للاستفهام المجرد الى أبي عبيدة. ثم قال: ونقل ابن الشجري عن جميع البصريين انها أبدا بمعنى بل والهمزة جميعا وان الكوفيين خالفوهم فى ذلك والذي يظهر لي قولهم اذ المعنى فى نحو «أم جعلوا لله شركاء» ليس على الاستفهام:

وذكر سيبويه فى الكتاب ان أم المتصلة لاتخرج عن معنى المعادلة والتسوية وان ام المنفصلة تجيء بعد الاستفهام كما تجيء بعد الخبر وبعد ان مثل لهما قال: وبمنزلة ام هنا قوله عز وجل «الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه» فجاء هذا الكلام على كلام العرب

ليعرِّفوا ضلالتهم - الى ان قال - ومثل ذلك قوله «أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين» فقد علم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون ان الله عز وجل لم يتخذ ولدا ولكنه جاء على حرف الاستفهام ليبصِّروا ضلالتهم:

وفسر الجلال لما بلم وهو غير صحيح ولم يقل به أحد بل قال سيبويه ان لما لتأكيد النفي فى مقابلة الاثبات المؤكد كان يقول أحد ان فلانا جاء فتقول لما يجيء، وهـذا قد يصح فى الآية لان المقام مقام تأكيد أنه لا وجه لحسبانهم أن يدخلوا الجنة ولم يأتهم بعد ما أصاب من قبلهم وقال الزمخشري ان لما للنفي مع توقع الحصول ولم للنفي المنقطع وهو الذي يتجه فى الآية وأمثالها وفى المغني ان «لما» تفارق «لم» فى خمسة أمور فتراجع هناك

باب المقالات

﴿ الحياة الزوجية ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* (سورة الروم ٣٠)

«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (سورة النساء ٤)

الأزواج تلد الافراد ومن الافراد والازواج تتألف الأمم والشعوب. يجتمع فردان فيكونان زوجاً ولفظ الزوج يطلق على كل واحد منهما لان الزوجية تحققت به للآخر كما تحققت بالآخر له فالزوجان كوّنا حقيقة الزوجية فهما حقيقة واحدة ظهرت في صورتين، وروح واحدة انبثت في جسدين، وبناء واحد أقيم بركنين، بل هما حقيقة الانسانية الكاملة وكل واحد منهما جزء لها لو وجد وحده لما وجدت الانسانية، ولو هدم بناء وحدتهما بعد وجوده لما بقيت لها بقية؛ «خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء»

هؤلاء الرجال والنساء الكثيرون هم الامة فالأمة أثر الزوجية وحياتها العزيزة تابعة للحياة الزوجية فاذا كانت البيوت التي يعمرها الازواج ويبثون منها الافراد في عيشة راضية وحياة طيبة خرج منها أولئك الافراد أحياء وكوّنوا بيوتاً يكون مجموعها بلاداً أو مدائن وقرى ومزارع يطلق على عمارها لفظ الامة. والمكوّن من الاجزاء الحية يكون حياً بحياتها، فالحياة الزوجية الطيبة هي الاصل في حياة الامة والنظر فى الاصل مقدم على النظر فى الفرع

الفطرة البشرية هادية الى الزوجية بكمال معناها وإلى أثرها في نفس الزوجين وفى آلهما وفيما يرزقان من الولد فهي تسوق كل رجل الى طلب الازدواج بامرأة وكل امرأة إلى قبول الاتحاد مع رجل وهي التي تربط قلبيهما وتمزج نفسيهما وتوحد مصلحتيهما وتجعل الصلة بينهما أقوى من كل صلة بين اثنين فى هذا العالم حتى يسكن كل منهما الى الآخر عند كل اضطراب، ويأنس به ما لا يأنس بالأهل والاصحاب، وهي التي تنقل المودة منهما الى أهـل كل منهما حتى تكون كل عشيرة عوناً للاخرى على دفع مضار الحياة وجلب منافعها، وهي التي تربي عاطفة الرحمة فيهما بالتعاون على تربية الولد فتنمو هذه الرحمة فيهما حتى ينتفع بها من يعجز منهما عن مساعدة الآخر في الشؤون المشتركة لضعف أو عجز فيرى عاطفة الرحمة قد نابت عن عاطفة سكون النفس الى الإنتاج وعن الاحساس بالحاجة الى التعاون

لكن الانسان قد أعطي من القوى ما يمكنه من التصرف فى الميل الفطري فيحوله عن جادته ويسلك به المجاهل والشعاب فيضل ويردي، لذلك بغى الرجال على النساء في عصور لا يعرف التاريخ أولها واعتزوا عليهن بالقوة حتى ألزموهن بالكيد والمكر والكذب والخلابة والتصنع والدهان فأشقوهن وشقوا معهن في أنفسهم وفى أولادهم فساءت حالة البيوت، وساءت بها حالة الامم والشعوب، فجاء الدين مرشداً الى الرجوع بالفطرة الى جادتها، بل العناية بتكميلها وترقيتها، ثم بغى الناس فى الدين كما بغوا فى الفطرة حتى عميت علينا تعاليم اكثر الاديان، وحسبنا ما حفظناه من هداية القرآن،

يندفع الرجل لهضم حقوق المرأة بدافع الاحساس والشعور بقوته عليها وحاجتها اليه ودافع الاعتقاد بأنه سيدها وهي خادمته المسخرة أو متاعه المملوك. فأما الشعور

بالقوة فهو آلة البغي فى البشر ولولا أن للرجل شعوراً آخر بحاجته الى المرأة وميله اليها يعارض ذلك الشعور الدافع الى البغي عليها فيكسر من سورته لكان البلاء أعظم والشقاء أشد . وكان يجب عليه أن يجعل عقله مؤدباً للشعور الدافع الى الشر ومؤيداً للشعور السائق الى الحسنى لولا ما يعرض للعقل من الخطأ في الاعتقاد فيخرج به عن الصواب اذ يعتقد أن له الحق فى أن يعامل المرأة بما يسوقه اليه طبعه الفاسد ورأيه الباطل . ولا سعادة في الزوجية ولا للامة إلا اذا صح اعتقاد الرجال فعلموا أن المرأة هي شطر الحقيقة الانسانية والرجل هو الشطر الآخر وأنه يجب أن يكون كل منهما متمماً لعمل الآخر في الوجود فيما يشتركان فيه وعوناً له على ما تختلف فيه وظيفتهما مع ملاحظة جهة الوحدة كما تساعد احدى اليدين أختها وتتم كل من الرجلين سعي صاحبتها وكما يؤدي العقل وظيفة الفكر والقلب وظيفة الشعور والوجد وكما تسمع الاذن وتبصر العين والغرض من عمل كل عضو وأحد وهو مصلحة الشخص . فاذا قام بناء الزوجية على هذا الاساس كان بناء الامة ـ الذى يتألف من الازواج والافراد التي ينسلها الازواج لتكون أزواجاً فى البيوت متفرقة وأمة في البيوت مجتمعة ـ بناء محكما رصينا

اذا فسد الشعور القلبي والاعتقاد العقلي فى الامة فنقضت ما أبرمته الفطرة من ميثاق الزوجية حتى صارت المعاملة بين الازواج كالمعاملة بين التجار والصناع والاجراء يؤدي كل واحد من حقوق الآخر ما يمكنه من استخدامه مع ظلم القوي للضعيف ومكر الضعيف وخداعه للقوي فالواجب المبادرة إلى معالجة هذا المرض فان انتشاره في الامة وباء مجتاح، وخسران لا يرجى معه نجاح، لان من يضيع حقوق أشد الناس صلة به بل من كان متمما لمعناه وحقيقته ومسوقا هو الى حبه بمقتضى غريزته فكيف يرجى ان يقوم بحقوق من لا يتصل به الا بصلة بعيدة هي فرع تلك الصلة القريبة؟ واذا لم يقم كل فرد من الافراد بما عليه من الحقوق الخاصة والعامة فكيف تتكون الامة وتتحد على دفع الاذى، وتتعاون على المصالح حتى تبلغ المدى ؟

معالجة النفوس أعسر من معالجة الابدان ومعرفتها أغمض وأدق، والاحساس بالامراض الروحية أخفى من الاحساس بالامراض الجسدية، لذلك كانت الامراض الروحية في الافراد والجمعيات اكثر من الامراض البدنية

لا يتم علاج النفس المريضة الا باصلاح العقل والقلب معاً وذلك باقناع العقل بما تقدم الالماع اليه من معنى الزوجية ومكانة كل واحد من الزوجين من الآخر وبتربية شعور القلب ووجدانه تربية صحيحة مبنية على احترام ذلك المعنى وإكباره ليكون الوجدان مؤيداً للفكر والاعتقاد بأن تحقق معنى الزوجية وقيام كل من الزوجين بحقوقها من أركان السعادة التي لا تبنى إلا عليها . فأما تربية الكبير على ذلك فهي متعذرة أو متعسرة وأما إقناعه بذلك فهو سهل على العارف به ولكن فائدة العلم بغير إذعان النفس وشعور القلب قليلة الجدوى

إذا كان الناشئ على فساد الاخلاق وسوء الفعال لا يستطيع أن يقوّم من نفسه عوجها فيعامل زوجه بالحسنى التى هي أثر سكون النفس وحب القلب فهذا لا يدل على أن العلم بمعنى الزوجية والاقتناع بحقوقها لا يكون نافعاً بدون التربية على هذا العلم حتى يصير وجداناً وشعوراً فان العلم الصحيح ينازل الوجدان الفاسد ويبعث صاحبه على مقاومته بالتكلف حتى يزول إذا لم يكن راسخاً والاضعف أثره وحسنت الحال في الجملة ولذلك ترى حياة الزوجين العالمين الفاسدي الاخلاق اهنأ من حياة الجاهلين الفاسدين أو أقل شقاء ونغصاً . ذلك بأن العالمين يتحبب كل منهما إلى الآخر حتى يصير التكلف حباً أو تكون له أكثر ثمرات الحب وكذلك يتقي كل منهما ما يسيء قرينه بمقاومة طبعه ومغالبة ميله فتكون لهما صورة الحياة الطيبة وكثير من معناها . ثم ان الزوجين العارفين بمكان الزوجية ووجوب مساواة الزوجين فيما عدا رياسة المنزل وزعامة العشيرة يربيان من يرزقان من الولد على ذلك عسى أن يتم لهما في ولدهما ما فاتهما من السعادة في نفسهما . ولولا أن العلم يكون وسيلة للتربية النفسية التي يتحد بها القلب مع العقل لما رأيت مصلحاً يظهر فى الامة الفاسدة الاخلاق يدعوها الى التربية كما ترى في أمتنا الآن إذن نحن في حاجة الى العلم بمعنى الزوجية وحقوقها والشروط التي تتم بها حقيقتها

حسبنا في بيان معنى الزوجية وسرها تلك الآية التي صدرنا بها هذا المقال وفى حقوقها بعض الآية الذي يليها . تفيد الآية أن أركان هذه الحياة ثلاثة أولها سكون كل من الزوجين الى الآخر فان المراد بالانفس فى الآية الجنس والمراد بالزواج ما يعم الرجال والنساء . فالحكمة الاولى للزوجية أن يكون لكل من الزوجين وجود آخر من جنسه يسكن اليه من اضطرابه

ومثارات الاضطراب فى هذه الحياة كثيرة وأنواع المتاعب فيها غير معدودة وما اخترع الناس أنواع الملاهي واللعب الا ليقاوموها على أن اللعب شأن الاطفال لاشأن الرجال وان سكون الزوج الى زوجه وأنس الانسان بشقيق نفسه وروحه وشريكه في جميع شؤون حياته لما يذهب بكل اضطراب ويزيل كل وحشة اذا تحققت الزوجية بكمال معناها .

يقول المفسرون ان العلة فى أنس كل من الزوجين بالآخر الجنسية كما يعطيه ظاهر اللفظ فى قوله « وخلق منها زوجها ليسكن اليها » وهو صحيح عقلا وطبعا فقد خلق الله في كل من الزوجين الذكر والانثى جاذبا يجذبه الى الآخر لأجل ان تحد به وقد يكون هذا الجذب والانجذاب فى بعض أطوار العمر مهما لا يتصور صاحبه الغاية الفطرية من ذلك الاتحاد وهو أن ينشأ عنه وحدة أو وحدات أخرى من الجنس بل ولا مقدمة هذه الغاية أيضا . ولكن هذا التعليل لا يصدق على إطلاقه فى الوجود الخارجي كما يعقل فى الوجود الذهني لا مع كل زوجين ولا مع أكثر الازواج كما قيل فان الباحثين فى حياة البيوت يقولون إنه قلما يوجد زوجان سعيدان كل واحد منهما مغبوط بالآخر راض به يسكن اليه من اضطرابه ويصفيه حبه ووده ظاهرا وباطنا، على أن هذا هو غاية الكمال في سعادة الحياة الزوجية وأنى للاكثرين أو الأقلين بالكمال فى هذه الحياة .

والصواب أن أكثر الازواج فى البشر يسكن بعضهم الى بعض ويوده مهما كانت حالهم من فساد الفطرة وسوء الاخلاق والجهل بقيمة الطمأنينة والسكينة في الحياة ولكن لهؤلاء الأكثرين منغصات فى حياتهم هذه لها أسباب تختلف باختلاف البلاد والامم وباختلاف الأفراد في التربية والعلم والاخلاق والافكار واستقصاء هذا لا يكون الا في كتاب مستقل يكون فيه باب للازواج في القبائل البدوية وفي البلاد التي تقرب حال أهلها من حال البدو فى السذاجة وقلة الحاجة وتقارب النساء والرجال في الادب والمعرفة . وباب لاهل الحضارة العالية التي عم التعليم والتربية جميع أفرادها أو أكثرهم . وباب أوسع للبلاد المذبذبة التي بعدت عن سذاجة الفطرة ، ولم تصل الى شيء من كمال العلم والصنعة، كالبلاد الشرقية التي طاف بها طائف المدنية الغربية فزلزل أخلاقها وعاداتها وعقائدها وأفكارها الأولى ولم يبدلها بذلك الاخلاق الغربية وما يتبعها، فهذه البلاد أشقى بلاد الله تعالى وأبعدها عن سعادة الحياة الزوجية وما يتبعها فانك تجد أكثر الذين أصابهم هذا الزلزال في

حيرة من أمر الزواج قبل الاقدام عليه وبعد الوقوع فيه، ونحن الى الدخول في هذا الباب أحوج لاننا في بلاد الزلزال عائشون . ولأهله فى الأكثر مخاطبون وكاتبون ، ونكتفي منه فى هذا المقال ببيان طرق اختيار الزوج وما يكون من ورائه

اختيار الزوج : جرى العرف بأن يكون الرجل هو الذي يخير المرأة ويطلبها والاصل في الاختيار أن يكون للمصلحة وهي لاتتحقق الا بصحة الجسم والتناسب مع الرجل في الاخلاق والعادات والميل والرغبة والاتحاد أو التقارب في الصنف والطبقة لان النفس لاتسكن وترتاح لمن يباينها في صفاتها ويخالفها في عاداتها . ولكن الناس قلما يجرون على المصلحة الحقيقية فى أعمالهم الاختيارية لان اللذة عندهم ليس لها حدود طبيعية يقفون عندها وانما تعرف الحدود بالشرع والعقل والشرع يؤخذ بالتعلم والاقتداء، والعقل ينمو بالتجارب والاختبار لذلك تختلف الحدود في نظر الافراد وترى بعض الناس يبني اختياره على الهوى والميل الى الجمال ، وبعضهم يحكم المصلحة ويجعل مناطها الجاه والمال ، فالأصل في اختيار المرأة عند الأمم الجاهلة الفاسدة الاخلاق هو الحسن والجمال اتباعاً لهوى النفس المستلذ ، او الثروة والجاه إيثارا للمصلحة الموهومة

أكثر ما يقع التخير بالحسن أو الاستحسان من طائفتين (أولاهما) الشبان الاغرار الذين يتوهمون ان عاطفة الهوى لمن رأى احدهم فاستحسن وأحب تدوم فاذا هو اقترن بمن أحب كان له نشوة سرور دائمة فيعيش مغبوطا ناعم البال قرير العين يرى الملك ملكه والزمان غلامه وهيهات ما يتوهم ولكن أنى له ان يفهم ذلك وهو محكوم بشعوره ووجدانه تعبث به الخواطر وتقوده الاماني التي يوليها عليه ذلك الشعور . ثم أنى له أن يعرف سيرة الناس الذين سبقوه فى تحكيم الهوى واتباع لمحات العيون وطاعة هواجس النفوس فتزوجوا بمن استحسنوا وأحبوا ولم يلبث أن تحول الاستحسان استقباحاً، والحب العارض مقتا وبغضاء

الحسن والجمال من الاعراض التي يسرع اليها الزوال، ثم أن سلطانهما على القلب الواحد لا يدوم أو لا يطول الا اذا صار عشقا خياليا يخطف القلب من عالم الحس، ويزج به في عالم الخيال. وهذا الضرب من العشق لا يكون مع ملك الاستمتاع بالمحبوب. على ان هوى الاغرار لا يتقيد بالحسن الرائع، والجمال البارع. قل لهؤلاء الاغرار ليست تلك

العاطفة الرقيقة التي وجدتم ، عند إرسال الطرف الى الوجه الذي استملحتم ، هي أثرا طبيعيا لشيء ثابت في ذلك الوجه فتقولوا ان العلة تلازم المعلول بل هي شيء كامن في النفس تحركه وتهزه في أحد الصنفين رؤية الآخر في صورة تعجب وقد يضعف ذلك الشيء في وقت ما وقد تمل الصورة المحركة له او تعرض للعين صورة أخرى فتبطل حركتها وتنسخ آيتها ، فالاعتماد في هناء العيش وسعادة الزوجية على الاستملاح والاستحسان الذي تحدثه النظرة العجلى اعتماد على ركن غير شديد .

والطائفة الثانية هي طائفة المترفين الذين لاهم لهم الا الاستمتاع والتنقل في الشهوات واللذات وهم أعرق في البهيمية من الطائفة الاولى لان الشاب الغر الذي يكتفي في اختيار الزوج بلمحة طرفه وخفقة قلبه دون الوقوف على أخلاق من اعجب بصورتها وخفق قلبه عند رؤيتها ولا على سيرتها وسيرة اهلها وعشيرتها ليعرف المنبت والنبات — قد يتفق أن تكون الفتاة التي اختارها مشاكلة له في طبعه قريبة منه في أخلاقه وعاده فيعيش معها عيشة راضية وتسكن نفس كل منهما الى الآخر ويقيمان باقامة هذا الركن الاول ركني الزوجية الاخرين — المودة والرحمة — بحسب حالهما وطبقتهما في الأمة . واما المترفون الذواقون من الامراء واهل الثراء ومن تسري اليهم سمومهم ممن دونهم فهم اشقى الناس في بيوتهم وما اشقى نساءهم بهم . ذلك ان احدهم لا يلبث ان يمل من تزوج بها لحسنها او يستهويه حسن آخر فيهوي اليه وهكذا يتبع مواقع الحسن الجديد ويوغل في المحرمات فلا يكون زوجا حقيقيا للاولى ولا لغيرها وانما هو شقي بشهوته ومشق لمن يتصل به فان المرأة عنده اما ان تفسد كفساده فتكون من الذواقات وما أسهل ذلك على ذات الجمال البارع التي قلما يسلم مثلها مع تطلع الفساق المترفين اليها وافتتانها هي بنفسها ، واما ان تعيش في نكد ، وتظل في كبد ، وكلا الامرين شقاء للبيوت وشقاء للأمة — فهذا اجمال يكشف للمتفكر عن وجه الخطأ في جعل استحسان الصورة والاعجاب بالجسم اصلا لتخير المرأة زوجا ، واما جعله اصلا لتخير المرأة للرجل فذلك مما لا حاجة الى بيان فساده وخطأ الذاهب اليه

يقول قائلون ان النظر رسول القلب ، وان الاستحسان علة الحب ، والحب هو علة ذلك السكون الذي هو ركن السعادة وسر حقيقة الزوجية فان لم يكن عينه فهو علة

له او اثر من آثاره فما بالك تطلق القول في تخطئة من يحكم استحسان الصورة وميل القلب في الاختيار كأنك تؤيد عادة مسلمي المدن الذين يتزوجون غالبا على السماع ، غافلا عما يتبع هذه العادة من التنافر بين الزوجين لأول وهلة ، وما يرزآن به من الخصام والجفوة : ونقول اننا قد بينا ان استحسان الصورة وميل القلب الى ما يرضي العين مما لا بقاء له ولا ثبات لما يبنى عليه وانما البقاء والثبات للحب الذي علته تعارف الارواح ومشاكلة الطباع ولا ننكر مع هذا ان حسن الصورة وجمال الخلقة له اثر عظيم في نفوس عشاق المعاني ربما يفوق أثره في نفوس عشاق الصور ولكنه عندهم في الدرجة الثانية بل يقرب في ذوقهم من المحسنات العارضة كالثياب والحلي . فان سليم الطبع لا تسكن نفسه الى دوام معاشرة رث الثياب وسخها ويأنف طبعه من الطعام الطيب في الاناء الخبيث . وان من الناس من تشمئز نفسه وتنفر من بعض العيوب الخلقية فاذا هي فاجأته في وجه من اختير له زوجا يلابسه ويمازجه حتى يتحد معه اتم اتحاد يوشك ان تنكمش نفسه انكماشا يتعذر معه الالتحام والالتئام لذلك كان من السنة في الاسلام ان لا يتزوج المرء الا بعد الرؤية وما جرى عليه المسلمون في اكثر المدن او جميعها مخالف للفطرة والشريعة جميعا ولكن حكم العادات اقوى سلطانا على نفوس الجماهير من كل حكم يخالفه ،

على ان من يطلب الازدواج لاقامة سنة الفطرة ، لا لمجرد ارضاء الشهوة ، ولا لاجل التنقل في معاهد اللذة ، فقلما يخون الوصف رغبته فيما يحب من حسن الصورة وجمال الخلقة ، ولعلنا لو احصينا عدد الازواج الذين مقتوا أزواجهم استقباحا لصورهن لما وجدنا فرقا كبيرا بين من تزوج منهم عن رؤية ومن تزوج عن سماع فان للرؤية نظرا خادعا ليس معه للروية مجال . والسماع يتثبت فيه ويتروى حتى يغني عن النظر في كثير من الاحوال ،

ويقولون في انتقاد ما عليه أكثر مسلمي المدن من التشدد في الحجاب ان الحاجة الى رؤية الرجل من يريد الاقتران بها للوقوف على طباعها واخلاقها وعادها ، اشد منها لمعرفة حسنها وجمالها ، بل لابد لمعرفة الاخلاق والطباع من المعاشرة زمنا طويلا : ونقول ان هذا هو الذي يظهر بادي الرأي واما ما يظهر بعد التدقيق والتمحيص فهو

أنه يتعسر او يتعذر على الشاب ان يعرف حقيقه اخلاق الشابة وطباعها ورغائبها من المعاشرة بقصد الخطبة فان ما يتنازع الفتاة من ضروب الشعور والوجدان اذا كانت بمرأى من الفتى ومسمع يخرج بها عن حال الاعتدال الطبيعي الذي طبعت عليه فلا يكون الحكم عليها صحيحا لان حجابا طبيعيا اسدل على اخلاقها وسجاياها • ثم ان من وراء هذا الحجاب او من امامه حجابا آخر صناعيا وهو ما يكون من التكلف والتصنع لتكون أمام الفتى بالمظهر الذي تظن أنه يرضيه ويجذب قلبه ، فالعمدة إذن في معرفة الآداب والاخلاق هي الوقوف على حال المنبت والعشيرة وخبر الصادق الذي يحسن النقد ويميز بين ما يرغب فيه وما يرغب عنه • وقد يسهل على الخلطاء والجيران من العشائر ان يعرف فتيانهم اخلاق فتياتهم بالاختبار الصحيح اذا لم يكن هناك مقدمات ولا وسائل تشعر برغبة المختبر في تزوج من يلاحظ أحوالها ويتنقد أعمالها وقلما يكون هذا في المدن الا بين الأقربين . وحدثني السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله) ان أهل الاستانة اذا رضوا بالخاطب دعوه الى دارهم وجمعوا بينه وبين بنتهم في مجلسهم فيراها وتراه ويسمع كل حديث الآخر وتسأله عن آثاره الادبية والعلمية ثم يكون العقد بعد ذلك

وجملة القول ان الذين يعتمدون على مجرد استحسان الصور في تخير الازواج ضالون لا يرجى لهم أن يكونوا بيوتا (عائلات) تكون أعضاء حية عاملة لأمة عزيزة • وسيأتي بيان حال من يبني اختياره على طلب المال والثروة ثم من يبني اختياره على ما يجب ان يبنى عليه الاختيار وقد ذكر بعضه في هذه المقالة تمهيدا واستطرادا

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة . اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ التحكيم بين الزوجين في الشقاق ﴾

(س ٦) الشيخ محمد نجيب التونتاري المدرس بالمدرسة التونتارية (روسيا) :

أعرض على حضرتكم مسئلة كثرت البلوى بها في ديارنا مستفتيا من شريف علمكم مترقبا البيان الوافي بالمقصود في أحد أعداد المنار ليعم نفعه ويكثر أجره وهي : هل يوجد طريق شرعي من الكتاب والسنة للتفريق بين الزوجين عند طلب الزوجة له وامتناع الزوج عنه مع وقوع الشقاق بينهما ؟ واني راجعت كتب الحنفية الموجودة في أيدينا فوجدت أن قول امامنا أبي حنيفة (رض) عدم التفريق وقول الامام محمد (رض) التفريق اذا وجد في الزوج عيب غير متحمل وتقع الفرقة بمجرد اختيار الزوجة كما ذكره في كتاب الآثار وأما الامام مالك وأحمد والشافعي في أحد قوليه (رض) فمذهبهم التفريق بسبب عيب الزوج اذا كانت الزوجة تطلبه كما هو المنقول في كتبنا فاتفاق الأئمة سوى الامام أبي حنيفة يقوي القول بالتفريق فيكون العمل به أولى وأحوط . ثم اني بعد ما نظرت في قوله تعالى « وان خفتم شقاق بينهما » الآية ظهر لي باعانة التفاسير أنه عند وقوع الشقاق (الشقاق هو الخلاف والعداوة على ما ذكروه) بين الزوجين ينصب القاضي الحكمين العدلين ويوليهما أمر الجمع والتفريق كما هو المروي عن علي (رض) فهذان الحكمان بعد ما يطلعان على أحوال الزوجين يجتهدان في الاصلاح بينهما باعادتهما الى المعاشرة بالمعروف ان مكن وان لم يمكن ذلك فان كان النشوز من طرف الزوج فحكم الزوج يفرق الزوجة نيابة عنه على سبيل التطليق وان كان النشوز من طرف الزوجة فحكم الزوجة يفرقها على سبيل الخلع فكلا الامرين أي الجمع بالمعروف أو التفريق بالمعروف ينبغي أن يكون مرادا من الاصلاح المذكور في الآية . وأما الابقاء على حال الشقاق فليس هو من الاصلاح في شيء بل هو داخل في ضمن قوله تعالى « فتذروها كالمعلقة » الآية ومناف لقوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » الآية وقوله « فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا » الآية والحاصل أن الاصلاح انما هو لدفع الشقاق ولا يتصور ذلك الا بأحد الامرين أي بالجمع بالمعروف أو التفريق بالمعروف ففي الآية دلالة على كلا الامرين أي على ثبوت حق الجمع والتفريق للحكمين لتضمن معنى الاصلاح ذلك • هذا ما ظهر لي من تأمل الآية الكريمة ولا أدري أصواب أم خطأ . والمأمول من الاستاذ ايضاح هذه المسئلة وتطبيقها على الكتاب والسنة خدمة للدين والملة حتى يظهر الصواب في هذه المسئلة ولكم الاجر والمنة

(ج) ان الآية الكريمة صريحة في وجوب التحكيم بين الزوجين ان خيف شقاق بينهما لانه يجب ان يكونا شقيقين لامتشاقين ينضوي كل منهما الى شق (جانب) غير الشق الذي فيه الآخر ، ولا يجيز الاسلام للمسلمين أن يدعوهما يستبد أقواهما بأضعفهما والخطاب في الآية للحكام في قول وللمؤمنين في قول والقرآن يخاطب المؤمنين عامة في الامور العامة لأنهم المسيطرون على الحكام ولأن الحكم شورى بينهم فاذا قصر أميرهم في تنفيذ الشرع ألزموه به أو عزلوه ولو لاغيره فالقولان متلازمان . ويجب على كل من الزوجين قبول ما يحكم به الحكمان فمن أبى الخضوع ألزمه الحاكم المؤيد بجماعة المسلمين بقبول تنفيذ الشرع

وقد أخرج الشافعي في الأم والبيهقي في السنن وغيرهما عن عبيدة السلماني قال جاء رجل وامرأة الى علي كرم الله تعالى وجهه ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأمرهم أن يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين: تدريان ما عليكما؟ عليكما إن رأيتما أن تجمعا أن تجمعا وان رأيتما ان تفرقا ان تفرقا : قالت المرأة رضيت بكتاب الله تعالى بما عليّ فيه ولي وقال الرجل أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به : وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في هذه الآية : هذا في الرجل والمرأة إذا تفاسد الذي بينهما أمر الله تعالى ان يبعثوا رجلا صالحاً من اهل الرجل ورجلا مثله من اهل المرأة فينظران أيهما المسيء فان كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقسروه على النفقة وإن كانت المرأة هي المسيئة قسروها على زوجها ومنعوها النفقة فان اجتمع أمرهما على ان يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز فان رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره ذلك الآخر ثم مات أحدهما فان الذي رضي يرث الذي كره ولا يرث الكاره الراضي : وليس في قول ابن عباس (رض) شيء لايفهم من الآية الا مسألة الإرث بعد التفريق ويقول الاصوليون والمحدثون في مثل ذلك انه شيء لامجال للرأي فيه فله حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم .

وما قاله بعض الحنفية من ان نفوذ حكمها يتوقف على رضى الزوجين بالتحكيم أخذاً من قول علي للرجل : كذبت الخ غير وجيه لان معناه الإلزام بالاقرار

وبكونه لايصدق في الاتباع حتى يخضع له وهذا لاينافي إلزامه به كرهاً أن لم يرض طوعاً

قال في فتح البيان في مقاصد القرآن عند تفسير «إن يريدا اصلاحاً»: أى على الحكمين ان يسعيا في اصلاح ذات البين جهدهما فان قدرا على ذلك عملا عليه وان أعياهما اصلاح حالها ورأيا التفريق بينهما جاز لهما ذلك من دون امر من الحاكم في البلد ولا توكيل بالفرقة من الزوجين وبه قال مالك والاوزاعي واسحق وهو مروي عن عثمان وعلي وابن عباس والشعبي والنخعي والشافعي وحكاه ابن كثير عن الجمهور قالوا لان الله تعالى قال «فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها» وهذا نص من الله سبحانه انهما قاضيان لا وكيلان ولا شاهدان . وقال الكوفيون وعطاء وابن زيد والحكم وهو احد قولي الشافعي ان التفريق هو الي الامام او الحاكم في البلد لااليهما مالم يوكلهما الزوجان او يأمرهما الامام او الحاكم لانهما رسولان شاهدان فليس اليهما التفريق : ويرشد الى هذا قوله «ان يريدا» اي الحكمان «اصلاحاً يوفق الله بينهما» لاقتصاره على ذكر الاصلاح دون التفريق : اه

وانت ترى ان القول الاول هو المتبادر ويزيده قوة انه مروي عن اعلم الصحابة ولم يرو ان غيرهم منهم خالفهم فيه واما الاكتفاء في الآية بذكر الاصلاح فلأنه هو المطلوب الذي ينبغي الحرص عليه وعدم المصير الى غيره الا للضرورة والتفريق يؤخذ من المفهوم ولولا ذلك لم يقل به الصحابة والتابعون . على ان الساعي في الاصلاح لاحكم له فيسمى حكما . وقد كان المسلمون في الصدر الاول يعملون بهذه الآية على احد الوجهين في تفسيرها وقد تركوها في هذه الازمنة التي انفصمت فيها عروة الدين ، ونسخ الحكام المستبدون اكثر احكام الكتاب المبين، واهمل الناس العناية بأمر اخوانهم المسلمين ، ومن قدر على احياء هذه السنة كان له اجر المصلحين،

﴿ الارض ـ دليل حركتها من القرآن ﴾

(س ٧) ومنه: ثم أيها الاستاذ قد اوردتم في بعض اعداد المنار قوله تعالى «يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا» دليلا على دوران الارض ولكن لم يظهر لي وجه الاستدلال في ذلك وراجعت التفاسير ولم أجد مايشفي العلة فأرجو من فضلكم ايضاح ذلك أيضا في احد الأجزاء . وقد أورد الاستاذ العلامة المرحوم شهاب الدين المرجاني

القزاني (رح) دليلا على حركة الارض قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة » الآية وفصل ذلك وبسطه حتى لو نظر المتأمل فى ذلك يظهر له ان الآية واضحة الدلالة على المدعى. ذكر ذلك فى كتابه (وفية الاسلاف) والحاصل انه حمل المرور المذكور فى الآية على المرور فى الحال ولكن سائر المفسرين حملوه على المرور الاخروي على ماهو الظاهر من سوق الاية وفي آيات أخرى أيضا سير ان الجبال سيق لبيان السير الاخروي والمرجو من الاستاذ افادة ماهو الصواب فيه ايضا «

وقد ارسلت لكم مع هذا مقالة المرجاني فى ذلك نقلا عن كتابه (وفية الاسلاف « وتحية الاخلاف) وهو كتاب كبير في التاريخ ثمان مجلدات ضخام لم يطبع منها الا مقدمته وله تصانيف اخرى نافعة معمول بها فى بلادنا « وكان رحمه الله سنيا خالصا على مذهب السلف يتمسك بالكتاب والسنة في الاصول والفروع وهذه عبارته :

« ويدل على حركة الارض قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون » فانه خطاب لجناب الرسالة وايذان الامر له بالاصالة مع اشتراك غيره فى هذه الرؤية وحسبان جمود الجبال وثباتها على مكانها مع كونها متحركة فى الواقع بحركة الارض ودوام مرورها مر السحاب في سرعة السير والحركة وقوله « صنع الله » من المصادر المؤكدة لنفسها وهو مضمون الجملة السابقة يعني ان هذا المرور هو صنع الله كقوله تعالى : وعد الله وصبغة الله : ثم الصنع هو عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولا يسمى كل عمل صناعة ولا كل عامل صانعا حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وقوله « الذي أتقن كل شيء » كالبرهان على اتقانه والدليل على إحكام خلقته وتسوية مروره على ماينبغي لان اتقان كل شيء يتناول اتقانه فهو تثنية للمراد وتكرير له كقوله تعالى « ومن كفر فان الله غني عن العالمين » وقد اشتملت هذه الآية على وجوه من التأكيد وأنحاء المبالغة ومن ذلك تعبيره بالصنع الذي هو الفعل الجميل المتقن المشتمل على الحكمة واضافته اليه تعالى تعظيما له وتحقيقا لاتقانه وحسن أعماله ثم توصيفه سبحانه باتقان كل شيء ومن جملته هذا المرور ثم ايراده بالجملة الكلامية الدالة على دوام هذه الحالة واستمرارها مدى الدهور ثم التقييد بالحال لتدل على أنها لاتنفك عنها دائما فان قوله

تعالى « وهي تمر » حال عن المفعول به وهو الجبال، ومعمول لفعله الذي هو رؤيتها على تلك الحال، وعن هذا استدلوا على قصر عدد الحل الزائد على أصل الحل بوقوع قوله تعالى « مثنى وثلث ورباع » حالا من الفعل وعلى اشتراط اذن الامام في الجمعة لقوله عليه السلام « من تركها ولها امام عادل أو جائر فلا جمع الله شمله » وغير ذلك فهذه الآية صريحة في دلالتها على حركة الارض ومرور الجبال معها فى هذه النشأة وليس يمكن حملها على أن ذلك يقع فى النشأة الآخرة أو عند قيام الساعة وفساد العالم وخروجه عن متعاهد النظام وان حسبانها جامدة احساسها العدم تبين حركة كبار الاجرام اذا كانت في سمت واحد فان ذلك لايلائم المقصود من التهويل على ذلك التقدير على أن ذلك نقض واهدام ، وليس من صنع وإحكام ، والعجب من حذاق العلماء المفسرين عدم تعرضهم لهذا المعنى مع ظهوره واشتمال الكتب الحكمية على قول بعض القدماء به مع أنه أولى وأحق من تنزيل محتملات كتاب الله على القصص الواهية الاسرائيلية على ماشحنوا بها كتبهم وليس هذا بخارج عن قدرة الله تعالى ولا بعيد عن حكمته ولا القول به بمصادم للشريعة والعقيدة الحقة بعد ان تعتقد ان كل ذلك حادث بقدرة الله تعالى وارادته وخلقه بالاختيار كائنا ما كان وهو العلي الكبير وعلى ما يشاء قدير

« واعلم ان هذه الآية وما قبلها من قوله تعالى « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات يوقنون » اعتراض فى تضاعيف ماساقه من الايات الدالة على أحوال الحشر وأهوال القيمة كاعتراض توصية الانسان بوالديه فى تضاعيف قصة لقمان ومثل ذلك ليس بعزيز في القرآن وفائدته هنا التنبيه على سرعة تقضي الآجال ونصر الاماد والتهويل من هجوم ساعة الموت وقرب ورود الوقت المعاد فان انقضاء الازمان وتقضي الاوان انما هو بالحركة اليومية المارة على هذه السرعة المنطبقة على أحوال الانسان وهذا المرور وان لم يكن مبصرا محسوسا لكن ماينبعث منه من تبدل الاحوال بها بما يطروه من تعاقب الليل والنهار وغيره بمنزلة المحسوس المبصر « فاعتبروا ياأولي الابصار » فيكون هذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم مخصوصة به إذ لم يخبر به قبله غيره من الانبياء وليس يمكن حمل الآية على تسيير الجبال الواقع عند قيام الساعة ووفاء النشأة الآخرة اذ هو ليس من الصنع فى شيء بل افساد أحوال الكائنات واخلال نظام

العالم واهلاك بني آدم » اه وذكرناه بنصه ولعله لا يسلم من تحريف

(ج) قوله تعالى « يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا » ليس نصا قطعيا في حركة الارض ولكنه يدل على أن الليل الذي هو ظل الارض يسير مسرعا وراء النهار الذي هو نور الشمس الواقع على الارض حتى كأنه يطلبه بارادة واختيار ولا يخفى ان النظر الى تعاقب الليل والنهار يجيز لنا ان نقول ان كل واحد منهما يغشي الاخر ويتبعه أو يطلبه ولكن جعل الليل هو الغاشي كما يؤيده قوله تعالى « والليل اذا يغشى » يشعر بأن هذه الحركة التي يدور فيها الليل وراء النهار والنهار وراء الليل هي للأرض وذلك ان العقل جازم بأن ذلك لا بد أن يكون بسبب دوران الأرض تحت الشمس أو دوران الشمس وما يتبعها من الكواكب حول الأرض في هذا المدار الواسع الذي يبلغ نصف قطره بالنسبة الى الشمس اذا اعتبرنا الارض مركزا نحو ٥٢ مليونا من الاميال . وذكرنا أن مختار باشا الغازي وهو من أكبر علماء الفلك يقول ان الآية تدل على دوران الارض قطعا وذلك انه يجب حملها على أحد الوجهين المشار اليهما وأحدهما ممنوع بالادلة الرياضية وهو كون الشمس التي تدور في هذا الفلك الواسع حول الارض ويتبع ذلك ان كواكبها كذلك تدور حول الارض ومنها ماهو أبعد منها عن الارض كثيراً فيتعين الوجه الثاني وهو الذي قامت عليه الدلائل الرياضية على أنه أقرب الى العقل والتصور

وأما قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » الآية فقد استدل بها المعاصرون على حركة الارض وقد قرع هذا الاستدلال سمعي في المدرسة أيام التحصيل ولم يحسن أحد في توجيهه إحسان عالمكم القزاني رحمه الله تعالى فان جوابه عن ورود الآية في سياق الكلام عن قيام الساعة وأهوال الآخرة بأنه يصح ان يكون مرادا به البرهان بقياس النظير في العمران على النظير في الخراب جواب وجيه وما دعم قوله به من بيان معنى الصنع والاتقان، قد أحسن فيه الصنع كل الاحسان، لولا أنهم أجابوا عنه بأن الله تعالى أحسن الصنع واتقنه في تخريب العالم وتبديله، كما أحسنه في انشائه وتكوينه، فلكل وجه وليست الآية نصا في أحدهما ويؤيد قول الجمهور آيات ذكر فيها تسيير الجبال في معرض الكلام على الساعة . ولسنا في حاجة الى نصوص قاطعة تصف الاكوان بكل أوصافها، وتبين حقائقها وماهيتها، فحسبنا أن الله تعالى أرشدنا الى البحث وأمرنا بالنظر لنصل الى ما يمكن الوصول اليه مستدلين به على

علمه وحكمته وشمول قدرته سبحانه فالكتاب مرشد والبحث موصل وقد تركنا هذا النظر وصار فينا من يحرمه باسم الدين، وان ترك الدين بمخالفة كتابه المبين،

شهادة غير المسلم وخبره

(س ٨) ومنه: هل تقبل شهادة غير المسلم كالنصراني أو اليهودي في بعض الامور أم لا تقبل أصلا وشهد طبيب نصراني بأن الزوج ضرب زوجته ضرباً شديداً والمرض حصل بسبب ذلك . هكذا كتب الطبيب فهل يقبل قول هذا الطبيب ؟ وهل هذا القول شهادة أم خبر ؟ وما الفرق بين الشهادة والخبر ؟ أم هذا القول في حكم الكتاب فيعمل به من حيث هو كتاب ؟ هذا ما كنا نرجو شرحه من حضرتكم دام فضلكم وعم نفعكم وعلى الله أجركم

(ج) تقبل شهادة غير المسلم في بعض الامور وفي ذلك نزل قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم » وهي في سورة المائدة التي لا نسخ فيها فقد اخرج احمد من حديث جبير بن نفير عن عائشة قال دخلت على عائشة فقالت هل تقرأ سورة المائدة قلت نعم قالت فانها آخر سورة انزلت فما وجدتم فيها من حلال فأحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه : وروي البخاري في التاريخ وابو داود والترمذي وغيرهم من حديث ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء (١) فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا (٢) بذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدي ابن بداء فقام رجلان من اوليائه فحلفا لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهما قال ففيهم نزلت هذه الآية « يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم » : وروى ابو داود والدارقطني بسند قال الحافظ ابن حجر رجاله ثقات عن الشعبي إن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا (٣) ولم يجد احدا من المسلمين يشهده على

(١) الرجل السهمي اسمه بزيل (كزبير) لا بديل بالدال او الراء كما قيل وتميم وعدي كانا نصرانيين وقد سرقا الجام من متاع الرجل ولم يعلما انه كتب ورقة بجميع ما اودعهما (٢) المخوص بتشديد الواو المنقوش بما يشبه الخوص وهو مما يعنى به الآن في علب الفضة وآنيتها وما يوضع في رؤوس العصي منها (٣) هي بفتح الدال وضم القاف وسكون الواو والقصر بلد بين بغداد واربة

وصيته فأشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا الاشعري يعني اباموسى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعري هذا امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر ماخانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما:

ظاهر الآية والاحاديث مشروعية اشهاد غير المسلم وخصه من قال به من العلماء بالسفر وعدم وجود مسلمين ولا نعلم ان احدا قال بالاطلاق او بقياس غير السفر عليه عند الحاجة • وعظم على بعضهم جواز اشهاد غير المسلم وحاولوا التفصي منه فزعم بعضهم ان الآية يحتمل ان تكون منسوخة ورد بأن سورتها آخر القرآن نزولا وورد انه لا منسوخ فيها على ان النسخ لا يثبت بالاحتمال • وزعم بعض ان قوله تعالى « او آخران من غيركم » معناه من غير اقاربكم ورد بأن الخطاب في الآية للمؤمنين فغيرهم من ليس على دينهم • وقال بعض العلماء ان هذه الآية في غاية الاشكال • واحتج من لم يجز إشهاد غير المسلم ولم يقبل شهادته عليه بقوله تعالى «وأشهدوا ذوي عدل منكم» قالوا والكافر لا يكون عدلا : وقال الرازي في تفسيره «أجاب الاولون عنه لم لا يجوز ان يكون المراد بالعدل من كان عدلا في الاحتراز عن الكذب لا من كان عدلا في الدين والاعتقاد والدليل عليه انا أجمعنا على قبول شهادة أهل الاهواء والبدع مع أنهم ليسوا عدولا في مذاهبهم ولكنهم لما كانوا عدولا في الاحتراز عن الكذب قبلنا شهادتهم فكذا هنا • سلمنا ان الكافر ليس بعدل الا ان قوله «وأشهدوا ذوي عدل منكم» عام وقوله في هذه الآية «اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الارض» خاص فانه أوجب شهادة العدل الذي يكون منا في الحضر واكتفى بشهادة من لا يكون منا في السفر فهذه الآية خاصة والآية التي ذكرتموها عامة والخاص مقدم على العام لاسيما اذا كان الخاص متأخراً في النزول ولا شك أن سورة المائدة متأخرة فكان تقديم هذه الآية الخاصة على الآية العامة التي ذكرتموها واجبا بالاتفاق والله أعلم » اه

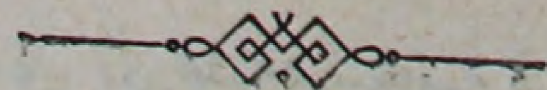
ولا شك ان المراد بعدل الشهود ماذكره أولا ومن عجيب أمر الجمود على المذهب والتعصب للتقليد أنه يجري صاحبه على سوء الادب مع الله تعالى ومن ذلك قول

بعضهم ان الآية تخالف القياس والاصول واي اصل لدين الاسلام غير القرآن فيحتمل عليه أو يرجع اليه • قال في نيل الاوطار : « وأما اعتلال من اعتل في ردها بأن الآية تخالف القياس والاصول لما فيها من قبول شهادة الكافر و••• و••• فقد أجاب عنها من قال به بأنه حكم بنفسه مستغن عن نظيره وقد قبلت شهادة الكافر في بعض المواضع كما في الطب » الخ

أما قبول قول الطبيب الكافر فقد قال به بعضهم على اطلاقه وقيده بعض الفقهاء في المرض المبيح للتيمم أو الفطر في رمضان بما اذا صدقه المريض أي يعمل بقوله اذا لم تقم قرينة او شبهة على انه كاذب • وكذلك الطبيب المسلم اذا قامت القرينة على كذبه لا يعمل بقوله

ثم ان من العلماء من يقول ان البينة هي كل ما يتبين به المطلوب حتى يعلم الحاكم مثلا ان الذى حصل هو كذا وقد أطال ابن القيم بيان هذا في كتابه (اعلام الموقعين) واحتج عليه بالكتاب والسنة • وعليه يقال اذا كان بعض الكافرين المعروفين بالصدق شهدوا في قضية شهادة تؤيدها القرائن بحيث يطمئن قلب القاضي وغيره بصحتها وافرض ان من جملة هذه القرائن انها ربما مستهم بضرر وان كتمانها ربما جر اليهم منفعة فان هذه الشهادة تعتبر على ما ذهب اليه ابن القيم بينة شرعية • على ان مذهب اصحابه الحنابلة تخصيص شهادة الكافر بمسألة الوصية كما ورد وبكون الشاهدين من اهل الكتاب ولو غير ذميين

واما الفرق بين الشهادة والخبر فالاصل في الشهادة ان تكون اخبارا عن مشاهدة ورؤية ثم انها تطلق على التحمل وعلى الأداء قال في كشاف اصطلاحات الفنون : « الشهادة بالفتح والهاء المخففة لغة خبر قاطع كما في القاموس وشرعاً إخبار بحق للغير على آخر عن يقين وذلك الخبر يسمى شاهداً : وقال في الكلام على هذه القيود : وقولنا عن يقين يخرج الاخبار الذى هو عن حسبان وتخمين : وكان ينبغي ان يقول الذى قد يكون عن حسبان وتخمين ثم زاد قيداً آخر عن فتح القدير وهو « في مجلس الحكم » •



رأي عالم أزهري في العلماء

تابع لماقبله

وقال فى فصل عنوانه حال العلماء اليوم ما نصه بحرفه ورسمه :

« ماذا أقول في هـذا الباب وماذا ينبغي ان أقول فيه والمقام حرج والحاجة الى الابانة شديدة . أأخشى سطوة الرؤساء وقيامة العلماء فأكتب من صحائف الاطراء ما تمزقه يد الشهود أم تأخـذني العزة بالاثم فلا أرضى أن أنسب لنفسي ولا لابناء جنسي ما حطنا وحقرنا فى هذا الوجود أم أسكت وأغالط شعوري واقول إني واحد من كثير ، أو اعلل نفسي بالقضاء والتقدير »

ربي أنت أعلم بحيرتي ودهشتي فانشلني من أحوال هذا الترديد ، وألهمني القول الرشيد ووفقني لما فيه الخير لي ولاهل ملتي يارب العالمين

تالله ان من أهم مايستلفت الانظار حال علمائنا اليوم وفائدة الامة منهـم فهم بحسب أصل الوضع المرجع الاعلى فى اصلاح شؤون الامم الاسلامية وغرس الملكات الدينية فى قلوب المسلمين ونشر العلم بينهم ودلالتهم على ما ينبغي أن يكونوا عليه فى أمري الدنيا والآخرة وايقافهم على قبح القبيح وحسن الحسن من الاخلاق والعادات والاقوال والافعال اذ هذا هو المقصد من افراد طائفة بالاشتغال بالعلم وتشييد دور واسعة لهم

ولـكن المطلع على حالنا اليوم لايدري هل المقصود من الاشتغال بالعـلم الديني هو هذا . أو المقصود أن يحوز الانسان مرتباً يقوم بضروريات معاشه فيكون العلم الديني من الحرف يقصد للتعيش أو المقصود أن يحوز شرفاً وجاهاً وصفة بين الناس لايحوزها إلا من يأدي الامتحان فيقال زكي نجيب حاز قصب السبق الى غـير ذلك من العبارات أو المقصود تكميل الفرق وتتميم الطوائف حتى لايكون المجتمع الاسلامي خالياً من فرقة تسمى (العلماء) تتميماً للنظام وان لم تنفع هـذا المجتمع بشيء يذكر . أو المقصود المحافظة على التقاليد الاولي والاحوال القديمة ولو بغير معنى . أو المقصود وجود فرقة تمثل تلك الفرقة العالية التي أقامت هيكل العلم الاسـلامي وشيدت له بيتاً من العز في العصور الاولى كما يكون في تشخيص رواية مثلا

ولا يعرف ايضا هل المقصود من العلم أن يعرفه الانسان وان كان لايلاحظه في خلقه وعاداته وعمله او لابد أن يظهر أثر علمه فى شخصه قبل غيره وهل الغرض ان يحصر

العلم بين جدران المدارس الدينية . او الغرض ان تكون المدارس كالشمس تنبعث منها الانوار في جميع أرجاء العالم ويكون لها أثر فى ترقي الامم الاسلامية مثل تأثير الشمس في انماء الزروع وانضاج الثمار واصلاح هذا الكون

على أني لا أريد أن أفيض فى بيان حال علمائنا وما هم عليه فـذلك شيء مؤلم وحسبي منه ما يعلمه الناس وما مست الحاجة لإبانته فى سابق هذا الكتاب ولاحقه ولكني أذكر من ذلك أمراً واحداً مهما هو علة العلل فى كل الاحوال . الاوانه مبدأ العلماء اليوم ومشربهم فأقول : ينقسم علماؤنا في مبدائهم الى قسمين ـ آخذين بالعادة ، وآخذين بالفكر ـ فأما الآخذون بالعادة فهم جمهور العلماء لايميلون الا لما وجدوا عليـه من قبلهم معتقدين أن الكمال فيه سواء فى ذلك علومهم ومعتقداتهم والكتب التي يدرسونها وطريقة التدريس والامور الشخصية وسائر الاحوال . والاكابر منهم أهل الكمال هم الممتازون بالصلاح والتقوى والنظر الى الآخرة أو بالتدقيق فى المباحث اللفظية والمعاني الخيالية ولـكن مع الجهـل بالشؤون العامة وأكثر العلوم الضرورية والاحوال العمومية ومع التلبس بكثير من المعتقدات الخرافية والاوهام العامية ومع الجمود والوقوف عند حد من الفكر والتعقل أدنى مماينبغي ومع الاقتصار من العلم على مالا يكفى ومع عدم النظر الى نشر العلم أو تقريبه من الفهم وعدم السعي فيما يصلح العامة وما يعود على الامـة بالترقي فى أمري الدنيا والآخرة ومع عـدم الجراءة فى شيء مماتنبغي الجراءة فيه ومع عدم الاهتمام بحال المسلمين ولا بمـا يطراء اليوم على الاسلام من أوجه الطعن وعدم الاكتراث باقناع المعترضين ورد الجادلين بل يكتفون من العلم بتدقيق في الالفاظ وتحقيق لبعض المعاني على ضرب خاص لايفيد الا بعد زمن مديد وجهد شديد

وأما الآخذون بالفكر فهم حديثو العهد ولم يزالوا قليلين جداً وهؤلاء يرون أن ما عليه الاولون غـير صواب وينتقدون عليهم فى علومهم وأخلاقهم وصـلاحهم وسائر أحوالهم ويرون الكمال فى أن يكون الانسان قوي الفكر شديد العارضة صحيح النظر فى الشؤون العامة ويعلم من علوم الكون ما يمكنه أن يرقي به الامـة ويوقفها فى صفوف الامم الحية ويخرجها من الاوهام وأسر الجهالة ويتغالون في ذلك

الا انهم مع هذا يثقون بأفكارهم ويستبدون بها ويحكمونها فيما لاينبغي أن تحكم فيه ويكرهون كل قديم ممـا عليه الجمهور مع عدم اعطاء تربية الملكة الدينية وما يتعلق بأمر الآخرة من العناية مثـل الذي أعطوه للامور المتقدمة بل مع اغفال مايقرب الانسان من الملاء الاعلى ويظهر عليه آثار العبودية

والذي أراه نقص المبدأين وعدم كمال الفريقين وان كلا منهما يبتعد عن الغاية التي ينبغي أن يصل اليها أهـل العلم بقدر مايقترب الآخر منهـا وان أجزاء الـكمال الواجب للعلماء موزعة عليهم لامجموعة وان كلا مصيب في شيء مخطيء في آخر . فان التمسك بالعادة قبيح كما ان الثقة بالفكر توقع الانسان في الخطاء من حيث لايشعر بل المبداء الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه أهل العقول الراجحة هو كما أقول (لاتقدس العادة ولا تثق بفكرك) بل تأمـل وتدبر فعسى أن يكون ما عليه الناس حقا خفي عليك وعسى أن يكون ما رأيته صواباً غفل عنه الناس . وما يتمسك به الاولون من الصـلاح والتقوى والانكسار والاقبال على أمر الاخرة والتحقق بالعبودية حسن ولكن في موضعه وعلى وجه لايأدي الى الاقتصار عليه وعدم القيام بالشؤون الواجبة على العالم من حيث هو عالم يلزمه أن يكون ذا نظر وسـعة اطلاع والمـام باخلاق الناس وأحوالهم وحسن بيان وعلم بمايلزم من علوم الاكوان ليمكنه ان يقوم بالواجب عليه للناس حق القيام ويكون لقومه شمساً مضيئة ولإعلاء كلمة الحق وقيام الناس على طريق الهدى سيفا ماضياً ومناراً عالياً فهذا واجب وهذا لازم ولهـذا وقت ولذاك وقت آخر . فالعالم اذا جن عليه الليل ذل وخشع وانكمش وانخلع عن هذا الكون الناقص وأقبل على الحق واقترب من ملكوت الله يسجد ويركع ويسبح ويقدس ويمجد الحق ويناجيه بما شاء حتى تتورم قدماه ويحل جسمه واذا أصبح أصبح شهماً جريئاً في موضع الجراءة والشهامة يعظ ويرشد ويعلم ويقول الحق ويهدي الى سواء السبيل يساير هذا ويجالس الى ذاك . ان استعمل الشدة في موضعها فمن غير عنف وان استعمل اللين فبغير ضعف لاتفوته شاردة ولا واردة مما يري فيه صلاح الامة في أمر دنياها وآخرتها فلقد قال الحق في اصحاب رسول الله (أشـداء على الكفار رحماء بينهم) وقد كانوا اذا رآهم راء في النهار ظنهم من قطاع الطريق يشنون الغارة

هنا ويعارضون عير قريش هنا وهكذا لاتأخذهم رأفة في دين الله فاذا اقبل الليل كان لهم ازيز كازيز النحل (*) يذكرون الله تعالي ويسبحونه آناء الليل وأطراف النهار لايفترون

وما يغلب على القسم الثاني من القيام باصلاح الامة وارشادها لى طريق سدادها وعدم إغفال الفكر مع الميل الى الترقي في العلوم والمعارف والاخلاق الخ حسن . ولكن على وجه لايعقل معه قوام الدين واساسه وهو ايجاد الروح الدينية العاليـة والتقرب من الملاء الاعلى وتعمير القلوب بالانوار الالهية والمعارف الوجدانية التي هي غاية الكمال لمرتبـة الانسان والتي تقرب من الحق جل وعلاء وأنت تجد اكثر القرآن انما جاء ليدعو الناس الى سعادة وراء هذه السعادة الدنيوية وكمال فوق هذا الـكمال الظاهر

هـذا ولا بأس ان استعين بالمقارنة والتمثيل بالائمة الحائزين لحصال الـكمال والمشهورين بأنواعها واقول ان العالم لابد ان يكون في جراءة وعقل وفكر وحسن بيان مثل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده وذل وتواضع وخشوع وصلاح فضيلة الاستاذ الشيخ الشربيني

بل اقول ان العالم الكامل لابد ان يكون في اقدام عمرو وحلم الاحنف وزكاء اياس وتقوى ووجدان الجنيد وبلاغة سحباز وعبد القاهر ونحو سيبويه وفلسفة ابن سينا وفقه ابي حنيفة الخ واقول ثالثاً ان العالم الكامل هو من يجمع من الكمال ماجمع الغزالي او يفوقه اويقرب منه واسأل الله الكريم ان يوجد بيننا علماء اقوياء كاملين يكون هذا حالهم وهكذا شأنهم انه سميع قريب مجيب . ا هـ بحروفه وغلطه وتحريفه

(المنار) هـذا هو اعتقاد احد المدرسين في الازهر بعلماء الازهر الذين يقول بعض الناس ان حفظ الدين يتوقف على بقائهم على حالهم . وان حديث الناس في مثل ما كتب هذا الشيخ الازهري كثير ولـكن لم تجرأ احد على كتابة مايعتقد اويسمع وطبعه ونشره بين الناس ولهذا كان لكتابه تأثير عظيم عند خواص الناس ورجا المخلصون

(*) المنار: الدوي هو صوت النحل وكذا صوت الذباب والريح وأما الازيز فإنه صوت المرجل (القدر) عند الغليان ويقال ايضاً أزيز الرعد

في حب الخير للمتهم أن يكون هذا المؤلف عضدا عظيما للإصلاح ولكنه ماعتم ان زلزل وجاءهم بنبذة نشرها في بعض الجرائد اليومية عنوانها (كتاب مفتوح) لأمير البلاد خالف فيها بعض رأيه في كتاب العلم والعلماء وكتب في بعض الجرائد ردٌّ عليه يشعر بأنه ما كتب هذا الكتاب المفتوح الا بتأثير لايقوى مثله على دفعه. وقد بلغنا ان من طلب منه كتابة الكتاب المفتوح هدده بمحو اسمه من ديوان العلماء والمدرسين اذا هو لم يكتب فصدق القول لان للمهدد اتصالا بمن يظن فيهم القدرة على المحو والاثبات. ولو ثبت على رأيه لكان خيرا له ولو محي اسمه من المدرسين. على ان محوه لم يكن ميسورا لأولئك المهددين ، وإننا نذكر أخانا المؤلف بأن المعتقدين مثله بحاجة الامة الى الاصلاح الديني والعلمي كثيرون ومنهم من هم أوسع نظرا وأبعد رأيا في طريق الاصلاح وانما يعوزهم العزم والثبات، وعدم المبالاة بما يلاقون من المعارضة والصعوبات، فان استطاع ان يكون كذلك فليقدم ولا يخف في الحق لومة لائم والا فليسكت ويسكن خيرا له من ان يكون كبعض أصحاب الجرائد يسير يوما على صراط المصلحين. ويوما على طرق المعارضين ،

آثار علمية أدبية

﴿ كليلة ودمنة ﴾

لهذا الكتاب من الشهرة مايغني عن التعريف به والتنويه بما فيه من الحكم الرائعة والآداب العالية في العبارة البليغة والاسلوب الرفيع . قلما يوجد كتاب مجيد في هذه اللغة لم يكن كتاب كليلة ودمنة من مادته وهو من الكتب التي عنيت نظارة المعارف في مصر بطبعها وأوجبت على تلامذة مدارسها مطالعته ليكون عونا لهم على تحصيل ملكة الانشاء والتحرير وليستفيدوا من آدابه وحكمه مايفيدهم في انفسهم كما يفيدهم بعبارته في أقلامهم وألسنتهم . وقد طبع غير مرة في مصر وبيروت وأوربا ولكن كل طبعاته عاطلة من حلي الصور التي وضعت في أصله لتمثيل مافيه من الحوادث والأمثال أو لأجل « زيادة الأنس للقلوب ، وشدة الحرص عن المكتوب ، » كما قال ابن المقفع مترجم الكتاب حتى عثر الشيخ أحمد طباره محرر جريدة ثمرات الفنون في بيروت حتى على نسخة خطية من الكتاب مزينة بالصور

في مكتبة الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق الشام كتب عليها ان نسخها قد تم في عاشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين بعد الالف على يد أبي المنا بن نسيم النقاش ، وعدد الصور فيها ٨٦ فأخذ النسخة وكلف بعض مهرة الصناع الاوربيين بنقلها الى الزنك ليطبع عنها فجاءت كأصلها وطبع الكتاب بالصور واضعا كل صورة في مكانها من الأصل . وقد عني بمقابلة هذه النسخة على النسخة المطبوعة في باريس سنة ١٨١٦م والنسخة المطبوعة في مصر سنة ١٢٩٧ هـ والنسخ المطبوعة في بيروت قال، واخترت منها ماكان أقربها من الأصل وأبعدها عن التحريف والتبديل وأسلمها من الزيادة والنقصان ، ولهذه الصور فائدة تاريخية لأنها تمثل لنا أزياء تلك العصور الذي وضع فيها الفيلسوف الهندي كتابه وشيئاً من عاداتهم وفائدة صناعية من حيث فن الرسم والتصوير، والقارئ يرى ان هذه النسخة أحسن نسخ الكتاب وهي مشكولة ومضبوطة وثمن النسخة منها عشرة قروش صحيحة واجرة البريد قرشان وتطلب من إدارة المنار بمصر

﴿ جواب أهل الايمان في تفاضل آي القرآن ﴾

سئل شيخ الاسلام أبو العباس أحمد تقي الدين بن تيمية الشهير عما ورد في الحديث من أن سورة « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن وعما ورد في سور أخرى من التفضيل فأجاب بجواب مطول فيه فوائد كثيرة لاتوجد في غيره وطبع في هذه الأيام فكان كتابا مؤلفا من ١٣٢ صفحة ومن مباحث الكتاب بيان معنى المعادلة والتفاضل في القرآن وما ورد في الفاتحة وأحكام المذاهب في قراءتها في الصلاة، وبيان كون قصة موسى أعظم قصص الأنبياء في القرآن، وبيان سبب عدم تكرير قصة يوسف وغير ذلك من الكلام في قصص الانبياء ومنها مباحث في القرآن وكونه غير مخلوق وفي النسخ ومباحث في التوحيد والاعتقاد والتفسير . وقد طبع على نفقة الشيخ عبد الرحمن زين الدار الحلبي فجزاه الله خيرا

(خطب الاعظمي)

قرظنا في الجزء الرابع والعشرين من المجلد السابع ماطبع من هذه الخطب وانتقدنا على الخطيب الشدة في التعبير في بعض المواضع لعلمنا بأنها تهيج عليه بعض الجامدين على ماهم عليه الزاعمين ان كتمان عيوب الامة والسكوت على ماوصلت من الانحطاط واجب لئلا يطلع الاجانب على نقصنا فيحتقرونا أولانه لايصح ان نبين ان المسلمين الآن منحطون

عن الكافرين ولغير ذلك من الشبه الواهية ، وقد وقع ذلك من بعض أهل الجمود في الهند وأما الذين اطلعوا على نموذج الخطب في مصر فلم نسمع عنهم انتقادا لانهم تعودوا على سماع وقراءة أمثال هذه الزواجر وانني لا أدري أي القطرين أشد جمودا على الحال السيئة التي وصل اليها المسلمون — القطر المصري أم القطر الهندي ولكنني أعلم ان في كل منهما أنصاراً كثيرين لمن ينادي بالاصلاح ويندد بالتقاليد والعادات الضارة في أمر الدين وأمر الدنيا مهما اغلظ وشدد . ومن يقل منهم بوجوب إلانة القول فانما يريد الرفق بأهل الجمود لعلهم يجذبون الى الحق بسهولة ولا يريد أن الشدة في غير محلها أو غير نافعة . واحسن القول عند طلاب الاصلاح ما كان تأليفاً بين المسلمين ، وهو اقبحه عند الجامدين، كما ترى فيما يلي :

﴿ أهل السنة والشيعة ﴾

ان العلماء الراسخين من هاتين الطائفتين لا يقولون بأن مخالفهم في المذهب كافر خارج من الملة وأهل السنة يذكرون في كتب العقائد أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة وان أتى بشيء مما يعدونه كفرا متأولا فيه . ولا شك أن الشيعة يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ويشهدون أن لا إله الا الله وان محمدا رسول الله وأن كل ما جاء به من أمر الدين حق ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت من استطاع منهم اليه سبيلا ومع هذا كله تجد من المتعصبين الذين يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة من يحكم بكفرهم وأهل السنة والجماعة أحرص على الجمع بين أهل القبلة منهم على التفريق ومن القواعد عند بعض فقهائهم — وحبذا هذه القاعدة — انه اذا وجد مئة قول صحيح في تكفير مسلم بقول أو عمل او اعتقاد وقول واحد ضعيف بعدم تكفيره فالواجب ان يفتى بالقول الضعيف

لهذا نتعجب أشد التعجب مما بلغنا عن بعض المشايخ المتفقهين في الهند أنهم كفروا الشيخ عبد الحق الاعظمي لانه عبر في خطبة له عن الشيعة بقوله « اخواننا » وقد يوجد في مصر من يطلق هذه الكلمة على النصارى أو اليهود ولا يكفره أحد للعلم بأنه يعني بلفظ الاخوان اخوة الانسانية لا اخوة الدين ولا وجه لتكفيره الا اذا علم أنه يعتقد ان عقائد النصارى وعباداتهم هي عين عقائد الاسلام وأنها حق ومرضية عند

الله تعالى مثلها لانه بذلك يكون مكذبا للقرآن ، وخارجا خروجا حقيقيا عما جاء به النبي من أصول الايمان ، وأما اذا أراد مجرد المجاملة كما يجاملوننا بمثل هذا اللفظ ولا يعنون به اننا على الحق من غير ملاحظة أمر الدين ولا أمر اخوة الانسانية فانه لا يحكم بكفره مادام يعتقد ان دينه هو الحق ولا ينكر شيئاً من أصوله المجمع عليها المعلوم بالضرورة انها منه

يظن هؤلاء الشيوخ الغافلون المغرورون بخضوع العوام لاقوالهم من غير دليل ولا برهان أن الاغلاظ على المخالف لمذاهبهم والغلو في عداوته من أسباب تأييد الاسلام وأهله وخذلان الكفر وحزبه والبدعة وفرقها والحق الذي لا مرية فيه هو ان الغلو في الخلاف والعنف في المقاومة هو الذي يغري كل ذي رأي او مذهب او دين بالتعصب فيه والجمود عليه والدفاع عنه من غير تأمل في كونه حقاً او باطلا بل لمجرد مقاومة المخالفين وبذلك تكون الخسارة على صاحب الحق من المختلفين لانه لولا الغلظة والتعصب لنظر كل فريق فيما عند المخالف له نظر انصاف والانصاف اقوى اعوان الحق وانصاره ولو جرت القرون الاولى بالاسلام على طريق الغلظة والشدة في مقاومة المخالف ومجادلته لما انتشر في الخافقين ذلك الانتشار السريع

هؤلاء الشيوخ الغالون في التعصب على كل من يخالف آراءهم او آراء شيوخهم في مذاهبهم اعدى اعداء الجماعة والسنة . لانهم اقدر من غيرهم على تفريق الكلمة ، فهم يهدمون بناء الوحدة الاسلامية في حزب المحافظين على القديم بشبهة تأييد المذاهب ، ومن ورائهم المتفرنجون يهدمونه بشبهة تأييد الوطنية . فالهدم واقع على بناء الاسلام من داخله ومن خارجه ولا نصير له الا فئة تحاول الجمع والتأليف بحمل اهل المذاهب المختلفة على تحكيم الكتاب العزيز والسنة المتواترة فيما شجر بينهم وان يعذر كل فريق منهم الآخر فيما وراء ذلك من الأمور التي فيها للنظر والاجتهاد مجال ، وباقناع المتعصبين للوطنية بأن الاتحاد على عمارة الأوطان ، لا يقطع الاخوة بين اهل الاسلام والايمان ، فنسأل الله تعالى ان ينصر هذا الحزب ويؤيده على اعداء انفسهم واعداء ملتهم بأن يوفقهم للدخول في السلم كافة واجتناب خطوات الشيطان الرجيم

(مناظرة متى ابن يونس وأبي سعيد السيرافي)

كان بين متى ابن يونس المنطقي وابي سعيد السيرافي النحوي مناظرة في المفاضلة

بين المنطق والنحو وكان الفلج فيها لأبي سعيد في محفل حافل بالعلماء والفضلاء فأدلى بحجه على ان النحو قد يغني عن المنطق وان المنطق لا يغني عن النحو ولا شك ان متى قد عجز عن بيان فائدة المنطق وان بعض ما قاله أبو سعيد في حجاجه لا يخلو من المغالطة ولكنه في بلاغته وقوة عارضته قد اختلب خصمه الذي كان عييا حصرا لا يقدر ان يبين ما يعلم حق البيان • والمناظرة من رواية أبي حيان التوحيدي وهي بعبارة انتهت اليها البلاغة وبراعة الاسلوب • وقد عني بطبعها صاحبنا الدكتور مرجليوث الانكليزي المستشرق الاستاذ بمدرسة اكسفورد الجامعة وطبع معها ترجمتها بالانكليزية له والطبعة العربية لا تخلو من تحريف قليل يعرف اكثره مما وضع في الهامش من اختلاف النسخ فنثني على همة الدكتور لعنايته بخدمة لغتنا ثناء حسنا

(الهدى) مجلة إسلامية علمية أدبية عمرانية إصلاحية تصدر في غرة كل شهر عربي لمديرها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير المجلة المدرسية وقد صدر الجزء الاول منها في غرة المحرم الماضي في ٢٨ صفحة كبيرة وفيها بعد فاتحة المجلة وبيان مناهجها • دعوة شريفة يخاطب بها الكاتب علماء هذه الأمة بوجوب مقاومة البدع الفاشية، وجمع كلمة الأمة المتفرقة، ومقالة في آراء حكماء العرب في المعدن والنبات والحيوان والانسان ومقالة في العلوم الاجتماعية لأحد طلبة مدرسة الحقوق ونبذة عن مسلمي القزان، وخطرات في الاصلاح، وقصائد لبعض شعراء العصر . وقيمة الاشتراك فيها للمصريين ٤٠ ولغيرهم ١٢ فرنكا فنتمنى لهذه المجلة التوفيق والثبات

(الصحافة) جريدة أسبوعية تصدر في القاهرة لصاحبها ومحررها مصطفى أفندي توفيق الجراحي مؤلفة من ثمان صفحات بشكل الجريدة الرسمية وتطبع على ورق جيد وهي من أحسن الجرائد الاسبوعية بمصر نزاهة واعتدالا وقيمة الاشتراك فيها ٧٠ قرشا في مصر و٢٢ فرنكا في غيرها فنتمنى لها التوفيق والنجاح

(الهجرة) جريدة أسبوعية تصدر في طنطا لصاحبها ومدير سياستها عبد الرحمن أفندي الذهبي وهي كسابقتها في مقدمة الجرائد الاسبوعية موضوعاً على حداثة عهدهما وقد قرأنا فيها مقالات مفيدة ولكننا نحب ان يعنى بتصحيحها فيما يأتي أكثر من العناية به فيما مضى • وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش في القطر المصري و ٣٠ فرنكا في سائر الاقطار فنتمنى لها الثبات والانتشار

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

كتب أحد المهندسين في القاهرة الى مفتي الديار المصرية كتابا قال فيه بعد رسم الخطاب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — اما بعد فاني شاب مسلم مصري الجنس تعلمت في مدارس الحكومة وحصلت على الشهادات النهائية التي أهلتني ان اشتغل بوظيفة مهندس الآن وطالما ألهاني الشباب عن تأدية الفرائض الدينية حينا من الدهر لامر يعلمه الله، لما ان من الله سبحانه وتعالى علي بالهداية وهداني الى الصراط المستقيم قدمت لحضرتكم هذا الخطاب بصفتكم أول عالم عامل بمصر كما اعلمه ويعلمه اخواني جميعا تحبون إزالة النقائص التي يقوم بها اخوانا في الاسلام سواء في القرى أو البنادر التابعة لحكومتنا المصرية التي لم تزل للآن ممتعة بحرية الاسلام وتلك النقائص كثيرة جداً أهمها زيارة الاضرحة . الخطابة يوم الجمعة بالمساجد . النذور . الاذكار

(١) زيارة الاضرحة — تعلمون فضيلتكم ان تسعة وتسعين في المائة من مسلمي القطر يعتقدون ان ساكن الضريح له اليد الطولى في شفاء الامراض وتسهيل الأرزاق بل قد أشركوه مع الله سبحانه وتعالى في العمل مع انه بريء من ذلك وانه لم يكن الا مخلوقا ممتثلا أطاع الله وعمل بشرائعه في دنياه فاكرمه الله في أخراه واني واثق ان فضيلتكم تعلمون ذلك وسمعتم بالطلبات التي تقدم لساكن الضريح بل قد تطرفوا فانتقلوا من زيارة صاحب الضريح الى التبرك بالمقصورة او التابوت او عتبة مدخل الضريح الامر الذي يقضي فيما بعد بتغير العقائد الدينية (٢) الخطبة يوم الجمعة — قد رأيت اغلب خطباء المساجد ليست عندهم مقدرة تامة على أداء وظيفة الخطابة بدرجة تؤهلهم ان يبثوا في أفكار المصلين ما يلزم اتباعه وما لا يلزم شأن كل خطيب في الزمن السابق بل انهم جعلوا الخطبة محفوظة حفظوها حفظا وربما لا توافق الزمن الذي نحن فيه لان فائدة الخطابة حض المصلين على ترك ما لا يوافق الشريعة ويأتي الخطيب بأحاديث تزجر المصلين عن ذلك بل ان بعض الخطبا يعلو المنبر ويبتدي بالخطبة وينتهي منها ولا يسمع له صوت الا في الصف الاول وربما لا يتعدى الصف الثاني فاذا رأيتم عمل تعديل في مشايخ المساجد وترك مسئلة الوراثة واستحضار خطباء من المتخرجين من مدرسة دار العلوم يكون أليق بالاسلام والمسلمين وتكونوا قد وفيتم الدين حقه وجاهدتم الجهاد المفروض على كل مسلم (٣) أرى لكل ضريح صندوقا مخصوصا للنذور وما يجمع في هذا الصندوق من فقير أو غني جاهل أو عاقل يوزع

فى آخر السنة على خدمة الضريح وترون فضيلتكم ان أغلب خدمة الاضرحة هم أناس ذوو ميسرة عن غيرهم خصوصا في هذا الوقت الذي عم فيه جهل الزائرين فاذا وافقتم على أن يعطى ما يجمع في تلك الصناديق لديوان الاوقاف كي يصرفه في أعماله الخيرية التي يعم نفعها أو يسلم للجمعية الخيرية الاسلامية كي تستعين به على إنشاء المدارس وتربية الايتام وعلى أن تنظروا في حالة الخدمة المستحقين الذين ليس عندهم عقارات أو أطيان وتزيدوا مرتباتهم حتى يمكنهم التعيش منها وعلى وضع مبشرين من المتخرجين من مدرسة دار العلوم بالاضرحة كي يرشدوا الزائرين الى حقيقة الزيارة وفوائدها فبهذا تثابون من الله ثواب الدنيا والآخرة

(٤) الاذكار التي تقام في البلدان أرى أنها مخالفة للشريعة فاذا رأيتم وضع عقاب صارم لكل شخص يحدث منه تهكم أو نقص فيها يكون أوفق والله يهديكم ويوفقكم لفعل الخير لاخواننا المسلمين جميعا وفى الختام أقدم لجنابكم احترامي لمقامكم العلمي اهـ

(المنار) اطلعنا على هذا الكتاب فنشرناه لعلمنا انه كما قال كاتبه صدى رأي كثيرين من المهندسين وغيرهم والشكوى من هذه البدع والتقاليد قد كثرت فى هذه البلاد بكثرة المتعلمين المميزين • وأما المخاطب به وهو الشيخ محمد عبده فقد بذل جهده في مقاومة البدع بالارشاد فى دروسه العامة ومجالسه الخاصة حيث كان وقد سعى لاصلاح حال المساجد وما يتبعها من الاضرحة بالفعل فوضع لذلك تقريره المشهور الذي اقترح فيه على ديوان الاوقاف ان يجعل خطباء المساجد وأئمتها من العلماء المدرسين وان يكون التفاضل بينهم بالامتحان وغير ذلك من الاقتراحات الاصلاحية التي تحيي العلم والدين وبعد ان اقره المجلس الأعلى وكاد يشرع فى تنفيذه عرض ما اوقف التنفيذ كما ذكرت ذلك بعض الجرائد من نحو سنة وذكرناه ايضا . ولما كان هذا الرجل هو الذي انبرى لمثل هذه الخدم دون غيره من العلماء الذين وجد فيهم من يسعى لابطال خدمته للاسلام فالواجب على هذا الكاتب وعلى من على رأيه من اخوانه المسلمين ان يكتبوا بمثل هذه الكتابة الى شيخ الجامع الازهر طالبين منه ان يكلف طائفة من العلماء بأن يسعوا معه فى المطالبة بتنفيذ لائحة المساجد والاضرحة وبابطال هذه البدع الفاشية فى معاهد الدين واعماله وما كان له وجه شرعي من هذه الاعمال التي يستنكرها الكاتب وامثاله فليبينوه لهم بدليله من الكتاب والسنة واقوال الائمة دون اقوال المقلدين ليكونوا على بصيرة من دينهم ومتى قام بالدعوة جماعة من العلماء رجي من النجاح ما لا يرجى من الواحد ولهذا قال تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة ١٦ صفر سنة ١٣٢٣ — ٢١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢١٨ : ٢١٥) يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ : قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ *

نقلنا فى تفسير قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » الخ أن ما تقدم من أول السورة الى تلك الآية كان فى القرآن والرسالة وان تلك الآية وما بعدها الى قوله تعالى « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم » فى سرد الاحكام العملية . ثم أشرنا الى هذا بعد ذلك وقلنا انه لا حاجة الى التناسب بين كل آية وما يتصل بها وكذلك نقول هنا لا سيما اذا كانت الاحكام المسرودة أجوبة لأسئلة وردت أو كان من

شأنها أن ترد للحاجة الى معرفة حكمها . على أن ما تقدم من بيان التحام آيات القرآن والتئامها غريب حتى فى سرد الاحكام التي يظهر بادي الرأي أن لاتناسب بينها . فقوله تعالى (يسئلونك ماذا ينفقون) الخ متصل بما قبله فى المغزى فان الآيات السابقة دلت على أن حب الناس لزينة الحياة الدنيا هو الذي أغراهم بالشقاق والخلاف وان أهل الحق والدين هم الذين يتحملون البأساء والضراء في سبيل الله وابتغاء مرضاته ومنها ما يصيبهم فى أنفسهم وأموالهم وذلك مما يرغب الانسان فى الانفاق فى سبيل الله وبذل المال كبذل النفس كلاهما من آيات الايمان فكان السامع لما تقدم تتوجه نفسه الى البذل فيسأل عن طريقه فجاء بعده السؤال مقرونا بالجواب

وقد ورد فى أسباب النزول ان السؤال وقع بالفعل . أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال سأل المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يضعون أموالهم فنزلت الآية . وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان أن عمرو ابن الجموح سأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت . قال بعض المفسرين ان هذا من رواية أبي صالح عن ابن عباس وقال غيره انها من رواية الكلبي عنه وهي واحدة قالوا انها أوهى الروايات عنه . وعن عطاء عنه انها نزلت فى رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي دينارا فقال « انفقه على نفسك » قال ان لي دينارين قال « أنفقهما على أهلك » قال ان لي ثلاثة قال « أنفقها على خادمك » قال ان لي أربعة قال « انفقها على والديك » قال ان لي خمسة قال « أنفقها على قرابتك » قال ان لي ستة قال « أنفقها في سبيل الله تعالى » هكذا أورد الحديث بعض المفسرين وهو عند أحمد والنسائي من حديث أبي هريرة بسياق آخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

« تصدقوا » فقال رجل عندي دينار قال « تصدق به على نفسك » قال عندي دينار آخر قال « تصدق به على زوجتك » قال عندي دينار آخر قال « تصدق به على ولدك » قال عندي دينار آخر قال « تصدق به على خادمك » قال عندي دينار اخر « أنت أبصر به » ورواه أبو داود ولكنه قدم الولد على الزوجة . ورواه أيضا الشافعي وابن حبان والحاكم ولم يذكروا ان ذلك كان سبب نزول الآية

وقد زعم كثير من المفسرين أن الجواب غير مطابق للسؤال لأنه بيان لمن ينفق عليه لا لما ينفق وخرجوها على اسلوب الحكيم كأنه قال انه ينبغي السؤال عمن ينفق عليه لا عن جنس ماينفق أو نوعه وليس ما قالوا بصواب فان جعل السؤال بما خاصا بالسؤال عن الماهية والحقيقة من اصطلاح علماء المنطق لا من أساليب العربية . قال الاستاذ الامام ليس المراد السؤال عن جنس ماينفق أو نوعه من ذهب أو فضة أو بر أو شعيرا وانما السؤال عن كيفية الانفاق وتوجيهه الى الأحق به وذلك مفهوم لكل عربي وليس أسلوب القرآن جاريا على مذهب ارسطو في منطقه وانما هو بلسان عربي مبين . وسبق القفال الى بيان ذلك فقال انه وان كان السؤال واردا بلفظ « ما » الا أن المقصود السؤال عن الكيفية لانهم كانوا عالمين ان الذي أمروا به إنفاق مال يخرج قربة الى الله تعالى واذا كان هذا معلوما لم ينصرف الوهم الى أن ذلك المال أي شيء هو واذا خرج هذا عن أن يكون مرادا تعين ان المطلوب بالسؤال أن مصرفه أي شيء هو . حينئذ يكون الجواب مطابقا للسؤال ونظيره قوله تعالى « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ان البقر تشابه علينا وإنا ان شاء الله لمهتدون * قال انه يقول انها

بقرة لاذلول » الخ وانما كان هذا الجواب موافقا لذلك السؤال لأنه كان من المعلوم ان البقرة هي البهيمة التي نشأتها وصفتها كذا فقوله « ماهي » لايمكن حمله على طلب الماهية فتعين أن يكون المراد منه طلب الصفة التي بها تتميز تلك البقرة عن غيرها فبهذا الطريق قلنا ان ذلك الجواب مطابق لذلك السؤال فكذا ههنا لما علمنا أنهم كانوا عالمين بأن الذي أمروا بإنفاقه ما هو وجب أن يقطع بأن مرادهم من قولهم « ماذا ينفقون » ليس هو طلب الماهية بل طلب المصرف فلهذا حسن هذا الجواب : اه

وقيل ان السؤال كان عن الامرين - ماينفق وأين ينفق كما فى بعض الروايات فذكر فى إيراده عنهم الاول وحذف الثاني للعلم به ودلالة الجواب عليه فانه ذكر فيه الامرين وهو قوله تعالى (قل ما أنفقتم من خير) وهذا هو المنفق والخير هو المال وتقدم في تفسير «ان ترك خيرا الوصية للوالدين» ان الاكثرين قيدوه بالكثير ولكن قوله هنا من خير يعم القليل والكثير. وقال بعضهم ان التعبير عن المال بالخير يتضمن كونه حلالا فكأنه قال ان الإنفاق والتصدق يكون من فضل المال الكثير الحلال الطيب . وأما بيان المصرف فهو قوله (فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) قدم الوالدين لمكانتهما وفسروا الاقربين بالاولاد وأولادهم ولاشك أن أقرب الناس الى المرء أولاده ان وجدوا والا كان أقربهم اليه بعد والديه أخوته وما اختير لفظ الأقربين هنا الا لبيان ان العلة في التقديم القرابة فمن كان أقرب كان أحق بالتقديم . وكأن الذين حملوا لفظ الاقربين على الاولاد خاصة أراد واجعل الآية للنفقة الواجبة في الفقه وهي تجب للوالدين والاولاد عند الحاجة بالاجماع والنفقة فى الآية أعم وهؤلاء ليتامى والمساكين لايجب على فرد معين من

المكلفين الانفاق على يتيم أومسكين معين منهم من حيث انه يتيم أو مسكين ولكنهم أحق بالصدقة المفروضة والمندوبة بعد الاقربين فالآية عامة فى النفقة وأحق الناس بها . ومن أغرب ما قيل فيها زعم بعضهم أنها منسوخة بآية المواريث كأنها اشتبهت عليهم بآية الوصية للوالدين والاقربين على أن دعوى النسخ هناك لم تسلم لهم فكيف بها هنا وقد ردها عليهم الجماهير :

ثم قال تعالى (وما تفعلوا من خير) كالانفاق في موضعه بتقديم الاحق فالاحق به ممن ذكر وهو ما يوجد فى كل زمان ومكان وممن لم يذكر فى هذه الآية وذكر فى غيرها كالرجل تعرض له الحاجة فتدفعه الى السؤال - لا من يتخذ السؤال حرفة وهو قادر على الكسب وكالمكاتب يساعد على أداء نجومه وكغير الانفاق من أعمال الخير (فان الله به عليم) لايغيب عنه فينسى الجزاء والمثوبة عليه

(٢١٥ : ٢١٢) كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * (٢١٦ : ٢١٣) يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ ٱللهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ، وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا ، وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * (٢١٧ : ٢١٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللهِ وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

أخرج ابن اسحق وابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه من طريق زيد بن رومان عن عروة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش - وهو ابن عمته - في ثمانية من المهاجرين في رجب مقفله من بدر الأولى وكتب له كتابا يعلمه فيه أين يسير فقال « اخرج انت وأصحابك حتى اذا سرت يومين فافتح كتابك فانظر فيه فما أمرتك به فامض له ولا تستكره احدا من أصحابك على الذهاب معك » فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه ان امض حتى تنزل نخلة فأتنا من أخبار قريش بما اتصل اليك منهم ولم يأمره بقتال . فقال لاصحابه وكانوا ثمانية - حين قرأ الكتاب سمعا وطاعة من كان منكم له رغبة في الشهادة فلينطلق معي فأنا ماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كره ذلك منكم فليرجع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاني أن أستكره منكم أحدا : فمضى القوم معه حتى كانوا بنجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فتخلفا عليه يطلبانه ومضى القوم حتى نزلوا نخلة فمر بهم عمرو بن الحضرمي والحكم ابن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله وأشرف لهم عكاشة ابن حصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه حليقا قالوا عمّار ليس عليكم منهم بأس وأتمر بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر يوم من جمادى فقالوا لئن قتلتموهم انكم لتقتلونهم في الشهر الحرام ولئن تركتموهم ليدخلن في هذه الليلة الحرم فليمتنعن منكم فأجمع القوم على قتلهم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت نوفل وأعجزهم

واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم « والله ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » فأوقف رسول الله (ص) الاسيرين والعير فلم يأخذ منها شيئا . فلما قال لهم رسول الله ما قال سُقِط في أيديهم (أي ندموا) وظنوا ان قد هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين وقالت قريش حين بلغهم أمر هؤلاء قد سفك محمد الدم الحرام وأخذ المال وأسر الرجال واستحل الشهر الحرام فنزل قوله تعالى (يسئلونك عن الشهر الحرام) الآية فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم العير وفدى الاسيرين . وفي رواية الزهري عن عروة انه لما بلغ كفار قريش تلك الفعلة ركب وفد منهم حتى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أيحل القتال في الشهر الحرام فنزلت . هكذا أورد القصة بعض المفسرين وقوله في صدرها « في رجب الخ » يختلف مع قوله بعد « وكان آخر يوم من جمادى » وذكروا ان هذه القصة كانت قبل غزوة بدر بشهرين وبعد الهجرة بسبعة عشر شهرا . وأخرجها السيوطي في أسباب النزول عمن ذكر ماعدا ابن اسحق من حديث جندب بن عبد الله مختصرة وقال انهم قتلوا ابن الحضرمي ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى . وقال في آخرها : فقال بعضهم ان لم يكونوا أصابوا وزرا فليس لهم أجر فأنزل الله (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) الآية ومشى على ذلك في التفسير . وقال الاستاذ الامام ان كلامه يفيد أن الآيات نزلت متفرقة والصواب ان الآيات الثلاث نزلت في قصة واحدة مرة واحدة

(كتب عليكم القتال) الخ قالوا ان هذه أول آية فرض فيها القتال وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة وقد كان القتال ممنوعا فأذن فيه بعد

الهجرة بقوله تعالى فى سورة الحج « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » الآيات ثم كتب في هذه السنة . ونقل عن ابن عمر وعطاء ان القتال كان واجبا فى ذلك الوقت على الصحابة فقط وان هذا هو المراد من الآية . وذهب السلف الى أن القتال مندوب اليه واستدلوا بقوله تعالى في سورة النساء « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى » وهو مردود بأن القاعدين هنا هم أولو الضرر والعاجزون عن القتال لما نطقت به الآية وأما القاعدون كراهة فى القتال فحكمهم فى سورة براءة وقيل ان القتال يجب فى العمر مرة واحدة . وقد انعقد الاجماع بعد هذا الخلاف الذي كان فى القرن الثاني على أن الجهاد من فروض الكفاية الا أن يدخل العدو بلاد المسلمين فاتحا فيكون فرض عين . أما قوله تعالى (وهو كره لكم) فقد عده بعضهم من المشكلات اذ كيف يكره المؤمنون ما يكلفهم الله تعالى به وفيه سعادتهم وحمله جمهور المفسرين على الكره الطبيعي والمشقة وهذا لا ينافى الرضى به والرغبة في القيام بأعبائه من حيث انه مما أمر الله به وجعل فيه المصلحة لحفظ دينه كما قال في آيات الاذن به من سورة الحج « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد »

وقوله (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) معناه ان من الاشياء المكروهة طبعا ما تأتونه وأنتم ترجون نفعه وخيره كشرب الدواء البشع المر ومن الاشياء المستلذة طبعا ما يتوقع فاعلها الضر والاذى فى نفسه أو من جهة منازعة الناس له فيه هذا تقرير ما قاله المفسرون ولكن الاستاذ الامام قال انه لا يظهر على هذا

معنى وجيه لقوله عز وجل (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) لان هذا مما يعلمه الناس ويتوهمونه لا مما هداهم الكتاب اليه ، بعد ان كانوا غائبين عنه ، والصواب ان « عسى » فى مثل هذا المقام تفيد ان ما دخلت عليه من شأنه أن يقع ، لأنه مرجو من المتكلم ومتوقع ، وأن الكره محمول على غير ما حملوه عليه . ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث والعرب فى قتال مستحر ، ونزاع مستمر ، وكان الغزو للسلب والنهب ، من أعظم أسباب الكسب ، وكان الصحابة قد ألفوا القتال واعتادوه ومرنوا عليه فلم يكن عندهم مكروها بالطبع ولكنهم كانوا يرون أنفسهم فئة قليلة حملت هذا الدين واهتدت به ويخشون أن يقاوموا المشركين بالقوة فيهلكوا ويضيع الحق الذي هدوا اليه وكلفوا باقامته والدعوة اليه . وثم وجه آخر وهو ان كرههم للقتال لم يكن خوفا على أنفسهم أن يبيدوا ولا على الحق الذي حملوه أن يضيع وانما هو حب السلام والرحمة بالناس التي أودعها القرآن فى نفوسهم ، وثبتها الايمان فى قلوبهم ، واختيار مصابرة الكفار ومجادلتهم بالدليل والبرهان ، دون مجالدتهم بالسيف والسنان ، رجاء أن يدخلوا فى السلم كافة ويتركوا خطوات الشيطان ، وعلى هذا الوجه يظهر من معنى « وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » ما لا يظهر فى المعنى الذي قبله ويفيد قوله « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » أن قياسكم جميع الكافرين على أنفسكم ، وتوهمكم أن يزين لهم من الايمان ما زين لكم ، هو من الاقيسة الباطلة فان الاستعداد فى الناس يتفاوت تفاوتا عظيما فمنهم من ساءت خليقته ، وأحاطت به خطيئته ، حتى لم يبق لروح الحق منفذ الى عقله ، ولا لحب الخير طريق الى قلبه ، فلا تنفع فيه الدعوة ، ولا ترجى له الهداية ، ومثل هذا الفريق في الامة كمثل

الدم الفاسد فى الجسم اذا لم يخرج منه فانه يفسده ولم يأمر الله بقتالهم الا رحمة بمجموع الامة أن تفسد بهم . فلا يقاسون على من سلمت فطرتهم ، وحسنت سريرتهم ، حتى كان وقوعهم فى الباطل جهلا منهم بالحق ، وأصابهم بعض الشر ، لعدم التمييز بينه وبين الخير ، وأنتم أيها المؤمنون لا تعلمون كنه استعداد الناس ولا ما يكون من أثره فى مستقبلهم وانما الله هو الذي يعلم ذلك فامتثلوا أمره . وأما معناه على الوجه الاول مما أورد الاستاذ الامام فهو ان سنة الله تعالى قد مضت بأن ينصر الحق وحزبه على الباطل وأحزابه ما استمسك حزب الله بحقهم فأقاموه ودعوا اليه ودفعوا عنه وأن القعود عن المدافعة ضعف في الحق يغري به أعداءه ويطمعهم بالتنكيل بحزبه حتى يتألبوا عليهم ويوقعوا بهم ، وأنه قد سبق فى علم الله تعالى بأن الله لا بد أن يظهر دينه وينصر أهله على قلتهم ، ويخذل أهل الباطل على كثرتهم ، « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » وقد علم الله كل هذا وأنتم لا تعلمون ما خبأ لكم فى غيبه وستجدونه فى امتثال أمره ، والعمل بما يرشدكم اليه فى كتابه ،

ومن عجيب ما ترى العينان نقل المفسرين بعضهم عن بعض أن المراد بقوله تعالى « وعسى أن تكرهوا شيئا » جميع التكاليف التي أمروا بها وبقوله « وعسى أن تحبوا شيئا » جميع ما نهوا عنه . ولا يوجد مسلم على وجه الأرض يكره طبعه وتستثقل نفسه جميع ما أمره الله تعالى به وتحب جميع ما نهاه عنه ولكن التقليد يذهل المرء عن نفسه وما تحب وتكره وعما يراه ويعرفه في الناس بالمشاهدة والاختبار . فليتأمل القارىء الفرق بين هذا القول الذي يعرف بطلانه من نفسه وبين ما قاله الاستاذ الامام يعرف

قيمة استعمال العقل فيما خلق له من غير تقييد بالتقليد وكم ترك الاول للآخر

بعد ما بين سبحانه ان القتال كتب على هذه الامة فلا مفر منه وان كرهه المؤمنون خشية أن يضيع الحق بهلاك أهله ولما أودع القرآن قلوبهم من الرحمة ، والرجاء بجذب الناس الى الايمان بجاذب الدليل والحجة ، - وهو الارجح - بين سبحانه مسألة لا بد في هذا المقام من بيانها للحاجة الى العلم بها على أنه وقع السؤال عنها وهي مسألة القتال فى الشهر الحرام فقد كانت العرب تحرم القتال في الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقر الناس على غير القبيح مما كانوا عليه وتركُ القتال أربعة أشهر من السنة حسن لانه تقليل للشر لذلك كان لما فعله عبد الله بن جحش وأصحابه وقع سيئ عند المسلمين والمشركين جميعا على انهم لم يكونوا يعلمون عند أخذ العير وقتل من قتلوا ان ذلك اليوم غرة رجب . قيل ان السائلين هم المؤمنون وقيل هم المشركون وقد تقدمت الرواية فى ذلك وسياق الآية رد على المشركين وإرشاد للمؤمنين وهي

(يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه) أي عن القتال فيه وقرىء « عن قتال فيه » بتكرير العامل (قل قتال فيه كبير) أي ان القتال فيه أمر كبير مستنكر وقال بعضهم معناه ذنب كبير وهذا تقرير لحرمة القتال في الشهر الحرام قال ابن جريج حلف لي عطاء بالله انه لا يحل للناس الغزو فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا على سبيل الدفع وأن هذا حكم باق الى يوم القيامة . وقال بعضهم انه منسوخ بقوله تعالى فى سورة التوبة « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وأنكر بعضهم هذا لانه نسخ للخاص

بالعام وفيه خلاف وقال آخرون ان الآية لاتدل على حرمة القتال في كل شهر حرام مطلقا لان لفظ « قتال » فيها نكرة فى حيز مثبت فلا تعم . ولهم في الآية كلام كثير والظاهر المتبادر إن اثبات كون القتال فى الشهر الحرام كبيرا تمهيد للحجة على ان مافعله عبد الله بن جحش وماعساه يفعله المسلمون من القتال فيه مبني على قاعدة لا ينكرها عقل وهي وجوب ارتكاب أخف الضررين اذا لم يكن بد من أحدهما ولا شك ان القتال فى نفسه أمر كبير وجرم عظيم وانما يرتكب لإزالة ماهو أعظم منه وذلك قوله تعالى (وصد عن سبيل الله) الطريق الموصل اليه وهو الاسلام وكان المشركون يمنعون الناس منه يقتلون من يسلم أويؤذونه في نفسه وأهله وماله ويمنعون من الهجرة الى النبي عليه الصلاة والسلام (وكفر به) أي بالله تعالى (والمسجد الحرام) أي وصد عن المسجد الحرام وهو منع المؤمنين من الحج والاعتمار (واخراج أهله منه) وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون وذلك كقوله في آيات الاذن بالقتال فى سورة الحج « الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » ـ كل واحد من هذه الجرائم التي عليها المشركون (اكبر عند الله) من القتال فى الشهر الحرام فكيف بها وقد اجتمعت

ثم صرح بالعلة العامة لمشروعية القتال وهي فتنة الناس عن دينهم فقال (والفتنة أكبر من القتل) وكان المشركون يفتنون المؤمنين عن دينهم بإلقاء الشبهات وبما علم من الايذاء والتعذيب كما فعلوا بعمار بن ياسر وعشيرته وبلال وصهيب وخباب بن الأرت وغيرهم . كان عمار يعذب بالنار يكوى بها ليرجع عن الاسلام وكان النبي صلى الله عليه واله وسلم يمر به فيرى أثر النار به كالبرص . وعن ام هانىء قالت ان عمار بن ياسر وأباه وأخاه عبد

الله وسمية امه كانوا يعذبون في الله فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة: وفى رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت : مات ياسر فى العذاب واعطيت سمية ام عمار لابي جهل يعذبها وكانت مولاة لعمه أبي حذيفة بن المغيرة وهو الذي عهد اليه بتعذيبها فعذبها عذابا شديدا رجاء ان تفتن فى دينها فلم تجبه لما يسأل ثم طعنها فى فرجها بحربة فماتت رضي الله عنها وكانت عجوزا كبيرة وكان أبو جهل يقول لها مع ذلك : ماآمنت بمحمد الا انك عشقتيه لجماله : يؤذيها بالقول كما يؤذيها بالفعل . وكان يلبس عمارا درعا من الحديد فى اليوم الصائف يعذبه بحره . وكان أمية بن خلف يعذب بلالا يفتنه فكان يجيعه ويعطشه ليلة ويوما ثم يطرحه على ظهره فى الرمضاء أي يضعه على الرمل المحمي بحرارة الشمس الذي ينضج اللحم ويضع على ظهره صخرة عظيمة ويقول له لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد (ص) وتعبد اللات والعزى فيأبى ذلك وهانت عليه نفسه في الله عزوجل وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول « أحد أحد » . وحكى خباب رضي الله عنه عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد أوقد لي نار وضعوها على ظهري فما أطفأها الا ودك (دهن) ظهري : فهذا نموذج من فتنة المشركين لضعفاء المسلمين وما امتنع منهم الا من له عصبة من قومه عز عليهم إيساله فمنعوه. على أن النبي صلى الله عليه وسلم على منعة قومه وعناية الله تعالى به لم يسلم من إيذائهم فقد وضعوا سلا الجزور (كرش البعير المملوء فرثا) على ظهره وهو يصلي وخاف أصحابه تنحيته عن ظهره وتعرضوا له بضروب من الايذاء كفاه الله شرها كما قال تعالى « انا كفيناك المستهزئين »

وسيجيء ذكرهم وبيان إيذائهم في موضعه ان شاء الله تعالى

هذا ما كان المشركون يعاملون به المؤمنين فى حال ضعفهم ولما هاجروا وكثروا صاروا يقصدونهم بالقتال لأجل الدين ولذلك قال تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) عاد الى خطاب المؤمنين الذين كانوا يكرهون القتال لما تقدم فأعلمهم ان أولئك المشركين لاهم لهم الا منع الاسلام من الارض فترك قتالهم هو الذي يبيد الحق وأهله ، وانتظار إيمانهم بمجرد الدعوة طمع في غير مطمع ، والقتال فى الشهر الحرام ، أهون من الفتنة عن الاسلام ، لو لم يحتف بها غيرها من الآثام ، كيف وقد قارنها الصد عن سبيل الله والكفر به والصد عن المسجد الحرام واخراج أهله منه والاعتداء بالقتال والاستمرار عليه . ولما ذكر الردة التي يبغونها بقتالهم بين حكمها فقال (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) أي بطلت وفسدت حتى كأن واحدهم لم يعمل صالحا قط لأن الرجوع عن الايمان الى الكفر يشبه الآفة تصيب المخ والقلب فتذهب بالحياة فان لم يمت المصاب بعقله وقلبه فهو فى حكم الميت لا ينتفع بشيء . وكذلك الذي يقع فى ظلمات الكفر بعد ان هدي الى نور الايمان تفسد روحه ويظلم قلبه فيذهب من نفسه أثر الاعمال الصالحة الماضية ، ولا يعطى شيئا من أحكام المسلمين الظاهرة ، فيخسر الدنيا والاخرة .

يقول بعض الفقهاء ان المرتد تبطل أعماله حتى كأنه لم يعمل خيرا قط وحتى انه يجب عليه إعادة نحو الحج اذا رجع الى الاسلام وتطلق منه امرأته طلاقا بائنا فلا تعود اليه اذا هو عاد الى الاسلام الا بعقد جديد . ويقول غيرهم ان حبوط العمل مشروط بالموت على الكفر فاذا ارتد المسلم مدة ثم عاد لا

تجب عليه اعادة نحو الحج وأما امرأته فانها تكون موقوفة الى انتهاء العدة فان عاد الى الاسلام قبل انقضاء عدتها كانت على عصمته وان عاد بعد انقضاء العدة فانها لا ترجع اليه الا بعقد جديد . وللردة أحكام أخرى عند الفقهاء تطلب من كتبهم . ومعنى الآية ظاهر وهو ان المرتد لا ينتفع بأعمال الاسلام فى دنياه ولا فى اخراه وذلك أن الرجوع عن الدين رجوع عن أصوله الاساسية وهي (١) الايمان بأن لهذا الكون العظيم المتقن فى وحدة نظامه وبديع إحكامه إلها أبدعه وأتقنه بقدرته وحكمته بغير مساعد ولا واسطة فلا تأثير لغيره فى شيء منه الا ما هدى هو الناس اليه من اطراد سننه في الاسباب والمسببات وهذا الاصل هو منتهى ما يصل اليه ارتقاء العقل البشري فى الاعتقاد . و(٢) الايمان بعالم الغيب والحياة الآخرة ذلك بأن العوالم الحية التي فى هذا الكون لا تنعدم من الوجود ولا تنفذ من أقطار ملك الله بما نراه من فساد تركيبها وذهاب صورها فاذا كان العدم المحض غير معقول ، والتحول فى الصور مألوف منظور ، فلا غرو ان يكون للناس حياة أخرى فى عالم آخر بعد خراب هذا العالم . وهذا الايمان ركن من أركان الارتقاء البشري لأنه يبعث البشر الى الاستعداد لذلك العالم الاوسع الأكمل ويعرفهم بأن وجودهم أكمل وأبقى مما يتوهمون . و(٣) العمل الصالح الذي ينفع صاحبه وينفع الناس . فهذه الاصول الثلاثة التي جاء بها كل نبي مرسل لا يتركها إنسان بعد معرفتها والاخذ بها الا ويكون منكوسا لا حظ له من الكمال في دنياه ولا فى آخرته بل يكون من أصحاب النفوس الخبيثة والارواح المظلمة التي لا مقر لها في الآخرة الا دار الخزي كما قال تعالى (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقد تقدم الكلام في مثل هذا

كأنه تعالى يقول للمؤمنين الكارهين للقتال لاسيما فى الشهر الحرام اذا كان هؤلاء المشركون على ماذكر من الكفر والطغيان، ومن ايذائكم وفتنتكم عن الايمان، ومن منع اخوانكم عن الهجرة اليكم بعد طردكم من الاوطان، ومن القصد الى قتالكم حتى يردوكم عن دينكم، لتخسروا دنياكم وآخرتكم، فلا ينبغي أن تحجموا عن قتالهم عند الامكان، ولا أن تحفلوا بانكارهم عليكم القتال فى الشهر الحرام،

ولما ذكر حال المشركين وحكم المرتدين، ناسب ان يذكر جزاء المؤمنين المهاجرين والمجاهدين، ولذلك قال (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) المهاجرة مفارقة الاوطان والاهل وهي من الهجر ضد الوصل. ولما هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من مكة فرارا بقومه من أذى قريش وفتنتهم الى المدينة التي عاهده من آمن من أهلها على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وجب على كل مسلم أن يتبعه فى هجرته ليعتز الاسلام بأهله ويقدر المؤمنون باجتماعهم على الدفاع عن أنفسهم. واستمر وجوب الهجرة على من قدر الى فتح مكة إذ خذل الله المشركين وجعل كلمتهم السفلى وكلمة الله هي العليا. وقد اختلف الفقهاء فى حكم الهجرة من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام في مثل عصرنا هذا ويؤخذ من علة وجوب الهجرة فى عهد التشريع انها تجب بمثل تلك العلة فى كل زمان ومكان. فلا يجوز لمؤمن أن يقيم في بلاد يفتن فيها عن دينه بأن يؤذى اذا صرح باعتقاده أو عمل بما يجب عليه وإن كان حكام تلك البلاد من صنف المسلمين ومن ذلك أن لايقدر المسلمون على التصريح قولا وكتابة بكل ما يعتقدون ولا يمكنوا

من القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المجمع عليه. وأما المجاهدة فهي من الجهد وهو المشقة وليس خاصا بالقتال. والرجاء هو توقع المنفعة من أسبابها. فالمؤمنون الذين هاجروا مع الرسول أو هاجروا اليه للقيام بنصرة الحق والذين بذلوا جهدهم فى مقاواة الكفار ومقاومتهم هم الذين يرجون رحمة الله تعالى وإحسانه رجاء حقيقيا وهم أجدر بأن يعطوا ما يرجون (والله غفور رحيم) يغفر لهم ما عساه يفرط منهم ويتغمدهم برحمته ورضوانه

﴿ فصل في شرح حقيقة الرجاء وتمييزه من الغرور والتمني ﴾

نرى اكثر المسرفين على انفسهم من المسلمين يغترون بما ورد من الآيات والاحاديث في الرجاء بكرم الله ورحمته ومغفرته حتى انهم يقولون لمن ينهاهم عن منكر او يشدد فى ذم معصية: لاتضيقها ان الله غفور رحيم: ونحو ذلك فكأن الرجاء بالله الذي هو من ثمرات الايمان الكامل آلة عندهم لهدم الديانة والشريعة لهذا رأينا ان نذكر فى هذا المقام ما كتبه حجة الاسلام الغزالي تعريفاً للرجاء فى كتابه إحياء علوم الدين قال رحمه الله تعالى

(بيان حقيقة الرجاء)

«اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاماً اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضاً سريع الزوال. وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لأنه يحول على القرب وهذا جار فى كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء. فالرجاء أيضا يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكأن الرجاء اسم للحال من جملة الثلاثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر فى الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا فى الحال سمي وجدا وذوقا وإدراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود

شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعاً فان كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمي خوفاً واشفاقاً وان كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ماهو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لابد وأن يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول أكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب • وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على مايتردد فيه اما مايقطع به فلا اذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به • نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه

«وقد علم أرباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجري تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لاينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد • ولا يحصد أحد إلا مازرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لاينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولامسوس ثم أمده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نقى الشوك عن الارض والحشيش وكل مايمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة الى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء • وان بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لاينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقاً وغرورا لارجاء • وان بث البذر في أرض طيبة لكن لاماء لها وأخذ ينتظر مياه الامطار حيث لاتغلب الامطار ولا تمتنع أيضاً سمي انتظاره تمنيا لارجاء •

«فاذاً اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق له الا ماليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى

بصرف القواطع والمفسدات • فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعة وطهر القلب من شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقياً محمودا في نفسه باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الايمان في اتمام أسباب المغفرة الى الموت . وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحوناً برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور وقال صلى الله عليه وسلم « الاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) وقال تعالى (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) وقال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا) وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته و (قال ماأظن ان تبيد هذه أبدا وماأظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلباً) فاذاً العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وماتمام النعمة الا بدخول الجنة • وأما المعاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة. وأما قبول التوبة اذا كان كارهاً للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ، ويشتهي التوبة ويشتاق اليها ؛ فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة • وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء • فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولايذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لايتعهده بسقي ولا تنقية. قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة. وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة

(١) الحديث رواه أحمد والترمذي وغيرهما من حديث شداد بن أوس وصدره « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق » وفي لفظ « والعاجز » الخ

وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لاتجري على اليبس

« فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة أثرها العلم بجريان أكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الإمكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها أصلا الى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر لاينبت فيترك لامحالة تفقد الارض والتعب فى تعهدها. والرجاء محمود لأنه باعث واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة فادخال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال. ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف فى التملق له. فان هذه الاحوال لابد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك أو شخصاً من الاشخاص فكيف لايظهر ذلك فى حق الله تعالى فان كان لايظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول فى حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لايريد فقال: « كيف أصبحت »: قال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وأيقنت بثوابه واذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت اليه: فقال « هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للاخرى هيأك لها ثم لايبالي فى أي أوديتها هلكت »(*) فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور. » اه

(*) الحديث رواه الطبراني فى الكبير بسند ضعيف من حديث ابن مسعود ورواه كذلك ابن شاهين من طريق سنين مولى بني هاشم عن الاعمش عن أبي وائل عنه وأخرجه بن عدى في ترجمة سنين وضعفه

باب المقالات

الحياة الزوجية

٢

اختيار المرأة لمالها :

ان من يختار المرأة زوجاً له لحسنها وجمالها يختارها لصفات فيها وإنما كان مخطئاً لانه عني بصفات الجسد التي يسرع اليها التغيير ولا تكفي للقيام بحقوق الزوجية وما تراد له الزوجة ولم يحفل بصفات النفس الثابتة التي هي مناط السعادة والهناء، أو مجلبة التعاسة والشقاء، وأما من يختار المرأة لأنها ذات مال وثروة فهو إنما يختارها لأمر خارج عن ذاتها فهي غير مطلوبة له ولا مرغوب فيها وإنما مطلوبه المال يتمتع به وهي عنده وسيلة له فاذا نزلت بالمال جائحة أو اغتالته غائلة صارت المرأة عنده كالشيء اللقا لاقيمة لها ولا حاجة اليها. وما عساها تصادفه مع وجود المال من الحظوة والكرامة فأجدر به أن يكون مصانعة ورياء وحسب الزوجين شقاء أن يرائي بعضهما بعضاً ويدهن أحدهما للآخر. وهذا شأن من يطلب المال عفواً بغير عمل لايكون إلا مرائياً مداهناً

يعيش المنافق مع الناس الذين يدهن لهم فى اضطراب دائم لانه يشعر في نفسه بأنه يعيش مع خصماء وأعداء فاذا لم يكن له من يخلص هو لهم ويخلصون له كان شقاؤه دائماً واضطرابه مستمراً. ومن أحق بهذا الاخلاص من الزوجين اللذين خلقا ليسكن كل منهما الى الاخر ويلابسه في جميع شؤونه لباساً يتحد به معه حتى يكونا كشخص واحد !! أرأيت إذا انعكس الأمر فكانت الزوجية التي هي علة السكون والارتياح، ومبعث الحب والاخلاص، وسبب المودة والرحمة، علة للاضطراب والانكماش، ومثاراً للرياء والدهان، — أرأيت إذا صارت الغاية التي يقصد لأجلها الكسب، وسيلة للرزق وطريقة للربح، يلجأ اليها الكسالى المترفون، ويرغب فيها أهل الشره الطامعون، — أرأيت اذا وصل الناس الى هذا الحد في فساد الفطرة، والخروج عن محيط الشرعة، أيكون المال الذي يعبدون كافياً لتحقيق سعادتهم، وحفظ شرف بيوتهم وأمتهم، ؟ كلا ان هؤلاء

لاحظ لهم فى الحياة الا التوغل فى اللذات الجسدية والزينة الظاهرة فلا يبالي واحدهم بشرف البيت ولا بعزة الأمة، يخربون بيوتهم بأيديهم . ويبسلون أمتهم بسوء مساعيهم، بل هم آلات التفريق والتحليل لان كل واحد منهم يهتم بلذة نفسه، ويجتهد في أن لا يتصل بغيره، وكيف يمكن أن يحد بمجموع قومه، من انكمشت نفسه دون الاتحاد بزوجه، على ما لاتحاد الزوجين من العلل والجواذب النفسية والطبيعية والشرعية والاجتماعية ؟

يكثر طلب المرأة الغنية لهذا العهد فى الطبقة المتعلمة على الطريقة العصرية فلا تكاد ترى بين شبان هذه الطبقة الا الباحثين عن البنات الوارثات أو اللواتي ينتظر ان يرثن مالاً كثيراً وأرضاً واسعة ودوراً عامرة . ولا تكاد تسمع منهم عند ذكر الزواج الا قولهم انني أطلب فتاة تملك داراً وكذا فداناً من الطين . وهذا دليل على أن التعليم الذي تعلموه ما كان الا ضاراً بهم بما أفسد من فطرتهم، ويا شقاء من تتزوج بواحد منهم، فانما يكون حظها منه أن يستعين بمالها، على التمتع بشهواته الفاسدة خارج بيتها، وويل لها ان سكتت موافقة، وألف ويل لها ان نطقت مخالفة،

لو ذهبنا نعد مفاسد هؤلاء المخذولين في اختيارهم هذا وآثاره خرج بنا القول عن حد المقالة المنبهة، ودخل في أبواب الكتب المطولة ، وكفى بما ذكرناه منبهاً للغافل وسائقاً للنظر العقلي فى ذلك وللبحث فى حال هؤلاء الناس وفيها عبر وآيات للمتفكرين .

وقد يشتبه على بعض الباحثين ما يراه من الحب وسكون النفس والوفاق وحسن المعيشة بين زوجين اختار الرجل منهما المرأة لغناها أو استحسان صورتها فيظن أن ما قلناه غير صحيح . ونحن لا نجهل ان مثل هذا قد يقع فيكون على حد المثل « رمية من غير رام » والسبب فى مثله أن يكون بين هذين الزوجين مشاكلة في الطباع وتناسب فى الاخلاق وتقارب فى العادات من حيث لا يدري بذلك أحد منهما قبل الاقتران . ولكن هذا قليل لا سيما فى طلاب المال وعباده الذين يرضون أن تكون الزوجية وسيلة له لان من بلغ منه فساد الفطرة هذا المبلغ قلما يهنأ لأحد معه عيش كما قلنا آنفاً

الطريقة المثلى في الاختيار

يجب أن يلاحظ فى المرأة الصفات التي يرجى أن يتحقق بها مضمون قوله تعالى «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» وقوله عز

وجل «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين» وقوله جل ثناؤه «محصنين غير مسافحين» وهذه الصفات بعضها بدنية وبعضها نفسية وبعضها قومية ومنها ما لا بد منه في كل امرأة ومنها ما يختلف باختلاف أحوال الناس فيشترط عند بعض دون بعض .

أما الصفات الجسدية فمما لا خلاف فى اشتراطه منها الصحة وسلامة البدن من التشويه والعاهات المنفرة ولا حاجة لتعليل هذا الشرط ولا لبيان سوء حال الحياة الزوجية عند عدمه فانه من المعلوم بالبداهة ان النفس لا تسكن الى ذوي العاهات والادواء بل تضطرب وتنزعج منهم . وأن المرأة المريضة لا تحصن الرجل ولا تكون قرة عين له بل تكون بلاء عليه . وأما ما تختلف فيه الاذواق فهو ما وراء ذلك مما يسمون الكمال فيه حسناً بارعاً وجمالا رائعاً . والميل إلى الحسن والجمال غريزي فى البشر وهو مما تختلف فيه الاذواق والمشارب؛ «وللناس فيما يعشقون مذاهب،» ولا نعرف شعباً من الناس يشترط رجاله الجمال البارع في الزوج وإنما يعدونه من الاوصاف الكمالية الا من ذكرنا في النبذة الاولى من هذا المقال وهم الذواقون الذين يتزوجون ميلا مع الهوى لا اتباعاً للمصلحة ، ولا اقامة لسنة الفطرة ،

قد يكون من المصلحة للاكثرين تجنب الجمال البارع لمن يتزوج لما ذكرنا من منافع الزواج وحكمه ولكن يعذر من يمقت فى المرأة صفة من الصفات اذا لم يرض الاقتران بالمتصفة به كمن يمقت البحترة أو الهصلة أو الرسحاء أو النقواء . وقد تكون هذه الاوصاف من المنفرات لبعض الناس . على ان لكل ساقطة لاقطة وانما تخير الجمال البارع أو ما دون البارع من يكون موضعاً لتسابق رغبات النساء وأهلهن اليه لمكانته وجاهه أو لثروته وماله . فان من طبيعة التفاضل أن يكون فيما تصل اليد اليه ويسهل الاستيلاء عليه

وأما الصفات النفسية فهي الاخلاق والملكات والعلم أو العلوم فأما الاخلاق فانها علة لسعادة الحياة أو شقائها فى جميع طبقات الناس على الجملة . وأفضل أخلاق النساء العفة والصيانة لان معنى الزوجية لا يتحقق بالاختصاص وإنما تكون المرأة مختصة ببعلها اذا كانت عفيفة . ثم إن الحكمة فى الزوجية هي الانتاج والنسل الذي يحفظ به النوع ويكثر به سواد الامة وتعظم قوتها واختلاف الرجال على امرأة واحدة من أسباب قلة النسل فما

هتك النساء حجاب العفة فى أمة الا وقل نسلها بمقدار شيوع الفاحشة فيها وناهيك بما فى اختلاط الانساب من المفاسد • لايوجد عيب من العيوب في الخلقة أوفي الاخلاق يذهب بهناء الزوجية وغبطتها، ويمحو آيات منافعها وحكمتها، كخيانة المرأة للرجل فى نفسها • ويغنينا عن الاسهاب في بيان ذلك ماهو ثابت في الغرائز ومعروف بالاختبار • وقد من الشاعر العربي على أولاده بتخيره والدتهم من ذوات العفة قال

فاول احساني اليكم تخيري لماجدة الاعراق باد عفافها

ومن غريب إكبار الرجال لعفة نسائهم أنك تجد الفاسقين من أشد الناس غيرة لان علمهم بفساد النساء يزيد فى حذرهم على نسائهم أن يكن كمن يعرفون من غيرهن وهذا من أسباب قلة الزواج فى البلاد التي يكثر فيها الزنا لان أكثر الرجال يخافون أن يبتلوا بمن لاعفة لهن • وأغرب منه ما اشتهر عن الفساق من محاولة بعضهم الاختصاص ببعض البغايا، يحب الرجل بغيا توهمه ان له عندها من الحظوة ماليس لغيره فيبذل لها المال الجم الكثير ليغنيها به عما تكسب من سواه، وتكون خاصة به دون من عداه، ومتى كانت البغي ترعى العهد، وتصفي الود؟؟ ولكنه جنون الرجال بالاختصاص والغيرة يخرج بهم عن محيط العقل والتجارب، وكم أدى ذلك الى دماء تسفك، وارواح تزهق،

ومن الاخلاق التي لايتم لاحد هناء العيش مع فقدها الامانة والحرص والاقتصاد فاذا لم تكن المرأة أمينة على ما يعهد اليها حفظه حريصة على مابين يديها من مال الرجل وكسبه مقتصدة فيما تنفق تسوء حال البيت ويقع فيه الشقاق ويحيط به الشقاء

واما الصفات والملكات، التي تختلف الرغبة فيها باختلاف الاشخاص والطبقات، فأهمها عند الطبقات المرتقية بالعلم والتربية النظام وتدبير شؤون البيت واذا كانت بيوت الشعر في الصحاري وشعاف الجبال، واكواخ الفقراء وبيوت الفلاحين فى المزارع والقرى، ليس فيها من الاثاث والرياش والماعون ولا من المرافق والاعمال ماتعوز فى ادارته وتدبيره ملكة النظام المكتسبة بالعلم والعادة والقدوة فان في دور الطبقات العالية والمتوسطة من المتعلمين وكذا غير المتعلمين مالا يتم نظامه الا اذا كانت ربة الدار مدربة على النظام والتدبير • نعم ان غير المتعلمين لايؤلمهم من فقد

النظام في بيوتهم مايؤلم الذين عرفوا قيمة النظام وفوائده وتربوا عليه اوحملهم العلم بفائدته على طلبه والاستقامة على طريقته • يبلغ حب النظام ببعض العارفين مبلغاً لايهنأ له عيش مادام يرى في داره شيئاً من الخلل الذي لايشعر غير العارفين معرفته بكونه خللا يطلب إصلاحه ككون حجرة النوم قليلة الأثاث تعرض فرشها وحشايا سريرها للشمس والهواء كل يوم، وككون كل من حجرة الجلوس وحجرة الطعام وحجرة المكتب وغيرهن على طريقة كذا وكذا • ومن المتعلمين من يرى من ضروريات الحياة أن تكون نفقات البيت كلها فى يد ربته وأن يكون العمل فيها بمقتضى ميزانية سنوية فاذا لم تكن امرأته قادرة على ذلك فان نفسه لاتسكن اليها ولاتكون هي قرة عين له • ولاتقل إن هذا يدخل فى صفة العلم الذي ينبغي أن تكون عليه المرأة فان العلم لايكفي فيه ولكنه شرط له فما كل من يتعلم علماً يقدر على العمل به وانما يقدر عليه من يقرن العلم بالعمل والمزاولة •

كثر في الترك عدد الرجال الذين يريدون أن تكون المرأة قهرمانة وريحانة معاً وفي نسائهم (لاسيما في الاستانة) عدد غير قليل قد ربين على مايحب الرجال • وجميع المتعلمين من النصارى وكثير من المسلمين في سوريا ومصر على هذا الرأي أيضاً ولكن عدد المسلمات المتعلمات المتربيات على هذه الطريقة قليل جداً في القطرين ولذلك صار الزواج يقل في المتعلمين رويداً واذا ارتقى التعلم والتهذيب عما هو عليه الا ن في الرجال فان هذه القلة تزيد زيادة فاحشة ولكن أكثر المتعلمين لم ترتق نفوسهم عن اتخاذ المرأة ريحانة يتمتع بها ماصلحت للتمتع كالزهرة تشم ويعتني بها مادامت غضة ذكية فاذا ذبلت ألقيت • ولا رغبة لهم فيما وراء هذا إلا بأن تكون ذات مال يتمتع به الزوج كما يتمتع بصاحبته فهي عندهم من جملة المتاع لافرق بينها وبين مايحصل معها الى دار الزوج من الأثاث والماعون الا كما يفضل إناء إناء آخر من جنسه أو نوعه ولو كثر عدد الفتيان المهذبين لتبعه كثرة الفتيات المهذبات لانه متى عرف واشتهر أن جماهير الشبان المحترمين لايرغبون فى غير المهذبة القادرة على إدارة المنزل وإقامة النظام فيه بادر الناس الى تربية بناتهم على الطريقة المرغوب فيها لان الفتيات يطلبن الفتيان دائماً بلسان الحال والاستعداد — فكل مايشكو منه بعض الشبان المهذبين من سوء تربية البنات سببه سوء تربية البنين فى الجمهور

وان لي كلمة قلتها ثم علمت أن للاوربيين كلمة تخالفها فاذكرهما هنا أما كلمتهم فهي « كما يريد النساء يكون الرجال » وأما كلمتي فهي « كما يريد الرجال يكون النساء » والدليل على هذا ان النساء لا استقلال لهن في أنفسهن وانما هن تبع للرجال عند جميع الامم. يولد للزوجين غلام وجارية فيربيان الغلام على أن يكون رجلا مستقلا ببيت كيتهما وعلى أن ينهض بكفالتهما عند الكبر أو العجز اذا كانا فقيرين ، ويربيان الجارية على أن تكون تابعة لرجل يتزوج بها فيعولها ويكفلها فيكتفيان أمرها • ينشأ في الغلام من أول سن الادراك شعور الاستقلال بنفسه وحاجة غيره اليه وينشأ في الجارية شعور القصور والحاجة الى كفالة رجل غريب مجهول ستكون تابعة له ، ومن التقاليد العامة في أمتنا وفي غيرها أن همّ النساء الاكبر هو أن يكن بحيث يحبهن الرجال ويرغبون فيهن لأنهن في حاجة الى كفالتهم ولا يسهل عليهن طلبهم الا بلسان الاستعداد وكونهن كما يحبون ويرغبون كما قلنا آنفاً • ثم إن الوالدين اللذين يربيان الغلام والجارية يعلمان أن تزويج الجارية أعسر عليهما من تزويج الغلام من حيث انه لا عار عليهما ولا عليه في التماس أمرأة بالطلب والبحث ولو ممن هم دونهم وأنه من العار العظيم أن يحثا على زوج لبنتهما ويعرضاها على الرجال وان كانوا من الاكفاء وأشد من ذلك عاراً ان تبحث هي عن الزوج وتعرض نفسها على من تظن أنه يرضاها ، وان الشرف والمصلحة محصوران في تعريضها للخاطبين بتربيتها على مايحب الأكفاء ويرضون • نعم أن الأوربيين قد حاولوا تربية النساء على الاستقلال وتعليمهن طرق الكسب وجعلوا للبنات رأيا في اختيار الأزواج ولكنهم لم يخرجوا عن جعل المرأة تابعة للرجل ولم يقدروا على جعل أكثر النساء مستقلات في معيشتهن غنيات عن الرجال بل هم الذين يربون بناتهم على مايرغب فيه جمهور فتيانهم ويخطبون الزوج بالحال وبالمال جميعاً ويشعرون من سعادة الحياة الزوجية بما لا يشعر بمثله من لم يبلغوا شأوهم في الحياة الاجتماعية وللجارية المخطوبة عندهم مقام رفيع ولربة البيت مكانة عالية ولأم الاولاد المقام الاعلى وانما قالوا كلمتهم تلك للترغيب في تعليم المرأة اذ لا يقدر الرجال على إتقان التربية الا باسعاد النساء لهم عليها • ثم ان هذه التربية الاستقلالية قد أضرت بالنساء أنفسهن حتى كثرت أصوات الكاتبات منهن بالشكوى منها ونقلنا بعض ما كتب في المجلد الرابع فليراجع

الدين والأخلاق

ملاك تهذيب الاخلاق وقوام الملكات الدين فلو ربي البنات تربية دينية صحيحة لتم لهن تهذيب الأخلاق ، وكن مصدراً لمحاسن الأعمال ، وقرة أعين للرجال ، وقد عرفت الامم الحية ذلك فعنيت بتربية البنات على آداب الدين وأخلاقه وأعماله على فساد عقائد الكثيرين من علمائها وحكمائها • ذلك بأن هؤلاء الذين رأوا في دينهم مالا ينطبق على علمهم القطعي فتركوا الدين للعلم يعتقدون ان الدين هو روح التهذيب والآداب في البشر وأن هذا الروح هو الأصل في الحياة الزوجية والحياة القومية لاسيما في النساء والناشئين فاذا هو زال تعذر الاستغناء عنه أو استبدال غيره به كالشرف والعلم بالمصلحة • والذين جروا على هذه الطريقة من نصارى الشرق يحامون الانتقاد على الدين في حضرة النساء وان كانوا لا يعتقدون ولا يؤمنون لئلا يتسرب الشك والارتياب إلى نفوس النساء • بل أخبرني بعض علمائهم وأدبائهم المشهورين أنهم يكونون في النادي أو السامر ينتقدون بعض رجال الدين منهم فتدخل إحدى النساء فيحولون الحديث لكيلا تسمع انتقادهم فيقل احترام الدين من نفسها ويضعف الشعور به في قلبها • ولا تجد جزءاً من هذه العناية عند المسلمين الذين جهلوا الدين فأهملوه ، بل ولا عند الذين سلم اعتقادهم وحسن عملهم • وكل ما عند النساء المسلمات من الدين فهو من تقليد الذين نشأن فيهم وتربين بينهم ليس للرجال فيه عناية ولا عمل ويا ليت فساق قومنا وزنادقتهم يكتفون باهمال تربية النساء على آداب الدين وتعليمهن أحكامه ولا يظهرون لهن ماهم عليه من الفساد والالحاد فقد حدثني كثيرون من الثقات المختبرين أن كثيراً من المسلمين (الجغرافيين)(*) يجتمعون مع عيالهم لطعام الغداء بعد الظهر في شهر رمضان وان منهم من يتزوج بالمرأة فيكرهها على شرب الخمر معه وأخبرني شيخ من أهل القاهرة ان رجلا تزوج ببنت من أقاربه (أي أقارب الشيخ) فدعاها الى شرب الخمر معه فأبت ولما أعياه إلزامها طلقها • وأغرب من هذا مايتحدثون به عن بعض أصحاب البيوت أو البيوتات من إشراك البنات مع الرجال في معاقرة الخمر ومن احضار

(*) نعبر على المسلمين الذين ليسوا على شيء من الاسلام بالمسلمين الجغرافيين لان الاحصاء الذي يذكر في كتب الجغرافية يعدهم منهم • وقد نبهنا على هذا من قبل

أهل الرقص والعزف من الرجال والنساء الى البيوت واجتماعهم فى بعض الحجرات على المعاقرة والمخاصرة والنساء يسمعن وينظرن من وراء السجوف والاستار

يظن الكثيرون من فساق البلاد الشرقية أن الدين فى أوربا قد صار نسيا منسيا وأن ذلك لم يزد أممها الا ارتقاء لانه أثر الارتقاء وذلك ان هؤلاء لاتتوجه نفوسهم ولا يهديهم استعدادهم الا لمعرفة أمثالهم والصواب ان أكثر أهل أوربا متدينون وانما أبطلوا التقاليد النصرانية التي تنافي العمران والارتقاء لانها ليست الا من وضع الرؤساء وهم مع ذلك أشد الناس تعصباً لدينهم وعلى من يخالف دينهم ولا ينافي ذلك كثرة الفسق في بلادهم لاسيما التي تغلب فيها الكاثوليكية كفرنسا وإيطاليا فان من الاسباب فى ذلك المذهب الذي يعد من أصوله أن القسوس والرؤساء يغفرون الذنوب كما أن من أسبابه الحرية الشخصية وعدم النكير وإباحة الخمر أم الخبائث . ولقد يسهل على الفاسق أن يجد كثيراً من الفاسقين والفاسقات في كل المدن العظيمة في الارض حتى ماكان فيها الفسق منكرا وممنوعاً اظهاره لايراه إلا الباحثون عنه ومن بحث عن شيء مما لايخلو العمران منه وجده فاذا هو قصر همه عليه، ظن أن كل الناس أو جلهم على مذهبه فيه،

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق مايعتاده من توهم

أهل فرنسا أقل الأوربيين تمسكا بالدين لتطرفهم فى الحرية والجمهورية التي يرون سلطة الكنيسة الكاثوليكية خطراً عليها ولذلك قاوموا جمعيات القسيسين ومدارسهم وقد سألت فرنسيا عن تدين قومه فقال أكثرنا متدين يحب الله ولكن لانحب الكنيسة

إذا فرضنا أن تعميم التعليم والتربية على حب الوطن والآداب القومية قد يغني عن الدين في إصلاح حال البيوت والجمعيات فأوربا هي التي يمكنها أن تستغني عنه بذلك ولكنها لم تقل بذلك ولم تعمل به ولا أدري بماذا يستغني المسلمون عن آدابهم الدينية التي أمسوا لا يالون بها؟ هل الرابطة الوطنية التي يلفظ بها مصطفى كامل وأضرابه من الاحداث المتفرنجين كافية فى هذه الامة التي غلب عليها الجهل والامية، ووقع معظم أوطانها فى قبضة الدول الاجنبية، لأن تصلح ماأفسد الزمان فيها من الآداب الشخصية والروابط الزوجية . ليتكون منها أمة عزيزة قوية ، ؟ وهل يكفي في نفخ روح هذه الحياة الوطنية أن ينعق ناعق فى الأمة بمدحها وان لم يسمع نعاقه الاقليل ولم يفهم مراده منهم الا اقل

القليل وأكثر من فهم ومن لم يفهم، يرى أن النفاق وسيلة للدرهم ، ؟؟

ومن العجائب أن هؤلاء الاحداث المتفرنجين يهذون احياناً أو كثيراً بالكلام فى الامة والملة ويشكون بالقول من سوء الحال وخطر الاستقبال ثم لاينتبهون لوجوب بث روح الدين فى البيوت وتربية النساء على اعماله وآدابه ليربوا الاطفال عليها بل تراهم بسيرتهم عوناً للجهل على افساد بقايا الدين التقليدية اذ لايتعلمون شيئاً من أحكام الدين ولا يعملون بما هو معلوم منه بالضرورة ولا يسألون عن دين من يخطبونها وانما يسألون هل تعلمت لغة أجنبية هل تعلمت العزف على البيانو والعود هل عندها مال كثير يساعدنا على المصيف فى أوربا والتمتع بلذاتها؟ وأعجب من هذا أنهم يدعون أحيانا الانتصار للدين بذم أوربا وذكر طمعها فى بلاد المسلمين واعتدائها على استقلالهم وعلى دينهم بما تبعثه من الكتب والدعاة الى النصرانية . ويزول هذا العجب اذا عرف سببه وهو مخادعة المسلمين بإيهامهم خدمة الملة لينفحوهم بالدرهم والدينار وأنى يخدم الملة من لا يفهم كتابها ولا يعرف سنتها ولا يتحقق بعقائدها ولا يقيم عباداتها ولا يتخلق بأخلاقها بل أخذ عن أوربا من الاخلاق والعادات السيئة مايفرق به كلمتها، ويبطل به وحدتها، وينسخ به شرعتها ، ثم هو يشكو منها ومن آثارها في إفساد النابتة ومجموع الامة!!!

وجملة القول ان الحياة الزوجية في المسلمين لايمكن أن تكون سعيدة فى نفسها ووسيلة لارتقاء الامة وتعزيزها الا اذا كان الزوجان معتصمين بحبل الدين مستمسكين بعروته فى الاخلاق والآداب والاعمال ليكونا قدوة لاولادهما فى ذلك . وان الخطر الذي يهدد المسلمين وينذرهم بزوال سلطتهم من الارض لايزول الا باصلاح حال البيوت الادبية على هذا الوجه . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه احمد والشيخان وأصحاب السنن ماعدا الترمذي عن ابي هريرة ولكن من لنا من يصلح لنا أخلاقنا وآدابنا الدينية وليس لنا زعماء ولا سراة من أهل الدين والحكمة . واذا ظهر فينا زعيم فاننا لضعف استعدادنا لانتفع به بل يحكم فيه جمهورنا كلام الاحداث المغرورين ، الذين يضرهم ويفضحهم مايدعو اليه من إحياء روح الدين ، !!

فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبـه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعـد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنامتأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

حقوق الذميين ومعاملة الاجانب

(س٩) ا ٠ م ٠ فى سراي بوسنة : كتب محمد فريد وجدي فى كتابه « تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية » في بحث واجبات المسلمين بالنسبة للذميين أي أهل الكتاب الذين هم فى ذمة المسلمين في صحيفة ٨٦ « وقد ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعظم أسوة يجب ان نأتسي بهـا فى معاملة الاجانب عن ديننا ومخالفي معتقداتنا فانه عليه أشرف التحية والسلام كان يحضر ولائمهم ويغشى مجالسهم ويشيع جنائزهم ويعزيهم على مصائبهم »

ونحن لم نطلع على ذلك فى كتاب غير كتابه المذكور ولاندري: أيجوز ذلك أم لا وخصوصاً تشييع جنائزهم فانه صلى الله عليه وسلم على مانعلم نهي عن ذلك بقوله عز وجل : « ولاتصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » وهـذا وان نزل فى حق الصلوة على المنافقين والقيام على قبورهم الا انه يدخل فيهم سائر الكفار قياساً بدليل قوله عز وجل عقيب ذلك « انهم كفروا بالله وبرسوله وما تواوهم فاسقون » فجئنا الى حضرتكم سائلين أن تبينوا لنا: هـل صح انه صلى الله عليه وسلم فعل ما نقلناه آنفاً من الكتاب المذكور وهل جاز لنا أن نفعل ذلك اقتداء بأثر نبينا صلى الله عليه وسلم فان صح ذلك وجاز لنا أن نفعل فما هو الجواب عن الآية الكريمة المذكورة؟ أفيدونا بذلك آجركم الله تعالى:

(ج) ماذكره فريد أفندى في كتابه غير صحيح على اطلاقه وقد بينا غير مرة أنه لايجوز الاعتماد على مايذكر في الكتب من الأحاديث والسنة الا اذا كانت معزوة الى مخرجيها من المحدثين ليعرف صحيحها من غيره • وعبارة فريد أفندي تدل على أن ماذكره كان سنة متبعة ولو كان كذلك لاتفق الفقهاء أو أهل الأثر منهم على القول بوجوبها أو سنيتها • نعم ورد فى العيادة حديث صحيح ذكرناه فى المجلد السابع وفيه حديث ضعيف عند البيهقي عن أنس « كان اذا عاد رجلا على غير الاسلام لم يجلس عنده وقال كيف أنت يايهودي كيف انت يانصراني » ولا يحتج به • وأي حجة لنا على حسن معاملة المخالفين لنا في الدين أقوى من قوله تعالى « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم » الخ ومن اباحة طعام أهل الكتاب والتزوج منهم ومن وجوب حماية الذمي والمعاهد وغير ذلك مما هو معلوم فلا حاجة الى أن نعزو الى السنة ما ليس منها ونوجب على المسلمين مالم يوجبه الله تعالى عليهم مما ذكر فى السؤال

أما قوله تعالى « ولا تصل على أحد منهم مات » الآية فهو نهي عن جعل المنافقين كالمسلمين فى أحكام الدين الظاهرة والاستدلال به على تحريم تشييع جنازة الكافر أو زيارة قبره غير ظاهر ولم أر أحدا من علماء السلف وأئمة الدين استنبط ذلك منها ولكن بعض المفسرين المتأخرين رأى ان من الاحتياط عدم زيارة قبر الكافر لانه يشبه ان يكون من القيام المذكور فى قوله « ولاتقم على قبره » وان أجاز الزيارة كثير من العلماء بل نقل بعضهم جوازها عن أكثر العلماء لأنها للعبرة • والصواب ان القيام المنهي عنه هو ما كان معهودا من القيام على القبر بعد الدفن للدعاء والاستغفار • ولاشك أنه يحرم على المسلم ان يشارك غير المسلمين في كل عمل من أعمال دينهم وانه يباح له ان يجاملهم فيما ليس من اعمال دينهم ولا مخالفاً لديننا • وقد ذكرنا فى المجلد الماضي وغيره كثيرا من احكام معاملات المسلمين لغيرهم وفيها من التساهل مانفتخر به على جميع الملل فلتراجع

العدالة العامة وحكمة الله فى الناس

(س ١٠) ومنه: ربما يقع البحث عن الواجب الوجود تعالى وتقدس وأوصافه الشريفة وخصوصاً كمال عدله ورحمته تعالى فيوجد من الشاكين المشككين من يقول لو كان الله موصوفاً بكمال العدل لما جعل بعض الناس مؤمنين وبعضهم كافرين وجعل مأوى الطائفة الأولى الجنة والآخرة جهنم فاذا أجيب له عن ذلك بما أجبتم فى واحد من أعداد المنار وهو ان الله تعالى لم يخلق كافراً قط الى آخر ماقلتم واقنع

بذلك أورد اعتراضاً آخر يقول فيه: نعم سلمنا انه لم يخلق كافراً قط كما قلتم لكن ليس من العدل أن يجعل بعض الناس مولوداً من الابوين المؤمنين اللذين يكونان سبب ايمانه وفي ديار الاسلام التي اكثر أهاليها أهل الاسلام والناشئ بينهم في العادة يتخذ ديناً ومذهباً مثل دينهم ومذهبهم وان يجعل البعض الآخر مولوداً عن الابوين الكافرين اللذين يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه وفي دار أهل الكفر الذين بجاورتهم وانشوء بينهم يكون هو فى العادة مثلهم فرب رجل مؤمن لو ولد من الابوين الكافرين وخصوصاً فى دار أهل الكفر لم يكن مؤمناً بل قلما يتصور ذلك وبالعكس رب رجل كافر لو ولده أبوان مؤمنان وخصوصاً لو نشأ بين أهل الاسلام كان مسلماً ولم يكن كافراً. فسهل لبعضهم الدخول الى الاسلام ووعده الجنة وصعب ذلك للبعض الآخر وأوعده بجهنم.

واذا جيء الى البحث عن كمال رحمته تعالى يقول: إما انه تعالى ليس متصفاً بكمال الرحمة واما انه لايدخل اولا يخلد احدا في النار فان تخليد التعذيب لاسيما بالنار التي هي اشد التعذيب الذي اذا ذكر اقشعر جلد الرجل المدني لايليق بإنسان بل يخرجه عن ان يكون رحيما او بالطريق الاولى عن ان يكون متصفاً بكمال الرحمة فكيف يليق ذلك بالباري تعالى الذي نقول في حقه ان اعمالنا لاتضره ولاتنفعه؟ فنحن اتيناه مسرعين الى باب جنابكم راجين ان تشفوا غليل صدورنا بتجديد الرد على الاعتراضات المذكورة للشاكين المشككين وترووا بزلال اجوبتكم الشافية الوافية التي تكون حججاً ساطعة للموحدين، دامغة للذين امتلأت قلوبهم بشبهات الطبيعيين والدهريين، وخلت عن اليقين المخصوص بالمؤمنين ، لازلتم ملجأ وملاذا للمحتاجين، الى الاستنارة بنور علم الدين المبين ، ومورداً للذين صدورهم ظمأى، وطبيباً للذين قلوبهم مرضى، قاهر اللذين اتخذتهم هواء :

(ج) ترى في كتب الصوفية كلمة جليلة يروونها حديثاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول المحدثون انها لم ترو حديثا وانما هي ليحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى وهي «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ولا يعرف علو قدر هذه الكلمة الا من عرف نفسه وعرف ربه فان كانت ليحيى فلله در يحيى، من عرف نفسه بعرفان معنى الانسان وما خص به من المزايا والمقومات لايصدر عنه مثل ذلك الاعتراض الذي يهذي به

جهلاء الماديين أو المقلدين الذين قال في مثلهم الشاعر:

عمي القلوب عموا عن كل فائدة ... لانهم كفروا بالله تقليدا

لاينكر هؤلاء المعترضون أن الانسان أرقى المخلوقات المعروفة في هذا العالم ثم إنهم على اعترافهم بفضل الانسان وسمو الحكمة في خلقه وتقويمه ينبذون من الاقوال مايستلزم الاعتراض على خلق الانسان والاعتراف بأن عدمه خير من وجوده

ثم ان لاعتراضهم سببا آخر وهو الجهل بمعنى ماورد من إثابة المحسنين وعقاب المجرمين إذا ظنوا أنه من قبيل عقاب الحكام لمن يخالف أوامرهم وقوانينهم انتقاما منهم والحق أن ماورد في القرآن من ذلك هو كالشرح لما أودعه الله تعالى في خلق الانسان من المزايا «فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» — والنتيجة أن ذلك الاعتراض جهل بالحقيقة وجهل بالشريعة

بيان ذلك أن الانسان خلق مستعدا للارتقاء وكمال في عقله وروحه غير محدودين على أن يكون ارتقاؤه بسعيه وعمله الاختياري كما خلق مستعدا لان يهبط بسعيه واختياره الى أخس دركة من الشر والرذيلة . هكذا خلق الانسان كما هو معروف لنا في أنفسنا وفيما نراه في أفراد جنسنا وجمعياته ولم يخلق حيوانا محضا كسائر أنواع الحيوان محدود الادراك والقوى ملهما طلب ماتقوم به حياته الحيوانية واجتناب مالا حاجة له به في تقويمها ، ولا ملكا روحانيا كامل الخلقة محدود القوى لا أثر لعمله في ارتقائه ولا في تدليه . فالانسان نوع من أنواع الحقائق الممكنة تعلقت قدرة الله تعالى بايجاده فوجد على مانعلم من الاستعداد غير المتناهي الذي تظهر آثاره جيلا بعد جيل ولو لم يوجد الله تعالى هذه الحقيقة لكان العالم ناقصاً ولم يكن فيه شيء من هذه الآثار البديعة التي ظهر وسيظهر بها من سنن الله تعالى وحكمه في خلقه مالم يكن يظهر لولا هذا النوع المكرم لان الحكمة الازلية قضت بأن تكون آثار مخلوق مختار في عمله غير محدود في قواه وتصرفه

لم يخلق الانسان عبثا ولم تخلق قوة من قواه البدنية والروحية عبثاً فكل قوة منها آلة لاكتساب الخير والسعي في أسباب الرقي اذا لم يفرّط ولم يفرط في استعمالها وقد جعل الله له ميزانين يعرف بهما القسط في الوزن من التفريط وهو الخسران والافراط وهو الطغيان وهما العقل والدين . فمن كان له اعتراض على قوة من قوى الانسان أو مزية من

مزاياه يزعم أنها تنافي العدل الالهي أو الرحمة العامة فاننا مستعدون لكشف الشبهة له فى اعتراضه وإثبات ان تلك القوة آية من آيات العدل والحكمة وأثر من آثار الفضل والرحمة

بعد التسليم بأن الانسان أثر من آثار الحكمة والرحمة ننظر فى تأثير عمله فى نفسه التي هي حقيقته وجوهره كما أن البدن صورته ومظهره فنجد أن من تلك الاعمال ما ترتقى به النفس في معارفها وصفاتها وهو ما تكتسبه من العقائد الصحيحة والمعارف الحقيقية ومن عمل الخير والبر ومنها ماهو بضد ذلك والمرتقون هم الابرار، والاخرون هم الفجار، واذ انتهينا الى هذا الحد من بيان حقيقة الانسان ، فاننا نذكر مسألة الكفر والايمان، ونذكر بعدها مسألة الرحمة والعذاب متجنبين التطويل والاطناب، لما سبق لنا من تكرير الدخول فى هذا الباب ، فنقول

بينا غير مرة أن عقائد الاسلام هي مرقاة للعقل وآدابه وعباداته مرقاة للنفس وأحكامه مرقاة للاجتماع وقد ذكرنا هذا المعنى فى تفسير « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » من هذا الجزء . فمن دعي الى هذه الاصول دعوة صحيحة فلم ينظر فيها أو نظر فظهر له الحق فعانده ولم يتبعه يكن فى غاية الانحطاط العقلي والنفسي ونهاية البعد عن الحق والخير والتوغل فى الباطل والشر وهو ما يعبر عنه بالكفر والجحود وهو الجاني على نفسه بمعاندة الحق والخير ورفض سلم الترقي . وأما من لم تبلغه هذه الدعوة على وجهها الصحيح الذي يحرك الى النظر ومن بلغته فنظر فيها بالاخلاص ولم تظهر له حقيقتها فهو غير معاند للحق ولا كاره بسوء اختياره للخير . وعلامة مثله ان يتبع ما يظهر له انه الحق ويعمل بما يراه من الخير بحسب فهمه واجتهاده ولكنه مع هذا لابدان يكون منحط العقل والادراك اذ عرض عليه أرقى العقائد وأسمى الفضائل وأعدل الشرائع فلم يهتد الى فهم مكانة هذه الاصول فلا يكون ارتقاؤه كارتقاء من فهم هذه الاصول وتقبلها وكمل نفسه بها . فالناس طبقات فى الارتقاء العقلي والروحي أرقاها طبقة المؤمنين الكاملين وقليل ماهم وأسفلها طبقة الذين ينبذون الحق لا يحفلون به ولا ينظرون في دعوته أو يعاندونه ويجاحدونه كراهة وعداء لاهله . وبينهما طبقات من الناس كالذين يقبلون

الدعوة ولا يقومون بحقوقها كما يجب والذين لم تبلغهم الدعوة بالمرة . وقد أرشدنا الدين الى أن الناس يكونون في النشأة الآخرة فى دارين احداهما دار نعيم ورضوان والثانية دار آلام وخذلان سميت الاولى الجنة لان فيها جنات وبساتين لا بمعنى انها بستان واحد فقط وسميت الثانية النار والجحيم لا بمعنى أنها كلها جذوة نار ملتهبة بل ورد ان فيها زمهريرا . وانما هما دارا خلود للسعداء والأشقياء وكلاهما من عالم الغيب لا يجوز لنا البحث عن حقيقتهما والتحكم في بيان كنههما كما هو مقرر في علم العقائد من وجوب التفويض فى أمر الآخرة وعالم الغيب

وخلاصة القول إن الانسان خلق مستعداً لقبول الحق والباطل ولعمل الخير والشر وهو مختار فى أفعاله التي بها يترقى في عقله وروحه وكمالها ما أرشد اليه الدين الحق أو يتردى فيهما وغاية ترديه الجحود والكفر . وان خلق الانسان على هذه الصفة التي هو عليها من أبدع حكم الله وعدله وأن هذا النظام والإحكام سيكون من أثره سعادة المرتقي بالايمان الكامل والعمل الصالح فى الحياة الآخرة، وشقاوة الكافر المجرم في النشأة الثانية ، وكل ذلك نتيجة عمل الفريقين وأثر سعيهما كما يتنعم العالم الحكيم باللذات العقلية والمعارف الصحيحة والاخلاق الكريمة فى هذه الحياة من حيث يكون الجاهل الشرير فى عذاب أليم من وساوسه وهواجسه ومفاسد أخلاقه . فالجزاء فى الدنيا وفي الاخرة كله عدل ورحمة ، لانه أثر النظام والحكمة ، فالاعتراض على تفاوتهم فى الاخرة كالاعتراض على تفاوتهم في الدنيا « وما ربك بظلام للعبيد» «وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم» «وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين»

وقد بينا هذه المعاني مرات كثيرة فى التفسير وفى غير التفسير وكنا نود أن نكتب هذا الجواب في وقت صفاء وسعة ليكون أتم بياناً ولكن زارنا عند الكتابة أناس شغلونا بالقيل والقال فان خفي عن السائل شيء أو احب زيادة البيان فيه فليكتب الينا ثانية والله الموفق

فتوى ابن حجر في تحريم الاجتماع للموالد وغيرها من البدع

كتبنا غير مرة في بيان مفاسد هذه الاجتماعات التي يسمونها الموالد . وقد سمعنا وقرأنا فى الجرائد ان مولد السيد البدوي (رحمه الله تعالى) الذي احتفل به في هذه

الايام قد حشر له من الخلائق اكثر من الف الف اي اكثر من ضعفي حجاج بيت الله الحرام وان اسواق التجارة فيه كاسدة ولكن اسواق الفحش والفجور في رواج لم يعهد له نظير لأن ثروة المصريين كل عام فى مزيد وتمسكهم بالدين كل يوم في نقص . وقد احببنا ان ننشر لهم فتوى في الموالد لاشهر فقهاء الشافعية في عصره — وأكثر المصريين شافعية — وهي موافقة لسائر المذاهب لان الدليل الذي ذكره متفق عليه ولانه لو كانت المسألة خلافية لما اطلق القول بحكمها ، ليعرف من لم يكن يعرف ان حضور بعض علماء العصر في هذه الموالد لايدل على حلها وانما يدل على عصيانهم لله تعالى وعدم الاعتداد بعملهم ولا بعلمهم . وهي بحروفها كما فى ص ١١٢ من الفتاوى الحديثية :

« وسئل نفع الله به عن حكم الموالد والاذكار التي يفعلها كثير من الناس فى هذا الزمان هل هي سنة ام فضيلة ام بدعة ؟ فان قلتم انها فضيلة فهل ورد في فضلها اثر عن السلف او شيء من الاخبار ؟ وهل الاجتماع للبدعة المباح جائز ام لا ؟ وهل اذا كان يحصل بسببها او سبب صلاة التراويح اختلاط واجتماع بين النساء والرجال ويحصل مع ذلك مؤانسة ومحادثة ومعاطاة غير مرضية شرعاً (تحل) وقاعدة الشرع مهما رجحت المفسدة حرمت المصلحة وصلاة التراويح سنة ويحصل بسببها هذه الاسباب المذكورة فهل يمنع الناس من فعلها ام لا يضر ذلك ؟ » .

« فأجاب بقوله : الموالد والاذكار التي تفعل عندنا اكثرها مشتمل على خير كصدقة وذكر وصلاة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وعلى شر بل شرور لو لم يكن منها الا رؤية النساء للرجال الاجانب (لكفى) وبعضها ليس فيها شر لكنه قليل نادر ولاشك ان القسم الاول ممنوع للقاعدة المشهورة المقررة ان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فمن علم وقوع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك فهو عاص آثم وبفرض انه عمل فى ذلك خيراً فربما خيره لايساوي شره ألا ترى ان الشارع صلى الله عليه وسلم اكتفى في الخير بما تيسر وفطم عن جميع انواع الشر حيث قال : « اذا امرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » فتأمله تعلم ما قررته من ان الشر وان قل لا يرخص فى شيء منه والخير يكتفى منه بما تيسر . والقسم

الثاني سنة تشمله الاحاديث الواردة فى الاذكار المخصوصة والعامة كقوله صلى الله عليه وسلم : « لايقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة . وذكرهم الله تعالى فيمن عنده » رواه مسلم وروى ايضاً انه صلى الله عليه وسلم قال لقوم يذكرون الله ويحمدونه على ان هداهم للاسلام : « أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني ان الله تعالى يباهي بكم الملائكة » وفي الحديث اوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له وان الجالسين على خير كذلك يباهي الله بهم الملائكة وتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله تعالى بالثناء عليهم بين الملائكة فأي فضل اجل من هذه . وقول السائل نفع الله به وهل الاجتماع للبدع المباحة جائز ؟ جوابه نعم هو جائز قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : البدعة فعل مالم يعهد فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتنقسم الى خمسة أحكام : يعني الوجوب والندب الخ . وطريق معرفة ذلك ان تعرض البدعة على قواعد الشرع فأي حكم دخلت فيه فهي منه فمن البدع الواجبة تعلم النحو الذي يفهم به القرآن والسنة ومن البدع المحرمة مذهب نحو القدرية ومن البدع المندوبة احداث نحو المدارس والاجتماع لصلاة التراويح ومن البدع المباحة المصافحة بعد الصلاة ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد والمصاحف أي بغير الذهب والا فهي محرمة وفي الحديث « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وهو محمول على المحرمة لاغير وحيث حصل في ذلك الاجتماع لذكر أو صلاة التراويح اونحوها محرم وجب على كل ذي قدرة النهي عن ذلك وعلى غيره الامتناع من حضور ذلك والاصار شريكا لهم ومن ثم صرح الشيخان بأن من المعاصي الجلوس مع الفساق ايناساً لهم . » اه . وعبارته تشعر أنه لم يكن في هذه الموالد على عهده من المنكرات عشر معشار ما فيها اليوم اذ لم يكن الفسق مباحاً فى عصر من العصور كما هو اليوم مع عموم الجهل بالدين وكثرة الدراهم والدنانير فكيف لو رأى زماننا هذا . واذا كان الاجتماع للذكر أو صلاة التراويح يحرم اذا هو اشتمل على محرم ويجب النهي عنه لمن قدر فكيف لايجب على شيخ الازهر النهي عن مثل المولد الاحمدي الذي صار موسما للفحش والفجور وكبائر الذنوب والذي يمتنع لاجله طلاب العلم في الجامع الاحمدي ليكون مأوى للنساء ينامون مع الرجال ليلا ونهاراً وللاطفال يبولون فيه ويغوطون وللمجانين يصيحون فيه ويصخبون . وانما خصصنا شيخ الازهر بالذكر لانه أقدر رجل فى مصر على إبطال هذه البدع والفواحش والله الموفق

باب الأخبار والآراء

أحوال المغرب الاقصى

كتب الينا من فاس عاصمة المملكة المراكشية ما يأتي

أحوال المغرب الاقصى الحالية فى غاية الارتباك والتشوش وأضحت أعقد من ذنب الضب وبيان ذلك : أن سفير فرنسا طلب من السلطان باسم حكومته تقرير مطالبه الآتية: (١) ترتيب وتنظيم جيش يؤلف من ١٠٠ أورطه٠ (٢) أن يكون هذا الجيش تحت امرة أحد قواد فرنسا ويعطى هذا القائد صفة وعنوان مستشار لناظر الحربية الفرنسوية٠ (٣) أن يكون ضباط الجيش مافوق اليوزباشي من الفرنسويين٠ (٤) مد الأسلاك البرقية بواسطة الفرنسويين٠ (٥) تعيين مستشارين فرنسويين للمالية٠

ولما أبلغ السلطان طلبات السفير ألف في الحال لجنة من خمسين واحداً من أعيان البلاد وكلفهم ان يقرروا مايجب وان يكتبوا الجواب اللازم ليبلغ السفير الفرنسوي واجتمعت اللجنة قبل تاريخه بثلاثة أيام وقررت باتفاق الآراء رفض طلبات السفير٠ ولما أرسل الجواب اليه قال : إنكم ياقوم لاتبغون الاصلاح لوطنكم ولكن اعلموا أن الحكومة الفرنسوية تصرف كل سنة مايزيد عن ستة ملايين في سبيل إعادة الامن العام على الحدود الجزائرية الذي طالما اختل بسبب ثورات القبائل الناشئة من فساد أحكامكم وسوء أحوالكم لذا ترى حكومتي أن ترسل جنوداً لمقاومة كل ثورة تقوم على الحدود فى المستقبل وتضرب القبائل الثائرة وتؤدبها وتضبط بلادها وتعين عليها الحكام والقضاة من قبلها (أي فرنسا) والآن أريد من حضرة السلطان أن يصدق على طلبي هذا ويأذن أن نعمل بموجبه ٠

هذا ماقاله السفير الفرنسوي وهذا ماطلبه بعد رفض طلباته الأولى على ان الفتن والقلاقل والمشاكل والثورات الناشئة عما يلقيه أصحاب الدسائس مثل ابي حمارة وابي عمامة امتدت على طول الحدود الجزائرية حتى ان نار الثورة سرت من الحدود الى القبائل النازلة قرب العاصمة التي لاتبعد عن ابوابها الا ساعتين فقط والحكومة متحيرة في أمرها لاتعلم كيف ترد عنها هذه النازلة والمنتظر ان تصير الثورة عامة في البلاد المراكشية فتقضي على المملكة ٠ ويوجد الآن جيش مؤلف

من (٥٠٠٠٠) جندي من مسلمي الجزائر فى (وجده) على مقربة من الحدود ينتظرون الامر من الحكومة الفرنسوية لتخطي الحدود والدخول فى الاراضي المراكشية على ان حكومة المخزن ليس لها حتى في عاصمتها أكثر من خمسمائة جندي٠ كل ذلك والمسلمون قضاتهم وحكامهم وعلماؤهم وعامتهم ينتظرون المدد والفرج من قبر مولاي إدريس والسلطان يستأجر مائتين من طلبة العلوم ويأتي بهم كل ليلة للنداء بكلمة (يالطيف) مائة الف مرة فيجلسون عند قبر مولاي إدريس ويرسلون أصواتهم الى السماء قائلين (يالطيف يالطيف ٠٠٠) والناس ينتظرون من تأثير ذلك ان يمرض السفير الفرنسوي فيموت أو ان المانيا تعلن الحرب على الحكومة الجمهورية٠ ومن المصادفات الغريبة أن وردت الاخبار بقرب وصول امبراطور المانيا الى طنجة فابتهجت القلوب وابتسمت الثغور ولا تسل عما دخل من السرور بل من الغرور فى قلوب هؤلاء الطلبة قراء (يالطيف) من فوزهم الاكبر هذا ونجاحهم باستجلاب امبراطور الألمان الى بلادهم ليدرأ عنهم الملة الفرنسوية نسئل الله أن يكون فى عون هذه الامة المسكينة المستسلمة الى يد الجهل والغرور

أما السلطان فأنه أرسل عمه مولاي عبد الملك والصدر الاعظم ومستشار ناظر الخارجية لاستقبال عاهل الالمان ومعهم كثير من الهدايا النفيسة

ومما يصح أن يذكر ان السفير الفرنسوي لم يذكر شيئاً عن نشر المعارف وفتح المدارس في مذكرته بل يظهر أنه يقاوم المعارف فقد علمنا أن بعض الاعيان والاغنياء هنا عزموا على فتح مدرسة حربية وأخرى طبية بشرط أن يكون التدريس فيهما باللغة العربية ولما استأذنوا اولي الشأن فى المسألة وبلغت مسامع السفير الفرنسوي استشاط غضباً وأقام النكير واعترض اعتراضاً شديداً على فتح المدارس. ولا إصلاح بدونها!!

رأينا فى المنار أنكم عازمون على الرد على رسالة المهدي الوزاني ولا حاجة الى ذلك فانها ملانة بقال فلان وحكى فلان كأن الرجل مسدود الاذنين عن الاية القائلة (اياك نعبد واياك نستعين) ولا يخفى أن هذا الرجل ومن ماثله يحصلون على قوتهم من وراء قبور (الاولياء) وانتم باجتهاداتكم الدينية المفيدة أقمتم سدا منيعا بينهم وبين مطامعهم فلو استطاع لنسفكم بقنبلة مدفع ولم يكتف بالرد عليكم

هنا ربيعة (الربيعة صندوق النذور) عبد السلام الوزاني وربيعة مولاي أدريس يعملان مالا يعمل معمل (فابريقة) مدافع كروب اذ أن العوام ينثرون نصف مايكسبونه

على ربيعة مولاي ادريس قائلين (ياقطب المغرب يامولاي ادريس) ويضعون النصف الآخر في جيب الوزاني صائحين (يادار الضمان) اه

(المنار) إذا صحت رواية المكاتب ولا نخالها الا صحيحة فالسفير الفرنسي لم يترك لعاقل منفذا لتحسين الظن بفرنسا لأن مقاومة العلم والاكتفاء من الاصلاح بالاخذ بقوف رقبة الحربية وبحجزه خزينة المالية وبمعاقد المواصلات العمومية مما يثير سوء الظن بأنه لا غرض لفرنسا إلا الاستيلاء على البلاد لاجل استغلالها لا لاجل تمدينها٠ أما غرور المراكشيين بزيارة عاهل ألمانيا لطنجة توهما أن ذلك كرامة لمولاي ادريس رحمه الله فهو لجهلهم بالسبب واعتيادهم على جعل الامور العادية من خوارق العادات٠ السبب الصحيح لمعارضة ألمانيا لفرنسا في استعمار مراكش الآن هو المناظرة والمنافسة المعروفة وسنوح الفرصة بانكسار روسيا في حربها مع اليابان واشتعال نيران الثورة والفتنة في بلادها٠ ولولا واقعة مكدن التي خسر بها الروس نحو ١٥٠ ألف رجل بين قتيل وجريح وأسير وتلك الثورات لم تندفع ألمانيا الى ما اندفعت اليه٠ وليت المراكشيين يعلمون ان ألمانيا ليست خيراً من فرنسا في مستعمراتها بل هي شر منها وأنهم اذا لم يستفيدوا من المناظرة بينهما بالعقل والحكمة دون الاتكال على الكرامات فلا يكون دخول الألمان في بلادهم الا وبالا عليهم

وقعت أغلاط في تفسير آية (كان الناس الخ) المنشور في الجزء الثاني فعملنا لها هذا الجدول لتصحح

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٢	٣	الآية	الامة
٤٨	٦	بعد	بعدما
٤٨	٩	كما تراه	ولا بمعنى انهم كانوا جميعا على الضلال، كما تراه
٤٨	١٦	اولا يزالون	ولا يزالون
٥٠	٠٧	كما كانوا	لما كانوا
٥٢	١٢	أن لا يؤولوا	أن يؤولوا
٥٥	٤	أو ربما	وربما
٥٦	٨	الخاطئين	المخاطبين
٥٦	٩	قدمهد	قدمهم
٥٦	١٩	الحر	الحبر

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٥٧	١٤	جاءهم	جاءتهم
٦٠	٢٠	خفيف	ضعيف
٦١	٦	علمه	عمله
٦١	٨	المعلوم	المعلومة
٦١	٨	ذلك السن هو المعروف	تلك السن هي المعروفة
٦٢	٨	لأدنى	لأرقى
٦٥	١١	إلى مرحلة	مرحلة
٦٥	١٤ و١٥	وعمدت الجمعية لتقويم	أهملت الجمعية تقويم
٦٥	١٩	اختلف	اختلف فيه
٦٦	١٩	نبيه	بنيه

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — السبت غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٣ — ٦ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢١٩:٢١٦) يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ، وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * (٢٢٠:٢١٧) فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *

قال السيوطي في أسباب النزول : روى أحمد من حديث أبي هريرة قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله (ص) عنهما فأنزل الله (يسئلونك عن الخمر

والميسر) الآية فقال الناس ماحرم علينا إنما قال إثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمّ أصحابه فى المغرب فخلط في قراءته فأنزل الله آية أغلظ منها « يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى » الآية ثم نزلت آية أغلظ من ذلك «ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان» الى قوله «فهل أنتم منتهون» قالوا انتهينا ربنا. وقال الجلال فى تفسير آية البقرة إنها لما نزلت شربها قوم وامتنع آخرون حتى نزلت آية المائدة. وهو مخالف للاطلاق الذي نقلناه آنفا عن كتاب أسباب النزول له. وروى أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم عن عمر انه قال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فانها تذهب بالمال والعقل فنزلت هذه الآية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي فى سورة النساء «يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى » فكان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة أن لايقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التي فى المائدة فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ « فهل أنتم منتهون » قال عمر انتهينا انتهينا. وفى النفس شيء من هذه الروايات التي توهم ان الآيات نزلت متتابعة وأن قول الله تعالى «فيهما إثم كبير» وقوله «وإثمهما أكبر من نفعهما» لم يكن كافيا لكف الصحابة عن شرب الخمر كما فى الرواية الأولى. ولا يتوقف فهم معنى الآيات على شيء من هذه الروايات ويظهر من مجموعها أن القطع بتحريم الخمر والنهي عنها كان بعد تمهيد بالذم والنهي عنها فى حال الصلاة وأوقات الصلوات متقاربة فمن ينهى عن قرب الصلاة وهو سكران فلا بد أن يتجنب

السكر في أكثر الاوقات لئلا تحضره الصلاة وهو سكران وفى هذا من الحكمة فى التدريج بالتكليف مالا يخفى. قال القفال والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم ان القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بها كثيرا فعلم الله انه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فلا جرم استعمل فى التحريم هذا التدريج وهذا الرفق: والذي كان يتبادر لولا الروايات ان آية سورة النساء هي التي نزلت أولا فكانوا يمتنعون عن الشرب فى أكثر الاوقات لئلا تفوتهم الصلاة وأما آية المائدة فلا شك أنها آخر مانزل لأنها أكدت النهي وبينت علة التحريم بالتعيين على أن السورة برمتها آخر السور نزولا وقد ذهب بعض الأئمة الى أن الخمر حرمت بهذه الآية وان ما أتى بعدها فهو من قبيل التوكيد لأن لفظ الاثم يفيد المحرم قال تعالى « قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق » . ولكن ذهب الجمهور الى أن التحريم كان تدريجا كما تقدم ووجهه الاستاذ الامام بأنه المنقول والمعهود فى حكمة التشريع وقال ان الاثم هو الضرر فتحريم كل ضار لايقتضي تحريم مافيه مضرة من جهة ومنفعة من جهة أخرى لذلك كانت هذه الآية موضعا لاجتهاد الصحابة فترك لها الخمر بعضهم وأصر على شربها آخرون كأنهم رأوا انه يتيسر لهم أن ينتفعوا بها مع اجتناب ضررها فكان ذلك تمهيدا للقطع بتحريمها ولو فوجئوا بالتحريم مع ولوع الكثيرين بها واعتقادهم منفعتها لخشي أن يخالفوا أو يستثقلوا التكليف فكان من حكم الله أن رباهم على الاقتناع بأسرار التشريع وفوائده ليأخذوه بقوة وعقل.

لفظ الخمر منقول من مصدر خمر الشيء بمعنى ستره وغطاه يقال

خمرت الشيء اذا سترته وخمرت الجارية ألبستها الخمار وهو النصيف الذي تغطي به وجهها وتخمرت هي واختمرت . والوجه في النقل ان هذا الشراب يستر العقل ويغطيه ، أو هو من خامره بمعنى خالطه يقال خامره الداء أي خالطه ومثله خامر الشيء الشيء ، أو بمعنى التغير يقال خمر الشيء (كعلم) اذا تغير عما كان عليه والعصير يتغير فيكون خمرا ، أو بمعنى الادراك من خمر العجين ونحوه فاختمر أي بلغ وقت إدراكه وقال ابن الاعرابي انه يقال سميت الخمر خمرا لانها تركت حتى اختمرت واختمارها تغير رائحتها . وجميع هذه المعاني ظاهرة في هذه الاشربة المسكرة كلها كما قال ابن عبد البر فيصح إطلاق اسم الخمر لغة على كل مسكر وهذا ما ذهب اليه أشهر علماء اللغة كالجوهري وأبو نصر القشيري وأبو حنيفة الدينوري والمجد صاحب القاموس . والظاهر ان هذا الاطلاق حقيقي ولا وجه للعدول عنه الا أن يصح ان العرب كانت تسمي نوعا خاصا من المسكرات خمرا لا تطلق اللفظ على مسكر سواه وهو ما زعمه بعض الناس والحنفية على أن الخمر ما اعتصر من ماء العنب اذا اشتد وقذف بالزبد زاد بعضهم ثم سكن وقيل اذا اشتد فقط . ويرده أن الصحابة وهم صميم العرب فهموا من تحريم الخمر تحريم كل مسكر ولم يفرقوا بين ما كان من العنب وما كان من غيره بل قال أهل الاثر ان الخمر حرمت بالمدينة ولم يكن شرابهم يومئذ الا نبيذ البسر والتمر فهو الذي تناوله نص القرآن ابتداء وأخرج أبو داود: نزل تحريم الخمر يوم نزل وهو من خمسة من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ما خامر العقل : وكأن هذا كل ما كان يعرف ولا شك ان غيره مثله . وكذلك الاحاديث الصحيحة صريحة في ذلك ومنها حديث الصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي « كل

مسكر خمر » وروي بزيادة « وكل خمر حرام » وكان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء يجلدون كل من سكر ويعبرون عن ذلك بحد الخمر أو عقوبته . يقول المخصصون ان ما ورد في الحديث اصطلاح شرعي لا لغوي ونقول ان الذي أنزل عليه الذكر ليبين للناس ما نزل عليهم قد بين لهم ان الخمر التي نهى الله عنها في كتابه هي كل مسكر فلا فرق في حكمها بين مسكر وآخر وهذا البيان قطعي متواتر لان العمل عليه وفي حديث أبي داود وغيره « ما أسكر كثيره فقليله حرام »

وأما الميسر فهو القمار واشتقاقه من يسر اذا وجب أو من اليسر بمعنى السهولة لانه كسب بلا مشقة ولا كد أو من اليسار وهو الغنى لانه سببه للرابح أو من اليسر بمعنى التجزئة والاقتسام يقال يسروا الشيء اذا اقتسموه . قال الأزهري الميسر الجزور (الجمل) كانوا يتقامرون عليه سمي ميسرا لأنه يجزأ أجزاء فكأنه موضع التجزئة وكل شيء جزأته فقد يسرته والياسر الجازر أي لانه يجزئ لحم الجزور ثم صار يقال للمتقامرين جازرون لأنهم سبب الجزر والتجزئة هذا هو الاصل . وأما كيفيته عند العرب فهي أنه كان لهم عشرة قداح (بالكسر) وهي الأزلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس (ككتف) والمسبل والمعلى والنافس والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد من السبعة الاولى نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء أو ثمانية وعشرين جزءا وليس للثلاثة الأخيرة شيء فللفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وهو أعلاها . وكانوا يجعلون هذه الازلام في الربابة وهي الخريطة ويضعونها على يد عدل يجلجلها ويدخل

يده فيخرج منها واحدا باسم رجل ثم واحدا باسم رجل الخ فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح لانصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله . وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم بالتحريك وهو فى الاصل ثمر العضاه لاينتفع به . وقد نظم بعضهم هذه الاسماء فقال

كل سهام الياسرين عشره — فأودعوها صحفاً منشره
لها فروض ولها نصيب — الفذ والتوأم والرقيب
والحلس يتلوهن ثم النافس — وبعده مسبلهن السادس
ثم المعلى كاسمه المعلى — صاحبه فى الياسرين الأعلى
والوغد والسفيح والمنيح — غفل فما فيها يرى ربيح

وقد اختلفوا هل الميسر ذلك النوع من القمار بعينه أم يطلق على كل مقامرة ولكن لاخلاف فى أن كل قمار محرم قطعا الا ما أباح الشرع من الرهان فى السباق والرماية ترغيبا فيهما

(قل فيهما إثم كبير) قرأ حمزة والكسائي « كثير » من الكثرة وقرأ الباقون « كبير » من الكبر وإنما كان اثم الخمر كبيراً لأن مضرتها كبيرة ولا إثم الا ما كان ضارا والضرر يكون فى البدن والنفس والعقل والمال ويكون فى التعامل وارتباط الناس بعضهم ببعض . ولا يوجد اثم من الآثام يدخل ضرره فى كل شيء كالخمر . وأنواع هذا الضرر كثيرة فمن مضرات الخمر الصحية إفساد المعدة والإقهاء (فقد شهوة الطعام) وتغيير الخلق فالسكارى يسرع اليهم التشوه فتجحظ أعينهم وتمتقع سحنتهم وتعظم بطونهم بل

قال أحد أطباء الالمان إن السكور (كثير السكر) ابن الأربعين يكون نسيج جسمه كنسيج جسم ابن الستين ويكون كالهرم جسما وعقلا: ، ومرض الكبد والكلى ، وداء السل الذي يفتك في البلاد الاوربية فتكا ذريعا على عناية أهلها بقوانين الصحة ولكن لا وقاية من شرور السكر الا بتركه وقد قيل ان نحو نصف الوفيات فى بعض بلاد أوربا بداء السل . ولم يكن هذا الداء معروفا أو منتشرا فى مثل هذه البلاد قبل شيوع السكر فيها فهو من الادواء التي حملها اليها الاوربيون وقد كثر كثرة فاحشة فى مصر على أن جوها لا يساعد على انتشاره . وأما ضرر الخمر فى العقل فهو مسلم عند الناس وليس ضرره فيه خاصا بما يكون من فساد التصور والادراك عند السكر بل السكر يضعف القوة العاقلة وكثيرا ماينتهي بالجنون ولأحد أطباء ألمانيا كلمة اشتهرت كالامثال وهي « اقفلوا لي نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والتكايا والسجون »

وقد قال الأطباء ان المسكر لا يتحول الى دم كما تتحول سائر الاغذية بعد الهضم بل يبقى على حاله فيزاحم الدم فى مجاريه فتسرع حركة الدم وتختل موازنة الجسم وتتعطل وظائف الاعضاء أو تضعف وتخرج عن وضعها الطبيعي المعتدل فمن تأثيره فى اللسان إضعاف حاسة الذوق وفي الحلق الالتهاب وفى المعدة ترشيح العصارة الفاعلة في الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها وقد يحدث فيها احتقانا والتهابا ، وفى الامعاء التقرح ، وفى الكبد تمديده وتوليد الشحم الذي يضعف عمله . وكل هذا يتعلق بما يسمونه الجهاز الهضمي . ومن تأثيره في الدم أنه بممازجته له يعيق دورته وقد يوقفها أحيانا فيموت السكور فجأة ويضعف مرونة الشرايين فتتمدد

وتغلظ حتى تنسد أحيانا فيفسد الدم ولو في بعض الاعضاء فتكون الغنغرينا التي تقضي بقطع العضو الذي تظهر فيه لئلا يسري الفساد الى الجسد كله فيكون هالكا . ومن تأثيره فى جهاز التنفس إضعاف مرونة الحنجرة وتهييج شعب التنفس وأهون ضرر ذلك بحة الصوت والسعال وأعظمها تدرن الرئة أي السل الفاتك بالشبان ، والقاطع لجميع لذات الانسان ، وأما تأثيره في المجموع العصبي فهو الذي يولد الجنون ويهلك النسل فولد السكور لا يكون نجيبا وولد ولده يكون شرا من ولده وأضعف بدنا وعقلا وقد يؤدي تسلسل هذا الضعف الي انقطاع النسل بالمرة لاسيما اذا جرى الأبناء على طريق الآباء كما هو الغالب

ومن مضرات الخمر فى التعامل وقوع النزاع فى الخصام بين السكارى بعضهم مع بعض وبينهم وبين من يعاشرهم ويعاملهم تثير ذلك ادنى بادرة فيوغلون فيه حتى يكون عداوة وبغضاء وهذه العلة فى التحريم من أكبر العلل فى نظر الدين ولذلك ورد النص فى سورة المائدة « إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر » ومنها إفشاء السر وهو ضرر يتولد منه مضرات كثيرة لاسيما اذا كان السر يتعلق بالحكومة . ومنها الخسة والمهانة في أعين الناس فان السكران يكون فى هيأته وكلامه وحركاته بحيث يضحك منه ويستخف به كل من يراه حتى الصبيان لأنه يكون أقل منهم عقلا وأبعد عن التوازن في حركاته وأعماله والضبط في أفكاره وأقواله . وينقلون عن السكارى من النوادر الغريبة ما يكفي فى ردع من له شرف وعقل عن الخمر فيراجع ذلك في كتب الادب والمحاضرة ومما ذكر عن المحدثين ان ابن أبي الدنيا مر بسكران وهو يبول فى يده

ويمسح به وجهه كهيئة المتوضىء ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهورا : ومنها ان جريمة السكر تغري بجميع الجرائم التي تعرض للسكران وتجرىء عليها ولذلك سميت الخمر أم الخبائث كما ورد في الحديث فهذه إشارة الى مضرتها في النفس من حيث الاخلاق والآداب

ومن مضراتها المالية أنها تستهلك المال وتفني الثروة كما قال عنترة « فاذا شربت فانني مستهلك مالي » البيت . ولم تكن الخمر مذهبة للثروة فى زمن من الازمنة كزماننا هذا لاسيما فى هذه البلاد فان أنواع الخمر كثرت ومنها ماهو غالي الثمن جدا ثم ان المتجرين بها كثيرا ما يقرنون بينها وبين القيادة الى الزنا وفي مصر القاهرة بيوت للفسق تجمع بين الخمر والنساء الراقصات المومسات يدخلها الرجال زرافات وافذاذا ويتبارون ثم فى النفقة حتى ليخسر الرجل فى ليلته المئين والالوف . وإن الخمار ليفتح فى أحد القرى والمزارع من هذه البلاد حانة صغيرة فلا تزال تتسع بما تبتلع من ثروة الاهالي وغلات أرضهم حتى تبتلع القرية كلها فتكون أموالها وغلاتها وقطنها وتجارتها فى يد (الخواجه) صاحب الحانة . وقد عم البلاء بالخمر هذا القطر بما لاهله من الاستعداد للتقليد حتى قيل ان ما يصرف فى مصر على الخمر يعدل ما يصرف فى فرنسا كلها

ومن مضرات الخمر فى الدين من حيث روحه ووجهة العبد الى الله تعالى أن السكران لاتتأتى منه عبادة من العبادات لاسيما الصلاة التي هي عماد الدين ولذلك قال تعالى فى آية المائدة بعد ما تقدم آنفا ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » وسيأتي إيضاح هذا المعنى فى تفسير سورة المائدة ان شاء الله تعالى. فهذا شيء من البيان لكون إثم الخمر كبيرا بمعنى ان كبره

بكبر ضرره أو كونه كثيرا لكثرة أنواعه . وقد يشتبه بعض المبتلين بشرب الخمر في بعض تلك المضرات الصحية أو يتوهمون انه يسهل عليهم التوقي منها وهيهات هيهات لما يتوهمون فان المزاج الذي يتحمل سم الخمر الذي يسمى الكحول أو الغول زمنا طويلا بحيث يغتر الناس بحسن صحة صاحبه قليل فى الناس ولكن هؤلاء المبتلين يقيسون على النادر ويجهلون الاصل الغالب وهو انه لا يكاد يسلم معتاد السكر من ضرره فى جسمه أو عقله ومداركه أو ولده وذريته . وأما المضرات المعنوية فيقل فى معتادي السكر من يحفل بها على ان منهم من يرى انه يسهل عليه تجنبها

وأما كون إثم الميسر كبيرا أو كثيرا فقد جاء فيه ماجاء فى الخمر من كونه يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهذا ظاهر لا مشاحة فيه ثم انه طريق لا كل أموال الناس بالباطل أي بغير عوض حقيقي من عين أو منفعة وهذا محرم بنص القرآن كما تقدم فى محله ومن مضراته ما نبه اليه الاستاذ الامام ولم يسبقه اليه أحد من المفسرين وهو افساد التربية بتعويد النفس على الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية واضعاف القوة العقلية بترك الاعمال المفيدة في طرق الكسب الطبيعية وإهمال الياسرين (المقامرين) للزراعة والصناعة والتجارة التي هي أركان العمران . ومنها وهو أشهرها تخريب البيوت فجأة بالانتقال من الفقر الى الغنى فى ساعة واحدة فكم من عشيرة كبيرة نشأت فى الغنى والعز وانحصرت ثروتها في رجل أضاعها عليها في ليلة واحدة فأصبحت غنية وأمست فقيرة لا قدرة لها على أن تعيش على ماتعودت من السعة

أما المنافع فى الخمر فأهمها التجارة فقد كانت ولا تزال موردا كبيرا

للثروة ومادة عظيمة للتجارة ولولا ذلك لغلب عقلاء الافرنج على جهالهم وأبطلوا عمل الخمور وبيعها حتى لا يبقى منها الا مايعمل سرا كما هو شأن الناس فى اللذات الممنوعة .. وقد كانت العرب تسخو فى شراء الخمر مالا تسخو فى غيرها وكانوا يعدون ترك المماكسة فيها مكرمة وفضيلة فيكثر ربح مجتلبها وبائعها . ومنها أنها قد تكون علاجا لبعض الامراض ككثير من السموم والنبات الضار بالمزاج المعتدل ولكن الدواء يؤخذ بمقدار فالتداوي بالخمر لا يتفق مع شربها للنشوة واللذة . ومنها أنها تسلي الحزين على أن مايكون بعدها من رد الفعل يزيد فى الحزن والكآبة ومنها انها تسخي البخيل ولكن هذا السخاء قد صار ضررا كله لأنه يذهب بثروة البلاد فيضعها فى أيدي شرار الأجانب وقد كان فى الجاهلية نافعا لان الرجل كان يبذل ماله فى قومه . ومنها أنها تثير النخوة وتشجع الجبان وقد كان هذا أعظم منافعها عند العرب فى الجاهلية وهو من أكبر مضراتها فى هذا الزمان لاسيما فى مثل هذه البلاد لأن هذه الحمية هي السبب فيما يكون بين السكارى من التنازع والتخاصم والاعتداء . ولا حاجة اليها فى الحرب الآن بل هي ضارة فيها لأن الحرب صارت صناعة دقيقة وفنا من العلم لابد فيها من حضور العقل وجودة النظر فرب غلطة من قائد تذهب بجيشه وتظفر به عدوه فالضباط مدبرون والجنود آلات عاقلة فى أيديهم لا نجاح لها الا بالسمع والطاعة مع الفهم والسكر قد يحول دون حسن التدبير من العقلاء وسرعة الامتثال من الجنود . ويعدون من منافع بعض الخمور القليلة التأثير كالجعة (البيرة) التغذية والتحليل ويعجبني جواب سؤال فى ذلك ذكر في مجلة عربية وهو أن لقمة من الخبز أكثر تغذية من كوب من البيرة وان كوبا من الماء

أشد تحليلا من كوب منها. على انه ليس في الخبز والماء ضرر ما

ومن منافع الميسر مواساة الفقراء كما علمت من عادة العرب التي لا وجود لها الآن ومنها سرور الرابح وأريحيته ومنها ان يصير الفقير غنيا من غير تعب ولا نصب. وزعم بعض الناس أن المنافع التي كانت فى الخمر والميسر قد سلبها الله تعالى منهما بعد التحريم وهو قول غير معقول ولا دليل عليه بل الحس ينبذه ولا حاجة اليه فى التنفير عن الجريمتين بعد مابين الله تعالى الأصل فى التنفير بقوله

(وإثمهما أكبر من نفعهما) وهذا القول إرشاد للمؤمنين الى طريق الاستدلال فكان عليهم ان يهتدوا منه الى القاعدتين اللتين تقررتا بعد فى الاسلام قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وقاعدة ارتكاب أخف الضررين اذا كان ترك أي منفعة ضررا . ولكن لم يهتد الى ذلك جميعهم اذ ورد أن بعضهم ترك الخمر بعد نزول الآية وبعضهم لم يترك كما تقدم . ومضرة الخمر لا يجهلها أحد ولذلك كان فى الجاهلية من حرمها على نفسه ومنهم العباس بن مرداس قيل له فى الجاهلية ألا تشرب الخمر فانها تزيد في حرارتك فقال : ما أنا بآخذ جهلي بيدي فأدخله جوفي ولا أرضى أن أصبح سيد القوم وأمسي سفيههم : وأطباء الافرنج وعلماؤهم مجمعون على أن ضرر الخمر - وكذلك الميسر بالاولى - أكبر من نفعها وقد ألفت جمعيات فى أوربا وأمريكا للسعي في إبطال المسكرات فهم يتعاهدون على عدم الشرب وعلى الدعوة الى ذلك والسعي لدى الحكومات بالتشديد على بائعي الخمور فالايام والاجيال كلما تقدمت وارتقت تؤيد قول القرآن بأن إثم الخمر والميسر أكبر من نفعهما فان أطباء هذا العصر

يصفون من مضرات الخمر مالم يكن معروفا عند الاطباء المتقدمين وهو ما أطلقه الله تعالى لعباده ليبحثوا فيه ويتبينوا صدقه بأنفسهم لتكون عقولهم مؤيدة لكتابه بوجوب اجتنابه ولكن لدينا من أهل الذكاء والفطنة وأدعياء العلم والمدنية من استعبدهم سلطان اللذة فصرفهم عن النظر والبحث فى هذه المضرات كما صرفهم عن هداية الدين وصرف آباءهم عن تربيتهم عليه فأسرفوا فى معاقرة الخمر حتى غيض معين حياة بعض الشبان، وانكسفت شموس عقول آخرين قبل الاكتهال ، فحرموا من سعادة الحياة وحرمت بيوتهم وأمتهم مما كانت ترجوه من ذكائهم واستعدادهم ، بدت فتنة السكر في طائفة من الكبراء والمتعلمين ، وسرت عدواها الى غيرهم من المقلدين ، حتى قلد فيها شيوخ القرى وعمد البلاد وكانوا شر قدوة للفلاحين والاجراء وعم خطر هذه الآفة التي تتبعها آفة الزنا حيث سارت ويتبع الزنا داء الزهري الذي هو من أسباب انقطاع النسل فأية منفعة توازي هذه الآفات القاتلة والجوائح المصطلمة ،

نوه الاستاذ الامام فى الدرس بهذه العبرة وقال إنني كنت أقول ان المصريين لا يفنون فى جنس آخر وان استولى عليهم قرونا طويلة ولكن غيرهم قد يفنى فيهم لأنهم يرضون بكل سلطة ويدينون لكل قوة فلا يؤثر فيهم الذل والفقر كما يؤثر في غيرهم بل يظلون ما وجدوا قوتا يتناسلون ويكثرون والعامل لا يعدم فى ارض زراعية كمصر قوتا ولذلك تقلبت الأمم على المصريين ثم زالت او زال سلطانها عنهم وبقي المصريون مصريين لهم سحنتهم وصفاتهم واخلاقهم وعاداتهم ولكنني رجعت عن هذا القول بعد ما رأيت من انتشار الخمر والزنا فى البلاد لاسيما هذه الخمور الافرنجية التي تباع

للفقراء والفلاحين وما هي بخمر جعلت للشرب وإنما هي المادة المحرقة السامة التي تسمى السبيرتو يضاف اليها شيء من الماء والسكر أو غير ذلك مما يمكن من تناولها . فاذا استمر السكر والفحش على سريانهما هذا فلا يبعد ان تنقرض الامة المصرية بعد جيلين أو ثلاثة كما انقرض هنود أمريكا فلا يبقى منهم الا بقية من الخدم والاجراء عند من يخلفهم فى الارض فان السكر والزنا كالمقراضين يقرضان الامم قرضا

واما كون إثم الميسر اكبر من نفعه فهو أظهر مما تقدم في الخمر لاسيما فى هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع القمار وعم ضررها حتى ان الحكومات الحرة التي تبيح تجارة الخمر تمنع أكثر أنواع القمار وتعاقب عليها على احترامها للحرية الشخصية فى جميع ضروب التصرف التي لا تضر بغير العامل فمنفعة القمار وهمية ومضراته حقيقية فان المقامر يبذل ماله المملوك له حقيقة على وجه اليقين لاجل ربح موهوم ليس عنده وزن ذرة لترجيحه على خطر الخسران والضياع والمسترسل فى اضاعة المحقق طلبا للمتوهم يفسد فكره ويضعف عقله ولذلك ينتهي الأمر بكثير من المقامرين الى بخع أنفسهم (قتلها غما) أو الرضى بعيشة الذل والمهانة . قال الاستاذ الامام انني أعرف رجلا كانت ثروته لا تقل عن ثلاثة آلاف الف جنيه (٣ ملايين) فما زال شيطان القمار يغريه باللعب فيه حتى فقد ثروته كلها وعاش بقية حياته فقيرا معدما حتى مات جائعا . وذكر انه ربح فى ليلة تسع مئة الف فرنك فقال لا أبرح حتى أتمها مليونا فلم يبرح حتى خسرها الى مليون آخر . وهكذا شأن أكثر المقامرين يغترون بالربح الذي يكون لهم أو لغيرهم أحيانا فيسترسلون فى المقامرة حتى لا يبقى لهم

شيء . ولبيوت القمار فى مصر طرق فى استدراج الاغنياء لا يعقلها المصريون على ما يرون من آثارها فى تخريب بيوت من اصطيدوا بأحابيلها من إخوانهم . ويحكى أن رجلا عاقلا رأى من ولده ميلا الى المقامرة لمعاشرته بعض أهلها فلما حانت وفاته وخاف أن يضيع ولده ما يرثه عنه وعلم ان النهي لا يكون الا إغراء قال له يا بني أوصيك اذا شئت أن تقامر بأن تبحث عن أقدم مقامر فى البلد وتلعب معه فطفق الولد بعده يبحث ويسأل وكلما دُل على واحد علم منه ان هناك من هو أقدم منه حتى انتهى به البحث الى شيخ رث الثياب ظاهر الاكتئاب، فعلم من حاله ومقاله ان مآل المقامر الى أسوأ مآب ، وأن والده قد اجتهد بنصيحته فأصاب ، وأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، ورجع هو الى رشده وأناب ، فلم يدخل بيت المقامرة من طاق ولا باب،

ويشترك الميسر مع الخمر فى ان متعاطيهما قلما يقدر على تركهما والسلامة من بلائه، لان للخمر تأثيرا في العصب يدعو الى العود الى شربها والاكثار منها فان ما تحدثه من التنبه يعقبه خمود وفتور بمقتضى قاعدة رد الفعل فيشعر السكران بعد الصحو أنه مضطر الى الاعادة ليزول عنه ما حل به فاذا هو عاد قويت الداعية . وأما الميسر فان صاحبه كلما ربح طمع فى الزيادة وكلما خسر طمع فى تعويض الخسارة ويضعف الادراك حتى تعز مقاومة هذا الطمع الوهمي . وهذا شر ما فى هاتين الجريمتين

وجملة القول إن الله تعالى قد هدانا لان نعلم مضرات الخمر والميسر ببحثنا لنكون علي بصيرة فى تحريمهما علينا واننا نرى الامم التي لا تدين بالاسلام ولم تخاطب من الله تعالى بهذه الهداية قد اهتدت الى ما لم نهتد

اليه من تلك المضار وأنشأت تؤلف الجمعيات للسعي فى ابطال هاتين الجريمتين ونحن الذين منحنا تلك الهداية منذ ثلاثة عشر قرنا أنشأنا نأخذ عن تلك الأمم ماأنشأت هي تقاومه وتذمه حتى ان السكر قد غلب فى رؤساء دنيانا والميسر قد انتشر فى أمرائنا وكبرائنا ثم فشا فيمن دونهم تقليدا لهم. نبه الاستاذ الامام على هذه العبرة وقال انظروا الى من أنعم الله عليهم بهذه النعمة كيف صاروا يكفرونها وكيف حل بهم غضب الله تعالى فسلبوا امعظم ماوهبوا ويخشى ان يمتد ذلك حتى يعز تداركه والعياذ بالله تعالى

قال تعالى (ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) قال السيوطي فى كتاب أسباب النزول أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس ان نفرا من الصحابة حين أمروا بالنفقة فى سبيل الله أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا لاندري ماهذه النفقة التي أمرنا فى أموالنا فما ننفق منها فأنزل الله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو. وأخرج أيضا عن يحيي انه بلغه ان معاذ ابن جبل وثعلبة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا فأنزل الله هذه الآية. وليس المعنى ان السؤال الأول عن الخمر والميسر نزل وحده ثم نزل هذا السؤال بعده بل المراد ان هذه الاسئلة كانت مما يقع من الصحابة فأنزل الله هذه الآيات بيانا لهذه الاحكام وإجابة للسائلين عند مااستعدوا للاخذ بها وما ورد يدل على أن المراد أي جزء من أموالهم ينفقون وأي جزء منها يمسكون ليكونوا ممتثلين لقوله « وانفقوا فى سبيل الله » ومتحققين بقوله « ومما رزقناهم ينفقون » ومافى معنى ذلك من الآيات التي تنطق بأن الانفاق فى سبيل الله من آيات الايمان وشعبه اللازمة له على الاطلاق الذي يشعر بأن

على المؤمن أن ينفق كل مايملك فى سبيل الله . وقد قضت الحكمة بهذا الاطلاق فى أول الاسلام وبمدح الإيثار على النفس لأن المسلمين كانوا فئة قليلة فى أمم وشعوب وقبائل تناصبهم العداوة وتبذل فى ذلك الاموال والارواح فاذا لم يتحدوا حتى يكونوا كشخص واحد ويبذل كل واحد مابيده لمصلحتهم العامة لايستقيم لهم حال ولاتقوم لهم قائمة وهذه هي السنة العامة فى كل دين عند ابتداء ظهوره وأول نشأته وبعد ان تعتز الملة وتكثر الامة ويصير يكفي لحفظ مصلحتها مايبذله كل ذي غنى من بعض ماله ويفضل من عمل كل واحد مايمكن ان يفيض به على أهله وولده بعد ان كان مستغرقا فى السعي لتعزيز دينه ووقايته من المحو والزوال ، هنالك تختلف الحال ولايسهل على كل واحد ان يؤثر كل محتاج على نفسه وأهله وولده ولذلك توجهت النفوس بعد استقرار الاسلام الى تقييد تلك الاطلاقات في الانفاق فسألوا ماذا ينفقون فأجيبوا بأن ينفقوا العفو وهو الفضل والزيادة عن الحاجة وعليه الأكثر وقال بعضهم ان العفو نقيض الجهد أي ينفقون ماسهل عليهم وتيسر لهم مما يكون فاضلا عن حاجتهم وحاجة من يعولون . قرأ أبو عمرو (العفو) بالرفع والباقون بالنصب والاعراب ظاهر والزيادة أمر مجمل يحتاج الى بيان فهل المراد حاجة اليوم أو الشهر أو السنة ؟ رجح بعضهم الأخير لأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر لأهله قوت سنة وقال الاستاذ الامام ان القرآن أطلق العفو ليقدره كل قوم فى كل عصر بحسب مايليق بحالهم لأنه خطاب عام ليس خاصا بأهل جزيرة العرب ولا بحال الناس فى زمن البعثة . والمراد بهذا الانفاق ما وراء الزكاة المفروضة المحدودة كصدقة التطوع على الافراد وعلى المصالح العامة

وان كان لفظ العفو يصدق على الزكاة لانها لاتكون الا من الزائد على الحاجة الذي لاجهد ولا مشقة فيه : وقد ورد في الاحاديث الصحيحة مايؤيد هذا فقد أخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسائي من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول » وأخرج ابن خزيمة من حديثه أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير الصدقة ما أبقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، تقول المرأة انفق عليّ أو طلقني ويقول مملوكك أنفق عليّ أو بعني ويقول ولدك الى من تكلني »

وقد نوّه الاستاذ الامام في هذا المقام بالانفاق في حفظ مصالح الامة واعمالها الخيرية فقال مامثاله : ان الامة المؤلفة من مليون واحد اذا كانت تبذل من فضل مالها في مصالحها العامة كإعداد القوة وتربية النابتة على مايؤهلها لاستعمالها ويقرر الفضيلة في أنفسها تكون اعز وأقوى من أمة مؤلفة من مئة مليون لايبذلون شيئا من فضول أموالهم في مثل ذلك : ذلك بأن الواحد من الأمة الأولى يعد بأمة لأن أمته عون له تعده جزءا منها وبعدها كلاً له والأمة الثانية كلها لاتعد بواحد لان كل جزء من أجزائها (أي افرادها) يخذل الآخر ويرى ان حياته بموته فيكون كل واحد منها في حكم الميت . وفي الحقيقة إن مثل هذا الجمع لايسمى أمة لان كل واحد من أفراده يعيش وحده وإن كان في جانبه أهل الارض فهو لايتصل بمن معه ليمدهم ويستمد منهم ويتعاون الجميع على حفظ الوحدة الجامعة لهم التي تحقق معنى الامة فيهم . وانه لم تنهض أمة ولا ملة الا بمثل هذا التعاون وهو مساعدة الغني للفقير وإعانة القوي للضعيف وبذل المال والعناية

في حفظ المصلحة العامة . بهذا ظهر القليل على الكثير وكانت لهم السيادة ، وبترك هذا انحلت الأمم الكبيرة وفقدت الملك والسعادة ،

قال الاستاذ الامام ان النكتة في الجمع بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق في آية واحدة هي المقارنة بين حال فريقين من الناس فريق ينفق المال بغير حساب في سبيل الإثم إما للتفاخر والتباهي فيما لافخر فيه ولاشرف في الحقيقة وإما لمجرد اللذة وان ساءت عواقبها وفريق ينفقه في سبيل الله يزيل به ضرورة اخوانه المساكين والضعفاء ويرفع به من شأن أمته بما يجعله للمصالح العامة وأعمال الخير: وأعظم المصالح والاعمال في هذا العصر التعليم والتربية . ولو بذل المصريون عشر ما ينفقون في الخمر والميسر - لاسيما ما يسمونه المضاربة - على التعليم لتيسر لهم تعميم المدارس في بلادهم وتوجيه التعليم فيها الى مايجدد نوعهم ويعيد اليهم مافقدوا من كرامتهم

وقوله تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات) أي مثل هذا النحو وعلى هذه الطريقة من البيان قد قضت حكمة الله بأن يبين لكم آياته في الأحكام المتعلقة بمصالحكم ومنافعكم وذلك بأن يلفت عقولكم الى ما في الاشياء من المضار والمنافع (لعلكم تتفكرون) فيظهر لكم ضرر الضار منها أو الراجح ضرره فتعلموا انه جدير بالترك فتتركوه على بصيرة واقتناع بأنكم فعلتم مافيه المصلحة كما يظهر لكم النافع فتطلبوه ، فمن رحمته بكم لم يرد أن يعنتكم ويكلفكم مالاتعقلون له فائدة إرغاما لارادتكم وعقلكم بل أراد بكم اليسر فعلمكم حكم الاحكام وأسرارها وهداكم الى استعمال عقولكم فيها لترتقوا بهدايته عقولا وأرواحا لا لتنفعوه سبحانه أو تدفعوا عنه

الضر فانه غني عنكم بنفسه حميد بذاته عزيز بقدرته . ثم بين جل شأنه ان هذا البيان المعد للتفكر ليس خاصا بمصالح الدنيا وحدها ولا بطلب الآخرة على انفرادها وانما هو متعلق بهما جميعاً ولذلك قال (في الدنيا والآخرة) أي تتفكرون في امورهما معا فتجتمع لكم مصالح الجسد والروح فتكونون أمة وسطا وأناسي كاملين لا كالذين حسبوا أن الآخرة لا تنال إلا بترك الدنيا واهمال منافعها ومصالحها بالمرة فخسروها وخسروا الآخرة معها لان الدنيا مزرعة الآخرة، ولا كالذين انصرفوا الى اللذات الجسدية كالبهائم ففسدت أخلاقهم وأظلمت أرواحهم وكانوا بلاء على الناس وعلى أنفسهم فخسروا الآخرة والدنيا معها. وهذا الارشاد الى التفكر في مصالح الدنيا والآخرة جميعا هو في معنى ماجاء في الدعاء بقوله تعالى «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» وتقدم تفسيرها فالله تعالى يبين في مثل هذه الآيات أن الاسلام هاد ومرشد الى توسيع دائرة الفكر واستعمال العقل في مصالح الدارين وقدم الدنيا لانها مقدمة وجودا وطبعا وكل ماأمرنا الله تعالى به وهدانا اليه فهو من ديننا ولذلك قال علماؤنا إن جميع الفنون والصناعات التي يحتاج اليها الناس في معايشهم من الفروض الدينية اذا أهملت الامة شيئا منها فلم يقم به من أفرادها من يكفيها ضر الحاجة كانت كلها عاصية لله تعالى مخالفة لدينه الا من كان عاجزا عن دفع ضر الحاجة وعن الامر به للقادر عليه فأولئك هم المعذورون بالتقصير

على هذا قام صرح مجد الاسلام عدة قرون كان المسلمون كلما عرض لهم شيء بسبب التوسع في العمران يتوقف عليه حفظه وتعميم دعوته النافعة قاموا به حق القيام وعدوا القيام به من الدين عملا بمثل هذه الآية وغيرها من الآيات ومضوا على ذلك قرونا إلى أن غلا أقوام في الدين واتبعوا سنن من قبلهم

في اهمال مصالح الدنيا زعما ان ذلك من الزهد المطلوب أو التوكل المحبوب وماهو منهما في شيء وكان من أثر ذلك أن أهملت الشريعة فلا توجد حكومة اسلامية على وجه الارض تقيمها لانه لا يوجد من أهلها من يصلح لحكم الناس في هذه العصور التي اتسعت فيها مصالح الامم والحكومات بالتوسع في العلوم والصنائع وارتباط العالم بعضه ببعض ثم صار علماء المسلمين أنفسهم يعدون الاشتغال بالعلوم والفنون التي تتوقف عليها مصالح الدنيا صادة عن الدين مبعدة عنه بل يوجد فيهم من يقول انها مفسدة لعقائده مفضية الى الخروج منه . وهذا هو دخول جحر الضب الذي دخله من قبلنا وهو كما ترى خروج عن هدى القرآن . وقد يقال اذا كان المنقطع لعلوم الدين لا يأمن على عقيدته ان تذهب ودينه أن يفسد اذا هو تفكر في مصالح الدنيا وعرف العلوم التي لا تقوم هذه المصالح بدونها فكيف يكون حال من يدرسون هذه العلوم الدنيوية من المسلمين وليسوا على شيء يعتد به من العلوم الدينية ، ؟ لا جرم ان هذا قضاء على الاسلام، بأنه آفة العمران ، وعدو العلم والنظام ، وهو قضاء جائر يبطله القرآن ، وتناقضه سيرة السلف الصالحين الذين سبقونا بالايمان ، ولكن أين من يتبعهما الان ، ؟ وقد قام فريق من الذين لم ينظروا في كتاب الله مرة نظرة معتبر، ولم يتلوا منه آية تلاوة مفكر متدبر، يقسمون المسلمين الى قسمين قسم لا تجب المبالاة بدينه ، ولا يهتم به في شكه أو يقينه، فله أن يتعلم مايشاء صحت عقيدته أو فسدت، صلحت أعماله أو خسرت، وقسم آخر يجب ان يصان عقله عن كل فكر، ويحاط بجميع الوسائل التي تمنعه من النظر فيما عليه الناس من خير وشر، وما يعرض في الكون من نفع وضر، كيلا يفسد النظر عقيدته، ويضل

الفكر السليم بصيرته، وهذا القسم هو الذي تفوض اليه الرئاسة الدينية ويعهد اليه بقيادة الأمة في صلاح الاعمال، وانتظام الاحوال، وأعظم قسم في الامة هو القسم الاول بحكم الضرورة بل هو الامة كلها بالتقريب فكيف يتيسر لهذا القسم الثاني وهو خلو من العلم بحالها ودون كل واحد منها في العقل، وفوقه في الغباوة والجهل، ان يقود واحدا منها فضلا عن كلها؟ افهل يتفق مثل هذا الخرف، مع شيء من سنة السلف، الا عاقل يقول لهؤلاء المشعوذين كيف ساغ في عقولكم أن يسلم الى الجاهل قيادة العاقل وكيف يتيسر حفظ الدين، بالعدول عن سنن المرسلين، ومخالفة سير السلف الصالحين، ؟؟

باب المقالات

الحياة الزوجية

٣

وأما العلم فلا يشترطه في المرأة أحد في بلادنا الا ثلة من المتعلمين والمتأدبين على الطريقة الافرنجية وقليل من العارفين بكنه مدنية الافرنج الذين يقدرون محاسنها قدرها وان لم يتعلموا على طريقتهم. ولا يزال أكثر المسلمين لا يعقلون لتعليم المرأة فائدة بل يرونه ضاراً من جهة واحدة هي عندهم لا توازن ولا تقابل بشيء الا وتكون أربى منه وأكبر وهي أن البنت المتعلمة تجرأ على الرجال وتقدم على مكاتبة من تميل اليه من الشبان وإنه ليوجد في المتعلمات لهذا العهد من يحكى عنهن ذلك ومثل هذه الحكايات تسري وتذيع بسرعة البرق وتؤخذ بالتسليم ويجري فيها القياس للقطع بأن علتها التعلم وأنه حيث وجدت العلة لزمها المعلول لا محالة. ولا يمكن إقناع العامة بأن العلم ليس علة لمكاتبة البنات للشبان يلزم من وجودها الوجود وإنما هو شرط يلزم من عدمه العدم. ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم. لان العامة لا تفهم مثل هذه الحجج وخاصة النساء فالعمدة في إقناعهم بمزايا تعليم البنات هو ظهور اثره الحسن في المتعلمات بمصر وتونس

وسوريا وغيرها من الاقطار ولم يظهر. على أن التقليد يفعل في الامم ما لا يفعل الاقناع وأشد الناس استعداداً وقبولاً له الشعب المصري واذا وجد في أمرائه وكبرائه عناية بتعليم البنات تقليداً للافرنج الذين يعاشرون ويمازجون فلا بد أن يعم التقليد جميع الطبقات وقد ظهرت بوادر ذلك منذ أعوام، وهي تنمو مع السنين والايام، فالآباء والامهات صاروا ينبذون بناتهم الى المدارس وهم لا يدرون ماذا يتعلمن ولا يعرفون من المصلحة في ذلك الا أن البنت المتعلمة يرغب فيها الخاطبون الاغنياء ما لا يرغبون في غيرها ثم انهم بهذا الاندفاع لا يميزون بين مدرسة اسلامية او غيرها ولا يفكرون في خطر افساد عقيدة البنت وتحويلها عن دينها أو عادات قومها وخلائقهم المميزة لهم ولا في كونها تطرح الحياء وتجرأ على مكاتبة الرجال كما يعتقدون لان تيار التقليد الجارف لا تقف في طريقه هذه الخواطر ان هي طافت بهذه العقول الضعيفة والقلوب الميتة التي اعوزتها البصيرة والعزيمة، فلم تجدهما في وارثة ولا تربية، وفي هذا الاندفاع خطر عظيم على الأمة كنا ولا نزال نحدث الناس به فيقبله المعتدلون وينبذه الغلاة في التفرنج وقد أتيح لنا في هذه الأيام ما يقنعهم وهو ما قاله اللورد كرومر في تقريره عن مصر لسنة ١٩٠٤ وانما نذكره هنا لان بحثنا في الحياة الزوجية انما هو من حيث هي ركن لحياة الامة وسعادتها أو عكس ذلك قال

﴿ تعليم البنات ﴾

«كثيراً ما أسمع الناس يقيمون الحجج والأقيسة على حل بعض المسائل السياسية والادارية في بر مصر ويبنونها على فرض أن المصريين لا يزالون متصفين اليوم بصفات أجدادهم وخصائصهم. وعندي أن هذه الحجج والاقيسة لا تخلو من سفسطة. فالتغير حاصل ولست أقصد أن أعظمه أو أبالغ فيه وانما أقول انه لا يمكن ان كل خلق وصفة من الاخلاق والصفات القومية يتغير تغيراً تاماً في ربع قرن ولو أمكن ذلك لما كان مستحسناً لانه يخشى في مثل هذا التغير السريع أن يذهب الحسن من الامة بجريرة الرديء. ولكن ليكن معلوماً عند الحكام المصريين وعند كل من له اتصال بامور مصر ان هناك قوات عاملة قد أثرت في أخلاق المصريين القومية فغيرتها بعض التغيير وستغيرها أكثر من ذلك على مر الايام. وهذه القوات العاملة معظمها يعمل تدريجاً ويغير رويداً رويداً حتى لقد يخفى عمله عن عيون المراقبين في بعض الاحوال ولكن بعضها يعمل

سريعا حتى لقد غير تغييرا ظاهرا محسوساً

«ومن الشواهد على ذلك تعليم البنات فان الرأي العام المصري تغير في هذه الاعوام الاخيرة تغيراً كلياً في هذه المسألة الجوهرية العظيمة الشأن • ومما يزيدنا استعظاماً لهذا التغير في الرأي العام أنه آخر ما كان الناس حتى الذين يراقبون منهم أخلاق أهل الشرق أدق مراقبة يتوقعون حدوثه بمثل ما حدث من السرعة نظرا الى الآراء المعهودة عن مقام المرأة في بلاد مصر • ولكن مصر بلاد العجائب والغرائب فلا عجب اذا كذب أهلها نبوءات المصلحين الاجتماعيين بتحولهم عن حال الى حال تحولا لم يكن يخطر على بال فقد كانوا منذ عشر سنوات لايبالون بتعليم البنات بل ربما استخفوا به واستنكفوا منه ولذلك كانت كتاتيبهم خالية من بناتهم سنة ١٩٠٠ ماعدا ٢٧١ كتاباً من جملتها الكتاتيب التي تحت مراقبة الحكومة • وكان عدد كل البنات اللواتي يتعلمن فيها ٢٠٥٠ بنتا أما في سنة ١٩٠٤ فبلغ عدد الكتاتيب التي يتعلمن فيها ١٧٤٨ كتابا وبلغ عددهن فيها ١٠٤٦٢ بنتا • وأبلغ من ذلك ان ١٠٠ بنت طلبن دخول المدارس الابتدائية العالية ومدارس تعليم المعلمات بالقاهرة في السنة الماضية فلم يجبن الى طلبهن لعدم وجود محل لهن فيها • فأحسن خدمة يخدم بها المصريون المعارف والتعليم في بلادهم تقوم بانشاء مدارس ابتدائية منظمة للبنات في بنادر القطر

«هذا وان قلة المعلمات المدربات على التعليم أفضت الى تأخير تعليم البنات في جميع فروعه ولكن العقبات في هذا السبيل أسهل من العقبات التي في سبيل وجود المعلمين المدربين على التعليم • فان عند نظارة المعارف في المدارس الابتدائية العالية والكتاتيب عدداً قليلا من البنات المسلمات الممرنات على التعليم • وعليه يتسع نطاق تعليم البنات شيئاً فشيئاً • وفي مدرسة المعلمات الآن ١٥ تلميذة ينتهي معظمهن منها في الثلاث سنوات القادمة وينتظمن في سلك المعلمات • وقد أخبرت انهن متى انتهين من المدرسة لم يعسر وجود غيرهن من اللواتي يدرسن مكانهن

«أما مقدار ماتؤثره هذه النهضة لتعليم البنات في أفكار الجيل المقبل من بنات مصر وفي أخلاقهن ومقامهن فستظهره لنا الايام على مر الاعوام • على أنه اذا تأتى عنها تغيير في مقامهن فالمأمول ان هذا التغيير يكون تدريجيا وعسى ان المصلحين الاجتماعيين من

أبناء مصر يحفظون في أذهانهم قول مثلهم العربي «العجلة من الشيطان والتأني من الله» وعلى الاخص في هذه المسألة أكثر مما في غيرها لان العجلة فيها يمكن أن تؤدي الى طامة أدبية عظيمة • على أنه اذا لم يتغير مقام المرأة المصرية تغيراً تدريجياً فمهما قلد المصريون أهل التمدن الاوربي ظاهرا فهيهات أن يتشربوا روح التمدن الاوربي الصحيح بأحسن مظاهره حقيقة» اه كلام اللورد

فلينظر وليتأمل القارىء البصير كيف عدّ هذا السياسي الحكيم تحول أهل مصر بسرعة من حال الى حال في هذه المسألة من العجائب والغرائب التي لم تكن تخطر في بال أحد من علماء الاجتماع وكيف اشار الى أن هذه العجلة شيطانية • ونقول ان نصيحته هذه للمصلحين من أبناء مصر سيحفظها له التاريخ ويذكرها له في المستقبل مقرونة باجلال الفضيلة والاخلاص لاسيما اذا كان اثم الانقلاب المنتظر أكبر من نفعه كما يتوقع ،

كانت حال النساء في أوربا على اسوإ مايخطر في بال البشر من المهانة والاحتقار ولذلك كان مايسمونه «رد الفعل» في التحول والانقلاب عظيما فبعد ان كانوا يعتقدون ان المرأة ليست من البشر وانما هي حيوان دون الانسان وفوق سائر الحيوانات وبعد ان كانوا يسومونها الخسف حتى حرموا عليها أكل اللحم ومنعوها الكلام والضحك في حضرة الرجال وأوجبوا عليها السمع والطاعة لزوجها في كل شيء ولو كان ضارا أو خسيسا أو شاقا لايطاق أطلقوا لها العنان تتعلم ماتشاء وتعمل ماتشاء وتتهتك كما تشاء وتحكم كما تشاء حتى صارت تشارك الرجال في أعمالهم الخاصة خارج البيوت فأهمل من امر نظام البيوت بقدر ذلك ولا غنى للبيوت عن النساء وكل عمل خارجها فهو مستغن بالرجال عنهن • وانتهى الامر بكثيرات منهن الى اختيار التبتل فرارا من أثقال الزوجية وناهيك بانتشار البغاء وشيوع الفاحشة وما في ذلك من المفاسد والمضرات • وقد انشأ العلماء والحكماء يشعرون بخطر هذا الاطلاق لصنف لاهمّ لافراده غير الزينة والراحة واتباع هوى النفس لان وجدانهن أقوى من عقلهن ولكن كل مايتعلق بصفات الامم وشؤونها لايظهر نفعه أو ضرره ولا يمكن ايجاده أو منعه الا في زمن طويل •

ليس من غرضنا في هذا المقال ان نبحث عن أحوال الامم في انتقالها وتحول أحوالها ولا عن حال النساء في أوربا ومنافع تعليمهن ومضاره وإنما غرضنا أن نبين أن العلم

الذي ينبغي أن تعرفه المرأة هو مالا يخرج بها عن كونها امرأة وهو ماتكون به قرة عين وخير سكن للرجل المتعلم يحسن معها به عيشه ويكون عونا لها على تهذيب ولده وإدارة شؤون بيته لاماتكون به فيلسوفة ولا سياسية ولا صانعة، وهذا مااختارته أرقى دول أوربا في العلوم والمعارف وهي دولة ألمانيا التي ينسب اليها بعض دول أوربا التقصير في تعليم النساء وستضطر كل الدول الى سلوك سبيلها في يوم من الايام

ليس البيت مملكة فيتوقف عمرانه على العلوم العالية والفنون الصناعية والزراعية والتجارة وتتوقف إدارته على معرفة الشرائع والقوانين ، وليست العلاقة بين البيوت كالعلاقة بين الدول فتضطر ربة البيت فى حفظ حقوقه الى التوغل في السياسة والفنون العسكرية . حسب المرأة ان تتقن لغة أمتها وتعرف آدابها وان تعرف الحساب وعلم تدبير المنزل وعلم حفظ الصحة وعلم الاخلاق وعلم التربية وان يكون هذان العلمان قائمين على أساس الدين مقرونين بمعرفة عقائده وآدابه وأحكامه والتاريخ العام بالاجمال وتاريخ أمتها وبلادها بالتفصيل وعلم تقويم البلدان وعلم الاقتصاد . ثم مبادئ وموضوعات سائر العلوم وفوائدها بقوة الاجمال ، وان تعرف الطبخ والخياطة والتطريز وما يتصل بذلك ، ولا يصدنها عن هذا أنها من بيوت الأغنياء الذين لايطبخون طعامهم ولا يخيطون ثيابهم بأيديهم فان علمها بذلك وتمرنها عليه نافع بل ضروري وقد بلغنا ان قيصرة روسيا تحسن الطبخ والخياطة وكانت فيكتوريا ملكة انكلترا وامبراطورة الهند تنسج وتخيط وتطرز فهذا كمال للنساء ان لم يعملن به فعليهن ان يعلمن كيف يعمل فى بيوتهن ويعرفن نفقته ودرجة جودته ويحسن المراقبة والرياسة على الخدم التي تقوم به

أما معرفة موضوعات وغايات العلوم والفنون المتداولة فى الامم الحية فلها فوائد منها أن لاتكون عدوة أو كارهة لشيء نافع لقومها فان من جهل شيئا عاداه وكرهه وان الانسان يكون ناقصا بمقدار مايجهل من المضار والمنافع . ومنها ان تعرف قيمة زوجها اذا هي تزوجت بمن يشتغل بعلم أو فن مما يجهل النساء تفصيله فاذا رأته يشتغل بتجارب زراعية أو كيماوية مثلا عرفت فضله فى ذلك ورجت له من الفائدة ماتكون عونا له على عمله . فان المرأة التي تجهل قيمة زوجها المعنوية ومعارفه التي يمتاز بها لايهنأ

لها معه عيش لانها لاترى عمله الا شاغلا له عنها كأنه ضرة لها وهو لايهنأ له معها عيش لانه يراها جاهلة بقدره، بعيدة عنه في نفسه وعقله . وان شئت قلت انهما يكونان شخصين متباعدين بالروح والعقل لايمكن ان تتكون منهما حقيقة الزوجية التي بينا معناها فى النبذة الاولى . ومن تلك الفوائد ان يكون لها رأي فيما تتصرف وجهة أولادها لاتقانه من العلوم والفنون بعد التعليم الابتدائي والثاني . وكثيرا مايموت الوالد وتكون المرأة هي القيمة على أولادها منه فينبغي ان تعرف وجهتهم في المدرسة وغايتهم فى التعلم لتحسن القيام عليهم ،

وأما فائدة اللغة وآدابها فهي بديهية لمن يقول بالتعليم فالمرأة التي لا تفهم لغة أمتها العلمية الأدبية تكون بمنزلة البهائم لاتشعر الا بالحاجات الجزئية التي أودع الشعور بها فى فطرة كل حيوان ويكون سكون الرجل العالم الاريب اليها بمقدار الداعية الحيوانية الى ملامستها وفي وقت هذه الداعية وتكون فى سائر الاوقات كلا عليه وبلاء ومصابا اذ يراها مباينة له فى إنسانيته لاتشاركه فى حسن تصوره ودقة مداركه ورقة شعوره بالمعاني الادبية والافكار الاجتماعية، ويرى اقناعها بالمسائل المعقولة والمصلحة القطعية متعذرا أو متعسرا عليه لانها ليس لها لغة تعبر عما وراء الضروريات التي يدور عليها كلام العامة . ثم انه اذا سافر تنقطع الصلة بينه وبينها لا يكتب اليها ولا تكتب اليه فيما يتعلق بشؤون البيت ومصلحة العشيرة الا اعلاما بالصحة واستعلاما عنها ونحو ذلك ويتعذر عليه ان يشعرها بمايشعر به في سفره من لذة وألم وسرور وكآبة كما يتعذر عليها ذلك

وأما فائدة الحساب فلا يجهلها أحد في البشر الا أن يكون بعض أهل الازهر ، فالمرأة التي تعرفه يمكنها أن تضبط نفقات البيت على القاعدة التي يسمونها الميزانية فتجعل الخرج على نسبة الى الدخل معروفة فهو عون على الاقتصاد . وقلما توجد امرأة في الأرض لاتشتري ولا تبيع شيئاً ولا تعامل أحداً بالمال والنساء اللواتي يملكن المال والعقار والارض والعروض كثيرات والاسلام جعل لهن حق التصرف في أموالهن فالمرأة التي لاتعرف الحساب تكون عرضة للخطأ فى كل معاملة مالية فيغشها البائع والمشتري والوكيل والاجير ويطمع فى غيلة مالها زوجها السفيه

ويعبث به ولدها الصغير ،

وأما الاقتصاد الذي يعد الحساب من وسائله فهو روح المعاملة وأس النظام وملاك المعيشة ودعامة السعادة • فاذا لم تكن ربة البيت عارفة بهذا الفن عاملة به فلا يستقيم للمعيشة حال بل تكون مضطربة بين أمواج الحوادث يتقاذفها اليسر والعسر ، ويتناوبها الغنى والفقر، وليس الرجل بمغن في اقتصاده عن اقتصاد المرأة عن رضى واقتناع ولا رضى ولا اقتناع إلا بالعلم والمعرفة بأن مصلحتها ومصلحة بيتها في الاقتصاد • ألم تر أن معظم المال يذهب في سرف النساء وخيلائهن، ألم تسمع أنين الرجال وأطيطهم من ثقل النفقة على مايبتدع النساء كل حين من الأزياء والتنقل في ضروب الحلي والحلل، ألم تعلم بأنهن لايعذرن الرجل اذا قال لا استطيع لاأقدر لا أملك بل ينغصن عيشه ويسلبن راحته أو يبذل لهن مايطلبن ولو استدانه بالربا الفاحش أو باع لاجله الغالي النفيس بالثمن البخس ، ؟

هذا مما تعرف فهل لك أن تضم الى معرفة الداء معرفة العلاج وهو ان تتزوج بامرأة كاتبة حاسبة مقتصدة وتجعل للبيت بالاتفاق معها ميزانية يكون الخرج فيها جزءا من الدخل وتكون هي المنفقة والقيمة كما تجعل لأرضك وعقارك ميزانية تكون أنت المنفذ لها وبذلك تكون امرأتك مقتنعة بأن ماتوفر من الدخل في الحال ، هو عدة لها ولأولادها في الاستقبال ، •

جرب كثير من الرجال هذا العلاج فوجدوه نافعاً مفيداً ومنهم من أسعده الحظ به على غير علم بفائدته فأصاب السعادة عفواً • أعرف رجلا مسرفاً كان يضيع كسبه الكثير بغير عقل ولا حساب ويضطر الى الدين حتى أخذ الدين بتلابيبه لانه كان جاهلاً سكوراً فتزوج بفتاة كانت يهودية وأسلمت إسلاماً صحيحاً فما عتم أن حسنت حاله فقل سرفه وحسن عمله وقضى دينه ثم صارت له ثروة مدخرة • وحدثت عن رجل في مصر له راتب من الحكومة لم يكن كافيا لسعته في نفقاته الشخصية فتزوج بفتاة متعلمة مهذبة فهو يعيش معها في هناء ونعيم ويقتصد من راتبه شيئاً يدخره للمستقبل المجهول • بل أعرف غير واحد من الفقراء جعلوا كسبهم في أيدي نسائهم فكانوا معهن في عيشة راضية يزيد فيها دخلهم على نفقتهم زيادة لها شأن عندهم •

وإنني أظن أنه يصعب على أكثر النساء أن يبذلن جميع مافي أيديهن من المال في الأمور الزائدة على الضروريات أو الحاجيات ولكن يسهل عليهن أن يبذلن أكثر مما في أيدي أزواجهن اذا كانت النفقة بيده • فالمرأة الجاهلة تقدر على الحياة الاقتصادية في بيت فقير ولا تقدر على ذلك في بيت غني ولا متوسط الا بالعلم وحسن التربية

وأما علم حفظ الصحة فهو ضروري لكل انسان سواء كان يعيش منفرداً أو زوجاً أو صاحب عيال ورئيس عشيرة فمن عرف هذا العلم سهل عليه التوقي من أكثر الامراض والاوبئة ووقاية من يعوله منها واذا هو أصيب بمرض فانه يحسن وصفه وبيان أسبابه وكيفية سيره للطبيب فيكون أكبر عون له على تشخيصه ومعرفة حقيقته ثم انه يحسن العمل بما يأمره به الطبيب من المعالجة • فربة البيت الجاهلة بهذا العلم تكون بلاء على نفسها وعلى زوجها وأولادها ولا يمكن أن تقل الامراض والادواء في امة الا اذا تعلم نساؤها هذا العلم فكم من طفل فتك به المرض لجهل أمه بمداراة صحته وكم من امرأة قتلت ولدها أو زوجها بنفس الادوية التي وصفها الطبيب لشفائه لجهلها بأسمائها وبمقادير مايعطى المريض منها • ولقد يتعسر على المريض العالم أن يحسن معالجة نفسه في بيت قيمته جاهلة لان أي عمل في البيت لا يتم الا بها

وأما علم الاخلاق فهو عون للانسان على تكميل نفسه في الكبر وعلم التربية يتوقف عليه لان من لايعرف قوى النفس وكيفية تكوين ملكاتها وانطباع أخلاقها وطريقة تأديبها وآثار صفاتها ووجدانها فهو لايعرف معنى الانسان أو هو ليس بانسان كامل فيتعذر عليه تكميل غيره بحسن التربية التي هي أهم مايجب على المرأة وأعلى مايطلب منها

ويدخل كل ماتقدم في علم تدبير المنزل ماعدا مبادي الفنون وعلم اللغة التي هي وسيلة كل علم لأن المراد بتدبير المنزل سياسة أهله وموضوعه حقوق كل من الزوجين على الآخر وحقوقهما على الاولاد والخدم وحقوق هؤلاء عليهم وطريق قيام كل بما يطلب منه • والمرأة هي ربة البيت ومديرة نظامه فينبغي أن تكون عارفة بما عليها ومرشدة للاولاد والخدم الى مايجب عليهم تحت رعايتها لينتظم شأن البيت فتكون العيشة راضية ويتربى الاولاد بالقدوة الصالحة فيكونوا أعضاء صحيحة عاملة في الأمة

ومعرفة التاريخ وتقويم البلدان هي التي تودع حب الامة في القلب وتبعث فيه روح

الغيرة فاذا كانت المرأة جاهلة بتاريخ أمتها ومكانتها من غيرها فهي لاتشعر بأنها عضو من جسد أمة كبيرة لها حقوق يجب على الافراد القيام بها وعلى الوالدين تربية أولادهم على احترامها والتنافس فى المسابقة اليها واعتقاد أنها دعامة الشرف وركن العزة والسيادة • يكون الانسان كبير النفس وعظيم الهمة اذا كان يشعر بأن وجوده غير محصور في مساحة جسمه الصغير وانما هو واسع بروحه المنبثة فى عالم كبير يسمى الامة تعمل له كما يعمل كل عضو فى جسده لمصلحة الجسد كله • ويكون أكبر وأعظم اذا كان يشعر بأن وجوده أوسع وأرقى لانه خلق ليعمل مايفيد البشر كلهم بالتقريب والجمع بين المختلفين والتأليف بين المتنافرين وغير ذلك من الاعمال أو ببث العلوم التي ينتفع منها الجميع • ويكون الانسان حيوانا حقيرا ضيق الوجود اذا كان علمه وعمله موجهين لخدمة شخصه ومن عساه يتصل به اتصالا محسوسا كاهله وعشيرته • ومن كانت هذه حاله فانه لا يرجي منه ان يربي أولادا ينفعون أمتهم ووطنهم او ينفعون الناس اجمعين • لذلك كان لا بد لكل انسان من ذكر أو أنثى ان يعرف التاريخ ليتسع وجوده بقدر استعداده لعله يربي من ينفع الامة والناس • وعلم تقويم البلدان في معنى التاريخ بل هو منه فى الاصل ثم صار أصلا مستقلا تلك إشارة الى مايطلب من كمال المرأة وتختار لأجله • وسنكتب كلمة فى اختيار المرأة للرجل •

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن تمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من السيد محمد بن يحي الصقلي الحسيني من بلاد الجزائر ﴾

قال بعد رسوم الخطاب: لما نظرنا الى ارشاداتكم العديدة غير المتناهية وبحثكم وتضلعكم في العلوم الدينية الاسلامية وتحققنا بعلو مكانتكم في ذلك جزمنا بأن فيكم الكفاية لمن يريد الحصول على استفادة بأكمل بيان وأبلغ عبارة فتعلقت آمالنا بحضرتكم وكتبنا هذا لفضيلتكم والرجاء من الله ثم منكم أن تفيدونا ومن نفعكم لاتحرمونا

﴿ تقبيل أيدي العلماء ﴾

(س ٩) ماقولكم دام نفعكم فى تقبيل العامة كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم لأيدي العلماء وتذللهم لهم حتى جعلوا ذلك من أهم الواجبات الدينية أفيدونا هل ذلك من آداب ديننا الاسلامي الحنيف أم لا

(ج) اذا اعتقد العوام أن تقبيل أيدي العلماء من الواجبات الدينية كان تقبيلها معصية يجب نهيهم عنها ويحرم على العلماء تمكينهم منها لانهم زادوا فى الدين ماليس منه وشرعوا لانفسهم مالم يأذن به الله ولقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحامى المواظبة على بعض العبادات المندوبة كصلاة التراويح لئلا تعتقد العامة أنها واجبة • وفى حديث ابن عمر عند ابي داود « فدنونا من النبي فقبلنا يده » ولكن لم تمض السنة عنه ولا عن أصحابه ولا عن التابعين بتقبيل أيدي العلماء فهي عادة من العادات المباحة مالم تعتقد مشروعيتها وكونها من الدين ولا حاجة لاطالة البحث فى هذا فانه مما لايختلف فيه عالم بدين الاسلام • واننا نشكر للسائل حسن ظنه بنا على ضعفنا وعجزنا

﴿ نذر الذبائح على أضرحة الأولياء والتوسل بهم ﴾

(س ١٠) ومنه: وما قولكم فى الذبائح على أضرحة الاولياء لسبب نذر أو لرجاء دفع مضرة او غيرها وكذلك التوسل بهم والرجاء منهم نحو قول اهل فاس عند معاينة مكروه نازل بهم مادام ضريح مولاي ادريس فى وسط بلدنا فلا نخاف لانه يذود عن بلدة فاس خصوصا: وعن قطر المغربي عموما أو هو ورجال المغرب (صالحو الموتى) يحفظونها من غائلة العدو ونفوذه : واقوالهم من هذا القبيل كثيرة افيدونا بما يشفي الغليل عن هذا القبيل ليعم ارشادكم كافة الموحدين الحنيفيين ودمتم كعبة للقصاد، مأجورين من رب العباد؛

(ج) الذبح على القبور بدعة اخذها بعض المسلمين عن اهل الكتاب وهؤلاء اخذوها عن الوثنيين اذ كانت الذبائح لاوثانهم واصنامهم من اركان دينهم واعظم عباداتهم نعم كانت القرابين عبادة فى شريعة موسى عليه السلام وما هي الا للتقرب الى الله وحده لا الى شيء والا الى شخص عظيم كما هي عند الوثنيين في الأصل وقد اجمع المسلمون على انه لايجوز الذبح لغير الله تعالى تقرباً اليه او تعظيما له او رجاء فيه لان هذا من الوثنية وقد صرح الفقهاء بأن من فعل ذلك على سبيل العبادة يكون مرتداً عن الاسلام

والعبادة هي الخضوع والتعظيم لمن تعتقد فيه السلطة الغيبية التي وراء الاسباب فان وجد هذا المعنى كان الذبح للولي او عنده كفراً وان لم يوجد كان معصية لانه يدخل في قوله تعالى «او فسقا اهل لغير الله به» ويستحق صاحبه اللعن من رسول الله فى حديث علي كرم الله وجهه عند احمد ومسلم والنسائي «لعن الله من ذبح لغير الله» ٠ وقال فى الاقناع وشرحه ما نصه

«ويكره الذبح عند القبر والاكل منه» لخبر انس :لاعقر فى الاسلام: رواه احمد بإسناد صحيح قال في الفروع رواه احمد وابو داود وقال عبد الرزاق وكانوا (اي في الجاهلية) يعقرون عند القبر بقرة او شاة ٠ وقال احمد في رواية المروذي كانوا اذا مات الميت نحروا جزورا فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك وفسره غير واحد بغير هذا «قال الشيخ» يحرم الذبح «والتضحية» عند القبر «ولو نذر ذلك ناذر لم يكن له ان يوفي به» كما يأتي فى نذر المكروه والمحرم «فلو شرطه واقف لكان شرطاً فاسداً» ٠ اهـ

نقول وأنت ترى من الأدلة ان القول بالتحريم هو الراجح وإن أريد بالكراهة ما كان للتحريم ٠ ومما ورد فى النذر حديث عائشة عن أحمد والبخاري وأصحاب السنن ان النبي (ص) قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» وحديث ثابت بن الضحاك عند أبي داود والطبراني «وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده» قال ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت ان أنحر إبلا ببوانة (بضم الموحدة موضع) فقال «كان فيها وثن من اوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا لا قال «فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا لا قال «أوف بنذرك فانه لاوفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لايملك ابن آدم» وقد يتوهم بعض الجاهلين من العامة أن النهي عن الذبح لتعظيم معاهد الجاهلية لايقتضي تحريم الذبح لتعظيم أولياء المسلمين ٠ ونقول (أولا) ان الفقهاء اجمعوا على انه لايجوز الذبح لغيرالله كالانبياء والكعبة و(ثانياً) ان حكمة ذلك تطهير القلوب من التوجه الى غيرالله تعالى فى مثل هذا العمل الذي يراد به الخير والبر لان ذلك من الاشراك ولا يقبل الله تعالى من العمل الا ما كان خالصا لوجهه ومما ورد في ذلك بخصوص النذر حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «لانذر الا فيما ابتغي به وجه الله تعالى » رواه أحمد وأبو داود والبيهقي وأورده الحافظ فى التلخيص

وسكت عنه وفي معناه روايات أخرى و(ثالثاً) ان كثيراً من أئمة السلف والفقهاء صرحوا بأن مايذبحه النصراني لكنيسة أو لمكان أو رجل معظم عندهم يحل لنا ولكن لم يقل أحد بأن مايذبحه المسلم لمعظم عنده يؤكل بل اجمعوا على تحريمه وإثم فاعله وان قام في نفسه معنى العبادة كطالب مالا يطلب الا من الله تعالى كان مرتدا كما تقدم

وأما مايسمونه التوسل فقد بسطنا القول فيه مرات كثيرة في كل مجلد من مجلدات المنار فليراجع ذلك السائل في مواضعه من المجلد السابع وغيره مسترشدا في الفهرس بكلمة التوسل من حرف التاء وبكلمة قبور من حرف القاف ويجد فى العدد السابق كلاما عن اعتقاد أهل فاس بمولاي إدريس وغرورهم فى ذلك ٠ ولكن هذه الاعتقادات المبنية على وعث البدع والتقاليد لاتثبت أمام سيول الحقائق فهذا سلطان مراكش قد اضطرب وخاف سقوط ملكه فلم يكتف بالالتجاء الى ادريس بل أشرك معه ملكا نصرانيا يعتز به ويستعين به على فرنسا وهو عاهل ألمانيا وقد أرسل اليه عند زيارته طنجة هدية تساوي مئتي ألف جنيه ولو كان موقنا بحماية قبر ادريس للمملكة لكان غنيا عن ذلك، ولما ذا لم يحم ادريس البلاد من الفتن التي انهكتها وكانت حجة فرنسا فى التصدي لها؟؟؟

قصة المولد للشيخ ابراهيم الرياحي التونسي

(س ١١) أحد القراء (بتونس) : اشتبه على بعض الناس طعنكم في بعض أعداد المنار بروايات قصص المولد النبوى وقد وجهت لكم فى البريد نسخة من مولد الشيخ ابراهيم الرياحي التونسي المتوفى سنة ١٢٦٦ وهي الرواية المعتمدة رسمياً فى تونس فهل لكم أن تنظروا فيها وتنبهوا على مافيها من الغلط

(ج) ان هذه القصة كغيرها من حيث وجود الموضوعات والواهيات فيها ولكنها فى اختصارها وعزو بعض الروايات فيها أمثل من غيرها ولعلنا نذكر تخريج هذه الروايات فى جزء آخر ٠ وهذا قوله فى أول القصة (ص٤) «ان أول ماخلق الله، نور هذا النبي الاواه» لم تصح به رواية وأقوى الروايات وأكثرها في بدء الخلق ان أول شيء خلقه الله القلم ٠ وكذلك ماذكره في خلق آدم غير صحيح ومثله مافي (ص٥) من نطق الدواب وبشارة أهل البحار وانقلاب الاصنام وما ذكر عن آمنة وغيرذلك ٠ وكان يجب الاستغناء عن هذه الروايات بالمناقب والآثار التي هي أوضح من النهار

باب الاخبار والآراء

هداية استاذ للاسلام

(نقلها عبد الرحمن أفندي شهبندر من مجلة الملل الصادرة فى مارس (آذار) سنة ١٩٠٥ إلى العربية)

لدينا الآن رسالتان بقلم الاستاذ نشكنتابا دهيايا الرئيس الماضي لكلية حيدراباد (وأستاذالتاريخ في كليةمهراجافى ميسورى)

والأولى منهما موضوعها «لماذا انتحلت الاسلام» والثانية «محمد نبي الاسلام» وقد أصبح اسم المؤلف بعد إسلامه محمد عزيز الدين وهو من العلماء الأفاضل الذين ساحوا في البلاد زمناً طويلا ودرسوا الاديان المختلفة وفى الرسالةالاولى ذكر أسباب هدايته واتخاذه الاسلام ديناًلا يبارى في الصحةوالسلامة ·

كان المؤلف في أول أمره كثير الاعجاب بمذهب العقليين لكنه لم يلبث أن تحول لان هذا المذهب لم يرو له غليلا فأخذ فى درس الدين البوذي وأعجب بظاهر رفعته الاخلاقية لكنه وجده أخيراً على عكس طبيعة البشر فمله وكان ذلك اثناء وجوده فى البلاد الالمانية حيث ألقى خطابين موضوعهما البوذية بلغة تلك البلاد · ومن ثم ذهب الى باريس وبطرسبرج وبعدماتعلم الافرنسية أعجب (برنان) وكان من تأثير ذلك انه أخذ فى درس لغات الساميين وأديانهم وكرس قسما عظيما من حياته لدرس المقابلة بين الاديان العظيمة يعني اليهودية والزردشتية والبرهمية من الجهة الواحدة والبوذية والنصرانية والاسلام من الجهة الاخرى·ووقف في سبيله الى التنصر مسألة الفداء ومسألة الهلاك الابدي وما يضاف اليهما في الكاثولوكية من اعتقاد العصمة البابوية والتحول فى العشاء الرباني ثم رجع الى البلاد الهندية على هذه الحال من تبلبل الفكر وهنالك فرغ نفسه مدة لدرس الرياضة (التصوف) لكنه عاد منها أيضاً غير مقتنع ولم يعط البوذية والاسلام حقهما من الدرس حتى ذلك الحين فدرس الاولى منهما ثم جاء الى الاسلام الذي استماله أخيراً وأثرفي نفسه أثراً باقياً وكان قدشعر بصحته منذ مدة طويلة لكن الظروف الخارجية منعته من التصريح بذلك حتي الثامن والعشرين من

شهر آب (أغسطس) حين صرح في محفل بدخواه في الاسلام برسالته «لماذا انتحلت الاسلام»

وبنى رضاه بالاسلام على ثلاثة أسباب رئيسة (١) صحة أخبار الاسلام وانه الدين التاريخي الوحيد (٢) موافقته للعقل (٣) أنه عملي (لاخيالي) · ويقول فى رسالته «ان ميدانه التاريخي قد أثر» حتى في أعداء محمد واتباعه واستشهد بكلام للاستاذ (بسورث سمث) ذكر فى خطبه وهو «إننا فى الحقيقة نعرف بعض نتف من تاريخ المسيح ولكن انى لنا من يكشف الحجاب عن السنين الثلاثين التي أعدت الطريق الى الثلاث ···· وفي الاسلام كل شيء على خلاف ذلك · هنا يقوم التاريخ بدلا من الغامض المظلم ···· وهنا لا تضل المرء نفسه او غيره من الناس لان نور النهار يسطع على كل ما يمكن أن يصل اليه»

والنقطة الثانية فى بحثه جري لاسلام على قواعد العقل وقد ذكر القاعدتين الاساسيتين في الدين ـ توحيد الله ورسالة النبي محمد ـ وقال: يجب على كل صحيح عاقل أن ينقاد لهذه الحقيقة البسيطة الجليلة وهي توحيد الله الخالص (لا كتوحيد اليهود الذين جعلوه الهاً خاصا بهم) ولا يوجد فى الاسلام تعاليم مثل «ثلاثة في واحد» أو ثلاثين مليوناً من الآلهة

ولا يزد قاعدة الرسالة النبوية باحث لانه «متى نسيت الحقائق الاساسية التي تبنى عليها الحياة الاخلاقية الدينية أو أبهمت ومتى أصبح الانسان مفرطاً فى حب دنياه طامعاً سيء الاخلاق مادياً بحتا يظهر فى تاريخ الامم أناس أخلاقيون احيتهم الروح الخالصة في مولدهم ونشأتهم حتى يصبحوا أنبياء ورسلا لله ووظيفتهم تذكير الناس ما كانوا نسوه وإحياء ما كانوا فقدوه» · ويضاف الى ذلك كله ان الاسلام على طبق حياة الانسان العملية · وربما توهم الناس في بعض الاحيان أن تعاليم بوذا والمسيح على أحسن الكمال لكن هذا خطأ وهذه التعاليم أشبه بالكمالات الباردة الواردة في القصص والروايات وربما كان فيها (جمال شعري) الا انه لا يعد طريقة لحكم الانسان المدني الصناعي على صحة التعاليم والمبادىء: فمن الواجب علينا ان ننظر الى حاجات البشر أولا ثم نحكم على كمال التعاليم بالنسبة لفائدتها · وعلى هذا المبدأ تماماً (يعنى النظر الى حاجات البشر) أباح الاسلام تعدد الزوجات · وسن الزواج في

هـذا الدين أقرب للعمل وأشد موافقة لحاجات الجمعية البشرية وأجلب لترقيها من الجهة الاخلاقية الروحية (يعرض بانتشار الفحش فى البلاد الغربية الى حد لا يوصف) ولمبادئ الاسلام الآخر هذا الحظ من الرفعة والمكانة ٠

وذكر في رسالته الثانية «محمد نبي الاسلام» مختصرات من حياة النبي (ص) ونبذاً من التحويل المدهش الذي أجراه فى العالم وفي الختام يجيب الكاتب عن اعتراضات المنتقدين المتعصبين ٠ (قالت المجلة) ونحن نلفت أنظار المسلمين الى هاتين الرسالتين وكذلك كل طلاب الحقائق وتطلبان من محل لوزاك وشركاه في لندن أو من شوز رثمات فى حيدرأباد الدكن

الدولة العلية فى نجد وخوف الفتنة

جاءنا من بلاد العرب رسالة كتبها رجل كبير من أهل نجد في غرة صفر يخبرنا فيها بمعنى ماوصل الينا قبل من طرق ضعيفة ويزيدنا خبراً ورأياً قال حفظه الله ما ملخصه : ارسلت الدولة الي الشيخ عبـد الرحمن الفيصل بأن يواجه والي البصرة مع (الشيخ مبارك) فتوجه الشيخ عبد الرحمن من نجـد الى اطراف الزبير وطلع الشيخ مبارك والتقوا مع الوالي على مسافة ساعتين من بلد سيدنا الزبير وقدم الشيخ عبد الرحمن الطاعة لمولانا امير المؤمنين وكذب جميع مانسب اليه وانه خاضع لأوامر مولانا امير المؤمنين الا ان ابن رشيد ليس له يد على اهل نجد وبعد ذلك توجه الوالي الى البصرة وبلغ الاستانة ما كان وليلة ٩ ذي الحجة وصل تلغراف من اميرالمؤمنين بتولية الشيخ عبد الرحمن على نجد ورفع يد بن رشيد وبأن يكون في القصيم عسكر «رسم طاعة» وامرهم راجع الى الشيخ عبد الرحمن وابنه عبد العزيز ـ آل سعود ـ وبلغ الوالي عبد الرحمن وبعد ذلك مشى العسكر الذي كان بأطراف النجف الى نجد وهو ستة توابير، وفى نجد عند ابن رشيد ثلاثة توابير وبهـذا السبب صار عند أهل نجد شك فى ممشى العسكر زيادة على مافى نجد «والجميع حدر نظر بن رشيد» والمشير بنفسه طلع ومعه ابن هذال شيخ عنزه وشوشوا اهل نجد واستعدوا للفتنة ان كان العسكر جاء محارباً وان كان مصلحاً فلا حاجة الى هـذه الكثرة ٠ والظاهر ان الفتنة لاتسكن على هذه الحال ٠ وعبد الرحمن ماتوجه الى نجد بل تربص بالكويت

ينتظر نتيجة وصول العسكر الى اهل القصيم وابنه عبدالعزيز الظاهر انه جهز غزوانه (أي غزاته) ونحر القصيم (قصـده) واهل القصيم مستعدون ٠ نسأل الله ان يطفيء الفتن ويصلح احوال المسلمين وحسبنا الله على من ايقظ الفتن بينهـم والا فأي شيء للدولة من المصالح فى نجد ولكن يغرهم المفسدون بالدسائس الفاسدة حـتى يلجئوا اهل نجد اليها اذا لم يكن لها علاج وننتظر الحوادث ونرجو الله يصلح الاحوال ويبصر الدولة بما فيه صلاح المسلمين ٠

(المنار) لم يذكر الكاتب ماذا كان بين الوالي والشيخ مبارك صاحب الكويت وقد بلغنا من مصدر آخر دون هذا المصدر ان الشيخ قال للوالي انه خاضع للدولة ونادم على تورطه مع الانكليز ٠ ولكن الدولة قدأعوزتها السياسة الحكيمة فى هـذا الزمان ولذلك غلبتها سياسة الاجانب فى البلاد التي لايوجد فيها احد يميل اليهم اويعبأ بدينهـم كاليمن وحضرموت والكويت. واننا كما بدأنا النصيحة لها نعيدها ونؤكدها بأن تحامي مثار سوء ظن اهل نجد بها وان لاتحدث نفسها بمعاملتهم بالقوة وتحكيم رجالها وقوانينها فيهم وان لاتخادعهم كما يخادع الاعداء بل يجب ان تقبل الطاعة من آل سعود وتعتقد صدقهم وتمضي الامر بولاية الشيخ عبد الرحمن على نجد ظاهرا وباطنا وتتفق معه على عدد العسكر الذي تحب ان تجعله فى القصيم والا كان عملها هو المنذر بالخطر الذي تريد تلافيه به ٠ وقد جاء امس فى برقيات روتر ان الباب العالي سأل ناظر خارجية انكلترا عن البوارج الانكليزية الراسية في ميناء الكويت فاجاب بأنه لم يأته نبأ عنها وانه لا يقبل البحث معه فيها على ان البوارج انزلت العسكر فاحتلت الكويت ٠ وننصح للشيخ عبد الرحمن ان لايبني على سوء الظن وان يخابر الدولة في مسألة كثرة العسكر ويقنعها بعدم الحاجة اليه ويتوقى الفتنة لئلا يؤول الامر الى ماينـدم هو والدولة عليه وتلحق نجد بغيرها ولات حين مندم

المسلمون في روسيا

ثار الشعب الروسي القح الارثوذكسي العريق على حكومة القيصر الذي يسمى في التقاليد الروسية الاب الصغير أي الرب صاحب السلطة الدينية الآلهية وثارت أيضاً سائر الشعوب كالارمن واليهود والفيلنديين وأما المسلمون فكانوا أشد العناصر الروسية مسالمة للحكومة ولكنهم طالبوا بحقوقهم ومنحتهم الحكومة مااختلفت فيه الروايات ففي جرائد أوربا ان مفتي القزان الذي يدعى شيخ الاسلام (وهو محمديار سلطانوف) دعي من أورنبورج الى

بطرسبرج وأمرته نظارة الداخلية بأن يرفع اليها تقريراً يبين فيه مطالب المسلمين فطلب ما يأتي ملخصاً بناء على منشور القيصر الصادر في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠٤ الناطق بأنه عزم على منح الرعايا غير الارثوذكس جميع الحقوق التي يتمتع بها الروسيون وهو

(١) أن يعطى المسلمون الذين ينالون الشهادات من المدارس الروسية حق التدريس بالمدارس غير الاسلامية كمدارس الحكومة (٢) أن يعطي من يتم منهم الدراسة في المدارس الثانية حق التعلم في المدارس الروسية العالية (٣) تعيين أئمة لتوابير العسكر المسلمين لاجل أن يؤدوا الفرائض الدينية في موتاهم وأحيائهم وقال ان القرعة العسكرية تتناول في السنة نحو ٤٠ ألفاً من المسلمين وان القيصر كان أمر بتعيين أئمة لهم ولم ينفذ ذلك !! (٤) إلغاء ماتوجبه المادتان ١٥٤ و١٥٧ من القانون المدني (المجلد الثاني) من عدم السماح للمسلمين بإنشاء مسجد الا بإذن الاسقف الارثوذكسي في الجهة التي يراد إنشاؤه بها (٥) منع اضطهاد الولاة والحكام لرجال الدين كعزل والي اوفا لامامي مسجدين من مساجد المدينة في حادثة ١٦ اغسطس سنة ١٩٠٤ بدون ذنب ولا محاكمة بل افتئاتاً عليهما بأنهما ليسا اهلا لوظيفتهما على انه اعادهما بعد ثلاثة اشهر !! (٦) اعادة ادارة المدارس والمكاتب (الكتاتيب) الاسلامية الى رجال الدين المسلمين وكذلك ملجأ الصبيان والبنات في اوفا وقال ان هذا ما كان متبعاً الى سنة ١٨٧٠ وبعدها اخذت نظارة المعارف على نفسها حق مراقبة التعليم فتأخر التعليم الاسلامي وقل التبرع له بقلة الثقة به (٧) جعل النظامات والقوانين الموضوعة للمسلمين متحدة موافقة للزمان وقال ان النظام لمسلمي أورنبورغ باق على ماوضع عليه في اوائل القرن الماضي مع ان الحكومة سنت أخيرا لمسلمي القوقاس قانونا أمثل منه (٨) اعفاء رجال الدين من الخدمة العسكرية ماداموا يؤدون وظائفهم وفقا للمادة ١٢٣١ من القانون العسكري الذي وضع سنة ١٨٥٧ التي استبدلت في القانون الجديد بمادة خصت فائدتها برجال الدين المسيحي ومعلمي المدارس منهم وان كان لفظها عاما ذلك أن هذا القانون يطلب الشبان للقرعة في الحادية والعشرين والقانون المدني لايبيح تعيين امام لمسجد الا اذا كان بالغا الخامسة والعشرين ونتيجة ذلك الا يعين الامام الا بعد الخدمة العسكرية • وقال ان كثيرين من طلاب العلم يساقون الى العسكرية قسرا وانه كتب الى الحكومة في ذلك مرارا فلم تسمع له

هذا ماقله بريد أوربا ولم يذكر ماذا أجيب منه ولكن كتب الينا أحد مسلمي روسيا مايأتي وقد حذفنا منه رسم الخطاب والمقدمة قال:

ان المسلمين الروسيين قد أرسلوا وفودا من الولايات المختلفة الى عاصمة الروسية « بترسبورغ » كما ان شيخ الاسلام القزاني «محمديار سلطانوف» قد ذهب نفسه الى بترسبورغ وطلب من حكومتهم اعادة حقوقهم الدينية التي قد وهبت لهم أولا • ثم كادت ان تسلب سلبا كليا بل سلبت حقيقة فما بقي للمشيخة الاسلامية الا اسم يذكر في الالسن وهيكل مخيل في الهواء •

والآن قد شاع الخبر وذاع بأن الحكومة قد سمحت لهم ببعض ما طلبوه من حقوقهم المسلوبة • وهي هذه: (١) ان النكاح والطلاق وتقسيم التركات ونصب الامام وعزله يكون تحت ادارة المشيخة الاسلامية كما كان (٢) رخص للذين أكرهوا من المسلمين على التنصر منذ سنة ١٨٤٢ فتنصروا بعد ماأحرق اكثر اخوانهم بالنار ان يرجعوا الى دينهم الاسلام (واذا فصلت أحوالهم يرتعش كل مسلم بوجوده وتكاد ان تخرج روحه) و (٣) رخص للوثنيين مثل «آر» و «جرمش» ان يسلموا ويقبلوا أي دين شاؤا ومعلوم ان أكثرهم كانوا يتدينون بدين الاسلام وكثيرا مااسترحموا من الحكومة ان تسمح لهم بأن يلحقوا بالمشيخة الاسلامية ولكن منعوا وبنيت الكنائس في قراهم وألزمهم القسيسون بتعلم دين النصرانية الزاما وأكرهوهم عليه اكراها (٤) ان طائفة القزاق ستلحق بادارة المشيخة القزانية كما كانوا أولا ثم قد فصلوا بدسائس القسوس وسعيهم حتى أن الحكومة سمتهم أهل الظن ونزعت عنهم ثياب الاسلام ••••• (٥) ان إلزام الائمة والمدرسين بتعلم اللغة الروسية قد رفع (ومع ذلك ترى المسلمين يتعلمون اللغة الروسية ويجعلون قانون المعارف الزمانية منطبقا على پروغرام أوروبة والروسية) (٦) ان المشيخة الاسلامية ستدعو العلماء الاجلاء والمدرسين النبهاء لينظموا قانون (پروغرام) المكاتب والمدارس الدينية الاسلامية وسيرسلون وفدا الى بترسبورغ » اه

هذا ما كتبه لنا (ض • ك) وأتبعه باقتراح له ضاق عنه هذا الجزء • والناظر فيما طلبه شيخ الاسلام يرى أنه لو لم يكن مطلعا على قوانين الدولة وواقفا على أعمالها لما عرف ماذا يطلب ولكن من يطالب شيخ الازهر او طائفة من علمائه هنا بمطالعة القوانين التي يعلمون او يحكمون بها او يحكم بها اخوانهم المسلمون في بلاد أخرى يعد عند الازهريين وعند الذين يجاهدون لابقائهم في سباتهم عدوا للاسلام والمسلمين، فليتأمل ويعتبر المعتبرون

﴿ ألمانيا فى مستعمراتها الافريقية ﴾

نشرنا فى العدد العشرين من المجلد السابع من هذه المجلة (المنار) انه كتب الينا بعض من حضر المعرض الذي أقامته الحكومة الالمانية في دار السلام قاعدة مستعمرتها فى شرقي أفريقية ان الحكومة تمنع العرب من ركوب العربات وانها هدمت المسجد الجامع وأعطت المسلمين جزاء حقيرا عنه ثم منعته الخ وكان ماساءنا من ذلك هو السبب في قولنا ان المانيا ليست امثل من فرنسا فى مستعمراتها وقد اطلعت الوكالة السياسية لدولة المانيا في مصر على ما كتبناه فاهتمت به وكتبت الى حكومة دولتها في دار السلام تسألها عن صحة ذلك فجاءها الجواب بأن مسألة منع العرب من ركوب العربات لا اصل لها • وأما هدم المسجد فانما كان بطلب المسلمين أنفسهم لبعده عن بيوتهم وقد أبدلتهم الحكومة مكانا آخر قريبا وزادتهم على ذلك مالا وافرا • وقد أبلغتنا الوكالة الالمانية ذلك فنحن ننشره شاكرين لها اعتناءها بالبحث وراء الحقيقة كما اننا نؤمل ان نسمع دائما مايسرنا عن حكومتها في مستعمراتها فما استعمرت البلاد بمثل العدل والانصاف

(نابتة الازهر والاستاذ الامام)

لقد كبر على نابتة الازهر ترك الاستاذ الامام له وذكرت الجرائد اليومية أن نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ منهم كتبوا اليه عريضة يستعطفونه بها ليعود الى التدريس فيه • ونقول ان منهم من كتب يسترشده في أمره • وقد اطلعنا على صورة كتاب لبعضهم فرأينا أن ننشره على انتقادنا قوله «كلهم شر» ليرى القراء حسن عبارة وافكار تلامذته الذين يشكون الجهل قال بعد رسم الخطاب:

انني نظرت في أمري بعد أن قضيت ماقضيت في الجامع الازهر وأضعت ما أضعت من صحتي وشبابي في طلب العلم فلم أجد ثمنا لما بذلت الاحشدا من الصور والخيالات لايضيء البصيرة ولا يبعث العزيمة ولا يعد للسعادة فى الحياة الدنيا ولا فى الآخرة

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت — مني بعلمي الذي أعطت وتجريبي

طلبت السبيل الى الكمال والعلم النافع فما وجدت الدليل ولا اهتديت الى السبيل وكيف اطلب الخير من بين معشر أعيذك يامولاي كلهم شر وقد هدتني اليك خاتمة المطاف وفاتحة الالطاف فجئتك اسألك أن تعلمني مما علمك الله وأن لاتكلني الى رأبي

وها أناذا أبسط يد الرجاء إليك ولم أبسط لغيرك يداً وارفع اليك أمنيتي فى الحياة وقد وضعت أملي ببابك ومثلك من لايخيب ببابه الأمل اه

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ومايذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿مصر — الأحد ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٣ — ٢١ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

﴿ تتمة تفسير الآيتين اللتين فى الجزء الماضي ﴾

ثم قال تعالى (ويسئلونك عن اليتامى) الخ أخرج أبوداود والنسائي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال لما نزلت « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن » و « إن الذين يأكلون أموال اليتامى » الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : ويسئلونك عن اليتامى : الآية • ذكره السيوطي فى أسباب النزول

نعم ان آيات الوصية فى اليتامى كثيرة ومنها ما نزل فى مكة كقوله تعالى

« ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن » في سورة الاسراء (١٧) وقوله تعالى « فأما اليتيم فلا تقهر » في سورة الضحى (٩٣) وقوله عز وجل « فذلك الذي يَدُعّ اليتيم » في سورة الماعون (١٠٧) جعل دَعّ اليتيم وهو دفعه وزجره بعنف أول آيات التكذيب بالدين . وأجمع ما ورد في ذلك وآكده آيات سورة النساء (٤) وهي مدنية كسورة البقرة ومنها قوله تعالى « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا » وقد كان السابقون الأولون من المؤمنين يحفظون حدود الله تعالى ويأخذون القرآن بقوة لأنهم لبلاغتهم يفهمون الوعيد في مثل هذه الآية فتحدث لهم من الذكرى والتأثر مالا يجد مثله من لم يؤت بلاغتهم . وليس المراد ببلاغتهم أنهم قرأوا علم المعاني والبيان فحفظوا في أذهانهم عللا كثيرة للتقديم والتأخير في المسند والمسند اليه ونحو ذلك وإنما هي مقاصد الكلام ومغازيه تغوص في أعماق القلوب كما يغوص الماء في الاسفنج فلا تدع فيها مكانا يتعاصى على تأثيرها كما قال الاستاذ الامام . هذا التأثر والاعتبار بوصايا الكتاب العزيز في اليتامى قد ملك نفوس المؤمنين فكانوا في حيرة وحرج من أمر القيام عليهم واستغلال أموالهم خوفا أن ينالهم شيء من الظلم المذكور في آية سورة النساء لان الظلم يتناول كل ما خرج عن الحق فاذا اختلط اثنان في النفقة وأكل أحدهما مما اشتري بمالهما أكثر من الآخر تكون الزيادة من مال الآخر فان كان راشدا فرضاه ولو بالعرف أو القرينة إذن يبيح هذا التناول وأما اذا كان الخليط يتيما فان الزيادة تكون مظنة الظلم أو هي منه حتما ولذلك تأثم الصحابة عليهم الرضوان من مخالطة اليتامى بعد نزول آية النساء وان كانت العادة جارية بتسامح الناس في مؤاكلة الخلطاء والشركاء من غير

تدقيق فكان بعضهم يأبى القيام على اليتيم وبعضهم يعزل اليتيم عن عياله فلا يخالطونه في شيء حتى انهم كانوا يطبخون له وحده ثم انهم فطنوا الى ان هذا على ما فيه من الحرج عليهم لا مصلحة فيه لليتيم بل هو مفسدة له في تربيته ومضيعة لماله وفيه من القهر المنهي عنه مالا يخفى فانه يكون في البيت كالكلب أو الداجن في مأكله ومشربه . ومن هنا جاءت الحيرة واحتيج الى السؤال عن طريق الجمع بين الأمرين والتوحيد بين المصلحتين بأن يعيش اليتيم في بيت كافله عزيزا كريما كأحد عياله ويسلم الكافل من أكل شيء من ماله بغير حق وكان من فضل الله تعالى ورحمته ان أنزل الوحي في ازالة الحيرة وكشف الغمة فقال لنبيه (قل) لهؤلاء السائلين عن القيام على اليتامى وكفالتهم وعن المصلحة في عزلهم أو مخالطتهم (إصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم) وقد أزالت الكلمة الاولى من هذا الجواب الوجيز شبهة المتأثمين من كفالتهم ، وكشفت الكلمة الثانية شبهة القوّام المتحرجين من مخالطتهم ، ومن هذا الجواب عرفنا حقيقة السؤال وهذا من ضروب الايجاز التي لم تعرف الا من القرآن

أما معنى كون الاصلاح لهم خيراً فهو أن القيام عليهم لاصلاح نفوسهم بالتهذيب والتربية ، واصلاح أموالهم بالتثمير والتنمية ، هو خير من اهمال شأنهم وتركهم لانفسهم تفسد أخلاقهم وتضيع حقوقهم ـ خير لهم لما فيه من صلاحهم وخير للقوام والكافلين لما فيه من درء مفسدة اهمالهم ، ومن المصلحة العامة في صلاح حالهم ، ولما في ذلك من حسن القدوة في الدنيا ، وحسن المثوبة في الاخرى ، . قال في التفسير الكبير قال القاضي : هذا الكلام يجمع النظر في صلاح مصالح اليتيم بالتقويم

والتأديب وغيرها لكي ينشأ على علم وأدب وفضل لأن هذا الصنع أعظم تأثيرا فيه من اصلاح حاله بالتجارة ويدخل فيه أيضا اصلاح ماله كي لا تأكله النفقة من جهة التجارة ويدخل فيه أيضا معنى قوله تعالى «وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب»

واما قوله (وان تخالطوهم فاخوانكم) فمعناه انه لا وجه للتأثم من مخالطتهم في المأكل والمشرب والمكسب فهم اخوانكم في الدين ومن شأن الاخوة ان يكونوا خلطاء وشركاء في الملك والمعاش ولا ضرر على أحد منهم في ذلك بل هو نافع لهم لان كل واحد منهم يسعى في مصلحة الجميع والمخالطة مبنية بينهم على المسامحة لانتفاء مظنة الطمع وتحقق الإخلاص وحسن النية . كأنه يقول ان تخالطوهم فعليكم ان تعاملوهم معاملة الاخوة في ذلك فيكون اليتيم في البيت كالأخ الصغير تراعى مصلحته بقدر الامكان ، ويتحرى أن يكون في كفته الرجحان ، وقيل ان المراد بالمخالطة المصاهرة واخوة الاسلام علة لحلها وقد أطال أبو مسلم في ترجيح هذا الوجه .

وهذا الذي هدانا اليه الكتاب العزيز في شأن اليتامى من معاملتهم كالاخوان مبني على ما أودع الفطرة السليمة من الحب والاخلاص للاقربين وقد طرأ الفساد على هذه الرابطة النسبية في بلاد كثيرة بما أفسدت السياسة في الامة فصار الاخ يطمع في مال أخيه ، ويحفر له من المهاوي ما لعله هو يقع فيه ، وأمثال هؤلاء الذين فسدت طباعهم واعتلت خلائقهم لا يوكل اليهم الرجوع الى الفطرة ، وتحكيمها في معاملة اليتامى كالاخوة ، لذلك لم يكتف القرآن بذلك حتى وضع للضمير والوجدان ، قاعدة يرجع اليها في هذا الشان ، فقال (والله يعلم المفسد من المصلح) أي انه لم يكل أمر مخالطة اليتامى الى حكم

نزعة القرابة وعاطفة الاخوة من قلوبكم الا وهو يعلم ماتسر هذه القلوب من قصد الاصلاح لهم أو الافساد فعليكم ان تراقبوه في أعمالكم ونياتكم وتعلموا ان سيحاسبكم على مثقال الذرة مما تعملون لهم . والمصلح هو من يأتي بالاصلاح عملا والمفسد هو من يأتي بالافساد فعلا وحال كل منهما ظاهرة للعيان وإنما أيقظ الله تعالى القلوب الى ذكر علمه بذلك لتلاحظ اطلاعه على العمل وتتذكر جزاءه عليه فتراقبه فيما خفي منه لعلها تأمن من مزالق الشهوة ، وتسلم من مزال الشبهة ، فان شهوة الطمع تولد لصاحبها شبهة أكل مال اليتيم ، كما يأكل صاحبها مال أخيه الضعيف ، ولا عاصم من ذلك الا بمراقبة الله تعالى وتقواه . والا فاننا نرى أكثر الأوصياء على الايتام في هذا الزمان يظهرون للملاء إصلاح أحوالهم وتثمير أموالهم مع العفة والزهادة فيها وهم في الباطن يأكلونها أكلا لمًّا حتى إن واحدهم يصبح غنيا بعد فقر ولا عمل له الا القيام على اليتيم والاجرة المفروضة له على الوصاية لا غناء فيها ليكون غنيا بها . وكل من يطلب ان يكون وصيا على يتيم ويسعى لذلك سعيه فهو موضع للظنة وقلما يوجد فيهم من يرضى بما يفرض له على عمله وسيأتي ما يحل للوصي من مال اليتيم وما يحرم في سورة النساء إن شاء الله تعالى

ثم بين لنا سبحانه وتعالى منته علينا ورحمته بنا بما أذن لنا من مخالطة اليتامى فقال (ولو شاء الله لأعنتكم) أي أوقعكم في العنت وهو المشقة بأن يكلفكم القيام بشؤون اليتامى وتربيتهم وحفظ أموالهم ولا يأذن لكم بمخالطتهم ولا بأكل لقمة واحدة من طعامهم ولكنه لسعة رحمته لا يكلف نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج ولذلك أباح لكم

مخالطة اليتامى على ان تعاملوهم معاملة الاخوة ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم وقد عفا عما جرى العرف على التسامح فيه لعدم استغناء الخلطاء عنه وقد وكل ذلك الى ذمتكم وأمركم بمراقبته فيه وهو الرقيب المهيمن الذي لايخفى عليه شيء من عملكم ولا من قصدكم ونيتكم . (ان الله عزيز حكيم) فلو شاء إعناتكم لعز على غيره منعه من ذلك اذ لاعزة تعلو عزته ولكن مضت حكمته بأن تكون شريعته جامعة لمصالح عباده جارية على سنن الفطرة المعتدلة التي فطرهم عليها. هكذا جعل الاستاذ الامام ذكر العزيز فى هذا المقام لتقرير تعلق إمكان تعلق المشيئة بالاعنات وذكر الحكيم لتقرير التفضل بعدم تعلق المشيئة به وكل من الامرين مفهوم من قوله « ولو شاء الله لأعنتكم » ويحتمل ان يكون ذكر الاسمين الكريمين تقريرا لعزته وحكمته تعالى فى المسائل الثلاث فى الآيتين - مسئلة الخمر والميسر ومسئلة الانفاق ومسألة اليتامى - فانها وردت فى الآيات معطوفا آخرها على أولها ولله العزة بمنع الناس بعض الشهوات وتكليفهم الانفاق من فضول أموالهم ومن حكمته أن منعهم مايضرهم من ذلك وكلفهم مافيه مصلحتهم وأن هداهم الى وجه منفعة النافع ومضرة الضار

الاستاذ الامام: النكتة فى وصل السؤال عن اليتامى بالسؤال عن الانفاق والسؤال عن الخمر والميسر انه لما كان ذانك السؤالان مبينين لحال فريقين من الناس فى الانفاق وبذل المال (على ماتقدم) ناسب ان يذكر بعدهما السؤال عن صنف هو من أحق أصناف الناس بالانفاق عليه وبذل المال فى سبيل تربيته وإصلاح شأنه وهو صنف اليتامى وليس الترغيب بالانفاق عليهم ببعيد من هذه الآية وقد تكرر فى غير هذه السورة . كأنه سبحانه

وتعالى يذكرنا عند الاذن بمخالطة اليتامى والترغيب فى الاصلاح لهم أن النفقة عليهم من أموالنا مندوب اليها وانهم من المستحقين لما ننفقه من العفو الزائد عن حاجاتنا فلا يليق بنا أن نعكس القضية ونطمع فى فضول أموالهم لأنهم ضعفاء قاصرون لايستطيعون دفاعا عن حقوقهم ولا ذودا عن مصالحهم . فجمع الاسئلة الثلاثة فى الآيتين وعطف بعضها على بعض فى غاية الاحكام والالتئام . وترون من هذا السؤال وجوابه كيف كانت عناية المؤمنين فى حفظ أحكام الله واتقاء اعتداء حدوده وكيف شدد الله الله تعالى الامر فى شأن الأيتام فلم يأذن بالقيام عليهم الا بقصد الاصلاح ولا بمخالطتهم الا مخالطة أخوة وكيف وجه القلوب مع هذا الى مراقبته والتذكر بإحاطة علمه ثم ترون كيف اتخذ الناس هذه الآيات وسيلة للتلذذ بنغمات قارئيها، أو للتعبد بألفاظها دون الاهتداء بمعانيها ، ومن أخذته هزة عند سماع مثل قوله تعالى « والله يعلم المفسد من المصلح » فانها لاتلبث أن تزول ثم هو لايزول عن إفساده ، ولا يرجع الى رشاده ، ومنهم من يتزيا بزي المتقين، ويظهر فى صورة الصالحين ، ويكثر من التسبيح والتلاوة ، وحضور صلاة الجماعة ، حتى اذا ماجعل وصيا على يتيم لاترى لذلك التحنث أثرا فى عمله، ولا ذلك السمت حائلا دون زلله ، فهو ان أصلح شيئا يفسد أشياء، ولا يراقب الله ولكن يراقب الحسبة والقضاء ، ذلك أن الاسلام قد صار تقاليد صورية ، وحركات بدنية ، ليس له منبع في القلوب ، ولا أثر صالح في الاعمال ، وإن الله تعالى لاينظر الى الصور والأبدان ، ولا يعبأ بالحركات والاقوال، ولكن ينظر الى القلوب والأرواح، وماينشأ عن صلاحها من خير وإصلاح ،

باب المقالات

الحياة الزوجية

٤

اختيار المرأة للرجل

ان الشروط التي تعتبر ضرورية في اختيار المرأة زوجاً يجب أن تعتبر ضرورية أيضاً في اختيار الرجل زوجا وهي صحة الجسم وصحة النفس أعني حسن الخلق والاستقامة وصحة العقل وهذه لازمة لما قبلها . ويزاد عليها القدرة على النفقة اللائقة كما يقول الفقهاء أو القدرة على الاستقلال بإنشاء عشيرة او أسرة كما يقول الحكماء وهو ما يريده العوام بقولهم: فلان قادر على فتح بيت: والقدرة على النفقة اللائقة بحال المرأة تختلف بحسب طبقتها فزيد يستطيع كفاية من نشأت في بيت النعمة والترف، وعمرو يستطيع أن يمون من نبتت في أرض الفاقة والشظف، والناس أصناف وطبقات، والله فضل بعضهم على بعض درجات، وهذا الشرط هو ركن الكفاءة الركين في نظر أكثر النساء، وعرف أكثر الأولياء، وإن شئت قلت في عرف جميع الناس لان رضاء امرأة أو اولياء امرأة بزوج غير قادر على كفايتها مما تعودت من طعام وكسوة وخدمة نادر لايعتد به . والمرأة الغنية أحرص من الفقيرة على التزوج بالغني لانها وأهلها يحتقرون الفقير وما زال الاغنياء يتعايرون بمصاهرة من ينزل عن درجاتهم في الثروة الا أن يعلوهم بمجد أثيل، أو جاه عريض، فيمتّ اليهم بشرف صاعد، أو جد مساعد، ومن رفعه المال، لايلبث أن يمد عنقه الى الجاه، ويحاول أن يصيبه بتنصي أهل السؤدد (*) وتذرّي ذوي المجد المؤثل، لاسيما من قل من هؤلاء مالهم، وساءت في الثروة حالهم، فالمال والشرف اذا انفردا كان كل منهما شافيا للآخر ومن جمع بينهما، لايكاد يرضى بمصاهرة من فاته احدهما، الا اذا لم يجد له صهراً أمثله . وانك لتجد من العوانس في بيوتات المجد والغنى مالا تجد مثله في بيوت المتوسطين، واكواخ الفقراء والمعوزين، وذلك خطء كبير، وعتو عظيم

(*) تنصى القوم تزوج في نواصيهم أي اشرافهم ومثله تذراهم أي تزوج في ذروتهم

تعذر المرأة ويعذر وليها وذو قرابتها اذا لم يرضوا بصهر يعجز عن كفايتها لان المرأة ضعيفة الاستقلال، قليلة الاحتمال، اذا مسها العوز والاقلال، لاتستقر من القلق على حال . ثم انها ولوع بالحلية، فخور بالزينة، هلوع عند الحاجة، ضجور من الشدة، فهي أحوج من الرجل الى الكفاية ، وأشد تطلعا الى السعة والزيادة، وان قومها ليألمون لاعوازها مالا يألمون لعوز الرجل منهم وهو وارث مجدهم، وحافظ نسبهم، ونصيرهم عند الشدة، وغوثهم عند الحاجة ،لما انطوت عليه نفوسهم من الثقة باستقلاله، وجدارته بإصابة المخرج من اقلاله ،وما أودعته قلوبهم من الشعور برقة حاشيتها دون التحمل، وضيق مذاهبها عن التحول، وإن حظ الولدان والاقربين وغيرهم من الرحمة والحنان والخوف والاشفاق والحزن والامتعاض والغضاضة والنعرة وغير ذلك من ضروب الشعور والوجدان انما يكون على مقدار الداعية الطبيعية لذلك فهم . قيل لبعضهم أي ولدك أحب اليك ؟ فقال صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر وسقيمهم حتى يبرأ :

يشبه أن يكون الناس عندنا ماديين فانهم يعنون بالبحث عن ثروة من يخطب اليهم ظانين ان سعادة بنتهم وهناء عيشها مقرونان بمال من يتزوج بها وقلما يبحثون عن دينه وأخلاقه وآدابه . ذلك بأنهم يجهلون ان السعادة في النفس لا في اليد او الجيب ويغفلون عن حال الجم الغفير من أصحاب الجيوب الملأى والقلوب المرضى الذين شقيت بهم نساؤهم فهن يتمنين لو كانوا فقراء الجيوب أغنياء القلوب بالعفة والوفاء والحب والاخلاص، اذاً لكنّ أنعم بالا وأقرّ عيناً وأهنأ عيشاً ، فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى، الا من هذب نفسه الايمان والتقوى، وان من طغيان الغنى ، اذا لم يقترن بالادب والتقى، ان يُغير صاحبه زوجه وسكنه ويتغير عليها - يغيرها باتخاذ الاخدان ، واتباع خطوات الشيطان، ويتغير عليها اذا زارت أو زارها الاهل والجيران ،فيعذبها بالغيرة عذاب الضعف ، أو يضارّها ليضيق عليها من غير ذنب، وانما هو ملل الذوّاقين، وتنقل المسرفين، ومن وراء ذلك ان ارشاده عسير ، والانتصاف منه عزيز، لاسيما في بلاد فسدت حكوماتها ، وأكل السحت قضاتها ، فأين السعادة والهناء ،في مصاهرة أمثال هؤلاء ،

يسهل على الرجل المسلم أن يتخير من ربات الخدور من ترضيه فيعرف عنها من وراء الحجاب كل ما يجب أن يعرفه ويعسر على الفتيات ان يعرفن ما تجب معرفته لصحة تخير الزوج وان فارقن الحجال ، وعاشرن الرجال ، لان المرأة سريعة التصور سريعة التأثر سريعة الحكم سريعة الانخداع فهي لهذا قليلة الروية كثيرة الخطأ لا سيما اذا كانت عذراء ،خاضعة لسلطان الحياء ، تخدعها النظرة ، وتجاذبها الذرة، ولذلك حظرت الشريعة الاسلامية على المرأة أن تزوج نفسها وجعلت أمرها في ذلك الى وليها واليها لابد من رضاهما معاً على أنها منحتها من حقوق التصرف فى أموالها مالم تمنحه لها شريعة سواها بل تجد معظم البشر من جميع الشعوب والقبائل المختلفة في الملل والنحل متفقون على استقباح استقلال المرأة بتزويج نفسها وعلى وجوب تفويض أمرها فى ذلك الى أوليائها وعصبتها، ومنهم من لايتقيد باستئذانها واستئمارها كما أمر الاسلام بل كثرت هذه العادة فى المسلمين على ما ورد عن الشارع من الأوامر باستئذان البنت فى أمر زواجها واستئذان أمها أيضاً فليس للولي أن يستبد بذلك فيزوجها بمن تكره ولو كان أباً أوجداً

يحسب أكثر الرجال ان للحسن والجمال سلطاناً على قلوب النساء لايدع فيه لغيره أمراً ولا نهياً وأن شغف النساء بالحسن يعلو شغف الرجال به فلو اطلقت لهن الحرية في تخير الازواج لما اخترن الا ذا الوجه الجميل والطرف الكحيل وان كان خسيس الابوين صفر اليدين عادم الفضيلتين — فضيلة العلم والادب — وهذا هو الوجه فى الحجر عليهن ان يتخيرن لانفسهن فانهن يتبعن الهوى دون المصلحة فيصبحن على مافعلن نادمات بعد أن يقاسين من استبداد سلطان الجمال ، مالا طاقة لهن به ولا احتمال ، وهذا الحسبان خطأ سببه قياس أحد الصنفين على الآخر • وهو السبب فى تصدي حسان الوجوه من الشبان لتصبي النساء واغوائهن وقد يعد نجاحهم في التصبي دليلا على صحة القياس وماهو بدليل الا عند من يجهل التعليل

إن الفتنة بالجمال اولع بالرجال منها بالنساء فيقل فى النساء من فتنت بجمال الرجل كامرأة عزيز مصر وصواحبها ولا يتناول الاحصاء عدد الرجال الذين فتنوا بجمال النساء كبني عذرة وأمثال بني عذرة من جميع القبائل والشعوب وهذا هو السبب

عندي في شكوى الرجال من قلة الوفاء في النساء • انما يفتن المرأة من الرجل تحببه اليها فهي مجنونة في حب الحب أي حب أن يحبها الرجل كما قالت علية بنت المهدي حكاية عن نحيزة صنفها * تحبب فان الحب داعية الحب * فهن يفتن بالرجال على قدر تصبيهم لهن وتحببهم اليهن اذا هن صدقن وأمنّ الخلابة والحيلة، وما أسرع تصديق الفتاة الغرّ لوحي العيون، وانخداعها بقول الزور ، واستسلامها للود المذوق ، والحب المصنوع، بل هي فتنة لاتكاد تسلم منها العوان، اي مارست الرجال وعرفت الزمان،

قرأت قصة (رواية) فى امرأة كانت تدعى (فاتنة باريس) وكانت تهوي اليها افئدة الرجال، وتمطرها سحائب الاموال ،فتفوز لديها آمال وتخيب آمال، حتى اذا ماعرض لها مرض حال له لونها ، وحال بين طلاب التمتع و بينها، انفض من حولها الناس الا رجلا واحداً كان الحب قد أخذه عن نفسه، وران على عقله وحسه ، ثم اختطفه من طبيعة الرجال ، وطار به في فضاء الخيال، ولم تلبث المرأة ان أفاقت من غشية المرض فلم تر من تلك الجموع الاذلك الرجل فاعتقدت انه محب لها مخلص فى حبه فاصطنعته لنفسها، وثابت على يديه الى رشدها، وهجرت الرجال وهاجرت معه من باريس الى أريافها وهناك تزوجت به ومكنته من جميع ماتملك •

هذا الذي ذكرته من افتتان النساء بالتحبب والتصبي هو العلة الأولى فيما هو معروف بين الناس من ميل نساء المدن الى المتورّنين والمتطرّسين، وزهدهن فى أهل العلم والدين، فهن يعتقدن ان هؤلاء فى شغل عنهن، وان اولئك لم يبالغن في التطيب والتزين الالاجلهن، ثم صار ذلك عادة موروثة فيهن، وقد فشت هذه العادة السوءى في بيوت المترفين من أهل مصر وغيرها حتى ان العذاري ليقترحن أن يغير الخاطب لهن زيه العلمي ان كان عالما وقد يكون هذا التغيير وبالا عليهن بعد الزواج لانه يسهل على صاحبه الدخول فى بيوت الفسق التي تخرب بيتهما وتوقع بغيهما • اما أهل البادية ومن في حكمهم فان نساءهم لايعلن الالمن اشتهر بالشجاعة والشهامة والرجولية والكرم وبهذه الصفات يتقرب الرجال الى النساء عندهم ولو وجد فى المدن شبان يعرفن بهذه الصفات لما فضل النساء عليهن أحداً فان من صفات الفطرة ان تحب المرأة من الرجل ماهو من شأن الرجولية والعكس بالعكس وهذا الذي يحكى عن نساء الامصار من ولعهن بالمخنثين ومن يقرب منهم هو

من فساد الفطرة . وقد كان من حسن تربية النساء في بلاد الانكليز أنهن قربن من الفطرة السليمة فقد اقترح عليهن في بعض الجرائد ان يذكرن أحب صفات الرجال اليهن فكان الجواب من أكثر من أجبن ناطقاً بحب صفات الرجولية من الشجاعة والاستقلال والسلطة عليهن

يقول اناس : ان الحب بين الزوجين هو الاساس الذي تقوم عليه جميع اركان سعادة الحياة الزوجية فاذا كان قويا راسخاً فلا يضر هذه الحياة ضعف الاركان واذا كان غير قوي فان الاركان لاتلبث ان تسقط فيجب ان يؤذن للعذارى والايامى بمعاشرة العزاب على أعين اهليهن ومراقبتهم ليتخيرن منهم من يبيعهن قلبه، ويصفيهن حبه ؛ : وقد سبق القول في بحث تخير الرجل للمرأة بأن هذه المعاشرة ليست سبيلا موصلة الى الامنية التي يتمنون . واذا كان يعسر على الرجل ان يعرف قلب المرأة بمثل هذه المعاشرة التي يقصد بها الخطبة افلا يكون وصول المرأة الى قلب الرجل اعسر لاسيما اذا كانت فتاة غرا ؟ ونزيد ههنا ان كثرة معاشرة أفراد كل من الصنفين للآخر يحبب اليهم التنقل فى هذه الرياض ويزينه فى قلوبهم حتى اذا ما ازدوج اثنان منهم عن حب ثم فتر الحب للملل اولما عساه يبدو لاحدهما او كليهما مما لم يكن في الحسبان تحن القلوب الى من كانت عرفت بالمعاشرة وتجنح الى التنقل ولا يعسر ذلك على من سبق له التمرن عليه والأنس به

الحب هو الركن الاول او الاساس لسعادة الزوجية وهو السكون المذكور في الآية الحكيمة «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها» اوهو علته وقد تقدم شرح ذلك فلا نعيده ولكننا نزيد على ماقلناهناك ان دوام الحب وسكون القلب انما يرجى بين زوجين لم يتعود الرجل منهما معاشرة النساء ولا المرأة معاشرة الرجال اذا كان اختيار كل منهما للآخر على الوجه الذي بينا فان علة سكون كل منهما الى الآخر ثابتة فى اصل الفطرة وإنما يجب التخير للحذر من الصفات العارضة التي تشارك الفطرة فى الاستحسان أو الاستهجان ولا شيء اقطع لرابطة الزوجية وأذهب بسعادتها من ميل احد الزوجين او كل منهما الى غير زوجه ميلا للمعنى الخاص بالزوجية

ان الحب الذي يكون للزوجين برابطة الزوجية نفسها هو الحب الذي يرجي

دوامه اذا روعي فى عقد الرابطة صحة الجسم والنفس والتقارب في العادات والتأدب بأدب الدين وأهم هذه الآداب عفة الزوجين ورضى كل منهما بالآخر نصيبا له لايفضي الى سواه . ذلك بأن النزعة الطبيعية فى كل من الصنفين الى الآخر مبهمة مضطربة فى أصل الفطرة فاذا تعينت فى اثنين فأفضى بعضهما الى بعض وقد وطنا أنفسهما على إقامة سنة الفطرة والدين باحصان كل منهما للآخر وعدم التطلع الى سواه فهناك السكون التام والحب الخالص . وليس وراء الفطرة والدين مطلع لهناء العيش وسعادة الحياة ولكن هذا الانسان يخرج عن سننهما ليتمتع بالهناء وسعادة الحياة فيضل ويشقى

يقول غير المسلم: إن حب الزوجية لايكاد يتذوق حلاوته الزوجان المسلمان لان المرأة تكون مهددة دائما بأحد الأمرّين الطلاق أو الضرة : ونجيب عن هذا القول من وجهين أحدهما دفعه بقول مثله في الزوجين النصرانيين ومن فى حكمهما وثانيهما البحث فيه وتعرّف حقه من باطله . أما الاول فان الزوجين اللذين يرى أحدهما انه ملزم بالآخر إلزاما إجباريا جعله كالوهق فى عنقه ، والوقر على كاهله ، فانه يمله ويستثقله فلا تسكن نفسه اليه ، ولا تقر عينه به ، ولا يخلص وده له ، وان كان قد رضي به قبل العقد انخداعاً بما يخدع به الشباب ، أو ذهابا وراء الطمع في مال أو جاه ، فالمرأة تلج فى الزهو والصلف ، وتتمادى في المخيلة والسرف ، والرجل يتجرع مرارة الصبر ولايكاد يسيغه ، وينشد استقلال الرجال فلايجده ، وربما لجأ الى السلوة باتخاذ الاخدان، أو الاختلاف الى ذلك المكان . . . ان كان، وليس هذا القول من تخيل الشعر بل هو الحقيقة حكاية عن شعور أهلها فقد سمعت أحد فضلاء الانكليز وهم أحسن الاوربيين حالا في الحياة الزوجية يقول ما مثاله : ان تحريم الطلاق ومنعه يشعر الرجل بأنه ملزم بالمرأة مجبور على ودها والتحبب اليها لافضل له في ذلك وما أعصى الحب والود على الإلزام كما يقول المثل «حبني غصباً» واذا كان يعلم من نفسه القدرة على فراقها فانه يكون على فطرته وأدبه فى معاملتها يشعر بالسرور والارتياح لاختيار المعاملة الحسنة التي هي مناط السعادة الزوجية: فهذا هو شعور المهذبين الممنوعين من الطلاق فما بالك بغير المهذبين الذين يعجزون عن مكابرة شعورهم ، وتكلف المحاسنة لمن يرتبط بهم، وللمرأة مع الفريقين شعوران مختلفان أحدهما الضعف والعجز وبهما

ترى نفسها أسيرة للرجل وثانيهما انه لابد للرجل منها ولا قدرة له على الانفصال عنها والأثر الطبيعي لهذين الشعورين هو الكيد من جهة والصلف والعناد من جهة أخرى.
ولا يقال ان هذه فلسفة لايصدقها الواقع فانه ان كذبها في الزوجين المتشاكلين في الطباع المتناسبين بالتهذيب فانه يصدقها في الازواج الذين خانهم الحظ فلم يمنحهم المشاكلة والتناسب لاسيما اذا كانت المرأة عاقرا وظهرت آيات الخيانة من احد الزوجين او كل منهما للآخر. ناهيك بالمرأة العاقر عند ملك او أمير قد جعل الحكم إرثا في ذريته او غني عظيم يعز عليه ان لايكون له وارث يتمتع بماله

وأما الوجه الثاني وهو البحث في فرق المرأة وحذرها من الطلاق أو الضرة فقد يقال فيه انه يكون من أسباب تحببها الى الرجل وعنايتها بمرضاته وان هذا السبب للتآلف يقابله في الرجل حذره من خسارة المال اذا أراد استبدال زوج بزوج لأن الشرع يوجب عليه ان يمتع المتروكة بما تنفقه على نفسها مدة العدة التي لايباح لها الزواج فيها وهذه خسارة فوق خسارة المهر وما عساه يكون مع المرأة من متاع وأثاث وماعون أو يكون لها من مال تسعفه به أو تدخره لولده. ثم إنه لابد أن يبذل للزوج الجديدة المهر اللائق بها. وهذان السببان في حرص كل من الزوجين على التعلق بالآخر يدعمان سكون النفس الفطري في كل منهما الى الآخر . على ان الطلاق والمضارة بزواج أخرى هو خلاف الأصل الذي عليه الاكثرون من المسلمين وانا لنعلم ان الاكثرين من المتزوجين في بلادنا لايخطر في بال الرجل منهم ولا المرأة أمر الطلاق أو المضارة أعني ان الرجل لاينويه والمرأة لاتتوقعه منه وأن أكثر الذين يقع منهم الطلاق من غوغاء المسلمين فانما يقع منهم على سبيل المنع من شيء كأن يقول واحدهم عليه الطلاق إن فعل كذا أو إن فعلت كذا ونحو ذلك . وما كان من ذلك تعليقا حقيقيا على فعل المرأة وهو الاكثر يجعل الطلاق في يدها كما هو في يده فيشتركان فيه . وقد ذهب الكثير من الاوربيين الى صحة الطلاق من كل من الزوجين وهذا شيء منه . ومن أئمة السلف من يقول بعدم وقوع الطلاق بايمان اللجاج وكل لفظ لايقصد به حل عقدة الزوجية قصدا صحيحا وعليه بعض علماء الحنابلة ولو حرر المسلمون مسائل الطلاق من غير التزام مذهب بأن يأخذوا من مجموع كلام الائمة

ما يوافق النصوص المنطبقة على المصلحة العامة لما كان يقع الطلاق من المسلمين الا مثل ما يقع ممن قلدهم فيه من الافرنج . ولعله يكون في بعض البلاد الاسلامية أقل منه في بعض بلاد الافرنج بل هو الآن أقل في بعض البلاد .

نعم لا ننكر أن المسلمين في بلاد مصر قد اسرفوا في الطلاق وفي التزوج بأكثر من واحدة فساءت حالة الحياة الزوجية فيهم وفي أمثالهم ممن على شاكلتهم وان قلوا وأنهم في ذلك على غير مايحب الاسلام ويرضى كما يعلمون في الطلاق وكما بينا في حكم تعدد الزوجات وشرطه في المجلد الماضي ولكن سوء هذه الحال خاص بالمسرفين من أهلها وبمن يقربون منهم بما يروّعون نساءهم ويوقعون الريب في قلوبهن بكثرة الحديث في التزوج وإظهار الميل الى بعض العذارى أو الايامى بالقول أو الفعل . وقد مرضت الفطرة في هؤلاء واعتل مرشدها وهو الدين حتى كان انحلال الرابطة الزوجية بعض أعراض ذلك المرض الذي فقد علاجه فهم لايذوقون للحياة الزوجية طعماً ولو لم يروّعوا نساءهم بالطلاق والمضارة الا أن يقيموا وجوههم للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها . فإن السعادة الزوجية كغيرها من ضروب السعادة لاتكاد تنال الا بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب التي جاء بها الدين ولذلك قال المصلح الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » الخ (رواه الترمذي والليث بن سعد) ومن يطلب السعادة بغير ذلك فهو من الخاسرين

(للكلام بقية)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لايسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ تزويج الشريفة بغير كفؤ وسب العلماء واهانة كتب العلم ﴾

(س ١٤ و١٥) ض ٠ ع احد المشتركين بالمنار في (سنغافوره) : قاض زوج شريفة علوية صحيحة النسب شهيرة برجل هندي مجهول النسب شهد له اثنان

عنـد القاضي قالا : فى بلدنا يقولون سـيد : وبعـد الفحص عارض ذلك القاضي العلماء العارفون حتى اتضح بطلان العقد وفساده عند الجميع وعند القاضي أيضا فأبى الرجوع الى الحق والاعتراف بفساد العقد وساعده رجل آخر جهلا وهوى وتعنتا حتى ان المساعد لما روجع بما يقوله الشرع والعلماء وأحضرت له الـكتب طفق يسب العلماء وقال لمن عارضه اطرح هـذه الـكتب في استك (قالها بالعبارة العامية المبتذلة) فالمؤمل من فضلـكم الجواب مبسوطا على القاضي ومساعده وماذا يترتب على سب العلماء وعلى قوله اطرح هذه الكتب فى ... فالمسألة واقعة حال والرجل والمرأة مقترنان حتى الآن سفاحا وعندنا بسنغافوره اختلفت الاجوبة فمن قائل بكفر المساعد وغيره ولا يرضي الجميع الا جوابكم فانشروا جواب سؤالنا على صفحات مجلتكم المنار لازلتم ذخرا للخاص والعام وناصرين لشريعة أفضل الانام عليه الصلاة والسلام

(ج) نشرنا في الجزء العاشر من المجلد السابع مقالة فى الكفاءة بينا فيها أن الكفاءة فى النسب من المسائل الاجتهادية وأن العبرة فيها بالتعيير وعدمه ولذلك صرح بعض الفقهاء بأن الشريف غير المشهور بالشرف ليس كفؤا للشهيرة بالشرف والظاهر من السؤال ان الواقعة لو ثبت فيها شرف الهندي لكانت من هذا القبيل ولا حاجة لبسط القول فى هذا المقام بعد العلم بان العلماء العارفين حاجوا القاضي حتى حجوه واقتنع ببطلان العقد ولكنه لم يرجع اليه . ثم انـكم لم تذكروا في السؤال هل كان لهذه الشريفة ولي ام لا فان لم يكن لها ولي وكانت هي راضية بهـذا الزوج فالعقد صحيح لانها اسقطت حق الكفاءة وليس لها أولياء يلحقهم العار بزواجها من غير الكفؤ فيعارضوا فيـه . وان كان لها ولي فكيف زوجها القاضي بدون اذن وليها وهـل عارض الولي أم لا ؟ كان ينبغي بيان ذلك

واما سب ذلك الجاهـل للعلماء واهانته للـكتب الدينية فهو من اكبر المعاصي لانه يسقط احترام العلم والدين وأهلهما من نفوس الجاهلين ويجرئ السـفهاء على الفضلاء حتى تكون الامة فوضى ليس فيها كبير يحترم لفضله ، ولا صغير يؤمن بجهله ، ولا يتجه كون ذلك من الكفر الا اذا احتفت به القرائن والدلائل على أنه قال ما قال في كتب الدين وحملتها هزؤا بالدين نفسه لانه غير معتقد به . وقد أفتى بعض فقهاء الحنفية

بردة من يحقر علماء الدين أو كتبه ونصوصه حتى قالوا ان من يعطى الفتوى فيلقيها في الارض ازدراء واحتقارا يكفر . ولما ذكر ابن حجر من الشافعية قاعدة ان من الردة كل فعل أجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر عد من ذلك قوله «أو يلقي ورقة فيها شيء من قرآن أو علم شرعي أو فيها اسم الله تعالى بل أو اسم نبي او ملك في نجاسة قال بعضهم أو قذر طاهر» الخ ثم قال فيما سرده من أعمال الردة «أو تشبه بالعلماء او الوعاظ أو المعلمين على هيئة مزرية بحضرة جماعة حتى يضحكوا أو يلعب استخفافاً أو قال قصعة ثريد خير من العلم استخفافاً أيضاً» ويشترطون في كون هذه الاعمال كفرا ان لا تدل قرينة على عذر صاحبها أو تأوله لاخلاف بينهم في هـذا . والتحقيق ان الـكفر هو انكار شيء مما علم من الدين بالضرورة وكان مجمعاً عليه ومثله تكذيب شيء من الدين يعتقـد المكذب له أنه مما جاء به الشارع أو اعتقاد قبحه وبطلانه لان كل ذلك تخطئة للرسول فيما جاء به عن الله تعالى . وما ذكر الفقهاء من المكفرات غير ذلك فهو في رأيهم يرجع اليه لانه دليل عليه أو لازم له أو ملزوم ولذلك رد بعضهم منـه ما قاله بعض لاسيما ما كان كفرا باللزوم وقد قالوا «إن لازم المذهب ليس بمذهب» واتفقوا على ان التأول يمنع التكفير فاذا أتى إنسان بشيء عدوه كفرا وردة فذكر ان له تأويلا يتفق مع اعتقاده بأن جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الدين حق امتنع الحـكم بردته وقالوا اذا وجد مئة دليل أو قول على كفر أحد وقام دليل أو قول واحد على عدم كفره يعمل بالواحد لانه يجب درء الحدود بالشبهات والتباعد عن التكفير ما أمكن . ولكن هذا لا يمنع من تشديد التعزير على من كانت الشبهة على كفره أقوى لاسيما اذا كانت أقواله أو افعاله المشتبه في كونها كفرا مما يفتن العامة ويضر بالناس والله أعلم

مصرف الهدايا والنذور لأضرحة الأولياء

(س١٦) السيد عوض جمعان سعيدان فى (سنغافوره) : أرجو من سيادتكم الإفادة عما يأتي ولـكم من الله الفضل . سيدي من المشهور ان عنـد قبور بعض الاولياء صناديق حديد يضع فيهن من يريد قضاء حاجته شيئاً من الدراهم وعندنا كثير من هـذه القبور خصوصاً فى جهة (جاوا) وتوجد تلك الصناديق عنـد نهاية الشهر

ملاآنة بالدراهم ينفق منها القائمون بحراستها ما يقوم بنفقة المقام والباقي يصرف على ورثة الولي ان كان له قرابة وقد التمس مني أحد الاخوان بالحاج أن أعرض على سيادتكم هذا السؤال راجياً نشره في أحد أعداد المنار والجواب عليه بما يمكن العمل به وهو هل يجوز للورثة أخذ تلك الدراهم مع العلم بأن طالب الحاجة لا يقصد تقديم تلك الدراهم للورثة أو غيرهم بل يقصد بها ان تكون لذلك الولي فقط أفيدونا لا زلتم مؤيدين وبعين العناية ملحوظين :

(ج) الميت لا يملك فيكون ملكه لورثته فاذا كانت الحال كما ذكرتم في السؤال فلا يجوز لقرابة صاحب الضريح أكل ما يلقى في الصندوق من المال لا بعد الانفاق على القبر ولا قبله . وكذلك لا يجوز الانفاق منه فيما جرت به العادة من ايقاد السرج والشموع على قبر الولي والمسجد الذي يبنى عليه لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن ذلك ولعن فاعله وقد عد العلماء اللعنة علامة على أن الذنب من الكبائر ومنها حديث ابن عباس قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وفي إسناده أبو صالح باذام أو باذان تكلم فيه . وما قاله ابن عباس تشهد له الاحاديث الصحيحة سواء سمع منه أبو صالح أم لا ففي حديث الصحيحين « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي رواية لعن بدل قاتل وقد فسرت هذه بتلك وفي حديث مسلم ان النبي قال ذلك في مرض موته وزاد « فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وفي رواية في الصحيحين « أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً » الخ ومنها حديث جابر عن أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي وصححه والنسائي قال « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه » وفي رواية اخرى « وأن يكتب عليه » وقد ذكرنا من قبل هذه الاحاديث وغيرها فمن شاء فليراجعه أو ليراجع ما كتبه ابن حجر في بيان الكبيرة الثالثة و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ والتسعين من الزواجر فانه بحث في كفر الذين يعظمون قبور الصالحين تعظيما يشبه العبادة كما هو المعروف في زماننا

أما الاموال التي يلقيها الجاهلون في تلك الصناديق توهماً انهم يستميلون بها أصحاب

القبور لتقضى حاجاتهم بواسطتهم فهي لا تخرج عن ملكهم وكان يجب على من حضرهم أن ينهاهم عن وضعها ويبين لهم حكم الله في ذلك ولكن من يحضرونها هم الذين يأكلونها بالباطل ويشركون فيها من يشركون . وقاعدة الفقهاء في الاموال التي لا يعرف لها مالك ان ترصد لمصالح المسلمين العامة ومن للمسلمين بمن يقوم بمصالحهم العامة وليس لهم حكومة اسلامية تلتزم الشرع وتقيمه في كل أعمالها وأحكامها وليس لهم زعماء وسراة يرجعون الى رأيهم وارشادهم فحسبنا الله واياه نسأل أن يهيء لنا من يقوم بأمر ديننا قبل ان نكون من الهالكين الميؤس منهم

تلقين الميت وابن يجلس الملقن

(س١٧) الحاج وان أحمد في (سنغافوره) : ماقول أئمتنا الشافعية فيما يأتي: هل يسن للملقن أن يجلس قدام وجه الميت أو فوق رأسه أو وراءه أو يفرق بين كون الميت رجلا أو امرأة

(ج) هذه المسألة مما يؤخذ فيه بالاتباع ويبعد فيها القياس والاخبار والآثار الواردة فيها ضعيفة ولكن قد استحب أصحاب الشافعي الاخذ بها . والوارد أن يقف الملقن عند الرأس . أخرج الطبراني في الكبير وعبد العزيز الحنبلي في الشافي وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر والديلمي عن سعيد بن عبد الله الازدي عن أبي أمامة قال (وفي رواية شهدت أبا امامة وهو في النزع فقال ياسعيد) : اذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصنع بموتانا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اذا مات أحد من اخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره فليقل يافلان بن فلانة فانه يسمعه ولا يجيب ثم ليقل يافلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يافلان بن فلانة الثالثة فانه يقول : ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تشعرون : فليقل اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما : فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته » وفي لفظ ويكون الله حجيجه دونهما « فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال « فلينسبه الى حواء » قال الحافظ ابن

حجر فى التلخيص واسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه . ولكنهم تكلموا في سعيد راويه وفى اسناده عاصم بن عبدالله وهو ضعيف وقال الهيثمي فى اسناده جماعة لم أعرفهم . وأخرجه ابن منده بلفظ آخر ورووا آثارا بمعناه لامحل لذكرها هنا وانما المقصود بيان أن الرواية صريحة فى أن الملقن يقوم عند رأس القبر . وقد ورد فى أحاديث القيام عند القبر للدعاء بالتثبيت انه يستحب أن يقف مستقبلا وجه الميت . ولا وجه لقياس الوقوف للتلقين أو الدعاء على الوقوف للصلاة قبل الدفن اذ فرقوا فيه بين الذكر والانثى لمكان النص ولوجود الفرق والله اعلم

رش القبر بالماء

(س ١٨) ومنه : رش القبر بالماء مستحب هل هو عام لكل وقت أم خاص بعد الدفن

(ج) ذكروا رش القبر بالماء في أحكام الدفن وعللوه بما عللوا به وضع الحصباء عليه وهو ان لا تذهب الرياح بالتراب وهو دليل على ان المراد رشه بعد الدفن وعليه العمل والاصل فيه مارواه الشافعي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رش على قبر ابنه إبراهيم ماء ووضع عليه حصباء وروى البيهقي ان بلال بن رباح رش قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالماء وفي إسناده الواقدي تكلموا فيه

شعر الرأس - حلقه أو تركه

(س ١٩) ومنه : تبقية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه كما في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية فهل لها كيفية مخصوصة أم لا

(ج) إن ارسال الشعر وحلقه من العادات لا من العبادات الا ما يكون فى النسك من الحلق أو التقصير نعم انه لم يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم حلق فى غير النسك وكذلك الصحابة كانوا يرسلون شعورهم وكان ذلك من عادتهم ولم يكونوا يعدونه ديناً ويعجبني قول الغزالي في الاحياء . ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله الا إذا تركه قزعاً أي قطعاً وهو دأب أهل الشطارة أو ارسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم فانه اذا لم يكن شريفاً كان ذلك تلبيساً » اه وهو يريد أن المؤدب بآداب الدين لا ينبغي أن يتشبه

بالسفهاء كأهل الشطارة ولا بمن يلزم من تشبهه بهم تلبيس على الناس وغش لهم . وانما صرح العلماء بكراهة حلق الرأس وكونه مخالفاً للسنة لانه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاذا أخذنا باطلاقهم كان اللوم فى ترك هذه السنة موجهاً فى هذا العصر الى علماء الدين فانهم يحلقون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون

نعم ان من أرسل شعره بنية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في عاداته الشريفة كان ذلك مزيد كمال في دينه اذا كان مقتديا بسننه الدينية ومتحريا التخلق بأخلاقه الكريمة وقد ورد في أحاديث الشمائل ان شعره كان إلى أنصاف اذنيه وكان لا يجاوز شحمة اذنيه غالباً وقد يصل الى منكبيه وقد سدل ثم فرق فأما السدل فهو أن يرسل الشخص شعره من ورائه وعلى جبينه أي يتركه على طبيعته وأما الفرق فهو أن يجعله الى جانبيه وزعم بعض العلماء ان السدل نسخ بالفرق ولا تقوم له حجة .

وقد جرى أكثر الافرنج وبعض المتفرنجين في هذا العصر على سنة ارسال الشعر وفرقه أرأيت اذا فعل ذلك شيخ الازهر أو بعض شيوخه المشهورين ، الا يعد هذا عند العامة وبعض من يعدونهم من الخاصة خرقاً لسياج الدين ؟ بلى ان حكم العادات نافذ في العلماء والجهلاء ، وهو كثيراً مايزيد فى الدين ماليس منه في شيء وينقص منه ماهو من سننه التي لاخلاف فيها ولا تبعد فى طلب المثال فهو بين يديك وفى اسئلتك وما قبلها . فمشايخ الازهر يقرءون فى كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور واتخاذ المساجد عليها واتخاذها اعيادا وتعظيمها ثم انهم يشاركون العامة فى هذه الاعياد التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أئمتهم فى الفقه . ثم انهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد أمرني بذلك بعضهم وكان شيخاً للازهر قائلا انك من اهل العلم لا يليق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن

صلاة الظهر بعد الجمعة والخلاف فى الدين

(س ٢٠) ومنه : هل يجوز لاحد أن ينهى أهل بلدتنا (سنغافوره) وأشباههما كما حدث الآن عن اعادة الظهر بعد الجمعة ام لا يجوز لانهم يعتقدون أنها سنة متمسكين

بقول العلامة ابن حجر الهيتمي فى الجمعة من الايعاب بعد كلام قرره فيه : وعلى كل فالاحتياط لمن صلى جمعة ببلد تعددت فيه لحاجة ولم يعلم سبق جمعته للكل ان يعيدوها ظهرا خروجا من هذا الخلاف : الخ ولانه اي النهي يوقعهم فى محظورات منها وقوعهم في اعراض اهل العلم الذين امروهم باعادتها واعادوها بأنفسهم فى تلك البلدة وغيبتهم كبيرة بالاجماع ومنها مفاسد أخر كالنزاع والشقاق المتولد بين اهل تلك البلدة بسبب الطعن فى علمائهم المتقدمين وغير ذلك فيكون هذا الرجل سببا لذلك نعوذ بالله من غضبه

(ج) تعلمون ان الخلاف واقع بين علماء الشافعية بعضهم مع بعض وبين علماء سائر المذاهب كما وقع بين الأئمة ومن فوق الأئمة من علماء الصحابة رضي الله عن الجميع ولاشك ان كل من ذهب الى شئ فهو يري مخالفه فيه مخطئا ومن كان غير معصوم فهو عرضة للخطأ وقد نقل عن الصحابة والأئمة انهم أخطأوا فى مسائل ثم ظهر لهم الصواب فرجعوا اليه ومنها ماهو اهم فى الدين من اعادة الظهر بعد الجمعة احتياطا او غير احتياط فاذا كان هذا سببا للوقوع في اعراضهم فمن يسلم لنا . قالوا ان ابن عباس رجع في آخر حياته عن القول بجواز المتعة فهل كان هذا سببا للوقوع فى عرضه ممن كانوا سمعوا منه الفتوى بالجواز او عملوا بها ؟ هل كان اهل العراق يقعون فى عرض الامام الشافعي لانه رجع عن مذهبه القديم بعدما عاد الى مصر . كلا ان هذا من عمل السفهاء وما كان لاهل العلم ان يحفلوا بقدح هؤلاء السفهاء ولا بمدحهم فيتركوا بيان العلم والدين لاجلهم وهذه سنة الله تعالى فى اهل البغي والشقاق يظهر تفرقهم وخلافهم بعد ظهور الحق « وماتفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم » (س ٤٢) « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة » (٩٨) « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه » (٢) فعلى المؤمن بل من خواص المؤمن أن يأخذ بالحق متى ظهر له ويرشد اليه متى عرفه لايخاف فيه لوم لائم ولا خوض آثم واذا كان قد سبق له عمل بخلافه عن خطأ في الاجتهاد فهو مثاب على نيته وان كان قد أمره بذلك عالم فذلك العالم أيضاً مثاب ان كان قد تحرى الحق بقدر طاقته وهو يستحق الدعاء والثناء لا السب والطعن

واذا حاسب السائل نفسه ورجع الى وجدانه يتبين له ان الذي أكبر هذه المسألة

في نفسه وفي نفوس الكثيرين من أهل سنغافوره وجاوه هو تعودهم صلاة الظهر بعد الجمعة فالامر من قبيل حكم سلطان العادة الذى ذكرناه في جواب السؤال السابق والا فلو كان المسلمون يهتمون كل هذا الاهتمام بكل مسألة حتى ماقال بعض الفقهاء المتأخرين انها من الاحتياط لكان اهتمامهم بما أجمعت عليه الامة من المحرمات والمكروهات والواجبات والمندوبات أعظم وأشد وأين هم من ذلك ؟ فو الذي أحيا سلفهم باتباع الحق حيث كان، والاعتصام به بقدر الامكان ، وأماتهم بابتداع البدع ، والتفرق في الدين الى شيع ، لو أنهم كانوا يعملون بما أجمعت عليه الامة لكانوا في هذا العالم هم السادة الأئمة ، ولكانت الامم التي أزالت ملكهم وورثت عزهم، تابعة لهم خاضعة لامرهم « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم » الآية

هذا هو رأينا فى الخلاف في هذه المسألة الاحتياطية التي كبرت عند بعض أهل سنغافوره وجاوه حتى عدها بعض أهل الهوى والجهل منهم فتنة من فتن المنار الذي بين حكم الله فيها اذ كتب واحد أو اثنان منهم لامثالهم من أصحاب الجرائد الذين لا يصلون ظهرا ولا عصرا ولا يفهمون كتاباً ولا سنة يستفتحون بهم على المنار ويطلبون منهم الرد عليه او تحريض العلماء على ذلك والمنار يطلب فى كل عام غير مرة من كل عالم يرى فيه شيئاً مخالفاً للكتاب والسنة ان يكتب به اليه . وقد زعم الكاتبان ان المنار هو الذي فرق بين الناس فى الدين وجرأهم على سب الائمة والسلف والمنار هو الداعي لإزالة الخلاف بالاعتصام بالكتاب والسنة والاقتداء بالسلف ولا نعرف داعياً الى ذلك بالقول والكتابة والنشر غيره ففي اي جزء وفى اية صحيفة منه تكلم فى السلف والائمة ؟ « ان هذا الا اختلاق » يعرف منه ان المشاغبين فى مسألة صلاة الظهر بعد الجمعة لا يتبعون الا الهوى فان الكذب والبهتان والغيبة لاسيما لخدمة الدين وأهل البيت النبوي من أكبر المحرمات باجماع المسلمين واما صلاة الظهر بعد الجمعة فهي مسألة خلافية بينا الحق فيها من قبل . فهل من الاحتياط الذي قاله ابن حجر ان يكذبوا ويغتابوا ويخوضوا في اعراض العلماء ويلصقوا ذلك بغيرهم

قد أطلت القول فى هذه المسألة لان الناس قد اهتموا بها عندكم اكثر مما تستحق وهؤلاء اهل مصر اكثرهم شافعية ولم يهتموا لها بعض هذا الاهتمام وهذه سنة الله فى الخلق يهتم الناس

على قدر جهلهم بالامور التي لايترتب عليها نفع ولا ضر ويتركون عظائم الامور لايبالون بها؛ ارأيت ايها الاخ السائل ايهتم قومك بالانكار على تارك الصلاة ومانع الزكاة كما يهتمون بمن يصلي الظهر بعد الجمعة احتياطاً ويتركها لاعتقاده انه لم يكلف بها وفاقاً لاكثر المسلمين ؟ اذا كان هؤلاء قد تركوا كل ماحرمه وكرهه الدين وقاموا بكل ماقدروا عليه من أحكام الدين فرائضه وسننه وآدابه لانفسهم ولامتهم فلهم الحق في الاهتمام بهذه المسئلة واني اعتقد حينئذ انهم يكونون سعداء مرضيين عند الله صلوا الظهر بعد الجمعة أم لم يصلوها وان كانوا قد قصروا في شيء من الفرائض والسنن المتفق عليها أو يرتكبون شيئاً من المحرمات التي لاخلاف فيها فزعمهم الاهتمام والعناية بالدين لاجل مسألة خلافية لم يقل بها الا الاقلون من المسلمين زعم باطل لاسبب له الا التمسك بالعادة والتعصب على المخالف بغيا وانتصارا للنفس. والخلاصة أن من اعتقد ان شيئا غير مشروع فعليه أو فله ان يبينه للناس غير مبال بلغط اللاغطين، واختلاف الجاهلين، والله ولي المتقين،

اما سؤالكم في سماع الدعوى في بيع الرهن فليس من موضوع المنار البحث في الاحكام القضائية غير الدينية وظاهر ان الدعوى لاتسمع ممن سكت عنها المدة التي حددها الامام أو نائبه

آثار علمية ادبية

التقريظ

الشريعة الاسلامية — والقوانين الوضعية

رسالة لعلي بك أبي الفتوح من علماء القوانين العاملين بها في نيابة محكمة الاستئناف بمصر ابتدأها بقوله : « لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادي المقررة في الشريعة الغراء لاتوافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من التمدن والترقي درجة رفيعة ويتوهمون أن الاحكام والروابط الموجودة في القوانين الحديثة الوضعية لامقابل لها في الاصول الاسلامية وانما هي بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلا

لايلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا في الرفاهية وتقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد الآن صعوبة كتب المتأخرين وكيفية تأليفها وما هي عليه من التعقيد قد أوصدت الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء غير المنقطعين لدراستها ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التآليف القديمة لانها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وبعدها عن المشاغبات اللفظية وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت

« اذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للامام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والاحكام ما يجدر بامراء المسلمين اتباعه والعمل به . عثرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة لا أبخل بنظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون منهم بالقوانين الافرنجية ان المتقدم لم يترك شيئا للمتأخر ولعلهم ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانهما لاينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهما حق الفهم ودرسا بعقل وتمييز

« وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والاحكام أكبر احتراما في النفوس وأكثر موافقة للأخلاق وعوائد من وضعت لهم » اه

ثم ذكر مسائل من كتاب الخراج وذكر ما ورد بمعناها في القوانين الحديثة واستخرج العبر منها وقال ان أهل القوانين يظنون ان هذه المسائل من اوضاع علماء اوربا المتأخرين فهذه الرسالة مفيدة للمتعلمين في المدارس النظامية بمصر واوربا الذين لم يتلقوا شيئاً من علوم الشريعة فهم يغمطونها للجهل وهذا الذي ذكره قليل من كثير، ونقطة من بحر كبير، ومفيدة لعلماء الازهر وامثالهم من المتعلمين على طريقتهم — ان كانوا يقرؤون ويعتبرون — بما تبين لهم من سوء أثر هذه الكتب المتأخرة التي اختاروها للتدريس وأثر طريقة التعليم المتمعجة التي يتعسفون فيها فان ذلك أقوى اسباب بعد المسلمين عن دينهم وشريعتهم

أما تعجب الكاتب من جدارة الحكومات الاسلامية بأخذ قوانينها وأحكامها من الشريعة الغراء فيقال فيه انه لو كان في الدنيا حكومات اسلامية لما كان لهم معدل عن الشريعة وهل من معنى لكون الحكومة اسلامية الا كون تشكيلها وأحكامها على حسب الشريعة . وهل توصف بالاسلامية الحكومة الاستبدادية الشخصية التي ينشئها أو يرثها رجل يفعل فيها مايشاء ويحكم مايريد لايتقيد من شريعة الاسلام بشيء الا ما لا يرى بدا منه في اخضاع العامة لسلطته أو مايراه موافقا لمصلحته ؟ هذه مجلة الاحكام العدلية التي ألفتها لجنة من علماء المسلمين هي أحسن من القانون المدني الفرنسي وقد أمر السلطان العثماني بالعمل بها عند ما أسس نظام العدلية، وابطل به الامتيازات الاجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية، بل اختارت على احكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسوية . كلنا يعرف السبب في ذلك وهو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوربا التي يتزلف اليها باتباع خطوات مدنيتها فانظر ماذا حل به وباستقلاله . والرسالة قد طبعت فنحث القراء على طلبها ومطالعتها

﴿ شرح التلخيص وطريق البلاغة وكتبها ﴾

ساءت طرق التعليم في المدارس الاسلامية بعد ضعف العلم بضعف الامة وساء اختيار المعلمين للكتب فصارت العلوم في المسلمين رسوماً منها الدارس ومنها الماثل . ثم تلاشى من العلوم مالا يقوم بالرسم، لانه أشبه بالروح منه بالجسم . كعلم البلاغة الذي هو ذوق معنوي ، وشعور روحاني ، تطبع بملكته النفس ، ثم يظهر أثره في الحس ، وهذه الكتب التي اختارها المتأخرون هي شروح لمتون جمعت مذكرة لاصول المسائل ومهمات القواعد فكانت مناقشات في ألفاظها، واستنباطات من عباراتها، تقطع على من ابتلي بها طريق التحصيل . وتضله عن سواء السبيل ، وأشهر هذه المتون متن التلخيص للشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب بدمشق الذي اختصر به كتاب المفتاح لابي يعقوب يوسف السكاكي . وقد كان البلغاء المتقدمون الذين انتهت اليهم البلاغة والقدرة على البيان يأتون البلاغة من بابها بما يزاولون من قراءة الكلام البليغ وتفهم معانيه، والتفطن لاساليبه ومناحيه، حتى اذا ما أحس الامام عبد القاهر بضعف عناية الناس بفهم الكلام البليغ ورأى النفوس منصرفة الى العناية بزخرف

اللفظ وإن عجز عن أداء المعنى المراد وقصر عن التأثير المطلوب فوضع كتابيه (اسرار البلاغة) في البيان و (دلائل الاعجاز) في المعاني ليصرف الناس عن المجاهل التي تعسفوا فيها، ويهديهم الى الطريق التي ضلوها ؛ ولكن جاء بعده السكاكي فاقتبس من كتابيه القواعد والاحكام التي وضعها لاقناع الجاهلين، وتسهيل الغوص على الدرر للغواصين، فجعل الفن رسما محدودا واصطلاحات نظرية حظ الذهن منها بالتصور والتصوير ، أكبر من حظ النفس بالتأثر والتأثير . ثم اختصر الخطيب بتلخيصه ما كتبه السكاكي فكان كتابه أوغل في الرسم والاصطلاح ، وأبعد عن النفوذ الى مواقع التأثر والتأثير من الارواح، وجاء بعد ذلك سعد الدين التفتازاني الذي صرف كل ذكائه في ممارسة العلوم النظرية من المنطق والجدل والمناظرة والفلسفة والكلام فشرح (التلخيص) على طريقته في العلوم النظرية ، فخرج بذلك علم البلاغة عن موضوعه بالكلية ، وابتليت كتب السعد بأناس وضعوا عليها حواشي للبحث في ألفاظها وأساليبها دون البحث في أساليب الكلام البليغ المأثور فصارت هذه الكتب عقبات أو عواثير في طريق البلاغة بل صرفت الناس عنها ، وحالت بينهم وبينها

مرت قرون على المسلمين وهم يتسكعون في ليل من الجهل بهيم حتى اذا الليل عسعس، وكاد الصبح ان يتنفس، هدى الله أناساً الى ان يقبسوا اللغة من مقبسها، ويجنوا البلاغة من مغرسها . وما عتم ان استبان للازهريين المقصد ، وظهر فيهم الامام المرشد ، ثم طبع الكتابان الجليلان ، (أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) وقرأهما في الازهر الاستاذ الامام، فحاول تلامذته الجمع بين العلم والعمل ، وظهر فيهم من فاتوا شيوخهم الآخرين في بلاغة اللسان والقلم، فكتبوا المقالات والرسائل الادبية، وتعلقت آمال بعضهم بتأليف الكتب العلمية ، وهذا كتاب شرح التلخيص لواحد منهم وهو الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

جرى هذا الشارح في شرحه على أن يبين المراد من الجملة ويدعمها بشيء مما ينصر جند المعاني على جند المباحث اللفظية التي اعتادها اهل الازهر مستمدا ذلك من اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز اللذين هما عمدته وعتاده وفي هذا من جذب طلاب الازهر الذين لم يحضروا الكتابين على الاستاذ الامام الى جانب البلاغة الحقيقية

مايرجى معه ان يكون الشرح سلما لهم يرتقون به الى مطالعة الكتابين ، ويهتدون به الى خير النجدين ، وهو مايطبع البلاغة في النفس، ويظهر أثرها فى عالم الحس ، على أنه يكون عونا لهم على فهم شرح السعد الذي قضي عليهم بتلقيه، وأداء الامتحان فيه ،

ومما ينتقد على الشارح انه يأخذ الكلام من أحد الكتابين (اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) فيسنده الى نفسه وان كان طويلا لاتصرف له فيه وتارة يتصرف فيه تصرفاً يسيراً لايكون عذراله أن يترك عزوه الى ابي عذره كما فعل بالفصل الذي عقده عبدالقاهر فى اسرار البلاغة لبيان مواقع التمثيل وتأثيره فى النفوس فانه أخذ صفحات من صدر الفصل ووضعها فى أول باب التشبيه متصرفا في جمل من أولها نقلها من صيغة الماضي الى صيغة المضارع كأن حق المصنف فيها مضى وانقضى وصارت فى مستقبلها الى مالك آخر قال في ص٢٢٧

« اعلم ان التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وأن تعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل منه يكسبها (١) أبهة ويكسبها منقبة ويرفع من اقدارها، ويشب من نارها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ويدعو القلوب اليها، ويستثير لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا . ويقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفا ، فان كان مدحا كان ابهى وافخم » الخ مالاتصرف فيه وعبارة أسرار البلاغة هكذا (ص ٨٦)

« واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في اعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها، ودعا القلوب اليها، واستثار لها من أقاصي الافئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفاً، فان كان مدحا كان ابهى وأفخم» الخ ومالاتصرف فيه

وبعد ان نقل بالحرف مواقع التمثيل وتاثيره في كل موقع وانشأ ينقل الامثلة تصرف فيها وفي الكلام عليها بعض التصرف وكان غنياً عن ذلك كله

وقد وضع للشرح مقدمة تكلم فيها عن الفصاحة والبلاغة وعن المؤلفين فى فن البيان وألمّ بما يشترط له من علم العربية ولكن هذه المقدمة كلها اوجلها مأخوذة من

(١) يقال كساه الثوب يكسوه واوي ويقال كسي زيد كرضي فهو كاس ولم ينقل كسيه

من كلام عبد القاهر وغيره وما كان ينبغي للمؤلف ان يتجاوز فى مقدمة كتاب له أخذ الجملة والجملتين على سبيل التضمين . وأكثر ماأخذه قد سلخه بلفظه ومعناه فانك تجد قوله (فى ص ٧) « أما النحو فهو معيار » الى جمل بعده كله من (ص ٢٣ و ٢٤) من دلائل الاعجاز ولا نذكر ما قاله في ص ٨ من التمثيل بالآية وكونه من ص ٢٦ من دلائل الاعجاز ايضاً فانه ليس من روائع الكلام التي تملك لقائلها ولكن قوله في ص ١٣ فى عبدالقاهر « وارهف عليهم لساناً أخرس الشقاشق، واعدم نطق الناطق، وأسال الوادي عليهم عجزا ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً » مأخوذ من قول عبدالقاهر في ص ٧ من المدخل الذي هو مقدمة دلائل الاعجاز فقد وصفه بكلامه فلم تكن السرقة لاجل أجنبي . ومعظم ص ١٤ و ١٥ مأخوذ من ص ٦١ و ٦٢ من دلائل الاعجاز ولكن فيه شبهة عزو لانه يحكي عن رأي عبدالقاهر

وقوله فى آخر ص ١٥ ونحو ثلثي ص ١٦ مأخوذ من ص ٦٦ من دلائل الاعجاز وقوله عقبها : وزبدة القول : الى نحو ثلث ص ١٧ مأخوذ من ص ٣٤ و ٣٥ من دلائل الاعجاز وما بعدها ماخوذ من ص ٣٧ منه . والكلام على الآية فى ص ١٨ ماخوذ من ص ٣٦ من دلائل الاعجاز . والكلام على بيت ابن المعتز فى ص ١٩ ماخوذ من ٧٤ منه

وقوله في ص ٧ « لكن لابد للمرء قبل ذلك ان يحظى بدرس من اللغة ويصيب ذروا من النحو » فهو ماخوذ من فاتحة اساس البلاغة للزمخشري بتصرف . وقوله في ص ٣ « لا يقوم بفصاحته لسان ولا يطاع فجه إنسان» هو من كلام الشريف الرضي فى وصف كلام لامير المومنين لما بويع بالمدينة . ومثله قوله في هذه الصفحة ايضاً « وقبع في كسر بيته لايرى الا نفسه ، ولا يسمع الا حسه ، » فهو من فاتحة نهج البلاغة للشريف وقوله فيها قبل العبارتين « كتب في هذا الفن قبل الامام عبد القاهر » الخ ماخوذ من مقدمتنا لاسرار البلاغة. وكذلك قوله في ص ٤ « وهو وان فاق عبد القاهر فى التقسيم والتبويب» الخ ماقاله في السكاكي فهو منها بالمعنى لا بالنص

هذا واننا نرى ان هذا الشرح مفيد لطلاب علم البلاغة لاسيما الازهريين منهم فانهم لايجدون ما يغنيهم عنه . ولا يحسبن أحد ان ذلك الاخذ الذي نبهنا عليه يقلل

من فائدته أو يدل على ضعف مؤلفه. كلا ان الشيخ عبد الرحمن من أحسن نابتة الازهر تحصيلا وفهما وكتابة يدل على ذلك حسن تأليفه لما أخذه وربط بعضه ببعض وحسبه ان يختار الجيد النافع وانما كان من الكمال في العمل ومن الامانة في العلم ان يأخذ المعاني ويستقل بالعبارة حتى اذا احتاج أخذ شيء بنصه عزاه الى صاحبه. ولكن لو كانت العبارة كلها له لكان الكتاب أقل فائدة اذ لم يصل الى درجة عبد القاهر في التحرير والتحبير. ولعل الذي سهل عليه ترك العزو هو اعتقاده بان أكثر المؤلفين المتاخرين ليس لهم الا جمع الاقوال وتنسيقها فاذا كان منهم من جمع المشاغبات الضارة فهو قد جمع الفرائد النافعة. والكتاب مطبوع طبعاً جميلا وقد جعل ثمنه أربعة قروش صحيحة وهي قليلة جدا بالاضافة الى ما انفق عليه بصرف النظر عما يستفاد منه

باب الأخبار والآراء

﴿ رأي رجل عظيم في المسلمين والمنار وترك الاستاذ الامام للأزهر ﴾

كتب الينا الكتاب الآتي أحد أعلام الامة الاسلامية، وأركان نهضتها العصرية. ناظم مدرسة العلوم «الكلية» ومدير جريدتها (على كده انستيوت) الشهيرة، وصاحب المصنفات الكثيرة. محسن الملك بهادر سيد مهدي علي خان. فنشرناه ووصلناه برأينا فيه. قال حفظه الله :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

غب اهداء سلام ألذ من تغاريد الحمام، واصفى من قطر الغمام، وأحلى من صفو المدام، واشهى من انفاس الرياض إذ هطل عليها الغمام، واعبق من روائح المسك الختام، وأبرق من البدر التمام، واشرق من الشمس إذ ينقشع عنها الظلام، أخص به حضرة المولى العلامة النحرير، والعلامة القرم الكبير، مولانا الشيخ رشيد رضا لم تزل الاقدار تعضده في كل حال، وتصعده للظفر بالأماني والآمال، مالمع آل وتكررت الغدو والآصال،

(وبعد) فقد عرفت ياسيدي ماقد أصاب المسلمين من الشرور والفتن، والدواهي والمحن، وأن الاسلام قد ادبر وآذن بوداع، وأن النفاق قد اقبل واشرف باطلاع، وان الدين قد استتر وتنكر بوجهه، وتولى بركنه، ونأى بجانبه، وتطرقت البدع المحدثة، وتسربت الاحداث المستحدثة، ورفعت الامانة من المسلمين، وكنست الديانة عن المؤمنين، وبدت الخيانة في حزب سيد المرسلين، قد أعتم بنا عاتم الفتن، وجللتنا حنادس المحن. وغشيتنا غياهب الاحن، وتسربلنا بسرابيل العدم والاملاق، وتقمصنا بقمص الجهل والنفاق، وطحنتنا الجهالة بكلكلة البلى، وعركتنا الجهل فسوانا بتخوم الثرى، لاننكر من الشر نكراً، ولا نعرف من الخير امرا، سلب منا الاخاء، وبدت فينا العداوة والبغضاء، وسرت فينا الجهالة العمياء، فضربت بذلك علينا المتربة، وحاقت بنا المسغبة، وجللتنا المعطبة، لانكترث بما صارت اليه حالنا، ولانحفل بما تحولت اليه أحوالنا، ولا نبالي بما خابت منه آمالنا، قوضت عنا خيام المجد والاعتلاء، واسرجت لنا رواحل الذل والبلاء، وتحولنا عباديد بعد الألفة، وتباديد بعد اجتماع الكلمة، وتركزت فينا أصول الفرقة، وتشتت اللم وتفرق، وتمزقنا كل ممزق، يزري بنا العيون، ويزدرينا ريب المنون، ورحل الاسلام عن عقر داره، وتربع النفاق في محله وقراره، ومن ثم ترى الاجتماع قد تهدمت مبانيه، وتبصر الائتلاف قد خوت مرابعه ومغانيه، وتدكدكت من الاتفاق القنان، وانهدمت منه المصدان، (١) وتصرمت أيامه ولياليه، واستبدلت بالانخفاض معالمه وعواليه، وبالذل والصغار قصوره ومعاليه، خمدت منه كل نار، وانفل منه كل غرار، وعفت منه كل دار، وطمست منه الآثار، وعطل كل فلكه عن المدار، وكورت شمس علائه، وخسف منه بدر سمائه، وأرجفت منه أرضه العريضة، واغبرت صفحتها فأضحت مريضة، ولم يبق من الاسلام إلا رسم خلق في المقام، ضمنه كما ضمن الوحي السلام. (٢)

---

(١) المنار: القنان بالكسر جمع قنة بالضم وهي الجبل الصغير والاكمة. والمصدان بالضم جمع مصاد بالفتح وهو أعلى الجبل والهضبة العالية الحمراء

(٢) المنار: قوله رسم خلق بالتحريك أي بال. وقوله ضمنه الخ السلام بالكسر فيه بمعنى الحجارة ومن امثالهم «ا كتم للسر من السلام» ومنها «وحي في حجر» يضرب

يسومنا الاقوام خسفاً من كل جانب ، ويستصغرنا الرجال عسفاً على ظهر كل لاحب ، لم يستبق الدهر لنا قوة ولا دولة، ولم يرض لنا إمرة ولاصولة ،

وقد كان يعجبني منكم بين تلك الاحوال المزعجة، ويروقني من جنابكم فى تلك الحالات الموجعة المفجعة، ماحباكم الله سبحانه بفضله ، واصطفاكم ببره، لاستفراغ الوسع فى اصلاح المسلمين ، والاجتهاد البالغ التام فى حضهم على النهضة لامور الدنيا والدين،وذلك بما كنتم تنشرون من إمضاآت بليغة،وتنشئون من رسالات بديعة أنيقة ، ومكاتبات بهية شهية رشيقة، تحضون بها المسلمين على النهضة، وتحثونهم على الأوبة ،إلى ما كانوا عليه من سالف المجد والاعتلاء ، وماضي الكرم والعلياء ، وسابق السبق فى مضمار العز والعلاء ، والاقتحام في مفاوز الكرب والبلاء ، والاهتمام فى استجلاب المجد من كبد السماء، فيالها ماقد تضمنت جريدتكم الباهرة الغراء ، من عبارات مهذبة، واستعارات مستعذبة،واساليب موشحة ، واساجيع مستملحة ، فقد وشيتم اذ أنشأتم ، وحبرتم حينما عبرتم ، واعجزتم حينما أو جزتم ، وأذهبتم متى اسهبتم ، وخرعتم متى اخترعتم ، وانتم بعون الله قارع هذه الصفاة، وقريع تلك الصفات، وقرن ذاك المجال ، وقرين هذا النضال ، وما برحنا ننقل تلك الامضاآت الأنيقة ، من مجلتكم الرشيقة، الى اللغة الهندوستانية،من العربية العقيانية،وننشرها فى مجلتنا الشهيرة « بعلى كده انستيوت» يستفيد منها اخواننا الجاهلون، ويستضيء بها المستضيئون، ويستعين بها من أضر به ريب المنون ،لدفع كل ملمة ملكية،وكشف كل مهمة سياسية،

وقد كان قبل ذلك بمدة تنيف على ثلاثين سنين، قد نشأ في تلك الآفاق والارضين، رجل من أفاخم الاعيان، اسمه السيد أحمد خان، كان رجل همته في اصلاح المسلمين، والفور التام في دفع الصغار والنكبة عن إخوانه في الدين، وكان رجلا متنطعاً منطيقاً ذا لسان ، ومنطق وبيان، يعد فى مصاقع الخطباء، وينخرط فى سلك بها ليل الادباء ، يبهر الناس بأساليب خطابه، ويستجلب الخلق ببديع هضابه، ونادر سحره وتسكابه ،

لمن يكتم سره والمراد ان الرسم البالي الذي بقي من الاسلام هو سر مكتوم خفي غيرظاهر وقد يضرب المثل للشيء الظاهر لان من معاني الوحي الكتابة والكتابة فى الحجر تكون نقشاً ظاهراً وليس بمراد هنا

فبادره العلماء الاعلام، بالسب والشتام، ورشقوه بنبال المذل والملام، ولعنوه على المنابر فى جوامع الاسلام ، على مر الدهور وكر الاعوام، وأعلنوا بكفره ، واذنوا بالخروج عن ملته، وأفتوا بإباحة دمه ، وهو بعد كان لايكترث بما كان يقع عليه ، وما يبالي بما كانوا ينضون له من سيوف العداوة معه ، وكان لايفتر عن جده واجتهاده ، والضرب بعصا التسيار فى ميادين بلاده ، ولما صبر على كل ذاك الاذى ، وتجلد كالبطل الكمي فى ميادين الوغى، لم يبرح من وطنه ، أن تمثل له الظفر وخذا بين يديه وسار من مكامن عطنه ،

ولكن قد قل منكم نشر تلك الامضاآت البديعة فى اصلاح المسلمين ، واجتهادكم في تحسين أمورهم من الدنيا والدين ، منذ حين ، وأراكم قد اقتصرتم على اقتباس جزء يسير من تفسير العلم العيلم الرزين ، حكيم الاسلام والمسلمين، وفخار الملة والدين ، وسناد العلماء السادة الاساطين ، حضرة مولانا الفاضل العلامة الشيخ محمد بن عبده مفتي الديار المصرية متعنا الله ببقائه ولعمري هو اليوم فارس رجالنا ، ورأس أمانينا وآمالنا ، نأمل به الفوز في السعادة القصوى ، ونرجو منه الظفر بما هو غاية اربنا فى الحياة الدنيا ، من حصول النهضة الاخرى غب النهضة الاولى، ولا نجد لذلك مثله في جديد تلك الخلقاء الهابطة السفلى ، (١)

* * *

وقد أدهشنا خبر هائل وصل الينا من الجامع الازهر وأوحشنا وأقلق جل أصحابنا والامة وأراق الدماء من الجفون والمقل ، وكادت القلوب لها أن تهتبل ،(٢) وقد انصدعت له الصدور ، وتصدعت لها المهج فى شلو كل مصدور ، وذلك ماشاع عن هذا الفيلسوف السرسور، (٣) والحلاحل الوقور، والنبراس في ظلمات الديجور ، من رفض ما كان اليه من نظارة الجامع المذكور ، أسفاً على ما تجرب من جفاء أهل عصره ، ولا سيما علماء مصره ، ومساعدة الحضرة الخديوية للعلماء ، وقضاتها

(١) المنار: الخلقاء مؤنث الاخلق ومن معناه الاملس وتسمى السماء خلقاء وخلقاء الجبهة مستواها يريد في مستوى هذه الأرض (٢) يقال تهبل لعياله واهتبل اذا اكتسب ، ولعل الكلمة في الاصل تهتبل من هبل ولده واهتبله اذا ثكله (٣) السرسور بالضم الفطن العالم الدخال فى الامور . والحلاحل السيد في عشيرته الشجاع الركين فى مجلسه

بخلاف ما كان يرجى من تلك الحضرة الغراء ، لما كان أيده الله تعالى يريد من اشاعة العلوم الحديثة ، واذاعة المعارف والحكم الجديدة ، زيادة على ما كان يجري فيه من دروس العلوم الشرعية ، والمسائل الفرعية ، ولما لم يصغ أحد الى رأيه ومقالته ، ولم يكترث رجل الى ما كان فيه من محض نصاحته ، تمثل لنا عند ذاك الياس ، وتجسد لنا شبح القنوط والابلاس ،(١) لخمود هذا النبراس ، فقد كنا نظن قبل ذلك ان سوف يحفل به عنا ليل المحن ، ويقلع عنا دامس الفتن ، وتقوض عنا خيام البلاء ، وتعطف عنا سهام الضراء ، ويتنفس علينا صبح الاقبال ، ويطلع على وجهنا فجر الآمال ، من أجل ذاك البارع الحكيم المفضال ، وكنا نظن انه قد توقد فى الاسلام مصباح يستوقد منه آلاف الوف من المصابيح ، ومفتاح ينفتح به مغالق أبواب الفرج والتراويح ، ولكن قد تبين الآن انا لم نبرح عرضة للبلاء ، ودرية لرماح الضراء ، وجزراً لسيوف البأساء ، مازالت هذه الخضراء تدور على الغبراء ، وما أشبه حال هذا الحكيم الرزين في المصريين ، بحال السيد أحمد الذي اعثرناك على حاله فى الهنديين ، فقد عظمت الرزية ، وجلت المصيبة ، فانا لله وانا اليه راجعون « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »

علي كده (الهند) (محسن الملك)

جواب المنار

يريد السيد المحسن حفظه الله بالامضاآت التي كانت تنشر فى المنار ثم تركت تلك المقالات الخطابية التي تمثل للمسلمين ضعفهم الحاضر ، وتذكرهم بمجدهم الغابر ، وتحثهم على اصلاح شأنهم فى الدنيا والدين ، والاعتبار بترقي المعاصرين ، وهذا ما كنا نكثر منه فى اول نشأة المنار ليكون تمهيدا يمهد النفوس لقبول ما نعرضه من الرأي في الاصلاح الديني والاجتماعي ولإعمال الفكرة وتوجيه الهمة ، الى السعي والعمل لخدمة الامة ، ولكننا رأينا الناس قد استحسنوه ، وكثيرا من أصحاب الصحف قد احتذوه وتقلدوه ، حتى صار كانه مقصود لذاته ، لالاجل عمل من ورائه ، ولذلك صرت ترى في الصحف المصرية التي تسمى اسلامية كلاما كثيرا في حال المسلمين حتى من الذين لم يعرفوا من الاسلام ، الا ما يعرف اجهل السوقة والعوام ، وان ما عنينا به في المدة الاخيرة يشبه ان يكون مقصدا أو غرضاً لتلك المقدمات او الممهدات . ولا يحسبن الاخ الكريم أنا تركناها يأسا من صلاح حال المسلمين . أو فرقاً من

(١) الابلاس هو الغم من اليأس والحيرة

مناصبة المشاغبين ، التي لابد ان يكون عرفها من تصدي جريدة المؤيد للوقوع بنا ، بعد ما كانت تشيد وتنوه بعملنا ، كلا ان هذا لايزيدنا الا قوة في الامل ، وهمة فى العمل ، لان اللوم بطبعه اغراء ، والمقاومة من بواعث الاعتناء ، كما رأيتم فى فاتحة المنار لهذه السنة . على ان ماننشره من الحكم والمواعظ في التفسير ، ومانودعه في مطاوي سائر المباحث من التنبيه والتذكير ، هو في معنى تلك المقالات التى تنشدون ولا تخلو من الخطابيات التى تخطبون ، وقد طالبنا غير واحد صريحا ، بمثل ما أمر السيد به تلويحاً ، ولذلك وعدنا فى خاتمة السنة السابعة ، بالعود الى تلك المقالات في سنتنا الحاضرة ، وقد نشرنا فى الجزء الثاني منها مقالة (حياة الامم وموتها) مقدمة للكتابة فى أنواع الحياة وحالنا فيها ، وسيتلو الكتابة في الحياة الزوجية ، مقالات في الحياة الملية والوطنية والسياسية . ونرجو من فضل الله وكرمه ان لانزداد الا ثباتا واعتناء مادمنا آمنين في سربنا معافين فى بدننا قادرين على النفقة على نفسنا وصحيفتنا

واماترك الاستاذ الامام للازهر فهو لم يكن من يأس الم بنفسه الكبيرة ، ولا عن ضعف فى همته العلية ، ولا لمقاومة علماء الازهر لما يريده من اصلاح التعليم ، او اضافة علوم جديدة على ما يقرأ في الازهر من العلوم ، وانما هو ما تنسمتموه من الجرائد المصرية ، ونزيدكم فيه بياناً بمكاتبة شخصية ، وقد ظلم العقلاء عندنا وعندكم علماء الازهر فأنزلوهم من درجتهم فى العلم والفهم ، كما أعطوهم اكثر من سهمهم من الشعور والاخلاق ،

أما ظلمهم إياهم فهو اعتقادهم وقولهم فيهم انهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين ، وتفسد العقائد فى قلوب المسلمين ، وإن إصلاح طريقة التعليم ، خروج عن صراط السلف المستقيم ، وكل هذه الظنون فيهم باطلة فان من أصحاب الدرجة العلمية الاولى فيهم من يعلمون أولادهم العلوم الدنيوية فى المدارس الاميرية وغيرها فكيف لايخافون الكفر والضلال على افلاذ أكبادهم مع عدم تمكنهم من العلوم الدينية ويخافون ذلك على طلاب الازهر المتوغلين فى علوم الدين ؟ ان هذا شيء لايعقل . ثم كيف يطعنون بأكابر علماء الاسلام الاعلام الذين تمكنوا من علوم الدنيا وصاروا يعدون من الفلاسفة كالامام الغزالي والامام الرازي وفلان وفلان ؟ ثم كيف لايطعنون بدين أكابر امرائهم وحكامهم فى هذا العصر وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر وأوربا وقلما يوجد فيهم من تلقى عقيدة الاسلام

براهينها أو عرف مهمات أحكامها ولو غفلا من دلائلها وحكمها وان منهم من يصف بعض هؤلاء الامراء بالتقوى والصلاح . فظلم وألف ظلم لعلماء الازهر ان يقال فيهم إنهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عائقاً عن علومه وأنهم يجهلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين وأنه دين عام وأن لا دين بعده أوفق لمصلحة جميع البشر منه مع استلزام هذا لكون الاسلام يتفق مع علوم البشر ومدنيتهم في كل زمان والا كان متضمناً لتكليفهم مالا يطيقون . نعم إنه يوجد فيهم بعض الاغبياء الذين يعبث بهم هذا الوهم ولكن الحكم على جميعهم أو أكثرهم بذلك ظلم وجور . وانني أقول ان الاستاذ الامام لم يقرر في إصلاح الازهر شيئاً الا برأي جماعة من كبرائهم واستحسانهم وقد نفذ بعض ما طلبه وحاوله برضاهم وموافقتهم وأوقف بعض الاصلاح للأسباب التي لا أصرح بشرحها بعد رضاهم به واعترافهم بفائدته

وأما وصفهم بأكثر مما يستحقون من الشعور بالمصلحة وارادة الخير فهو تابع لذلك الظلم وهو اعتقاد كثير من العقلاء في مصر وفي أقطار أخرى أن هؤلاء الناس أعداء الاصلاح الذي عرف سراة الامة وعقلاؤها شدة الحاجة اليه لما في قلوبهم من الشعور بضرره ولما عندهم من الارادة القوية والعزيمة الصادقة والغيرة الملتهبة على الاسلام والمسلمين وأنهم لا يخافون في ذلك لومة لائم، ولا سطوة حاكم، ولا حرماناً من منفعة مالية، او كسوة تشريف قصبية، والحق أن هذا الصنف الشريف الذي كان له من قوة العزيمة بالاتحاد والاتفاق ما يقيم به محمدا عليا حاكما على البلاد المصرية قد استضعف فضعف حتى صار لا يجهر برأيه الا اذا أيقن ان قويا يمده، أو حاكما يسنده، وكثيرا ما يستحسن أمرا ثم يستهجنه، أو يستقبح شيئا ثم يستحسنه، . ولقد كان أكابر علماء الازهر موافقين للشيخ محمد عبده في كل شيء يقترحه لاصلاح الازهر ايام كان مؤيدا بنفوذ الامير وانما كانوا يرغبون اليه في أن يكون ذلك بالتدريج البطيء لانهم لم يتعودوه ويثقل على المرء لاسيما الكبير المضي فيما لم يتعود . ولما بدا للامير في تأييده ومساعدته وقف كل اقتراح، وعورض كل اصلاح، حتى لم يبق للحكومة الخديوية ثقة بتخريج القضاة في ذلك المكان فهي ستبني مدرسة جديدة لتخريجهم فيها ولم يبق لها من العناية بالازهر الا حفظ الامن فيه كما هو حق كل صنف وكل شيء على الحكومة

لاجل هذا ترك الازهر ولكن آثاره الصالحة لن تتركه فهو قد وضع أساس النظام الذي قد يضعف تارة ويقوى تارة وقد يزاد فيه وينقص منه ولكنه لا يزول .

وهو قد نفخ في نفوس كثير من الاذكياء فيه روح الشعور بالحاجة الى اصلاح التعليم وإصلاح الاخلاق وخدمة الاسلام والمسلمين والسعي في ازالة ما غشيهم من البدع والفتن فاضعفهم وأذلهم فلن يموت هذا الشعور . ثم انه لم يزدد الا رجاء بالله وهمة في خدمة ملته بالعمل والتدريس والتأليف لا يثنيه عن ذلك ثان الا ما يلم به من المرض أحيانا شفاه الله ونفع به آمين

هذا وان العبرة الكبرى فيما كتب هذا السري الكبير هو احساس المسلمين المخلصين الذين يعرفون الاسلام ويغارون عليه بأن الاصلاح اذا ظهر في أي قطر ففائدته لابد أن تكون عامة لكل البلاد الاسلامية وان النور اذا ظهر في هذه الامة من اي مطلع فانه ينبسط على جميع البقاع لان هذه الامة أمة واحدة ربها واحد وكتابها واحد ونبيها واحد والهداة في دينه على ملة واحدة وهي ما جاء به نبيه عنه ومصلحتها لذلك واحدة فما يضرها يضر جميع المتبعين لها وما ينفعها ينفعهم أجمعين . لاجل هذا أحس الاحياء من مسلمي الهند بأن ما دهي به الاصلاح في الازهر هو مصيبة على الاسلام والمسلمين في جميع الارض لانه كان يرجى أن يكون خيره متى ثبت ونجح عاماً لجميع مسلمي الارض ولو بعد حين . فماذا يقول أولئك الذين يريدون أن يقطعوا أوصال المسلمين بنزغات «الوطنية» الفاسدة في هذا الاحساس الشريف من إخواننا في الهند وكذا في غيرها كما نشير اليه في النبذة الآتية ؟

تأثير ترك الاستاذ الامام للأزهر في المسلمين

لقد اضطربت قلوب عقلاء المسلمين ووجمت نفوسهم لهذا النبأ في كل قطر فقد جاءتنا الكتب والرسائل في ذلك من السودان وسوريا ومن بلاد المغرب والمشرق ما بين شاكية وباكية منها ما يعرف مرسلوها عذر الامام، ويرون أن لا عتب عليه ولا ملام، لوقوفهم على حقيقة أحوال هذه البلاد فرأيهم في ذلك كرأي أكثر العقلاء في مصر الذين استشار الامام بعضهم فأشاروا بوجوب تركه، ومنها ما يتضمن اللوم لاعتقاد أصحابها أن الاستاذ الامام قد يئس من إصلاح المسلمين فترك خدمة الملة مللا من مقاومة الجامدين، أو علما بأنهم غير مستعدين، وقد آلمهم ذلك لانهم يعتقدون أنه أكبر زعيم للاسلام في هذا العصر وأقوى نصير له في علمائه ويشعرون بأنهم يستمدون منه الهمة والغيرة والرأي الصحيح على بعد الديار وتنائي الاقطار ولا أنكر اني أعرف من أذكياء المسلمين الاقربين دارا بل ومن المصريين أنفسهم من

سرى اليه شيء من هذا الوهم . وقد آلمني وسيؤلم كل ذي غيرة وشعور قول (محسن الملك) ان اليأس والقنوط قد تمثل لأهل النهضة الاسلامية في الهند وشعروا بأن قد طفئ نور الصلاح المنبعث من هذا الامام فوقعوا في حنادس الظلام — يحزننا ويمضنا هذا القول من قوم نعتقد أن نهضتهم أعلى من نهضتنا، وهمتهم أعلى من همتنا، والامل فيهم أقوى من الامل فينا ، ولا نفضلهم الا بهذا الرجل وباتقان اللغة العربية لاننا نراهم يرجوننا أكثر مما يرجون أنفسهم كما انه يسرنا شعورهم بارتباطهم بنا، ولا يأس منا ولا منهم ان شاء الله

ان من أغرب ما كتب الينا في هذه الحادثة نبذة لاحد الفضلاء في فاس وهي:

«قد ساءنا وايم الله ما بلغنا من استقالة حضرة جناب الاستاذ الامام ، وعالم علماء الاسلام ، فريد هذا العصر ، وغرة جبين الدهر، ذروة جهابذة الآفاق، ونخبة كبراء المصلحين بالاتفاق ، مولانا وسيدنا الشيخ محمد عبده أدام الله بقاءه مرشدا للعالمين من عضوية إدارة مجلس الازهر الشريف الذي كان متعنا الله بوجوده مجتهدا في اصلاحه كما ساءتنا تلك الخطبة . . . . ولكن « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وقد كدر ورود هذا الخبر جميع محبيكم ومحبي الاستاذ الامام لعلمنا بانكم من المجددين في إصلاح الامة الاسلامية » الخ

وإنما كان هذا غريباً لان تلك البلاد أبعد بلاد المسلمين عن التفكر في الاصلاح أو الشعور بالحاجة اليه ولكن هذه الافكار قد سرت في كثير من أهلها من بعض المهاجرين اليهم من المسلمين ومن قراءة بعض الصحف كالمنار . وقد ختم هذا الكاتب كلامه بقوله « وأدام الله بقاءكم رغماً عن أنف الجاهلين والمستبدين والمفسدين والمقلدين » اه ويوشك ان ننشر آراء أخرى في جزء آخر

صدى الحادثة في أوربا

(أو مقاومة النفوذين الفرنسي والانكليزي للاستاذ الامام في الاصلاح)

نشرت جريدة اللواء في عدد يوم الخميس (١٣ ربيع الاول) خبرا قالت انه مترجم عن جريدة (الغلوب) الانكليزيه بغير تصرف وهذا نصه بغير تصرف

«اختلف العلماء من عهد قريب بشأن التعليم في الازهر وسبب ذلك ان رئيسهم الشيخ محمد عبده حاول إدخال نظام للتعليم أوسع من النظام الحاضر — الذي وضع من قرون مضت والذي لا يتضمن غير محض تعليم مواد الأجرومية وقليل من بعض

العلوم الاخرى — بقصد تكوين قوة جديدة في الاسلام ويريد الشيخ محمد عبده السالف الذكر إدخال العلوم الحديثة في بروغرامه الجديد ليستعين بها العلماء على اكتساب ارزاقهم من طرق العمل والجد لا الكسل والتواكل

«وقد قاومه العلماء في مشروعه هذا مقاومة شديدة واتصل بنا انه قال في حديث له ان السبب في عدم نجاحه وفشله النهائي راجع الى محاربة النفوذين الفرنساوي والانكليزي السياسيين له واستشهد بعبارة نشرت في الكتب السياسية الفرنساوية مؤداها ان سواس فرنسا من الحزب الاستعماري لا يقبلون بوجه من الوجوه تنور المغاربة بنور العلم » اه

﴿ ملاحظة المنار أو انتقاده على ذلك ﴾

يعجب المصريون أن يروا في الجرائد الانكليزية من يخبط في المسائل المصرية على غير هدى مع وقوف الانكليز هنا على حقائق الامور وقد ذكرنا وذكر غيرنا ممن قرأ تلك النبذة في جريدة اللواء ما كان أشيع هنا بعد ترك الشيخ محمد عبده لمجلس ادارة الازهر من أن بعض المصريين الذين لهم حظ فيما حدث في الازهر كلفوا أحد مكاتبي الجرائد الانكليزية أن يكتب لجريدته التي يكاتبها شيئا يفيد معنى ما كتب في بعض الجرائد المصرية التي لها هوى في الحادثة من ان جميع علماء الازهر مضادون للشيخ محمد عبده فيما يريد من اصلاح التعليم و زيادة العلوم في الازهر ويتضمن شيئا آخر يفيد سخط الانكليز على الشيخ وأتذكر أن بعض الجرائد الاسبوعية في مصر كتبت شيئا عن هذه الاشاعة وقالت ان ذلك سيكتب ثم ينقل في بعض الجرائد المصرية اليومية

مالنا ولما أشيع في سبب الكتابة ولما قيل في مصدرها انما نحن أمام قول يتضمن خبرين أحدهما أن علماء الازهر كارهون ومقاومون لما يريد الشيخ محمد عبده من النظام وتوسيع دائرة العلم في الازهر وقد بينا في كلامنا على رسالة «محسن الملك» أن هذا غير صحيح وأن علماء الازهر برآء مما يرمون به من الغلو في بغض العلم والنظام ، والجهل بما يعني شأن الاسلام ، وثانيهما ان الشيخ يقول انه لم يخفق فيما حاول من اصلاح الازهر الا بمقاومة النفوذين الفرنسي والانكليزي له

لان ترقية المسلمين تناقض مصلحتهما في استعمار بلادهم . ونقول إن هذا النقل عن الشيخ غير صحيح وان كان أكثر المسلمين يعتقد بصحة علته المذكورة . ولا يعقل أن يقول الشيخ ذلك لان فرنسا لانفوذ لها في الازهر ولا في مصر فتقاوم ولان الانكليز لم يقاوموه لما هم عليه من الحرية وعدم التعرض للمصالح الدينية على ان المصريين الذين لم يقدروا حرية الانكليز حق قدرها، ولم يعلموا أنها تمثلت مع الفضيلة في اللورد كرومر في أبهج صورها ، يتعجبون من عدم مقاومة الانكليز لاصلاح الازهر في السنين الماضية ويظنون أن لهم يدا في المقاومة الان

أما الشيخ محمد عبده فقد سمعناه غير مرة يقول انه ما قصد الى خدمة المسلمين في شيء ولقي مقاومة فيه من غيرهم لا من انكليزي ولا من افرنسي ولا من قبطي ولا من شامي . ولاغرو فان جهل المسلمين وتخاذلهم في هذا العصر كافيان لاحباط كل سعي لترقية شأنهم لا يحتاجون الى مساعد في ذلك ومن يسعى بعقل لا يقاومه العقلاء

هذه فرنسا التى كان منهجها في مقاومة تعلم المسلمين في الجزائر أمرا معروفاً قد أنشأت ترجع الى منهج الانكليز في التساهل وقد تكلم الشيخ محمد عبده مع رجالها في تونس والجزائر في مساعدة المسلمين على التعليم فوجد منهم ارتياحا الى ذلك وقد نشرت جريدة الطان من عهد قريب مقالة في الاحتفال بمدرسة الجمعية الخلدونية ذكرت فيها أن مصدر هذه الحركة العلمية في تونس هو الشيخ محمد عبده وبعض المجلات العلمية المصرية التي تحث المسلمين على الجمع بين علوم الدنيا والدين وتردفيها رأي الذين يظنون أن تعليم المسلمين يضر بفرنسا لان هؤلاء المتعلمين يكونون دعاة لاستقلال البلاد وقيامهم على المستعمرين لها . وترجمت الاهرام مقالة الطان فسرّ بها المسلمون هنا

(الاحتفال بالعيد المئوي لمحمد علي والايماء لانفصال مصر عن تركيا)

احتفل جماعة من المصريين بتذكار تولية محمد علي باشا على مصر منذ مئة سنة ميلادية . وقد اعتبروا ابتداء ولايته اختيار المصريين له دون فرمان السلطان بتوليته الذي كان بعد مثل يوم الاحتفال بشهر وأيام كأنهم يريدون ان هذه الحكومة استقلت بذاتها من طريق الانتخاب لا بالتبعية للدولة ذات السيادة عليها وكنا نعهد بأمثال هؤلاء المحتفلين الحرص على إظهار ربط مصر بالاستانة فما عدا مما بدا ؟

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — الأحد غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٣ — ٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢ : ٢٢٠) وَلاَ تَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ، وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ، (٢٢١ ف*) أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَٱللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

الآيات في سرد الاحكام كما تقدم فلا حاجة لربط كل آية بما قبلها والربط ظاهر على القول بأن المراد بالمخالطة في الآية السابقة نكاح اليتامى.

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والواحدي عن مقاتل قال نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في «عناق»

أن يتزوجها وهي مشركة وكانت ذات حظ من جمال فنزلت : يعني (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ذكر ذلك السيوطي في أسباب النزول ثم قال (وقوله تعالى ولأمة مؤمنة الآية) أخرج الواحدي من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء وانه غضب عليها فلطمها ثم انه فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال: لأعتقنها ولأتزوجنها : ففعل فطعن عليه ناس وقالوا ينكح أمة فأنزل الله هذه الآية . وأخرجه ابن جرير عن السدي منقطعا .

هذا ما ذكره السيوطي في أسباب النزول وظاهره ان قوله تعالى «ولأمة مؤمنة» الى «أعجبتكم» آية مستقلة نزلت في حادثة غير الحادثة التي نزل فيها قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » وهذا الظاهر من صنيعه خفي في نفسه بل هو باطل البتة . ولا شك ان الآية نزلت مرة واحدة عند حاجة الناس الى بيان أحكامها ولا مانع أن يكون ذلك بعد حدوث ما روي عن أبي مرثد وعن عبد الله بن رواحة

وفي روح المعاني ما نصه : روى الواحدي وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث رجلا من غني يقال له مرثد بن أبي مرثد حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج أناسا من المسلمين بها أسرى فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها عناق وكانت خليلة له في الجاهلية فلما أسلم أعرض عنها فأتته فقالت ويحك يا مرثد ألا تخلو فقال لها ان الاسلام قد حال بيني وبينك وحرمه علينا ولكن إن شئت تزوجتك فقالت نعم فقال اذا رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

استأذنته في ذلك ثم تزوجتك فقالت له أبي تتبرم ؟ ثم استعانت عليه فضربوه ضربا وجيعا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا واعلمه الذي كان من أمره وأمر عناق ومالقي بسببها فقال يارسول الله أيحل لي ان أتزوجها وفي رواية إنها تعجبني فنزلت . وتعقب ذلك السيوطي بأن هذا ليس سببا لنزول هذه الآية وانما هو سبب في نزول آية النور « الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة » وروى السدي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن هذه نزلت في عبد الله بن رواحة وكانت له امة سوداء وأنه غضب عليها فلطمها ثم انه فزع فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره خبرها فقال له النبي (ص) ماهي ياعبد الله ؟ قال هي يارسول الله تصوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد ان لا إله الا الله وانك رسوله فقال : ياعبد الله هي مؤمنة : قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا نكح امة وكانوا يريدون ان ينكحوا الى المشركين وينكحوهم رغبة في انسابهم فأنزل الله « ولا تنكحوا » الآية :

انتهى سياق الالوسي وهو أحسن من سياق السيوطي الذي قدمناه لأنه مفصل وذاك مختصر اختصارا أوهم ان الذي نزل في عبد الله بن رواحة هو قوله تعالى « ولامة » الخ على ان السيوطي قال في مقدمة كتابه في أسباب النزول ان الصحابة يذكرون ان الآية نزلت في كذا ولا يريدون به الا تفسيرها أي ان معناها يتناول ذلك واذا ذكروا أسبابا فقد يعنون انها نزلت عقبها . والألوسي يقول ان السيوطي تعقب الواحدي في السبب الأول وليس في كتابه هذا شيء من هذا التعقب على انه حوى

كتاب الواحدي وزيادات. وأما آية «الزاني لاينكح الا زانية أومشركة» فقد ذكر لها السيوطي سببين أحدهما ان رجلا اراد ان يتزوج امرأة يقال لها ام مهزول كانت تسافح رواه النسائي والثاني ان رجلا يقال له مزيد أراد ان يتزوج امرأة بمكة صديقة له يقال لها عناق رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (في حديثه مقال) وقد روى الاول غيرمن ذكر وقوله هنا «مزيد» محرف والصواب مرثد. ونكاح البغايا كان فاشيا والمشهورات منهن في الجاهلية كثيرات وقد نزلت الآية في الجميع.

وجملة القول ان ماروي في الآية التي نفسرها الآن متفق على ان المراد بالمشركات غير الكتابيات من نساء العرب وذهب بعضهم الى ان المراد بالمشركين والمشركات عام يشتمل أهل الكتاب لأن بعض ماهم عليه شرك وقد قال تعالى بعد ذكر بعض عقائدهم «سبحانه وتعالى عما يشركون» واستدلوا على شركهم أيضا بقوله تعالى «ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» ولو لم يكونوا مشركين لجاز ان يغفر الله لهم. وذهب الأكثرون الى ان المراد بالمشركات مشركات العرب اللاتي لا كتاب لهن لأن هذا هو عرف القرآن في لقب المشرك قال تعالى «مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين» الآية وقال تعالى «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة» والعطف يقتضي المغايرة. وهذا القول هو الذي يتفق مع قوله تعالى في بيان من يحل من النساء «والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» وهي في سورة المائدة (٥) التي نزلت بعد سورة البقرة ولذلك ذهب من قال

بأن لفظ المشركات شامل للكتابيات إن آية المائدة نسخت آية البقرة وقال بعضهم ومنهم الجلال انها خصصتها بغير الكتابيات والمقصود واحد. وزعم بعض المفسرين أن آية البقرة هي الناسخة لآية المائدة وهذا لاوجه له مع الاتفاق على ان سورة المائدة آخر القرآن نزولا. وذهب بعض آخر الى التأويل بأن آية المائدة مقيدة بما اذا أسلمن وهذا ليس بشيء اذ لادليل على القيد المحذوف ولان المشركات اذا أسلمن يحل نكاحهن أيضاً بالاجماع وجرى عليه العمل في عصر التنزيل قبل نزول الآية فما فائدة ذكره

وقد اختلف في المجوس فقيل يدخلون في المشركين لانهم لا كتاب لهم وقيل بل كان لهم كتاب وبعض الفقهاء يقول لهم شبهة كتاب وقد يشعر بأنهم أهل كتاب قوله تعالى في سورة الحج (٢٢) «ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة» فالعطف يقتضي المغايرة وقد فرق الفقهاء بين المشركين والمجوس في الجزية ولا حاجة للبحث في ذلك هنا.

أما ما استدل به الآخرون على شرك أهل الكتاب من قوله تعالى «سبحانه وتعالى عما يشركون» وقوله «ان الله لايغفر ان يشرك به» الآية فقد أجابوهم عن الاول بأن قوله «يشركون» لايقتضي ان من حكي عنهم هذا الفعل يشتق لهم منه وصف يكون عنوانا لهم فيدخلوا في صنف من يسميهم القرآن بالمشركين والذين أشركوا فان الاوصاف كثيرا ما يراد بها عند أهل التخاطب صنف مخصوص لا يدخل فيه كل من يتلبس بالفعل الذي اشتق منه الوصف. مثال ذلك لفظ (العلماء) يطلق الآن عند المسلمين على صنف من الناس لا يدخل فيه كل من يتعلم علما أو علوما ولو تعلم ما

يتعلمون وفاقهم فيه مالم يكن على زيهم ومشاركا لهم فى مجموع المزايا التي كانوا بها صنفا مستقلا. ويطلق هذا اللفظ عند قوم آخرين على صنف آخر وأجابوا عن الثاني بأنه مسوق لبيان فظاعة الشرك والتغليظ فيه وكونه غاية البعد عن الله تعالى بحيث قضى بأن لا تتعلق مشيئته بغفرانه على أنه لو شاء أن يغفر كل ذنب سواه لفعل اذ لا مرد لمشيئته فلا يدخل هذا فيما نحن فيه اذ لا يدل على أن كل من ليس مشركا يغفر الله له فيقال ان نفي الشرك عن أهل الكتاب يستلزم مغفرة الله تعالى لهم مع قيام الادلة على انه لا يغفر لمن تبلغه دعوة الحق الذي جاء به الاسلام فيجحدها عنادا واستكبارا

وحاصل معنى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) الخ ان هؤلاء الذين أشركوا وهم الذين بينكم وبينهم غاية الخلاف والتباين فى الاعتقاد لا يجوز لكم أن تتصلوا بهم برابطة الصهر لا بتزويجهم ولا بالتزوج منهم. وأما الكتابيات فقد جاء فى سورة المائدة انهن حل لنا وسكت هناك عن تزويج الكتابي بالمسلمة وقالوا - ورضيه الاستاذ الامام - انه على أصل المنع وأيدوه بالسنة والاجماع. ولكن قد يقال ان الأصل الاباحة فى الجميع فجاء النص بتحريم المشركين والمشركات تغليظا لامر الشرك وبحل الكتابيات تألفا لأهل الكتاب ليروا حسن معاملتنا وسهولة شريعتنا وهذا إنما يظهر بالتزوج منهم لان الرجل هو صاحب الولاية والسلطة على المرأة فاذا هو أحسن معاملتها كان ذلك دليلا على أن ماهو عليه من الدين القويم، يدعو الى الحق والى طريق مستقيم، وأما تزويجهم بالمؤمنات فلا تظهر منه هذه الفائدة لأن المرأة أسيرة الرجل لاسيا فى ملل ليس للنساء فيها من الحقوق مثل ما أعطاهن الاسلام. فقد يصح أن يكون هذا هو

المراد من النصين فى السورتين واذا قامت بعد ذلك أدلة من السنة أو الاجماع أو من التعليل الآتي لمنع منا كحة أهل الشرك على تحريم تزويج الكتابي بالمسلمة فلها حكمها لا عملا بالاصل أو نص الكتاب بل عملا بهذه الادلة والتعبير بتنكحوا وتنكحوا يشعر بأن الرجال هم الذين يزوجون أنفسهم ويزوجون النساء اللواتي يتولون أمرهن وأن المرأة لا تزوج نفسها بالاستقلال بل لا بد من الولي

وقد فسر بعضهم الأمة والعبد فى الآية بالرقيق أي ان الامة المملوكة المؤمنة خير من الحرة المشركة ولو أعجبكم جمالها وكذلك القن المؤمن خير من الحر المشرك وان كان جميلا وقال آخرون ان المراد أمة الله وعبد الله أي ان المؤمنة والمؤمن كل منهما عبد الله يطيعه ويخشاه ولذلك كان خيرا ممن يشرك به فكان فى التعبير بالأمة والعبد إشعار بعلة الخيرية بيان ذلك ان ليس المراد بالزوجية قضاء الشهوة الحسية وانما المراد بها تعاقد الزوجين على المشاركة فى شؤون الحياة والاتحاد فى كل شيء وانما يكون ذلك بكون المرأة محل ثقة الرجل يأمنها على نفسه وولده ومتاعه عالما أن حرصها على ذلك كحرصه لان حظها منه كحظه. وما كان الجمال الذي يروق الطرف، ليحقق في المرأة هذا الوصف، ولكن قد يمنعه التباين فى الاعتقاد، الذي يتعذر معه الركون والاتحاد، والمشركة ليس لها دين يحرم الخيانة، ويوجب عليها الامانة، ويأمرها بالخير، وينهاها عن الشر فهي موكوله الى طبيعتها، وما تربت عليه فى عشيرتها، وهو خرافات الوثنية وأوهامها، وأماني الشياطين وأحلامها، تخون زوجها، وتفسد عقيدة ولدها، فان ظل الرجل على اعجابه بجمالها، كان ذلك عونا لها على

التوغل في ضلالها واضلالها ، وان نبا طرفه عن حسن الصورة ، وغلب على قلبه استقباح تلك السريرة ، فقد تنغص عليه التمتع بالجمال ، على ما هو عليه من سوء الحال

وأما الكتابية فليس بينها وبين المؤمن كبير مباينة فانها تؤمن بالله وتعبده وتؤمن بالانبياء وبالحياة الاخرى وما فيها من الجزاء وتدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشر والفرق الجوهري العظيم بينهما هو الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم والذي يؤمن بالنبوة العامة لا يمنعه من الايمان بنبوة خاتم النبيين الا الجهل بما جاء به وكونه قد جاء بمثل ما جاءوا به وزيادة اقتضتها حال الزمان فى ترقيه ، واستعداده لاكثر مما هو فيه ، أو المعاندة والجاحدة فى الظاهر ، مع الاعتقاد فى الباطن ، وهذا قليل والكثير هو الاول ويوشك ان يظهر للمرأة من معاشرة الرجل حقية دينه وحسن شريعته والوقوف على سيرة من جاء بها وما أيده الله تعالى به من الآيات البينات فيكمل إيمانها ويصح إسلامها وتؤتى أجرها مرتين ، ان كانت من المحسنات في الحالين ، ومثل هذه الحكمة لا تظهر فى تزويج الكتابي بالمؤمنة فانه بماله من السلطان عليها وبما يغلب عليها من الجهل والضعف فى بيان ما تعلم لا يسهل عليها ان تقنعه بحقية ماهي عليه بل يخشى أن يزيغها عن عقيدتها ويفسد منها دون أن تصلح منه . وهذا المعنى يفهم من تعليل النهي عن مناكحة المشركين فى قوله عز وجل

(أولئك يدعون الى النار) أي من شأنهم الدعوة الى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم . وصلة الزواج أقوى مساعد على تأثير الدعوة لأن من شأنها ان يتسامح معها في شؤون كثيرة وأي تساهل وتسامح مع

المشرك أو المشركة محظور مرهوب الشر بما يخشى منه ان يسري شيء من عقائد الشرك للمؤمن أو المؤمنة بضروب الشبه والتضليل التي جرى عليها المشركون كقولهم فيمن يتخذونهم وسطاء بينهم وبين الخالق « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقولهم « مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » فهذه الشبهة هي التي فتن بها أكثر البشر ولم يسلم منها أهل شريعة سماوية خالطوا المشركين وعاشروهم فقد دخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون لأنهم لم يتخذوا معبودات المشركين أنفسها شفعاء ووسطاء بل اتخذوا انبياءهم ورؤساءهم وظنوا ان هذا تعظيم لهم لا ينافي التوحيد الذي أمروا به وجعل أصل دينهم وأساس ارتقاء أرواحهم وعقولهم . وقد اغتروا بظواهر الألفاظ وجعلوا تسمية الشيء بغير اسمه إخراجا له عن حقيقته فهم قد عبدوا غير الله ولكنهم لم يسموا عملهم عبادة بل أطلقوا عليه لفظا آخر كالاستشفاع والتوسل ، واتخذوا غير الله إلها وربا ومنهم من لم يسمه بذلك بل سموه شفيعا ووسيلة وتوهموا ان اتخاذه إلها اوربا هو تسميته بذلك أو اعتقاد انه هو الخالق والرازق والمحيي والمميت استقلالا ولو رجعوا الى عقائد الذين اتبعوا سننهم من المشركين لوجدوهم كما قال تعالى « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ـ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله . فاذا كانت مساكنة المشركين ومعاشرتهم مع الكراهة والنفور قد أفسدت جميع الاديان السماوية الاولى فما بالك بتأثير اتخاذهم أزواجا وهو يدعو الى كمال السكون اليهم والمودة لهم والرحمة بهم ؟ ألا يكون ذلك دعوة الى النار ، وسببا للشقاء والبوار ،

هذه دعوة الزوج المشرك بطبيعة دينه (والله يدعو الى الجنة والمغفرة

باذنه) بما اشتمل عليه دينه الذي أرسل به رسله من التوحيد الخالص الذي ينقذ العقول من أوهام الوثنية ، وبأعطاء المخلوقين شعبا من خصائص الألوهية ، وبافراد الله سبحانه بالعبادة والسلطة الغيبية ، وهذا هو السبب الأول فى دخول الجنة واستحقاق المغفرة منه تعالى للمؤمن الموحد اذا ألم بمعصية أو كسب خطيئة لأن خطيئته لا تحيط بروحه ولا ترين على قلبه فتجعله شريرا لأن الله غالب على أمره «ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون » فحاصل معنى « والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه » هو ان دعوة الله التي عليها المؤمنون هي الموصلة الى الجنة والمغفرة باذن الله وارادته وهدايته وتوفيقه فهي مناقضة لدعوة المشركين وهي ماهم عليه من الشرك الموصل الى النار بسوء اختيار أصحابه له . ففيه المقابلة بين المشركين والمؤمنين وهي انهما على غاية التباين وفيه ان ما عليه المشركون هو من سوء اختيارهم وقبح تصرفهم فى كسبهم وان ما عليه المؤمنون لم يكن بوضعهم وعملهم وانما هو الدين الذي هو وضع الله بلغه عنه رسله باذنه وهدى اليه خلقه . وذكر الاستاذ الامام وجها آخر فى هذا وهو ان المراد باسم الجلالة (الله) هو مايعتقده فيه سبحانه المؤمنون به من كونه واحدا أحدا صمدا لا كفؤ له ولا مساعد ولا وزير ولا واسطة بينه وبين خلقه يحمله على نفعهم أو ضرهم وانما هو فاعل بارادته القديمة على حسب علمه القديم ولا تأثير للحوادث فيهما ولا في غيرهما من صفاته تعالى – فهذا الاعتقاد بالله هو الاصل الذي يدعوهم الي الجنة لانه ينبوع الاعمال الحسنة النافعة ومصدر الاخلاق الفاضلة التي يستحق صاحبها الجنة على ما يحسن فيه والمغفرة على ماأساء فيه ومنعه إيمانه

من الاصرار عليه والاسترسال فيه حتى يحيط به وانما كان أصلا في ذلك لانه متى صح ايمانه صحت عزيمته في اتباع الشريعة والاهتداء بالدين القويم . وهذا التعبير مأنوس به في اللغة يعبر بالشيء عن المصرّف له والغالب على أمره على حد الحديث القدسي « ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » الخ وذلك ان اعتقاده يملك شعوره ومشاعره فيكون أصل كل عمل نفسي وبدني فيه

وقد يقال ان هذه العلة فى تحريم مناكحة المشركين متحققة فى نكاح الكتابيات فالكتابية تدعو بسيرتها وعملها وقولها الى ماهي عليه من العقيدة الفاسدة وما يتبعها من الاعمال التي لم تكن من أصل دينها الصحيح المتفق مع الاسلام فهي ان وافقت زوجها المسلم فيما هو إيمان صحيح كالايمان بالله والايمان بالانبياء وباليوم الآخر فى الجملة فهي تخالفه بما تصف به الله أو تتخذ له من الابناء والانداد وذلك من الدعوة الى النار وقد تغلب المرأة على أمر زوجها أو ولدها فتقوده الى دعوتها ولهذا ذهب بعض الشيعة الى تحريم نكاح الكتابية : ونقول في الجواب لو اتحدت العلة لما صرح الكتاب بجواز الزواج بالكتابية المحصنة ولما اتفق سلف الأمة وخلفها على ذلك ماعدا هذه الشرذمة من الشيعة وكيف يستوي الفريقان – أهل الكتاب والمشركون – وقد فرق الكتاب والسنة بينهما في كثير من المزايا والاحكام ولم يجمع القرآن بين المشركين والمؤمنين فى حكم كما جمع بين المؤمنين وأهل الكتاب فى مثل قوله فى سورة البقرة «ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل

صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقوله في سورة آل عمران « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » الآية وقوله في البقرة ومثله في آل عمران « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » وقوله فيها « قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون » وقوله في (سورة العنكبوت ٢٩) « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن مسلمون » وأمثال هذه الآيات كثير جدا وهي تصرح بأن إله المسلمين وأهل الكتاب واحد وربهم واحد والذي أنزل عليهم هو شيء واحد أي في جوهره والمراد منه وهو التوحيد وترك الشر وعمل الخير ولكنها في أواخرها تبين محل الدعوة والفرق وهو اننا مسلمون مخلصون وانه طرأ عليهم الانحراف فاتخذوا من أنفسهم أربابا يحلون ويحرمون ويشرعون لهم مالم يأذن به الله وانهم غير مخلصين ولا مسلمين في أعمالهم وهذا شيء لا ينكره أهل العلم الحقيقي والتاريخ منهم بل يقولون لولا الانحراف والشرائع التي زادوها وسموها بالطقوس وباسماء أخرى لما ضعفت أخلاقهم ومرضت قلوبهم وانحلت جامعتهم حتى كان من أمر الاسلام فيهم ما كان . وقد طرأ شيء من ذلك على من اتبعوا سننهم منا فاتبعوهم شبرا بشبر وذراعا بذراع مع أن أصل الدين عندنا قد حفظ بعناية لم يكن لهم مثلها وصرنا في حاجة الى من يدعونا الى

إقامة الاصل كما دعاهم داعي الاسلام لا فرق في ذلك الا أن الاصل الذي يجب أن يدعى اليه الجميع موجود محفوظ كما هو ولا ينقص الجميع الا إقامته والعمل به وهو القرآن الذي اتخذه المسلمون في عصرنا آلة لهو وسلعة تجارة ولكنهم لا يدعون الى اقامته والعمل به بل منهم من يصرح بتحريم العمل به ويسمي ذلك اجتهادا والاجتهاد عندهم ممنوع فقد منعوا القرآن بشبهة سخيفة وهي منع العلم الاستدلالي ومنعه منع لحقيقة الاسلام وانصراف عن ينبوعه

فاذا كان الفرق بيننا وبين أهل الكتاب يشبه الفرق بين الموحدين المخلصين العاملين بالكتاب والسنة وبين المبتدعة الذين انحرفوا عن هذين الثقلين اللذين تركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وأخبرنا اننا لا نضل ما تمسكنا بهما – كما في حديث الموطأ – فكيف يكون أهل الكتاب كالمشركين في حكم الله تعالى . والجملة ان ما عليه الكتابية من الباطل هو مخالف لاصل دينها وقد عرض لها ولقومها بشبه ضعيفة يسهل على المؤمن العالم بالحق أن يكشف لها عن وجه الحق في شبهتها ويرجعها الى الصواب ويعسر عليها هي أن تنتصر بالشبهة على الحجة . وتزيل السنة الاولى بما عرض من الشبهة ، وأما ما نراه من التباين بين المسلمين وأهل الكتاب الآن فسببه سياسة الملوك والرؤساء ولو أقمنا الكتاب وأقاموه لتقاربنا ورجعنا جميعا الى الاصل الذى أرشدنا اليه القرآن العزيز . ولا يخفى أن هذا الأمر يختلف باختلاف الاشخاص فرب مسلم مقلد يتزوج بكتابية عالمة فتفسد عليه تقاليده ولا عوض له عنها فينبغي ان يعرف هذا

ثم قال تعالى (ويبين آياته للناس) أي يوضح الدلائل على أحكام شريعته للناس فلا يذكر لهم حكما الا ويبين لهم حكمته وفائدته ليستدلوا بذلك

على ان المصلحة والسعادة فيما شرعه لهم (لعلهم يتذكرون) فيواظبون فان الحكم اذا لم تعرف فائدته للعامل لايلبث ان يمل العمل به فيتركه وينساه واذا عرف علته ودليله وانطباقه على مصلحته ومصلحة من يعيش معهم فأجدر به ان يحفظه ويقيمه على وجهه لا يكتفي بالعمل بصورته وان لم تؤد الى المراد منه . ومن هنا قال الفقهاء إن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما وان مايشارك المنصوص فى العلة يعطى حكمه وليتنا عملنا بهذه القواعد ولم نرجع الى التمسك بالظواهر من غير عقل ويا ليتها ظواهر الكتاب السنة إن هي الا ظواهر أقوال أقوام من المؤلفين منهم المعروف تاريخه ومنهم المجهول أمره والى الله المشتكى . فاللهم ذكرنا مانسينا واهدنا الى الاعتبار بكتابك والعمل به لنكون من المفلحين

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ ذبائح أهل الكتاب فى عصر التنزيل ﴾

(س ٢٠) السيد محمد بن عقيل في سنقافوره : اطلعت على جميع ماكتبتم في ذبائح أهل الكتاب ثم وصل الي من أحد أهل مصر كتاب يسمى التعاديل الاسلامية فى الرد على شيخ الاسلام (يعني الاستاذ الامام) وكنت قد رأيت منذ نحو ١٤ عاما فتوى لشيخنا العلامة السيد سالم بن أحمد العطاس العلوى الحضرمي مفتي جهور تضارع فتوى شيخ الاسلام ولكن يختلج فى صدري شيء لم يذكره شيخ الاسلام ولاغيره فيما أعلم وهو هل لأهل الاسلام نقل صحيح في التاريخ يفيدنا بكيفية

ذبح أهل الكتاب أو قتلهم لما يريدون أكله فى عصر المصطفى صلى الله عليه وعلى آله فان وجد فهل يجب قصر حكم الحل على ما كان لانه المفهوم ويكون ماتوسعوا به بعد ذلك من بدعهم فلا يفيد الحل ؟ فلو صح النقل بأنهم كانوا يعصرون عنق نحو الدجاج ويوقذون نحو البقر لم يبق للمشاغب كلام . والمظنون ان لاهل الكتاب كيفيات فى الذبح في ذلك العصر كما نقل أن لهم فى التسمية عند الذبح عادات وما صح به النقل لانزاع فيه فهل ظفرتم بنقل عن شيء من تلك الكيفيات التي أحل الله لنا طعامهم وهو يعلمها ينجلي به غبار كل إشكال أفيدونا بما تعلمون لازلتم مرشدين

(ج) بينا فيما كتبناه فى المجلد السادس في مسألة طعام أهل الكتاب ان المسألة ليست من المسائل التعبدية وأنه لاشيء من فروعها وجزئياتها يتعلق بروح الدين وجوهره الا تحريم الاهلال بالذبيحة لغير الله تعالى لان هذا من عبادات الوثنيين وشعائر المشركين فحرم علينا ان نشايعهم عليه أو نشاركهم فيه ولما كان أهل الكتاب قد ابتدعوا وسرت اليهم عادات كثيرة من الوثنيين الذين دخلوا في دينهم لاسيا النصرانية واراد تعالى ان نجاملهم ولا نعاملهم معاملة المشركين استثنى طعامهم فأباحه لنا بلا شرط ولاقيد كما أباح لنا التزوج منهم مع علمه بماهم عليه من نزغات الشرك التي صرح فيها بقوله « سبحانه وتعالى عما يشركون » على أنه حرم علينا التزوج بالمشركات بالنص الصريح ولم يحرم علينا طعام المشركين بالنص الصريح بل حرم ما أهل به لغير الله . فأمر الزواج أهم من أمر الطعام في نفسه والنص فيه عام قطعي فى المشركين وهو لم يمنع من التزوج بالكتابية ولاجل كون حل طعام أهل الكتاب ورد مورد الاستثناء من المحرمات المذكورة بالتفصيل فى سورة المائدة صرح بعض أئمة السلف بأن النصراني اذا ذبح لكنيسته فان ذبيحته تؤكل مع الاجماع على ان المسلم اذا ذبح وذكر اسم النبي أو الكعبة فان ذبيحته لاتؤكل وترى هذا فى تفسير الامام ابن جرير الطبري وما نقلناه فى المنار عنه وعن غيره كاف في هذا الباب . وقد رأيت فى التفسير من هذا الجزء النسبة بيننا وبين أهل الكتاب وماورد فيهم وما أرشدنا اليه سبحانه من مجاملتهم ومحاسنتهم فهذه هي الحكمة فى حل طعامهم لا كونهم يذبحون على وجه مخصوص أو يطبخون بكيفية مخصوصة . ولو كان يجوز لنا أن نقيد نصوص الكتاب المطلقة بمثل هذا التقييد لكان

يجب علينا أن ننظر في كل حكم فنقول إن إحلاله أو تحريمه مقيد بما اذا كان على الكيفية التي كانت فى ذلك العصر فنتقيد بما كان عليه أهل العصر الاول فى جميع عاداتهم وأحوالهم لانهم خوطبوا بالاحكام وهم على ذلك وهذا حرج عظيم وتحكم لم يقل به أحد بل قال أهل الاصول حكم المطلق أي يجري على اطلاقه ومن ثم نقول انه لاوجه للبحث عن عدد الذين أقيمت بهم الجمعة أوصلاة العيد ولا عن كيفية المسجد أو المصلي الذي صليا فيه عند التشريع والحكم بأن ذلك شرط لصحة الصلاة

ثم ان المشاغبين الممارين لايقنعهم شيء فأنت ترى أن فتوى الاستاذ الامام لم تكن في حل الموقوذة من أهل الكتاب ولاكان السؤال عن ذلك وقد سموا الذبيحة موقوذة وأكثروا من اللغو ولاغرض لهم من ذلك الايهام العامة بأن فلاناً قال قولا مخالفاً للشرع لعلمهم أن العوام لايفهمون الدلائل ولايميزون بين الحق والباطل وانما يفهمون بالاجمال ان فلاناً أخطأ فيخوضون فى عرضه وهذه هي لذة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا . ولذلك لم يورد الذين كتبوا فى هذه المسألة شيئاً من كلامنا المؤيد بالكتاب والسنة وفقه الشريعة وأسرارها والمأثور عن سلفها لابالتسليم ولا بالانكار فذرهم فى خوضهم واشتغالهم بالسفاسف وصرفهم قلوب المسلمين عن كل نابغ فيهم ساع في اقالتهم من عثرتهم أو انجائهم من هلكتهم حتى يبلغ انتقام الله تعالى بهم منهم حده وخذ بما صفا ودع ما كدر وادع الى الحق من تراه مستعدا له والله الموفق

﴿ عذاب القبر ﴾

(س ٢١) الشيخ منصور نصار من مجاوري الازهر : قد سألني بعض الناس ببلدتنا عما يحصل للميت في قبره من النعيم أو العذاب هل المنعم أو المعذب هو الروح فقط أم الروح مع الجسم فأجبته بما أعلم من نص أثر ابن عمر والغزالي الموصوف بحجة الاسلام من أن المعذب هو الروح فقط . وقد وقع اضطراب بيني وبين أهل بلدتي في هذه المسألة فأرجو من حضرتكم توضيح الحقيقة على صفحات مناركم الاغر حيث ان الله تعالى نصبكم لخدمة الدين والدفاع عن شبهات الضالين لازلتم هادين مهديين

(ج) قد سبق لنا الاجابة عن مثل هذا السؤال فى المجلد الخامس وبينا اصل الخلاف فى عذاب القبر وأن مذهب السلف عدم البحث فى كيفية مايرد في الكتاب والسنة من أحوال الآخرة لانها ممايجب الايمان به كما ورد من غير فلسفة فيه ولاتحكم على الغيب اذ لايقاس عالم الغيب على عالم الشهادة ولو أنكم دعوتم أهل البلد الى هذا التسليم لاقفلتم باب الجدل في وجوههم ولا أقبح من الجدل في أمر الآخرة الذى لامجال للعقل ولا للحس فيه والذين فتحوا هذا الباب هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً فقامت المعتزلة تقول ان من الناس من تأكلهم السباع والحيتان فى البحر وتصير اجسامهم أجزاء من أجسام هذه الحيوانات ومنهم من يحرق ويذرى رماده فكيف تقولون يامعشر الاشاعرة ان فى القبر عذاباً على الروح والجسد والصواب انه لاعذاب إلا عذاب الآخرة بعد البعث . وقامت طائفة أخرى تقول ان الجسم لا احساس فيه فالحديث الوارد في عذاب القبر يراد به تعذيب الروح مجردة . ويقول آخرون الروح لم تعمل السيئات الا بواسطة الجسد فلابد أن يكون العذاب مشتركا ويصدق ذلك بأن تتصل الروح بجزء او أجزاء من البدن ولو كان رميماً أو داخلا في بنية حيوان ويقع العذاب عليهما معاً وهو قول أكثر المسلمين . ثم ان الاشاعرة يقولون بأن الاعادة فى الآخرة تكون عن عدم بان ينعدم الجسم من الوجود ثم يخلقه الله تعالى بذاته ومع أعراضه فى قول وهذا القول لايتفق مع القول بأن عذاب القبر على الروح والجسد معاً الا أن يقال انهم استثنوا عجب الذنب فقالوا انه لايفنى فلعلهم يقولون ان عذاب القبر يكون على الروح مع اتصالها بعجب الذنب ولكن قال المزني من الشافعية ان عجب الذنب يفنى أيضا

فأنت ترى ان الباحثين بعقولهم فيما ورد من احاديث عذاب القبر فى خلاف لايكاد يسلم واحد منهم للآخر ونحمد الله تعالى انهم لم يجعلوا هذه المسئلة من أصول العقائد التي يكفر منكرها ولاشك ان مذهب السلف هو الحق الذي يجب الاخذ به وهو أن نقول ان كل ماثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر البرزخ والآخرة حق نؤمن به ونفوض الامر في حقيقته وكيفيته الى الله تعالى مع العلم بأن الارواح هي التي تشعر باللذة والالم وأن الاجساد لباس لها وآلات لتوصيل بعض اللذات والآلام واي قول قلت في هذه المسألة لايخرجك من الدين، فعلام التنازع بين المسلمين،

الحكمة فى انزال القرآن

(س ٢٢) عبد الحميد افندي السوسي فى (الاسكندريه) : ماهي الحكمة في انزال القرآن الحكيم هل الحكمة بذلك التعبد بتلاوته كما يقول العلماء — وهل من نص قطعي يؤيد قولهم — أو لنجعله حانوتاً نبيع منه (عدية يس) ونقرأه على الموتى ونكتب آياته فى آنية ونمحوها بالماء ونتعاطاها لنشفى من داء كذا أو لنقرأه للتبرك وما هو التبرك ؟ ألم يكن هو فهم آياته حق الفهم والتأدب بادابه الكريمة واتباع أوامره واجتناب نواهيه «وليتدبروا آياته» كما قال جل ثناؤه ٠ أرجو الجواب على صفحات مناركم ٠ ولكم الاجر من ربي وربكم

(ج) الحكمة من انزال القرآن مبينة في القرآن ليس فيها شبهة لمن جعلوه حرفة بل فيه الحجة واللعنة على من يشترون به ثمنا قليلا ٠ وليس فيها نص قطعي يؤيد قولهم بالتعبد بتلاوته على اطلاقهم الذي يتناقلونه ولكنهم يستدلون عليه بأحاديث هم يتفقون على انها ليست نصوصاً قطعية كالاحاديث التى وردت في كون تالي القرآن يعطى بكل حرف عشر حسنات ونحو ذلك من الثواب وهناك أحاديث أخرى فى وعيد من يتلو القرآن وهو غافل عن هدايته لابد من الجمع بينها وبينها وانا نذكر المؤمنين بشيء من الآيات والاحاديث فى الحكمة والفائدة التي أنزل الله لها القرآن لان أهل الاهواء السياسية والشخصية فى مصر قد جعلوا القرآن في هذه الأيام موضعاً لاهوائهم فكل يزعم نصره ونصر حفاظه والله أعلم بالصادقين ٠ ولاتخفى على الناس آيات المنافقين

ومهما تكن عند امرىء من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهاك طائفة من الآيات الكريمة فى حكمة تنزيل القرآن

(١) ألم ٠ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين (البقرة ٢)

(٢) انا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون (يوسف ١٢)

(٣) الر ٠ كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد (ابراهيم ١٤)

(٤) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ٠ قيما لينذر بأساً شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسناً ماكثين فيه أبدا ٠ (الكهف ١٨)

(٥) طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى (طه ٢٣)

(٦) تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (الفرقان ٢٤)

(٧) طس — تلك آيات القرآن وكتاب مبين ٠ هدى وبشرى للمؤمنين ٠ الذين يقيمون الصلاة الخ (النمل ٢٧)

(٨) الم — تلك آيات الكتاب الحكيم ٠ هدى ورحمة للمحسنين ٠ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ٠ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ٠ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين (*) واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم (لقمان ٣٠)

(٩) حم ٠ تنزيل من الرحمن الرحيم ٠ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ٠ بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون ٠ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون (فصلت ٤٠)

(١٠) أفلايتدبرون القرآن ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا (النساء ٤)

(١١) أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين (المؤمنون ٢٣)

(١٢) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الخ (محمد)

(١٣) كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب (ص ٣٨)

(١٤) هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الخ (الاعراف ٧)

(١٥) ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم الخ (يونس ١٠)

(١٦) وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (هود ١١)

(١٧) لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب الخ (يوسف ١٢)

(١٨) وكذلك أنزلناه حكما عربياً ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من

(*) اني لاخشى أن تكون الجرائد التي تتكلم فى الدين بالهوى لابالعلم والاخلاص مما يدخل فى لهو الحديث هنا

العلم مالك من الله من واق (الرعد ١٣)

(١٩) هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الالباب (ابراهيم ١٤)

(٢٠) وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون (النحل ١٦)

(٢١) قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى و بشرى للمسلمين (النحل ١٦)

(٢٢) ان هـذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا (الاسراء ١٧) (وفي هـذه السورة آيات أخرى فيها عبر كبرى)

(٢٣) فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا (مريم ١٩)

(٢٤) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (الحشر ٩٥)

والآيات في هذه المعنى كثيرة وكلها ناطقة بأن القرآن أنزل هداية للناس و بشيرا للمحسنين فى أعمالهم ونذيرا للمسيئين وانه عبرة وتذكرة وموعظة وشفاء لما في الصدور أي القلوب من أمراض الجهل بالله وبما له على عباده من الحقوق وما لبعضهم من ذلك على بعض وأمراض الاخلاق السيئة والعادات الضارة • وهناك آيات كثيرة فى وعيد المعرضين عن هدايته الغافلين عن تدبره والذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلا وكون هـذه من صفات الكافرين ومن أشد ما نزل فى المؤمنين الاولين على علو كعبهم وقوة يقينهم من قوله تعالى في (سورة الحديد ٥٧) «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» ــ ذكر الله وما نزل من الحق هو القرآن • قال فى الجلالين ان الآية نزلت فى الصحابة لما أكثروا المزاح وقال السيوطي فى أسباب النزول انها نزلت فيهم بعد ان قدموا المدينة فأصابوا من عيشها بعد ما كان بهم من الجهد وكأنهم فتروا فى العمل • فهذا هو القرآن وهذا وعظه وتربيته للمؤمنين فانظر الى حفاظه اليوم والى الذين يزعمون أن من تعظيمه وتكريمه

أن يكون حافظه أمياً لا يكلف قراءة ولا كتابة ولا فهماً ولا عقلا ولا تدبراً ولا تذكراً ولا تفكراً بل يكلف أن يتلوه ولو بغير تجويد وان يأكل به أوقاف الاموات ومال الاحياء ، أين هم من هدايته وأين هم مما جاء به ؟ ؟

وأما الاحاديث الواردة في القرآن فمنها ما ورد في حفظه وتعلمه وتعليمه وهذا مطلوب لامرين أحدهما فرض عيني وهو معرفة العقائد الصحيحة والآداب الكاملة وفقه الاعمال التعبدية والدنيوية التي فصلت السنة كيفياتها وبينت صورها، والثاني فرض كفاية وهو تبليغه وحفظه لاجل تبليغه بلفظه على الوجه الذي أدى اليه وبمعناه في الدعوة الى ما دعا اليه من العقائد والاحكام والفضائل ليكون الدين بذلك محفوظاً ولا ينسى أن الترغيب فى قراءته وحفظه يستلزم الترغيب في فهمه والاهتداء به لانهم كانوا يفهمونه بل ذلك مما يتضمنه الترغيب بلفظه • ومنها ما ورد فى وعد العاملين به ووعيد المعرضين عنه والواجب فهم مراد الشارع من مجموع كلامه فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض • وهذه طائفة من الاحاديث في ذلك

(١) عن أبي هريرة (رض) ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال «لا حسد الا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل • ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل» رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي والمراد بالعمل مثل ما يعمل فلان فى الاولى هو العمل بالقرآن كما تدل عليه المقابلة ورواية ابن عمر فى الحديث نفسه «فقام به آناء الليل» الخ قالوا والمراد قام به تلاوة وطاعة • وفى الحديث رواية أخرى أبين في المراد وهي عند البخاري ومسلم وغيره وفيها بدل أوتي القرآن «ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس» والمراد بالحكمة القرآن جمعاً بين الروايات

(٢) عن عثمان (رض) عن النبي (ص) قال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري وغيره وفى رواية عنه ان أفضلكم: الخ قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخاري : ولا شك ان الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل وهو ممن عنى الله سبحانه وتعالى

بقوله « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين » والدعاء الى الله يقع بأمور من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع وعكسه الكافر المانع لغيره من الاسلام كما قال تعالى «فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها » فان قيل فيلزم على هذا ان يكون المقري أفضل من الفقيه قلت لا لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس لأنهم كانوا أهل اللسان فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها من بعدهم بالاكتساب فكان الفقه لهم سجية فمن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك لا من كان قارئاً محضاً لا يفهم شيئا من معاني مايقرؤه أو يقرئه . فان قيل فيلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم عناء في الاسلام بالمجاهدة والرباط والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلا : قلنا حرف المسئلة يدور على النفع المتعدي فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل فلعل « من » مضمرة في الخبر بعد إن (١) ولا بد مع ذلك من مراعاة الاخلاص في كل صنف منهم، ويحتمل ان تكون الخيرية وان اطلقت لكنها مقيدة بناس مخصوصين خوطبوا بذلك وكان اللائق بحالهم ذلك، أو المراد من المتعلمين من يعلم غيره لا من يقتصر على نفسه، أو المراد مراعاة الحيثية (٢) لان القرآن خير الكلام فمتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة الى خيرية القرآن . وكيفما كان هو مخصوص بمن تعلم وعلم حيث يكون قد علم مايجب عليه عيناً اه

(المنار) هذا كلام الحافظ في معنى الحديث وفيه بيان مراد الثوري بتفضيل اقراء القرآن على الجهاد اذ لا يمكن أن يكون من لا يفهم القرآن ولا يفيد الناس احكامه كالمجاهد في سبيل الله فانظر اين هذا من زعم بعض الناس أن امثال الحفاظ للالفاظ في مصر أفضل من المجاهدين بالاجماع فما أجرأ الناس على دعوى الاجماع بغير علم اعتماداً على ان العامة تقبل منهم كل قول بغير دليل

(٣) عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم » أي لا تفقهه قلوبهم ولا

(١) اي ان التقدير: ان من أفضلكم: وكثيراً مايطلق إسم التفضيل على تقدير من كحديث « خيركم خيركم لاهله » (٢) أي انه افضل من حيثية التعلم لا من كل جهة

ينتفعون بما تلومنه « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » الخ رواه البخاري

(٤) عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالاترجة طعمها طيب وريحها طيب والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر » رواه البخاري ومسلم وأنت ترى انه جعل المؤمنين قسمين قسما يقرأ ويعمل بما يقرأ وهو النافع لنفسه ولغيره أو الذي هو طيب في ظاهره وباطنه وقسما يعمل به ولكن لا يقرأه وهو الطيب في نفسه وباطنه وإن كان لا ينتفع بظاهره ولم يذكر ان من المؤمنين قسما آخر وهو الذي يقرأ فقط بل عد هذا من المنافقين . فانظر أين علم الرسول صلى الله عليه وسلم من علم هولاء الذين يقولون ان حفاظ الالفاظ الذين لا يقصدون بها الاهتداء ولا الارشاد بل الكسب والاستجداء أئمة في الدين وان من إهانة القرآن أن يقال انهم يحتاجون معه الى العلم بالقراءة والكتابة أو شيء آخر !!! أعوذ بالله من شر هذا الزمان ، الذي عبث فيه الجاهلون بالسنة والقرآن ،

(٥) عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الاعرابي والعجمي فقال « إقرءوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » رواه أبوداود والبيهقي في شعب الايمان . والمعنى ان الذين يجيئون من بعده يقيمون ظاهر اللفظ من غير طلب لاقامة عقائد الدين وأحكامه وهدايته به فهم كالذي يقوم القدح وهو بالكسر السهم الذي لا ريش له ولا نصل فلا تمكن المناضلة به . ومعنى يتعجلونه ولا يتأجلونه يطلبون الانتفاع به والاجر عليه في الدنيا لا في الآخرة . وهذا الحديث يصدق على القراء لاجل الكسب في هذا الزمان وأوضح منه انطباقاً عليهم الحديث الآتي

(٦) عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون اهل العشق ولحون اهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم

مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم» رواه البيهقي فى شعب الايمان ورزين فى كتابه • والذين يعجبهم شأنهم هم الذين يطربون بقراءتهم أو يستأجرونهم لها والذين يرون الفضيلة والخدمة للاسلام فى تكثير سوادهم وشدة احترامهم

(٧) عن جابر (رض) مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن وابتغوا به الله تعالى من قبل ان يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه» رواه أحمد وابو داود

(٩) عن عبد الله بن عمر (رض) قال قال رسول الله (ص) «اقرأ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه» رواه الديلمي فى مسند الفردوس

(٨) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله (ص) «اقرءوا القرآن واسئلوا به الله قبل ان يأتي قوم يقرءون القرآن فيسألون به الناس » رواه أحمد والبيهقي والطبراني

(١٠) عن صهيب (ض) مرفوعا «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» رواه الترمذي

(١١) عن ابي هريرة (رض) مرفوعا «من اخذ على القرآن اجرا فذاك حظه من القرآن» رواه ابونعيم في الحلية

(١٢) عن بريدة (رض) مرفوعا «من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم» رواه البيهقي

(١٣) عن ابي الدرداء (رض) مرفوعا «من اخذ على تعليم القرآن قوساً قلده الله مكانها قوساً من نار جهنم» رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية والطبراني بلفظ آخر والروايات في القوس متعددة وكان اهدي مقرىء قوساً فأخذها

(١٤) عن ابن عباس (رض) مرفوعا: من اخذ على تعليم القران اجرا فقد تعجل حسناته فى الدنيا والقرآن يحاجه يوم القيامة : رواه ابو نعيم •

(١٥) حديث ابي هريرة المرفوع في الثلاثة الذين هم اول من تسجر بهم النار وفيه أنه يقول لله تعالى يوم القيامة « تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن» وان الله تعالى يقول له « كذبت انما تعلمت ليقال إنك عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ» ثم يسحب على وجهه ويلقى فى النار • والاحاديث فى العمل بالقرآن وابتغاء وجه الله تعالى به كثيرة ومنها مافيه ترغيب في البكاء فنكتفي بهذا القدر ونذكر جملة فى ذلك من سيرة السلف الصالح الذين كانوا مهتدين بالكتاب والسنة • جاء فى كتاب احياء علوم الدين الفصل الآتي

في ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم الى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لانه بلغني ان أصحاب القرآن يسئلون عما يسئل عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا الناس ينامون وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا ممارياً ولا صياحاً ولا صخاباً ولا حديدا وقال صلى الله عليه وسلم «أكثر منافقي هذه الامة قراؤها» وقال صلى الله عليه وسلم «اقرأ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه» وقال صلى الله عليه وسلم «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك فقال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول «ألا لعنة الله على الظالمين» وهو ظالم لنفسه «ألا لعنة الله على الكاذبين» وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته مايسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها ومايبنغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ مابين فاتحة الكتاب الى خاتمته لايدري ما آمره ولا زاجره ولا

ماينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة ياعبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لايفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك ياعبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه ان كف وهاأناذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك» اه

وأما علماء الخلف وائمتهم فهم متفقون مع السلف على ذلك • قال الامام محي الدين النووي في آداب حملة القرآن مانصه

(فصل) وينبغي ان لايقصد به توصلا الى غرض من اغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة او ارتفاع على اقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس اليه أو نحو ذلك ولا يشوب المقرئ إقراءه بطمع في رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه سواء كان الرفق مالا أو خدمة وان قل ولو كان على صورة الهدية التي لولا قراءته عليه لما اهداها اليه قال الله تعالى «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب» وقال تعالى «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد» الآية • وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لايتعلمه لاليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) رواه ابوداود باسناد صحيح ومثله كثير » الخ

وقال (فصل) ولا يتعلم الا ممن تكملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانته:» الخ ونكتفي بهذا القليل من الكثير في هذا المقام

(النتيجة) علم مما تقدم من الآيات والاحاديث وآثار السلف الصالح ان القرآن هو الهداية العظمى وان حملته وحفاظه هم أئمة المسلمين ومرشدوهم ولذلك أمر عمر رضي الله عنه ان لايقرئ الناس القرآن الا عالم بالعربية ليقيم اللفظ فلا يسري

اليه الخطأ والغلط ويفهم المعنى فيعمل به ويعلم الناس • وقد كان المشهورون من الصحابة باقراء القرآن أكابر علمائهم كعلي وعثمان وأبيّ وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي الدرداء وابي موسى الاشعري • وممن قرأ على أبي ابو هريرة وابن عباس • فينبغي الاقتداء بالسلف بأن يكون حفاظ القرآن الذين يؤخذ عنهم هم الذين ينقطعون لاتقان علوم القرآن اللفظية والمعنوية فيتقنونها • ولايجوز أخذ القرآن عن الجاهلين باللغة وبأحكام الدين والمرتكبين للمحرمات والدناآت لانهم ليسوا عدولا يوثق بروايتهم

استطراد في حفاظ القرآن بمصر • وحادثة جديدة

جرت الحكومة المصرية على إعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية فكثر حافظوه لذلك وهؤلاء الذين يحفظونه لهذا الغرض لا يريدون به وجه الله تعالى كما ورد ولا يلبث الكثيرون منهم بعد سن القرعة العسكرية ان ينسوه الا من اتخذه حرفة يكتسب به • ولما أنشأت نظارة المعارف تنظم المكاتب أو الكتاتيب التي يعلم فيها القرآن أو فدت اليها المفتشين من أهل العلم المتخرجين في الازهر ثم في دار العلوم وقد تبين لهؤلاء أن الكثيرين من الحفاظ الذين انقطعوا لاقراء القرآن لايحسنون تلاوته بالتجويد المطلوب شرعاً وأنهم على جهل ومهانة لاتليق بعملهم • وقد اقرت الحكومة في مجلس النظار الذي اجتمع في هذا العام برياسة الامير أن لايعفى حافظ القرآن من الخدمة العسكرية من بعد الا من يمتحن فيظهر انه حافظ للقرآن ومحسن لتلاوته بالتجويد الواجب شرعا ومتعلم مبادئ القراءة والكتابة التي يتعلمها الصبيان أي لايشترط أن يكون الخط جميلا والاملاء صحيحاً ولا ان تكون القراءة بدون لحن؛ وعارف بالقواعد الاربع الصحاح في الحساب • وغرض الحكومة من ذلك فيما يظهر ان تكثر عدد الحفاظ الذين يصلحون لانشاء الكتاتيب وان يكونوا محترمين في الجملة بالارتقاء عن الامية المحضة فينتفع الناس بهم

ومن عجائب مصر أم العجائب أن قام بعض الناس يكتب المقالات الطويلة في جريدة المؤيد معزوّة الى أزهري مجهول يحاول اقناع الناس بأن هذا الذي قررته الحكومة إهانة للقرآن ولحملة القرآن وحجته أن الذي يحفظ ألفاظ القرآن يجب أن يستغني بها عن كل شيء حتى مايعده لتجويد تلاوتها وفهم عبارتها. وكتب مجهول

آخر في المؤيد في تقبيح ما تريده الحكومة وجريدة المؤيد مؤيدة لهم ولهامعهم حجة أخرى وهو أن من تكريم حفاظ القرآن ان يعاملوا كبعض خدمة الكنائس والاديار الذين يعفون من خدمة العسكرية وهم غير متعلمين!! وطفقوا يصورون للعامة ان هـذا إهانة للقرآن وأن بعض العظماء في الامة يذرون الدموع أسفاً وحزناً على مصاب الاسلام باخراج حفاظ القرآن من الامية والجهل بالقراءة والكتابة الى أدنى مرقاة من سلم العلم والمعرفة • وقد نشرت في المقطم مقالة معزوة الى أحد العلماء جاء فيها أن تعلم الفنون العسكرية من فروض الكفاية فلاينبغي أن يعد اهانة لاهل القرآن واذا كان الناس لايستغنون عن الحفاظ في البلاد والقرى ليرجعوا اليهم في ضبط القرآن اواحكامه فالجنود يحتاجون أيضاً الى الحفاظ في سفرهم واقامتهم لمثل مايحتاج اليهم غيرهم فقام الازهري المجهول يهزأ بهذا القول الحق ويزعم أن الفنون العسكرية ليست مفروضة في مثل هـذه البلاد يشير الى أن هذا الفرض سقط عن المسلمين في مصر لاحتلال الانكليز فيها

وقد نسي هذا الازهري — ان كان هنالك أزهري — حكم مذهبه الذي يتلقاه هو وامثاله في الازهر في دخول الاجانب في بلاد المسلمين فاتحين ويعتقدون انه محكم يعمل به في كل زمان وهو أن الجهاد عنده يكون حينئذ من الفرائض العينية التي تجب على كل مكلف حتى مشايخ الازهر ومجاوريه وكذا النساء في قول فان كان يعتقد أن الانكليز فتحوا هذه البلاد وملكوها وصارت في عرفه دار حرب فكيف كتب ماعزاه المؤيد اليه وان كان يعتبر الظاهر الرسمي وهو ان هـذه البلاد لاتزال إسلامية وان حاكمها هو الامير عباس باشا حلمي الذي ولاه عليها السلطان عبد الحميد وان البلاد دار إسلام وان الانكليز فيها معلمون ومصلحون لفساد حكامها حباً في الانسانية فكيف يزعم أنه طرأ عليها ماأسقط الفرض عن مجموع أهلها حتى انتقد الاستعداد له ؟ لعله عرض بذلك التعريض لاعتقاده أن ذلك العالم الذي كتب في المقطم لايقدر أن يبين رأى فقهاء الازهر في هذه المسألة وينشره في المقطم أوفي غيره خوفاً من الانكليز وان كان الانكليز فوق مايظن من احترام الحرية الدينية وغير الدينية لأن نفوذهم لم يكن يمنع الناس من اظهار ما يريدون إظهاره وانما هو بالسماح لهم بذلك لانهم لايخافون عاقبته ذلك ماداموا واثقين بأن سيرتهم هي العون لهم على ارضاء الناس وتفضيلهم اياهم

على الظالمين الذين غلوا أيديهم عن الظلم

مالنا وللبحث مع المجهولين في أمر الدين ونحن نعلم مبلغ علمهم وغاية مرماهم في كتابتهم وهذا مما نحب الاعراض عن الخوض فيه ولكن هناك أمراً آخر جديراً بالاعتبار وعرضه على ما تقدم من النصوص وهو أن الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الجامع الازهر كتب الى نائب أمير البلاد (قائمقام خديوي) ورئيس مجلس النظار كتاباً رسمياً عن قرار من مجلس ادارة الازهر يطلب فيه أن تعدل الحكومة عن مشروع امتحان الحفاظ بما تقدم ذكره وهـذه عبارة الكتاب • بعد حذف رسم الخطاب ، منقولة عن المؤيد

« قد علمنا أن نظارة الحربية وضعت مشروعاً جديداً لتعديل بعض مواد قانون القرعة العسكرية وانه معروض الآن على مجلس شورى القوانين وانه يقضي بأن من يحفظ القرآن الشريف ويحسن تلاوته وليس له حرفة سواه لايعفى من القرعة العسكرية الا اذا كانت له دراية بفن الحساب ونحوه

« وحيث ان كتاب الله تعالى (القرآن) هو أفضل الكتب السماوية وهو أساس دين الاسلام • وقد انعقد الاجماع على أن حفظه والتعبد بتلاوته هو من أهم أمور الدين وأن حملته من أشرف الناس وأولاهم بالاحترام والتكريم • وأن حفظه من فروض الكفاية • وان القائمين به كالمجاهدين في سبيل الله تعالى • وأنه أصل الاصول فكل شيء يرجع اليه ويتبعه • فهو بمفرده كاف لاحترام أهله وتوقيرهم بدون ضم شيء آخر اليه

« فلذلك ومارأيناه من ميل علماء الازهر وغيرهم من التحرير لجانب الحكومة السنية بالتماس العدول عن المشروع الجديد وإبقاء الحال على ما كان عليه قد جرت المذاكرة في هـذا الشأن بمجلس ادارة الازهر بجلسته المنعقدة يوم الاحد ٢٨ مايو الجاري فتقرر أن يرفع الامر الى عطوفتكم والى هيئة الحكومة رجاء العدول عن هذا المشروع وابقاء الحال على ما كان احتراماً لكتاب الله تعالى وأجابة لنداء علماء الامة • وأن لايكون الامتحان في نظارة المعارف كما يقتضيه المشروع

فلهذا اقتضى تحريره ومع الموافقة يرسل من هذا المحرر صورة الى مجلس شورى

القوانين للعلم بما فيه أفندم اه

وهذا الكتاب منتقد من وجوه (منها) أن عبارته كعبارة بعض الجرائد فيها ماينتقد لغة ولا نطيل فى هذا . (ومنها) ان الحكومة لم تشترط في إعفاء الحفاظ من القرعة العسكرية «الدراية بفن الحساب ونحوه» وانما اشترطت معرفة ما بقواعد الحساب الاربع فى الصحاح دون الكسور وهو مايمكن تحصيله في أسبوع واتقانه فى شهر ومعرفته كمعرفة الاسم والفعل والحرف في النحو بتمييز بعضها من بعض بالاجمال فان كان العارف بهذه يعد ذا دراية بفن النحو فالعارف بالقواعد الاربع الصحيحة يعد ذا دراية بفن الحساب . والدراية هي العلم وقيل هي أخص من العلم . ثم ان المفهوم من كلمة «ونحوه» سائر الفنون الرياضية كالجبر والمقابلة والهندسة وليس شئ من هذا مشروطاً (ومنها) قوله انعقد الاجماع على ان حفظه والتعبد بتلاوته من أهم أمور الدين وقد علم مما تقدم ان كلا من الحفظ والتعبد انما يكونان من مهمات الدين بالشروط والآداب التى فهمت من الآيات والاحاديث السابقة وذلك لايتحقق الا فى الحفاظ وأهل القرآن الذين ينطبق عليهم معانى الآيات والاحاديث وأقوال العلماء التى تقدمت وهي لاتنطبق على الحفاظ الاميين الذين لاحظ لهم من القران الا تحريك اللسان بها للكسب أو للعبادة فأما تحريكها للكسب فقد علمت ما فيه على ان بعض العلماء أجاز أخذ الاجرة على تعليمه بعقد صحيح وقلما يصلح للتعليم الامي المحض الذي لايعرف ما اشترطته الحكومة فى إعفاء الحفاظ . وأما المتعبد بالقراءة فلامزية له على القارئ بالمصحف بل صرح العلماء بأن القراءة في المصحف أفضل وروي الحديث فى ذلك ، وهذا التعبد عندهم سنة لافرض كفاية فهو من قبيل الذكر والتسبيح . فكأن شيخ الازهر لايريد الا إعفاء الحفاظ القائمين بحقوق القرآن وقليل ماهم وهو خلاف المتبادر من غرض كتابه (ومنها) قوله ان القائمين به أي بالحفظ كالمجاهدين فى سبيل الله تعالى والظاهر ان هذا من المجمع عليه فى رأي الشيخ وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر فيه وانه لاينطبق على هؤلاء الحفاظ الجاهلين بمعاني القرآن وإفادتها (ومنها) قوله وانه أصل الاصول فكل شيء يرجع اليه ويتبعه : وليس حفظ القرآن من غير فهم أصلا لاصول الدين يرجع اليه كل شيء

وانما ذلك القرآن نفسه من حيث فهمه واستنباط الاحكام منه والاهتداء والارشاد به وهؤلاء الحفظة المطلوب امتحانهم بالقراءة من غير اشتراط الصواب وعدم اللحن ليسوا على شيء من ذلك . ـ فعلم ان دعوى الاجماع على ما فهم من الكتاب غير صحيحة بل لم يقل احد من الائمة بأن امثال حفاظ الالفاظ الذين يدعى واحدهم فى مصر بالفقي لهم تلك المزايا والحقوق والاحترام الديني فالنتيجة المرادة من كتاب الشيخ المبنية وهى العدول عن المشروع احتراماً لكتاب الله تعالى لاتترتب على تلك المقدمات بل تنفيذ المشروع أقرب الى احترام القرآن وأهله من العدول عنه لان اللائق بحملة القرآن أن يكونوا من أهل العلم باللغة والقراءة والكتابة بل ان يكونوا أعلى من ذلك كما علم مما تقدم

ومما انتقد به الكتاب كونه بقرار من مجلس إدارة الازهر الذي يعد من مجالس الحكومة وهو مقيد بقانون ليس له أن يتعداه رسميا فكان اللائق ان يكون نصيحة دينية غير رسمية ان كان هناك وجه للنصيحة

ارسل الكتاب الى رئيس النظار وبعد ارساله بيوم نشره المؤيد بتاريخه (وهو ٢٤ ربيع الاول) وعدده الرسمي (وهو نمرة ٦٦٧) وفي اليوم التالي لنشره اجتمع شيخ الازهر ببعض اعضاء مجلس الشورى فسألوه هل في مشروع الحكومة شيء مخالف للدين فقال لا وتذاكروا في كتابه الى رئيس النظار فقال لهم على مانقل الينا ان الكتاب الذي نشر وكتب لم يكن مطابقاً لما أمر هو به وانه رأى فيه بعد النشر مالم يكن يعلم واقتنع بأن ارساله كان في غير محله وبادر الى ملاقاة رئيس النظار واعتذر له عن ارسال الكتاب ورغب اليه فى (سحبه) واهماله وحسبانه كان لم يكن فقبل الرئيس منه ذلك . وكان هذا من دلائل سلامة قلب الاستاذ شيخ الجامع وحسن نيته على ان سحب الكتاب قد ساء الذين سعوا فيه وحملوا الشيخ عليه كما ساء ارساله جميع العقلاء الذين علموا ان عاقبته لاتكون حسنة وهو الآن حديث العامة والخاصة وجميع المسلمين ممتعضون لما صار اليه مجلس ادارة الازهر من التأثر بكلام أهل الاهواء الذين يذمون الحسر ويمدحون القبيح ومجاراتهم التي تفضي الى مالاتحمد عقباه

آثار علمية ادبية

كتاب الشعر والشعراء

هذا الكتاب مشهور عند أهل الادب المتقدمين والمتأخرين بفائدته وبشهرة مؤلفه ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أحد أئمة اللغة والادب وصاحب (ادب الكاتب) وغيره من التآليف المفيدة المتوفى سنة ٢٧٦ وموضوع الكتاب ماذكره المؤلف رحمه الله تعالى بقوله في أوله

«هذا كتاب الفته في الشعر أخبرت فيه عن الشعراء وازمانهم واقدارهم وأحوالهم في اشعارهم وقبائلهم واسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم وما سبق اليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون • وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها الى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الاول • وكان قصدي للمشهور من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الادب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب والنحو في كتاب الله عز وجل وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأما من خفي اسمه وقل ذكره وكسد شعره فما أقل من هذه الطبقة (كذا) اذ كنت لا أعرف منهم الا القليل ولا أعرف لذلك القليل أخبارا وان كنت أعلم انه لا حاجة بك الى أن أسمي لك أسماء لا أدل عليها بخبر أو زمان أو نسب أو نادرة أو بيت يستجاد أو يستغرب » الخ ما قاله وهذا كاف في التعريف بفضل الكتاب فهو من الكتب التي تطبع ملاكة البلاغة في النفس وتعدها للاجادة في الشعر والكتابة • ومن مختار الشعر الذي أورده وهو يحكي عن أخلاق العرب وشهامتهم قول سعد بن ناشب

سأغسل عني العار بالسيف جالباً ... عليَّ قضاء الله ما كان جالبا
ويصغر في عيني تلادي اذا انثنت ... يميني بادراك الذي كنت طالبا
فيالرزام رشحوا بي مقدماً ... الى الموت خواضاً اليه الكتائبا

اذا هم القى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر في رأيه غير نفسه ... ولم يرض الاقائم السيف صاحباً

وقول محمد بن عمير المعروف بالمقنع الكندي

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وليسوا الى نصري سراعا وانهم ... دعوني الى نصر أتيتهم شدا
اذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وان هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
يعيرني بالدين قومي وانما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمداً

وقد طبع الكتاب على نفقة محمد امين افندي الخانجي الكتبي الشهير وهو يطلب منه ومن ادارة المنار وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة ماعدا أجرة البريد

(ديوان الحماسة)

هو مجموع ما اختاره من شعر العرب أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر الشهير وهو أشهر من نار على علم وكان الادباء يتنافسون في استظهاره، واقتباس جذى البلاغة من ناره، وقلما نبغ شاعر أو أديب ولم يكن حفظ ديوان الحماسة أو كثرة مطالعته من اسباب نبوغه • ولما فترت همم المتأخرين عن تلقي مثله من كلام العرب فتر الشعر وبرد حتى صار يقف لسماعه شعر صاحب الذوق وتغثى نفسه عند انشاده وانا نرى في زماننا هذا نهضة في احياء اللغة نشكر للوراقين اسعادها بما يطبعون من الكتب النافعة كهذا الكتاب والكتاب الذي قبله وماسيذكر بعده • فقد طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الازهرية ديوان الحماسة طبعاً مضبوطاً بالشكل وفسر في أدنى كل صفحة جميع الابيات فيها مختصرا ذلك من شرح التبريزي المشهور وجعله في جلد واحد بحجم أصغر من حجم المنار ليسهل تناوله على الطلاب ويخف حمله على المتأدبين وجعل ثمنه اثني عشر قرشاً فقط فقد اجتمع لمريده المرغبان في اقتنائه كثرة الفوائد وقلة الثمن وهو يطلب من طابعه بالسكة الجديدة بمصر

(ديوان أبي تمام)

أبو تمام من شعراء الطبقة الاولى من المولدين وجيده أعلى من جيد البحتري والمتنبي اللذين يقرنان به ولكن من رديئه ما هو دون رديئهما ولعله لولا حب الجناس

لما ارتكب التكلف ولما وقع في التعسف فأكثر رديئه في ذلك وهو عند أكثر المتأخرين لا يعد رديئاً بل ربما فضله عشاق المحسنات اللفظية على سائر شعره • وهو على كل حال من أهل الرعيل الاول ، والذين على بلاغتهم المعوّل ، وقد احتذاه وأخذ عنه من بعده حتى المتنبي • وكنت ترى من العجب ان الشعر ترتقي صناعته في هذه السنين وديوان أبي تمام لا يطبع المرة بعد المرة وقد أحس بهذه الحاجة محمد أفندي جمال البيروتي فانتدب لطبعه ورغب الى الشيخ محي الدين الخياط ان يفسر غريبه ويضبطه بالشكل ويصحح طبعه فأجابه الى ذلك ووضع للديوان مقدمة تكلم فيها عن الشعر بكلام شعري أي بالتخيلات والتشبيهات وعلى البلاغة والشعر العصري وعلى وجوب التوسع في اللغة وقبول الدخيل فيها وتعريبه وختمها بترجمة أبي تمام • وقد بلغت صفحات الديوان خمس مئة ونيف وثمنه في مصر اثنى عشر قرشاً وأجرة البريد قرشان وفي سائر البلاد ٣ فرنكات ونصف ويطلب من طابعه ببيروت ومن ادارة مجلة المنار بمصر

(ديوان ابن نباتة المصري)

جمال الدين محمد بن نباتة المصري من شعراء القرن الثامن كان من أهل العلم والادب ومدح الملوك والكبراء والعلماء وهو مشهور بالرقة والسلاسة في شعره على ما يحب المتأخرون وخاصة المصريين فان كلامه أحلى في ذوقهم وأدنى من استحسانهم ومن ذلك قوله في المقاطيع

يا مولعاً بملامي حسبك الله ... كم ذا تهيج مغرى القلب مضناه
هذا الحبيب وذا فكري وذا جلدي ... في راحتيه فقل لي كيف أنساه
إني لأعلم أن الرشد أجمعه ... في تركه غير ان النفس تهواه
ساجي اللواحظ خمري مقبله ... داجي الذوائب بدري محياه
ان كان للحب شخص فهو مهجته ... أو كان للحسن لفظ فهو معناه
أفديه بدرا بقلب الصب غزوته ... وفي السماء برغم الصب لقياه
لولم يكن ريقه خمرا ومرشفه ... ما عربدت عينه واهتز عطفاه

ولله في شعره نكت وكنايات مما يعرف الآن «بالنكت البلدية» لا تسلم من المجون وابن حجة يطربه في الثناء

وقد طبعه في هذه الايام الشيخ محمد القلقيلي وكتب له مقدمة ذكر فيها أن الذي أسعده على ما همت به رغبته وقصرت دونه يده ابراهيم بك رمزي صاحب مطبعة ومسبك التمدن • ولعمري أنه قد طبع طبعاً جميلا على ورق جيد يليق باتقان رمزي بك وبلغت صفحات الديوان ٥٩٦ صفحة وقد جعل ثمنه ٢٠ قرشاً ولمبتاعه كفلان من الفائدة أحدهما الانس بالديوان والتمتع بمطالعته وثانيهما إعانة طابعه على أعماله الادبية التي انصرفت همته اليها، واراد رمزي بك إسعاده عليها، وهو يطلب منه ومن مطبعة التمدن بجوار عابدين

(مجلة سركيس)

سليم افندي سركيس نشأ في حجر الصحافة حتى ترعرع وشب واكتهل فذاق حلوها ومرها، وعرف وصلها وهجرها، وفارق فيها الدار والوطن ،وهاجر بالاهل والسكن ، فاشتغل بالكتابة في الجرائد ببيروت ومصر وأمريكا ثم عاد الى مصر واختار ان ينشئ مجلة يقصر مباحثها على الافاكيه والملح الادبية ففعل فجاءت (مجلة سركيس) وحيدة في موضوعها لا يستغنى عنها في هذه البلاد بصحيفة من نوعها • واذا كانت المسائل العلمية والسياسية والاجتماعية والدينية وغيرها من حاجات اصناف من الناس فالفكاهة من حاجات جميع الناس يرغب فيها العالم والفقيه والفيلسوف والاديب والعامي والخاصي ومن ثم كان الرجاء بنجاح مجلة سركيس قويا لاسيما اذا أصاب في ملحه ونوادره مواقع الاعجاب من نفوس أبناء هذه البلاد وهو جدير بذلك لسعة اختباره • والمجلة تصدر في الشهر مرتين وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ قرشاً في مصر و ٢٠ فرنكا في سائر البلاد

باب الأخبار والآراء

(حضرموت واليمن)

نلخص ما يأتي من رسالة صديق لنا في حضرموت قال

كان خروجي الى حضرموت من عدن برا لاني لم أجد مركباً بحرياً اذ ذاك

فازددت بذلك علماً عن تلك الفيافي والقفار والبدو والحضر والعرب بتلك الجهات ووقفت على أحوالهم وعاداتهم وحالة الدين واندراسه ودسائس الانكليز هناك وما ينتظر للدولة العلية في اليمن ٠ قطعت في سيري أرض الفضلي وهي أول دولة من دول العرب هناك تلي انكلترا وتواليها ولها سواحل بالقرب من عدن أشهرها يسمى (شقره) ودونها بدوية استبدادية وعسكرها هم عصبة الملك وقبيلته وهم بدو حربيون ولها سياسة واسم ملكها أحمد بن حسين الفضلي وهو باسط بساط العدول والامان ومن عاداته أن من سرق له شيء أونهب من بلده يجيئه فيعطيه من خزينته عوض ماسرق أونهب منه ويذكي هو العيون على المعتدي حتى يظفر به ويسترد منه ما أخذه وله راتب سنوي من انكلترا نحو ١٢٠٠٠ روبية ويسمونه (مشاهرة) وقد وقع بينه وبين الانكليز تنافر من مدة لانه طلب سلاحا مدافع فلم تسمح له بذلك

يليه (يافع) ويقدرون ساكنيه بنحو ٧٥٠٠٠ ألفاً ويجلب منه (يصدر) الجلود والبن والورس والزعفران والذرة والقمح وغيرهما من الحبوب ٠ وهم بدو قبائل متفرقة يتحاربون ويتصالحون ولهم من الانكليز مرتب وقد أريدوا على الدخول في الحماية البريطانية فأبواه ولما قاتلوا الانكليز منذ عامين عاتبهم الباشا صاحب قحطبة من ولاية الدولة العلية

يليهم الجبال البيضاء وهي أرض ذات أنهار وخصب وأهلها بدو وهم موالون لانكلترا ولهم راتب منها — والعواذل وهم دولة وقصبتهم تسمى (دثينة) وهي خصبة ذات تربة طيبة ولم يطاوعوا انكلترا ولذلك أجلت المهاجرين منهم من عدن بالسعط لما عارضوا جنوده التي وجهها الانكليز الى بلاد العواذق

يليهم بلاد العواذق وأهلها قبائل لهم دولة من غيرهم ولا نفوذ له (يريد بالدولة الحاكم) وعاصمتهم (أنصاب) وهي ذات آثار وبقربها أحجار عليها كتابات حميرية ولملكهم ورؤساء القبائل مرتبات ولعالمهم (عاتق باكر) الذي له نفوذ هناك حتى انه ليجمع الزكاة من البادية راتب شهري من الانكليز قدره ٥٠٠ روبية على أنه يأخذ راتباً من الدولة العلية فهو منافق وميله القلبي الى بريطانيا ولذلك يوسع نفوذها هناك ٠ أما العواذق فيقدرون عسكرهم الذي يمكنه القتال بنحو ٤٠٠٠ الف (كذا

في الاصل فان كان مراده أربعة آلاف كما هو الظاهر فلا حاجة الى كلمة «الف» بعد الرقم ويقرب أن يكون عددهم أربعون ألفا ويبعد أن يكون أربع مئة الف فما كتب خطأ نرجو من الكاتب إصلاحه بعد وصول المنار اليه) حدثني بذلك رئيسهم أخذا من عددهم في الوقائع (الغزوات) القومية التي حشدهم فيها

يلي العواذق الى ناحية الشرق والبحر دولة الواحدي عاصمة حبان وهي بلدة قديمة أسس جامعها سنة ٢٦٦ للهجرة وكان بها من العلماء جهابذة فصحاء وقفت على بعض قصائدهم الفصيحة التي تكاد تسيل انسجاماً وحالتها اليوم جاهلية وهي تحت حماية الانكليز وقد عقدوا عهدا على خروجه اليهم (كذا) وساحلهم بالحاف وقد أخذ نصفه أمير المكلا القعيطي من أخي ملكها شراء فقامت انكلترا تعارض فيه والله يعلم هل يسلم له أم تأخذه انكلترا

(وههنا رسم الكاتب صورة تلك البلاد من عدن الى الشحر وانصاب العواذق وكتب عند ذكر (الحج) ان ملكها أحمد فضل العبدي قد باع أرضه من انكلترا وله راتب منها. وعند (قحطبه) انها اول ولاية لدولة العثمانية. وعند ذكر (الشحر) أنه عند أمير المكلا القعيطي وهو داخل تحت حماية انكلترا. وعند ذكر (سبأ) و(مأرب) ملكهما من الاشراف وهو محالف لانكلترا وله راتب وبينهم عهود وقد أوفدت انكلترا الى تلك البلاد وفدا علمياً فنقلوا رسوم الآثار والكتابات الحميرية التي على الصخور والاسطوانات الرخامية الحميرية الخ: وقال ان من يشاهد نفوذ الانكليز هناك يعتقد أن الدولة العلية سيتقاص ملكها عن قريب بسعي أولئك الرجال ٠) ونزيد قوله تعالى «وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين» فان عادوا للعدل، عاد الله عليهم بالفضل، ثم قال

على انني لم أخبركم ببعض الجبال والمراكز والقبائل فانظروا تروا انه اذا نشبت الحرب بين انكلترا والدولة فان انكلترا تأتيها من فوقها ومن أسفل منها ٠ وهذه المراكز الداخلة تحت حماية انكلترا أو في محالفتها تسمى باليمن الاسفل الا الضالع فانها من اليمن الاعلى ونفوذ انكلترا في اليمن الاسفل يمتد مسافة شهر تقريباً وستمد سكة حديدية تقطع هذا البر الى (أنصاب) عاصمة العواذق ثم تمر بعد ذلك في البوادي التي تحلها كنده ونهد والكرب الى الكويت ٠ ولم تدع انكلترا رأسا من رؤوس

القبائل الا واعطته مرتباً جارياً وكان تداخلها في هذه البلاد بواسطة واحد من أبنائها دخل البادية ونشأ فيها فهو يتكلم بلغتها وإذا دخل فيها يلبس لها لباسها الذى هو من السن الى الركبة (كذا) ورداء وعمامة وتسميه البادية (عبد الله بن منصور)

وأهل البادية يحدثون بعدل انكلترا وبديانتها التي تمليها عليهم القسوس بعدن ولقد حرت من تقريرهم لها اذ لا يعرفون معنى الدين الاسلامي ماهو وسيكون لذلك الاثر السيئ في تلك الاقطار اذا خالط أهلها الانكليز فالمعارف الدينية معدومة بالكلية حتى ان هناك الموالق السفلى والمناتلة منهم يقدرون بنحو ٢٠٠ لا يعرفون شيئاً من الدين ونكاحهم إنما هو نهب ينهب الواحد بنت الآخر ويتزوج بها فاذا ولدت ذهب أولادها يأتون بالعقد عند أبيها وانها لتفتخر على من تزوجت بالتراضي وينكح أحدهم أخته وخالته وزوجة أبيه بعد موته ولا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم

والبادية كلها متسلحة بالسلاح الحديث المكتوب عليه (كارديف) و(مارتين) و(سن ايتمنس) وانكلترا مشددة على الخرطوش فلا يصل اليهم الا بعد الجهد وهم يشترونه بأثمان باهظة. وانك لترى اهل البوادي يتسابقون الى عدن تسابق الجياع الى القصاع والمال ينهال عليهم حتى ان البدوي الذي يقنع بالروبية يعطى من المئة الى المئتين بلصه أو بخشيش ويسمونه فشح وسأخبركم بأخبار تلك الجهة على التحقيق وبما للسادة (الشرفاء) من النفوذ هنا ككون كل قبيلة لها (منصب) منهم أي رئيس روحي يعقد الصلح ويأخذ النذور ويستغاث بجده المعروف بالولاية

مكثت في تلك الجهات شهرين في حل وترحال الى أن وافيت حضرموت وأهلها في الجملة (قبورية) وسأخبركم بحالها وبسياسة أمير المكلا فيما يأتي. أما واردات المكلا خاصة فهي ٣٥٠٠٠٠ جنيه ياخذ عليها الامير مكسا باهظاً. وأما الصادر وهو التنباك والسمك وغيره فنحو ١٠٠٠٠٠ جنيه ولا تزال أساطيل انكلترا ومدرعاتها تطوف بهذه السواحل تتنسم الاخبار وعسى أن نوفق هنا للدعوة فانا وجدنا حزباً يوافق مانحن عليه واناساً يعرفون المنار اكثرهم ممن يتاجرون الى جاوه ودولة المكلا (اي اميرها) غائب بالهند وسأوافيكم بما يتجدد اهـ المراد منه

(تنازع الدول في جزيرة العرب)

كثرت أقوال الجرائد المصرية وغيرها في عناية الانكليز بتقوية نفوذها في بلاد

العرب وقد علمنا انه جاء مصر في هذه الايام وفد من فرنسا وآخر من ألمانيا وكل منهما يريد الذهاب من هنا الى بلاد العرب مستعيناً بالمصريين فأما الوفد الفرنسي فان من أعضائه علي أفندي زكي المصري وكيل المؤيد في باريس وصاحب المقالات الكثيرة التي تؤيد نفوذ فرنسا في بلاد المغرب وقد سعى صاحب المؤيد نفسه هنا في مساعدة هذا الوفد الذي سيذهب الى الخليج الفارسي ويكون وكيل المؤيد في البصرة مساعداً له. وأما البعث الالماني فقد استأجر من العربان هنا خمسين ذلولا واتخذ له مترجماً من شبان المصريين بأجرة كبيرة واشترى كثيرا من المصاحف المذهبة والكتب الدينية ووجهته الامير ابن الرشيد في نجد والعبرة في هذا ظاهرة لكل عاقل. وسيرة الدولة العلية في بلاد العرب معروفة لا حاجة الى شرحها والامر لله العلي الكبير

باب الانتقاد على المنار

وعدنا في آخر المجلد السابع بأن نجيب عن بعض الانتقادات التي وردت علينا في العام الماضي ولم نتمكن من ذكرها والجواب عنها الان كثرة المسائل العارضة اضطرتنا الى الإرجاء ولكننا نعجل الآن بذكر انتقاد جديد جاءنا من أحد القراء الفضلاء الواقفين على كنه الحال في الجزائر وغيرها من مستعمرات فرنسا قال بعد الثناء والتحية

«قد اطلعت في العدد الرابع من المجلد الثامن من مجلة المنار الاسلامية الغراء ما يأتي: وليت المراكشيين يعلمون ان ألمانيا ليست خيرا من فرنسا في مستعمراتها بل هي شر منها وانهم اذا لم يستفيدوا من المناظرة بينهما بالعقل والحكمة دون الاتكال على الكرامات فلا يكون دخول الالمان في بلادهم الا وبالا عليهم: وبعد أن نظرت في هذا المقال أنا وأصحابي وتأملنا فيه من جميع أركانه لم نجده الا غلطا عظيما ولم نظن قبل اليوم أن أهل الفضل مثل سيادتكم يقولون كلاما مساعداً لاهلاك خمسة عشر مليونا من المسلمين معاونا للسياسة الفرنسويين التعساء»

ثم طفق يعد سيئات لفرنسا في الجزائر كهدم المساجد وغصب الارزاق ومناهضة العرب ونصر اليهود عليهم ويبرئ ألمانيا من مثل ذلك ويذكرها بالثناء. وقال لا تغتر بكلام الموسيو لوسياني وغيره مع الاستاذ الامام ولا تجديد مدرسة لاربعة ملايين، عدد تلاميذها عشرون، فانه في عهد الحاكم الجديد جنار كثر الكذب والتغرير واشتريت

بعض الجرائد المصرية ٠٠٠ بمائتي ألف فرنك لتكون عوناً له في سياسته ضد الاسلام حول المغرب وتوليته عليه – الى آخر ماقال

ونحن نخشى أن يكون فهمه لسياسة فرنسا كفهمه لعبارة المنار التي انتقدها فانه ليس الغرض منها الا نصيحة المراكشيين بترك الغرور بالقبور وتوجيه العناية الى الاستفادة من تنازع المانيا وفرنسا على البلاد على حد قول الشاعر العربي

تفرقت غنمي يوماً فقلت لها   يارب سلط عليها الذئب والضبعا

فان كان يرى الفائدة في استيلاء المانيا على مراكش بغضاً بفرنسا فانه يريد تشفي غيظه بما يضر المسلمين ويذهب باستقلالهم كما كان بعض المصريين يفعلون بالسعي لدى فرنسا لاخراج انكلترا من مصر ولو أخرجتها لحلت محلها . فالذي نوده نحن أن تبقى البلاد مستقلة ولكن مع سعي حكومتها وزعمائها في عمرانها والا كنا طالبين للخراب والجهل الدائمين وهو طلب لاقيمة له عند الله ولا عند الناس فالارض يرثها من هو أصلح لعمارتها شئنا أم أبينا ، سخطنا أم رضينا، وأما قولي ان المانيا شر من فرنسا فهو مبني على ماكان كتب الي من مستعمرتها في شرقي افريقية كما بينت ذلك في الجزء الخامس (ص ٢٠٠) فكيف غفل عنه

أما رأينا في سياسة فرنسا مع المسلمين في مستعمراتها فقد بيناه غير مرة وقلنا انه يستحيل أن يطمئن المسلمون لحكمها مالم تمنحهم الحرية التامة في الدين والعلم وتساعدهم على التعليم والعمران بالفعل لا بالقول ولا بايهام الجرائد وان سميت اسلامية وقد سمعنا وقرأنا مادلنا على انها قد اهتدت الى هذا الرأي فان كان ذلك حقاً فسترى حسن عاقبته وان كان توهماً كما يقول المنتقد فلا يلبث ان ينكشف ولكن من يغلو في الانتقاد قلما يؤخذ كلامه بالقبول فليفهم هذا

(استدراك)

نقلنا في الجزء الماضي ماترجمته جريدة اللواء عن جريدة الغلوب الانكليزية في حادثة ترك الشيخ محمد عبده للازهر وقد سقط مماحكته الجريدة من كلام الشيخ محدثه هذه الجملة: «ثم قال – أي الشيخ – فهل يسر الانكليز تخريجي لهم رجالا مستعدين يفهمون حقوقهم ويعرفون كيف يدافعون عنها بقوة مستمدة من العلم والمعرفة ؟ » اه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر – ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٣ – ١٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢٢١:٢٢٢) وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * (٢٢٢:٢٢٣) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ *

قوله تعالى (ويسئلونك عن المحيض) هو السؤال الثالث من الاسئلة التي وردت معطوفة بالواو وهو يتصل بما قبله وما بعده في ان ذلك من الاحكام المتعلقة بالنساء وقد كانت هذه الاسئلة في المدينة حيث الاختلاط

بين العرب واليهود وهؤلاء يشددون فى مسائل الحيض والدم كما هو مذكور فى الاصحاح الخامس عشر من سفر اللاويين ومنها أن كل من مس الحائض في أيام طمثها يكون نجسا الى المساء وكل ما تجلس عليه أو تضطجع عليه يكون نجسا وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا الى المساء وكل من مس متاعا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا الى المساء وان اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجسا سبعة أيام وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسا الخ. وللرجل الذي يسيل منه دم نحو هذه الاحكام عندهم. وأما النصارى فقد نقل عنهم أنهم كانوا يتساهلون فى أمر المحيض وكانوا مخالطين للعرب فى مواضع كثيرة ومن شأن الناس التساهل فى أمور الدين التي تتعلق بالحظوظ والشهوات فلا يقفون عند الحدود المشروعة فيها لمنفعتهم ومصلحتهم فكان اختلاف ما عرف المسلمون عن أهل الكتاب مما يحرك النفس للسؤال عن حكم المحيض في هذه الشريعة المصلحة فسألوا كما فى حديث أنس عند مسلم والترمذي فأنزل الله تعالى على نبيه (ويسألونك عن المحيض) أي عن حكمه والمحيض هو الحيض المعروف ولا حاجة الى تقدير محل المحيض فانما يسئل الشارع عن الاحكام (قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) قدم العلة على الحكم ورتبه عليها ليؤخذ بالقبول من المتساهلين الذين يرون الحجر عليهم تحكما ويعلم انه حكم للمصلحة لا للتعبد كما عليه اليهود . والمعنى انه يجب على الرجال ترك غشيان نسائهم زمن الحيض لأن غشيانهن سبب للأذى والضرر واذا سلم الرجل من هذا الاذى فلا تكاد تسلم منه المرأة لأن الغشيان يزعج أعضاء النسل فيها الى

ما ليست مستعدة له ولا قادرة عليه لاشتغالها بوظيفة طبيعية أخرى وهي إفراز الدم المعروف . وقد فسر الجلال الاذى بالقذر تبعا لغيره على ان أخذه على ظاهره مقرر فى الطب فلا حاجة الى العدول عنه . وقد جاء هذا الحكم وسطا بين إفراط الغلاة الذين يعدون المرأة الحائض وكل من يمسها أو يمس ثيابها أو فراشها من النجاسات وتفريط المتساهلين الذين يستحلون ملابستها فى الحيض على ما فيه من الأذى والدنس . وقد أفادت عبارة الآية الكريمة تأكيد الحكم اذ أمرت باعتزال النساء فى زمن المحيض وهو كناية عن ترك غشيانهن فيه ثم بينت مدة هذا الاعتزال بصيغة النهي والحكمة في التأكيد هي مقاومة الرغبة الطبيعية فى ملابسة النساء وإيقافها دون حد الايذاء وقد كان يظن بعض الناس أن الاعتزال وترك القرب حقيقة لا كناية وانه يجب الابتعاد عن النساء فى المحيض وعدم القرب منهن بالمرة ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بين لهم ان المحرم انما هو الوقاع.

عن أنس بن مالك ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن فى البيوت فسأل أصحاب النبي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عزوجل « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى » الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنعوا كل شيء الا الجماع » رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن . وفى حديث حزام بن حكيم عن عمه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال « لك ما فوق الازار » أي ما فوق السرة رواه أبو داود وقد حمله بعضهم على من يخاف على نفسه الوقاع وكأن السائل كان كذلك وقال بعضهم ان هذا الحديث مخصص للحديث الاول ولما فى معناه فلا يجوز

الاستمتاع الا بما بين السرة والركبة ، وهو تخصيص بالمفهوم والخلاف فيه عند الاصوليين معلوم. قرأ الحمزة والكسائي وعاصم (يطهرن) بتشديد الطاء واصله يتطهرن والباقون بالتخفيف

(فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) الطهر في قوله تعالى «حتى يطهرن» انقطاع دم الحيض وهو مالا يكون بفعل النساء وأما التطهر فهو من عملهن وهو يكون عقب الطهر واختلفوا في المراد منه فقال بعض العلماء هو غسل أثر الدم وقال مجاهد وعكرمة ان انقطاع الدم يحلها لزوجها ولكن تتوضأ والجمهور على ان المراد به الاغتسال بالماء إن وجدوا الافالتيمم . وقال الحنفية إن طهرت لأقل من عشر فلا تحل الا اذا اغتسلت وان طهرت لعشر حلت ولو لم تغتسل وهو تفصيل غريب . والظاهر ان المراد بالامر في قوله « فأتوهن من حيث أمركم الله » الأمر التكويني أي فأتوهن من المأتى الذي كوّن الله تعالى الفطرة على الميل اليه ومضت سنته بحفظ النوع به وهو موضع النسل. ويحتمل أن يكون المراد بالأمر ماقضت به شريعة الله تعالى من طلب التزوج وتحريم الرهبانية فليس للمسلم ان يترك الزواج على نية العبادة والتقرب الى الله تعالى لانه سبحانه قد امتن علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجا لنسكن اليها وأرشدنا الى ان ندعوه بقوله « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » ولا يتقرب اليه تعالى بترك ماشرعه وامتن به على عباده وجعله من نعمه عليهم . فإتيان النساء بالزواج الشرعي من الجهة التي يبتغى بها النسل من أعظم العبادات وتركه مع القدرة عليه وعدم المانع مخالفة لسنة الله تعالى في خليقته وسنته في شريعته ولما قال عليه الصلاة والسلام « وفي بضع أحدكم صدقة » قالوا يارسول الله أيأتي

أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر» الحديث وكأن السائلين كانوا توهموا ان الاسلام يكون كالأديان الاخرى يجعل العبادة في تعذيب النفس ومخالفة الفطرة كلا انه دين الفطرة يحمل الناس على إقامتها مع القصد وعدم البغي فيها

(ان الله يحب التوابين) الذين اذا خالفوا سنة الفطرة بغلبة سلطان الشهوة فأتوا نساءهم في المحيض أو في غير المأتى الذي أمر الله به يرجعون اليه ولا يصرون على فعلهم السيء (ويحب المتطهرين) من الأحداث والأقذار ومن إتيان المنكر بل هؤلاء أحب اليه من الذين يقعون في الدنس ثم يتوبون منه

ثم قال تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) بين في الآية السابقة حكم المحيض وأحل غشيان النساء بعده وبين في هذه الآية حكمة هذا الغشيان التي شرع الزواج لأجلها وكان من مقتضى الفطرة وهي الاستنتاج والاستيلاد لان الحرث هو الأرض التي تستنبت والاستيلاد كالاستنبات وهذا التعبير على لطفه ونزاهته وبلاغته وحسن استعارته تصريح بما فهم من قوله عزوجل « فأتوهن من حيث أمركم الله » أو بيان له فهو يقول انه لم يأمر باتيان النساء الأمر التكويني بما أودع في فطرة كل من الزوجين من الميل الى الآخر والأمر التشريعي بما جعل الزواج من أمر الدين وأسباب المثوبة إلا لأجل حفظ النوع البشري بالاستيلاد كما يحفظ النبات بالحرث والزرع فلا تجعلوا استلذاذ المباشرة مقصودا لذاته فتأتوا النساء في المحيض حيث لا استعداد لقبول زراعة الولد وعلى مافي ذلك من الاذى . وهذا يتضمن النهي عن إتيانهن في غير المأتى الذي يتحقق به معنى الحرث ، وقوله تعالى « أنى شئتم » معناه كيف شئتم

« وأنَّى » تستعمل غالبا بمعنى « كيف » وتستعمل بمعنى « أين » قليلا ولا يظهر هنا لان الحرث له مكان واحد لا يتعداه والأمر مقيد به ولذلك أعاد ذكر الحرث مظهراً ولم يقل « فأتوهن أنى شئتم » فكأنه يقول : لا حرج عليكم فى إتيان النساء بأي كيفية شئتم ما دمتم تقصدون بها الحرث لان الشارع لا يقصد الى إعناتكم ومنعكم من لذاتكم ولكن يريد ليوقفكم عند حدود المصلحة والمنفعة كيلا تضعوا الاشياء فى غير مواضعها فتفوت المنفعة وتستبدل بها المفسدة . وهذا التفسير الذي ظهر به ان الآية متممة لمعنى ما قبلها يغنينا فى فهمها عما روي فى أسباب النزول

وقد ذهب بعض المفسرين والمحدثين الى ان (أنى) فى الآية بمعنى المكان لا بمعنى الكيفية والصفة وقالوا انها نزلت فى إباحة الاتيان فى غير المزدرع والحرث فمعناها فى أي النافذتين شئتم . قال الاستاذ الامام إن جنون المسلمين بالرواية هو الذي حمل بعضهم على تفسير الآية بهذا المعنى الذي تتبرأ منه عبارتها العالية ونزاهتها السامية ولم يلتفتوا الى ذوق التعبير ومراعاة الادب في بيان هذه الاحكام كما رأوا في الآية الكريمة فقد فاتهم فهم حكمها كما فاتهم فهم حكمتها ونزاهتها وأدبها . وأقول ان ما اختاره الاستاذ الامام في تفسير «أنى شئتم» هو المأثور عن أئمة السلف والخلف وهو ظاهر من لفظ الآية لا يشتبه فيه من له ذوق العربية والروايات متعارضة متناقضة وأصحها حديث جابر عند الشيخين وأهل السنن وغيرهم وهو ان سبب نزولها حظر اليهود إتيان الحرث بكيفية غير المعهودة وزعمهم ان الولد يجيء أحول وأما ما روي فى إباحة الخروج عن سنة الفطرة فلا يصح منه شيء ولئن صح سندا فهو لن يصح متنا ولا نخرج عن هدي القرآن

ومحجته البيضاء لرواية افراد قيل انه لا يعرف عنهم ما يجرح روايتهم

ويؤيد التفسير المختار قوله تعالى بعد ما تقدم (وقدموا لأنفسكم واتقوا الله) الخ فهذه أوامر تدل على أن هنا شيئاً يرغب فيه وشيئا يرغب عنه ويحذر منه . أما ما يرغب فيه فهو ما يقدم للنفس وهو ما ينفعها فى المستقبل ولا أنفع للانسان فى مستقبله من الولد الصالح فهو ينفعه فى دنياه كما هو ظاهر وفى دينه من حيث إن الولد سبب وجوده وصلاحه وقد ورد فى الحديث ان الولد الصالح من عمل المرء الذي ينفعه بعد موته ولا يكون الولد صالحا الا اذا أحسن والداه تربيته فالامر بالتقديم للنفس يتضمن الأمر باختيار المرأة الودود الولود التي تعين الرجل على تربية ولده بحسن خلقها وعملها كما يختار لزراعته الأرض الصالحة التي يرجى نمو النبات فيها وايتاؤه الغلة الجيدة ويتضمن الأمر بحسن تربية الولد وتهذيبه . وأما ما يحذر منه ويتقى الله فيه فهو إخراج النساء عن كونهن حرثا بإضاعة مادة النسل فى المحيض او بوضعها فى غير موضع الحرث ، وكذلك اختيار المرأة الفاسدة التربية واهمال تربية الولد ، فان الأمر بالتقوى ورد بعد النهي عن اتيان النساء فى المحيض والأمر باتيانهن من حيث أمر الله تعالى وهو موضع الحرث والامر بالتقديم لانفسنا فوجب تفسير التقوى بتجنب مخالفة هذا الهدي الإلهي . وقوله تعالى (واعلموا أنكم ملاقوه) إنذار للذين يخالفون عن أمره بأنهم يلاقون جزاء مخالفتهم فى الآخرة كما يلاقونها فى الدنيا بفقد منافع الطاعة والامتثال وتجرع مرارة عاقبة المخالفة والعصيان . ثم قرن إنذار العاصين بتبشير المطيعين فقال (وبشر المؤمنين) الذين يقفون عند الحدود ويتبعون هدى الله تعالى فى أمر النساء والاولاد ، وقد

حذف ما به البشارة ليفيد انه عام يشمل منافع الدنيا ونعيم الآخرة . ولا يعزب عن فكر العاقل ان من يختار لنفسه المرأة الصالحة ولا يخرج في شأن الزوجية عن سنة الفطرة والشريعة في ابتغاء الولد ثم انه يحسن تربية ما يرزقه الله من ولد فانه يكون في الدنيا قرير العين بحسن حاله وحال أهله وسعادة بيته . وأما الذين تطغى بهم شهواتهم فتخرجهم عن الحدود والسنن فانهم لا يسلمون من المنغصات والشقاء في حياتهم الدنيا وهم في الآخرة أشقى وأضل سبيلا وانما سعادة الدارين في تكميل النفس بالاعتقاد الصحيح والاخلاق المعتدلة وتلك هي الفطرة السليمة . والتعبير بالمؤمنين يشعر بأن العمل والامتثال والإذعان مما يتحقق به ايمان المؤمن وان فائدة الايمان بثمراته هذه وان شئت قلت بتمام أركانه وهي الاعتقاد والقول والفعل كما ورد في الاحاديث الصحيحة المبينة للآيات الكريمة الدامغة للذين يفصلون بين الاعتقاد والأعمال اللازمة له

وإننا نعيد التنبيه للاقتداء بنزاهة القرآن في التعبير عن الامور التي يستحيا من التصريح بها بالكنايات البعيدة التي يفهم منها المراد ولا تستحي من تلاوتها العذراء في خدرها فان الاتيان بمعنى المجيء فهو كناية لطيفة كقوله «ولا تقربوهن» وتشبيه النساء بالحرث لا يخفى حسنه . فاين هذه النزاهة مما تراه لبعضهم في تفسيرها وتفسير أمثالها من الآيات المعجزة بنزاهتها كاعجازها ببلاغتها ومما تراه في بعض كتب الدين الأخرى من العبارات المستهجنة التي قد يستغنى عنها في بيان المراد منها



فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين له اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ الاتصال بين الآيات والسور وجمع القرآن ﴾

(س٢٣) ا٠ت٠ بقزان (روسيا) : أعرض عليكم أيها الاستاذ ما اعترض به علي أحد الروسيين بعد ما ترجمت له تفسير القرآن من مجلتكم المنار الاغر على قول الاستاذ بالاتصال بين الآيات والسور قال: ان المتفق عليه عند علماء المسلمين أن القرآن نزل الى الرسول عليه السلام مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة وأول سورة أنزلت «اقرأ باسم» على قول الاكثرين ، وهذا المصحف الذي أوله سورة الفاتحة ليس على ترتيب النزول بل جمع ورتب بهذا الترتيب في عهد أبي بكر رضي الله عنه فكيف تكون الآيات والسور متصلة مع ما يليها — على أن بعض الآيات من السورة الواحدة أنزلت بمكة وما يليها بالمدينة وبين نزولهما عدة سنين ؟ وأيضاً كيف جمعوا السور والآيات على هذا الترتيب هل كان بتعيين من النبي عليه السلام أم لا؟ وهل في هذا خبر متواتر أو مشهور ؟

وأنا الحقير أجبت الروسي بقدر وسعي والآن أرفع المسألة الى حضرتكم راجياً منكم الجواب ولكم من الله الاجر والثواب

(ج) لا خلاف بين المسلمين في أن بعض السور نزل جملة واحدة وبعضها نزل متفرقاً على حسب الوقائع والاحوال وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يجمع كل سورة عندما كتبها ويملها على كتبة الوحي ويقرئها القارئين ولكن جمع السور كلها في مصحف واحد هو الذي كان على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وكتبت النسخ ووزعت على الامصار في خلافة عثمان فعملهم هذا كان عملا إجماعياً ونقلا متواتراً ، لم يختلفوا في ترتيب السور فضلا عن ترتيب الآيات وانما تردد عمر أولا في جمع القرآن في مصحف واحد لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ثم وافق منشرح

الصدر وكانه تذكر أن زمنه عليه السلام كان كله ظرفاً للوحي وانما يكون الجمع بعد التمام وقد روى ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال آخر مانزل من القرآن كله « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » الآية وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات فأنت ترى أن تسع ليال فى المرض لاتقسع لجمع القرآن في مصحف واحد وأنه لم يكن ذلك ضرورياً فانه عليه الصلاة والسلام كان يأمر عند نزول كل آية بأن تلحق بسورة كذا ويعين موضعها ويقرئهم السورة بعد تمامها وكان عالما بأن كل ذلك محفوظ. في الصدور وفى الطروس ونحوها مما يكتب عليه ولو لم يكن هذا الترتيب متفقاً عليه لانه مأخوذ عنه صلى الله عليه وسلم بالتواتر لاختلفوا فيه اختلافاً عظيما فلا حاجة الى الاطالة بذكر الروايات مع هذه الحجة

وأما الاتصال بين الآيات وبين السور ومافيه من التناسب والتناسق ونكت البلاغة فهو تابع للترتيب وقد علمت أن الترتيب كان مقصودا بتوقيف من الشارع وما كان بالقصد يراعى فيه مثل ذلك ولو رتبت الآيات كلها على حسب النزول لكان اتصال بعضها ببعض والتناسب بين المتقدم منها والمتأخر من مثارات العجب التي يسئل فيها عن السبب اما وقد رتبت بالقصد وبالتوقيف من الوحي فهي كانها نزلت مرة واحدة بهذا الترتيب فاعتراض الرومي على ماذكره من وجوه الاتصال والتناسب بين الآيات مبني على الجهل بأن ترتيب الآيات كان توقيفياً، على أنه لو كان من عمل الصحابة لما كان ذلك فيه غريباً الا اذا ثبت ان هذا التناسب قد انتهى فى البلاغة الى حد الاعجاز فكان بنفسه معجزا وليس هذا ببعيد فوجوه الاعجاز فى القرآن كثيرة ومنها هذا الوجه الوجيه • هذا وان التناسب في اتصال الايات بعضها ببعض بين ظاهر لاتكلف فيه ولا تعسف وليس هو من قبيل الدعاوي النظرية فيورد عليه ما أورد بل هو من الامور الوجودية الحقيقية فليفرض ماشاء فى جمع القرآن وترتيبه فهو شيء قد مضى وهذا شيء حاضر لايمارين فيه الامكابر ، وانا ان شاء الله تعالى سنجرد تفسير المنار ونطبعه على حدته ونضع له مقدمة نشرح فيها هذه المسائل وأمثالها شرحاً كافياً والله الموفق والمعين

(بلاد روسيا دار حرب أو اسلام والروسيون كتابيون أم وثنيون)

(س٢٤) ومنه: قد اختلف علماؤنا فى الروسيا فى دارنا هل هي دار حرب أم دار اسلام وهل الروسيون كتابيون أم وثنيون؟ نرجو من جنابكم الافادة بلسان مجلتكم المنار • عز الله بها المسلمين وأنار،

(ج) قد اختلفت عبارات الفقهاء والمحدثين في تعريف دار الحرب ودار الاسلام فلا جرم أن الذين يأخذون العلم من الالفاظ يختلفون فى تطبيق تلك الاقوال على كل دار وكل مملكة فيمكن أن يقال ان بعض البلاد التي لايوجد فيها مسلم أصلي ولا حكم فيها للاسلام انها دار اسلام بناء على قول بعضهم ان دار الاسلام هي مايمكن المسلم اظهار دينه فيها ولايخاف فتنة في دينه فأكثر بلاد أوربا وأمريكا كذلك ولكنها ليست دار اسلام • وان كثيرا من البلاد التي حكامها مسلمون يفتن المرء فيها عن دينه فلا يقدر على اظهار جميع مايعتقد ولاأن يعمل بكل مايجب عليه لاسيما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانتقاد الاحكام المخالفة للشرع فهي على قول بعضهم دار حرب • والذي يؤخذ من مجموع الاقوال التي يعتد بها أن العبرة هنا بظهور الكلمة ونفوذ الحكم فاذا كانت الاحكام لاهل الاسلام لامعارض لهم في تنفيذ شريعتهم وإظهار دينهم وكان غيرهم آمناً في سربه بتأمينهم حرا فى دينه بسلطتهم وحمايتهم فالدار التي هذا شأنها دار اسلام والا فهي دار كفر وحرب • ولعلنا نشرح هذه المسألة ومايتعلق بها من حكم الهجرة وغيره فى مقالة مستقلة • وأما الروسيون فهم أهل كتاب وان شابت عقائدهم الوثنية وأعمال الشرك لانهم يؤمنون بالله وبالوحي والانبياء واليوم الاخر وتجد تفصيل هذا البحث في التفسير من الجزء السابع (الماضي)

(عمل الفقهاء باقوال مذاهبهم وان خالفت الحديث الصحيح)

(س ٢٥) الشيخ صحيح أحمد المصري إمام المسجد الكبير بكلكته (الهند):

قد وقف بعض من ينتمي لطلبة العلم الشريف بالهند على قول الاستاذ الامام في صفحة ٣٣٦ الجزء (٩) من المجلد السابع من مجلتكم الغراء في خلال بيانه ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال أقوال الناس بهما: ولكننا اذا نظرنا فى أقوال الفقهاء وتشعبها وخلافاتهم وعللها فاننا نحار فى ترجيح بعضها على بعض اذ نجد بعضها

يحتج عليه بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير معتمد عندهم بل يقولون فيه المدرك قوي ولكنه لا يفتى به ولماذا لأن فلاناً قال : الخ فأنكر ذلك واستكبره وقال لا ينبغي لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول مثل ذلك نعم قد يترك الفقهاء العمل بظاهر الحديث لسبب من الاسباب لكن من بعد تبيين السبب الموجب للعدول عن ظاهره أوعنه بالكلية كمعارضته بحديث آخر مثله في الصحة أو أصح أو أقل منه في الصحة ولكنه مؤيد بأدلة أخرى أو بأن الاجماع أو عمل الصحابة على خلافه ونحو ذلك كما ان مالكا روى أحاديث القبض ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه في موطئه وترك العمل بها لانه أدرك عمل أهل المدينة على خلافها وأما ترك الحديث الصحيح بعلة ان فلاناً قال فما وقفنا عليه في شيء من الكتب التي بأيدينا وتبعه على ذلك جميع المقلدين بكلكته فلما رأيت القوم في شك من صحة قول الاستاذ الامام وكانت غيرة الجنسية والوطنية باعثاً قوياً على الانتصار لفضيلته ولم يكن لدي ما انتصر به لجهلي وعدم وجود الكتب اللازمة بطرفنا فلم أجد لي ملجأ الا ارشادكم لازلتم ملجأ للسائلين فحررت اليكم هذا السؤال والغرض من سعادتكم أن تبينوا لنا من القائلون في مثل هذا: المدرك قوي ولكنه لا يفتي به لان فلاناً قال: من غير بيان وجه العدول عن الحديث وفي أي كتاب ذكرت هذه المسئلة واشباهها أدركونا سيدي بالجواب والا أصبح علماء الهند في شك مما ينقل عن الاستاذ الامام

(ج) ان ما قاله في تعارض الحديثين هو المذكور في كتب الأصول التي يرون العمل بأحكامها خاصاً بالمجتهدين وقد صرحوا بأنه يجب على المقلد ان يعمل بقول علماء مذهبه وإن خالفت الأحاديث الصحيحة التي لا يشك في صحتها ولا يعرف لها معارضاً ثم حكموا بأن الاجتهاد ممنوع فيجب على جميع المسلمين ان يكونوا عالة على ما دونه الفقهاء وان رأوا فيه ما يخالف السنة الصحيحة فان كان المعترض ينكر هذا جئناه بنصوصهم التي لا يجهلها الا اذا كان لم يقرأ الفقه لاسيما فقه الحنفية . بل الامر أعظم من ذلك فانهم قبل منع الاجتهاد والأخذ من الكتاب والسنة قد اتخذوا لهم أحكاماً عامة جعلوها أصولا للشريعة وقالوا ان ما يخالفها من الكتاب والسنة يحمل على النسخ أو على الترجيح أو التأويل فهم قد جعلوا الكتاب والسنة فرعاً يحمل على

غيره لا أصلا يحمل غيره عليه كما ترى في أصول الكرخي المتوفى سنة ٣٤٠ هـ وقد ذكرنا قوله وبينا رأينا فيه في المجلد الخامس واذكر بعض ما قاله ويراجعه هناك من يريد التفصيل قال:

(الاصل) «ان كل آية تخالف قول أصحابنا فانها تحمل على النسخ أو على الترجيح والاولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق »: وذكر مسائل يمكن ان تجعل الآيات فيها أصلا ويستغنى عن قاعدته مع بقاء الحكم كما قال أصحابهم ثم قال :

(الاصل) «أن كل خبر يجيء بخلاف قول أصحابنا فانه يحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله ثم صار الى دليل آخر أو ترجيح فيه بما يحتج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل فان قامت دلالة النسخ يحمل عليه وان قامت الدلالة على غيره صرنا اليه » : ثم ذكر أمثلة تحكم فيها بالنسخ مع عدم العلم بالتاريخ وبالمعارضة والترجيح . وكان يجب أن يجعل الكتاب والسنة هما الاصل ويعرض قول الاصحاب وأدلتهم عليهما فان وافقت وإلا تركت وعمل بالكتاب والسنة

ومن فروع هذا الاصل عند المقلدين أنهم يحتجون ببعض الحديث على ما يوافق قول أصحابهم ويتركون الاحتجاج ببعضه الآخر اذا خالف قولهم وفي المجلد السادس من المنار ٦٦ شاهدا على ذلك فلتراجع في الاجزاء ١٤ و١٥ و١٦ منه ومن راجع كتب الحديث يجد كثيرا من ذلك . وقد استقر رأي أهل التقليد المتأخرين على ان العلماء طبقات أعلاها المجتهد المطلق وهو الذي يأخذ الاحكام من الكتاب والسنة والاجماع والقياس زاد الحنفية والاستحسان وأدناها طبقة الناقلين عن أهل التصحيح والترجيح في الاحكام المروية في المذهب وهؤلاء يجب عليهم الاخذ بأقوال من فوقهم من غير تقيد بمعرفة دليلهم ويحرم عليهم ترك رواية المذهب لما يفهمونه من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة وقد صرح بذلك ابن عابدين وغيره من المؤلفين فان كان المعترض ينكر ذلك ذكرنا له العبارات بنصها وان كان يعترف به فليخبرنا هل دلت عبارة التفسير على ما هو أكبر منه؟

ثم بعد هذا كله ان كان يلتمس لهؤلاء القوم عذرا في هذا فلماذا لا يلتمس العذر

لمن يجعل الكتاب والسنة هما الاصل وهو الموافق لما كان عليه السلف الصالح والائمة المجتهدون رضوان الله عليهم أجمعين فقد نقل عن الاربعة وعن غيرهم التصريح بتحريم تقليدهم وتقليد غيرهم

(ايراد على ترك التقليد)

(س٢٦) (ومنه): قال ذلك البعض عند قول الاستاذ في الصفحة المذكورة في السؤال الاول: بل نحن نقول انه يجب على ذي الدين أن ينظر دائما الى كتابه حتى لا يختلط ولا يشتبه عليه شيء من أحكامه ولا يجوز لاحد الخ يظهر من هذا الصنيع أن مراده ترك التقليد بالكلية والرجوع الى الكتاب والسنة وعدم التعويل على قول أحد من الفقهاء والائمة المجتهدين ونحن نقول الداعي الى ذلك لا يخلو عن مقصد حسن يعود نفعه على الامة أولا فان كان الاول بأن كان مراده ترك المشاغبات بين المسلمين المؤدية الى تأخرهم في أمر دينهم ودنياهم فنقول له هل أنت بعد هذا تطلق الحرية للافكار والآراء في الاخذ من الكتاب والسنة أم تحمل جميع الآراء على اتباع رأي تراه مطابقاً للكتاب والسنة فان قلت بالاول وهو الظاهر من صنيعك فانا نخشى أن تتعدد المذاهب بتعدد الاراء فان اتفاق جميع الاراء على قول واحد غير معقول وان قلت بالثاني فقد دعوت الى ما انتدبت لابطاله وان كان الثاني فقد دعا الى ذلك محمد ابن عبد الوهاب النجدي من نحو مائة وخمسين سنة ولم يفد ذلك شيئاً في عقائدنا مع انا نعلم قطعاً أن اتباع الائمة الاربعة كانوا على هدى من ربهم متبعين لكتاب الله وسنة رسوله الا ماشذ عنهما فطريقه اما القياس واما الاجماع قبل ظهور هذه الدعوة وقبلها دعوة الوهابي والحاصل ياسيدي انه لا يخفى على فضيلتكم بما ذكرنا ان الناس بطرقنا قد اتهموا الاستاذ ومن نقل عنه بأنهم داعون الى اتباع مذهب النجدي وترك المذاهب الاربعة فالمرجو من سيادتكم أن تبينوا لنا مراد الاستاذ بان تجيبوا عن الاعتراضات المتقدمة في قول ذلك البعض لينكشف لنا الغطاء عن خرافات هؤلاء الاعاجم جزاكم الله عن الاسلام والمسلمين خيراً

(ج) اما زعم المعترض انه يلزم من تلك العبارة الرجوع الى الكتاب والسنة فهو صحيح وأما قوله «وعدم التعويل على قول أحد من الفقهاء والائمة» فهو

غير صحيح على إطلاقه وانما المراد عدم تقديم قول فقيه على قول الله ورسوله ويمكن الجمع بين الاهتداء بالكتاب والسنة والانتفاع في ذلك بكلام الائمة بأن تنظر في أقوالهم ونعرضها على الكتاب والسنة كما أمروا ونستعين بها على فهمهما فما وافق أخذنا به وماخالف ضربنا به عرض الحائط كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه ولا نجعل كلامهم أصلا نعرض عليه الكتاب والسنة فان وافقاه والا اولناهما أو تركناهما تعللا باحتمال النسخ والاصل عدمه باتفاقهم .

وأما سؤال المعترض هل نطلق الحرية للآراء والافكار في الاخذ من الكتاب والسنة ام نحملهم على رأي واحد وايراده على كل واحد من طرفي الترديد ما اورده فانا نجيبه عنه بما ليس في حسبانه فنقول : لاشك ان الكلام في المسائل الخلافية وقد كان السلف من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين يطلقون الحرية في المسائل الاجتهادية لكل أحد في المسائل العملية المتعلقة بالشخص لا بالحكومة وكانوا لا يرون ذلك موجباً للخلاف والتفريق ولا للتنازع والتقاطع كما حدث بعد التزام المذاهب والتعصب لها بل كان كل يعذر الاخر فيما خالفه فيه .

وأما المسائل المتعلقة بالسياسة والقضاء لا بالأعمال الشخصية كالعبادة فكانوا يدعونها الى الحكام الفقهاء القادرين على استنباط الاحكام وكان هؤلاء يتشاورون في الامر ويردون ماتنازعوا فيه الى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة ثم تطبيقه على مصلحة الامة حتى صار ائمة الجور ثم سلاطين الجهل والبغي هم الحاكمين . والواجب الآن ان نجمع كلمة المسلمين على المسائل الاجتماعية ونحيي روح الدين فيهم بهدي الكتاب والسنة ونطلق الحرية لكل مسلم أن يهتدي بالكتاب والسنة بحسب فهمه ان كان من أهل الفهم الذين أعدوا له عدته وأولها معرفة العربية وأساليبها وما قاله علماء السلف وأئمة الخلف ممحصاً تمحيصاً وكل ذلك مدون في كتب التفسير والحديث

وإن لم يكن من أهل الفهم وعرض له أمر كان عليه ان يسأل من يثق بدينه وعلمه عن قول الله ورسوله في ذلك فيرويه له ويبين له معناه كما يسأل الجاهلون الآن عن فهم علماء عصرهم في كتب مذاهبهم . وأما الاحكام المتعلقة بالسياسة والقضاء وسائر الامور العامة فالواجب على الامة ان تعرف الحق الواجب اتباعه فيها لتلزم به

الحكام عند القدرة على ذلك وإنما القدرة بالعلم والاعتقاد • وليس الحق الذي تنهض به الامة ان تفوض به أمرها لرجل واحد عالماً كان أو جاهلا يدعي انه ينتمي الى مذهب عالم معين يحكم به ان شاء فيسمى عادلا أو يتركه فيعد ظالماً بل الحق ان يكون امام المسلمين عالماً بالكتاب والسنة مقيداً باستشارة أولي الامر وهم أهل الحل والعقد الذين كان النبي صلى الله تعالي عليه وسلم يستشيرهم ويعمل برأيهم ولو فيما خالف رأيه كما فعل في غزوة احد وكما كان الخلفاء الراشدون يستشيرون • ولا محل للتوسع في هذا المقام وقد فصلنا هذه المسائل من قبل تفصيلا ولعل المعترض لو اطلع على ما كتبناه من قبل فى هذه المسائل لما ضاق صدره بتلك الجملة الوجيزة وطفق يستنبط منها ويعترض على مايستنبط وسنطلعك على مقالات (محاورات المصلح والمقلد) فقد طبعت على حدتها وهي من التفصيل الذي نشرناه في المنار وصادف استحسان العلماء والفضلاء

واما قوله انه يعلم قطعاً ان أتباع الائمة الاربعة كانوا كذا وكذا فنقول فيه ان المنقول عن الائمة وأصحابهم تحريم التقليد ومنعه ووجوب الاخذ بالكتاب والسنة وستجد طائفة من هذه النقول عنهم فى كتاب محاورات المصلح والمقلد ولكن لم يتبعهم في هذا كل من انتمى اليهم لاسيما فى هذه الازمنة المتأخرة فان كلام الائمة الاولين صار مجهولا حتى للمنقطعين الي العلم والأستاذ الامام يسعى في احياء كتبهم وهو رئيس جمعية ألفت لهذا الغرض واما العوام فأكثرهم لا يعرف الآن من الدين الا بعض مسائل الخلاف بين المذهب الذي يدعيه والمذهب المنتشر فى بلده كانتشار مذهبه المدعى ثم ان أكثرهم لا يعملون الا بقليل مما يعلمون من مسائل الوفاق والخلاف والمعترض وامثاله لا يخافون من هذا الضياع للدين ولكنهم يخافون من الدعوة الى الكتاب والسنة والاهتداء بهما بحجة الخوف على المذاهب التي لم يبق منها الا الجدل فيما بقي من دروس المقلدين الدارسة

واما اتهام الاستاذ الامام وغيره بالدعوة الى مذهب الوهابي فهو من ضيق العطن وقلة العلم فقد اتخذ المتعصبون اسم الوهابي سبعة وصاروا يهدون به الناس والاستاذ الامام لا يدعو الا الى الكتاب والسنة فمن اتبعهما فهو المهتدى عنده وعندنا وان سمي وهابياً ومن اعرض عنهما

فهو الضال وان سمي نفسه سنياً او أشعرياً او حنفياً او شافعياً وانما يخاف من النبذ بالالقاب من لا يعرف الله ولا يرجوه بعمله وانما يرجو مرضاة العوام الذين يشتمون كل مخالف لتقاليدهم التي ليس لهم بها من علم ان هم الا يخرصون

وجملة القول ان من يرغب عن الكتاب والسنة فقد سفه نفسه وكان بريئاً من الائمة وان ادعى اتباعهم فانهم حرموا التقليد الاعمى كما ستعرفه تفصيلا من الرسالة التي نرسلها اليك • ونرجو ان تكتب الينا ثانية بما يشتبه على المعترض او عليك

﴿ خرافة فى سبب تحريم الخمر ﴾

(س٢٧) سعيد أفندي قاسم حمود فى كنتون أوهايو (أمريكا): دار بيني وبين جماعة من النصارى حديث أفضى الى تحريم الخمر فقال أحدهم لماذا حرمت الخمر عليكم طائفة المحمدية؟ فأجبته على حسب معرفتي وما كنت أسمعه شائعاً على ألسنة العامة فى سوريه قبل هجرتي الى الولايات المتحدة : حرم لاجل ذبح الراهب بحيرا : قال ومن ذبحه؟ قلت أحد الصحابة الكرام قال وهل تعرف اسمه ؟ قلت كلا قال ألم يعرف النبي من نحره ؟ قلت نعم (لعله يريد لا) فقال الملحد فى الدين لماذا لم يقتله وكيف يسكر النبي ويؤخذ سيفه من جنبه ولا ينبأ بذلك؟ فضاق ذرعي ولما كان للاسلام في مشارق الارض ومغاربها صوي ومنار كمنار الطريق أتيتكم فى عريضتي هذه كي تفيدونا ماسبب تحريم الخمر ومن قتل الراهب بحيرا ولكم الاجر والثواب من العزيز الوهاب

(ج) بعد ان أرسلتم هذا السؤال وصل اليكم الجزء الخامس من المنار الذي فيه تفسير «يسألونك عن الخمر والميسر» فعلمتم سبب تحريم الخمر وانه كان بالتدريج فلم يكن تأخير الجواب عن هذه الخرافة النصرانية ضائرا بعد ما علمتم الحق ومن لوازمه زهوق الباطل • أما حكاية قتل الراهب بحيرا فهي من أكاذيب الرهبان وقد سمعتها لاول مرة من أحد رهبان دير قزحيا في لبنان طرقنا فى ليلة شاتية وكنا في سامرنا (حجرة السهر) بالقلمون فأكرمنا مثواه واجتمع عليه الصبية وكنت منهم فقص علينا قصة الراهب بحيرا ووصف من حب النبي صلى الله عليه وسلم له واصطحابه اياه وتحريمه الخمر لاجله والقصة في ذلك ان بعض الصحابة ائتمروا بالراهب وخافوا غضب النبي على قاتله اذا هو عرفه فكادوا له حتى سكروا مع النبي (حاشاه من ذلك فانه لم يشرب الخمر قط)

ذات ليلة فأخذ أحد المؤتمرين سيف النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو نائم مستغرق وقتل به الراهب وأعاده الى غمده فلما استيقظوا غضب النبي غضباً شديدا أن رأى حبيبه الراهب مقتولا وسأل من قتله؟ قالوا من كان سيفه ملطخاً بالدم فهو قاتله فاستلوا سيوفهم فاعتقد النبي (ص) انه هو القاتل في حال السكر (حاشا لله) فحرم الخمر لاجل ذلك

وكان غرض الراهب من ذلك أن يبين لنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يحب الرهبان ويصطفيهم وقد كان منا من أجاب الراهب بان القصة كاذبة لا أصل لها وما كنا نظن انها شائعة وان من عامة المسلمين من يصدقها، ولهم أكاذيب أخرى في هذا الراهب المغمول لا يعرف لها أصل غير اختراع مخيلاتهم حتى زعم بعضهم انه هو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم الدين والشريعة. والحق ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الراهب بحيرا غير مرة واحدة في الشام وكان عليه السلام ابن تسع سنين وبيان ذلك مفصل في المجلد السادس من المنار (راجع ص ٣٩٤ منه) وحكى بعض المؤرخين من النصارى أن بحيرا قتلته اليهود والصحيح انه لا يعرف له تاريخ ولم يكن له شأن وانما اهتم النصارى بالكلام عنه بعد أن رأوا في كتب المسلمين انه بشر بنبوة محمد عليه السلام عند ما رآه مع عمه بالشام فحولوا الامر الى ما علمت

(ترجمة النبي (ص) في أوراق البردي)

(س٢٨) محمد أفندي كامل الكاتب بمحكمة (أسيوط) الاهلية: اطلعت بجريدة مصر في العدد ٣٨٠٤ الصادر يوم الاربعاء ٧ يونيه سنة ١٩٠٥ ضمن الحوادث المحلية على الفقرة الآتي نصها بالحرف الواحد

«تفيد أنباء المانيا الاخيرة أن رئيس غرفة التجارة في مدينة هدلبرج أعطى مكتبة المدرسة الجامعة هناك مجموعة من اوراق البردي مكتوبة باللغة العربية وتحتوي هذه المجموعة على ألف ورقة خطيرة جدا يرجع بعضها الى السنين الاولى من الهجرة وكثير من هذه الاوراق يسفر عن أمور جديرة في تاريخ سيادة الاسلام على مصر ولكن الاهم من كل ذلك هو العثور على ترجمة حياة النبي (صلعم) ويقال انها ترجمة غريبة جدا وان فيها سرا جديدا يجلو شيئاً من أسرار التاريخ الغامضة» اه

ولما كان ذلك يهم العالم الاسلامي معرفته والمطلع على هذه الفقرة يستنتج أمرين

(أولهما) ان وجود مثل هذه الكتابة باللغة العربية على ورق البردي الذي لم يكن معروفاً الا في زمن الفراعنة ان صح كان مما يدعو الى الظن بأن ذلك من عمل المدلسين

(ثانياً) ان جريدة مصر قالت انه وجد بين هذه الاوراق ورقة فيها ترجمة حياة النبي صلعم ويقال انها ترجمة غريبة جدا وأن فيها سرا جديدا يجلو شيئاً من أسرار التاريخ الغامضة. على ان مثل هذه الترجمة ان لم تكن موافقة لما أتى به القرآن والمتواتر بالدليل القطعي عن صاحب الترجمة صلعم فلابد وان يكون عدم ذكر هذا السر سرا آخر تقصد به جريدة مصر الابهام بان هناك شيء يناقض ما عليه المسلمون من العقائد

فهل للاستاذ علم بتلك الاوراق يرفع النقاب عن ذلك السر الذي أشغل الالباب هذا ما نرجو الجواب عنه على صفحات المنار زادكم الله بسطة في العلم والرزق.

(ج) قد كتب الينا غير واحد فيما نشرته جريدة مصر وكان منشأ الاهتمام بذلك توهم أن كل ما كتب وقدم عهده يصير مسلما به مقطوعاً بصحته والصواب ان ما كتبه الناس في الزمان الماضي هو كالذي يكتبونه الآن والذي سوف يكتبونه في الزمن الآتي. منه الحق والباطل والخطأ والصواب والصدق والكذب ومنه ما يكتب عن علم وما يكتب عن ظن وعن جهل. والقاعدة المقررة ان المكتوب كالمسموع لا يوثق به الا اذا روي بسند متواتر أو سند متصل يحتج برواته ويوثق بهم للعلم بعدالتهم فما عساه يوجد في أوراق البردي المسؤل عنها من سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعرض على المعلوم من الدين بالضرورة او الرواية الموثوق بها فان وافقه كان له حكمه والا ضربنا به عرض الحائط ولا نراه شبهة على المعروف عندنا بل ما عندنا يكون حجة قاطعة على ان ما في تلك الاوراق كذب لا قيمة له في التاريخ. أما اوراق البردي فقد استعملت في الاسلام وفي دار الكتب المصرية اوراق منه اقدم ما عرف تاريخه منها قد كتب في الربع الاخير من القرن الاول للهجرة وواحدة كتب في اوائل القرن الرابع

آثار علمية أدبية

التقريظ

(معونة الرحمن في مذهب ابي حنيفة النعمان)

أرجوزة في مذهب الحنفية من نظم الشيخ اسماعيل أحمد الاسلامبولي أصلا المصري وطناً وقد كتب الينا صاحبها «بحثت في الكتبخانة مدة على منظومة في المذهب

الحنفي كالالفية في النحو فوجدت منظومات كثيرة منها ماهو أربعة آلاف بيت ومنها ماهو سبعة آلاف بيت ومابين ذلك فاستعنت الله ولخصت المذهب في ألفي بيت وسميتها كذا وقد طبعتها بعد أن قرظها الشيخ محمد راضي والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد عشري وتباع النسخة بقرشين في مصر بمكتبة الشيخ أحمد المليجي قريباً من الازهر وبمكتبة درويش سليمان بالسيدة زينب» الخ وهاك نموذجاً من الارجوزة من أول كتاب الصلاة

فرض على مكلف وتطلب	من ابن سبع وابن عشر يضرب
تاركها تكاسلا يعذر	بحبسه وجحدها مكفر
والصلوات فرضت في خمس	فصل ركعتين قبل الشمس
وأربع العشا وظهر عصر	ثم ثلاثاً مغرباً كالوتر
فالظهر من زوالها حتى ترى	ظلك مثليك بمثل قدرا
والفيء لايحسب عند القيس	ظل يرى عند وقوف الشمس
والعصر منه للغروب في الافق	ومغرب منه إلى غيب الشفق
ثم العشا فالوتر لانفلاق	والصبح بين الفجر والاشراق
ولم تجز صلاة فرض أو وجوب	عند شروق واستواء وغروب

وقد وصف الشيخ محمد راضي نظمها بالسهولة في العبارة والرقة في الاشارة: ووصفه الشيخ بخيت برقة العبارة ودقة الاشارة

العقل والدين

« قصة أدبية تاريخية موضوعها حياة موسى المشترع الاسرائيلي العظيم وتحرير العبرانيين من عبودية المصريين وتأسيس المملكة الاسرائيلية والشريعة الموسوية ومصادرها» مؤلفها رفول أفندي سعادة صاحب مقالات سوريا والاسلام التي لم ينس القراء ردنا عليها في السنة الماضية • حاول المؤلف في هذه القصة إقناع القارئين بأن موسى عليه السلام قد اخترع الشريعة التي جاء بها اختراعاً اعتمد فيه على ما اقتبسه من الشريعة والديانة المصرية التي تلقاها من أعظم الكهنة المصريين وأعلمهم • وانا نقول اذا جاز للانسان أن يخترع قصة يعزو فيها اقوالا وأعمالا الى أناس مجهولين لاجل العبرة

والموعظة أو الفكاهة والتسلية فلا يجوز أن يعزو مثل هذا الى الانبياء وأهل الشرائع والاديان لاجل زلزلة الاعتقاد بهم أو إزالته • وقد كنا تنسمنا مما كتبه واضع القصة في الاسلام انه لايؤمن بدين من الاديان فحققت لنا هذه القصة ما كنا قد استنبطناه من كلامه المخترع في الاسلام • ولست أعرف مايقصد اليه المؤلف بكلامه في ابطال الاديان ومحاولة إقناع الناس بأنها وضعية مختلقة ؛ أيظن أن ترك الدين يرقي البشر في آدابهم وأخلاقهم التي هي منبع سعادتهم وهناء معيشتهم ام يبتغي بما يكتب الشهرة والانتظام في سلك ملاحدة الفلاسفة؟

أكثر البشر يؤمنون بالدين ومنهم العلماء والفلاسفة وقد ارتاب كثيرون في دينهم لانهم وجدوا فيه مالايمكن التصديق به سواء كان منه أو مما ألصق به الرؤساء المتبعون حتى تعذر الفصل بين الاصل والدخيل ولكن أغلب هؤلاء المرتابين لم ينكروا فائدة الدين الذي أنكروه ولم يستحلوا تشكيك العامة فيه • وقد قال أحد الفلاسفة الاوربيين المتأخرين قبل موته ان هذا الشيء الذي يسمونه ديناً نافع للبشر وليس عندي من الدلائل العلمية مايثبته ولا ماينفيه والاولى للناس أن يثبتوا عليه

اذا أمكن أن يتربى أفراد من الامة على الفضائل بالعمل وحسن القدوة من غير تلقين للدين بحيث ينشؤون على حب الخير واجتناب الشر فلا يمكن أن تتربى الامة كلها أو أكثرها على ذلك وأما الدين فيصح أن يكون وازعاً عن الشر وباعثاً على الخير لجميع الناس اذا عرفوه بروحه وجوهره وأزاحوا عنه غواشي التقاليد التي غشيته وعلموا انه سار على سنة الارتقاء كسائر الشؤون البشرية فاتبعوا فيه الهداية الاخيرة التي جاء بها خاتم النبيين والا كان نافعاً للعامة دون الخاصة فهو على كل حال نافع للناس فالجهاد لابطاله بالمرة جناية عظيمة لاتأتي الا عن هوى ضار

يقول رفول أفندي سعادة وأمثاله ممن مرقوا من الدين ثم انبروا لمناصلته ان للدين مضرات مشهورة في افساد عقول الناس بالخرافات وحملهم على عداوة العقل والعلم النافع : ونقول عليكم بمحاربة الخرافات والاوهام ومناهضة أهلها من الاحبار والقسيسين وتربية الاولاد على الاستقلال ودعوا الانبياء وأصول تعاليمهم النافعة ان كنتم تحبون أن تفيدوا الناس والا فأنتم للشهرة الضارة تطلبون

(كلم القران)

وضع العلماء كتباً كثيرة فى تفسير الفاظ القرآن الغريبة منها المطول والمختصر ومنها المنظوم وغير المنظوم وقد انبرى في هذه الايام محمود أفندي شكري كاتب السر في مديرية المنيا لوضع كتاب في ذلك امتاز على غيره بوضع كلم القرآن على حدتها مفصولا بينها وبين تفسيرها بخط عمودي ورتبه على ترتيب السور واعتمد فى تفسير الالفاظ على كتب اللغة غالباً وقد طبع الكتاب في مطبعة المنار طبعاً جميلا فبلغت صفحاته ١٩٢ وهو يطلب من مؤلفه في المنيا

(الفصول البديعة فى أصول الشريعة)

كتاب جديد وضعه محمود أفندي عمر الباجوري لخص فيه كتاب جمع الجوامع المشهور وضم الى ذلك فوائد أخرى فالفصل الاول في العقيدة وهي جمل وجيزة على الطريقة النظرية التي جرى عليها المتكلمون والفصل الثاني في مقدمات أصول الفقه وسائر الفصول الى التاسع في مباحث الاصول والفصل العاشر فى اصول ومسائل ادبية وفلسفية . وصفحات الكتاب تناهز المئة وثمنه اربعة قروش ولعله يكون مرغباً للمتخرجين بالمدارس العصرية في النظر في علوم الاصول الاسلامية لاجل الوقوف على تفصيل ما اجمله هذا المتن الوجيز .

(الدروس الابتدائية فى المبادىء الجغرافية)

كتاب يدل اسمه على مسماه اودعه مؤلفه سيد افندى محمد ناظر المدرسة التحضيرية ما يتعلمه تلاميذ المدارس الابتدائية في السنة الاولى حسب قانون المعارف . وقد راج هذا الكتاب في المدارس الاهليه لسهولته وحسن وضعه فأعاد المؤلف طبعه في هذا العام وزينه بالرسوم التي تشوق التلميذ وتعين الاستاذ على التعليم

(هداية الطلاب إلى حل مسائل الحساب)

عني بوضع هذا الكتاب عبد العزيز افندي وعلي افندى صبحي المستخدم فى دار الكتب المصرية (الكتبخانه الخديويه) وقد طبع الجزء التحضيري منه . وهو يشتمل على مسائل محلولة وغيرها وقوانين عمومية لتلامذة السنة الاولى والثانية من المدارس الابتدائية حسب آخر بروجرام قررته نظارة المعارف العمومية . وسيتلوه الجزء الثاني لتلاميذ السنتين الثالثة والرابعة ولا شك ان هذا الكتاب يعين التلاميذ على اتقان الحساب بالسهولة فنحثهم على مطالعته وهو يطلب من مؤلفيه وثمن النسخة منه ١٥ مليما

باب الأخبار والآراء

انطفاء فتنة نجد واستقرار الامر فى آل سعود

قد علم القراء مما قصصنا عليهم من قبل أن ابن رشيد الذي كان متغلباً على بلاد نجد جار وظلم معتمداً على ان الدولة تؤيده وتنصره بما كان يوهمها من أن آل سعود الوهابية يريدون محو سلطتها من بلاد العرب وهو الذي يؤيد نفوذها وكان هو وانصاره يستعينون على ذلك ببعض رجال الحكومة فى البصرة والشام والحجاز وبعض الجرائد المصرية التي توصف « باسلامية » فقد حاول هؤلاء الانصار إقناع الاستانة أو يلدز بأن آل سعود متفقون مع الاجانب على تمليكهم بلاد نجد وما كانوا ينطقون ولا يكتبون الا بأجرة عظيمة يأخذونها من بعض كبار التجار الاغنياء المشايعين لابن رشيد فكانوا يوقعون الفتنة بين المسلمين ويغشون دولتهم وسلطانهم حباً فى منفعة أنفسهم . ولما تمكن اهل الغيرة والنجدة من امراء العرب وغيرهم من إقناع الدولة العلية بخضوع آل سعود لها وبعدهم عن الفتن والاستظهار بالاجانب لشدة تمسكهم بدينهم عمدت الدولة الى التحقيق فأرسلت المشير أحمد فيضي باشا الى نجد ليدعو أهل البلاد النجديه ورؤساء القبائل الى الطاعة ويتبين هل هناك جنود اجنبية كما زعم الواشون فأجيبت دعوته وعلم ان آل سعود هم المخلصون الصادقون وان ابن الرشيد وانصاره هم الغاشون المخادعون

فحصر سلطة ابن رشيد فى بلده وعشيرته وجعل عبد الرحمن الفيصل أمير سائر بلاد نجد وقبائلها فاستراحت الدولة بذلك من الدسائس والمفاسد التي كانت تسري الى بلاد نجد من مصر وغيرها فالشيخ عبد الرحمن الفيصل وولده عبد العزيز آل سعود لا يعرفان غير بلادهم وسلطانهم ولا علاقة لهم بمصر ولا بغيرها ولا يألون بعبث العابثين ولا بدسائس المفسدين . وانا ننشر هنا ما جاءنا من بلاد العرب من صور الرسائل التي أرسلها المشير أحمد فيضي باشا الى أهل نجد المتهمين والى الاستانة وولاية البصرة لان هذه رسائل رسمية قاطعة لالسنة الفسدة من أصحاب الجرائد الكاذبة فى مصر وغيرهم

كتاب المشير أحمد فيضي باشا الى عنيزة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الواحد مستوجب الشكر والحمد، مالك الامر من قبل ومن بعد، والصلاة والسلام على نبينا الذي أرسله بالهدى ودين الحق، وعلى آله وأصحابه أولياء الحق، وبعد فان خليفة الله في الآفاق، الثابت البيعة في الاعناق، مصباح مشكاة الخلافة، مفتاح باب الرحمة والرأفة، ولي الامر المنصوص على طاعته بلسان الذكر الحكم، سلطان البرين والبحرين عنوان الشرف والاقدام، أمير المؤمنين، حامي حوزة الدين، إمام الاسلام والمسلمين، مظهر العدل والإحسان، مصدر اللطف والامتنان، حضرة السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان، مولانا الغازي عبد الحميد خان، قوى الله شوكته، وفسح كما تهوى الشريعة مملكته، أمرنا بالسير اليكم مع جنوده الشاهانية المنصورة لاصلاح أحوالكم وبلادكم فامتثلنا أمره، وعملنا ارادته العالية (كذا) فارتحلنا وجئناكم كما أمر دامت ذاته المقدسة سعياً نسير فيكم بسيرته الحسنة صوناً لكم ورعياً ونبث الانصاف حسبما يريد فيكم، ونغضي عما سلف من وقائعكم ومغازيكم، ونعفو كما من شأنه العفو عن الكثير ونرفع اعلام الاصلاح بين شعوبكم وقبائلكم، ونوصل وسائلكم لباب النجاح على حسب منازلكم، ولا تحسبوا عدتنا لاراقة دم، ومؤاخذة بما مضى وتقدم، فارقدوا أمناً، وأطيعوا أولي الامر منا، وتدبروا « إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها» وسابقوا لمرضاته، وتقربوا من الطافه، أيها المسلمون، «السابقون السابقون اولئك المقربون» انا لانقضي فيكم بسوى الكتاب والسنة، ولا نولي اعمالكم من تشب به نار الفتنة، بل نولي عليكم من تحمدون ولايته، وتقبلون بأحكام روايته، فادخلوا تحت رواق صفح الملك فعفوه ممدود السرادق، وولوا ركنه الشديد واستظلوا بطود حلمه الشاهق، واستقبلوا إنعامه والمنى، واعتصموا بعروته الوثقى «وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون» ولا تتبعوا المجرمين ليمكروا فيكم «وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون» عجلوا بالجواب الصواب، وأرسلوا من تعتمدون عليهم لاجل المواجهة والاستقبال، ولهم منا الرأي وأمان الله فلا يحصل عليهم سوء ولا مكروه، فاعتمدوا وبالله الاعتماد، والسلام على من سبح في كنفه الجماد، والسلام

في ٣٠ المحرم سنة ١٣٢٣ (الامضاء)

وكتب المشير مثل هذا الكتاب لبريدة وذلك بعد ان فتش المعاهد التي زعم ابن رشيد ان فيها عسكراً من الاجانب وكان مقامه حينئذ في (القواره) على مسافة يوم ونصف من عنيزة ويوم بل بعض يوم من بريدة وكتب امضاءه «أمور اصلاحات القصيم مشير» وقد جاءه الجواب ناطقاً بأنهم لم يكونوا عاصين للدولة فيطيعوا الآن بل هم طائعون من قبل ومن بعد ولكن الدولة ألبستهم ثوب العصيان بتزوير ابن رشيد. وأرسل كل أمير معتمداً من قبله لمواجهة الوالي وكشف الحقائق فأكرمهم وخلع عليهم ولما رأى ما يحملون من خطوط الامراء شد رحله ونزل بريدة فواجهه أمير البلد صالح بن حسن المهنا فكساه وعاهده وأقره على بلاده وترك عنده خمسين جنديا ولواء عثمانياً ثم رحل الى عنيزة فواجهه الامير عبد العزيز العبدالله السليم فلقي منه مالقي ابن مهنا من اللطف والاكرام وكان كتب الى عنيزة الكتاب الآتي جواباً عن كتابهم اليه

(الكتاب الثاني من المشير الى أهل عنيزة)

الى كافة أكابر وأصاغر أهل عنيزة: الحمد لله ولي الاحسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله رحمة للاكوان. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فقد وصل الينا معتمدكم عبدالله بن محمد القاضي وصحبته المضبطة المحررة من طرفكم وعرض طاعتكم وانقيادكم لاوامر حضرة أمير المؤمنين فصرنا ممنونين لذلك، وحمدنا الله على ما هنالك. ثم نحن بينا له مقصودنا، وعرفناه كما كتبنا لكم سابقاً مطلوبنا، وهو سيصل اليكم، ويكشف الحال لديكم، وطلب منا معتمدكم المشار اليه لكم الامان والعفو عما سلف وعدم تولية ابن رشيد عليكم فلكم أمان الله وقد عفونا عما سلف ولا نولي ابن رشيد عليكم ولا نحكم بغير أحكام الشريعة ليصير معلومكم والسلام،

٤ صفر سنة ١٣٢٣ (الامضاء)

وقد أطلع المشير أمراء نجد على ترجمة ما أرسله الى الاستانة والى ولاية البصرة في ذلك وهو كما جاءنا من البلاد العربية

(ترجمة الرسالة البرقية التي أرسلها المشير الى باشكاتب المابين الهمايوني)

بمقتضى تعليمات حضرة خليفة رسول من خصوص أهالي القصيم قد عفا الله عما سلف منهم أوقد أطاعوا وانقادوا لاوامر الدولة العلية والجميع لازموا الدعوات

بزيادة ودوام عمر وشوكة سلطاننا المعظم فبناء على هذا فالذين كانوا بالبصرة وأعزموا الى استانبول محمد الشبيلي ومحمد وعبدالله الشعيبي قد استرحم أقرباؤهم الذين ساكنين في عنيزة المستظهرين للعفو العمومي ان يشملهم هذا العفو فاعفوا عن الموصي اليهم واعيدوهم الى البصرة وبشروهم بالعفو كي يوجب المسرورية وهذا المسترحم منكم.

(الامضاء)

وقد كتب رسائل أخرى الى والي البصرة وقومندان موقعها العسكري بالعفو عن أهالي القصيم والامر باطلاق المحبوسين ومساعدة المتجرين وهذه ترجمتها

ترجمة الرسالة الاولى

الى قومندان البصرة صاحب السعادة حضرة الافندي

من جملة أهالي القصيم آل الشبيلي وسائرهم حيث استفادوا من العفو العمومي فليداوموا على أمور تجارتهم وقضاء مصالحهم ومن سكنة ولاية البصرة سليمان الشبيلي وأولاده وأعوانه فلا يتعرض لهم أحد بسوء ومن طرفكم أيضاً ابذلوا لهم التأمين ولا تخلون أحدا (اي لا تدعوا احدا) من أتباع ووكلاء ابن رشيد يتعرضهم بسوء من سبب المادة السابقة ولاجل البيان حرر هذا الامر (التوقيع)

(ترجمة الرسالة الثانية)

الشبيلي محمد السليمان بحسب وصول العساكر الشاهانية الى القصيم ابرز من حسن الحدامة في طرفنا والده الذي في البصرة ووكلاؤه في دائرة الاصول أجروا في حقهم رعاية مخصوصة وأشغالهم الذي تقع في الحكومة تأمرون بعنايتكم بترويجها (التوقيع)

(المنار) هذا ما كتب الينا من البلاد العربية بنصه وقد سرنا أن الدولة وفقها الله أرسلت الى نجد هذا الرجل الذي سلك مسلك الحكمة وحفظ كرامة الدولة وحقن دماء المسلمين وأنام الفتنة التي كان أيقظها ابن رشيد وهذا ما كنا أشرنا به وتمنيناه وليتها وفقت لمثل ذلك في اليمن قبل استفحال الفتنة واشتعال نيران الثورة ، ولكنها لم ترسل الى اليمن الا أهل السلب والنهب المغرورين بقوة الدولة على رعيتها وان الولد الذي يربى بالقسوة والعنف لا ينشأ الا عاقا ينتظر الفرصة للانتقام من مربيه فليت عمال الدولة القساة في سوريا وغيرهم يفهمون هذه القاعدة الطبيعية

لائحة المساجد وما انفذ منها

واضع هذه اللائحة ومقترح إصلاح المساجد معروف وهو الاستاذ الامام فانه بعد ان صار عضوا في مجلس الاوقاف الاعلى وأشرف على أحوال هذه المصلحة الاسلامية العظيمة رأى ان غلات الاوقاف تزيد عاماً بعد عام وان مرتبات المستخدمين في هذه المصلحة عظيمة تضاهي نفقات مصالح الحكومة ورأى من ناحية ثانية ان المساجد التي أوقفت عليها الاوقاف العظيمة مهملة والمستخدمين فيها من الائمة والخطباء فمن دونهم لا يرضخ لهم الا بالقليل جزاء على خدمتهم فمنهم من راتبه خمسون قرشاً في الشهر ومنهم من يعطى أقل من ذلك والامام أو الخطيب الذي يرتقي راتبه إلى مئة قرش أو يزيد قليلا يعد من ذوي الطبقة العليا • ورأى هذا المصلح ايده الله بروح منه ان أكثر المستخدمين في المساجد لا يقدرون على أداء وظائفهم على وجهها وان استبدال القادرين بالعاجزين متعذر مع قلة الرواتب اذ ينبغي أن يكون الامام والخطيب من أهل العلم والخادم منقطعاً للخدمة قادراً عليها ولا يكون هذا مع قلة المرتبات

أجال هذا المصلح الغيور قداح الفكر في هذه المسألة فرأى ان السعي في إصلاح حال المساجد يستتبع إصلاحاً آخر وهو خدمة العلم والاعانة عليه بإيجاد مورد جديد لرزق أهل الازهر يرغب الناس في طلب العلم • ذلك ان أول ما يهم الانسان في هذه الحياة الدنيا أمر رزقه ويرى الناظر في تقلب الزمان أن الاقوات تغلو في هذا البلد حتى ان ثمن أكثر الاشياء قد تضاعف في زمن قليل فاذا استمرت هذه الحال في مصر كان المقام فيها عسيراً على غير الموسرين وقلت الرغبة في طلب العلم بالازهر • هذا ما بعث المصلح على البحث عن أحوال المساجد والمستخدمين فيها ووضع تلك اللائحة التي اشتهر أمرها • وإنني أثبت ههنا نص لائحته التي وافق المجلس الاعلى على تنفيذها بعد البحث والتعديل ثم أوقفت بأمر الامير في العام الماضي وتبعها بما أخذ منها وصدر الامر في هذا العام بتنفيذه وهو

اللائحة الاولى

(المادة الاولى) ان هذا الترتيب لا يترتب عليه رفت احد من وظيفته الا بوفاته او وقوع امر يستوجب رفته حسب الجاري كما انه لا يقتضي الاخلال بشيء من اختصاصاته الحالية

الباب الأول في ترتيب الخدمة

(المادة الثانية) توحد الامامة في جميع المساجد ماعدا الجامع الازهر والمساجد التي فيها عدة اماكن يمكن اعتبار كل منها مسجداً مستقلا ويجب في هذه الحالة ان يؤدي الصلاة احد الائمة بعد الآخر ولا يجتمع امامان للصلاة في آن واحد الا اذا اختلفت الاماكن بحيث لايشوش احدهما على الآخر ومع ذلك فتعدد الامكنة لايستلزم تعدد الائمة بل لايكون ذلك الا للضرورة

الامام هو رئيس المسجد في جميع شؤونه ماعدا المساجد التي فيها دروس منتظمة مثل الازهر ومايلحق به مما يكون له شيخ خاص يديره من حيث هو مدرسة

(المادة الثالثة) يقوم الامام بوظيفة الخطبة والمساجد التي تتعدد فيها الائمة وهي المذكورة في المادة الثانية يقوم بالخطبة أوفر الائمة راتباً فان تساووا في الراتب قدم اقدمهم في وظيفة الامامة

(المادة الرابعة) توحد وظيفة المؤذنين في كل مسجد الا عند تعدد المآذن فيكون لكل مأذنة مؤذن واحد لجميع الاوقات

(المادة الخامسة) يعين ملاحظ في المساجد التي يري لزوم وجود ملاحظ فيها وهذا الملاحظ يكون رئيس الخدمة وعليه القيام بمراقبتهم في جميع اعمالهم تحت رئاسة امام المسجد

(المادة السادسة) اعمال الميقاتية تضاف الى المؤذنين

(المادة السابعة) يضاف عمل المبلغين الى المؤذنين وفي مساجد القسم الرابع التي لامنارة فيها تكون قراءة السورة على المؤذن

(المادة الثامنة) العمل الذي يؤديه الآن المرقي والمستقبل يعوض بما يعبر عنه شرعاً بالاذان الثاني ويحول على المؤذنين

(المادة التاسعة) تالي القرآن في المسجد يعطى مايرتب له على سبيل الصلة

(المادة العاشرة) ملاحظو المساجد هم عهدتها ويستثنى من ذلك بعض المساجد التي لها خزنة مخصوصون في جدول الترتيب ويدخل في وظائف الملاحظين ماكان للنقيب

(المادة الحادية عشرة) يدخل تحت لفظ الخدمة ارباب الوظائف الآتية ولايقيدون

بتسمية — الفراشون والوقادون والملاؤون والسقاؤون والبوابون والسعاة وخدمة الاسبلة في المساجد وماشبه ذلك

(المادة الثانية عشرة) الوظائف الآتية لاعلاقة لها بترتيب الخدمة وليس النظر فيها من عمل المجلس الآن — خدمة الاسبلة المستقلة عن المساجد والفقهاء والدلايلية والساعاتية ومتعهدو السواقي وخفراء القبور والتربة والخدمة المختصون بالاضرحة من جهة كونها أضرحة بأنواعهم وشيخ الليثية وقراء الربعة وكتبة النذور

(المادة الثالثة عشرة) وظيفة المبخر «البخورجي» تكون من اعمال أحد الخدمة والمبالغ المرتبة لها تكون من ضمن مرتبه

(المادة الرابعة عشرة) وظيفة الداعي «الدعجي» لاتكون مستقلة وانما تضاف الى عمل أحد موظفي المسجد ومرتبها يحسب في مرتبه

الباب الثاني في المرتبات

(المادة الخامسة عشرة) أئمة الجوامع بجميع انحاء القطر يجعلون أربع درجات الاولى بثمانية جنيهات والثانية بخمسة والثالثة بأربعة والرابعة بثلاثة

الملاحظون يكونون بجنيهين

الخزنة يكونون كذلك بجنيهين

المؤذنون ينقسمون الى أربع درجات الاولى ١٥٠ قرشاً لمصر والاسكندرية والثانية ١٢٥ قرشاً لعواصم المديريات ومحافظات بور سعيد ودمياط والسويس والثالثة ١٠٠ قرش لعواصم المراكز والبلاد التي عدد سكانها عشرة آلاف نسمة فما فوق وان لم تكن عواصم مراكز والرابعة ٧٥ قرشاً لبقية القرى

سائر الخدمة يكونون كالمؤذنين ماعدا المستثنين مثل خدمة الجامع الازهر ونحوه

قراء القرآن في الجوامع يكونون أربع درجات الاولى ٥٠ قرشاً والثانية ٤٠ قرشاً والثالثة ٣٠ قرشاً والرابعة ٢٠ قرشاً على حسب درجات الجوامع

الباب الثالث في شروط التوظف

(المادة السادسة عشرة) الامام يشترط فيه أن يكون عالماً حائزاً لشهادة العالمية فان لم يوجد مرشح حائز لشهادة العالمية يكتفى بشهادة الاهلية فان لم يوجد أيضاً

مرشح حائز لشهادة الاهلية ينتخب اللائق بالامتحان على حسب القواعد المتبعة الآن

(المادة السابعة عشرة) الملاحظون يشترط فيهم أن يكونوا أقوياء البنيـة ويفضل أولا من يقرأ ويكتب ويحفظ القرآن ثم من يقرأ ويكتب فقط

(المادة الثامنة عشرة) الخازن يشترط فيه أن يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب

(المادة التاسعة عشرة) المؤذنون يشترط فيهم مثل الملاحظين ولا يمنع فقد البصر من التوظف بوظيفة المؤذنين

(المادة العشرون) يشترط في الخدمة أن يكونوا سليمي البنيـة وأوجه التفضيل تسري عليهم وهي المذكورة في الملاحظين

﴿ أحكام عمومية ﴾

(المادة الحادية والعشرون) عـدد الموظفين ومرتباتهم في كل مسجد يكون على حسب الجدول الذي قرره المجلس وأرفق بهذا .

(المادة الثانية والعشرون) اذا وجد فى شروط الواقفين زيادة في عدد الموظفين عما هو وارد فى الجدول فيعطى للزائد ماهو مقرر له بشرط الواقف فقط كذلك إذا وجد فى شروط الواقفين زيادة في مرتب اية وظيفة عما هو وارد فى الجدول فتعطى الزيادة بحسب شرط الواقف

باب توزيع العلاوات

(المادة الثالثة والعشرون) يلاحظ في اعطاء العلاوات على حسب الترتيب الجديد فى كل مسجد أن لا يتجاوز مجموعها مع ما هو جار صرفه الآن مجموع مايخصه على حسب هذا الترتيب

يبدأ فى التوزيع لكل وظيفة على الوجه الآتي

اولا الأئمة الحائزون لدرجة العالمية اوالشهادة الاهلية أو الذين يحصلون على احدى هاتين الشهادتين بعد الآن

ثانياً من يقرأ ويكتب ويحفظ القرآن من الملاحظين والمؤذنين والخدمة ثم من يقرأ ويكتب فقط منهم

ثالثاً الخازن الذي يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب

وحيث أن مبلغ الاحد عشر الف جنيه لم يكن مقررا فقط لمساجد القاهرة بل لمساجد عموم القطر فيشترط أن لايزيد مجموع هذه العلاوات هذه السنة في مدينـة القاهرة عن سبعة آلاف جنيه فان زاد يقطع من كل وظيفة بنسبة الناقص

اذا بقي شيء من مبلغ سبعة الالاف جنيه بعـد التوزيع على الوجه المشروح فيما سبق فهذا الباقي يوزع على من يتلوهم ممن هم حائزون لشروط هذا الترتيب

ومع ذلك اذا خلت فى مسجد وظيفة زائدة عن المقرر فى هـذا الترتيب يوزع مرتبها لتكملة مرتبات موظفي ذلك المسجد الذين تنطبق عليهم قواعد هذا الترتيب من جهة العدد المرتب وشروط التوظف

(المنار) قد تركنا الجدول الملحق بهذه اللائحة لبيان المستخدمين والمرتبات لهم على حسب الترتيب الجديد لانه لم يعمل به وانما العمل بالجدول الملحق بالمذكرة الآتية المبنية على اللائحة الاولى ولكنها دونها في الفائدة والاصلاح وهي

﴿ مذكرة ﴾

(مرفوعة الى مجلس الاوقاف الاعلى)

يعلم حضرات اعضاء المجلس حالة خدمة المساجد وفقرهم وقلة المرتبات المقررة لهم مقابل خدمة هذه المحلات الطاهرة وقد ترتب على اهتمام الديوان بشدة المراقبة فى نظافة المساجد وترتيب انارتها وأدواتها ان صار أولئك الخدمة مسؤلين عن أعمـال كثيرة وربمـا كانت سبباً للتضيق عليهم عن السعي فى الكسب والارتزاق من الخارج وقد كثرت شكاويهم لجانب المعية السنية وللديوان وعلى لسان الجرائد المحلية من عدم كفاية مرتباتهم خصوصا مع غلاء الاسعار فى الوقت الحاضر والتمسوا زيادتها لمساعدتهم في معايشهم وبالبحث فى مرتبات هؤلاء الخدمة تبين انه عددهم فى مساجـد مصر وبولاق بلغ ١٦٢٧ منهـم ١٣٦٠ رواتبهم تنحصر بين الخمسين والخمسة وسبعين قرشاً فأقل وهذه ماهية لاتفي فردا واحدا في أمور معيشته فكيف بهم وهم ذوو عائلات

وحيث ان ميزانية الديوان وارد فيها مبلغ احدى عشر ألف جنيه لزيادة ماهيات خدمة المساجد ومخصص منه مبلغ سبعة آلاف جنيه لتوزيعه على مساجد مصر على الطريقـة المذكورة في قرار المجلس الصادر بتاريخ ٨ فبراير سنة ١٩٠٤ عن ترتيب المساجد

وحيث أن هذا الترتيب صدر لنا أمر عال بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٠٤ بايقاف تنفيذه لحينما ينظر فيه بطرف جناب ولى النعم الافخم

وحيث أن ترك هؤلاء الخدمة بتلك المرتبات القليلة وهم يصيحون ويستغيثون مما لايليق بمصلحة خيرية تجود بالكثير من أموالها في وجوه البر والخير وعلى الفقراء والمساكين وأجدر بها أن تفيض بشيء على من يقيمون شعائر الدين ويقومون بخدمة تلك المحال الطاهرة

فبناء على كل ذلك رأينا أن نضع مشروعا لعلاوة تلك المرتبات حتى اذا وافق عليه المجلس انفذ وارتفع الضرر نوعا عن أولئك المساكين وهاهو

﴿ الأئمة والخطباء ﴾

حيث أن الائمة والخطباء بالمساجد تختلف حالتهم بعضهم عن بعض فقد رؤي تقسيم مرتباتهم إلى ثلاث درجات

الاولى الائمة والخطباء الحائزون لدرجة العالمية وماهية كل منهم أقل من جنيهين ونصف شهرياً تكمل الى هذا القدر بشرط ان الموجود منهم ولم يكن مكلفاً باعطاء دروس لتعليم العوام يكلف به مثل غيره لانتفاع العامة بالامور الدينية

الثانية الائمة والخطباء الحائزون لشهادة الاهلية وماهية كل منهم أقل من جنيه وخمسمائة مليم شهرياً تكمل الى هذا القدر بالشرط المتقدم ذكره

الثالثة الائمة والخطباء الغير الحائزين لدرجة العالمية ولا لشهادة الاهلية وماهية كل منهم أقل من جنيه واحد شهرياً تكمل الى هذا القدر

(المدرسون) المدرسون الموجودون فى بعض المساجد من كان منهم ماهيته أقل من جنيهين اثنين ونصف شهرياً تكمل الى هذا القدر

(مشايخ الخدمة) هؤلاء من كان منهم مرتبه أقل من جنيه ونصف يكمل الى هذا القدر

(المؤذنون) من كان منهم ماهيته أقل من سبعمائة وخمسين مليما شهرياً تكمل الى هذا القدر ماعدا المؤذنين فى المساجد الشهيرة وهي الجامع الازهر ومسجد سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والسيدة فاطمة النبوية والسيدة سكينة والامام الشافعي والسلطان أبو العلا فتكون ماهية الواحد منهم جنيهاً شهرياً

(قراء السورة) هؤلاء من كان منهم ماهيته أقل من مائتين وخمسين مليما شهرياً تكمل الى هذا القدر

(وظائف الخدمة) الخدمة مثل الوقاد والكناس والبواب والملا وغيرهم من كان منهم ماهيته أقل من سبعماية وخمسين مليما شهرياً تكمل الى هذا القدر

(متعهدو اقامة الشعائر) المتعهدون المكلفون بالصرف على بعض المساجد من جميع اللوازم من كان مرتبه أقل من جنيهين اثنين يكمل الى هذا القدر

وبناء على ذلك فالزيادة الممكن اضافتها على مرتبات هؤلاء الخدمة جميعهم بمساجد مصر وبولاق بحسب هذا الترتيب هي مايأتي

		المقتضي ربطه بحسب المشروع الفئة الشهرية جنيه	مليم	عدد	جنيه	الجاري صرفه الآن جنيه	قيمة الزيادة المطلوبة مفردات	جملة	الذين لم يصبهم شيء من هذه الزيادة بحسب القاعدة عدد
مشايخ خدمة		١	٥٠٠	١١	١٩٨	١٠٩		٨٩	١٠
مدرسين	حائزين لشهادة العالمية	٢	٥٠٠	١٩	٥٧٠	٢٨١	٢٨٩		٥
	غير حائزين للشهادات	٢	٥٠٠	٤	١٢٠	٩٣	٢٧	٣١٦	٠
أئمة وخطباء	حائزين لشهادة العالمية	٢	٥٠٠	٤١	١٣٨٠	٤٨٩	٨٩١		١
	حائزين لشهادة الاهلية	١	٥٠٠	٩٤	١٦٩٢	٧٢٩	٩٦٣		٨
	غير حائزين للشهادات	١	٠٠٠	١٤٨	١٧٧٦	٩٦٢	٨١٤	٢٦٦٨	٢٠
مؤذنين ومبقاتية	بالمساجد الشهيرة	١	٠٠٠	٤٠	٤٨٠	٣٢٥	١٥٥		
	بباقي المساجد	٠	٧٥٠	٢٩٤	٢٦٤٦	١٦٠٧	١٠٣٩	١١٩٤	١٣
قراء السورة والمرقين		٠	٢٥٠	١٦٢	٤٨٦	٣٠٨		١٧٨	٢٥
خدمة		٠	٧٥٠	٥٨٣	٥٢٤٧	٣٤٧٢		١٧٧٥	١١٤
متعهدي اقامة الشعائر		٢	٠٠٠	٢٩	٦٩٦	٢٣٣		٤٦٣	١
				١٤٣٠	١٠٢٩١	٨٦٠٨		٢٦٨٣	١٩٧

فمبلغ الستة آلاف وستمائة وثلاثة وثمانين جنيها هو اللازم زيادته على ماهيات خدمة المساجد بمصر على الكيفية التي توضحت ونؤمل التصريح لنا بمبلغ ٣١٧ جنيهاً لتوزيعه بمعرفتنا على بعض الوظائف التي لم ينلها شيء من هذه القاعدة بحسب مانراه من الضرورة والاهمية فيكون المقتضي التصريح به من المجلس مبلغ سبعة آلاف جنيه وهو المخصص لمساجد مصر في القرار السابق

بناء عليه قد تحررت هذه المذكرة للنظر وتقرير مايترآى

(المنار) قد نشرنا هذه المذكرة كما وصلت الينا لم نصلح من لحنها شيئاً وهي مصرحة بأن الترتيب الاول أوقف بأمر الامير وقد كنا ذكرنا هذا وذكرته بعض الجرائد في وقته وبأن ماعرض في هذه المذكرة على المجلس الاعلى انما يرفع الضرر عن المستخدمين في المساجد نوعا ما فهو جزء من الاصلاح المطلوب في تلك اللائحة . ويفهم منها ان الرجاء غير مقطوع من تنفيذ الترتيب الاول الذي وضعه الاستاذ الامام وماهي الا كلمة من الامير وفقه الله وقد نفذ . ولو كان في مسلمي مصر عامة وعلماء الازهر خاصة أمة تهتم بمصالح المسلمين العمومية وتسعى لها سعيها لأكبروا أمر هذا الاصلاح الذي اقترحه المفتي وأجمعت كلمتهم على استعطاف الامير والشفاعة عنده والالحاح على جنابه في تنفيذ هذا الاصلاح الذي يحيي بيوت الله تعالى ويعين على إقامة شعائر الدين على وجهها كما يرغب الناس في طلب العلوم الدينية ويكون سبباً للانتفاع بها

وقد ذكرت جريدة المؤيد أن جماعة من المستخدمين في المساجد شكروا للجناب العالي ايقاف تنفيذ الترتيب الجديد لما فيه من الرحمة بهم ورعاية مصالحهم وهذا جهل منهم لانهم ظنوا أن الترتيب يقضي باستبدال العلماء بالجاهلين في الامامة والخطابة حالا فلا بد من عزلهم ووضع بعض علماء الازهر في مواضع الخطباء والائمة الجاهلين منهم وليس الامر كذلك كما رأيت . وانا نسأل الله تعالى أن يلهم قلب الامير تنفيذ الاصل كما ألهمه الرضى بهذا الفرع الذي لايرفع الضرر كله

وجملة القول ان ماعرضه ديوان الاوقاف على مجلسه الاعلى في هذه المذكرة قد أقره المجلس بعد تنقيح قليل كاشتراط بعض الشروط في وظائف الخدمة وصدر الامر العالي بتنفيذه وسيكون مقدمة لتنفيذ الترتيب الاول ان شاء الله تعالى

﴿ محاربة الوهم للعلم ﴾

﴿ أو تأثير السعاية في الدولة العثمانية ﴾

زار القطر المصري في ربيع هذا العام الحاج محي الدين بك حماده فنزل ضيفاً عند صهره الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ثم عند ابن أخيه خليل باشا حماده في الاسكندرية وكان الغرض من هذه الزيارة صلة الرحم والاستراحة من عناء العمل ولما علم بقرب عودته إلى بيروت السعاة المحالون الذين يطلق عليهم لفظ الجواسيس في عرف هذا العصر كتبوا الى المابين الهمايوني يشون به وقد شاع ان مما كتبوه ان هذا الرجل الجليل البعيد عن السياسة بجميع معانيها يحمل فتوى من صهره بوجوب خلع السلطان ويحمل كتباً ضارة يريد توزيعها في سوريا وقد بلغنا انه كتب من المابين الى أمير مصر سؤال عن الحاج محي الدين واين نزل وماذا يفعل . وان الامير ذكر ذلك لخليل باشا حماده واخبره بأنه أجاب المابين أحسن جواب واثنى على الحاج محي الدين ولكن ذلك لم يغن شيئاً

ولما عاد الحاج محي الدين الى بيروت وكان ذلك بعد سفر الامير الى الاستانة قبض عليه عند نزوله الي البلد وأخذ الى دار الحكومة وفتشت أمتعته وجميع ما يحمله فلم يروا فيها شيئاً يثير عليه شبه السياسة الا تفسير جزء «عم يتساءلون» واسماء جماعة من فقراء بيروت بازائها أرقام . فأما التفسير فقد أرسل الى لجنة التفتيش بديوان المعارف فقرىء فقيل ان فيه عبارة ضارة وهي تفسير لفظ الزبانية في سورة العلق بالشرط وأعوان الولاة على ان هذا التفسير يوجد في جميع كتب اللغة وكتب التفسير فلا يبعد ان يمنع دخولها الى الممالك المحروسة اذا دامت الحال على ماهي عليه الآن ، واما أسماء الفقراء وما جمع باسمهم من الصدقات فلعل الحكومة المظفرة المنصورة ظنت أن الغرض منها تأليف حزب للقيام بعمل سياسي ثم علمت ان الحاج محي الدين رجل معروف بالبر وعمل الخير يصمد اليه الفقراء والمعوزون المتعففون وأن ثروته لاتفي باسعاف كل من يقصد اليه فاغتنم فرصة وجوده في قطر إسلامي غني للاستعانة بكرام أهله على ما يطلب منه لاسيما لعيال بعض العساكر الذين يخشى ان يلجئهم العوز الى الثورة فعمله هذا خدمة جليلة لدولته ولوطنه . على أنه لولا تداخل

سفارة انكلترا في الاستانة في أمر هذا الرجل لظل ضيف الحكومة العادلة ولكنه افرج عنه بأمر السلطان

الحاج محي الدين حماده رجل وجيه عند جميع طبقات الناس من جميع الملل في بيروت وغيرها ومحترم عند الحكومة ومشهور بالاستقامة والتقوى والاخلاص للدولة وقد ناهز الثمانين أو زاد عليها ولم يزن بريبة سياسية ولا غير سياسية فسماع حكومة الاستانة لقول مفسد دنيء فيه ومعاملتها إياه بمثل تلك المعاملة قد نفخ الرعب في قلوب أهل ولاية بيروت من الرجا الى الرجا لان سماع الوشاية في مثل هذا الرجل ممن لاقيمة لهم يقتضي ان يسمع مثلها في كل أحد وما من أحد الا وله عدو او أعداء لايأمن ان ينتقموا منه بورقة يكتبونها. واذا كان القبض على الحاج محي الدين حماده قد أظهر فضله وشرفه باهتمام الناس بأمره واقبال وجهاء جميع الطوائف على زيارته وتداخل سفارة انكلترا بطلب الافراج عنه فغيره لايرجو مثل هذه العناية والحفاوة وما كل الناس كأهل بيروت في الجرءة والاقدام

حمل هذا الرعب بعض اهل الحذر في بيروت وطرابلس وصيدا وغيرها من البلاد على إخفاء كتبهم او على إحراقها بالنار وما عتم ان ظهر ان الحذر كان غيداراً (الغيدار هو من يظن سوءاً فيصيب) فان الوشايات كثرت وانشأت الحكومة تدمر على بيوت الناس (دمر دخل بدون استئذان) وتأخذ جميع مافيها من الكتب والاوراق الى دار العدل والانصاف وتقبض على من وقعت عليه الشبهة من أهلها وتحبسه لترى مايستحق من العقوبة على اقتناء الكتب التي تسميها ضارة او ممنوعة ومن يعرف مايسمونه ضاراً او ممنوعاً ومعرفته متوقفة على تعريفهم به وإعلانه للناس وهم يسرونه ويكتمونه الا عند العقوبة"

بدءوا في طرابلس الشام ببيت الشيخ عبد الرحمن الكمالي فدمروا عليه في داره واخذوا كتبه واوراقه وقبضوا على ولده من طلاب العلم وحبسوه في دار الحكومة وفعلوا هذا بآخرين . وكان من مثار الريب بل دلائل سوء القصد عند هذه الحكومة" انه وجدت في الكتب نسختين من صحيح البخاري فاستنبطت من ذلك ان صاحب الكتب قد اخذ على نفسه أن يوزع نسخ البخاري على الناس وذلك لايكون الا

بقصد سيء يضر بالسياسة ويخشى منه الخطر على حكومة العدل والعلم والدين . ووجدوا قصيدة في مدح رجل يسمى منصوراً فسئل من عنده القصيدة عن منصور الممدوح اين هو فقال في جبل لبنان قيل كذبت بل انت تعني اميراً في مصر ....

وقد ارسلت حكومة طرابلس وكيل المدعي العمومي (رئيس النيابة) والمستنطق وبعض شرطتها الى القلمون فدخلوا دارنا واخذوا مافيها من الكتب والاوراق وقبضوا على شقيقنا السيد ابراهيم ادهم فأودعوه مع الكتب في دار الحكومة مهد العدل والامن وانا ننتظر مايكون بعد ذلك من حسن معاملتها لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودخلوا دار على كسن من القلمون لأن له ولداً مجاوراً في الازهر ولا ادري ما ذا وجدوا فيها ولعلهم لم يجدوا شيئاً وقد وقع مثل ذلك في بيروت حتى ان حكومتها فتشت مطبعة الاقبال ومكتبة الانسي واخذت مافيهما من الكتب للبحث فيها

لعل من يعتقد ان آفة السلطة المطلقة العلم يظن ان خوف الناس ورعبهم من الكتب وتوقعهم العقاب الشديد على اقتنائها آية نجاح هذه السلطة وقد يكون هذا الظن ضد الحقيقة فان مقاومة العلم وإهانة اهله ربما كانتا سبباً في إيقاظ الاذهان النائمة وإشهاد الابصار المغضية مالم تكن تشاهده من مضرات هذه الحكومة بل قد تكون سبباً لإحفاظ قلوب جميع طبقات الامة على هذه الحكومة ومتى حقدت الامة فلا يلبث مرجل حقدها ان ينفجر بحوادث الزمان مهما كانت صاغرة مستسلمة وجاهلة بطرق تغيير الحكومات وقلب الدول . فان لم تكن لدى حكومتنا عبرة بالامة الروسية التي يكاد تعظيمها للقيصر يكون عبادة حقيقية فلتعتبر بالامة المصرية التي هي أشد الامم استسلاماً للحكام كيف ثارت في وجه توفيق باشا الذي كان ألين امراء هذا البيت عريكة وأبعدهم عن القسوة والطغيان

إنا نعلم علم اليقين ان أهل سوريا لايتفكرون في مسألة الجنسية المشؤومة ولا يخطر على بالهم ان يسعوا للاستقلال ويجعلوا حكامهم منهم وأبعد من هذا عن أذهانهم التفكر في الاتصال بسائر البلاد العربية على ان يكونوا جزءاً من مملكة عربية مستقلة وانما أقصى أمانيهم ان تكون حكومتهم العثمانية عادلة معينة لهم على العلم والترقي ولكن لايوجد احد من البشر يضطهد على فكره واعتقاده ويسلب الامن فلايدري متى

يهجم عليه في بيته ويروع به أهله وعياله ثم يكون راضياً من المضطهدين لا يحب زلزالهم ولا يتمنى زوالهم ولا يسعى في ذلك متى وجد طريقاً للسعي

إن هذا الهجوم على البيوت ومؤاخذة الناس على ذنوب لم تكن ذنوباً الا باختراع مخيلات الظالمين ككون الرجل يملك من الكتاب الفلاني نسختين وكونه يقتني الكتاب الفلاني وان سماع الحكام لاقوال الجواسيس والسعاة في مثل ذلك - كل ذلك يعد من سوالب الامن فكل أحد يتوقع في كل ساعة من ليل أو نهار ان يفاجأ بما فوجيء به سواه

ارفقوا أيها الحكام المسلطون بهؤلاء الضعفاء الذين مكنكم من ظلمهم تفرقهم وما فرقهم الا عدم وجود ألم شديد عام يجمعهم فربما كان ظلمكم إياهم هو الجامع لكلمتهم عليكم. ارحموا فان الرحمة خير لكم على كل حال وقد تكون القسوة نافعة لهم ضارة بكم ولو بعد حين. لا تعلموا الناس مالم يكونوا يعلمون ولا تذكروهم بما لم يكونوا يذكرون واتقوا الله إن كنتم به تؤمنون

حذر حكومة مدينة حلب من الثورة

من أخبار حلب أن الحكومة السنية أرسلت شرذمة من زبانيتها ليلا الى سوق الباذستان وهي التي تباع فيها العاديات والامتعة المستعملة وفيه كثير من الاسلحة العتيقة فأحاط الزبانية بثمة دكان وأرسلوا الى أصحابها فحضر بعضهم وفتحوا لهم دكاكينهم فأخذوا مافيها من السلاح ومن لم يحضر كسروا دكانه وأخذوا مافيها فاعتقد الناس أن الحكومة خائفة وجلة من رعيتها تحذر أن يقتدوا بالروسيين فيقوموا عليها طالبين تغيير شكل الحكومة المطلقة واقامة العدل واباحة العلم واطلاق الحرية للناس ولولا هذا العمل لم يكن يخطر ببال أحد شيء من ذلك،

ونحن نعتقد أن هذه الاعمال سيندم عليها فاعلوها اذ تأتي بضد ما أرادوا منها وسيظهر لهم ذلك اذا استمروا عليها وانا نود من صميم قلوبنا أن تترك دولتنا محاربة رعيتها وتنزع من ذهنها وساوس الجرائد الافرنجية التي تخدعها بايهامها ان البلاد مستعدة للخروج عليها لتصرفها بذلك عن اغتنام فرصة انكسار روسيا واشتغال أوربا بالمنازعات لاصلاح بلادها. وقد نصحنا للدولة مثل هذه النصيحة فى فتنة نجد فظهر صدق قولنا وتبين بعد الحرب والخصام ان اللين فى المعاملة هو الذي يأتي بالخير ويجمع الكلمة والله الموفق

الوفدان الفرنسي والالماني في بلاد العرب

ذكرنا في الجزء الماضي خبر هذين الوفدين كما أخبرنا بعض العربان النجديين فى مصر ثم أن المخبر أحفى واستقصى فعلم انه لا وفد الا الوفد الفرنسي وأن أعوانه كانوا يشترون المصاحف والكتب باسم وفد ألماني تورية أو تعمية وان وجهة الوفد نجد من طريق العقبة وانه قد سمع أن الحكومة العثمانية قد علمت بالوفد فانتظرت ريثما دخل فى حدود بلادها فردته على أعقابه وانا ننتظر التفصيل في ذلك ولعلنا نقف عليه بعد أيام

الجمعية الخيرية الاسلامية

تنشر هذه الجمعية فى كل عام تقريرا تلخص فيه أعمال مجلس ادارتها فى السنة الماضية وتذكر فيه ميزانيتها ومشروعاتها للسنة القابلة بعد أن تعرض ذلك على الجمعية العمومية التي تجتمع في شهر المحرم. وقد حضرنا الاجتماع في هذا العام ثم أرسل الينا التقرير بعد طبعه فأرجأنا الكلام فيه الى الآن

علم من التقرير أن عدد تلامذة مدارس الجمعية فى مصر والاسكندرية وطنطا وبني مزار وأسيوط والمحلة وبورسعيد ٧٦٦ تلميذا منهم ٤٦٩ يتعلمون على نفقة الجمعية و ٢٩٧ تلميذا يتعلمون على نفقة أنفسهم. وقد بلغ ما أنفقته الجمعية على مدارسها في السنة الماضية ٤٦٣٩ جنيهاً وكسور الجنيه وبلغ ما أخذته من الاجرة على التعليم فيها ٨٤٢ جنيها ونصف تقريباً

وقد بلغ ماحصلته الجمعية من الاشتراكات السنوية فى السنة الماضية ١٣٥٣ جنيهاً لان المشتركين قد زادوا ٨٠ عضوا والمساعدين زادوا ٢٠ عضوا فصار عدد الاعضاء ٥١٨ شخصاً والمساعدين ١٠٠ وقيمة اشتراكهم السنوي يبلغ ١٨٣٦ ولكن منهم من يشترك ويمطل في الدفع ومنهم من لا يدفع مايفرضه على نفسه حتى تيأس الجمعية منه ويأمر الرئيس بحواسمه!!! ولو اتكلت هذه الجمعية على كرم أغنياء البلاد ومروءتهم لسقطت منذ سنين كما سقط غيرها من الجمعيات الادبية والخيرية التي أسست فى هذه البلاد قبلها وبعد تأسيسها ولكن مؤسسيها الحكماء قد عرفوا أخلاق أهل بلادهم ودرجة سخاء أغنيائهم وثبات أهل بلادهم فوضعوا في قانون الجمعية مادة لولاها لم تقم للجمعية قائمة وهي ان نصف الايراد يجعل للاستغلال والنصف الآخر

يصرف على التعليم وإعانه الفقراء، فانظر كيف صارت على قلة المشتركين فيها تنفق على التعليم وحده أضعاف ماياتى من الاشتراك ببركة تلك المادة. وقد يتعجب الغريب اذا علم ان الجمعية الخيرية الاسلامية الوحيدة فى أغنى الاقطار الاسلامية لم يشترك فيها من نحو عشرة آلاف ألف مسلم الا ٥١٨ وان أعظم مبلغ دخل فى خزينتها من هؤلاء المشتركين في السنة الماضية لميزد عن ربع نفقات الجمعية على التعليم الا قليلا ولكن المصريين الفضلاء العقلاء يرون ان هذه خطوة كبيرة بالنسبة لضعف الاخلاق في بلادهم وانه لولا عناية الشيخ محمد عبده ونفوذه الديني والادبي ومساعدة أعضاء الجمعية الوجهاء له لما وصلت الجمعية الى عشر هذا القدر بأريحية أغنياء القطر وشعورهم الملي والاجتماعي. فأهل مصر لايعوزهم الا الاخلاق كالكرم الحقيقي والثبات والعزيمة فاذا كثر فيهم أصحاب هذه الاخلاق فانهم ينهضون بذكائهم وثروتهم في زمن قريب

أما ما أنفقته الجمعية في سنة ١٣٢٢ على الفقراء فنحو ٤٣٠ جنيهاً والناتج لقسم اعانة الفقراء من صافى الايرادات العمومية بلغ خمس مئة جنيه وثلاثة جنيهات تقريباً. ومعظم إيراد الجمعية من أطيانها ومن الاحتفال السنوي في حديقة الازبكية وقد بلغ ماوصل الى الصندوق من هذا الاحتفال فى العام الماضي ١٥٥٧ جنيهاً

ولو كان أصحاب الجرائد وأهل الغيرة على الامة والبلاد يقومون بالدعوة الى هذه الجمعية على وجهها لكثر المشتركون والمساعدون والمتبرعون ولقدرت الجمعية بذلك على ان تخدم البلاد خدمة لاترجى من سواها بمالا أكثر من مالها لان رئيسها ووكيلها والعاملين من أعضاء ادارتها هم خيرة من انبتت ارض مصر فى هذا العصر وهم يخدمون الجمعية بقدرة وهمة واخلاص بأموالهم وانفسهم فعسى ان يوفق الله من اراد به الخير الى هذه الدعوة الصالحة

جمعية العروة الوثقى الخيرية

اسست هذه الجمعية لاجل نشر التعليم فى الاسكندرية فنجحت بهمة اعضائها الكرام من وجهاء الثغر الاسكندري حتى صارلها خمس عشرة مدرسة تسع منها للذكور عدد تلاميذها ١٥٧٨ وست للبنات عدد تلميذاتها ٥٤٩ وكان عدد المجموع في السنة الدراسيه الماضية ١٥٧٥ منهم ٩١١ يتعلمون بأجرة و٦٦٤ بغير اجرة والمجموع في هذه السنة ٢١٢٧ منهم ١١٢٦ بأجرة و١٠٠١ بلا أجرة فنرجو لهذه الجمعية مزيد النجاح ولعلنا نعود الى ذكرها فى فرصة اخرى

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ — ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢٢٣:٢٢٤) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * (٢٢٤:٢٢٥) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * (٢٢٥:٢٢٦) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦:٢٢٧) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *

هذه الآيات فى أحكام الأيمان وهي عامة وخاصة والثاني هو حلف الرجل أن لايقرب امرأته وخص باسم الايلاء فى عرف الشرع كما سيأتي فبين الآيات وما قبلها وما بعدها تناسب بهذا الاعتبار

(ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) العرضة بالضم كالغرفة لها معان أظهرها هنا اثنان أحدهما ان تكون بمعنى المانع المعترض دون الشيء أي لا تجعلوا الله تعالى مانعا بينكم وبين عمل الخير بأن تحلفوا به على تركه فتتركوه تعظيما لاسمه . ويؤيد هذا المعنى مارواه ابن جرير في سبب نزول الآية وهو حلف أبي بكر رضي الله عنه على ترك الاتفاق على مسطح بعد ان خاض فى قصة الافك وفيه نزل « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى » الآية . ويؤيده أيضا أحاديث فى الصحيحين وغيرهما منها قوله صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » وقوله عليه الصلاة والسلام « والله ان شاء الله لاأحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني » وفى حديث عائشة عند ابن ماجه وابن جرير قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين قطيعة رحم أو معصية فبرُّه أن يحنث فيها ويرجع عن يمينه » وفى هذا المعنى أحاديث أخرى . ذلك ان الانسان يسرع الى لسانه الحلف انه لا يفعل كذا وقد يكون خيرا وليفعلن كذا وقد يكون شرا والله تعالى لا يرضى بأن يكون اسمه حجابا دون الخير أو محضاة للشر فنهى عن ذلك وامر نبيه صلى الله عليه سلم بوجوب تحري الخير والأحسن وان حلف على غيره فليكفر عن يمينه بما هو منصوص فى سورة المائدة

والمعنى الثاني للعرضة مايعرض للشيء أي ماينصب ليعرض له الشيء كالهدف للسهام يقال فلان عرضة للناس اذا كانوا يقعون فيه ويعرضون له بالمكروه قال الشاعر

وان تتركوا رهط الفدوكس عصبة * يتامى ايامى عرضة للقبائل

ويقال جعلته عرضة لكذا اي نصبته له فكان معروضا ومعرضا له يكثر وروده عليه وقال الشاعر

طلقتهن وما الطلاق بسنة * ان النساء لعرضة التطليق

والمعنى على هذا الوجه لاتكثروا الحلف بالله تعالى فالذي يجعل الله عرضة لأيمانه هو كالحلاف فى قوله تعالى «وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ» فكثير الحلف حليف المهانة وقرينها وقد ذكر تعالى فى هذه الآيات صفات أخرى ذميمة نهى عن أهلها وبدأها بالحلاف فقال بعدما تقدم «هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ» فالحلاف يعد فى مقدمة هؤلاء الاشرار . ومن أكثر الحلف قلت مهابته وكثر حنثه واتهم بالكذب ولا يكون الحلاف الا كذابا فهو على اهانته لاسم الله تعالى يفوته مايريد من قبول قوله وتصديقه فالآية الكريمة ترشدنا الى ترك الحلف بالله تعالى الا عند الحاجة الى ذلك . وهذا الوجه اظهر من الذي سبقه والعرضة بهذا المعنى اكثر استعمالا . وكانت العرب تمدح بقلة الحلف وحفظ الايمان قال الشاعر

قليل الألايا حافظ ليمينه * وإن سبقت منه الالية برت

الألايا جمع ألية وهي اليمين كقضية وقضايا وإنك لتجد كثيرا من أهل الدين لايحفظون من أيمانهم ما كان يحفظ أهل الشرك فى الجاهلية فاين هم من السلف الصالح الذي قال بعضهم – وهو الامام الشافعي – ماحلفت بالله صادقا ولا كاذبا : وقال الاستاذ الامام من مذام كثرة الحلف انه يقلل ثقة الانسان بنفسه وثقة الناس به فهو يشعر بأنه لا يصدق فيحلف

ولهذا وصفه الله تعالى بالمهين وكثيرا مايعرض نفسه للخطأ اذا حلف على المستقبل . ثم انه لايكون الا قليل الخشية والتعظيم لله تعالى لا يهمه الا ان يرضي الناس ويكون موثوقا به عندهم فتعريض اسم الله تعالى للحلف بدون ضرورة ولا حاجة ينشأ عن فقد هيبة الله وإجلاله من النفس فان الناس يتعلمون كثرة الحلف من امهاتهم ومن الولدان الذين يتربون معهم وهم صغار فيتعودون على عدم احترام اسم الله تعالى وقد نجد هذا الحلف فاشيا حتى في المشتغلين بعلم الدين، ذلك ان علم الدين اصبح صناعة لفظية لا أثر لها في القلوب ولا في الاعمال وقد حدثني بعضهم حديثا اربع مرات وفي كل مرة كان يحلف عليه ويكذب فيه بما يزيد فيه وينقص منه

وقوله تعالى (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس) على الوجه الاول بيان للأيمان لانها بمعنى المحلوف عليه أي لاتجعلوه مانعا لما حلفتم عليه من البر والتقوى والاصلاح بين الناس بل اذا حلف أحدكم على ترك البر أو التقوى أو الاصلاح فليكفر عن يمينه وليفعل البر والتقوى والاصلاح فلا عذر لأحد في ترك ذلك ولا يرضي الله تعالى أن يكون اسمه مانعا منه. وأما على الوجه الثاني فهو لتعليل النهي أي لاتجعلوه تعالى معرضا لايمانكم لاجل البر والتقوى والاصلاح فان كثير الحلف لايكون أهلا لذلك لما تقدم من كونه يكون مهينا غير معظم لله تعالى وعرضة للكذب والحنث وغير موثوق بقوله فأنى يرضاه الناس مصلحا بينهم والمصلح مربّ ومؤدب وحاكم مطاع بالاختيار . ثم قال (والله سميع عليم) أي سميع لما تلفظون به من الحلف وغيره عليم بما يترتب على كثرة الحلف وبغيره من أعمالكم فعليكم أن تراقبوه وتتذكروا عند داعية كل قول وعمل انه سميع

لاقوالكم عليم بأفعالكم لعلكم تتقون عند حدود هدايته لكم فتكونون من المفلحين والا كنتم من الخاسرين

هذا الختم للآية يتضمن الوعيد على كثرة الحلف فاذا دخل فيهما يجري في الكلام من غير قصد وروية كقول الانسان : أي والله ، لا والله : وعد هذا مما يؤاخذ عليه ويجري فيه الحكم السابق كان الحرج عظيما وقد رفع الله هذا الحرج بقوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) فاللغو ان يقع الكلام حشوا غير مقصود به معناه فهو يقول ان هذه الالفاظ التي تسبق الى اللسان عادة ولا يقصد بها عقد اليمين لغو من القول لاتعد أيمانا حقيقية فلا يؤاخذكم الله تعالى بها بفرض الكفارة عليها ولا بالعقاب (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) بجعل اسمه الكريم عرضة للابتذال ، أو مانعا لصالح الاعمال ، فان الله لاينظر الى صوركم وأقوالكم، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ، فالقول الحشو الذي لا أثر له في القلب، ولا شأن له في العمل ، مما يعفو عنه ، ولا يعاقب عليه ، (والله غفور حليم) يغفر لعبده مايلم به مما لا يفسد أخلاقه واعماله ولا يتعجل بالعقوبة على هذا اللمم الذي يضعف العبد عن التوقي منه ولذلك لم يكلف عباده ما يشق عليهم فيما لم تقصده قلوبهم ولم تتعمده نفوسهم لانه مما لايدخل تحت سلطة الاختيار . وقد ذكر بعض الفقهاء للغو اليمين غير هذا المعنى المتبادر ووضعوا لذلك أحكاما ذكرها المفسرون ولا حاجة اليها وما قلناه هو المتبادر المأثور عن جمهور السلف

بعد بيان هذه الاحكام في الايمان العامة انتقل الى حكم اليمين الخاصة فقال (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) الخ. فالايلاء من المرأة

أن يحلف الرجل انه لا يقربها وهو مما يكون من الرجال عند المغاضبة والغيظ وفيه امتهان للمرأة وهضم لحقها واظهار لعدم المبالاة بها فترك المقاربة الخاصة المعلومة ضرارا معصية والحلف عليه حلف على مالا يرضى الله تعالى به لما فيه من ترك التواد والتراحم بين الزوجين وما يترتب على ذلك من المفاسد في أنفسهما وفي عيالهما وأقاربهما والظاهر ان حكم هذا الإيلاء « الحلف » يدخل فى معنى الآية على الوجه الاول من الوجهين اللذين أوردناهما وهو انه يجب على المؤلي أن يحنث ويكفر عن يمينه ولكنه اذا لم يفعل هذا الواجب لم يكن آثما فى نفسه فقط فيقال حسبه ما يلقى من جزاء إثمه بل يكون بإثمه هاضما لحق امرأته ولا يبيح له العدل هذا الهضم والظلم ولذلك انزل الله فيه هذا الحكم وهو التربص مدة أربعة أشهر وقد قيل ان هذه هي المدة التي لا يشق على المرأة البعد فيها عن الرجل وهي كافية لتروي الرجل فى أمره ورجوعه الى رشده (فان فاؤا) أي رجعوا الى نسائهم بأن حنثوا فى اليمين وقاربوهن فى اثناء هذه المدة أو آخرها (فان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف برحمته الواسعة لأن الفيئة توبة في حقهم (وإن عزموا الطلاق) أي صمموا قصده وعزموا على ان لا يعودوا الى ملامسة نسائهم (فان الله سميع عليم) أي فليراقبوا الله تعالى عالمين انه سميع لإيلائهم وطلاقهم عليم بنيتهم فيه فان كانوا يريدون به إيذاء النساء ومضارتهن فهو يتولى عقابهم وان كان لهم عذر شرعي بان كان الباعث على الإيلاء تربية النساء لاجل اقامة حدود الله وعلى الطلاق اليأس من امكان المعاشرة بالمعروف فهو يغفر لهم . والمعنى ان من حلف علي ترك غشيان امرأته فلا يجوز له أن يتربص أكثر من أربعة أشهر فان

تاب وعاد قبل انقضائها لم يكن عليه إثم وإن اتمها تعين عليه أحد الامرين الفيئة والرجوع الى المعاشرة الزوجية أو الطلاق وعليه أن يراقب الله تعالى فيما يختاره منهما . فان لم يطلق هو بالقول كان مطلقا بالفعل أي انها تطلق منه بعد انتهاء المدة رغم انفه منعا للضرار وقيل ترفع امرها الى الحاكم فيطلق عليه والمسألة خلافية فى هذا ولكن لا خلاف فى عدم جواز بقائها على عصمته وعدم إباحة مضارتها . وقد فضل الله تعالى الفيئة علي الطلاق اذ جعل جزاء الفيئة المغفرة والرحمة وهدى الى مراقبته فى العزم على الطلاق وذكر بسمعه تعالى لما يقول المرء وعلمه بما يسره فى نفسه ويقصده من عمله .

هذا حكم الايلاء من المرأة اذا أطلقه الزوج فلم يذكر زمنا أو قال لا أقربك مدة كذا وذكر أكثر من أربعة أشهر فان ذكر مدة دون أربعة أشهر فلا يلزمه شيء اذا أتمها وفى الاربعة خلاف . وقد عدي الايلاء هنا بمن لما فيه من معنى المفارقة والانفصال وهو من البلاغة والايجاز بمكان . ويقال فى غيره ألى وآلى وائتلى أن يفعل كذا أي حلف وصار الايلاء حقيقة شرعية بالحلف المذكور

باب المقالات

المسلمون والقبط (*)

أو آية الموت وآية الحياة

قرأنا فى جريدة الوطن القبطية مقالة عنوانها (التعليم الديني والحكومة) بحث فيها

(*) أشرت في مقالة (حياة الامم وموتها) التي نشرت في الجزء الثاني من هذه السنة الى الفرق بين المسلمين والقبط في العناية بالمعارف . وطالما عزمت على كتابة

كاتبها فى مشروع الحكومة الجديد من اعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية بحثاً قال فيه ان الحكومة المصرية رأت ان هؤلاء الحفاظ كثروا فى هذه الديار كما كثر الرهبان والشمامسة والقسيسون فى كل بلاد نصرانية تعامل خدمة الدين معاملة الحكومة المصرية لهم فأرادت حكومة مصر أن تخص هذا الاعفاء بمن يستحقه أي وهو من يتعلم من مبادىء القراءة والكتابة مايمكنه من خدمة الدين بتعليم القرآن الكريم وغيره مما يتعلمه الاولاد فى المكاتب لا من يدعون انهم يخدمون الدين والعلم وهم أبعد الناس عن ذلك . قال الكاتب

«وظاهر من هذا ان الحكومة المصرية أرادت أن تعلي قدر الدين الاسلامي بما نوت من الاصلاح لانها رأت ان الاعفاء بلا تدقيق ولا حساب يجعل الدين سلاحاً يتسلح به كل طالب للتخلص من الخدمة المفروضة على كل وطني فالذين يتذرعون بهذه الذريعة ويجعلون أنفسهم من الفقهاء حباً في الخداع والتخلص من خدمة الوطن وليس حبا بالعلم والدين انما يؤدي فعلهم الى اسقاط حرمة الدين بين الناس» — الى أن قال «فحكومة مصر قصدت خدمة الدين بتنقية صفوفه من الذين لا يصلحون لخدمته والاشتهار بين الناس باسمه وباعادته الى مجده الاول حين كان العلماء والفقهاء (هم) الذين توفرت فيهم شروط العلم والفقه وليس الذين هربوا من واجب وطني وجعلوا الدين حيلة وواسطة للفرار منه»

جعل الكاتب القبطي الغيور على ملته وقومه هذا الكلام مقدمة وتمهيداً لمطالبة الحكومة بأن تعامل خدمة الدين من القبط كما تريد أن تعامل خدمة الدين من المسلمين بأن تشترط في اعفاء الشمامسة والعرفاء وغيرهم من خدمة الكنيسة أو الدير من القرعة العسكرية أن يكونوا متعلمين من مبادىء القراءة والكتابة ما يجعلهم محترمين في أعين المتعلمين ويمكنهم من إحسان خدمة الدين . وقال اذا كانت الحكومة تشترط عليهم مثل الذي تريد أن تشترطه على الفقهاء (أي الحفاظ) « فانها تحسن الى الامة

مقالات فى المقابلة بين مسلمي مصر وقبطها وبين المسلمين والنصارى عامة ثم أرجأتها . وقد نشرت من عهد قريب مقالة فى المقطم تتعلق بالموضوع خاصة بمسألة اعفاء حفاظ القرآن من القرعة العسكرية بامضاء (مسلم غيور) فأحببت نشرها هنا لما فيها من الذكرى والاعتبار

القبطية أكبر احسان وترقي درجة الذين يخدمون دين النصرانية بين رعاياها وهي تخطو خطوة كبرى فى سبيل الاصلاح المطلوب للبطركخانات » ثم أطال في بيان أعمال هؤلاء في خدمة ملتهم وقال ان الامة القبطية كلها ألسنة صارخة بمطالبة الحكومة بهذا الاصلاح

قرأت هذه المقالة فكان يتمثل لي عند كل جملة منها ما كتب في المؤيد من المقالات الطويلة العريضة والنبذ الموجزة في أخباره المحلية الصارخة بالتألم والشكوى من مشروع الحكومة: انه اهانة للدين والقرآن، وتحقير لخدمة الاسلام، وانزال لهم عن مرتبة خدمة النصرانية في الاحترام، اذ لا تشترط الحكومة في اعفاء القسوس والرهبان والشمامسة ونحوهم معرفة بالقراءة والكتابة ولا بمبادىء الحساب ولا باتقان ما يقرأون من كتب الدين : وتمثل لي بالمقابلة بين ماتشكو منه الجريدتان الفرق بين آيات الموت و آيات الحياة — الجريدة الاسلامية تشكو من العلم وتعده اهانة لدينها وهضما لحقوق حملة كتابه وذلك أظهر آيات موت الامم ان كانت الامة على رأي المؤيد راضية بقوله وقول من شايعوه على ذلك . والجريدة القبطية تشكو من الجهل وتعد اقرار خدمة دينها عليه اهانة لهم وتقصيرا من الحكومة فى مساواتهم بالمسلمين فى العناية بدينهم واعانتهم على اصلاح قومهم وذلك أظهر آيات الحياة والطائفة القبطية على رأيها لا محالة

عجباً للمؤيد يذكر كل سنة فى الكلام على نتيجة الامتحان فى المدارس سبق القبط للمسلمين في التعلم اذ المشتغلون والناجحون من الاولين أكثر منهم في الآخرين ويظهر التبرم والشكوى من ذلك فما باله قام يحارب العلم والتعليم في مشروع حفظ القرآن ومشروع الكتاتيب ؟ ان كان لا يعرف فضيلة العلم لذاته قل أو كثر بل يعرفه بميل القائمين بأمر البلاد أو عدمه فيذم مارغبوا فيه ويمدح ما رغبوا عنه فليسكت عن الشكوى من قلة المتعلمين من المسلمين لان جناب اللورد كرومر الذي بيده ازمة البلاد يشكو من ذلك في تقاريره كل عام

ان رغبة القبط فيما يزعم المؤيد ان المسلمين يرغبون عنه وبكاء الجريدة القبطية على ماتبكي منه الجريدة الاسلامية هو ادل على الفرق البعيد بين الفريقين من كثرة عدد المتعلمين في احدهما وقلته في الآخر لان الرغبة عن العلم والبكاء منه ادل على موت الامة من ترك الكثيرين له اذ يجوز ان يكون الترك لعذر غير الكراهة والتنور (١) .

(١) التنور هنا لامعنى له فهو تحريف حتما

كذلك الرغبة في العلم وطلبه والبكاء من فقده أدل على الحياة من مجرد القيام به من أفراد كثيرة » الخ (مسلم غيور)

(المنار) اننا لم نقرأ كل مانشره المؤيد في هذه المسألة ولكننا قرأنا بعضه فلم نره صوابا وفى هذه المقالة حدة فى الانحاء عليه قد استثقلناها فحذفناها ومقصودنا بالذات المقابلة بين المسلمين والقبط في هذا الامر لاسيا بعد ان مضى زمن على مانشرته جريدة الوطن القبطية فلم نر من القبط من انتقده وماحذفناه ليس منه وقد بينا رأينا في المسألة معززا بالدلائل والبراهين

باب العقائد

ننشر المقالة الآتية لصاحب التوقيع الذي رأيناه منذ عرفناه يشتغل بعلوم الفلسفة والكلام مع رفيق له من المشتغلين بالطب حتى انهما صارا يطالعان الكتب العالية كالمواقف وقد مزج مقالته الآتية بنظريات المتقدمين وطريقة المتأخرين الذين درس علومهم فى المدارس النظامية . وهذه هي المقالة

الدين فى نظر العقل الصحيح

قرأت فى إحدى المجلات العربية مقالة بقلم أحد طلبة المدارس العالية ذكر فيها شيئاً من المذهب المادي في مصير الانسان وأصله وتبجح بأن هذا هو معتقده وأن لاحق بعد ذلك ولما كانت هذه الافكار وأمثالها مما يخالج قلوب شباننا اليوم حتى صار جمهورهم لايعبأ بعقائد الدين ويظن انها ضرب من أساطير الاولين لاحاجة لعصرنا الحاضر بها تحركت نفسي لكتابة شيء فى هذا الموضوع بعد عمل الفكر واجالة النظر فى أطرافه وجعلت اعتمادي فيما أقول على البراهين العقلية الصحيحة التي تنتهي الى البديهيات بحيث لاتجد فرقاً بينها وبين البراهين الرياضية لتكون أعظم مؤثر في قلوبهم وليعلموا أن الدين فى حججه يفوق المادية في نظرياتها وأوهامها . ولإيفاء المقام حقه رأيت أن أبدأ بذكر حكم العقل فى المادة من جهة تركيبها وتحليلها وأصلها من حيث الحدوث والقدم ثم انتقل الى براهين وجود الخالق ومايليق به من الصفات ثم أتكلم عن الروح والبعث وأختم كلامي بأدلة النبوة عموماً والمحمدية خصوصاً وبذلك يتم الاعتقاد الاسلامي ويكون الانسان مؤمناً بالله واليوم الآخر والنبوة وما أتت به

المادة وتركيبها

الاجسام التي نراها شاغلة حيزا من الفراغ تقبل القسمة الى أجزاء أصغر منها وكل جزء يقبل القسمة الى ماهو أصغر منه وهكذا فاذا استرسل العقل في القسمة فاما أن يقف عند حد أولا يقف فان لم يقف كان ذلك قولا بأن كل جسم أخذناه بيدنا وحصرناه بين أصابعنا مركب من أجزاء لانهاية لها وهذه الاجزاء مهما صغرت فلا يمكن أن تحصر لعدم تناهيها . لكن هي محصورة بالحس إذاً هذا الفرض باطل . بقي القول بأن العقل لابد أن يقف عند حد فى القسمة فهذا الحد اما أن يكون له امتداد أوليس له امتداد فان كان له امتداد فالعقل يتصور قبوله للقسمة ونرجع الى ماقلناه في الشق الاول اذاً لم يبق الا القول بأنه لاامتداد له . واذا ثبت هذا علمت أن جميع الاجسام مركبة من أجزاء لاامتداد لها مطلقاً ولكن لها وضع معين فهي مثل النقط الهندسية وإنما تمتاز عنها فى أنها أشياء وجودية لاوهمية . هذه الاجزاء هي مانسميه بالجواهر الفردة ويسمي جملتها الماديون (بالمادة) أو (الاثير) وقالوا إن اجتماع بعضها ببعض على أوضاع مختلفة وبأعداد مختلفة قد نشأت عنه العناصر الاصلية فيجوز أن تكون كل ذرة من الاوكسيجين مركبة من جوهرين مثلا والذرة من عنصر آخر مركبة من ثلاثة أو أربعة وباتحاد العناصر المختلفة بعضها ببعض تكونت المركبات وسواء صحت هذه النظريات أولم تصح فالشيء الذي لاشك فيه هو وجود الجوهر الفرد وأنه الجزء الذي لايتجزأ ومنه تركبت الموجودات

حدوث المادة

قلنا ان الجوهر الفرد هو ماليس له امتداد وله وضع معين وهو شيء وجودي . كل ما كان له وضع معين فالعقل يتصور جواز انتقاله من موضع الى آخر وهذا الانتقال هو الحركة فلو فرضنا أن الجوهر الفرد قديم لتصور العقل إمكان تحركه من مكان الى آخر ولو أمكن ذلك لامكن وجود حركات في الأزل لاأول لها وهذا محال لانه يستلزم جواز تحرك الجوهر حركات لاعدد لها قبل كل حركة . وكونها لاعدد لها يستلزم أنها لاتنحصر ولاتدخل تحت عد وإتيان الجوهر الفرد بها يدل على أنه يمكن عدها وعد مالايعد تناقض بديهي البطلان إذا ثبت ان الجوهر لايجوز أن يتحرك

في الازل لكن جواز تحركه من لوازم ذاته بحيث لايتصور وجوده بدون ذلك الجواز وحيث ان فرض وجوده في الازل يؤدينا الى المحال ومايؤدي الى المحال محال ثبت انه لايمكن أن يكون موجوداً في الازل أي انه حدث بعد أن لم يكن

وجود الواجب

يقسمون المعلوم إلى قسمين واجب لذاته وغير واجب لها فالواجب لذاته هو ما كان وجوده من لوازم ذاته بحيث لايمكن أن ينفك عنها وغير الواجب قسمان موجود بالفعل وغير موجود وغير الموجود قسمان جائز وجوده ومستحيل والمستحيل هو ما لا يمكن وجوده فكل موجود إما أن يكون واجباً أو جائزاً ولا ثالث لهما أما الواجب فسبق تعريفه وأما الجائز فهو ماجاز عليه الوجود والعدم ولا يرجح أحدها الا بمرجح اذا عرفت هذا فنقول

الجوهر الفرد موجود فإما أن يكون واجباً أو جائزا لايمكن أن يكون واجباً لانه قد ثبت أنه كان معدوماً في الازل والواجب لايمكن أن ينفك عنه الوجود لا أزلا ولا أبداً اذاً هو جائز والجائز لايمكن أن يرجح وجوده على عدمه الا بمرجح والمرجح لايمكن أن يكون سوى الواجب اذ لم يبق سواه غير المستحيل اذاً الواجب موجود قطعاً

أحكام الواجب

قد سبق أن الوجود لاينفك عنه أي انه قديم باق فلا أول لوجوده ولا آخر له وهذا بمقتضى التعريف السابق • ومن أحكامه أنه ليس له وضع معين ولا جهة يشار اليه فيها والا لتصور العقل جواز تحركه ولو جازت عليه الحركة لكان حادثاً ولو كان حادثاً لما كان واجباً وحيث ثبت انه لاوضع ولا جهة له ثبت أنه لا امتداد له والا لشغل حيزا من الفراغ وتعين له الموضع والجهة

اذا عرفت هذا علمت أنه لايجوز عليه الحلول ولا الاتحاد ولا التجسد لانه لو حل أو اتحد بجسم المسيح على مذهب أو تجسد وظهر بصورة المسيح على المذهب الآخر كما يقول النصارى لوجبت له الحركة والا لما كان للحلول والاتحاد والتجسد معنى حقيقياً تعالى الله عن أن يظهر في مخلوق أو يتصور بصورته

ومن أحكامه التفرد بالوجود لانه لو كان هناك واجبان فأ كثر وخلق أحدها جائزا امامن

الجائزات فإما أن يبقى الآخر قادرا على خلق هذا الشيء بعينه أو غير قادر فان بقي قادرا أمكنه تحصيل الحاصل وهو محال لانه يستلزم أن يكون للشيء الواحد وجودات متعددة وإن لم يبق قادرا زالت قدرته القديمة عن بعض الاشياء والقديم لا يزول لان قدمه إما أن يكون لذاته أو لشيء آخر قد اقتضى وجوده فان كان قدمه لذاته فلايمكن أن يزول من الذات ماهو لها وإن كان لغير ذاته فما دام المقتضي موجودا فلايمكن أن يزول المقتضى

هذا واعلم ان قول النصارى إنه واحد في الذات ثلاثة في الاقانيم محال لانهم يعتقدون ان كل أقنوم يمتاز عن الآخر بخواص كثيرة فالاول يمتاز بخاصية الابوة والثاني بالبنوة وبالحلول أو التجسد والثالث بالانبثاق وان الامتياز بينهم حقيقي بحيث ان مايثبتونه لاحدهم لايمكن ان يثبتوه للآخر اذا عرفت هذا اقول الشيء الذي به الامتياز إذا ثبت لاحد الاقانيم فهو ثابت لذاته وإذا ثبت لذاته فهو ثابت لذات الله تعالى وبما انه علة للامتياز فلايمكن ان يثبت للاقنوم الآخر وإذا لم يثبت له لم يثبت لذاته وإذا لم يثبت لذاته لم يثبت لذات الله وعليه يكون الشيء الواحد ثابتاً للذات وغير ثابت لها فمثلا إذا قلنا إن الابن حل اوتجسد اي إن ذاته حلت اوتجسدت كانت ذات الله حالة اومتجسدة ولكن الآب لم يحل ولم يتجسد فذات الله لم تحل ولم تتجسد وعليه تكون ذات الله حالة او متجسدة وغير حالة ولا متجسدة وهذا تناقض ظاهر البطلان

بقي عليّ ان اذكر كلمة صغيرة في القدرة قبل ترك هذا الموضوع وهي انها لاتتعلق بالمستحيل • وخلق حوادث في الازل مستحيل لانه يستلزم وجود حوادث لااول لها وهو باطل وعليه فالقدرة الازلية لاتوجد الحوادث الافي غير الازل والازل لايمكن للعقل تصوره فهو ليس مركباً من لحظات لااول لها لان ذلك أيضاً باطل فلم يكن ثم دهر ولا زمان بخلاف ما إذا فرضنا أن الجوهر الفرد قديم فانه يستلزم جواز وجود الحركات في الازل وذلك يستلزم تعاقبها وتعاقبها يستلزم وجود الزمان أما خلق الحوادث في غير الازل فلايستلزم وجود لحظات متعاقبة ولاوجود متجددات في الازل

والخلاصة ان الواجب قديم باق قدير متفرد بالوجود ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

الروح والبعث

عناصر الجسم الكيماوية معروفة ومشهورة وعناصره (الهستولوجيه) هي مايسمونه بالخليات وكل خلية حية بذاتها بحيث يمكن بقاؤها حية بعد انفصالها عن الجسم مدة من الزمن وتأتي من الاعمال مثل ماتأتيه فى الجسم فمثلا كرات الدم البيضاء اذا فصلت عن الجسم ووضعت في وسط مناسب لحياتها تبقى حية مدة فتتحرك وتتغذى وتقسم وليس الامر قاصرا على الخليات بل ماتركب منها من الاعضاء والعضلات وغيرها وإذا فصل من الجسم يبقى حيامدة فمثلا قلب الضفدعة يستمر على ضرباته بعض دقائق وكذا العضلات الاخرى من الجسم تنقبض وتنبسط إذا نبهت ثم ان جميع وظائف الجسم وحواسه ومدركاته لها مراكز مخصوصة في المخ والنخاع الشوكي بحيث إذا أتلف هذا المركز بطلت الوظيفة وبين المراكز والاعضاء اتصال بالاعصاب الحساسة والمحركة ولهذه الحقائق المحسوسة ظن الماديون أن لامعنى للقول بالروح إذ لاأثر لها فى الحياة ولافي غيرها ولوكان هناك شيء يليق أن يسمى روحا فالمخ أولى الاشياء بهذه التسمية ثم إنهم شاهدوا أن الجسم دائما فى التغير والانحلال والتركيب بحيث أن جسم الانسان في بضع سنين يكون قد تغير كله وأتى بدله جسم آخر • وفسروا شعور الانسان بشخصه أنه لم يتغير طول حياته بأن الانطباعات والتأثرات المخصوصة في جوهر المخ تتجدد في كل مادة • وبعد ان أنكروا مايسميه علماء الاديان روحاً وأنه شيء يقوم بذاته ولا يتغير وأنه ليس من مادة عالمنا هذا الى آخره بعد أن انكروا ذلك ووجدوا أن جسم الانسان بعد الموت ينحل ويدخل فى تراكيب النباتات والحيوانات الاخرى ومن بينها الانسان قالوا إذا البعث مستحيل لان الانسان ليس له روح مخصوصة تمتاز عن جسمه وليس جسمه ثابتاً له بل ربما دخل فى جسم إنسان آخر وعليه فالحشر روحياً كان أو جسدياً ضرب من المحال

هذا هو ملخص مذهبهم • والناقد البصير يرى انه مبني على المحسوس والمعقول إلا في نقطة واحدة هي محور غلطه ومركز شططه وهي قولهم إن شعور الانسان بشخصه من أول العمر إلى آخره ناشئ عن الانطباعات المخصوصة وتجددها في كل مادة تدخل في تركيب بحيث لاشيء ثابت من اول الحياة الى آخرها إذا لاعلاقة بيني

الآن وبين شخصي بعد بضع سنين سوى الانطباعات المخصوصة المتماثلة في المادتين • أقول المتماثلة لانها لايمكن ان تكون هي بعينها لانها اعراض لاقيام لها بذاتها ولاتنتقل من مادة الى أخرى فكانه بعد مرور بضع سنين على الانسان يعدم من الوجود ويوجد شخص آخر غيره ومع ذلك يشعر كل بأنه هو الآخر بعينه لتماثل الانطباعات فيهما ولو سلمنا ذلك فلماذا لايكون البعث من هذا القبيل وإذا وجد شخص آخر فيه مثل مافيّ من الانطباعات فهل اشعر بأني أناهو وهو يشعر بأنه أنا وما الفرق بين هذه وتلك وهل إذا عدم أحدنا يشعر الآخر بأنه هو الاول بعينه كلا ثم كلا إذا لابد ان يكون هناك شيء ثابت في الانسان من أول الحياة الى آخرها وبه تحقق شخصيته ويمتاز وجوده وسواء كان هذا الشيء من عالمنا هذا أو من عالم آخر فلا يهمنا وهذا الشيء هو روح لانسان وجوهره وحقيقته وحيث أننا لاندري مكانه ولا كنهه فلايمكننا الحكم بأنه يدخل في تركيب انسان آخر ولم لايجوز أن يبقى محفوظا الى يوم القيامة ثم يعاد في جسم جديد • ولا عبرة بالجسم الاول المتبدل المتغير الداخل في تركيب غيرنا بعد انحلاله فان شخصية الانسان لاتحقق به ولا تتوقف عليه. اذا علمت هذا أيقنت ان للانسان روحاً بالمعنى المتقدم وكذا لكل حيوان له شعور بشخصه وان ليس البعث ضرباً من المحال بل هو من الجائزات وسنأتي فى مقال آخر بأدلة النبوة وصدق ماأتت به وبعد ذلك نثبت بالبرهان النقلي وجوب البعث يوم القيامة

الامضاء

محمد توفيق صدقي الطبيب بسجن طرى

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

يوم ١٥ يوليه – سنة –١٨٦

فوائد الشدائد – بذل النفس للمحبوب أول الحب

كان منا خرق وطيش كادت عواقبه تكون علينا خسارا مبيناً ذلك اني و «أميل»

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر تابع لما فى ص ٧١٢ م ٧

وهولاء خرجنا عشية أمس نتنزه والساحل ممتطين افراساً فأوغلنا فى مسيرنا معتسفين
ولا يلبث الانسان بأدنى بحث فى شكل هـذه السواحل الظاهري ان يدرك ان البلاد
نشأت من الزلازل الارضية

من أسمى الافهام التي انتهت اليها حكمة العلوم الحديثة على ما أرى (١) ادراك
ان للناس فوائد فيما يبتلون به من المصائب فان لها دخلا عظيما في تكون العالم المادي

وما أدراك ماهـذه المصائب ؟ إذا رجت الارض رجاً وتولاها الاضطراب عم
الفزع كل من على ظهرها ممن يشهدون زلزالهـا ورأيت الحيوانات جافلة حيرى
لاتدري ماذا يرادبها *

وان لمن شهد الزلازل من سكان هذه البلاد قصصاً عنها يروونها للاجانب تحاكي
قصص التوراة فكأيٌّ من قرية كانت بالامس عامرة سعيدة أصبحت خاوية على
عروشها فلا يجد الباحث عنها فى عرصاتها الا اطلالا بالية ورسوماً دارسة واذا انقضت
الزلازل لم يكن للناس حديث مدة الشهر التالي لوقوعها الا قصصها المحزنة فمن رجال
ذهبت عقولهـم من الفزع وأموال لعبت بها أيدي الضياع ونساء وأطفال وشيوخ
خرت عليهم بيوتهم فخنقهم ردمها

لايسلم تاريخ هـذه الرزايا من اختلاط القصص به فمما يحكيه الناس هنا انهـم
شاهدوا في زلزلة ليلية على وميض البروق المشؤم ان الارض قـد انشقت وبرزت
هياكل قدماء الانقين (٢) من قبورها ثم عادت فغيبت في هـذه المهاوي التي مالبثت
ان التأمت عليها

سكان شطوط المحيط في هذه البلاد أشد تعرضاً للمعاطب فان البحر في بدء الزلزال
يتقهقر عن الارض كأن قد ملكه الذعر ثم يعاود الكرة وقد هاج غضبه واشتد صخبه
ولجبه وهنالك تتكسر أناجر السفن وتتقطع سلاسلها وتأخذها أعاصير الماء فتدور
بها دوراناً وأما جسور المياه فانها تستسلم لضغط الامواج فتفتح أبوابها للخراب والهلاك

(١) لقد طاش رأيه فان القرآن القديم نطق بهـذه الحكمة التي رآها حديثة
فى آيات كثيرة جدا ولـكنه لايعلم ذلك (٢) الانقين جمع انقى وهو أحـد اشراف
قدماء الهنود بامريكا

وللبيرويين من المعرفة الصحيحة بما لأرضهم التي استودعوها حياتهم وعيالهم
وآمالهم من ضروب الختل مايجعلهم في عامة أوقاتهم على حذر منها فتراهم لايذوقون
النوم الاغراراً مستعدين على الدوام للهبوب من بيوتهـم لأقل لغط أو أدنى رجـة
سائلين ما الخطب فاذا قيل زلزلة برزوا جميعاً

على أن لهم بهذا القطر الذي تميد بهم أرضه كلف العاشقين لجماله وخصبه فانك
تجد في البقاع المزروعة منه حقول الذرة وقصب السكر والقطن والفواكه الاسبانيولية
كالبرتقال والليمون والرمان والتين والزيتون قـد ازدوجت بجميع فواكه المنطقة
الحارة كالموز والاناناس فتلك الارض المتزلزلة حبلى بالحياة فهي تنمو وتعلو وتتنفس
ولا ينبغي ان ينقم منها أنها فى عملها هذا تشوش نظام عمل الانسان احياناً بما لها من
صنوف التدمير وضروب التخريب

﴿ الآثار والمدن المجهولة فى البيرو ﴾

والموازنة بين القوى والاعمال

يوم ٢٨ يوليه سنة ـ ١٨٦

كثيرا مانلاقي هنا هنوداً أصليين يشتغل بعضهم بالتماس الثلج من رؤس الجبال
ونقله على ظهور البغال الى (ليما) حيث يعتبر من أوائل مشتهيات المائدة وبعضهم بنقل
الملح اليها من سواحل البحر على قطعان اللاما (١)

ياله من بون بعيد بين ماعليه هؤلاء الهنود الآن من الذل والشقاء وما كانوا فيـه
من العظمة والرخاء

معابد الانقـين التي يرشـد أهلها السائح الى زيارتها وطريقهم الحربي المشهور
الذي اختطوه لمقاتلتهـم ونظام ريّهـم العجيب الذي كانوا يبلغون به مياه الجداول
الصغيرة الى الحقول بمـا كانوا يحتفرونه من الخنادق ليخصبوا به من الارضين ماصار
بعدهـم محلا كل ذلك ممايحمل على الاعتقاد بأن الاجيال الاصلية التي كانت متوطنة
وسط أمريكا أوقفت فى سبيل تقدمها بحلول الجيل الابيض الذى انقض عليها في بلادها
انقضاض العقاب فعاقها عن رقيها فانها كانت تسعى اليه ومن ذا الذي في استطاعته أن

(١) اللاما حيوان من حيوانات البيرو بامريكا يشبه الجمل

يخبرنا بما كان يحصل لو انهم أمهلوا حتى بلغوا امثال تمدنهم الصحيح ربما كان العكس الامر فذهب مثل خريستوف كلومب من حمر الجلود فاكتشف الدنيا القديمة

قبائل الهنود التي لم تخضع الى اليوم للحكومة الامريكية تحذر ما يقدم لها من الهدايا وما تدعو به من المزايا على حد قول القائل «الروم أخشى» (١)

ولم تفاح الحكومة فى ارسال الدعاة اليهم لدعوتهم الى النصرانية فانهم يعلمون ان لفظ انجيل فى فم الابيض معناه الاستعباد لجيلهم ومصادرتهم فى ارضهم

لم يسلم الساحل الذي كنا نتنزه عليه من فعل الزلازل الارضية التي لاشك في انها تبتدىء من سلسلة جبال الاندز (٢) فان الانسان فيما يلاقيه هنالك من الشقوق والانجاد والاغوار التي لاتلبث بعد انخسافها ان ترتفع لايزال يعرف ميدان تكافح الفواعل النارية

كانت «لولا» تسير على الساحل وكلها زهو وعجب باستقبالها «إميل» في بلادها ومرحبتها اياه غير مفكرة في شيء عسى أن يكون من الحبائل تحت هذا الساحل المتباين الذي دعثرته العواصف والاعاصير فهمزت جوادها بحدة مفرطة وأخذت به شط البحر وكنا نحن نتبعها ولكن من بعد لبلادة فرسينا على ان «اميل» لم يلبث ان خف اليها خفة المستيئس لما نبهته هيعاتي الى الخطر الذي كانت ملاقية له فلما بلغ تلك الفارسة المرحة لم تكن الا على نحو مئة متر من هوة بين صخرتين كان لامحيص لها من التردي فيها بجوادها مرسلة الشعر في الهواء مشرعة السوط فأخذ بعنان فرسها وقسره على التحول يسرة فرفع يديه قائماً على رجليه وحرن ثم مالبث أن وقف كانه ألهم الوقوف فجأة

فأما «لولا» فقد امتقعت (تغيرلون وجهها) وارتعدت فرائصها لانها كانت أبصرت الهوة وشكرت «لاميل» همته بأن قبلته تقبيلا يشف عن الوداعة وسلامة القلب كالذي يقع من أخت لاخيها

(١) الروم اخشى جزء من بيت شعر لشاعر لاتيني • اذكر منه شطره الاول ومثاله «الروم اخشى وان هم قدموا تحفا»

(٢) سلسلة جبال الاندز هي سلسلة عظيمة من الجبال في امريكا الجنوبية

وفي يقيني ان هذه الحادثة لم تزد شيئاً على مايضمره كل منهما للآخر من المحبة والوداد ولكني أحسب أني لاحظت من عهد حصولها فرقاً دقيقاً فى رعايات «اميل» لها بزيادة تحدبه عليها فكأن بذل النفس للمحبوب أول الحب

ذلك أمر لابد أن تكشفه لنا الايام لاني وهيلانة قد عودنا هذين الغلامين على أن نصدقهما لمجرد قولهما فلا اخالهما يجسران على غشنا • اهـ

يعتقد بعض اهل ليما ان من المدن البيروية او المكسيكية القديمة مالاتزال موجودة لم يبلغها الفاتحون من اسبانيا واذا سألتهم اين هذه القرى لاتجد منهم احدا يستطيع ان يجيبك عن هذا السؤال ثم اذا قلت كيف ان احدا من سائحي اليوم لم يعثر عليها اجابوك ان هؤلاء الاقوام القدماء سكان تلك المدن مكنوفون من كل ناحية بالصحاري والآجام والمستنقعات وسلاسل الجبال وغيرها من العقبات الكثيرة وبذلك حفظوا استقلالهم على ان الوصول اليهم يقتضي وطء قبائل متوحشة تمنع الاجانب من دخول أرضها وتجزي عليه بالقتل واسمهم الهنود البسلاء (انديوس براقوس)، وهم جيل حربي يسكن الهضاب الواقعة شرقي البيرو والقونشوس ويقال انهم من أكلة لحوم البشر

ولقد ذهب فريق آخر من البيروبين في دعاويهم الى ما هو أبعد من ذلك فلم يقتصروا على القول بوجود المدن المذكورة بل قالوا ان بعض ركاب التعاسيف الخاملي الذكر والمترفقين من التجار وطلاب المهن زاروها المرة بعد المرة ومن هؤلاء الزوار من انقطع ذكرهم فلم يسمع عنهم شيء ومنهم من حكوا ماعاينوه منها فهم مصدر ماعرف عنها غيرانهم لبعدهم عن الحضارة بل وعن العلم لم يخبروا بما اكتشفوه الا بعض التجار الرحل أو الصيادين ولم يستطع هؤلاء عند حكايتهم لما وعوه أن يؤدوا لمن سمعوا منهم الا اخباراً مبهمة جداً

والذي ينبغي أن يعتقد فى مثل هذه الاحاديث هو انه يحسن قبل نبذها واعتبارها من الاساطير أن يفكر فيها مرتين لانها على كل حال ليست بعيدة عن الحقيقة بعد ان اكتشف استفنس (١) وغيره من السائحين الذين جابوا وسط أمريكا ما اكتشفوا من الآثار الحقيقية وبعد الابحاث التي حصلت وسط الغابات الكثيفة ولم يشهدها الا الببغاآت والقردة

(١) سائح أمريكي شهير

وخصوصاً بعد ان ثبتت للعالم صحة بعض الآثار المروية عن الهنود ثبوتاً واضحاً من اطلال القرى المكتشفة مثل قوبان وقيشى واوقوزينجو وبالانقا وغيرها من القرى الكثيرة المدفونة تحت جذور الاشجار من قرون طويلة

نعم ان موضوع البحث والنظر هاهنا ليس مدناً بائدة بل هو مدن حية قد يعثر فيها ان وجدت على تاريخ جيل من أجيال البشر برمته ومعابدهم وآلهتهم وقسيسيهم وشرائعهم وعوائدهم

وبماما ل «إميل» و «لولا» اذا سمعا مثل هذه الحكايات فاتقدت بها مخيلتهما الى ان يباشرا البحث عن تلك المدن المجهولة فان من هو مثلهما في سن المراهقة لا يفكر في العقبات ولا يحسب لها حساباً فهما من هذه الجهة شبيهان بعامة الناس ولواني ثبطت عزم هذين القرنين الصغيرين وأخمدت توقد ذهنهما للمت نفسي على ذلك ولكني انتهزت هذه الفرصة فقلت لهما انه لا يزال في بلاد البيرو كما في غيرها كثير من الاشياء التي يلزم اكتشافها غير انه يجب على الانسان قبل كل شيء أن يعرف كيف يزن قواه بطبيعة ما يريد مباشرته من الاعمال . اه

آثار علمية ادبية

أعمال مجلس ادارة الازهر

يرى كثير من الناس أن الجرائد في هذا العصر هي بمثابة كتب التاريخ لانها تتصدى لذكر جميع الحوادث وتبحث في عللها وأسبابها ونتائجها ومسبباتها فاذا أراد مؤرخ تأليف تاريخ لامة أو بلاد تنشر فيها الجرائد فما عليه الا أن يراجعها ويستمد منها اذا كانت حرة لم يستعبدها الحكام المستبدون وعلى هذا الرأي يمكن لمن يريد كتابة تاريخ حديث للازهر أن يراجع الجرائد المصرية في دار الكتب المصرية ويأخذ عنها ما كتبته عن هذا المكان . ولعله لا يوجد عاقل عارف بحال هذا القطر يثق بحرية جرائده في نفسها وتحريها الصواب والحقيقة في الحوادث المهمة التي لها شأن في تاريخها وسردها بأسبابها ونتائجها الحقيقية خدمة للتاريخ فان هؤلاء العقلاء يعلمون أن لهذه

الجرائد مذاهب شتى وأهواء مختلفة ولا يعنى أصحابها ببيان كل شيء له شأن في التاريخ وقلما يوجد فيها من يتحرى الحق في أكثر ما يكتب بل يكتبون ما يبلغهم على غره اذا لم يكن مخالفاً لمذاهبهم والا تصرفوا فيه أو سكتوا عنه . هذه مسألة الازهر قد خاضت فيها الجرائد واختلفت فيها أقوالها بعضها مع بعض بل اختلفت فيها أقوال الجريدة الواحدة هذه تستحسن مرة ما كانت تستقبح وتلك تذم اليوم ما كانت تمدح بالامس ولو قرأ قارىء جميع ما كتب عن الازهر منذ عشر سنين أي منذ تأسيس مجلس الادارة له ودخوله في طور النظام وان لم يعمل بذلك النظام كله لرأى أقوالا مضطربة لا تتجلى منها حقيقة . والسبب في ذلك أن العامل الحقيقي في هذا النظام هو الشيخ محمد عبده وله حزب على رأيه يضاده حزب آخر يود ان يبقى كل خالل على ما كان وقد اختلفت الاهواء لذلك فاختلفت الاقوال وضاعت الحقيقة حتى ان أكثر المصريين القارئين الكاتبين لا يعرفون حقيقة ما كان عليه الازهر ولا حقيقة الاصلاح والنظام الذي سعي اليه الشيخ محمد عبده فتم له شيء منه باسعاد الامير العباس وفقه الله تعالى لمرضاته بل هم يهيمون في أودية الظنون في هذه المسألة ككثير من أمثالها ومنهم الذين يصدقون بعض الجرائد في قولها ان هذا الاصلاح كان افساداً لعقائد أهل الازهر

ظهر في هذه الايام كتاب جديد اسمه «أعمال مجلس إدارة الازهر بمصر من ابتداء تأسيسه سنة ١٣١٢ الى غاية ١٣٢٢» أي الى أن استقال من ادارته ذلك المصلح العظيم والعامل الذي كان ينسب اليه كل عمل في هذا الجامع مدة وجوده فيه .

ان مؤلف الكتاب لم يذكر اسمه عليه ولكن كل قارىء له يثق بكل ما كتب فيه وان لم يعرف كاتبه لانه يرى انه تاريخ رسمي أو شبه رسمي فهو قد جرى على طريقة الجبرتي في البحث عن كل شيء في وقته وقد تم له ما لم يتم للجبرتي من التدقيق فهو يذكر كل مسألة مبيناً تاريخها وما دار بين الازهر ومعية الامير والحكومة فيها وما وضعه أو قرره مجلس الادارة إما بالنص واما بالمعنى الذي لا يخرج عن مفهوم النص في البيان والتاريخ وعدد الخطاب (النمره) وغير ذلك ومن احتياطه وتحريه ان سكت عن بيان ما لم يقف عليه باليقين وهو قليل كعدد الطلاب الذين امتحنوا في سنة ١٣١٤ فانه لم يبينه بالجدول الذي وضعه لذلك

ومن انصاف المؤلف ان نسب الاعمال المتفق عليها الى مجلس الادارة لاالى شيخ الازهر الذي هو رئيسه ولا الى بعض الاعضاء بالتعيين وما كان فيه خلاف ذكره ومانفرد به بعض شيوخ الازهر من سعي أو عمل ذكره كما هو وقد خص الامير بالثناء وبين انه كان المؤيد والمعضد لكل ماجري في الازهر في هذه المدة ولولاه لم يكن شيء مما كان

وانا نذكر عناوين فصول الكتاب ليكون قارىء هذا التقريظ على بينة منه وهي (١) تشكيل مجلس إدارة الازهر وأسبابه (٢) قانون المرتبات (٣) حال الازهر ومرتبات الشيوخ قبل النظام الجديد (٤) إلحاق التعليم فى الجامع الاحمدي بالازهر (٥) إلحاق التعليم فى المسجد الدسوقي ودمياط بالازهر (٦) كساوي التشريف (٧) نظام التدريس والامتحان (٨) المسامحة أو عطلة الدراسة (٩) مساعدة الجناب العالي على تنفيذ القانون بالمال من الاوقاف (١٠) نظام التدريس والامتحان (١١) مكافأة امتحان الطلبة (١٢) مشايخ الاروقة والحارات والملاحظون (١٣) فائدة الامتحان والعلوم الحديثة (١٤) دار الكتب «الكتبخانه» في الازهر (١٥) اصلاح التعليم (١٦) نظام الجرايات (١٧) امتحان التدريس وشهادة العالمية (١٨) العلوم والكتب ونظام التدريس (١٩) مسألة زاوية العميان (٢٠) الشيخ حسونة النواوي (٢١) الشيخ عبد الرحمن القطب (٢٢) الشيخ سليم مطر البشري (٢٣) جدول مواد التعليم فى الازهر (٢٤) احصاء أصحاب الكساوي المظهرية في عشر سنين (٢٥) السيد علي البيلاوي (٢٦) تأخر العلوم الشرعية بالازهر (٢٧) تأخر اللغة العربية بالازهر (٢٨) إلحاق الاسكندرية فى النظام والتعليم بالازهر (٢٩) الشيخ محمود باشا والشيخ أحمد باشا (٣٠) الشيخ محمد شاكر (٣١) مرتبات أولاد العلماء وما تنفقه الحكومة على الازهر (٣٢) حالة الازهر الصحية وتعيين طبيب له (٣٣) اعانة ديوان الاوقاف لمعاهد العلم بالمال (٣٤) محافظة المجلس على حقوق الازهر وشرفه (٣٥) الشغب الذى انتهى باستقالة البيلاوي والعضوين العاملين بالمجلس •

وقد فسر طابع الكتاب عبارات مجملة أو مبهمة منه لعل المؤلف ما كان يحب أن تفسر

يدل اسم الكتاب وعناوين فصوله على أنه تاريخ لهذا الطور الذى دخل فيه

الازهر منذ عشر سنين وفيه ماهو أهم من ذلك وأكثر فائدة للمسلمين وهو بيان أخلاق علماء الازهر وأفكارهم وشؤونهم فى هذا العصر فان لحال هذا الصنف من الناس شأنا عظيما فى حال الاسلام والمسلمين فهم منهما بمنزلة القلب من الجسد اذا صلح صلحت واذا فسد فسدت وهذا هو السبب فى شدة عناية الشيخ محمد عبده بأمر الازهر وسعيه في اصلاحه واحتمال الشدائد فى هذه السبيل على أنه في بلاد لاتعرف قيمة سعيه حق المعرفة وان كان لا يفوق احترامه فيها احترام أحد

الكتاب مطبوع طبعا نظيفا وثمن النسخة منه أربعة قروش وأجرة البريد قرش واحد وهو يطلب من ادارة مجلة المنار ومن مكتبة هندية والمعارف والهلال وغيرها وقد أبيح لادارة المنار أن تبيعه من الازهريين خاصة بثلاثة قروش صحيحة ولاشك في انه سيصادف رواجا عظيما لما فيه من الفوائد العظيمة

كتاب زهر الربيع * في المعاني والبيان والبديع

كان الشيخ أحمد الحملاوي مدرساً في مدرسة دار العلوم فطلب منه ناظرها أن يؤلف كتاباً في البلاغة خالياً من الحشو والتعقيد جامعاً للقواعد والمسائل المهمة فى الفنون الثلاثة فبدأ بوضع هذا الكتاب وحال دون اتمامه نقله الى مدرسة المنصورة ثم أتم تأليفه فى سنة ١٣٢٠ وكان عين ناظر المدرسة عثمان باشا ماهر وقد طبعه فى هذا العام بالمطبعة الاميرية فكانت صفحاته ٢٣٧ • وانا لكثرة الشواغل في هذا الصيف لانرجو أن نجد وقتاً نطالع فيه بعض أبواب الكتاب لنبين مكانته من سائر كتب البلاغة التي هي على نسقه في سرد المسائل مع أمثلتها ولكن مزاولة المؤلف للتعليم فى المدارس الاميرية بعد تعلمه فيها وفي الازهر مما يرجح كون الكتاب مختصرا مفيداً سهلا نافعا ان شاء الله تعالى

تاريخ دول العرب والاسلام

سبق لنا تقريظ الجزء الاول من هذا الكتاب فى المجلد الاول من المنار ويسرنا أن مؤلفه محمد طلعت بك حرب قد أعاد طبعه فى هذا العام لان نسخه الاولى قد نفدت وانه قد شمر عن ساعد الهمة لاتمام تأليف الكتاب وطبعه • ونعيد التذكير بمباحث الجزء الاول وهو مؤلف من تمهيد وثلاثة أبواب في كل باب منها فصول • فالتمهيد

في حدود بلاد العرب ومواطنها وحاصلاتها ومناخها ومساحة الجزيرة وتشوف الافرنج اليها، والباب الاول فيما كانت عليه العرب قبل الاسلام وفيه مباحث في طبائع العرب وأحوالها وصفاتها واقضيتها وحكوماتها وأحكامها وحروبها وفي الزواج والطلاق والاعتقادات والخرافات واللغة والشعر والشعراء والاسواق والمعارف والكتابة والصناعة والتجارة والنقود والمسكوكات والموازين . والفصل الثاني في العرب البائدة والثالث والرابع في العرب الباقية . والباب الثاني في العرب بعد الاسلام وفيه فصلان الاول في الوحي والدعوة والهجرة وملخص السيرة النبوية والثاني في القرآن والاسلام وهو مختتم بفصل نفيس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام . والكتاب يطلب من مؤلفه ومن ادارة مجلة المنار وثمنه ثمانية قروش صاغ

﴿ الروزنامة التونسية ﴾

محمد ابن الخوجه رئيس قلم المحاسبة بوزارة تونس من سروات التونسيين وفضلائهم وهو يضع تقويماً سنوياً يسميه الروزنامة التونسية وسنة ١٣٢٣ هي السنة الخامسة لهذا التقويم وقد زادت صفحاته فيها على خمس مئة صفحة من القطع المتوسط والكلام فيه على خمسة أقسام فلكي وأدبي وسياسي واداري وتجاري . وقد ذكر في القسم الادبي من هذه السنة زيارة رئيس جمهورية فرنسا لتونس سنة ١٣٢١ وزيارة باي تونس لباريس ١٣٢٢ وما لقيه كل واحد من الاحتفال والحفاوة، وتاريخ نشأة العلائق بين فرنسا وتونس . وذكر من القسم السياسي نظام الحماية في تونس والقواعد النظامية فيها ودوائر الحكومة وكبار عمالها ورجالها . وتكلم في القسم الاداري على الوزارة والكتابة العامة والادارة والمجالس الشرعية وجامع الزيتونة الاعظم والجمعية الخلدونية وغيرها من الجمعيات وعلى المدارس والمستشفيات والمجالس والمصالح الكثيرة والمعارف وجيش الاحتلال والبحرية الفرنسية والمذاهب والملل وغير ذلك . فهذه الروزنامة تاريخ رسمي أوشبه رسمي لتلك المملكة لا يستغني عنه محب التاريخ وثمنها في تونس خمسة فرنكات وأجرة البريد فرنك واحد

﴿ تذكار المهاجر ﴾

ديوان شعر لقيصر افندي ابراهيم معلوف اللبناني نظمه في مهاجره بالبرازيل

أيام كان مشتغلا بجريدة (البرازيل) العربية كتابة وادارة وكان ينشر ما ينظمه في جريدته وبعد أن ترك الجريدة وانصرف الى الاشتغال بالتجارة جمع تلك القصائد والمقاطيع وطبعها في ديوان سماه تذكار المهاجر وقد تفضل علينا باهداء نسخة منه كتب عليها بخطه هذين البيتين بعد ذكر الاهداء الى المجلة

لما رأيتك للمعارف ناشرا ... وبكرمة الآداب أفضل عامل

أهديت ديواني لفضلك راجياً ... منك التشرف بانتقاد عادل

وقد كان هذان البيتان سبباً في ارجاء تقريظ الديوان الى هذا اليوم لانا كنا ننتظر فرصة نقرأه فيها بامعان وننظر فيه نظر الناقد حتى سنحت لنا الفرصة في الاسبوع الماضي إذ سافرنا الى الاسكندرية فجعلنا الديوان رفيق الطريق فقرأنا مقدمته وكثيرا من قصائده ومقاطيعه فتجلت علينا روح الناظم في جلباب من الظرف واللطف والاخلاص يعز على من تجلت عليه فيه ان ينظر الى أثرها بعين الانتقاد، دون عيني الحب والوداد. فأنا أخطب وداده على البعد، وأرغب اليه أن يعفيني من نظرة النقد، وان كان لا يقبل من المجلة التي وصفها بالحرة هذا العذر، فليأذن لي بأن أفرض لها النقد وأفرض على نفسي العذر، تقول المجلة ان هذا الشعر لم يجر على أساليب فحول شعراء العرب الجاهليين أو المخضرمين أو المولدين وأقول لو عني الناظم باحتذاء مثال أولئك الفحول لعلا قوله على افهام أكثر قراء جريدته لانهم من المهاجرين الى أمريكا لاجل التجارة والكسب وأكثر القارئين منهم لم يتعلموا غير مبادئ القراءة والكتابة فهم لا يفهمون شعر بشار بن برد وأبي نواس ولا شعر البحتري وأبي تمام وانما عني الناظم بما نظم لاجلهم لا لاجل أولئك المعاصرين، لمثل من ذكرنا من المقرمين، وتقول المجلة ان في الديوان كثيرا من الالفاظ والاساليب العامية كان للناظم مندوحة عنها وأقول ان أكثر الكتاب والشعراء المعاصرين يستعمل مثل ذلك لاسيما كتاب الجرائد وأكثرهم يخطيء وهو يظن انه مصيب وصاحبنا يمتاز بأنه عالم أن شعره لم يسلم من ذلك الخطأ وقد اعتذر عنه في الصفحة الثالثة عشرة من المقدمة بأنه نظم ما نظم بعيدا في بلاد بعيدة عن بلاغة اللغة العربية وأساليبها الشعرية وكتبها اللغوية الخ ما قاله . ثم ان هذا الديوان يمتاز على الدواوين التي وضعت لجمهور أهل هذا العصر بأنه لا يختص بالمدح والنسيب والرثاء والهجو بل جال

فيه الناظم في المسائل الاجتماعية والموضوعات الادبية وهو بداية نظمه فعسى أن نرى في الجزء الثاني من ديوانه ماهو أرقى معنى وأسلوباً

(نظرة في المبارزة)

رسالة وجيزة في المبارزة التي اعتادها الافرنج ومن يقتدي بهم من الشرقيين كتبها سليم افندي عواد بين فيها أنواع المبارزة وتاريخها وحكمها في قوانين الدول الاوربية واليابان والولايات المتحدة وهي تطلب من مكاتب الاسكندرية وثمنها قرش صحيح

باب الأخبار والآراء

أنباء سوريا المزعجة ـ الدولة والرعية

قد تبين أن حكومة (المابين الهمايوني) في خوف ووجل من سوريا ان تخرج عليها كاليمن أو مع اليمن، وسوريا أبعد بلادها عن هذا العمل وعن التفكر فيه ولكن المابين قد صدق فيها تقارير الجواسيس والمفسدين وأقوال المشاغبين المحتالين الذين يخوّفون المابين بما يكتبون من الرسائل والكتب في الدعوة الى الاستقلال وزاد الطين بلة ماتكتبه الجرائد الاوربية في هذه الايام عن ثورة اليمن مدعية أنها ثورة مدبرة لها انصار ودعاة في الحجاز وسوريا وسائر البلاد العربية وكل ذلك اكاذيب يبغون بها الفتنة وإغراء الحكومة العثمانية برعيتها ليفني المسلمون أنفسهم بأيديهم

صدق المابين كل ذلك فأمر الولاة والمتصرفين بالاغارة على بيوت من يظن أن عندهم كتباً أو جرائد أو رسائل من مصر وأخذ كل مايوجد في تلك البيوت وقراءته كلمة كلمة ومحاسبة أصحابه على كل مايشم منه رائحة الشبهة وقد ذكرنا في الجزء الماضي بعض هذه الحوادث ثم جاءتنا الجوائب بعده بأنه قد جاء إلى بيروت لجنة عسكرية ملكية أرسلها السلطان من الاستانة لتتولى التحقيق في هذه الامور المهمة ولاتدع بيتاً من بيوت الكبراء الا وتفتشه وقد كان من أوائل عملها الاحاطة بدار عباس افندي رئيس ملة البابية في عكا ودار الفريق رمزي باشا وغيرهما وأخذ ما فيها من

الاوراق والكتب المشتبه فيها . وقد فعل متصرف طرابلس مثل ذلك ببيت عبد اللطيف افندي الغلاييني وبيوت أخرى . وفتشوا في حمص بيت قائمقام (نقيب الاشراف) ولايزال الهجوم على البيوت مستمراً في كل مكان

وقد بلغنا ان الكتب التى أخذت في بيروت من المكتبة الانسية ومن مطبعة الاقبال قد اعتبرت من النوع الذي يسمى غير لائق وانها حولت الى العدلية وانه ورد نبأ برقي من الاستانة الى بيروت بوجوب العناية والتشديد في شأن ضبط كتب ابي الهدى افندي التي وجدت في مطبعة الاقبال

وإن للحكومة في الكتب والاوراق والجرائد تقسيماً غريباً فمنه مايسمونه الاوراق المضرة والعقوبة عليه شديدة جداً ومنه مايسمونه الاوراق الممنوعة وهو أعم من المضرة اذا أطلق يراد بالعام ماوراء الخاص والعقوبة عليه اخف ومنه مايسمونه غير لائق وهو أهون عندهم . ومن البلاء أن الرعية لاتعرف شيئاً من حدود هذه الاقسام ورسومها فقد صار مالم يكن ممنوعاً من قبل من الممنوع أو الضار والناس لايشعرون . نوقش عبد اللطيف افندي الغلاييني الحساب أن وجد عنده نسخ من مجلة نور الاسلام الدينية التي كانت تنشر في الزقازيق وكان عبد اللطيف افندي وكيلا لها في طرابلس لم يحرج من ذلك لانها كانت ترد اليه في البريد العثماني وعمال البريد هم العالمون بالممنوع من الكتب لانهم يؤمرون بامساكه وعدم إيصاله الى أربابه

ولو كانت سوريا مستعدة للخروج على الدولة لاينقصها الا الحوادث التي تؤلم الجمهور وتجمع الكلمة لخشي أن تكون هذه الاعمال هي السبب في الثورة والخروج ولكننا نعلم علم اليقين ان سوريا غير مستعدة لذلك وستعلم ذلك الدولة بعد هذا التحقيق والتدقيق فتندم أنها آلمت الناس وظلمتهم وذكرتهم بما لم يكن يخطر على بال أحد منهم

وأما الذين يكتبون في ذلك مايكتبون من المنشورات والمقالات في جرائد البلاد الحرة فلا غرض لهم الا ابتزاز المال أو الرتب والاوسمة من الدولة كما بينا ذلك مراراً

وانه ليؤلم العثماني الغيور ان يرى الانكليز آمنين على سلطتهم في مصر لايبالون بما يقال ولا بما يكتب حتى انهم يعتقدون انه لم يبق لهم حاجة بجيش الاحتلال القليل

الباقي في البلاد ويرى دولته في وجل شديد من رعيتها فتداوي هذا الوجل بالتشديد والقوة وهو دواء غريب في بابه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ومن أعجب ما يتناقله الناس ، مما يوسوس به في هذا الباب الخناس ، خوف المابين من مصر والمصريين عامة، والاستاذ الامام خاصة، والمصريون أشد من الترك حباً فيه الا افراد تعلموا السعاية والتجسس من الاستانة وكل المصريين يمقتونهم والاستاذ الامام، مشغول عن هذه السخافات بخدمة مصر والاسلام، وهو يعتقد ان السعي من جهة السياسة، لا يأتي الا بالخيبة والتعاسة، فهو يرى الكلام في السلطة والخلافة، من قبيل اللغو والسخافة، ومن المضحكات المبكيات ان حكومة بيروت ظلت ثمانية أيام تفتش في الساحل وتجسس في البيوت لعلها تعثر على الشيخ محمد عبده لاعتقادها انه جاء بيروت مستخفياً وأنزلته الباخرة الخديويه في جهة رأس بيروت وانه سيتولى زعامة قلب السلطة في سوريا بنفسه والرجل مريض لا يقدر على مفارقة سريره الذي ترفرف عليه قلوب العقلاء والفضلاء مشفقة أن يخترمه حكم القضاء ، فتحبط أعمال ، وتنقطع آمال، ويخشى من سوء المآل ، هذه حال الرجل هنا وتلك حال الحكومة العثمانية هناك ولم يشفق عليها رئيس الجواسيس الذين شغلوها فيكاشفها بالحقيقة التي تسكن روعها، وترأب صدعها

قلنا ان ذلك الخوف من اعجب ما ينقل وما هو بالعجيب ولا بالاعجب فان الدول في مثل هذا الطور الذي وصلت اليه دولتنا أصلحها الله تعالى تبني أكبر من هذا البناء على أساس أوهن من هذا الاساس ، بل يفعل الحكم المطلق في طور الحياة والقوة مثل هذه الفعال، ويفتك بحكم الوشاية بأعظم الرجال، ألم يأتك نبأ موسى بن نصير في الاندلس وكيف فتح البلاد وكيف ساسها ابنه عبد العزيز أحسن سياسة ثم كيف كافأه سليمان بن عبد الملك بانتزاعه وولده عبد الله من السلطة ، وقتل ولده عبد العزيز غيلة ، سمع وشاية المفسدين فيه فأوعز الى من قتله وهو يصلي بالناس صلاة الفجر كما قتل الامام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وانا نقص على القراء ما دار بين سليمان وموسى ليعلموا كيف ظهر لسليمان خطأه ويعتبروا بذلك . قال ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة:

قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان

وذكروا أن سليمان لما ظن ان القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به اليهم عزل عبد الله بن موسى عن أفريقية وطنجة والسوس في آخر سنة ثمان وتسعين في ذي الحجة وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث الى موسى فأتاه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان : أتعرف هذا الرأس يا موسى؟ قال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى: فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به . ثم ان موسى قام فحمد الله ثم قال وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله عليه فلعمر الله ما علمته نهاره الاصواما، وليله الاقواما، شديد الحب لله ولرسوله، بعيد الأثر في سبيله، حسن الطاعة لامير المؤمنين، شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين ، فان يك عبد العزيز قضى نحبه ، فغفر الله له ذنبه ، فوالله ما كان بالحياة شحيحا، ولا من الموت هائباً ، وليعز على عبد الملك وعبد العزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصرع، ويفعلوا به ما أراك تفعل، ولهو كان أعظم رغبة فيه، وأعلم بنصيحة أبيه، أن يسمعوا فيه كاذبات الاقاويل، ويفعلوا به هذه الافاعيل ،: فرد سليمان عليه قال بل ابنك المارق من الدين، والشاق عصا المسلمين ، المنابذ لامير المؤمنين ، فهلا أيها الشيخ الخرف: فقال موسى: والله ما بي من خرف ، ولا أنا عن الحق بذي جنف، ولن ترد محاورة الكلام، مواضع الحمام، أنا أقول كما قال العبد الصالح «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون» فتأذن في رأسه يا أمير المؤمنين : واغرورقت عيناه فقال له سليمان نعم نخذه فقام موسى فأخذه وجعله في طرف قميصه الذي كان عليه ثم أدبر في السماطين فوقع الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجره لا يحفل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان ارفع ثوبك يا ابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذاك يا خالد : قال سليمان دعه حسبه ما فعلنا به، فلما توارى موسى قال سليمان ان في الشيخ لبقية بعد، ثم ان موسى التفت الى حبيب بن أبي عبيدة (قاتل ابنه) فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمراً خفياً من نسبه فأفحمه

ثم أن سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فألفى ذلك باطلا وأن عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع اليه عن عبد

العزيز ندم وأمر بالوفد فأخرجوا ولم ينظر في شيء من حوائجهم وأهدر موسى بقية القضية التي كان قاضاه عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج ابن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ثم لا يليان معه من أمور الناس شيئاً فلما رضي عن موسى جعل يقول: ماندمت على شيء ندامتي ان لا كنت خلوا من اليمين على موسى في أن لاأوليه شيئاً، مامثل موسى استغنى عنه. اه ثم ذكر شيئاً من خبر موسى مع سليمان

وانظر الفرق العظيم بين عصرنا وعصر بني أمية الذي مازلنا نشكو منه اذهم الذين حولوا الحكومة الاسلامية الى ما يسمى في عرف السياسيين اليوم بالسلطة المطلقة فقد بين موسى للملك خطأه ولما ظهر ذلك لسليمان بن عبد الملك ندم على مافعل بالرجل وولديه ولم يكافئ الذين امتثلوا أمره بالظلم الا بالاعراض عنهم فياليت حكامنا في هذا العصر يرجعون عن خطأهم اذا ظهر لهم ويعرضون عمن شايعهم على الظلم ولا يشركونه معهم في رأي ولا حكم • وفي القصة عبرة بصبر موسى بن نصير عند مافوجيء برأس ولده بين يديه وولده من يحزن على مثله الغريب لفضله وشجاعته وحسن ادارته وسياسته وانما في هذا المقام نذكر شيئاً من خبر موسى إتماماً للعبرة وليتذكر نابتة عصرنا شيئاً من تاريخ سلفهم الذين فتحوا البلاد وأحسنوا فيها السياسة وأقاموا العدل على أنهم لم يعرفوا من علوم السياسة والقضاء والادارة بعض مايعرف اليوم بعض المحامين المحتالين على سلب الاموال واضاعة الحقوق ونصر الاباطيل أو الموظفين الذين تشكو منهم السماء والارض أو بعض الذين يسمونهم (متربين) لانهم تعلموا في أوربا وهم الذين أفسدوا أخلاق أمتهم وأغروها بالخمور والفجور والقمار وغير ذلك من أسباب الدمار، حتى فسد بأسها وذهبت سيادتها وانما الفرق بيننا وبين أولئك السلف الحياة الملية والاعتقاد الصحيح والاخلاق العالية

خطبة موسى بن نصير في ذات الجماجم

لما ولي عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير أفريقية وعزل حسان بن النعمان الذي ولاه عليها عبد الملك رحل اليها ووافته الجيوش في ذات الجماجم فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأياً في حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميراً عليكم وانما الرجل في الناس بما أظهر

والرأي فيما أقبل وليس فيما أدبر • فلما قدم حسان بن النعمان على عبدالعزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله مابه • وانما الامير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لايتهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم يأل أن أجهد نفسه في اختياره لكم وانما أنا رجل كاحدكم فمن رأى مني حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأى مني سيئة فلينكرها فاني اخطئ كما تخطئون وأصيب كما تصيبون وقد أمر الامير أكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثاً فخذوها هنيئاً مريئاً ومن كان له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ماعز وهان من المواساة ان شاء الله، ولا حول ولا قوة الا بالله،

خطبة موسى بأفريقية

وذكروا ان موسى لما قدم افريقية ونظر الى جبالها والى ماحولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس انما كان قبلي على أفريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب أن يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوينا • وليس اخو الحرب الامن اكتحل السهر، وأحسن النظر، وخاض الغمر، وسمت به همته ولم يرض بالدون من الغنم لينجو ويسلم، دون ان يكلم أو يكلم، ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزمه حازماً في عزمه، مستزيداً في علمه، مستشيراً لاهل الرأي في احكام رأيه، مستحكا بتجاربه، ليس بالمتجابن اقحاماً، ولا بالمتخاذل احجاماً، ان ظفر لم يزده الظفر الاحذراً، وان نكب اظهر جلادة وصبراً، راجياً من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى «ان العاقبة للمتقين» أي الحذرين • وبعد فان كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الاقصى، ويترك عدواً منه أدنى، يتنهز منه الفرصة، ويدل منه على العورة، ويكون عونا عليه عند النكبة، وايم الله لاأريم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله ارفعها ويذل امنعها، ويفتحها على المسلمين بعضها او جميعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

(المنار) لايظنن ظان أن هذا الكلام صادر عن تصورات وخيالات لا أثر لها في النفس ولا يشهد لها من قائلها العمل كما يعلمون عن بعض خطباء هذا العصر وكتابه

الذين يقتبسون اقوال الناس ويتخيلون عبارات ثم يؤلفون ذلك على الصورة التي يظنون انها تسر الناس وتطلق السنتهم بالثناء عليهم ويسمون ذلك خطبة اومقالة٠ كلا ان موسى هو فاتح بلاد المغرب و بلاد الاندلس ومؤسس الحكومة الاسلامية فيهما فعمله خير من قوله واخلاقه وآدابه مصدر اعماله ولا مرشد له في ذلك الا الدين المبين وقد سأله سليمان بن عبد الملك اسئلة عن سيرته في حربه فأجابه بما يدل على فراسته وبعد نظره وسعة اختباره وقوة دينه

قال له سليمان ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من امور عدوك؟ قال التوكل والدعاء الى الله يا امير المؤمنين: قال سليمان هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق او كنت تخندق حولك؟ قال كل هذا لم افعله؟ قال فما كنت تفعل؟ قال كنت انزل السهل، واستشعر الخوف والصبر، وانحصن بالسيف والمغفر، واستعين بالله وارغب اليه في النصر؟ قال سليمان فمن كان من العرب فرسانك؟ قال حمير: قال فأي الخيل رايت في تلك البلاد أصبر؟ قال شقرها: قال فأي الامم كانوا اشد قتالا؟ قال انهم يا امير المؤمنين اكثر مما اصفهم: قال له اخبرني عن الروم قال اسود في حصونهم عقبان على خيولهم نساء في مواكبهم ان رأوا فرصة افترصوها وان خافوا غلبة فأوعال ترقل في اجبال لايرون عارا في هزيمة تكون لهم منجاة: قال فأخبرني عن البربر قال هم يا امير المؤمنين اشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة وبادية غير انهم يا امير المؤمنين غدر٠ قال فأخبرني عن الاشبان (اهل اسبانيا) قال ملوك مترفون، وفرسان لايجبنون٠ قال فأخبرني عن الافرنج قال هناك يا امير المؤمنين العدد والعدة، والجلد والشدة، وبين ذلك امم كثيرة، منهم العزيز ومنهم الذليل، وكلا قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور، والعزيز البذوخ٠ قال فأخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت عقباً؟ قال لا يا امير المؤمنين ما هزمت لي راية قط ولا فض لي جمع ولا نكب المسلمون معي نكبة مذ اقتحمت الاربعين الى ان شارفت الثمانين: قال فضحك سليمان وقال فأين الراية التي حملتها يوم مرج راهط مع الضحاك؟ قال تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية: قال صدقت وأعجبه كلامه

فليتأمل قومنا اليوم بسيرة سلفهم ولينظر المتفرنجون في أثرهم وليقيسو انفسهم

بهم ليعلموا هل صاروا بعدهم الى تدل وسقوط، ام الى رفعة وصعود، اللهم انهم قد ارتقوا في فنون الزينة والتفنن في اللذات الجسدية، غير انهم تدلوا في الاخلاق والمزايا الانسانية، فليحاسبوا أنفسهم ان كانوا يعقلون

اصلاح الطرق الصوفية

(مقالة ارسلها شيخ مشايخ الطرق الى جريدة المؤيد ونقلناها عنها)

من أهم الاشياء التي كان العقلاء يطلبون المبادرة باصلاحها في الطرق الصوفية الامور التي لها مظاهر عمومية والتى لاتحصل بين طائفة من الصوفية او بين الرجل منهم ونفسه بل يشترك في رؤيتها والتأثر منها الصوفي وغيره والوطني والاجنبي معاً وهذه الامور أهمها

١ ـ المواكب التى كان يراها الناس كل يوم في أزقة المدن وطرقات القرى وبلدان الارياف وما يتخلل الكثير منها من المنكرات كالموكب الاحمدي وغيره٠ وكانت في الاصل موعداً سنوياً لاجتماع رجال الطريقة أو الطرق ثم صارت الى هذه الحالة السيئة

٢ ـ اجتراء البعض على تقليد احتفالات دينية في مكان عمومي أو مجتمع عمومي بقصد أن يتفرج عليه الحضور كما تقع كثيراً امام السياح وفي بعض منازل الافرنج في مصر

٣ ـ الموالد التي تقام وما يصاحبها ويتخللها من الامور التى تخالف الآداب الشرعية وينعكس به الغرض الخيري الموضوع له المولد بالمرة

٤ ـ واثبات الاذكار التى يقيمها الصوفية فى كل محل وناد وكثير منها باين بالمرة للذكر الشرعي المندوب اليه في الكتاب والسنة وهو توجه المرء الى الله تعالى سواء نطق باسمه الكريم أو لم ينطق قائماً كان او قاعدا قال تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعودا وعلى جنوبكم)

فمن الامر الاول كتبت لعطوفة رئيس الداخلية وقد تفضل حبا منه بالنافع من الامر وعمل منشورا هذا نصه

نظارة الداخلية منشور نمرة (٨٠) بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٠٥ بعدم عمل مواكب

صوفية الاباذن من مشيخة الطرق

طلب سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمكتوبه لهنا رقم ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٥ نمرة ٩٩ انفاذ ماقرره المجلس الصوفي من منع عمل المواكب باسم الصوفية في القاهرة والاقاليم الا باذن من المشيخة لاجل مراقبة ومنع مايتخللها من الامور المغايرة للآداب وحيث انتا نرى موافقة ذلك فأكدوا باجراء ايجابه بانحاء جهتكم ومرسل بهذا عدد (   ) من نسخ هذا المنشور لتوزيعها على الفروع التابعة اليكم

سماحتلو حضرة شيخ مشايخ الطرق الصوفية

هذا صورة ما كتب للمديريات والمحافظات بناء على طلب سماحتكم بشأن المواكب التي باسم الصوفيـة ونأمل أن لا يعطى الاذن بعملها الالمن يتحقق أنه ممن يحافظون على الآداب تمام المحافظة ولا يقدم على شيء يخل بها أفندم

ناظر الداخلية

تحريراً في ١١ مايو سنة ١٩٠٥

مصطفى فهمي

ومتى نفذ هذا تماما امتنع كل هـذه الموبقات المرذولة وأبطلت المواكب الا ما كان لضرورة كالمواكب التي تحصل في المولد النبوي وغيره مع مراعاة الآداب التامة

وعن الامر الثاني ٠ عند تعديل قانون العقوبات المصري في سـنة ٩٠٤ تكلمت مع اللجنة المكلفة بدرسه في مجلس الشورى في وضع مادة لمنع ذلك فوضعتها في ضمن المادة ١٣٩ وجعلت العقوبة المجعولة عليها هي الحبس مدة لاتزيد عن سنة أو غرامة لاتتجاوز الخمسين جنيهاً مصرياً.

والسبب في وضع ذلك في قانون العقوبات أن من يفعل ذلك قد لايكون من رجال الصوفية فلا يمكن اجراء العقوبات الصوفية عليه

فاذا أنفذ رجال البوليس هذه المادة والمنشور السابق ذكره حق تنفيذها امتنع حصول هذه المنكرات من الآن تماماً

وعن الامر الثالث ٠ وجد أنه لو قيد عدم عمل أي مولد الا برخصـة من المشيخة العمومية كان في ذلك تضييق وصعوبة على الناس ٠ ولكن وضعت مادة خصوصـية لذلك في لائحة الصوفية الداخليـة وهي المادة السادسة من الباب الخامس قيل فيها (ويشترط أن لايجاور مكان المولد شيء مما ينافي الآداب الشرعية كالالعاب والسخريات ونحوها) وكان المولد النبوي في مصر في هذا العام والعام الماضي مثالا لذلك

وتنفيذ هذا الامر منوط بوكلاء المشيخة في الجهات وبالرأي العام فحيثما وجد شيء مغاير لذلك فله أن يحيط المشيخة العمومية علماً به وهي تجري مايلزم حالا ٠

وعن الامر الرابع ٠ اشترط في المادة الثانية من الباب الخامس من اللائحة الداخلية الصوفية أن يبعد عن الطرق كل من أقام الذكر بهيئة مخالفة للآداب الشرعية كالتمايل المشبه للرقص والتخبط ونحوه وتنفيذ ذلك يكون بمثل تنفيذ الامر المتقدم تماماً ٠ اه

(المنار) يعلم القراء اننا أنشأنا نطالب باصلاح أهل الطرق منذ أنشأنا المنار وقبل إنشائه كنا نطالب شيخ مشايخ الطرق في مصر بذلك وقد ذكرنا في المنار منذ سنين انه وعدنا بذلك مراراً وهذا الاصلاح الذي كتب عنه الآن لايغني فتيلا فأما جعل الاحتفالات باذن شيخ المشايخ في القاهرة ووكلائه في سائر بلاد القطر فليس بالامر المهم بل خاض الناس وبعض الجرائد في ذلك وقالوا أن الاذن لايعطى الالمن يدفع مبلغاً من المال وأما وضع القانون العقوبة على الامر الثاني فهو يجعله كسائر مايعاقب عليه لايأتيه الامن أمن العقوبة وماهو من جوهر الطريق وانما هو من اهانته والامر المهم ماقال شيخ المشايخ انه منعه في اللائحة التي وضعها لمشيخة الطرق ويظهر من عبارته انه في ريب من تنفيذها بل هو معتقد أنها لاتنفذ لانه ناط بها برأي وكلائه والجماهير على أن الجماهير كوكلائه جاهلون يرغبون في هـذه البدع ٠ نعم ان سرادق الرقص وأكواخ الزنا قد منعت من المولد النبوي كما منعت قبله من مولد الدمرداش ولكن لايزال الذكر في المولد على ماينكر شيخ المشايخ وهو بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله وفي داره أيضاً وقد كان الفحش والزنا وغيرهما من المنكرات في مولد السيد البدوي أعم وأكثر في هـذا العام منهـا في الاعوام السابقة وكتب في ذلك كثير من الجرائد فلم تبال مشيخة الطرق بذلك ولم تعمد الى منعه ولا الى النهي عنه فلعلنا نجد من شـيخ المشايخ همة عملية في ازالة هذه البدع من بعد تكون بدايتها ابطال الاغاني الغرامية والرقص والتمايل بالذكر من داره في رمضان وياليته يبين لنا وجه الضرورة في المواكب التي تعرض أمامه في المولد النبوي لنعذر على إبقائها

﴿ مرض الاستاذ الامام ﴾

لقد مرض استاذنا منذ أشهر مرضاً كنا نظن أنه من الامراض الهينة التي

كانت تمتاده ولكن طال الزمان ورأينا كل من عرض عليه من الاطباء ينهاه عن الاعمال العقلية واجهاد الفكر ويأمره بالحمية والراحة التامة وهو لا يزداد الا اجهادا لنفسه وجهادا لامته وكان موضع المرض المعدة والامعاء فانتقل الى الكبد فاختلف الاطباء حينئذ بين قائل ان المعدة هي الاصل والكبد تأثرت منها وقائل ان الكبد بتمددها تضغط على المعدة فتمنعها من وظيفتها واجمعوا على اختلافهم في أي العضوين هو الاصل على وجوب ترك العمل بتاتاً والتعجيل بالسفر الى أوربا وكل منهم أشار بترجيح بلاد واختيار أطبائها فرضي الاستاذ بالسفر ولكن لم يرض القدر اذ كانت السفن الدورية التى تنقل الناس الى أوربا لا تقبل زيادة على من سبق الى أخذ جوازاتها من السائحين والمصطافين الى ١٤ من الشهر الافرنجي الماضي (يونيو) فأخذ جوازا وصبر عن السفر ولكنه لم يصبر عن العمل كدأبه وعادته فكان يبيت على فراش الآلام ويغدو الي محل عمله فينظر في الفتاوى وفي اعمال مجلس الشورى ومجلس الاوقاف الاعلى واعمال الجمعية الخيرية الاسلامية وأوقاف الحنفية ويشتغل مع اللجنة التى برأسها الوضع نظام لمدرسة القضاء الشرعي ويحضر امتحان مدرسة دار العلوم وينظر في حاجات العناة وطلاب المساعدة والشفاعة عند الحكام فيقضي حاجاتهم حتى ثقلت عليه وطأة المرض وعجز عن الخروج واشتدت عليه الآلام حتى كان — والذي خلقه حجة على هذه الامة التي زرئت بالكسل والخمول — يشتغل على فراشه عند سكون نوبة الالم ولم يكن شيء من ذلك الشغل لنفسه ولا لاهله وولده ولكنه للناس، وهل كان الناس يشفقون عليه ادخارا له او تأدبا معه او عملا بالذوق الذي يفخر به اهل هذا البلد ؟ كلا انهم كانوا يكلفونه النهوض بأثقالهم وقوفاً على سريره وهو مضطجع او مستلق عليه وكان يعمل ما قدر ويعتذر عما يعجز طالباً الانظار والامهال الى ان تحسن الحال

جرى على هذه الحال يعمل للناس والمرض يعمل فيه عمله، وينهك قواه وينحل جسده، حتى اذا ما دنا موعد سفره رآه بعض الاطباء فقال ان المرض ينذر بالخطر، ولا يجيز له الاقدام على السفر، فجيء بطبيب آخر فقال قولة الاول فكتم هذا القول من عرفه من الاصدقاء وذي القربى وساروا به في اليوم التالي الى الاسكندرية (١٠ ربيع الآخر) ورآه من ليلته بعض أطبائها فقالوا مثل ما قال الاولان وهو لم يعلم بهذا القول بل قيل

له ان الاطباء قالوا ان جسمك لا يقوى على مشقة سفر البحر فيجب ان تتربص في الاسكندرية لعلك بتغيير الهواء تجد قوة تمكنك من السفر وعند ذلك هيأ له الصديق الوفي محمد بك راسم دار أخيه في رمل الاسكندرية ونقله اليها

كانت الجرائد اليومية أذاعت خبر سفر الاستاذ الى أوربا ثم ذكرت أنه أرجأ السفر بأمر الاطباء فعلم القاصي والداني من اهل هذا القطر بمرضه وظهر من آيات مكانته في نفوس الناس ما لم يكن يعلم كله، فكان شغلا شاغلا للعقلاء والفضلاء من جميع الاصناف والطبقات فكان امراء البيت الخديوي ومن حضر من نظار الحكومة لا سيما رئيسهم «القائم مقام الخديوي» وغيرهم من كبراء الامة يترددون على الدار التي يقيم فيها المرة بعد المرة وكان بعض الأمراء يرسلون اليه أطباءهم وكانت الرسائل ترد كل يوم في البرق والبريد من جميع انحاء القطرين — مصر والسودان — تسأل عن صحته وكلما وجد يوماً راحة تبشر الجرائد بها الامة فيصبح الناس مطمئنين فاذا سكتت الجرائد يوماً عن البشارة لجوا في السؤال مستخبرين

أما نحن — معشر اهليه واقرب اصدقائه ومريديه — فاننا نتراوح بين اليأس والرجاء اذا رأيناه في راحة من الالم يرجح املنا حتى اذا ما تألم عظم خوفنا ووجلنا فمثلنا في ذلك مثل مقياس الحرارة كل يوم في صعود وهبوط بحسب ما نرى من حاله ولا غرو فهو كالهواء لحياتنا المعنوية وكالشمس لامتنا المسكينة ونسأل الله تعالى دفع البلاء واللطف في القضاء، وتعجيل الشفاء، انه سميع الدعاء،

اعتذار للقراء الكرام

لا يجهل احد من قراء المنار صلتنا بالاستاذ الامام ولا حاجة لان نقول إن مرضه قد شغلنا عن كل شيء فقد كنا نزوره في مصر كل يوم ونمكث عنده ما شاء الله ان نمكث ولما سافر الى الاسكندرية سافرنا معه واقمنا اياماً رأينا فيها حاله حسنت بعض الحسن فعدنا الى القاهرة وكتبنا بعض الجزء الثامن ثم جئنا الاسكندرية فاقمنا عنده اياماً كان آخرها خيراً من أولها فعدنا الى القاهرة واتممنا الثامن وكتبنا بعض التاسع ثم جئنا الاسكندرية وعدنا مرة بعد مرة ولم نصدر الجزء الثامن لانه لم يتم لا وقد جاء موعد التاسع فعزمنا على إصدارهما معاً وقدم على الموعد ايام والعذر ظاهر ولا شك ان تأخير هذين الجزئين يستتبع تأخير ما بعدهما ايضاً وهو تأخير لا يضر لان ما يكتب في

المنار لايخلقه تأخر الزمان لانه ليس من الاخبار الطارئة التى تسبقنا الجرائد اليها فتغني القراء عما نكتبه • وبهذا قدظهر عذرنا للذين كتبوا الينامن بلاد كثيرة فلم نجبهم ولعله لايضيع عندنا شيء ان شاءالله تعالى

اعذار بعد اعتذار

أخبرنا محصل المنارفي القاهرة بأن كثيرا من المشتركين يقولون له انهم يريدون زيارتنا ودفع قيمة الاشتراك فى الادارة • فنحن نشكر لهؤلاء المحبين رغبتهم فى زيارتنا ونحن أشد رغبة فى التشرف بزيارتهم ونرجوهم مع ذلك ان يدفعوا الاشتراك للمحصل لتكون الزيارة بيننا ودية أدبية فقط ولكي لايحرم المحصل من أجرة التحصيل منهم اذ ليس له شيء الا على مايحصله بيده فالدفع اليه أحب الينا وأنفع له فلعل اخواننا الكرام يرضوننا جميعاً • ثم إننا نذكر السادة المشتركين فى القطرالمصري والسودان بأن يتفضل أهل الفضل منهم بارسال قيمة الاشتراك الينا بالتحويل على البريد ولا يلجئونا الى الكتابة اليهم أو التحويل عليهم ولا شك ان من يرجع الى وجدانه ويفكر فيمانحن فيه من الشواغل يلبي مسرعاً ويجعلناله من الشاكرين

رأي غريب فى عاقبة السكر

جاء في بعض الجرائد أن بعض حكماء أمريكا يرى ان الناس بعد كذا الفاً من السنين يصيرون كلهم مجانين بتوارث تأثير السكرفي دمائهم وأعصابهم فأولاد السكارى دائما مستعدون للجنون فاذاهم اعتادوا مثله على السكر جاء أولادهم أشد استعداداً له منهم وهكذا يتسلسل نموّ الاستعداد للجنون حتى يصيرجنوناً فى بعض طبقات النسل ولذلك يكثر الجنون في الناس عامابعد عام وأ كثرما يصيب السكورين فاذا دام انتشار السكرواقبال الناس على هذه الخمور الكثيرة الانواع فانها يوشك أن تعم البشر بعد ألوف من السنين فيكون كل واحدمنهم مستعداً للجنون فيظهرفيهم بالتدريج حتى يغتالهم غول السكر أجمعين

يعد أ كثر الناس هذاالقول غلوا فى المبالغةولكن لايوجدعاقل عالم ينكرأن السكر يعد النسل للجنون فهل يتعظ بذلك الفساق وعبيد اللذة ويخافون على نسلهم اذالم يخافوا على أنفسهم من سائر عواقب السكرفي الدنيا والآخرة ؟ كلا ان الانسان خلق ضعيفاً لايقوى على مقاومة الشهوة الااذا أدب تأديباً دينياً من الصغر فانه حينئذ

يرجى له أن يقوى على جند الشهوة المحرمة في الغالب فان غلبته نفسه على الالمام بشيء تذكرالله فلاذبالتوبة والانابة

لقد ران حب اللذة على العقول فأضعف الفكر وختم على القلوب فأمات شعور الحق والخير وصرف الحواس عن الاعتبار بما ترى وتسمع فكأن هؤلاء المدمنين لايظنون ان في السكرشيئاً من الضرر ولذلك يوجدفيهم من يلزم به أهله وولده ويجمعهم عليه. رأيت في بعض الجرائد أن رجلا من الاغنياء أخذولده ليلا الى بعض ملاهي الازبكية حيث المقامرة والسكر فطفق الوالد يقامر حتى رأى ولده يهوّم طلباً للنوم فطلب له كاساً من الجعة (البيرة) فأنكره الولد وعافه فألح عليه والده وما زال يغريه حتى شربه بالتدريج وكان ذلك مفتاح الشرور فلم يلبث الولد ان عاد الى ذلك حتى اعتاد وانغمس في الفساد وانقطع عن الدرس والمدرسة فيالله ولهذه التربية

آفة هؤلاء الجاهلين الذين سفهوا أنفسهم فساد الدين ومن العجائب أن منهم من يتوهم أن عقله وفكره أرقى من ان يقبل الدين وان المتدينين لايكونون الا منحطين فى مراتب البشرية كأن أعلا مراتب البشرية عندهؤلاء السفهاء ان ينصرف الانسان الى اللذات البهيمية فلا يكون بينه وبين الثور والخنزير والقرد فرق في غير الصورة الجسدية الا بخروجه هو في طاعة شهواته عن مقتضى الفطرة والاسراف في كل شيء حتى يكون حرضاً أويكون من الهالكين ولو صح هذا الرأي لكان البهائم افضل من الناس كما هو ظاهر

افتخار جريدتي اللواء والعالم الاسلامي بالكذب

من القواعد المعروفة أن الانسان يتكبر اذاكان يشعر في نفسه بأنه وضيع بين كبراء لايجاريهم الا اذا تكلف الظهور بمظهرهم لان صيغة التكبر تدل على التكلف • ومن لوازم التكبر الكذب فى القول ليتم به التكبر بالفعل • وكأن صاحب جريدتي اللواء والعالم الاسلامي على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لاقيمة لها فهو يخترع الرسائل ويدعي أنها جاءته من الهند وجاوه والاستانة وغيرها من البلاد ثم يتبجح ويفتخر بذلك ويدعي ان جريدتيه موضع ثقة الامم والشعوب الاسلامية في العالم الاسلامي ولعلك لاتجد شيئاً من هذا التبجح والتفجج في جريدة يومية أخرى

ولا في جريدة أسبوعية الا أن يكون بعض مايسمونه في مصر بالجرائد الساقطة فالتيمس والتان ونيويورك هرالد وأمثالها تستحي ان تفخر ولو بكلمة حق لانها ترى الكمال في ان يفخر بها الناس لافي أن تفخر هي بنفسها

وإذا احببت أن ترى شاهدا من شواهد رسائل اللواء المكذوبة فراجع العدد ١٧٥٤ و العدد ١٧٦٢ تجد فى الاول منهما مقالة وفى الآخر مقالة أخرى زعم انها جاءته من جاوه تؤيد ما كتبه فى العدد ١٧٥٤ من جهة وتستدرك عليه من جهة أخرى وأنت ترى أن مدة مابين العددين سبعة ايام ففى هذا الاسبوع طار عفريت من الجن بعدد اللواء من القاهرة فقطع البحر الاحمر والمحيط الهندي الى جاوه ثم حمل رسالة من أحد المسلمين هناك وعاد بها الى ادارة اللواء الاغر ولولا هذا العفريت لماوصل اللواء الى جاوه وكتب ذلك الكاتب ووصلت رسالته الى مصر الافى زهاء شهرين من الزمان

يقول الناس فى أمثالهم اذا كنت كذوبا فكن ذكورا، أي لئلا تفتضح عند الناس فتحتقر ولكن صاحب الجريدتين قد أمن من أهل وطنه المحبوب أن يحتقروه مهماقال وفعل فهو مستغن عن تكلف عناء التذكر والتوفيق بين الكذب السابق واللاحق

يسهل على اللواء الاغر أن يكذب في يومه على أمسه فكيف يطالب بأن لايكذب فى أسبوع على ماقبله ٠ رأيت بالمصادفة مانقله عن جريدة الاهرام فى استرجاع شيخ الجامع الازهر لكتابه الذي أرسله الى رئيس النظار «القائم مقام الخديوي» في مسألة اعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية — جريدة الاهرام قالت يوم الجمعة ان شيخ الجامع اقتنع بأن ارسال ذلك الكتاب لم يكن من الصواب فاسترجعه رسميا وأبطل عدده (نمرته) الرسمي وجريدة اللواء زعمت في يوم السبت التالي لتلك الجمعة ان جريدة الاهرام قالت ان الحكومة كلفت شيخ الجامع بسحب كتابه ولم يكن أحد من الناس نسي ما فى جريدة الاهرام لانه لم يمر عليه سوى ليلة واحدة

وكانتا بعض الذين يعرفون كنه اللواء وصاحبه يعذلوننا على اضاعة نحو صفحتين من المنار فى بيان كذبه ولعلهم يرجعون عن عذلهم اذا علموا اننا لانقصد بهذا الا الرد على الذين أخبرونا بأن اللواء نشر مقالة من جاوه وأخرى من كلكته فى ذم المنار وطلبوا منا الرد عليهما ليعلموا اننا الانق بمايكتب فى هذه الجريدة ولانقرأه على انه لم يكن في تينك المقالتين الا السب والشتم فلو انهما تضمنتا نقل شيء من المنار والرد عليه لبينا للناس الحق فى ذلك

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ومايذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ — ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها فى الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه)

(٢٢٤:٢٢٥) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا، وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *

لما ذكر فى الآية السابقة ان للمؤلين من نسائهم حالين الفيئة بالرجوع الى معاشرتهن وعزم الطلاق وامضاءه ناسب ان يذكر بعده شيئا من أحكام الطلاق معطوفا على ماقبله متمما له فقال (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) الخ قال الاستاذ الامام قدس الله روحه المراد بالمطلقات الأزواج

اللواتي تحقق فيهن معنى الزوجية وعهدن ان يكن مطلقات وان يتزوجن بعد الطلاق وهن الحرائر ذوات الحيض بقرينة السياق فلا يأتي هنا مايقوله الاصوليون فى المطلقات هل اللام فيها للاستغراق ام للجنس وهل هو عام مخصوص ام لا لان وصل الآية بما قبلها يمنع ذلك كما يمنعه التربص بالزواج ولولا ذلك لكان البحث في موضعه ، أما حكم من لسن كذلك في الطلاق كاليائسة والتي لم تبلغ سن الحيض فمذكور فى سورة الطلاق وهن كأنهن لايدخلن فى مفهوم المطلقات لأن اليائسة من شأنها أن لاتطلق لان من أمضى زمن الزوجية مع امرأة حتى يئست من المحيض كان من مقتضى الطبع والفطرة ومن أدب الشرع والدين ان يحفظ عهدها ويرعى ودها وان كان بعض السفهاء لايحترمون تلك العشرة الطويلة ولا يراعون ذلك الميثاق الغليظ فيقدموا على طلاق اليائسة ثم ان اليائسة اذا طلقت فلا تكاد تتزوج ، وما خرج عن مقتضى الشرع واستقامة الطبع فلا يعتد به ، والتي لم تبلغ سن المحيض قلما تكون زوجا ومن عقد على مثلها كانت رغبته فيها عظيمة فيندر ان يتحول فيطلق ، وحاصل ماتقدم ان مايتبادر فى هذا المقام من لفظ المطلقات يفيد انهن الزوجات المعهودات المستعدات للحمل والنسل الذي هو المقصد من الزوجية فينتظر ان يرغب الناس فى التزوج بهن

ومعنى التربص مدة ثلاثة قروء هو أن لا تتزوج المطلقة حتى يمر عليها ثلاثة قروء وهي جمع قرء بضم القاف وفتحها ويطلق فى اللغة على حيض المرأة وعلى طهرها منه والاصل فيه الانتقال من الطهر الى الحيض كما نقل عن الشافعي فى قول له ولذلك لا يقال للطاهر التي لم تر الدم ذات قرء اوقروء ولا للحائض التي استمر لها الدم فلما كان القرء وسطا بين الدم

والطهر أو عبارة عن الصلة بين هاتين الحالين عبر به قوم من الفقهاء عن أحدهما وقوم عن الآخر ولكل منهم شواهد في اللغة أطال المفسرون فى ايرادها والترجيح بينها فالمالكية والشافعية وآل البيت على ان القرء هو الطهر والحنفية والحنابلة فى أصح الروايتين على أن القرء هو الحيض، وأدلة الاولين أقوى . قال الاستاذ الامام والخطب فى الخلاف سهل لان المقصود من هذا التربص العلم ببراءة الرحم من الحمل من الزوج السابق وهو يحصل بثلاث حيض كما يحصل بثلاثة أطهار ومن النادر أن يستمر الحيض الى آخر الحمل فكل من القولين موافق لحكمة الشرع فى المسألة . وأورد الحكم بلفظ الخبر دون الامر وغيره من ضروب الانشاء كقوله كتب على المطلقات كذا - لتأكيده والاهتمام به كأنه يقول ان هذا التربص واقع كذلك لامحالة كما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني في هذا النوع من الاسناد الخبري في مقام الامر فعند ما يقال المطلقات يلتفت ذهن السامع ويكون متهيئا لسماع مايقال عنهن فاذا قيل : يتربصن بأنفسهن : الخ وفيه الاسناد والحكم يتقرر عنده أنه مأمور به أمرا مؤكدا كأنه قال إننا أمرناهن بذلك وفرضناه عليهن فامتثلن الامر وجرين عليه بالاستمرار حتى صار شأنا من شؤونهن اللازمة لهن لاينصرفن عنه بل لايخطر فى البال مخالفتهن له . وليس فى الامر بصيغته ما يفيد هذا التأكيد والاهتمام لان المأمور بالشيء قد يمتثل وقد يخالف . وهذا الضرب من التعبير معهود فى التنزيل فى مقام التأكيد والاهتمام يقع في الكتاب مواقعه لا يعدوها ولا يخفى ذلك على من طعم البلاغة وذاقها

وفى التعبير بقوله « يتربصن بأنفسهن » من الابداع فى الاشارة ،

والنزاهة فى العبارة ، ماعهد مثله فى القرآن ، ولم يبلغ مراعاة مثله انسان ، فالكلام في المطلقات وهن معرضات للزواج ، وخلو من الازواج ، والأنسب فيه ترك التصريح بما يتشوفن اليه ، والاكتفاء بالكناية عما يرغبن فيه ، على إقرارهن عليه ، وعدم ايئاسهن منه ، مع اجتناب إخجالهن ، وتوقي تنفيرهن أو التنفير منهن ، وقد جمع هذه المعاني قوله تعالى «يتربصن بأنفسهن» على مافيه من الايجاز، الذي هو من مواقع الاعجاز ، فأفاد انه يجب عليهن أن يملكن رغبتهن ، ويكففن جماح أنفسهن ، الى تمام المدة الممدودة ، والعدة المعدودة ، ولكن بطريق اللزوم والتلويح ، لا بطريق الإبانة والتصريح، فان التربص فى حقيقته وظاهر معناه التريث والانتظار وهو يتعلق بشيء يتريث عنه ، وينتظر زوال المدة المضروبة دونه ، ولولا كلمة « بأنفسهن » لما أفادت الجملة تلك المعاني الدقيقة ، والكنايات الرشيقة ، وما كان ليخطر على بال إنسان يريد إفادة حكم العدة ان يزيد هذه الكلمة على قوله : يتربصن ثلاثة قروء : ولو لم تزد لكان الحكم عاريا عن تأديب النفس والحكم على شعورها ووجدانها ، واهمل الارشاد إلى ماتنطوي عليه نفوس النساء من تلك النزعة فى ضمن الاخبار عنهن بأن من شأنهن امتلاكها والتربص بها اختيارا هو أشد فعلا فى أنفسهن وأقوى إلزاما لهن بأن يكن كذلك طائعات مختارات كما ان فيه إكراما لهن ولطفا بهن إذ لم يؤمرن به أمرا صريحا، وهذا من الدقائق التي نحمد الله تعالى أن هدانا الى فهمها ، فأنى لأمثالنا من البشر أن يأتوا بمثلها ، وزعم بعض الناس ان معنى التربص بالانفس هنا ضبطها ومنعها ان تقع فى غمرة الشهوة المحرمة وعللوا ذلك بأن النساء أشد شهوة من الرجال ومنهم من قدر هذه الشدة

والزيادة بأضعاف كثيرة حددها وعددها وهذا من نبذ الأقوال بغير بينة ولا علم فان الرجال كانوا ومازالوا هم الذين يطلبون النساء ويرغبون فيهن ثم يظلمونهن حتى بالتحكم فى طباعهن والحكم على شعورهن ويأخذ بعضهم ذلك من بعض بالتسليم والتقليد

ثم بين تعالى حكمة هذا التربص بالزواج فى سياق حكم آخر فقال (ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) كما كن يفعلن أحيانا فى الجاهلية اذ كانت المرأة تتزوج بعد فراق رجل بآخر ويظهر لها أنها حبلى من الاول ولكنها تلحق الولد بالثاني فهذا محرم فى الاسلام لانه شر ضروب الغش والزور والبهتان ينفي عن قوم من هو منهم ويلحق بآخرين من ليس منهم وفى ذلك من المضار مالا يجهل وقد حرمه الله في الاسلام وأمر بأن تعتد المرأة بعد فراق زوجها ليظهر انها بريئة من الحمل ونهى ان تكتم الحمل اذا علمت به واختار كثير من المفسرين أن ماخلق الله فى أرحامهن يشمل الولد والحيض وهو المروي عن ابن عمر فقد تكتم المرأة حيضتها لتطيل أجل عدتها وذلك محرم وقد فشا فى مسلمات هذا الزمان اللواتي لايطمعن فى الزواج لأن الحكام يفرضون لهن نفقة مادمن فى العدة فيرغبن فى استدامة هذه النفقة بكتمان الحيض وادعاء عدم مرور القروء الثلاثة عليهن وما يأخذنه بعد انقضاء العدة حرام وما هن ممن يتفكر في ذلك اذ لا علم لهن باحكام الحلال والحرام ولا يبالين ماعساهن يعرفنه منها لأنهن لم يتربين على آداب الدين وأعماله بل لم يلقن عقائده ولم يذكرن بآياته حتى صار أكثرهن أقرب الى أهل الاباحة منهن الى أهل الدين وانما يجتنب الحرام ويتحرى الوقوف عند حدود الحلال أهل الايمان الصحيح ولذلك قال تعالى عقب النهي

(ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) وهذا وعيد شديد وتهديد عظيم كأنه يقول اذا كن يعرفن من انفسهن الايمان بالله الذي أنزل الحلال والحرام لمصلحة الناس، وباليوم الآخر الذي يكون فيه الجزاء بالقسطاس، فلا يكتمن ماخلق الله فى أرحامهن والا كن غير مؤمنات بما أنزله الله تعالى من هذه الاحكام التي هي خير لهن ولأزواجهن، ومحافظة لحقوقهم وحقوقهن، اذ التصديق الجازم بأن الله تعالى انزل هذا الحكم وجعل فى اتباعه المثوبة والرضوان، وفى تركه الشقاء والخسران، يكون سببا طبيعيا لامتثاله، مع اعظامه واجلاله، وعلى هذا الحد ماورد فى الحديث الصحيح «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الخ فمن لنا بمن يبلغ النساء المؤمنات هذا التشديد ومن لنا بمن يهتم بتلقين البنات عقائد الايمان، وتربيتهن على الاعمال التي تمكن هذه العقائد فى العقل والوجدان، ؟ أي الرجال يفعل هذا والرجال أنفسهم لم يعد لهم همٌّ فى الدين الا قليلا منهم، وهؤلاء يرون النساء متاعا لأناسي مثلهم، فيدعونهن وشأنهن، لا يتفكرون في أسباب مايلقون من عواقب إهمالهن،

(وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ان أرادوا إصلاحا) قال الاستاذ الامام قدس الله روحه هذا لطف كبير من الله سبحانه وتعالى وحرص من الشارع على بقاء العصمة الاولى فان المرأة اذا طلقت لأمر من الامور سواء كان بالإيلاء أو غيره فقلما يرغب فيها الرجال وأما بعلها المطلق فقد يندم على طلاقها ويرى ان ماطلقها لاجله لا يقتضي مفارقتها دائما فيرغب فى مراجعتها لا سيما اذا كانت العشرة السابقة بينهما جرت على طريقتها الفطرية فأفضى كل منهما الى الآخر بسره حتى عرف عجره وبجره وتمكنت

الالفة بينهما على علاتهما. واذا كانا قد رزقا الولد فان الندم على الطلاق يسرع اليهما لان الحرص الطبيعي على العناية بتربية الولد وكفالته بالاشتراك تغلب بعد زوال أثر المغاضبة العارضة على النفس لاسيما اذا كان الاولاد إناثا لهذا حكم الله تعالى لطفا منه بعباده بأن بعل المطلقة أي زوجها أحق بردها فى ذلك أي فى زمن التربص وهي العدة. وفي هذا بيان حكمة أخرى للعدة غير تبين براءة الرحم وهي إمكان المراجعة فعلم بذلك أن تربص المطلقات بأنفسهن فيه فائدة لهن وفائدة لازواجهن. وانما يكون بعل المرأة أحق بها فى مدة العدة اذا قصد اصلاح ذات البين وحسن المعاشرة وأما اذا قصد مضارتها ومنعها من التزوج بعد العدة حتى تكون كالمعلقة لا يعاشرها معاشرة الازواج بالحسنى ولا يمكنها من التزوج فهو آثم بينه وبين الله تعالى بهذه المراجعة فلا يباح للرجل ان يرد مطلقته الى عصمته الا بارادة إصلاح ذات البين ونية المعاشرة بالمعروف. وإنما قال الامام انه آثم بينه وبين الله تعالى لافادة ان ذلك محرم لامر خفي يتعلق بالقصد فلم يكن شرطا فى الظاهر لصحة الرجعة وما كل ماصح فى نظر القاضي يكون جائزا تدينا بين الانسان وربه لان القاضي يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر. والطلاق الذي تحل فيه الرجعة قبل انقضاء العدة يسمى طلاقا رجعيا وهناك طلاق بائن لا تحل مراجعة المطلقة به وسيأتي ذكره فى محله. ومن مباحث اللفظ أن كلمة أحق هنا بمعنى حقيقين كما قالوا. ولما كانت إرادة الاصلاح برد الرجل امرأته الى عصمته انما تتحقق بأن يقوم بحقوقها كما يُلزمها بأن تقوم بحقوقه اذا هي قصرت ذكر جل شأنه حق كل منهما على الآخر بعبارة مجملة تعد ركنا من أركان الاصلاح في

البشر وهي قوله تعالى

(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)

هذه كلمة جليلة جدا جمعت على إيجازها مالا يؤدى بالتفصيل الا في سفر كبير فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق الا أمرا واحدا عبر عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » الآية وقد أحال في معرفة مالهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهم وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه في جميع الشؤون والاحوال فاذا هم بمطالبتها بأمر من الامور يتذكر انه يجب عليه مثله بازائه ولهذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إنني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لهذه الآية . وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الاشياء وأشخاصها وانما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة وانهما أكفاء فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله لها ان لم يكن مثله في شخصه فهو مثله في جنسه فهما متماثلان في الحقوق والأعمال كما انهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل أي ان كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه وقلب يحب مايلائمه ويسر به ويكره مالا يلائمه وينفر منه فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذه عبدا يستذله ويستخدمه في مصالحه لا سيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لاتكون سعيدة الا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه

قال الاستاذ الامام قدس الله روحه هذه الدرجة التي رفع النساء اليها

لم يرفعهن اليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع بل لم تصل اليها أمة من الامم قبل الاسلام ولا بعده . وهذه الأمم الاوربية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالغت في تكريم النساء واحترامهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون لا تزال دون هذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء اليها ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون اذن زوجها وغير ذلك من الحقوق التي منحتها اياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف وقد كان النساء في أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء كما كن في عهد الجاهلية عند العرب او أسوأ حالا ونحن لا نقول ان الدين المسيحي أمرهم بذلك لاننا نعتقد ان تعليم المسيح لم يخلص اليهم كاملا سالما من الاضافات والبدع ومن المعروف ان ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وانما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة في القرن الماضي

وقد صار هؤلاء الافرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية في معاملة النساء ويزعم الجاهلون منهم بالاسلام أن مانحن عليه هو أثر ديننا . ذكر الاستاذ الامام في الدرس أن أحد السائحين من الافرنج زاره في الازهر وبيناهما ماران في المسجد رأى الافرنجي بنتا مارة فيه فبهت وقال ما هذا ؟ انثى تدخل الجامع !!! فقال له الامام وما وجه الغرابة في ذلك قال اننا نعتقد ان الاسلام قرر أن النساء ليس لهن أرواح وليس عليهن عبادة : فبين له غلطه وفسر له الآيات فيهن ... قال فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا والي جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة فما بالكم بعامتهم

اذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل مالهم عليهن الا ماميزهم

به من الرياسة فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة ان يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن ويجعل لهن في النفوس احتراما يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقه فان الانسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدبا عالما بما يجب عليه عاملا به ولا يسهل عليه ان يمتهنه أو يهينه واذا بدرت منه بادرة في حقه رجع على نفسه باللائمة فكان ذلك زاجرا له عن مثلها.

كلف الله تعالى النساء بالإيمان والمعرفة والأعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما كلف الرجال وجعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهن وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة وبايع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمنات كما بايع المؤمنين وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم واجمعت الامة على ما مضى به الكتاب والسنة من انهن مجزيات على أعمالهن في الدنيا والآخرة، أفيجوز بعد هذا كله ان يحرمن العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولأولادهن ولذي القربى والامة والملة؛ العلم الاجمالي بما يطلب فعله شرط في توجه النفس اليه اذ يستحيل ان تتوجه الى المجهول المطلق، والعلم التفصيلي به المبين لفائدة فعله ومضرة تركه يعد سببا للعناية بفعله والتوقي من اهماله فكيف يمكن للنساء ان يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالا وتفصيلا؟ وكيف تسعد في الدنيا أو الآخرة أمة نصفها كالبهائم لا يؤدي ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا للناس والنصف الآخر قريب من ذلك لأنه لا يؤدي الا قليلا مما يجب عليه من ذلك ويترك الباقي ومنه إعانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه أو إلزامه به بما له عليه من السلطة والرياسة

ان ما يجب ان تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود

ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كاحكام المعاملات ـ ان كانت في بيت غنى ونعمة ـ يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال، كما يختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال، ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكنى والخدمة اللائقة بحال المرأة، ألا ترى ان فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها فبعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح والقسي كافيا في الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفا على المدافع والبنادق والبوارج وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالأمس، ؟ ألم تر أن تمريض المرضى ومداواة الجرحى كان يسيرا على النساء في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقد صار الآن متوقفا على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة، أي الامرين أفضل في نظر الاسلام، أتمريض المرأة لزوجها اذا هو مرض أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع على عورته وتكتشف مخبآت بيته؟ وهل يتيسر للمرأة أن تمرض زوجها أو ولدها اذا كانت جاهلة بقانون الصحة وبأسماء الادوية؟ نعم قد تيسر لكثيرات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الادوية السامة أو بجعل دواء مكان آخر

روى ابن المنذر والحاكم وصححه وغيرهما عن عليّ كرم الله تعالى وجهه انه قال في تفسير قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم : والمراد بالاهل النساء والاولاد ذكورا وإناثا وزاد بعضهم هنا العبد والامة والاهل في أصل اللغة القرابة . واذا كان الرجل يقي نفسه وأهله نار الآخرة بتعليمهم وتأديبهم فهو كذلك يقيهم بذلك نار الدنيا وهي المعيشة المنغصة بالشقاء وعدم النظام

والآية تدل على اعتبار العرف فى حقوق كل من الزوجين على الآخر مالم يحلّ العرف حراما أو يحرم حلالا مما عرف بالنص والعرف يختلف باختلاف الناس والازمنة ولكن أكثر فقهاء المذاهب المعروفة يقولون ان حق الرجل على المرأة أن لا تمنعه من نفسها بغير عذر شرعي وحقها عليه النفقة والسكنى الخ وقالوا لا يلزمها عجن ولا خبز ولا طبخ ولا غير ذلك من مصالح بيته أو ماله وملكه . والاقرب الى هداية الآية ماقاله بعض المحدثين والحنابلة . قال فى حاشية المقنع بعد ذكر القول بأنه لا يجب عليها ما ذكر : « وقال أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني عليها ذلك واحتجا بقضية علي وفاطمة رضي الله عنهما فان النبي صلى الله عليه وسلم قضى على ابنته بخدمة البيت وعلى علي ما كان خارجا من البيت من عمل رواه الجوزجاني من طرق قال وقد قال عليه السلام « لو كنت آمرا أحدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أن رجلا أمر امرأته أن تنتقل من جبل أسود الى جبل أحمر أو من جبل أحمر الى جبل أسود لكان نولها (أي حقها) أن تفعل ذلك» ورواه باسناده قال فهذا طاعة فيما لا منفعة فيه فكيف بمؤنة معاشه . وقال الشيخ تقي الدين يجب عليها المعروف من مثلها لمثله قال فى الانصاف والصواب أن يرجع فى ذلك الى عرف البلد » : اه

وماقضى به النبي صلى الله عليه وسلم بين بنته وربيبه وصهره (عليهما السلام) هو ما تقضي به فطرة الله تعالى وهو توزيع الاعمال بين الزوجين على المرأة تدبير المنزل والقيام بالاعمال فيه وعلى الرجل السعي والكسب خارجه . وهذا هو المماثلة بين الزوجين فى الجملة وهو لا ينافي استعانة كل منهما بالخدم والاجراء عند الحاجة الى ذلك مع القدرة عليه ولا مساعدة كل

منهما للآخر في عمله أحيانا اذا كانت هناك ضرورة وانما ذلك هو الاصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصلحة الناس وهم لا يستغنون فى ذلك ولا فى غيره عن التعاون « لا يكلف الله نفسا الا وسعها - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله » وما قاله الشيخ تقي الدين وما بينه به فى الانصاف من الرجوع الى العرف لا يعدو ما فى الآية قيد شعرة . واذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين ما يعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون من شريعتهم فانظر فى معاملتهم لنسائهم تجدهم يظلمونهن بقدر الاستطاعة لا يصد أحدهم عن ظلم امرأته الا العجز ويحملونهن مالا يحملنه الا بالتكلف والجهد ويكثرون الشكوى من تقصيرهن ولئن سألتهم عن اعتقادهم فيما يجب لهم عليهن ليقولنّ كما يقول أكثر فقهائهم انه لا يجب لنا عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل ولا كنس ولا فرش ولا ارضاع طفل ولا تربية ولد ولا إشراف على الخدم الذين نستأجرهم لذلك، إن يجب عليهن الا المكث فى البيت والتمكين من الاستمتاع . وهذان الامران عدميان أي عدم الخروج من المنزل بغير اذن وعدم المعارضة بالاستمتاع فالمعنى انه لا يجب عليهن للرجال عمل قط بل ولا للاولاد مع وجود آبائهم

أما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجل أشياء . ذلك ان هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لان المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم

في بعض الامور ولا تقوم مصلحتهم الا اذا كان لهم رئيس يرجع الى رأيه في الخلاف لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام . والرجل أحق بالرياسة لأنه أقدر على التنفيذ بقوته وماله ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف فان نشزت عن طاعته كان له تأديبها بالوعظ والهجر والضرب غير المبرح ان تعين تأديبا، يجوز ذلك لرئيس البيت لأجل مصلحة العشيرة وحسن العشرة كما يجوز مثله لرئيس الأمة (الخليفة أو السلطان) لأجل مصلحة الجماعة . وأما الاعتداء على النساء لأجل التحكم أو التشفي أو شفاء الغيظ فهو من الظلم الذي لا يجوز بحال وكل راع مسؤول عن رعيته . وسيأتي تفصيل لهذه السلطة في سورة النساء ان شاء الله تعالى

وختم الآية بقوله عز وجل (والله عزيز حكيم) قال الاستاذ الامام ان لذكر العزة والحكمة هنا وجهين أحدهما إعطاء المرأة من الحقوق على الرجل مثل ماله عليها بعد ان كانت مهضومة الحقوق عند العرب وجميع الأمم والثاني جعل الرجل رئيسا عليها فكأن من لم يرض بهذه الاحكام الحكيمة يكون منازعا لله تعالى في عزة سلطانه، ومنكرا لحكمته في أحكامه، فهي تتضمن الوعيد على المخالفة كما عهدنا من سنة القرآن

مصاب الاسلام بموت الاستاذ الامام

مات الاستاذ الامام ولو كان كبر النفوس وطهارة الارواح وعلو الهمم مما يحول دون الموت لما مات أبدا ولكن كل حي يموت إلا الحي القيوم «إنا لله وانا إليه راجعون»

مات الاستاذ الامام فمات ذلك العلم الواسع، والحكمة البالغة، والحجة الناطقة، والمعارف الكونية والالهية، والعلوم الكسبية واللدنية، مع البيان الساحر، والأدب الباهر، والبلاغة التي تمتلك العقول والقلوب، والفصاحة التي تستهوي الاسماع والنفوس،

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الاخلاق القدسية، والشمائل المحمدية، والصدق في القول والعمل، والاخلاص في السر والجهر، والوفاء في القرب والبعد، والسخاء في العسر واليسر، والعفة في الشباب والكهولة، والحلم عند الغيظ والمغاضبة، والعفو مع القدرة على المؤاخذة، والتواضع وخفض الجناح للمخلصين، والشهامة والترفع على المنافقين والمستكبرين، واللين للحق وأهله، والشدة على الباطل وجنده، والشجاعة التي تهابها الأمراء والعظماء، والقناعة التي رفعت رأسه فوق الرؤساء

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الاعمال النافعة، والمشروعات الرافعة، والمساعي الجديدة، والوسائل المفيدة، والاجتهاد في ترقية الأمة، والدفاع عن الملة، والدعوة إلى التوحيد والتأليف، والاشتغال بأفضل التعليم والتأديب، والتربية الصحيحة للمريدين، والجمع بين علوم الدنيا والدين، ومواساة البائسين والمعوزين، وكفالة أولاد الفقراء والمساكين،

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الآمال البعيدة، والمقاصد الحميدة،

التي كانت مطوية في ذلك الجرم الصغير ، الذى انطوى فيه العالم الكبير ، ملك الآمال التي تتضاءل دونها همم الملوك والأمراء ، وتتصاغر أمامها نفوس الزعماء والأغنياء ، الذين هم عن استعمال مواهبهم مصروفون ، وعن الثقة بربهم محجوبون ، وعن سنته في خلقه غافلون ،

مات الاستاذ الامام فراع موته الناس ، من جميع الطوائف والاجناس ، فعلم علماء الدين ، أنهم فقدوا ركنهم الركين ، الذي يحمل عنهم رد الشبهات ، وغير ذلك من فروض الكفايات ، وعلماء الدنيا ، أنهم خسروا ركنهم الاقوى ، الذى يدفع عنهم مطاعن المتعصبين ، وتكفير الجامدين ، ويثبت ان الاسلام جمع بين المصلحتين ، ولا يتم ذلك الا بالجمع بين العلمين ، وشعر طلاب الاصلاح بأنهم فقدوا إمامهم العظيم ، الذى كملت فيه صفات الزعيم ، وأحسّ الفقراء والمساكين ، بأنهم رزءوا بكافل اليتامى وغوث العاجزين ، ولم يجهل القائمون بالشؤون العامة ، شدة وقع هذه الطامة ، وانهم نكبوا بصاحب الرأي الثاقب ، والعمل النافع ، مربي الرأي العام في الشورى والجمعية العموميه ، صاحب اليد البيضاء في الاوقاف الاسلامية ، المضطلع باصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية ، الناهض بأعباء الجمعية الخيرية ، الموفق بين الحكومة والرعية ، واعترف أهل الملل بأن مصابه مصاب الانسانية ، والخسارة الكبرى على العلم والمدنية ،

مرض هذا البرّ الرحيم فكان على فراش الموت يسأل عن بعض الضعفاء ، ويبحث عن مساكن القواعد من النساء ، ليواسيهم بالبر ، من وراء الستر ، وقال لي ان فلانا الغريب قد انقطع عن السفر بدين عليه ، وانني مستغن الآن عن مئة جنيه فان كانت كافية ارسلتها اليه ، ولكنه غاب

عن الوجود ، قبل ان يقضي لبانته من البر والجود ،

مرض هذا المصلح العظيم فاضطربت الامة المصرية لمرضه فكانت الدار التي يمرّض فيها كعبة العائدين من العلماء والامراء والوزراء والادباء والفضلاء والفقراء والأغنياء وكان البرق يناجيها كل يوم مع البريد ، بالنيابة عن العاجز والبعيد ، سائلين عن صحته ، أو مهنئين بما يقال عن راحته ، فكان يحمد الله ان جعل الدهماء من أمته يعرفون لخادمها خدمته ، ويشكرون للعامل لها عمله ، ويقول لئن شفيت لاجهدن النفس في خدمتهم اجمعين ، حتى أكون حرضا أو أكون من الهالكين ،

مرض الاستاذ الامام ، فلم يعقه المرض عن خدمة المسلمين والاسلام ، واحتضر الاستاذ الامام ، وهو يفكر في مصلحة المسلمين والاسلام ، ومات الاستاذ الامام ، وهو يلتهب غيرة على المسلمين والاسلام ،

نقول مات الاستاذ الامام فنبتدىء القول ونعيده ننصر الحس ، ونكابر النفس ، فقد كادت تحسب ان موته رؤيا منام ، وأضغاث أحلام ، وماهو الا الحق اليقين ، ومصير الاولين والآخرين ، « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون * » مات استاذنا وإمامنا ولك اللهم البقاء فلا تفتنا بعده ، ولا تحرمنا أجره ، واغفر اللهم لنا وله ،

نعم إنه قد مات ولكن لم تمت علومه ومعارفه ، ومآثره وعوارفه ، فلقد ربى أرواحا ، واصلح إصلاحا ، وألف كتبا ، وترك علماء وأدبا ، وأمات سننا سيئة له أجر إماتتها ، وأحيا سننا حسنة له أجرها وأجر من يعمل بها ، وعلمنا كيف نفهم القرآن ، ونقيم شرائع الاسلام ، مع توخي نفع

الناس أجمعين ، والاخلاص لله رب العالمين ،

مات أستاذنا وإمامنا فكبر علينا موته ولكنه ربانا على الصبر وعلمنا كيف نتعزى عنه حتى فى مرض موته ، فقد كان هجيراه في تلك الكربات والسكرات ، كلمة الله التي أمرنا بتكرارها في الصلوات . (الله أكبر) فلئن كان بفضل الله كبيرا فينا فالله أكبر ، ولئن كان مرضه وموته كبيرا علينا فالله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم

لبى دعوة ربه برمل الاسكندرية فى الساعة الخامسة بعد الزوال من يوم الثلاثاء ثامن جمادى الاولى فنعاه البرق بآلاته الناطقة والكاتبة الى العاصمة وغيرها من مدن القطر فاضطربت لنعيه القلوب وذرفت العيون واسترجعت الألسنة وحوقلت وطفق الناس يعزي بعضهم بعضا متفقين على ان المصاب به عام ، وأشد وقعه على المسلمين والاسلام ، وما كنت تسمع من القريب والغريب ، والبغيض والحبيب ، والوطني والاجنبي ، والرشيد والغوي ، والعالم والجاهل ، والمفضول والفاضل ، إلا كلمة « خسارة لا تعوض » أو كلمة « عوض الله الأمة به خيرا » أو قول الشاعر

وما كان قيسا رزءه رزء واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

أو قول الآخر

ولكن الرزية فقد حر ... يموت لموته خلق كثير

وقد اجتمع مجلس النظار فقرر ان تحتفل الحكومة رسميا بتشييع جنازته فى الاسكندرية ومصر وان تنقل جثته على قطار خاص الى العاصمة ففعلت وشاركتها الأمة ونزلاؤها والمحتلون بهذا التشييع الذي لم يسبق

مثله لغيره حتى كان يخيل للمشيع انه لم يبق أحد من سكان الاسكندرية ولا من سكان القاهرة الا وقد حضر ليودع هذا الامام الوداع الاخير وقد صلي عليه فى الجامع الأزهر ودفن فى قرافة المجاورين تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه

ولما كان المنار هو الداعي الى الانتفاع بهذا الامام المصلح في حياته ، فجدير به ان يرشد الى الاستفادة بسيرته بعد مماته ، فلا نطيل في الرثاء والتأبين وان كان بالحق ، ولكننا نقص على القراء ملخص سيرته مع التزام الصدق ، ليظهر لهم كيف تعلم وتربي حتى صار إماما حكيما ، وماذا عمل حتى صار مصلحا عظيما ، وسنضع له تاريخا مطولا نفصل فيه ما أجملنا ، ونشرح فيه ما لخصنا ، ونودعه كثيرا من رسائله ومكاتباته ، وخطبه ومقالاته ، وما كتب به اليه بعض العلماء والعظماء ، وما قاله فيه نوابغ الكتاب والشعراء ، وما ابنته به الجرائد ، وما رثي به من غرر القصائد ، ونسأل الله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاء الامة فيه ، ويوفقنا فى مصابنا لما يحبه سبحانه ويرضيه ،

ملخص سيرة الاستاذ الامام

(اصله ونسبه ومولده)

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله من مديرية البحيرة فى القطر المصري . وبيت خير الله تركمانيّ الأصل كما أخبرنا الفقيد رحمه الله تعالى ولا أذكر عنه شيئا من تاريخ قدوم عشيرتهم إلى القطر المصري الا أنهم كانوا يقيمون فى الخيام وان علي باشا مبارك أخبره ان عبد اللطيف البغدادي المؤرخ الشهير ذكر فى الرحلة الكبرى انه جاء (محلة نصر) ونزل ضيفا فى بيت التركماني . وأمه من عشيرة كبيرة فى مديرية الغربية تعرف بعائلة عثمان وتنسب

إلى بني عدي قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب ويقال إنها من ذريته . وكان والده شهما شجاعا وقورا سخي النفس وكانت والدته برة رحيمة بالمساكين ذكية الفؤاد شديدة الحياء ولا أبعد إذا قلت ان والديه كانا من أسلم الناس فطرة وأحسنهم خلقا . وكانت هذه الاخلاق فيهما موروثة ومكتسبة بالمعاشرة والقدوة لا بتعليم المدارس ولا بتأديب المعلمين . وهذا أصل عظيم في استعداد الرجل لما وصل اليه من الكمال الذي لم نر ولم نسمع بمثله وقد قال صلى الله عليه وسلم «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا» رواه البخاري ومسلم

ولد قدس الله تعالى روحه في أواخر سنة خمس وستين أو ست وستين ومئتين وألف من الهجرة الشريفة (روايتان من كتابته) في قرية من قرى مديرية الغربية كان والده هاجر اليها هو وأخوه بنفسه فرارا من ظلم حكام مديرية البحيرة في اواخر حكم محمد علي باشا الكبير وكان له قرابة في تلك القرية وفي أثناء إقامته فيها كان يتردد إلى بعض القرى القريبة فيها ويتعارف هو وأهلها فأدى ذلك التعارف إلى المصاهرة اذ تزوج بوالدة الفقيد وهي من قرية تسمى (حصة شبشير) قريبة من مدينة طنطا واقام معها في قرية تسمى (شتر) الى أواخر مدة عباس باشا الاول والي مصر ثم ألجأته الحوادث بعد ذلك الى الرجوع إلى بلده وهي قرية تسمى (محلة نصر) في البحيرة وفيها نشأ وترعرع

تعليمه وتربيته

نشأ كما ينشأ أمثاله من أبناء البيوت المعروفة في القرى ولم يدخل المكتب لتعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن جاوز العاشرة من سنه وقد

كتب هو عن مبدإ تعلمه وتأدبه مانصه : « تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليه وحدي جميع القرآن أول مرة ثم أعدت القراءة حتى أتممت حفظه جميعه في مدة سنتين ادركني في ثانيتهما صبيان من أهل القرية جاءوا من مكتب آخر ليقرؤا القرآن عند هذا الحافظ ظنا منهم ان نجاحي في حفظ القرآن كان من أثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك حملني والدي الى طنطا حيث كان أخي لأمي الشيخ مجاهد رحمه الله لأجود القرآن في المسجد الاحمدي لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية

«ثم في سنة احدى وثمانين جلست في دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الآجرومية في المسجد الاحمدي بطنطا وقضيت سنة ونصفا لاأفهم شيئا لرداءة طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لانفهمها ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها فأدركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واختفيت عند اخوالي مدة ثلاثة أشهر ثم عثر علي أخي فأخذني الى المسجد الاحمدي وأراد اكراهي على طلب العلم فأبيت وقلت له : قد أيقنت ان لانجاح لي في طلب العلم ولم يبق علي الا أن أعود الى بلدي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربي : وانتهى الجدال بتغلبي عليه فأخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى محلة نصر على نية ان لاأعود الى طلب العلم وتزوجت في سنة ١٢٨٢ على هذه النية

« فهذا أول أثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا وهي بعينها طريقته في الازهر وهو الأثر الذي يجده خمسة وتسعون في المئة ممن

لايساعدهم القدر بصحبة من لايلتزمون هذه السبيل فى التعليم - سبيل إلقاء المعلم مايعرفه أو مالا يعرفه بدون انيراعي المتعلم ودرجة استعداده للفهم غير ان الاغلب من الطلبة الذين لايفهمون تغشهم أنفسهم فيظنون أنهم فهموا شيئا فيستمرون على الطلب الى أن يبلغوا سن الرجال، وهم فى أحلام الاطفال ، ثم يبتلى بهم الناس وتصاب بهم العامة فتعظم بهم الرزية لانهم يزيدون الجاهل جهالة ويضللون من توجد عنده داعية الاسترشاد ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينه وبين نفع الناس بعلمه »

« بعد ان تزوجت باربعين يوما جاءني والدي ضحوة نهار وألزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتجاج وتمنع وإباء لم أجد مندوحة عن إطاعة الأمر ووجدت فرسا أحضر فركبته وأصحبني والدي بأحد أقاربي وكان قوي البنية شديد البأس ليشيعني الى محطة (إيتاي البارود) التي أركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر والريح عاصفة ملتهبة سافياء ، تحصب الوجه بشبه الرمضاء ، فلم أستطع الاستمرار فى السير فقلت لصاحبي أما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ولا بدمن التعريج على قرية أنتظر فيها ان يخف الحر، فأبى عليّ ذلك فتركته واجريت الفرس هاربا من مشادته وقلت اني ذاهب الى (كنيّسة ادرين) - بلدة غالب سكانها من خؤولة ابي - وقد فرح بي شبان القرية (*) لانني كنت معروفا بالفروسية واللعب بالسلاح وأملوا

(*) في العبارة ايجاز بديع بالحذف اذ لم يذكر انه وصل الى القرية ولقي شبانها بل طوى ذلك لدلالة مابعده عليه . وقد اقتدى رحمه الله في هذا بأسلوب الكتاب العزيز

أن أقيم معهم مدة نلهو فيها كل منا بصاحبه . أدركني صاحبي وبقي معي الى العصر وأرادني على السفر فقلت له خذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغد وان شئت قلت لوالدي انني سافرت الى طنطا فانصرف وأخبر بما أخبر وبقيت فى هذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتي، وبدلت فيها رغبة غير رغبتي ،

« ذلك ان أحد اخوال أبي واسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار الى صحراء ليبيا ووصل فى أسفاره الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الاستانة وتوفي بها وتعلم عنده شيئا من العلم واخذ عنه الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمه ثم رجع من أسفاره الى قريته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فلح الأرض وكسب الرزق بالزراعة

«وإن هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بتها فى الكنيسة وبيده كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد محمد المدني الى بعض مريديه بالأطراف بخط مغربي دقيق وسألني ان أقرأ له فيها شيئا لضعف بصره فدفعت طلبه بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ونفرت منه أشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميته إلى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى في ألطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر فاندفع يفسر لي معاني ماقرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضي فتغلبه وتسبق إلى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت اليهم . بعد العصر جاءني الشيخ بكتابه وألحّ عليّ فى قراءة شيء منه

فقرأت وفسر ثم تركته إلى اللعب وفعل في اليوم الثاني كما فعل فى الأول أما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ له فيه وهو يشرح لى معاني ما أقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها فقال لي إني فى حاجة الى الذهاب إلى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها فطلبت منه إبقاء الكتاب معي فتركه ومضيت أقرأه وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها الى أن جاء وقت الظهر وعصيت فى ذلك اليوم كل رغبة فى اللعب وهوى ينازعني الى البطالة، وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه فأبان معناه على عادته وظهر عليه الفرح بما تجدد عندي من الرغبة فى المطالعة والميل إلى الفهم

«كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا

«لم يأت علي اليوم الخامس الا وقد صار ابغض شيء إلي ما كنت أحبه من لعب ولهو، وفخفخة وزهو، وعاد أحب شيء الي ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم وكرهت صور اولئك الشبان الذين كانوا يدعونني الى ما كنت أحب ويزهدونني فى عشرة الشيخ رحمه الله فكنت لا احتمل أن ارى واحدا منهم بل افر من لقائهم جميعا كما يفر السليم من الأجرب. فى اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقتكم فقال طريقتنا الاسلام فقلت أو ليس كل هؤلاء الناس بمسلمين؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الأمر ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب. هذه الكلمات كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندي

من المتاع القديم ـ متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة، متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون، وان كنا فى غمرة ساهين، سألته ما وردكم الذي يتلى فى الخلوات أو عقب الصلوات، فقال لا ورد لنا سوى القرآن تقرأ بعد كل صلاة أربعة ارباع مع الفهم والتدبر: قلت أنى لي أن أفهم القرآن ولم أتعلم شيئا قال أقرأ معك ويكفيك ان تفهم الجملة وببركتها يفيض الله عليك التفصيل وإذا خلوت فاذكر الله على طريقة بينها. وأخذت أعمل على ماقال من اليوم الثامن فلم تمض علي بضعة أيام إلا وقد رأيتني أطير بنفسي فى عالم آخر غير الذي كنت أعهد، (١) واتسع لي ما كان ضيقا، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيراً، وعظم عندي من أمر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا، وتفرقت عني جميع الهموم ولم يبق لي الا هم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة كامل أدب النفس ولم أجد إماما يرشدني الى ما وجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ الذي أخرجني فى بضعة أيام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد، الى إطلاق التوحيد، ـ هذا هو الأثر الذي وجدته فى نفسي من صحبة أحد أقاربي وهو الشيخ درويش خضر من أهالي (كنيسة ادرين) من مديرية البحيرة. وهو مفتاح سعادتي ان كانت لي سعادة فى هذه الحياة الدنيا، وهو الذي ردلي ما كان غاب من غريزتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودع فى فطرتي،

«وفى اليوم الخامس عشر مر بي أحد سكان بلدتنا (محلة نصر) فأخبرني

(١) سنذكرهنا ثم في تاريخه المطول معنى ماقاله في تأثير التصوف فى نفسه ومالم يقله ونبين ما كان له من المنفعة والضرر الذي تلافاه السيد جمال الدين فى تربية فقيدنا الثانية

ان والدتي ذهبت الى طنطا لتراني فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا أزال فى الكنيّسة فأصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده فى اللوم لانني لو كنت أقمت له ألف دليل على انني وجدت فى مهربي مطلبه ومطلبي لمااقتنع

«ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية فى شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنته فعاقه الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وآخر عرض له عارض منعه عن إتمام شرح الشيخ خالد على الأجرومية فأدركت كلا منهما فى أوائل الكتاب الذي كان يدرسه وجلست فى الدرسين فوجدت نفسي افهم ماأقرأ وماأسمع والحمدلله. وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لأطالع معهم قبل الدرس ماسنتلقاه. وفى يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت أطالع بين الطلبة وأقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت أمامي شخصا يشبه ان يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب فلما رفعت رأسي اليه قال مامعناه : ماأحلى حلوى مصر البيضاء : فقلت له وأين الحلوى التي معك ؟ فقال سبحان الله من جد وجد: ثم انصرف فعددت ذلك القول منه إلهاما ساقه الله الي ليحملني على طلب العلم فى مصر دون طنطا

«وفى منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة. وفى أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب الى (محلة نصر) لأقيم بها شهرين - من منتصف شعبان الى منتصف شوال- وكنت عند وصولي الى البلد أجد خال والدي

الشيخ درويشا قد سبقني اليه فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سفري . وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فأذكر له مادرست فيقول : مادرست المنطق مادرست الحساب مادرست شيئا من مبادىء الهندسة : وهكذا وكنت أقول له بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله فى أي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت أخطىء فى الطلب واخرى أصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦

«وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية (الفلسفية) والكلامية وأدعو الناس الى التلقي عنه كذلك وأخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاويل ويزعمون أن تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوي بالنفس فى ضلالات تحرمها خيري الدنيا والآخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي: ان الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته وإن أعدى أعداء العليم هو الجاهل واعدى أعداء الحكيم هو السفيه وماتقرب أحد الى الله بأفضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بممقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديه الا مايسميه بعض الناس علما وليس فى الحقيقة بعلم كالسحر والشعوذة ونحوهما اذا قصد من تحصيلهما الإضرار بالناس :»

هذا ما كتبه الفقيد عن مبدإ تربيته وتعلمه في ترجمته التي كتبها لي قبل اشتداد مرضه الاخير وكان حدثني قبل بشيء من ذلك ومنه أنه لم يكن

يواظب على حضور دروس من لا يفهم أو لا يستفيد منهم وانه ربما كان يحضر درس أحدهم وفى يده كتاب آخر يطالع فيه مدة الدرس وان من شيوخه الذين فهم منهم واستفاد فى أول تحصيله الشيخ محمد البسيوني وانه بعد الحضور فى الازهر ثلاث سنين مل الدروس المعتادة كأنه أخذ حظه منها وصارت نفسه تطلب شيئا جديدا وتميل الى العلوم العقلية ولكنه حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرتاح الى إعادة شيء منها. وكان الشيخ حسن الطويل ممتازا فى الازهر بعلم المنطق فحضره عليه ولم يكن يشفي ما فى نفسه بل كانت تتشوف دائما الى علم غير موجود فكان يبحث فى خزائن الكتب الازهرية عن طلبته المجهولة فيظفر ببعض الشيء ومما ظفر به القطب على الشمسية ناقصا. وقرأ الشيخ حسن الطويل لهم شيئا من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بأن المعنى كذا بل كان الدرس احتمالات أو اشبه بالحزر فيما بينهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت اليه نفسه من اضطرابها ووجدت عنده جميع طلبتها، وأقصى أمنيتها، واخبرني رحمه الله تعالى ان الذي أخبره بقدوم السيد جمال الدين هو أحد المجاورين فى رواق الشوام قال له انه جاء مصر عالم افغاني عظيم وهو يقيم فى خان الخليلي فسر بذلك واخبر الشيخ حسنا ودعاه الى زيارته معه فألفياه يتعشى فدعاهما الى الأكل معه فاعتذرا فطفق يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لهم فكان هذا مما ملأ قلب فقيدنا به عجبا وشغفه حبا لان التصوف والتفسير هما قرة عينه أو كما قال مفتاح سعادته. وأخبرني رحمه الله تعالى انه قرأ على السيد كتاب الزوراء للدواني فى التصوف، وشرح القطب على الشمسية والمطالع وسلم العلوم من كتب المنطق، والهداية والاشارات وحكمة العين

وحكمة الاشراق من الفلسفة، وعقائد الجلال الدواني والتوضيح مع التلويح فى الاصول، والجغميني فى الهيئة القديمة وكتابا آخر في الهيئة الجديدة نسيت اسمه.

ثم ان السيد أرشده كغيره من تلامذته الى الانشاء وكتابة المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية ومرنهم على الخطابة فبرع فقيدنا فى ذلك حتى صار أبرع من أستاذه نفسه لان عبارة السيد رحمه الله تعالى كانت على متانتها وبلاغتها لم تصف من كدورة العجمة الى صفاء الانسجام العربي الخالص كعبارة الشيخ ثم ان مجالس السيد فى ناديه وسامره كانت كلها مجالس علم وحكمة وأدب وسياسة وقلما كان يفوت فقيدنا شيء منها اذ كان يلازمه ملازمة ظله وما يستفيده المرء بالمذاكرة فى ساعة لا يستفيده بالدرس في ساعات لان المدرس يكلفك كل ما يلقيه اليك سواء كنت تشعر بالحاجة اليه وتعتقد الاستفادة منه أم لا وسواء كنت مستعدا لفهمه أم لا، وأما المذاكرة فهي مشاركة اختيارية في البحث والانسان لا يختار الا ما يرى نفسه محتاجة اليه ومستعدة لفهمه فمثل الدرس يلقى اليك كمثل من يكلفك أن تأكل مقدارا معينا من الاطعمة التي قد تعاف بعضها ولا تستطيع تناولها الا بكلفة وغثاثة فأنت لا تتغذى الا ببعضها والباقي إما أن يضر وإما أن لا ينفع ومثل المذاكرة كالطعام الذي تشتهيه وتتناول منه ما يكفيك فيكون كله غذاء نافعا. وقد قال بعض علماء التربية من الافرنج انه قلما يفلح من يقيم فى مدارس العلم زمنا طويلا. ولقد كانت مجالس استاذنا الفقيد كمجالس استاذه (رحمهما الله) تفيض علما وحكمة وأدبا ولكن الفصل بينهما في هذا هو ان السيد كان يلقي الحكمة لكل أحد وأما الشيخ فكان

تخاطب كل أحد أو كل فريق بما يرى انه مستعد له ومتوجه اليه وقد قال لي رحمه الله تعالى ان السيد جمال الدين كان يلقي الحكمة لمريدها وغير مريدها ومن خواصه انه يجذب مخاطبه الى ما يريد وان لم يكن من أهله وكنت أحسده على ذلك لانني تؤثر فيّ حالة المجلس والوقت فلا تتوجه نفسي للكلام الا اذا رأيت له محلا وهكذا الكتابة الخ ماقاله وسنذكره في محله من تاريخه ان شاء الله تعالى

تدريسه ودعوته الى اصلاح التعليم فى الازهر

كان عفا الله عنه قبل أخذ شهادة التدريس يطالع مع بعض الطلاب الدروس التي يحضرونها فى الازهر ثم اتفقت الرغبة على أن يقرأ لطائفة منهم بعض الكتب فقرأ لهم إيساغوجي فى المنطق ثم شرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني مع حواشيه ثم مقولات السجاعي بحاشية العطار وغير ذلك من الكتب التي لم تكن تقرأ في الازهر فكثر سواد المجتمعين عليه وكان يدعوهم الى مطالعة مالم يتعودوا من الفنون والكتب ويفتح لهم أبواب المذاكرة والمناقشة ليلا فكانوا يقتالون الليل ولا يشعرون بطوله وفتن الاذكياء بحسن بيانه ودقه فهمه وحسده أناس منهم فأحفظوا عليه قلب الشيخ عليش فكان ما كان من حادثته معه اذ ذهب ابن للشيخ عليش مع طالب آخر فقالوا ان فلانا يقرأ شرح العقائد النسفية وقد رجح فى درسه أمس مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية وكان الشيخ عليش رحمه الله أذنا يصدق بكل ماسمع وكان شديد الغيرة فى الدين حديد المزاج سريع الغضب فكبر عليه أن يقرأ أحد الطلاب مثل ذلك الكتاب الذي لم يكن الشيوخ الكبار يتسامون لقراءته فارسل الى الفقيد فجاءه وهو

يقرأ الدرس فى المسجد الحسيني فقال الشيخ عليش بلغني انك تقرأ شرح العقائد النسفية درسا قال نعم : قال الشيخ عليش وبلغني انك رجحت مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية قال اذا كنت أترك تقليد الاشعري فلماذا أقلد المعتزلي إذًا أترك تقليد الجميع وآخذت بالدليل قال الشيخ عليش اخبرني الثقة بذلك قال هلم الثقة الذي يشهد بذلك فليميز أمامنا هنا بين المذهبين وليخبرنا أيهما رجحت : قال الشيخ عليش أو مثلك يفهم شرح العقائد قال الكتاب حاضر وأنا حاضر فسلني ان شئت : فكبر على الطلبة الحاضرين مثل هذه المراجعة من طالب للشيخ عليش المهيب وقال بعضهم ان هذا يرسل شعره ويجمعه تحت عمامته وأخذ عمامته عن رأسه ولغط الحاضرون فتركهم الفقيد رحمه الله تعالى وذهب حاسرا عن رأسه فقال أناس ان الشيخ عليشا ضربه وقال آخرون انه منعه من الدرس وكثرت الاشاعات والاقوال والرؤى والاحلام فيه وفى السيد جمال الدين والصواب ان هذا كل ما حصل وان الفقيد لم يمتنع من قراءة الدرس ولكنه كان يضع بجانبه عصا وقال اذا جاء الشيخ بعكازه فله هذه العصا وكان من الشجاعة على ما يعهد عارفوه كما سنبين ذلك فى الكلام على أخلاقه . أما تأثير هذه الحادثة فقد كان أكبر منها بل كان هو مبدأ خوض بعض الجامدين فى دين كل من السيد الحكيم والاستاذ الامام رحمهما الله تعالى وسنعقد لذلك فصلا خاصا في تاريخ الفقيد نبين فيه انه لم يسلم أحد من أئمة الدين ولا من كبار الحكماء والصوفية من مثل هذا الطعن وأنه من مناقب حكيمينا قدس الله روحهما وان الذين يتشفون بمثل هذا الخوض من الاعداء والحاسدين ومن يقلدهم من المساكين والمجانين لو عقلوا لكتموه

وسعوا فى ازالته

نعم ان ذلك الخوض والتقول مما تزين به تاريخ هذين الحكيمين ولكن لا ننكر ان تأثيره السيء وقع على الأمة الاسلامية عامة وعلى الازهر خاصة دون الرجلين اللذين لم يحترم الناس لا سيما عقلاء الامة الاسلامية في هذا العصر أحداً من أهل المشرق كاحترامهم لهما ذلك انه كان عقبة في سبيل إصلاحهما واستفادة الأمة منهما وهما مأجوران عند الله تعالى بحسن نيتهما وبذلهما جهد المستطاع فى خدمة امتهما وملتهما. وقد كاد يترتب على ذلك حرمان فقيدنا من شهادة العالمية ومرتبة التدريس فى الازهر لولا عدل الشيخ العباسي وإنصافه. كتب الاستاذ الامام رحمه الله عن امتحانه ما نصه:

« عرضت نفسي على مجلس الامتحان فى ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هجرية وابتليت في الامتحان أشد الابتلاء لتعصب الأكثر من أعضائه مع المرحوم الشيخ عليش وكان يعاديني على الغيب اتباعا لآراء من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على ان لا يمنحوني درجة ما في العلم وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها ولكن كان أمر الله أغلب فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية وصرت مدرسا من مدرسي الجامع الازهر وأخذت أقرأ العلوم الكلامية والمنطقية » الخ

وقد أخبرني رحمه الله ان بعض الشيوخ تقاسموا قبل الامتحان يمينا مؤكدة لا يأخذن فلان درجة ما ولما وقع الامتحان ورأوا من حسن الجواب عما سألوه فوق ما كانوا ينتظرون، طفقوا يناقشون ويراجعون، وينتقلون به ويستطردون، حتى صار الامتحان مناظرة، تتولاها المشاغبة

والمكابرة، فعند ذلك حلف الشيخ العباسي انه لم ير احدا امتحن فى عصره مثله وأنه لو كان فوق الدرجة الاولى درجة ممتازة لاستحقها فأراد أحد الشيوخ واظنه الشيخ الرافعي ان يوفق ويصلح فأخذ الورقة وكتب له بالدرجة الثانية وطفق يعرضها على اخوانه الذين كانوا متفقين على حرمانه ليوقعوا عليها فوقعوا ثم أعطوها للشيخ العباسي فأمضاها لهم ولم يحب ان يراجعهم بعد أن رأى منهم ما رأى فظفروا ببعض المطلوب وهو حرمانه من الدرجة الاولى وما كانوا ضائرين.

﴿ طلبه العلم بعد التدريس والدخول فى الاعمال ﴾

هذا مجمل سيرة الرجل فى تلقي العلم عن الشيوخ منذ بدأ الى أن صار مدرسا وانك لتجد أكثر طلاب العلوم عندنا يعدون أخذ شهادة العالمية غاية التحصيل والتعلم فلا تتوجه همتهم بعده الا الى استغلال العلم وطلب المال به واحراز الجاه والمكانة عند الناس بما ينالون به من وظيفة وعمل. وان صاحبنا لم يسلك مسلكهم بل سار على سبيل سلفنا الصالح الذين يؤثر عنهم: اطلب العلم من المهد الى اللحد: فكان يقول الى آخر حياته انني لا أزال طالب علم أبتغي المزيد منه فى كل يوم. فكان له في طلب العلم ثلاثة أدوار أولها الطلب على طريقة الازهر المعروفة من المناقشة فى عبارات كتب المؤلفين وقراءة المتون مع الشروح والحواشي والتقارير - سلكها زمنا حتى ملها وتوجهت نفسه الى علم أعلى وفهم أجلى فقيض الله تعالى له ذلك العلامة الحكيم السيد جمال الدين فقرأ له علوما أخرى على طريقة أسهل مسلكا وأقرب غاية، فانتاشه من الاخلاد الى أرض العبارات الركيكة والاساليب الضعيفة، والاحتمالات البعيدة، ورفعه الى سماء عرفان الحقيقة،

والافصاح عنها بالعبارة الرشيقة، بعد إطلاقه من قيود تقليد المؤلفين، وتعويده على الحكم باليقين، فهذا هو الدور الثاني وهو خاص كسابقه بالعلوم الاسلامية، التي كتبت باللغة العربية، مع شيء قليل من العلوم الحديثة، وتطبيق العلم على حال المسلمين الاخيرة، وأما الدور الثالث فهو النظر في علوم الافرنج قرأ رحمه الله كثيرا مما ترجم من الكتب ثم تعلم اللغة الفرنسية فصار يقرأ الكتب فيها لا يكاد يتركها يوما من الايام. وكانت عنايته بعلوم الاخلاق والنفس وأصول الاجتماع الانساني والتاريخ وفلسفته وفن التربية أشد من عنايته بسائر العلوم وقلما علم بكتاب لافرنجي يتكلم فيه عن الاسلام والمسلمين الا واستحضره وقرأه وقد قرأ عدة كتب في تربية الارادة خاصة، وفي سفره الاخير إلى سويسره تعلم هناك القلم المسند لانه علم ان في بعض المكاتب الاوربية كتبا فيه وان الانكليز نقلوا من حضرموت بعض ماهنالك من الآثار الحميرية ولذلك دخل شأن في تاريخ العرب والاسلام.

وهذه العلوم الافرنجية هي التي أعطته القوة العظيمة في المدافعة عن الاسلام وفي زيادة البصيرة بخدمته لانه عرف من أين يهاجمه أعداؤه وكيف ترد هجماتهم. وكان يقول من لم يعرف لغة من لغات العلم الاوربية لا يعد عالما في هذا العصر وقد كتب لي في ترجمته عن تعلمه اللغة الفرنسية مانصه:

« بدأت بتعلم اللغة الفرنساوية عند ما كانت سني أربعا وأربعين سنة ولكن ميلي الى تعلم لغة أجنبية ابتدأ في اثناء الحوادث العرابية فتعلمت الهجاء ثم تركته ونسيته تقريبا وعند ما سافرت الى فرنسا أول مرة أقمت هناك عشرة أشهر كنت أحرر فيها جريدة العروة الوثقى ولم أتعلم شيئا من الفرنساوية لان اجتماعي كان بالسيد جمال الدين وبرفاق من العرب واشتغالي

بتحرير تلك الجريدة كان لا يسمح لي بوقت كاف للتعلم بدراسة منتظمة فذهب علي ذلك الزمن بدون فائدة في اللغة لا كثيرة ولا قليلة. أما بعد عودتي من النفي الى مصر واشتغالي بالقضاء في المحاكم الاهلية والحكم بها خصوصا في الجنايات على أصول القوانين الفرنساوية وجلوسي بين قضاة يغلب عليهم العلم بتلك القوانين في لغتها فقد قوي عندي الميل الى تعلم اللغة الفرنساوية حتى لا أكون في معرفة القوانين أضعف ممن أجلس معهم مجالس القضاء وبعد مجيئي الى القاهرة واشتغالي بالقضاء في إحدى محاكمها وجدت الوقت والحال مناسبين للبدء في العمل فبحثت عن معلم فوجدت أستاذا لا بأس به فدعوته فجاءني حاملا كتاب نحو في يده (كرامير) فسألته ما هذا فقال كتاب نحو فقلت له لا وقت عندي لان ابتدىء وانما عندي زمن لان أنتهي ثم ناولته قصة من تأليف الكسندر دوماس وقلت له أنا أقرأ وانت تصلح لي النطق وتفسر لي الكلم وما عدا ذلك فهو علي والنحو يأتي في اثناء العمل، وهكذا أتممت الكتاب وكتابا بعده وثالثا عقبه وكنت أطالع وحدي بصوت مرتفع كلما وجدت نفسي في بيتي خاليا فتعلمت مبادىء اللغة الفرنساوية وحصلت منها ما كان يمكنني من القراءة والفهم لكن ما كنت أستطيع الكلام

« سافرت بعد ذلك الى فرنسا وإلى سويسرا عدة مرات في أيام العطلة الصيفية وكنت أحضر دروس العطلة في كلية جنيف وبهذه الطريقة تعلمت اللغة الفرنساوية في أوقات الفراغ مع اشتغالي بالقضاء في المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف. ثم ان الذي زادني تعلقا بتعلم لغة أوربية هو أني وجدت انه لا يمكن لاحد ان يدعي انه على شيء من العلم يتمكن

به من خدمة أمته ويقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة أوربية كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الاوربيين فى جميع أقطار الارض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم» اه

﴿ الكلام في تربيته خاصة ﴾

هذا مايقال فى طلبه للعلم وأما تربيته فقد علم مما مر شيء منها وهو أنه نشأ فى بيت يوصف أهله بالاخلاق الفطرية الجيدة التي لا ينقصها الا نور العلم وقد كان له ولم يعن فى صباه الا بالفروسية وأعمال الرجولية فكان يلعب بالسلاح ويسابق الناشئين معه على ظهور الجياد ويكثر من السباحة وهذه الالعاب مما يحسن أن يربى عليها الولدان بالقصد كما قال الحكماء وعلماء التربية وهي مما يربى عليه أولاد الملوك والامراء فى أوربا . بعد ان أخذ حظه من هذه التربية الفطرية أخذه الشيخ درويش خضر بالتربية الدينية فألزمه العزلة ومجاهدة النفس . وكان من جبلته أن يأخذ كل شيء بقوة فكان فى مدة طلبه للعلم يصوم النهار ويقوم الليل بالصلاة والتلاوة والذكر ويمشي مطرقا لاينظر الا حيث يضع قدميه ولا يكلم أحدا الا لضرورة وقد ظل عدة سنين لا يلقي نظره على امرأة أجنبية حتى في الطريق . وقد كان لكثرة الانهماك فى الذكر والفكر والنظر فى كتب التصوف والتنقل فى أحوال القوم ومقاماتهم يخرج عن حسه ويزج في عالم الخيال أو عالم المثال كما يقولون فيناجي أرواح السابقين . ولو كان يجيز شرح ذلك لشرحناه ولكنه كان يقول ان مايحصل للصوفية من الاحوال غير الطبيعية لايجوز ذكره لغير العارف به ولا تجوز كتابته بحال ولو

كنت ملكا لحكمت بقتل الذين يكتبون ذلك لانهم يفتنون كثيرا من الناس ولا يفيدون به أحدا . وقال ما معناه مازج أحد نفسه فى عالم الخيال ثم قدر على الخروج منه الا ان يجذبه جاذب آخر ويخرجه منه وذلك قليل . وأقول إن السيد جمال الدين هو الذي أخرجه منه ، ورقى به الى ماهو خير منه ، ولم يتمكن من ذلك الا بعد ان جاراه عليه زمنا عرفه به أنه أعرف بتلك المعاهد، وأسبق الى تلك المشاهد، بما كان يحل له من عقد كلام الصوفية التي يعجز عن حلها ، حتى أقنعه بأنه من أفراد أهلها ، وسنذكر فى التاريخ الكبير الذي نضعه لفقيدنا شيئا مما كتبه على طريقة الصوفية . وأقول هنا لو كان الجماهير من الناس يعرفون فى أيام حادثة الشيخ عليش شيئا من أمر الرجل فى تصوفه وتنسكه لهاجوا على الشيخ عليش وان كانت شهرته بالصلاح عظيمة وعلى من وشى اليه من فساق المجاورين ولما خاضوا فى فقيدنا بالذي خاضوا ولكنه كان يبالغ فى كتمان ذلك خوفا من الرياء وحب السمعة والامة مستعدة للشر والشبهة عليه حضور كتب الفلسفة والكلام على عالم غريب وهو السيد رحمهم الله أجمعين

قلنا ان السيد جمال الدين هو الذي نقل فقيدنا من حال الى حال فى التربية كما نقله فى العلم وكان الشيخ درويش هو الذي مهد له السبيل للأمرين . وقبل ان ننتقل من الكلام فى تربيته وتعليمه الى الكلام في عمله وإصلاحه نذكر ان الشيخ درويشا هو الذي رباه أيضا على التعرض للارشاد الديني والتصدي لنصيحة الناس فهو السبيل التي سلكها به السيد جمال - سبيل الإصلاح العلمي والسياسي . ذلك ان الشيخ درويشا رأى ان مريده قد كملت نفسه بعد العزلة الطويلة وكمل سلوكه فصار يأمن من المعاشرين الذين يقطعون الطريق على المريدين فأمره بمخالطة الناس والتعرض لإرشادهم وقد كتب رحمه الله فى ذلك مانصه :

« قلت انني كنت في أوائل مدة طلب العلم بعد مجيئي الى الازهر في عزلة عن الناس الا من استفيد منه علما أو نصيحة لكن بعد مضي سبع سنين على ذلك - والشيخ يقودني في سبيل الرياضة وقهر النفس على المكاره بالصوم تارة وبلبس الخشن والتعرض لانتقاد الناس تارة أخرى - قال لي عند ما رجعت الى محلة نصر في سنة ١٢٨٨ : الى متى هذه العزلة وما الفائدة في العلم وتحصيله اذا لم يكن لك نورا تهتدي به ويهتدي به الناس ؟ ان من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك وان من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة فعليك ان تخالط الناس وتعظهم وترشدهم الى الطريق القويمة والسنة الصالحة : فذكرت له اشمئزازي من الناس وزهادتي في معاشرتهم وثقلهم على نفسي اذا لقيتهم وبعدهم عن الحق ونفرتهم منه اذا اعرض عليهم فقال لي: هذا من أقوى الدواعي الى ماحثثتك عليه فلو كانوا جميعهم هداة مهديين لما كانوا في حاجة اليك: ثم أخذ يستصحبني في مجالس العامة ويفتح الكلام في الشؤون المختلفة ويوجه اليّ الخطاب لأتكلم فيتكلم الحاضرون فأجيبهم وانطلق في القول على وجل في أول الامر وما زال بي حتى وجد عندي شيء من الالفة مع الناس والاستئناس بمكالمتهم وفي شوال من تلك السنة ودعني وبكى بكاء شديدا ومات في السنة الثانية رحمه الله تعالى » اه أقول يظهر انه أحس بأن عمله قد تم بتكميل تربية مريده وأنه ألهم بأنه قد دنا أجله إذ تم عمله فبكى بكاء مودع وللصوفية من هذا الإلهام والشعور ، ماهو معروف مشهور ،

﴿ طور العمل والاصلاح ﴾

(تمهيد) لو سأل سائل أيّ الرجال أعظم في الامة وأفضل لاختلف

الجواب باختلاف أفهام الافراد ومذاهبهم فهذا يقول أعظمهم العالم وذاك يقول بل الفيلسوف ، ويقول ثالث بل هو الرجل الصالح فينبري رابع قائلا بل القائد الفاتح ويخالفهم رجل آخر يدعي ان أفضل الناس السياسي الحاذق ويقول آخرون أقوالا أخرى . واذا رجعت بالجميع الى البرهان رأيتهم يتفقون على ان أعظم الرجال وأفضلهم المصلحون الذين يوجهون عزائمهم الى رفع الأمة من الدرجة الدنيا الى الدرجة العليا ، وهؤلاء قلما تجود الاجيال بواحد منهم على كثرة العلماء والصلحاء والقواد والسياسيين في كل زمان

إنما يكون الرجل عظيما بأمرين أحدهما فطري لا يأتي بالكسب وهو الاستعداد الذي يكون له بكمال الخلقة واعتدال المزاج ، وحسن الوراثة من الوالدين والاجداد ، وثانيهما كسبي وهو التربية القويمة والتعليم النافع ، وقد كان استعداد الاستاذ الإمام لكل أمر عظيما حتى كان استعداده هو الاصل في حسن تربيته وتعليمه . فقد علمت مما مر أن فطرته السليمة لم تقبل الاستمرار على حضور دروس لا تفهمها ولم يعرف هذا عن غيره من المبتدئين بطلب العلم حتى أذكيائهم الذين استفادوا بعد العناء فقد كانوا يصبرون على مالا يفهمون زمنا طويلا واذا حفظ أحدهم شيئا بالتكرار ظن انه هذا فهم وعلم لا سيما اذا حفظ تفسير المتن من شرحه وحاشيته . ولكن صاحبنا لم يكن يترك المسألة حتى يفهمها ويوقن أو يرجح ان الحكم فيها كذا ولذلك أسرع اليه الملل من دروس مشايخ الاحتمالات . وكان يقول ان حضور كتب العربية على طريقتهم قد أضر بذهنه وعقله وانه ظل يكنس ذهنه وينظفه منها بضع سنين فلم ينظف تمام النظافة . وأما السيد جمال الدين فانه كثيرا ما كان يشرح معنى المسألة حتى تتجلى للأفهام ثم يقرأ عبارة الكتاب ويطبقها

عليها فان انطبقت والا أبان ما فيهما من التقصير أو يقرأ العبارة ويبحث فى دليلها فيقره أو يفنده ويجزم بغيره وبهذه الطريقة ارتقى الى أن يحكم بنفسه فى المسائل ولا يرضى بالفهم مع التسليم لمؤلف الكتاب فالذي امتاز به صاحب الترجمة على اخوانه الازهريين هو أنه فى بدايته لم يرض أن يحضر شيئا لا يفهمه، وفى نهايته لم يرض بما يفهمه الا بعد أن يستشير فيه الدليل فيرضاه له، وأنه لم يقنع بالعلوم المتداولة فى الازهر بل كان من أوائل عهده بالعلم الى يوم وفاته يطلب العلوم ويقدم منها ما يزيده كمالا فى نفسه ويعينه على رفع شأن ملته وأمته ، ولو انه تعلم فى حداثته على طريقة قويمة كما تعلم النابغون من حكماء أوربا وعلمائهم فى المدارس النظامية ولم يضيع ذلك الوقت الطويل فى البطالة وفي الطريقة الازهرية الملتوية لرأينا من آياته العلمية أضعاف ما رأينا على أن ما رأيناه يكاد يكون من الخوارق فانه لم يكن يتكلم فى علم الا وتراه صاحب القدح المعلى فيه حتى كأنه هو الواضع له. فمن شاء أن يقتدي بطريقته المثلى من الازهريين وغيرهم فليفعل عسى أن يكون من المفلحين

وأما تربيته فقد علمت مما تقدم آنفا انه تربى على طريقة الصوفية القويمة الخالية من البدع والخرافات حتى ملك نفسه وكملت أخلاقه وصار الدين وجدانا له ثم انتقل من ذلك الى أخذه بالبرهان. وأهم ما اتفق له تربية الإرادة أي ملكة العزيمة والإقدام فقد كان فيها نسيج وحده في أمته

تقدم ان الرجل توجهت نفسه الى العمل والاصلاح قبل ان يصير مدرسا رسميا فبدأ بإحياء اللغة ونفخ روح العلم والدين في الازهر ثم ان السيد جمال الدين وجهه وجهه الى الإصلاح الاجتماعي والسياسي فجعله ساعده وعضده فى ذلك فاشتغل بها مدة ثم استقر رأيه على ان الاصلاح محصور فى إحياء لغة الامة وإصلاح نفوسها بالتربية الصحيحة والتعليم النافع

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ — ٢ اوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمة ملخص سيرة الاستاذ الامام

﴿ دخوله فى الماسونية — من التمهيد ﴾

كان السيد جمال الدين قد أخذ على نفسه العهود والمواثيق أن يعمل عملا عظيما ينهض بدولة إسلامية نهوضا يعيد للاسلام مجده وكان مضطلعا بذلك الا انه كان مستعجلا يريد أن يعمل هذا العمل العظيم ويرى أثر نجاحه وثمرة غراسه في حياته لذلك جاءه من طريق الحكومة والسلطة وتوسل اليه بالعلم فاتخذ له فى مصر تلاميذ بدأ يقرأ لهم كتب أصول الدين والفلسفة حتى اذا ما وثق بهم مزج لهم السياسة بالعلم وخاف استبداد اسماعيل باشا أن يحول بينهم وبين ما يشتهون فانتظم مع مريديه فى سمط الجمعية الماسونية وكان باتحادهم رئيس محفل مرن فيه تلامذته على الخطابة والبحث فى حياة الامم وموتها ونهوض الدول وسقوطها وقد دخل فى هذا المحفل شريف باشا وبطرس باشا غالي وكثيرون من الكبراء والاذكياء، وكان توفيق باشا

وليّ عهد الخديوية مشايعا للسيد ومحفله ومكان صاحب الترجمة من السيد مكانه المعلوم فكان دخوله فى الماسونية متمما لتربيته وتعليمه وصلة بينه وبين توفيق باشا وكثير من رجال مصر وسببا لبحثه فى أحوال الحكومة المصرية ووقوفه على نقائصها ومساويها وتوجهه إلى السعي فى إصلاحها وممهدا له الطريق للعمل الذي قام به قبل الثورة وبعدها على مانقصه هنا بالايجاز وفي التاريخ الذي سنؤلفه للفقيد بالتفصيل . وقبل أن ننتقل من هذا التمهيد نقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ترك الماسونية من زمن طويل وقد أكثر أبناؤها من دعوته الى محافلها بعد رجوعه من النفي الى مصر فلم يجب وأهدوا إليه وساما فلم يقبله . وقد سألته عن حقيقتها مرة فقال ان عملها فى البلاد التي وجدت فيها للعمل قد انتهى وهو مقاومة سلطة الملوك والباباوات الذين كانوا يحاربون العلم والحرية وهو عمل عظيم كان ركنا من أركان ارتقاء أوربا وانما يحافظون عليها الآن كما يحافظون على الآثار القديمة ويرونها جمعية أدبية تفيد التعارف بين الناس . وأخبرني بأن دخوله مع السيد فيها كان لغرض سياسي اجتماعي وانه قد تركها من سنين ولن يعود اليها وانها ابتذلت فى مصر ابتذالا لم يكن من قبل . وأخبرني أنه أرشد مرة أحد ولاة بيروت الى إبطال محفل ماسوني علم انه يكيد للدولة العلية بايعاز بعض الدول الاوربية فهاب ذلك الوالي وظن أنه فوق قدرته ولكن الفقيد رحمه الله تعالى هداه السبيل الى ذلك وشد من عزيمته ففعل، بل كان مبدأ انسحابه مع السيد جمال الدين من الماسونية عند ما جاء الى مصر رئيس الشرق الاعظم الانكليزي وهو يومئذ ولي العهد للدولة الانكليزية فاجتمعت المحافل الماسونية حفاوة به وذكر أحد رؤسائها ولي العهد بهذا اللقب فاعترض

السيد جمال الدين وقال انه لايسمح بأن يحتفل بأحد على أنه ولي العهد لدولة من الدول لاسيما الدولة الانكليزية التي من وصفها كيت وكيت وليس لها فضل على الجمعية الخ ماقاله ولا أذكر منه الا مثل هذا الاجمال فرد عليه بعض رؤساء المحافل وبعد مناقشة انسحب من الماسونية هو وخواص مريديه . ولما رأى بعض علماء الازهر بعد ذلك ترقي الاستاذ الامام ونفوذه فى الحكومة توهموا ان ذلك بمساعدة الجمعية له فدخل كثيرون منهم فيها ومنهم من دخل بدعوة بعض أصحابه من أهلها ولم يدخل أحد منهم لأجل عمل يفيد الامة والبلاد الا جماعة السيد جمال الدين

﴿ إصلاحه فى مدارس الحكومة والازهر ﴾

اذا تمهد هذا فنقول : قد عين الفقيد فى أواخر سنة ١٢٩٥ مدرسا للتاريخ فى مدرسة دار العلوم وللعلوم العربية فى مدرسة الألسن الخديوية فكان يدرس فيهما مع الاستمرار على التدريس فى الجامع الازهر فبدأ فى دار العلوم بقراءة مقدمة ابن خلدون لانها مقدمة للتاريخ وإنما غرضه بث أفكاره السياسية والاجتماعية فى أذهان التلاميذ فكان يطبق مافيها من الكلام عن نهوض الدول وسقوطها وشؤون العمران وأصوله على أمته ويبين أسباب ضعفها والوسائل التي تذهب به وتعيد اليها ما فقدت من عزها ومجدها . وكان يكلف التلاميذ كتابة المقالات والفصول في ذلك فكان كل واحد يشعر بروح جديد يدب فى هيكله ويرى نفسه مخلوقا لخدمة بلاده وإعلاء شأن أمته . وقد كتب رحمه تعالى فى ذلك العهد كتابا حافلا فى علم الاجتماع وفلسفة التاريخ انتقد فيه بعض ماقاله ابن خلدون واستدرك عليه وبين مانسخته طبيعة الاجتماع فى هذا العصر

من أحكام العمران فى العصور الغابرة . وكان فى مدرسة الألسن آية البيان فى إحياء اللغة العربية وإشراع الطريق اللاحب فى التعليم ، والخروج بالطلاب من مأزق العهد القديم، ثم ان دروسه في الازهر كانت بناء جديدا للعقائد على أسس البراهين القطعية ، وتجديدا لما بلي من سائر العلوم العقلية، وكانت حلقة درسه في الأزهر واسعة جدا تحيط بأعمدة كثيرة وكان يقرأ في بيته درسا فى الاخلاق أو السياسة لطائفة من المجاورين فقرأ فى ذلك كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي . فكان ذلك سبب طبعه المرة الاولى وقرأ كتاب (كيزو) فى السياسة ولا أدري أتمه أم لا

كان القصد من هذه الدروس تكوين نابتة جديدة من السكان في مصر تحيي اللغة العربية والعلوم الاسلامية، وتقوم عوج الحكومة المصرية، فقد كانت هذه الحكومة لذلك العهد قد رثت ووهت ، ووقعت فى النزع أو اوشكت ، عظم فيها سلطان الاجانب ، وأحاطت بها سيول الفتن من كل جانب ، ومنيت الامة التي تمدها بالمتربة والمسغبة ، وضربت عليها الذلة والمسكنة ، ذلك بما اسرف اسماعيل باشا فى الضرائب والمكوس، وتعذيب الاجساد والنفوس ، فاما آثار اسماعيل باشا في البلاد فلا يزال الكهول والاشياخ يحدثون بها الشبان والغلمان، واما ما فعله السيد جمال الدين ومريده الشيخ محمد عبده من السعي فى إصلاح الحكومة فى الحال، وتربية الرجال لأجل الاستقبال ، فلا يعرفه الا من كان يعمل معهما ، ويتلقى عنهما ، ومن شاء من أهل هذه الديار ، أن يروي شيئا من تلك الأخبار، فليراجع من بقي من تلامذتهما الاخيار ، كالشيخ عبد الكريم سلمان وسعد بك زغلول وابراهيم بك اللقاني وحفني بك ناصف ومحمد بك صالح وسلطان

افندي محمد وغيرهم . ولو طال العهد على عملهما لتم لهما المراد ولما حدثت الثورة العرابية، ولكن خانهما الزمان، وما قدر كان،

كان من عمل السيد جمال الدين ومريديه أن اتصلوا بولي العهد توفيق باشا الخديو السابق واتفقوا معه على تغيير شكل الحكومة واصلاح شؤونها فكان يعد السيد والشيخ من أقوى أنصاره وأوليائه ولما انتهى الحيف والجور والخلل بخلع اسماعيل باشا ونصب توفيق باشا أميرا على مصر فى رجب سنة ١٢٩٦ طفق السيد جمال الدين يطالبه بانجاز وعوده وأولها إنشاء مجلس نواب للحكومة وجعل الوزارة مسئولة وظهرت طلائع الاصلاح على يده ولكن وجد من الواشين من غير قلبه على السيد والشيخ وأوهمه انهما يسعيان فى تقييد سلطته أو إزالتها فأمر بنفي السيد فأخذ من داره ليلا فى عربة مقفلة وليس عليه غير قميص واحد وأرسل فى قطار خاص الى السويس ومن هناك ذهب الى الهند وأمر بعزل الشيخ من مدرسة دار العلوم ومدرسة الالسن وبان يقيم في قريته (محلة نصر) لا يفارقها الى بلدة أخرى وخاصة عاصمة البلاد والمدن الكبيرة كالاسكندرية وغيرها . وكان ذلك فى رمضان سنة ١٢٩٦

عمله فى المطبوعات والحكومة

وفى أواسط سنة ١٢٩٧ توجهت عناية رياض باشا الى تحسين كتابة الجريدة الرسمية وجعلها مفيدة مرغوبا فيها من الناس فاستشار الشيخ حسينا المرصفي ومحمود باشا سامي البارودي كلا على حدته فأشار برأي واحد كأنهما تواصيا به وهو جعل الشيخ محمد عبده محررا فيها فقبل بعد ان استرضى توفيق باشا فصدر الامر العالي بتعيينه محررا ثالثا وانتظر رياض باشا

مدة من الزمن فلم ير تغييرا يحمد . ثم إنه كتب من الاسكندرية يأمر قلم المطبوعات في مصر بأن تكتب مقالة فى مالية مصر تلم بشيء من تاريخها الماضي وحالها الحاضر الذي وضع له قانون التصفية وان تنشر هذه المقالة فى أول عدد يصدر من الجريدة الرسمية وكان قد بقي له يوم واحد فخاص كتاب الجريدة وحاروا وأرسلوا الى صاحب الترجمة من أحضره من الازهر وكلفوه كتابة المقالة فكتبها فى مجلسه ونشرت فلما قرأها رياض باشا أعجب بها أشد الاعجاب وسأل عن كاتبها فقيل له هو فلان فزاد عجبه أن وجد فى الازهر شاب واقف على تاريخ المالية في مصر عارف بجميع شؤونها قادر على بيان ذلك والافصاح عنه . وفي أواخر هذه السنة طلبه رياض باشا وسأله عن رأيه في اصلاح الجريدة فبين له رأيه في تقرير ضاف فأمر بأن تؤلف لجنة للنظر في التقرير من وكيل الداخلية ومدير المطبوعات وكاتب التقرير وان توضع لائحة لقلم المطبوعات وتحرير الجريدة فكان ذلك وعين الفقيد رئيسا لقلم تحرير الجريدة الرسمية العربية فاختار لها من المحررين المهرة الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ سعد زغلول (هو سعد بك زغلول المستشار بمحكمة الاستئناف لهذا العهد) والشيخ سيد وفا (رحمه الله) وهم ممن كانوا يحضرون دروسه ودروس السيد جمال الدين وبرعوا في الكتابة معه على يد السيد . ثم ماذا كان من شأنه ؟ كان مالم يكن يخطر على قلب بشر وهو أن رئيس التحرير للجريدة الرسمية صار مهيمنا على الحكومة والامة ينتقد الاعمال والاقوال ، وينتقل بالناس من حال الى حال ،

وضع لائحة أوقانونا لقلم المطبوعات أجازه وأنفذه رياض باشا فكان

من أحكامه ان جميع ادارات الحكومة ومصالحها ومجالسها فى العاصمة وغيرها ملزمة بأن تكتب الى ادارة المطبوعات مخبرة بما عملت فأتمت وماشرعت فيه وكذلك المحاكم ترسل اليها نتائج أحكامها ، وان لادارة المطبوعات الحق في انتقاد كل ماتراه منتقدا من الاعمال ، وأن لها حق المراقبة على الجرائد الوطنية والاجنبية التي تصدر في القطر المصري وان تبحث عن حقيقة ماتقوله في رجال الحكومة وأعمالها وعلى الحكومة مساعدتها على ذلك بمعنى أنه اذا نشر في بعض الجرائد ماترتاب ادارة المطبوعات فيه فإن لها ان تسأل المصلحة أو الادارة التي يسند اليها ذلك عن الحقيقة بواسطة نظارة الداخلية ان لم يكن مانشر مسندا الى النظارة والا سألتها هي مباشرة فان كان حقا مانشر فى الجريدة وجب على الحكومة مؤاخذة من نسب اليه الذنب وذكر ذلك فى الجريدة الرسمية وان كان كذبا طولب مدير الجريدة باثباته والا انذر واذا تكرر إنذار جريدة ثلاث مرات يمنع إصدارها ألبتة أو الى الأجل الذي تراه الادارة . وان من حق رئيس تحرير الجريدة الرسمية أن يجعل فيها قسما غير رسمي ينشر فيه لنفسه ولغيره مايراه نافعا من المقالات الادبية (ويدخل فى الادبية الاجتماعية والاقتصادية وماأشبه ذلك) وقد أجاز هذا القانون وانفذه رياض باشا لماله من العناية بالاصلاح ولثقته بكفاءة صاحب الترجمة وغيرته وإخلاصه في الخدمة العامة وإن فى هذا لعبرة لأولي الالباب - صاحب عمامة أزهرية يدخل في حكومة مطلقة بعيدة في أعمالها عن رجال العلم والدين فيشرف من نافذة غرفة تحرير الجريدة على نظارات الحكومة ومجالسها ومحاكمها ومصالحها فيصلح لهم مايكتبون ، ويرشدهم الى اصلاح العمل فيما يعملون ، ثم يشرف من نافذة اخرى على الامة فيقوم من اخلاقها ،

وبصلح مافسد من عاداتها، بالوعظ الصحيح ، والارشاد الحقيقي، ويطل من نافذة ثالثة على الجرائد العربية فيعلمها حسن التحرير ويربيها على الصدق فى القول ويجعل للصادق منها سلطانا نصيرا ، وتأثيرا مأثورا، يالها من عمامة شرفت برأس صاحبها حتى حسدتها الطرابيش ، وهابتها التيجان والبرانيط، ونذكر هنا على سبيل الفكاهة ان بعض الكبراء رغبوا الى الاستاذ الامام فى ذلك العهد أن يستبدل الطربوش بالعمامة لان صاحب العمامة لا يرتقي الى مراتب الرؤساء والنظار كصاحب الطربوش فأبى عليهم ذلك فأرادوا الاستعانة عليه برياض باشا فأوهموه انه يميل الى لبس الطربوش ولكنه لا يلبسه الا بأمره فسأله فظهر له انه لا يرغب فى ترك زيه وأنه اذا ألزمه بذلك إلزاما فانه يمتثل مادام فى عمل الحكومة فاذا خرج من عمله عاد الى عمامته فقال رياض باشا كلا انني لا أرضى لك الطربوش لانني أحب أن يعلم الناس انه يوجد تحت العمائم من العقول والافهام مثل مايوجد تحت الطرابيش وغيرها . فلله درّ رياض باشا وجزاه الله الخير فانه هو الذي أحضر السيد جمال الدين ومكن له في أرض مصر وهو الذي كان السبب فى ظهور مواهب الشيخ محمد عبده في أول نشأته حتى انه حكمه فى انتقاد نظارة الداخلية وهو أحد العمال المتوسطين فيها

كان من أثر مراقبة ادارة المطبوعات للجرائد ان اجتهد أصحابها في انتقاء المحررين وقد أنذر عامله الله تعالى باحسانه مدير جريدة شهيرة بمنع جريدته اذا لم يختر لها محررا صحيح العبارة في مدة عينها ففعل ذلك ذلك المدير . ولم يكن يأذن بطبع كتاب من الكتب الضارة . وكان من أثر انتقاد كتاب الحكومة أن نبه شأن المجيدين منهم وفتحت مدارس ليلية

لتعليم المقصرين وتبرع تغمده الله برحمته بقراءة درس في بعضها . فهذا هو مبدأ النهضة القلمية الحقيقية في مصر فالفضل فيها للسيد جمال الدين وللشيخ محمد عبده رحمهما الله تعالى

وأما انتقاد أعمال الحكومة فكان من أسباب تحريها الحق والعدل والاجتهاد فى اصلاح كل نظارة وقد عني الفقيد يومئذ بنفسه في انتقاد نظارة المعارف ومثل مساوي التعليم والتربية في مدارسها شر تمثيل فضاق ذرع ناظر المعارف لذلك العهد فلاذ برياض باشا شاكيا من الجريدة الرسمية فقال له رياض باشا ان كان ما كتب حقا فلا وجه للشكوى منه وان كان باطلا فعليك أن تبين ذلك بالدليل والبرهان وفلان ينشره في الجريدة الرسمية نفسها فانه لا يقصد بما يكتب فيها الا المصلحة فسكت الناظر واجما

﴿ عمله في مجلس المعارف الاعلى ﴾

اقتنع رياض باشا بما فى نظارة المعارف من الخلل وعلم ان مايكتب فى الجريدة الرسمية حق فذاكر الفقيد فى ذلك وفى وسائل تلافيه فعرض عليه ان يكون للمعارف مجلس أعلى يكون له الحكم الفصل فى ادارة المعارف العمومية ويكون الناظر منفذا لما يقرره فانفذ ذلك رياض باشا وجعل صاحب الترجمة عضوا فى هذا المجلس فكان له فيه الاقتراحات النافعة ولولا كثرة ماجعل فيه من الاعضاء الاجانب الذين كانوا يعارضون المشروعات النافعة للبلاد ثم حدوث الثورة لارتقت معارف البلاد في ذلك العهد ارتقاء عظيما . صدر الامر العالي بتشكيل هذا المجلس فى ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ وقد تألفت منه لجنة للنظر في إصلاح طرق التعليم والتربية في جميع المدارس وكان الفقيد الكاتب العربي لجلساتها وكان

له فيها الآراء الصحيحة والحجج القيمة على مايطلب من الاصلاح

اذكر من اقتراحه شيئا سمعته ولا ادعي انني أحطت به كل الاحاطة وهو انه اقترح مرة على المجلس ان يطلب من الحكومة مبلغا عظيما من المال يوزع على المدارس الاجنبية مكافأة لها على خدمة العلم ونشره في البلاد فهش الاعضاء الاوربيون لهذا الاقتراح وعارض فيه بعض الاعضاء الوطنيين ووافق الآخرون الذين عرفوا مارمي اليه المقترح فتقرر بأكثر الآراء . ثم انه اقترح في جلسة أخرى أن يقرر المجلس وجوب جعل المدارس الاجنبية تحت مراقبة نظارة المعارف لينظر مفتشو النظارة فى نظام التعليم فيها فهش الاعضاء الوطنيون لهذا الاقتراح وعارض فيه الاجانب فأقام عليهم الحجة بأن جميع الدول الأوربية تراقب جميع المدارس التي تأخذ منها إعانة وتفتش مدارسها اذ يجب على الحكومة أن تعلم انها لاتضيع دراهمها بل تنفقها فيما ينفع بلادها . فقال بعضهم ان هذا قول حق وانما نعارض الآن فى هذا الاقتراح لاننا نعلم أن المعارف فى مصر منحطة وانما اجتمعنا لترقيتها وأرباب المدارس الاجنبية مرتقون فى العلوم والمعارف ولا يصلح السافل للاشراف على من هو أعلى منه ولا المنحط للحكم على المرتقي . فقال الفقيد رحمه الله تعالى كان يصح هذا الدفاع لولم تكن أنت ورفاقك من أعضاء مجلس المعارف المصري فاذا كان الطلب فى نفسه حقا وعدلا فلا يصح أن يرفض لان المعارف العمومية لم ترتق فى البلاد المصرية لان عدم ارتقاء المعارف وانتظام المدارس لاينافى وجود أفراد من الموظفين فى النظارة من الاوربيين أو المصريين المتعلمين فى مدارس أوربا العالية يصلحون لتفتيش المدارس الاجنبية : فنهضت حجته وتقرر اقتراحه .

وانها لأمنية يتلحز على ذكرها السلطان والامير ، ويسيل لتوهمها لعاب الناظر والوزير ، ولكن تقف دونها الآمال حسرى ، وتنحني أمامها العقول حيرى ، وتكبو فى غاياتها جياد السياسة ، ويصغر عن الطمع فيها أهل الرياسة ، ثم تسمو اليها تلك الهمة ، وتستنزلها من أعلى القمة ، ولولا الفتنة العرابية لجعل لنا ذلك العضو أو الكاتب ، سيطرة على مدارس الاجانب ، على ما كان لهم فى ذلك الزمان ، من النفوذ والسلطان ، فكيف لو كان ذا منصب أعلى ، ونفوذ أقوى ،

(دعوته نظارة الاوقاف الى الاصلاح)

كان لنظارة الأوقاف من حظ إرشاده نفعنا الله بعلومه وآثاره نحو ما كان لسائر النظارات ومصالح الحكومة وكان من تأثير إخلاصه أن عزمت هذه النظارة يومئذ على عمل جليل وهو أن تصل دار الكتب المصرية (الكتبخانه) ومدرسة دار العلوم بالازهر وتوسع دائرة المدرسة بحيث تدرس فيها جميع العلوم ويبلغ عدد طلابها ٥٠٠ طالب ويكون المتخرجون فيها هم المقدمين فى أعمال الحكومة ولو تم هذا لكانت الاوقاف ينبوع الحياة لهذه البلاد . ولكن حال دون هذا ودون ما كانت الحكومة شرعت فيه من الاصلاح الاداري والقضائي والعسكري تلك الفتنة المشؤومة

﴿ الثورة العرابية ﴾

علم مما تقدم ان البلاد المصرية كانت فى أواخر إمارة إسماعيل باشا فى ظلمات بحر من الظلم لجيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض - ظلمة الجور والظلم وظلمة الفقر والفاقة وظلمة الشرور وفساد الاخلاق والآداب وظلمة تحكم الأجانب وسيطرتهم

على الحكومة بحجة المراقبة المالية لمالهم من الديون على اسماعيل باشا وسلطتهم على الرعية التي أغرقها فى الاستدانة منهم كثرة الضرائب والجزى، وكثرة الضرب وسوء الجزاء . وكان يظهر من غمرات هذه الظلمات بصيص من النور فى مواضع مختلفة لمعت جذوة منه فى الازهر فنفخ الشيخ عليش نفخة أخمدتها ولكنها ما أطفأتها ثم كان هذا النور يظهر فى معاهد خاصة فتعشو اليه الابصار، ويسير فى ضوءه من سار، حتى أشرق وتلألأ في ادارة المطبوعات، وانتشر نوره في سائر الجهات، وكان ما كان من أخذ الحكومة والناس بوسائل الاصلاح ومقاصده فرحين مستبشرين بأميرهم الجديد (توفيق باشا) لعفته عن أموالهم، ورغبته فى إصلاح حالهم، وبوزيرهم العامل المخلص (رياض باشا) واذا بناجم الفتنة قد نجم، وطائر الشر قد وقع، إذ هب ضباط الجيش من المصريين يطالبون بحقوقهم، وأيديهم على مقابض سيوفهم، وتلك هي مايسمونه بالثورة العرابية

لا يعنينا فى هذا المقام خبر هذه الثورة ولا تاريخها وانما يعنينا أن نبين فى تاريخ أستاذنا انه كان كارها لها منددا بزعمائها وهو بينهم لانه كان يعلم انها تحبط عمله الذي مضى فيه، وكل إصلاح تعمله الحكومة أو تنويه، وانها تمهد للأجانب سبيل الاستيلاء على البلاد بل كان هو واستاذه يتوقعان ذلك من سيرة اسماعيل باشا وقد صرح السيد بذلك فى خطبه وفى بعض ما كتب وطبع لذلك العهد وحاول أن يحول دون ما يخشى ويتوقع بالسعي فى الاصلاح فليس ما نقوله عن أستاذنا من أنه كان لا يجهل خطر الثورة بالدث والرجم بالغيب، بل هو قول مؤيد بالدلائل وثابت بالرواية الصحيحة عنه وعن الصادقين من العارفين بما كان .

كان ينتقد على زعماء الثورة بالقول خطابة وجدالا فى انديتهم وسمارهم وبالكتابة فى الجريدة الرسمية حتى أرسل اليه عرابي مرة من يتهدده ويقول انك أهنت الشرف العسكري بما كتبت عن الجيش ورؤسائه . أرسل اليه ضابطين الى قلم المطبوعات من الداخلية فطردهما وهددهما بالضرب اذا هما لم يخرجا . وكان عرابى وأعوانه ينفضون من المجلس يدخل فيه

زار مرة طلبه باشا فى أيام عيد الفطر فاذا بعرابي وأعوانه جلوس يتكلمون فى الاستبداد والحرية والحكومة المطلقة والحكومة النيابية الدستورية واتفقوا على أن الأمن على الارواح والاموال، وصعود الامة في مراقي الكمال، من آثار الحكومة المقيدة بلا جدال، وان هذا التحويل قد آن في مصر أوانه، وأدركها إبانه، فعارض الاستاذ فى ذلك وقال ان أول مايجب ان يبدأ به التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالعزيمة، وحمل الحكومة على العدل والاصلاح ومنه تعويدها الاهالي على البحث فى المصالح العامة واستشارتها إياهم فى الامر بمجالس خاصة تنشأ فى المديريات والمحافظات، وليس من الحكمة أن تعطى الرعية مالم تستعد له فذلك بمثابة تمكين القاصر من التصرف بماله قبل بلوغ سن الرشد وكمال التربية المؤهلة والمعدة للتصرف المفيد. فطفق عرابي يجادله هو وأحد أساتذة المدرسة الحربية وكان مما احتج به الفقيد عليهما أن الأمة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة في ادارة شؤونها لما كان لطلب ذلك بالقوة العسكرية معنى فما يطالب به رؤساء العسكرية الآن غير مشروع لانه ليس تصويرا لاستعداد الأمة ومطلبها ويخشى ان يجر هذا الشغب على البلاد احتلالا أجنبيا يسجل على مسببه اللعنة الى يوم القيامة،

عند ذلك أبدى المجادل نواجذه لغير تبسم وقال أرجو أن لا استحق هذه اللعنة وليس الجند هو يطلب مجلس النواب ولكنه مؤيد لطلب أعيان البلاد ووجهائها، ثم أسرّ الى الاستاذ ان سلطان باشا جمع الاعيان لهذا الطلب.

وقد كتبنا فى ص ٥١٢ من مجلد المنار الرابع ردا على صحافي عرض بأن الاستاذ الامام كان من أركان الثورة العرابية نذكره هنا وهو

« عرض هذا الانفجاني المتذفح بذكر الفتنة العرابية ويا ليته كان يعرف حقيقة الفتنة العرابية ويعرف المتهورين فيها والناصحين لهم بالاعتدال فهو لا يعرف ولا يحب أن يعرف واذا أحب فليسأل العارفين ، وليراجع كتابة الكاتبين ، وعند ذلك تظهر له مزية من عرض به ان كان من المنصفين ، يظهر له أن هذا الرجل الكبير العقل البعيد الرأي كان ينتقد أعمال عرابي وتهوره فى جريدة الوقائع الرسمية فى القسم الادبي منها على حين ترتعد فرائص قصر الخديوية من عرابي وحين يرى هذا المنتقد الشجاع ان رئيس النظار ينزل من ديوانه بأمر عرابي مكرها ويسمع من أتباعه ما يكره . وتظهر له تلك الخطبة التي خطبها هذا الرجل العظيم فى زعماء الثورة العرابية عند ما ألزموه بحضور مجتمعهم وان يقوم فيهم خطيبا . ماذا كان موضوع خطبته ؟

« كان موضوعها بيان تاريخي بأن المعهود فى سير الامم وسنن الاجتماع أن القيام على الحكومات الاستبدادية وتقييد سلطتها وإلزامها بالشورى وبالمساواة بين الرعية انما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا اذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة وصار لهم رأي عام ، وانه لم يعهد في أمة من أمم الارض ان الخواص والاغنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة أنفسهم

بسائر الناس وإزالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف ومشاركة الطبقات الدنيا لهم فى ذلك فكيف حصل فى هذه المرة ومن أهل هذا المجتمع ؟ (قل) فهل تغيرت سنة الله فى الخلق وانقلب سير العالم الانساني أم بلغت الفضيلة فيكم حدا لم يبلغ اليه أحد من العالمين حتى رضيتم واخترتم عن روية وبصيرة أن تشاركوا سائر أمتكم فى جاهكم ومجدكم وتساووا الصعاليك حبا بالعدالة والانسانية ؟ أم تسيرون الى حيث لا تدرون ، وتعملون مالا تعلمون ؟ : وأمثال هذا الكلام الذي فهمه بعضهم فطفقوا ينفضون رءوسهم وعلا على أفهام الآخرين

«هذا ماقاله الشيخ محمد عبده فى أعظم مجتمع لرؤساء العرابيين ولو كانوا يعقلون لرجعوا به الى رشدهم ولكن الامة لم تكن استعدت لفهم ارشاد هذا الحكيم ولما تستعد الى الآن ، ولهذا الاستاذ ان يتمثل بقول ابن الفارض رحمه الله تعالى

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى   ولكنها الاهواء عمت فأعمت

هذا ما كتبناه منذ أربع سنوات كاملة . ولا حاجة الى كثرة الشواهد والوقائع في هذه السيرة المختصرة

ولا يلتبس على القارىء معارضة الاستاذ الامام للعرابيين فى مشروع مجلس النواب وتقييد السلطة مع أنه كان الداعي الثاني الى ذلك بعد أستاذه وأول من تلقى ذلك عنه فانه كان يحاول أن يكون ذلك برضى الامير وحكومته لا بالخروج عليه وأن يكون فى البداية من قبيل التمرين والتعويد مقرونا بالتربية والتعليم الى أن تبلغ النابتة الجديدة أشدها، وتصل من طريق الحكمة الى رشدها، وقد رأيت كيف كان التوسل منه ، فيما

رويناه لك عنه، وهو لم يفارق القوم المطالبين بالصلاح عند مهب الفتنة، ويلجأ الى قصر الامارة أو يتفيأ ظلال العزلة، لانه فى فكره وسط بين الطرفين ، وفى عمله بين المصلحتين، وقد قال لعرابي مرارا كثيرة عليك بالهدوء والسكينة وأنا أضمن لك أكثر مما تطلب فى بضع سنين ونهاه بعد ذلك عن محاربة الانكليز

انتهت الثورة بالاحتلال الانكليزي وقبض على زعمائها وألقوا فى غيابة السجن ليحاكموا فيقتلوا تقتيلا . وجعل الفقيد منهم لامر ما وصدر الامر بأن تكون محاكمتهم بالقانون الانكليزي وعين لهم محام انكليزي جاءهم فسمع منهم وكلفهم ان يكتبوا دفاعهم بأيديهم كل يكتب عن نفسه، ولا يطعن فى غيره ، فلم ير فى كتابة أحد ما تقوم به الحجة ، وتقعد به التهمة ، ويدل على الغوص في أعماق الحوادث ، والاحاطة بما لها من الأسباب والنتائج . الا ما كتبه وما قاله فقيدنا بالامس ، وقد زاد المحامي على بيان ذلك ان اشعره بالخفايا ، وأطلعه على ما فى زوايا القصر من الخبايا ، كقوله ان الحاشية خاطبت محافظ الاسكندرية بلسان البرق بكذا فى يوم كذا وعدد كذا بأن يفعل كيت وكيت . وأعطاه من المستندات ما يقلب وجه المسألة ، ولا ترضى إظهاره السياسة ، وسنشرح ذلك في تاريخ الفقيد بالتفصيل . حكم على عرابي ورفاقه المعروفين بالنفي الابدي وعلى صاحب الترجمة بالنفي ثلاث سنين وثلاثة أشهر . وقد كان النفي بلاء وشقاء على كل المنفيين حاشا الامام فانه كان رحمة له ونعمة عليه ومزيدا فى كمال علمه وتربيته وسببا لنشر علمه فى بلاد كثيرة ذلك انه كان من أهل الاخلاص والتقوى فجعل الله تعالى له من كل ضيق فرجا ومخرجا بل بدل له النقمة نعمة والسيئة حسنة فكان مبدأ حياة جديدة له نبينها فيما يلي هذا

الدين في نظر العقل الصحيح

﴿ المقالة الثانية ـ لصاحب الامضاء ﴾

النبوة

النبوة إصلاح فى الارض من قبل الله تعالى على يد شخص يصطفيه من بين خلقه . معنى أنها من قبل الله أنها ليست مستمدة من معلومات من جاور هؤلاء المصطفين الاخيار من الاقوام . بل هي أرقى بكثير مما عليه الناس وما وصلوا إليه . وفائدتها تقدم العالم بسرعة إلى الامام وإصلاح ضمائر الخلق وما تكنه صدورهم بسبب ما توجبه من الايمان باليوم الآخر وما فيه من عقاب أو ثواب وبذلك تستقيم أمورهم فى السر والعلن ذكرنا الايمان باليوم الآخر وحده ولم نذكر الايمان بالله مع أنهما مرتبطان أتم ارتباط لأن الاول لا سبيل للعقل أن يجزم به بدون النبوة بخلاف الثاني فالعقل وحده كاف لمعرفته ومعرفة صفاته كما بيناه آنفا . إذاً الغرض الاكبر من النبوة حمل الناس على الايمان بذلك اليوم وإصلاح حالهم الدينية والدنيوية إصلاحا لا يصلون إليه بأنفسهم ولو بعد مئات من السنين إن لم نقل آلاف منها . هذا ولما كان محمد عليه السلام المثال الاكبر للانبياء وتاريخه أقرب عهداً وأصح سنداً رأيت أن أتكلم على حياته بما يقتضيه المقام، ايضاحا لما أجملته فيما مر من الكلام ، وهذا يستلزم ذكر أحوال العالم في ذلك الوقت ثم احواله عليه السلام وما اتى به من الاصلاح فى الارض ولذا ابدأ الآن بوصف حالة العالم فى عصره فأقول

كثرت المشاغبات في الدين ، وطمس نور الحق بين العالمين ، تشعبت الآراء ، وتعددت الاهواء ، وعبد كلٌّ ما شاء الشيطان من الاباطيل . عم السجود للاوثان، وعبدت الصور والصلبان، واعتقد الناس الالوهية في التماثيل ، خلط الخلق في شأن اللاهوت ، وتوهموا ظهوره فى الناسوت ، فاتخذ البشر آلهة من دون واجب الوجود ، سهل على الناس اعتقاد السلطة فى بعض الافراد ، وظنوا ان بيدهم الاشقاء والاسعاد ، فهابوا مقامهم ، واعلوا شأنهم ، نطغى اولئك وبغوا ، وافتروا ما شاءوا من الاحكام ، وقالوا لما تصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، اصبح الناس عبيداً اذلاء ، في جهالة عمياء ،

اشتغل الرؤساء بالمطامع الشخصية، وتفانوا في الحصول على لذاتهم البهيمية، واخذوا العويص من المسائل الدينية ذريعة للمشاجرات والمماحكات. فتعددت البدع وكثرت الفرق وظهرت مذاهب الاباحيين والدهريين، اثار كل رئيس من تحت يده من المرءوسين، واشهروا الحرب على الآخرين وأريقت دماء العالمين،

هذا كان حال الامم في كل بقعة من الارض وفي بلاد العرب ادهى وامرعم الفساد وزاد العناد وزال العلم وحل الجهل وفسدت الاخلاق في سائر الآفاق

ليس ماذكر تخيلات شعرية، ولا افكار وهمية، بل هي حقائق تاريخيه، اتفق عليها اهل العلم، ولم يشذ عنهم ذوفهم،

ظهر في هذا الوسط الجاهل والظلام الحالك، الذي يضل فيه كل سالك، محمد العربي والنبي الامي. ونشأ يتيما فقيرا لاأب له يهذبه ويربيه ولا معلم يرشده ويهديه

قد يزعم بعض المجادلين انه تعلم القراءة والكتابة ليدفع بذلك ماسياتي على سمعه من قوة البرهان ولكنه وهم نزيله بما يأتي من الدلائل الواضحة:

(١) إن الجمهور الاعظم من امته كان اميا إلا نفراً قليلا فاذا أضفنا إلى ذلك يتمه وفقره واميته فلا نجد أي حامل يحمله على تعلم القراءة والكتابة إذ أولى له أن يسعى على عيشه من أن يصرف وقته في الحصول على شيء لا يعرفه الا القليل ممن جاوره

(٢) تعلم القراءة والكتابة يحتاج إلى زمن ليس بقصير وخصوصاً في بلاد ليس فيها دور للعلم ولا كتب ولا مدرسون فلو سعى في تعلمهما لوجد مشقة عظيمة ولما أمكنه إخفاء أمره إذ لابد أن يشاهده الناس ولو مرة واحدة مع أنه كان يجاهر بأميته على رؤوس الاشهاد ولم يوجد من يعارضه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون)

(٣) لم يعهد عنه أنه كان يماشي أحداً ممن اشتهر بمعرفة القراءة والكتابة قبل نبوته

(٤) لو كان أحد من الناس يعلمه لاضطر النبي الي تقديمه على أصحابه ولاظهر له احتراماً زائداً ولفاه المعلم بذلك لبعض الناس مع انه لم يحصل شيء من ذلك مطلقاً

(٥) لم يشاهد أنه في منزله أو خارجه قبل النبوة أو بعدها كان يستعمل قرطاساً أو قلماً في تأليف شيء ما أو تدوينه فلو فرضنا أنه لم يشاهد وهو يتعلم فيبعد جداً أن

لايشاهد وهو يستعمل القراءة والكتابة في شؤونه الخاصة.

(٦) لو كان ابتدأ بتعلم القراءة والكتابة لاقصد دعوى النبوة لاظهر افتخاره بذلك وجاهر به ولو كان لقصد دعوى النبوة فمن البعيد جداً أن يدبر حيلة كهذه وخصوصاً إذا أضفناها الى غيرها مما يسميه أعدؤه حيلا فانها تغيب عن أذهان الفلاسفة والسياسيين لانهم اذا دبروا عدة حيل يظهر أمرهم ولو في إحداها على مر الازمان فكيف يتأتى لواحد مثل محمد في أول نشأته أن يدبر كل ذلك بنفسه ويكتمه حتى يصير كهلا ولا يفتضح أمره مرة واحدة إن ذلك لبهتان عظيم

والخلاصة أن حاله ووسطه الذي تربى فيه كان اليتم والفقر والجهل والامية، والاوهام والضلال والوثنية، وقد احتاط به فساد الاخلاق من جميع الجهات، والتف حوله عشيرته الغارقة في بحر من الخرافات والترهات، فكيف كان تأثير ذلك في نفسه ؟؟ لم يكن له ذلك التأثير المعهود بل نشأ منشأ يخالف ماعليه أهله وقومه. بغضت اليه الوثنية في مبدأ عمره. فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم قط. أو احتفل بمعبود مع أهله. كانوا يشربون حوله الخمور، وينغمسون في الشهوات والفجور، وهو بعيد عنهم منكر عليهم، كانوا يشتغلون بالتافه من الامور ويثيرون الحروب لمسائل واهية ولم يكن هو منهم، كانوا يقومون ويقعدون، ويتفانون ويقتتلون، لقصيدة أو بيت شعر وهو لايحفل بذلك ولا يجاريهم عليه. ماذا كانت حاله اذاً ؟؟ الجد والاستقامة دأبه، والصدق والامانة طبعه، حتى عرف بين أهل مكة بالامين وهو في ريعان شبابه. ينهمك الشبان عادة في الشهوات ولو كانوا معلمين مهذبين ولكنه هو يتزوج العوان ويبقى معها الى مابعد الاربعين حتى حين وفاتها ولا ينظر الى سواها ويعيش معها بكل طهارة وعفة فلم يسمع عنه أنه ارتكب منكرا في زمن شبابه أو علق بحب فتاة أو مال الى عشقها مع أن قومه كانوا غارقين في هذه البحار وقصائدهم تشهد بذلك. ماذا كان شغله اذاً ؟؟ كان شغله رعي الاغنام ثم التجارة ثم التعبد في الخلاء والتحنث بمناجاة الله تعالى

قام عند بلوغه الاربعين بدعوى الخلق الى عبادة الحق وقرر ان للعالم إلها واحداً بريئاً من كل ماينسبونه اليه مما لايليق به وأثبت ذلك بالحجج البينات امر الناس باستعمال الفكر والعقل في كل شيء ونهى عن التقليد وحض على النظر في الموجودات. اطلق للناس الحرية الصحيحة

وحرم عليهم الخضوع لرئيس في الدين أو لأي أحد سوى رب العالمين ومنعهم من الالتجاء الا اليه مباشرة وأمرهم بالاستعانة به وحده ٠ أعطى الروح والبدن مايطلبانه بشرط ان لايضرهما ولم يحث على المبالغة فى الزهد ولا الرهبانية بل أمر بالسعي والعمل وتصريف الاعضاء فيما خلقت لاجله مع مراعاة ان لايضر ذلك بالمرء او بغيره ٠ أباح الطيبات وحرم الخبائث ٠ وأمر بالعدل والمساواة ومسالمة المخالفين في الدين ومعاملتهم بالتي هي احسن والتوفيق بيننا وبينهم ونهى عن الاكراه فى الدين واوجب تأمين الراغبين فى النظر فيه ولو وقت الحرب (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لايعلمون) الى غير ذلك مما لم تهتد اليه الناس فى الغرب الا بعد ان وصل اليهم شعاع من نور الاسلام فى الشرق ٠ فارجع البصر الى تاريخ اوروبا قبل الاصلاح الديني بلوثر وقبل الاصلاح السياسي بالثورة الفرنساوية لتعرف ما كانوا عليه ٠ اتى مع ذلك بجميع الاخلاق الفاضلة المعتدلة والعبادات الصالحة والمعاملات الكاملة والمبادىء السليمة والسياسات القويمة وغيرها مما كان السبب فى اصلاح امر الانسان وتحريره من العبودية وانقاذ العقل من الاسر ورده الى مملكته ليحكم فيها بالقسط فنهض الشرق نهضة سريعة طالية لم يعهد لها مثيل فى التاريخ ثم امتدت الى الغرب

فهذه هي آثار ذلك الأمي وهذه هي أعماله فبماذا يجيب الضالون ؟

زعم بعضهم بعد أن سلم بأميته أنه لابد أن يكون تلقى ما أتى به من أحد الناس بالمشافهة فنجيب بأن ذلك التلقي الموهوم إما أن يكون حصل قبل النبوة أو بعدها

فان كان قبل النبوة فاما ان يكون حصل ذلك فى بلاده أو في غيرها أما فى غيرها فهو لم يسافر إلا إلى بلاد الشام وذلك مرتين الاولى مع عمه أبي طالب قبل بلوغه رشده والثانية في سن الخامسة والعشرين مع غلام خديجة وفى كلتيهما لم يكن منفرداً ولم يشاهده أحد من التجار المسافرين معه يتلقى العلم عن أحد ولم يغب عن قومه الا مدة التجارة والا لو غاب عنهم بضع سنين لقالوا له لعلك تعلمت هذا مدة غيابك عنا وهم لم يفوهوا بمثل هذا مع أنهم كانوا يحاولون أن يلصقوا به هذه الشبهة وهي التعلم من الناس وأيضاً فأي حامل يحمل هذا الفقير الذى نشأ هذا المنشأ الذي بيناه ولم يوجد من ينبهه ويرشد فكره لفضيلة العلم حتى يترك مايقتات به وهو فى تلك البلاد

الاجنبية وما به إرضاء خديجة التي بعثته إليها ويجهد نفسه فى البحث عن عالم ليس من امته ولم يكن على عقائدهم ويرضخ له حتى يبعث في قلبه كل هذه التعليمات ويسلم له فيما خالف معتقد آبائه وأجداده ٠ وان زعم انه حصل ذلك فى بلاده فهو غير ممكن لاسباب :

(١) انه كان يشاهد يفعل ذلك ولو مرة واحدة

(٢) ان المعلم له إما انه كان من الوثنيين وهذا لايمكن أن يعلمه ما في التوراة والانجيل وغيرهما من عقائد الموحدين واما انه كان من اليهود وهذا لايمكن أن يعلمه أخبار المسيح وأمه والاقرار لهما بالفضل والنزاهة واما انه كان من النصارى وهذا لايعلمه أن ينكر لاهوت المسيح ولا التثليث ولا الصلب ولأن يرمي النصارى بالتحريف فى كتبهم ولا غير ذلك مما يوجد في القرآن من الانكار عليهم واما انه كان من المبتدعين ومثل هذا أولى أن يشتهر بين الناس بنفسه أو تعرف له علاقة في التاريخ بمحمد عليه السلام تؤهله أن يتعلم منه

(٣) أي حامل يحمل هذا المعلم على اجهاد نفسه وصرف وقته فى تعليم هذا الغريب الامي ولم لم يدع الناس الى هذه الاشياء بنفسه او يختار احداً ممن اشتهر بشعر او بخطابة أو شيء من العلم أو كان له جاه أو أعوان أو مال او غير ذلك مما يكسب المهابة فى قلوب الناس

(٤) انه من الصعب جداً ان يقدر احد من الناس ان يهذب هذا الامي كل هذا التهذيب وان يخرجه من عقائد آبائه واجداده ويدخل فى ذهنه مسائل النبوة والوحي والتنزيه والتوحيد ويجعله يعتقد ذلك اعتقاداً يقينياً الا اذا كان هذا المعلم مقتدراً عالماً حكيماً ومثل هذا لم يعرف له ذكر فى بلاد العرب ولا فيما جاورها فكيف لم يشتهر بالعلم والفضل وأي مؤرخ لذلك العهد ذكر كلمة عن أحد مثل هذا متمسكا بما يوجد فى القرآن من العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق والمبادىء وغيرها

(٥) لم لم يسر هذا المعلم الى احد بأنه يعلم محمدا ويهذبه وما الذي حمله على اخفاء هذه المسألة وكتمها هذا الكتمان المطلق

(٦) لم لم يشاهد محمدا يحترم أحدا قبل نبوته اكثر من غيره او يلوذ به

ويلازمه كما هو شأن التلميذ مع معلمه

(٧) اي شيء ألزمه الصبر اربعين سنة ولم يجعله يسارع الى دعوى النبوة ولم لم يبادر الى سرد القصص التي تعلمها مرة واحدة • وكذلك الاحكام والعقائد وغيرها خوفاً من الذهاب من الذاكرة والنسيان وهو الامي الذي لا يمكنه ان يستعمل مذكرة لشيء مطلقا خوفا من ان يطلع عليها احد وهي معه • شأن الذي يريد ان يدعي شيئاً مثل هذا ان يظهر عليه عدة محاولات تدل على ما تطويه سريرته ثم يتجرأ فيزداد شيئاً فشيئاً لا ان يسكت اربعين سنة ثم يندفع بدعواه مرة واحدة بعزيمة واحدة قوتها في الاول كقوتها في الآخر

(٨) كيف ان هذه الفكرة لم تأخذ بلبه ومشاعره فتجعله مشتغلا بها طول السنة وكيف يتناساها إحدى عشر شهرا ويشتغل بها شهر رمضان فقط من كل سنة فيستمد فيه لما سيدعيه كما يزعمه اولو الاهواء في عزلته السنوية • عادة المفترين ان تأخذ مثل هذه النيات بحواسهم وعقولهم حتى يظهر للناس انهم دائما في انشغال بال ولكن النبي ما كان يشغله شيء عن شيء والا لانهك الفكر بدنه وصار سقيما وكلت قواه العقلية من كثرة الحيل وتعدد الصعوبات التي كان يلاقيها فتضعف عن ان تدبر كل ما كان يدبره لولا الارشادات الالهية والالهامات الربانية • وكيف علم انه لن ينقضي اجله حتى يتم القرآن في آخر سنة من حياته ويأمن على نفسه فيأتي به نجوماً نجوماً

وان كان التعلم حصل بعد ظهوره بالنبوة

(١) فكيف ابتدأ دعواه على جهله وأي منبه قام بفكره حتى حمله على ذلك وكيف ضمن أنه يجد من يعلمه

(٢) لم لم يشاهد مرة يلجأ الى أحد الناس ليتعلم منه

(٣) لم لم يقدم هذا المعلم ويفضله على أصحابه أو يوصي له بالخلافة ولم بقي معلمه مرؤوسا له ولم يكن رئيساً عليه (راجع أيضاً الاوجه السابقة)

(٤) لم لم يوجد بين أصحابه من كان يأنف من أن يتلقى العلم عنه ويخضع لامره وينتهي بنهيه فأين كان هذا المعلم حتى ساوى نفسه بأصحابه • هذا ولم يعرف أحد بينهم ممتازا بعلم

سوى ما أخذه باقرارهم جميعاً عن كتاب الله وحديث رسوله فان كان هذا المعلم موجودا في عصر النبوة فلم لم يشتهر قبل دعوى محمد بالعلم والفلسفة ولم أخفى نفسه حتى ادعى محمد النبوة ولم لم يظهر بين العرب حتى تجله وتحترمه احترامها لمحمد وأي شيء استفاده حتى يكتم كل هذا فيالله من التعصب الذي يعمي ويصم

علمت مما تقدم أنه كان أمياً وأنه لم يتلق العلم عن أحد شفاهياً فكيف أتى بما أتى وكيف عمل ما عمل ؟؟ شيء آخر في تاريخه وهو أنه لم يجار العرب في الاشتغال بالشعر أو النثر أو الخطابة أو غير ذلك مما كانت تتفانى فيه العرب ولم يشتهر بينهم بشيء من ذلك مطلقاً ولم ينقل عنه أنه قال كلاماً في منتهى البلاغة قبل نبوته وكان قليل العناية بمجتمعاتهم وافتخارهم بنثرهم ونظمهم فكيف أتى بهذه البلاغة الخارقة للعادة؟ وكيف أتي بهذا الاسلوب المعجز واخترعه • وكيف لم يوجد فرق في البلاغة بين أول ما نزل من القرآن وآخره مع أن العادة ان الانسان يتدرج في الشيء فيكون آخر ما أتي به أحسن مما ابتدأ بانشائه وكيف يكون الكل معجزاً مع أن المعتاد من البلغاء أن يكون بعض كلامهم في منتهى البلاغة والبعض الآخر ليس كذلك • كيف لم تجد العرب إعجازاً في كلامه الذي ينسبه لنفسه قبل النبوة أو بعدها مع أنه لم يظهر عليه شيء يدل على عنايته بانشاء أحدهما دون الآخر بل كثيراً ما كان يقول أحدهما في عين الظروف التي يقول فيها الآخر بدون تكلف أو تحوير فيما يلقيه من أول وهلة • كيف أمكنه الجزم بأن جميع الناس لن تقدر على الاتيان بكلام مثل القرآن منفردين ومجتمعين ويخبر بذلك قبل وقوعه ويصدق خبره (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) الآية وغيرها فما هذه الحجج الملجمات وما هذه البراهين المفحمات؟

قام بالدعوة الى الله وحده ولا حول له ولا قوة والناس حواليه • أحباء ما ألفوا أعداء لما دعوا اليه • فسفه آراءهم • ونكس أصنامهم • ولاقى بسبب ذلك منهم ما لاقى مما يثبط الهمم ويذهب بالعزائم لولا تثبته في امره وجزمه بالظفر والنجاح • نجا من جميع الشراك التي كانت تنصب له في الحروب وغيرها وسلم من الدسائس التي كانت تعمل له والتربصات لقتله غيلة التي كانت تعقد عليه ووعد اصحابه بالنصر والفتح والتمكين في الارض والخلافة فوقع كل ذلك لهم وصدق في جميع ما اخبر به من المغيبات • تحققت نبوته وصح اخباره بانتصار الروم على الفرس في السورة المعروفة مع انهم كانوا في حالة

لا يرجى معها نصر لشدة ضعفهم وقوة عدوهم وهو لم يكن من السياسيين ولا المطلعين على مواقع البلاد واحوال الامم وتاريخها فكيف يتأتى له الحكم بشيء مثل هذا ويعرض نفسه للتكذيب والخذلان مع ان المسألة ليست مما يهم كثيرا حتى يبت الحكم فيها فلو لا ثقته بالوحي لما تجرأ على القول بأنهم سيغلبون في بضع سنين وعرض نفسه للسخرية والتكذيب وهو احرص الناس على عدم افتضاح امره كما يقول اعداؤه (وإذا صحت قراءة من قرأ سيغلبون بالبناء للمجهول اي إن المسلمين تغلبهم ففيها ايضاً الاخبار بغيب لو لم يقع لظهر كذبه) اجتمعت عليه العرب مرة احزاباً وتحدوا على محو ذكره من الوجود انتقاماً. فارسل الله عليهم ريحاً وألقى في قلوبهم الرعب من غير سبب ففروا انهزاماً. وكفى الله المؤمنين القتال. فما كل هذه المصادفات ان صح ما يقول الواهمون الذين يتمحكون بهذه التاويلات الفارغة ويتمسكون بالتعليلات الباردة. سمعت من بعضهم بعد ان ادهشه الدليل بان النبي لم يتعلم من واحد مخصوص قولا يريد به تسكين نفسه وتهدئة خاطره وهو انما كان يسمعه النبي ممن حوله من الناس في مسائل الدين سهل عليه الاتيان بما اتى به وانه كان يتصيد معلوماته ممن جاوره من النصارى واليهود باستراق السمع منهم فاقول له مهلا ايها المعجب بتفسيراته المغرور بتعليلاته واستمع لما سأتلو عليك وانت شهيد، ولا تكن ممن عن الحق يحيد؟

انه لم يكن فى مكة من أهل الكتاب الا أشخاص يعدون على أصابع اليد الواحدة وكانوا من أجهل الناس وأحطهم مقاماً فى الهيئة الاجتماعية وكانوا يحترفون بدنيء الحرف كخدمة بعض العرب او الاتجار في بعض اشياء حقيرة. وقد نزل فى مكة من القرآن ما كان محمد فى اشد الحاجة الى من يلقنه إياه فهل يسلم العقل ان علم محمد مستفاد من هؤلاء الاشخاص

هب انه كان يتصيد المسائل من نصارى العرب ويهودها فكيف أمن من الوقوع فى خرافاتهم التي يجزم العقل ببطلانها كقصة شمشون وما يتعلق بقوته وشعره ونحو ذلك من الاوهام التي كانت ولا تزال منتشرة بين النصارى واليهود الى اليوم. لم تنزه كلامه عن اضاليلهم في المسألة اللاهوتية كعقائدهم في المسيح والصلب والتثليث ومصارعة الله بعض الانبياء وظهوره بمظهر شخص لم يترو فيما فعله فندم بعد ذلك

على ما وقع منه كأنه لم يكن يعرف عواقب الامور. اليس من المعهود ان الانسان يقع في بعض غلطات من كان يجل كلامهم معتمده فيما يعتقد انه صواب فلماذا لم يقع محمد في خطأ واحد من خطأهم

كيف سلم كلامه من الغلطات في المسائل العلمية التي كانت منتشرة بينهم في ذلك الوقت كاعتقادهم ان الشمس وقفت لفلان او رجعت بعض درجات وان الحية لا تأكل إلا التراب مع انها لا تأكل التراب وكالأوهام فى شأن جنة عدن وما ذكر معها من الانهار مما لا يصدق به الا الجهلة من اهل التخريف الى غير ذلك مما كان ذائعاً بينهم ولا يزال الى الآن. هل يعرف الامي الذي نشأ فى وسط الجهل وفى زمن الجهل ما صح من المسائل وما فسد منها حتى انه لا يقع فى كلامه الا الصحيح مع أن انتشار الخرافات والاقوال الفاسدة كان بحيث اذا كلف فيلسوف بانتقاده واختيار صحيحها لوقع في الوهم والحكم على بعض الصحيح بأنه باطل وعلى كثير من الباطل بأنه صحيح وخصوصاً فى ذلك الزمن وفى تلك البلاد العربية التى كان فيها العلم عبارة عن مجموع خرافات للعجائز اختلطت بشيء لا يخلو من الصحة من بعض الوجوه فما بالك بمحمد الامي والرجل العامي.

ايتصور ان هذا الرجل الذي كان يعتقد فى اهل الكتاب انهم غاشون ماكرون يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله الكذب ويكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ايتصور منه وهو يعرف كل هذا عنهم ان يثق باقوال يسمعها من افواه الجهلة منهم ويزعم بعد ذلك انها من عند الله مع انه ما كان يثق بقول اعظم عالم من علمائهم بل كان يرميهم بأنهم لا يفهمون حقائق ما عندهم من الكتاب وأنهم يختلقون اشياء كثيرة لتضليل عامتهم وغشهم. فكيف يقول النبي الذي لا ينكر أحد رجحان عقله على قولهم مع انه شرح للناس مكرهم وكذبهم، وكيف لا يخاف ان يكذبوا عليه ويغروه ويوقعوه فى الخطأ الذى لا يمكنه التخلص منه. وكيف يسلم لاحد منهم ما يقوله فى دينه مع انه يجوز ان يكون مخطئا ولا أثر لما يقول فى الدين لما نشاهد ذلك كثيرا فى المسلمين وغيرهم فكم من غلط وقع فيه الكتاب الغربيون اثناء كلامهم عن الاسلام وعن عقائدهم بسبب ما يسمعونه من جهلة المسلمين.

هل يمكن للعامي الأمي اذا سمع خليطاً من قصص بني اسرائيل من افواه آحاد الناس في مجالسهم مشوهة ممزوجة بكثير من الخرافات كما هو شأن العامة فى أحاديثهم غير مرتبة على حسب وقوعها وغير مفصلة تفصيلا يزيل ما اشتبه على الافهام بحيث لا يدرى صحيحها من كذبها ان يفهم منها حقيقة تاريخهم وعقائدهم ودعوى انبيائهم ويأتي بعد ذلك بتفاصيل اهم حوادثهم وذكر اعظم رجالهم وما حدث لهم ويشير الى ترتيب ازمنتها والى بعض البلاد التى وقعت فيها والى موقعها الجغرافي كأن يومئ الى موقع البحر الاحمر بالنسبة الى مصر بقوله (فأتبعوهم مشرقين) ويأتي على القصص الطويلة كقصة يوسف وموسى وابراهيم ولوط وغيرهم ويعرف نسبة كل منهم الى الآخر ويرتبها على حسب ترتيبها الطبيعي من غير تقديم او تأخير في حوادثها او يخلط فيها مع ان هذا التاريخ اجنبي عنه وعن قومه ولم يدرسه دراسة تمكنه من ان يكتب إحدى حوادثه الكبيرة. تصور حالة عامي من عامة المصريين اذا سمع اقوالا متفرقة متشعبة من افواه بعض جهلة الاوروبيين عن تاريخهم فهل يمكن هذا العامي ان يأتينا بشيء عظيم صحيح من تاريخهم مثل ما اتى به القرآن ويسرد علينا آراءهم ومبادئهم ومعتقداتهم ويذكر أهم رجالهم ونسبتهم وتاريخ حياتهم وما اتوا به من الاصلاح فى بلادهم وينبه على وجوه العبرة في كل ما يقص علينا وعلى ارتباط الحوادث بعضها ببعض ولا يذكر إلا الصحيح منها ويترك الاباطيل التي ألحقتها الاوهام بها. قل لي بأبيك هل هذا ممكن ؟؟ يزعم البعض أن فى القرآن خطأ في هذه المسائل ويأتوننا بأشياء تعد على أصابع اليد الواحدة ويزعمون أنها غلط من غير اعتماد على دليل صحيح يعتد به. فلو كان مصدر القرآن كما يقولون هل كنا نجد فيه هذه الغلطات القليلة (على زعمهم) فقط غير الثابتة أم كنا نجد كل صحيفة ممتلئة بالاوهام والخرافات والخلط في المسائل والخبط من غير اهتداء إلى صحيحها وذلك من غير كثير عناء وتعب بل بمجرد مطالعتها كان يضحكنا ويجعلنا نهزأ بها ونتعجب من ترهاتها وخصوصاً فى زماننا هذا الذي صار فيه تلامذة مكاتبنا يضحكون من أفكار بعض فلاسفة من سبقنا ويتفكهون بذكرها ولا نحتاج إلى البحث والتنقيب وصرف الوقت في الحصول على هفوة قبل أن نجدها فى القرآن وإذا وجدناها فانها لا تلبث أن تزول بعد التروي والتأمل والتعمق في البحث. فهل

هذا هو ما ننتظره فى قول العامي المصري الذي ضربناه لك مثلا أم كنا نستلقي على قفانا من الضحك عند سماع بضعة أسطر من كلامه فى المسائل الطبيعية والتاريخية والعمرانية والاخلاقية واللاهوتية والشرائع المدنية والعبادات الدينية إذا حاول أن يملي علينا شيئاً من ذلك. استحضر الآن فى فكرك ما أتى به القرآن. أليست الشريعة الاسلامية تضارع أعظم الشرائع كالرومانية وغيرها. أليست الاخلاق المحمدية أكمل الاخلاق لتقويم النفوس مع خلوها من الضعف وما يوجب المسكنة وإذلال النفس وغير ذلك مما ورد في غيرها من التفريط أو الافراط. أليست قصص القرآن عبرة لمن اعتبر مع بعدها عن سفاسف الامور واللغو الذي لا فائدة فيه (قارنها ببعض أسفار العهد القديم مثلا كسفري الملوك واخبار الايام) أليس من المبادىء الاسلامية ما لم تهتد الناس إليه الا في العصر الحاضر

(لها بقية)

محمد توفيق صدقي حكيم بسجن طره

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

(التربية بالتأثيرات الطبيعية)

يوم ١٤ أغسطس سنة ـ ١٨٦

صادفنا غداة اليوم على مقربة من ليا زنجيا آتيا اليها يلتمس رزقه من عرض حيوان يسمى البوما وهو الممثل للاسد في أمريكا كانت قبيلة من المتوحشين اصطادته حيا وكان ربه وهو شبه مشعوذ يؤمل أن ينال بعض النقود من عرضه على النظار

كان هذا الرجل على شدة فاقته وعجزه عن القيام بنفقة نفسه مصحوباً بصبية زنجية عليها طمر أزرق رأيت في مشيتها قزلا فسألتها بالاسبانيولية التي لا أحسنها عما أصابها فجعلها تعرج كما رأيت فكان جوابها أن ارتني إحدى ساقيها فاذا فيها جرح دام ورأيت قدميها قد ورمتا ورما مفرطاً ولما أمعنت النظر في ساقها المجروحة عثرت على طرف شوكة

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

غليظة فى سمك لحمها وهي التي تسبب عنها الجرح قطعاً ثم خبث بما اعتوره من المشي والوصب ولدغ الحشرات فان هذين المسافرين كانا آيبين من مسافة بعيدة جدا

مازلت بهذه الشوكة حتى نجحت فى سلها ثم ضممت أجزاء الجرح بعضها الى بعض ولما لم أجد خرقة أعصبه بها ناولتني «لولا» منديلها ولم تقتصر على ذلك بل دعتها رحمتها بهذه الفتاة الى خلع نعليها ووضع قدميها المرضوضتين فيهما فلاءمتاها أشد الملاءمة كانما صنعتا لهذه المسكينة فأعربت «للولا» عن شكرها ثم غادرناهما ومضينا فى سبيلنا

انبعثت «لولا» الي عملها هذا بباعث من بواعث الخير القلبية الا انها مالبثت ان أدركت صعوبة الاحتفاء فى أرض صلبة خشنة كارض البيرو فان طرقها لامشابهة بينها وبين مخارف البساتين الكبرى فى انكلترا

انشأ «إميل» أولا يسخر من حيرة صديقته فى مسيرها حافية ولكنه لتأثره من صنيعها دبت فيه النخوة فاحتملها على ظهره فقبلت ذلك مبتسمة

ان الباقي من طريقنا لم يكن طويلا جداً ومع ذلك وقف «اميل» في أثنائه للاستراحة مرتين أو ثلاثاً متبعاً فى ذلك نصيحتي وفي آخر وقفة منها بصرنا من بعيد بالمشعوذ يقود اليوما وعرفت «لولا» الصبية الزنجية وقد خلعت النعلين وحملتهما فى يدها فما كان أشد غمها لهذا المرأى انظر كيف بخستها منحتها وكيف استعملتها

فسريت عنها ماخامر قلبها من الكدر بأن قلت لها ان العادة طبع ثان وان هذه الصبية لا بد أن تكون تعبت من الانتعال لاعتيادها الاحتفاء على ان نية اسداء المعروف محمودة على كل حال ولو أخطأ صاحبها فيما يتخذه من الوسائل لايصال النفع

والذي رأيته خيراً من هذه العظة كلها هو انما وجده قلبها الطاهر من السرور باحتمال «اميل» اياها قدر لها فيما أرى على ان الانسان لايخسر شيئاً مما يسديه من المعروف. اه

يوم ٢٨ أغسطس سنة ــ ١٨٦

زرنا بعض أجزاء من جبال القوردلير ولم يكن سبق «لاميل» أن شاهد مثل هذه الجبال التي يصح أن تسمى بالالب(١) الامريكية فراعه كل الروع ماله هذا الخلق الهائل

(١) جبال الألب هي سلسلة جبال عظيمة فى اوربا

من مظاهر الفخامة والعظم مع انا لم نبلغ منها إلا أدنى شعافها

لا بد لي أن ألاحظ هنا ان القدماء كانوا قليلي التأثر بالجبال الشامخة من المحاسن الرائعة فانا لم نر لشعراء اللاتين من الكلام فيها إلا النذر اليسير ومعظم ماقالوه استهجان واستقباح وقد يحدو بي ذلك الى القول بأنه كان يلزم ان يدهمهم من الكوارث المحزنة ماتهتز له نفوسهم وأن تستضيء بصائرهم بنور العلم ويتمكن منها الاستعداد للبحث والتنقيب الذي هو من مزايا العصور الحديثة ولو تم لهم هذا لادركوا أن في سيارنا الذي نعيش على ظهره من المناظر الهائلة البديعة مايدعو الى الاعجاب الحقيقي. اه

يوم ٢ سبتمبر سنة ــ ١٨٦

كسبت «لولا» دعواها وان شئت قلت خسرتها فكلا القولين صحيح باعتبار جهة النظر

اضطررنا للمصالحة فى هذه القضية الكثيرة الارتباك لما يقتضيه الفصل فيها من الانتظار أشهراً بل سنين فعرض على الخصم أن يعطوا لبنت السفان مقداراً زهيداً من النقود وبعض ما كان لوالدها من الارضين. والارض هاهنا لاقيمة لها اليوم أصلا مالم يستغلها صاحبها بنفسه أو بواسطة وكيل له يقيم فى هذه البلاد

فأما انا وهيلانة فما جئنا لنقيم في «ليما» بل قد انتهت مهمتنا ولم يبق الا السفر لاسيما اني تلقيت مكتوباً من الدكتور وارنجتون يدعوني الى لوندره لامور نافعة لي بينها فيه

وأما قوبيدون وجورجيا فانهما خبيران بفن الزراعة خصوصاً زراعة الاقطار الحارة وليسا من ذوي العقول الضعيفة وأمانتهما تقوم بكل مافي بلاد البيرو من الذهب ولا أرى مايمنع من العهد اليهما بزراعة أطيان «لولا»

وانه ليشق علي مفارقة هذين الشهمين غير اني أرى أن اقاليم انكلترا لم يخلق لمثلهما من الزنوج وأما اقاليم جنوب امريكا فانه يؤذن بأن سيكون لهما فيه بتوالي الايام مناخ جميل ووطن سعيد. اه

رجعت السفينة التي كانت حملتنا من لوندره الى قلاو منذ ثلاثة أسابيع ويعلم الله متى يكون مجيئها ولهذا رأينا بدلا من اجتياز رأس القرن أن نركب هذه المرة في سفينة تجارية على نهر الامازون(١) تسير بنا والشاطىء حتى نبلغ سواحل البرازيل حيث نجد

(١) المعروف ان الامازون أكبر انهار الدنيا ولعل المؤلف يريد بقوله نهر أحد فروعه القريبة من ليما

سفينة تكون مسافرة الى انكلترا فان هذه الطريق أقصر من الاولى بمسير عشرين يوماً

تنوي «لولا» أن تعود معنا لان بلادها لقلة ما عرفته منها لم تبعث في نفسها شيئاً من الرغبة في توطنها ولانها تعلم فوق ذلك اننا نحبها

ماندمت على هذا السفر بحال «فاميل» قد مضى وقته هنا في الالتفات الى العلم والامعان في مسائله فهو يعود الي بلاده الآن ناقلا اليها مجاميع في علم التاريخ الطبيعي بل حاملا ما هو خير له منها — ضروب الانفعال الكثيرة بارأى وصنوف الذكر لما وعى وقد تربى طبعه في مدرسة الاختبار والحياة التي لا يربي الرجال غيرها.

نعم اني لا أعني بهذا القول أن ألزم جميع من هم في سنه من المراهقين أن يبتعدوا عن أوطانهم بقدر ابتعاده ولكن رأيي الذي لا أحول عنه هو انهم لو خرجوا قليلا من أصدافهم ورأوا الكون في الكون قبل أن يروه في الكتب لغنموا من ذلك أكثر مما يتوهم. اه

الكتاب الرابع في تربية الشاب

المكتوب الاول من «أميل» الى والده

وصف معيشته — نادي الطلبة الالمانيين ومحاوراتهم — تهافتهم على خدمة الحكومة تفكر «اميل» في أمره — تألمه من عدم فهمه اللغة الالمانية — ذكره «لولا» — استيحاشة من غربته

برلين في ٨ يناير سنة — ١٨٦

انتظمت في سلك المدرسة الجامعة بعد امتحان كان لا بد من تأديته وصرت ادعى منذ أسبوع بالسيد الشاب

من المفروض عليّ ان أكاشفك بشيء من تفاصيل معيشتي وأنا طالب: اما نهاري فأصرفه في تلقي دروس الحكمة والتاريخ والقوانين وعلم تركيب الحيوان والنبات ومنافع أعضائهما والمقارنة بين اللغات وغير ذلك وأما ليلي فاقضيه في مسكن استأجرته ستة أشهر بنحو مائة وخمسين فرنكا واما طعامي فأتناوله في مطعم على مائدة جامعة في مقابل أربعة وعشرين صولدياً (١) وبعد العشاء تارة آوي الى حجرتي وطوراً

(١) الصولدي جزء من عشرين جزءاً من الفرنك فقيمة طعامه هي فرنك وربع

أتنزه في المدينة ولكوني أجنبياً لما أطلع علي اسرار طائفة الشبان كلها على ان أحدهم قد أخذني معه ذات ليلة الى مدخن (مكان لتدخين التبغ) يجتمع فيه بعض الطلبة الالمانيين فما فتح بابه حتى رأيتني تائها مغموراً بسحاب مركوم من الدخان حال بيني وبين رؤية جدران المكان وسقفه بل رؤية المكان برمته وكان يخيل الي انه يمتد الي غير نهاية وكنت اسمع اصواتاً واغاني وقهقهات ولا ابصر شيئاً من الصور الحية وأرى أضواء حمراء تبدو في بعض جهات هذا المكان يغشاها ذلك السحاب كانما تسبح منه في بحر لجي وكنت أمشي كخابط ليل وراء الدليل وعلى مقربة منه بين صفين من الموائد خيل الي انها تعوم في الضباب ورأيت عليها رؤية غير مستبينة آنية من القصدير كان لمانها المعدني يجهد في صدع حجاب الظلام الدخاني المنسدل على القاعة كلها ثم لمحت من خلال هذه الآنية وجوها آدمية لان بصري كان يتدرج في اعتياد هذا الجو الغريب والانس به ولم يكشف عني الحجاب كشفاً تاماً الا عند ما بلغت نهاية القاعة حيث اقيم مصطلى عظيم فرأيتني في جمع حافل من الشبان على رؤسهم القلنسوات وفي أيديهم أكواب الجعة وبين هذا التشويش واللغط عثرت على حلاق من الطلبة قامت بينهم مناظرات في مسائل مهمة ولم تعقهم عن مداومة الشرب والتدخين

ان أذني لم تعتد سماع الاصوات الالمانية اعتياداً يكفي لمتابعة مجرى الحديث وفهمه ومع ذلك قد فهمت من فحوى ما سمعته انهم يتناظرون في مقاصد ووسائل بعضها اسمى من بعض تتعلق باصلاح أحوال البشر وكانت البراهين والنكت والمعاني تنبعث من أفواههم كانها سهام نارية تتقذف بين أنفاس الدخان ولما أنصف الليل غادر القاعة جميع الطلبة ورأيت بعض من لاحظت فيهم الحمية والغيرة على مصالح الانسان منصرفين الى بيوتهم وقد جعلوا يغنون جهاراً في وسط الشارع أغاني مبتذلة ولم يبد عليهم حينئذ ما يدل على انهم ذاكرون لما تعاهدوا عليه من اصطلاح شؤون الكون

أخص غاية للطلبة من اختلافهم الى المدارس الجامعة هنا بحسب ما سمعت هي ان يلوا عملا من أعمال الحكومة فكلهم يؤمل أن يكون خادماً لها على تفاوت بينهم في ذلك فاذا حصل أحدهم على لقب دكتور مثلا رأيته يتقدم اليها حاملا شهادته راجياً ان توليه أحد الاعمال الخالية في اداراتها ومعظم هذه الاعمال لا يولى الا بالامتحان ولا يناله الا من

يظهر انهم اعلم من غيرهم وحينئذ يعول الذين يخيبون فيه على الاشتغال بالاعمال المستقلة ولا ادري اهذه الحالة وهي فرط الرغبة في تقلد المناصب العامة هي التي ينبغي ان ينسب اليها التغير الذي يحصل في عقول شبان الدكاترة عند خروجهم من الجامعة ام له سبب آخر

فالواقع هو انه ليس بين اخلاق الطلبة واخلاق غيرهم من الالمانيين ادنى مشابهة: الطلبة يتظاهرون بالتنفج (١) والشذوذ والعربدة ويخيل الى من يرى غيرهم من الالمانيين انهم ممتاثون سكينة بل جمودا وبلادة والاولون مشهورون بالميل الى الثورة وبحب الحكومة الجمهورية وبعدم المبالاة بالخوض في اي بحث نظري وبالهجوم على جميع المسائل سياسية كانت او دينية اوقومية بما يدهش من جرأة الجنان وبقية الامة يظهر عليها التشدد في الاستمساك بالعوائد القديمة وبالحكومة الملكية. وترى الطلبة يتباهون باحتقارهم جميع المميزات التي لامنشأ لها الا اتفاق النسب على حين ان أواسط الناس يجلون ألقاب الشرف اجلالا لاحد له فترى الفريقين كامتين متمايزتين وليس للطلبة في الحقيقة ارتباط بباقي الامة الا رغبتهم العظمى في أن يولوهم بعد مبارحة الجامعة اعمالا رسمية على ان هذا الارتباط كاف في عدم اكتراث الحكومة كثيرا بما يبدونه من حدة أفكارهم الحرة.

دعتني سيرة هؤلاء الشبان الى التفكر في سيرتي فاني قد بلغت التاسعة عشرة من عمري ولا مقام لي بين الناس بل لم يقف بي الاختيار حتى الآن على صناعة نافعة اشتغل بها واذا أردتني على الاقرار لك بما أجده قلت اني أحياناً آنس من نفسي فتوراً في الهمة وضعفاً في العزيمة وأسائلها عما أصلح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صدراً نعم انك قد رأيت مني تقدماً سريعاً مناسباً لحالي في العلوم ودرس كتب المتقدمين في أربع سنين أو خمس مضت وما ذلك ولا شك الا من الطريقة التي أهلتني بها أنت ووالدتي للعمل العقلي وهي مراقبة الأمور والاسفار وما تلقيته منكما من الدروس النافعة ولا اشك ان لي طمعاً في العلم ولكني اجهد فكري في استقصاء ما يعوزني من الخصائص فآونة اتوهم اني احس في نفسي بروح إلهي يقدرني على كل شيء

(١) التنفج افتخار الانسان بأكثر مما عنده

وساعات يخيل إلي اني قد فنيت في عجزي وتجردت من حولي وقوتي وتارة تملكني الافكار وطوراً يستحوذ علي وجدان الحاجة الى العمل والذي اراه يقيناً اني لم اجد الى الآن استقامة واستقراراً فيما لنفسي من القوى ان صح ان يسمى بها ما الشاب مثلي من الشهوات القوية التى تدعوه الى السعي لادراك مقام له فى هذه الدنيا

لما بلغت ليبا منذ شهرين كنت اعتقد اني على علم باللغة الالمانية لما قرأته منها فى الكتب فما لبثت ان تبين لي خطأي فى ذلك ومنشأ هذا الخطأ اني كنت احسن قراءة الصحف وعناوين الحوانيت واسماء الشوارع وما على الجدر من الاعلانات فان الجدر هنا كما تعلم تتكلم بالالمانية فاذا جرت حولي المحاورات اصغيت اليها وما كنت أسمع الا اصواتا لاأفقه شيئاً من معانيها فكنت مطاق البصر اسير السمع لان من الامر المنوي الحقيقي ان يعيش الانسان بين قوم لايفهم لغتهم. كان الغلام الذى فى الثالثة من عمره وهو فى هذه السن لا يعرف من هذه اللغة الا التلعثم ببعض ألفاظها يعرف منها أ كثر مما اعرف حتى اني لما كنت احاول مخاطبته كان ينغض الي رأسه استهزاء كانه يقول «اليك عني اني لا افقه لك قولا»

كنت بين اولئك القوم كالاصم الا بكم الذي فقد كل وسيلة للتفاهم حتى لغة الاشارات فهل يمكن ان ينشأ عن الامواج الصوتية اذا اختلف انتقالها الى الاذن اختلافا يسيرا باختلاف كيفية تحريك الشفتين مثل هذه الحوائل والحجب التي تبعد الناس بعضهم عن بعض

استأت جدا من هذه العزلة فجاهدت جهادا عظيما في التجرد من الانكماش الذى اجده من حياتي الطبيعي وانشأت اليوم انطق بالالمانية نطقاً مفهوماً واني لاعلم انه لا يزال يعوزني تحصيل الكثير منها ولكن من هو فى مثل سني قد يبعد ان لا يحصل في قليل من الزمن لغة هو لا ينفك يسمع اصواتها من افواه جميع الناس في هذه البلاد وليس اصعب ما في هذه اللغة التكلم بها فيما أرى بل هو فهم ما يسمع من التحاور بها بين اثنين من أهلها فقد كنت ذات مرة في الملعب وكان اثنان من الممثلين يتحاوران فما استطعت فى سرعة تحاورهما ان افهم كلمة منه اللهم الا ما كان من تحية المساء وهي «ليلتك سعيدة»

مثل اللغات الاجنبية ان لم اكن واهما كمثل دخان التبغ بالنادي الذى حدثتك عنه فى كونه كان يحجب عني بادىء بدء رؤية ما كان فيه من الاشياء والاشخاص فهي حجاب سيزول على التعاقب وآمل ان سيظهر لي النور عما قليل

ارجوك ان تنوب عني فى تقبيل «لولا» واود لو ادري هل هي مواظبة على سقي الازهار وتمام العناية بالطيور وتنسيق مجاميع الاعشاب والدفائن وآمل منك إيصاءها بأن تذكرني كما اذكرها

إذا أنا كتبت اليك فقد كتبت الى والدتي فانتما في قلبي لاتفترقان ولهذا لا ازيدها شيئاً الا اسفي على حرماني من حجرتي الصغيرة التي كنت أسمع منها حركة غدوكما ورواحكما في البيت وعلى أنسي بقربكما عند اصطلاء النار ليلا فاني هنا في وحشة أي وحشة . اختم اليك هذا المكتوب في الساعة الحادية عشرة من الليل على ضوء مصباح يعلوه عاكس ضوئي يسقط منه نور ضارب الى الخضرة وفي احدى زوايا حجرتي ساعة دقاقة من الصنف الذي يصوت كطير الكوكو عند انقضاء كل ساعة تكرر تكتكتها التي لا تتغير واسمع حسيس احتراق الحطب فى التنور وصرير الباب من صفق الريح اياه وارى البدر من خارج الحجرة شاحب الوجه يرنو الي من خلال ستارتين كبيرتين موشاتين بالاشجار والازهار ما بين بيضاء وحمراء وقد أحسست باغريراق عيني مع ان هذه الاشياء فى ذاتها لاتدعو الى الحزن ولكن لاتلمني فاني مازلت طفلا ولست آسى على بلادي وانما آسى على مفارقة مهدي فاني احبكما وأرجو من هذه الجهة على الاقل ان اعيش طول عمري طفلا

آثار علمية ادبية

تاريخ الاستاذ الامام

ان التربية بناء يوضع على أساس القدوة ، ويرفع على قواعد الاسوة ، فسير عظماء الرجال ، أنفع ما يذخر للاجيال ، وان العبرة بسير المعاصرين ، أقوى من العبرة بسير الغابرين ، لان عامة الناس عندنا تعتقد ان الاولين من عنصر ازكى ، واستعداد اقوى ،

فلا يضرب معهم المتأخر بسهم ، ولا يدانيهم في فضل او علم ، ـ لذلك رأينا ان من انفع ما نخدم به الامة وضع تاريخ مطول للاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد نوهنا بذلك فيما نشرناه من سيرته • ونريد ان نقول هنا ان ورثة الفقيد واصدقاءه ومريديه الذين نعرفهم هنا عون لنا على هذه الخدمة ونرجو من اخوانهم فى الصداقة والوفاء من سائر الاقطار ان يتفضلوا علينا بما يرون من النصائح ، وما يعرفون عن الفقيد من الاعمال والمآثر، مما يخفى مثله علينا، ويظن ان لايكون وصل الينا، كبعض الكتب والرسائل، وما رأوا من الاعمال او سمعوا من المسائل، ومن ارسل الينا شيئاً من خط الفقيد فاننا نعيده اليه على عهد الله ورسوله

ثم ان ما يرسل الينا منه ان كان اثارة من علم او ادب فاننا ننشرها حتماً ونكافيء مرسلها بنسخة من التاريخ نهديها اليه وان كان كتاباً خاصاً بمن كان ارسل اليه فاننا لاننشره الا اذا كان فيه فائدة عامة من حكمة تؤثر او بلاغة تؤثر على انه قلما يخلو كلامه من كلتا المزيتين مهما كان الموضوع الذي كتب فيه • ولاشك ان الذين توجد عندهم هذه الآثار والاخبار يحرصون مثلنا على تدوينها واستفادة الناس منها في الاغلب فلا يبخلون علينا بما ينفع الامة ويحفظ اثر الامام فهذا الاستجداء سيصادف بذلا وسماحاً ان شاء الله تعالى

واننا نقدر ان التاريخ لا يقل عن الف صفحة وقد يزيد عليها وان نجزئته الى جزئين او ثلاثة اولى وربما نجعل له اشتراكاً

وليعلم الشعراء الذين نظموا المراثي ونشروها في بعض الجرائد اننا لاننشر منها الا ما نختار مما ارسلوه الينا او الى الشيخ عبد الكريم سلمان او حموده بك عبده لاننا لم نتتبع الجرائد ونحفظ ما فيها من القصائد وليس المانع من اثبات المرثية في التاريخ هو سبق نشرها في بعض الجرائد وإنما هو ما ذكرنا من عدم التتبع والحفظ فمن شاء ان يرسل الينا شيئاً مما نشر فليفعل

وكنا نود لو بين لنا كل من أرسل او يرسل الينا شيئاً من كاتب وشاعر لقبه الذى يخاطب به ووظيفته التي يذكر بها لنذكره بما هو معروف به ان لم يكن متنكراً فذلك خير من نشر القصيدة او المقالة بالتوقيع الذى يذكر فيه الاسم غفلا لايعرف مسماه الا المتصلون به وقد يشتبه بغيره لكثرة المشاركة فى الاسماء والالقاب هنا (اي فى البلاد المصرية)

كتاب الهدية العصرية الى الجامعة الوطنية

كتب سليمان افندي مصوبع المحامي السوري مقالات فى الاجتماع البشري والعمران و نشرها فى جريدة ثمرات الفنون وغيرها من جرائد بيروت ثم اقترح عليه أن يجمع شملها في كتاب فجاء الكتاب يناهز مئتي صفحة فى عشرة أبواب (١) فى العمران أساسه وتحديده وسيره ٢ في الحاجة تأثيرها والوقاية منها ٣ فى المحاماة ٤ في الانتقاد ٥ فى مسئولية الانسان ٦ فى أدوار الحياة ونحو ذلك. وفي هذه المباحث آراء صحيحة وفيها مسائل غامضة ولعل أكثر الغموض من ضعف التأليف وإعواز البيان حتى كان الكلام كترجمة باصطلاحات جديدة وأسلوب لم يخاص دائماً الى الاسلوب العربي الصحيح من حيث تعدية الافعال وربط الكلام بعضه ببعض ووضع الكلم مواضعه على أن فيه جملا رائعة وتجوزاً حسناً في بعض المواضع. وقد كان أعجب الكتاب الي وأحسنه عندي كلامه في الدين والشرائع الثلاث الموسوية والمسيحية والاسلامية فانه قد بناه على قاعدة النشوء والارتقاء وبذلك تبين ان دين الانبياء واحد وان الاخير مكمل لما قبله وعليه المعول في الخلاف ولولا التطويل لنقلت كلامه هذا على انه قد سبق لنا اقتباس ما كتبه الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) فى ذلك من رسالة التوحيد وهو الكلام الذى ليس فوقه مطلع ولا وراءه غاية، وانما نثني على سليمان أفندي لعنايته بما نقل العناية به في تلك البلاد، ونرجو له زيادة التحرير والاجتهاد،

كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة

لهذا الكتاب ذكر فى دواوين المتقدمين لشهرة مؤلفه أبي نصر الفارابي فيلسوف المسلمين فى القرن الرابع وقد كان من كنوز الكتب المخفية فظهر في هذه الايام وطبعه الشيخ فرج الكردي والشيخ مصطفى القباني الدمشقي، بطلب من المكتبة الملوكية بمصر

مسائل الكتاب تدور على أقطاب الفلسفة اليونانية في الوجود الاول وما يجب له من الصفات وفى أقسام الموجودات الاخرى ومنها النفس ومن هنا ينتقل الى الكلام في الوحي والنبوة ثم الى حاجة الانسان الى الاجتماع والتعاون وانما يكملان بالمدينة لذلك بين معنى المدينة وقسمها الى أقسام المدينة الفاضلة وما يضادها من المدينة الجاهلية والمدينة

الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة، ثم ذكر في التفصيل أقساماً أخرى منها مدينة الخسة والشقوة قال «وهى التى قصد أهلها التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح وبالجملة اللذة من المحسوس والتخيل وإيثار الهزل واللعب بكل وجه ومن كل نحو» وهذه المدينة قسم من أقسام المدينة الجاهلية، أما المدينة الفاسقة فهى أرقى من المدينة الجاهلية وقد عرفها بقوله «وهى التى آراؤها الآراء الفاضلة وهى التى تعلم السعادة والله عز وجل والثواني والعقل الفعال وكل شيء سبيله أن يعرفه أهل المدينة الفاضلة ويعتقدونه ولكن تكون أفعال أهلها أفعال اهل المدن الجاهلية» وجميع مباحث الكتاب تجري على طريق الفلسفة اليونانية

ولعل من اطلع أو يطلع على هذا الكتاب يتذكر انا كنا عبرنا عن هذه المدينة بالفاسقة فقام بعض الذين لم يرتقوا عن أهل المدينة الجاهلية يسلقوننا بألسنة حداد زاعمين أن ذلك يتضمن الطعن بعرض كل من يقيم فى هذه المدينة «يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم» على أنهم هم الطاعنون ولكن لا يخجلون

(مرور فى أرض الهناء ، ونبأ من عالم البقاء)

كتاب جديد الوضع والاسلوب والتخيل ألفه شكري أفندي الخوري اللبناني المقيم فى البرازيل ، فأما أرض الهناء فهى المدينة الفاضلة أو الكاملة فى رأي فلاسفة هذا العصر وعلمائه وهى سعادة الحياة التى يتمنون ان يصل اليها البشر بالعلم والعمل والاتفاق والتواد بين جميع الناس وبلوغهم العمر الطبيعي (مئة سنة او اكثر) مع التمتع بالصحة والعافية لما يتربون عليه من الرياضة البدنية والعقلية وتجنب الافراط والتفريط فى الامور كلها لاسيما السرف فى الطعام والشراب ، مر بهذه الارض روح بشري فارق جسده وذهب الى الدار الآخرة فكانت فى طريقه اليها وقد كتب الى صديق له فى الدنيا ينبئه بوصفها على ما خيله مؤلف الكتاب

وأما عالم البقاء فهو معروف والمؤلف يصوّر فيه موقف الحساب والجزاء يحضره ملك شرقي ظالم وأحد المتصرفين فى جبل لبنان وراهب وشيخ مسلم وبخيل ولص وكاهن (قسيس) وصحافي وطبيب وسكير ومحام ، يحاسب كل منهم ويعاقب على ما أفسد فى الارض — تذكر ذنوبه ، وتشرح عيوبه ، ويعتذر ويتنصل ، فلا يعذر ولا يقبل،

وأما أسلوب الكتاب فهو فكه سلس يقرب من أسلوب العوام ويتخلله كثير من عباراتهم وأمثالهم وتشبيهاتهم ومن قرأ طائفة منه يندفع الى إتمامه بسائق الرغبة وحادي اللذة وقلما نري بين الكتب التي تؤلف وتنشر بيننا ما جمع بين اللذة والفائدة لاسيما فى شؤون المعيشة والاجتماع والسياسة • نعم ان الفكاهة لاتليق فى مقام الرهبة والجبروت وفى مواقف الحساب والجزاء ولكن غرض المؤلف من ذلك تمثيل سيئات هذه الاصناف من الناس التى تشتغل بالمصالح العامة فتفسدها وهم الملوك المستبدون وأعوانهم والاطباء والصحافيون والمحامون والقسوس وغيرهم من رجال الدين وقرنهم باللصوص والبخلاء وليس الغرض الاول تمثيل أهوال الحساب والجزاء وارهاب الناس منه بل هذا وسيلة وذلك هو المقصد

ومما ينتقد عليه أن ما ذكره من حال الملائكة التى تذهب بالارواح والتى تتولى الحساب والجزاء لايتفق مع عقائد الناس أو تخيلاتهم فيهم ولا هو في نفسه مؤثر يصادف من النفس موقعاً يليق به وأكثره لا فكاهة فيه الا ما ذكره من فتنة المحامي وتهييجه الشعب فى ذلك العالم لاجل ان ينجو من العقاب فلا يستطيع احد ان يملك ضحكه عند قراءة هذا

وقد انتقد عليه زميلنا نعوم افندي لبكي صاحب جريدة المناظر الحرة فى مقدمة وضعها له اكتفاءه بذكر الراهبات من الاجواق التي رآها صاعدة الى السماء، حيث تلقى أحسن الجزاء، ففى الناس من يستحق ذلك غيرهن • وأنتقد عليه انا بقوة زعمه ان النصارى تتقرب من المسلمين في جرائدهم ومدارسهم والمسلمون لايزدادون الا تباعداً والصواب ان فى عقلاء الفريقين من يسعى للتساهل والتقرب منهما وان جرائد المسلمين أبعد عن اثارة التعادي من جرائد النصارى فاننا لانرى فيها جريدة منتشرة تتعرض للنصارى فيما يختص بدينهم ورؤسائه كما نرى فى جرائد النصارى بمصر من ذلك حتى ان بعض الجرائد اليومية كانت من عهد قريب تطعن وتحامي عن العقائد الاسلامية فى الازهر وتعرض ببعض كبار العلماء والأئمة وتحاول إشراب الافهام انهم يبثون في الازهر الالحاد ويفسدون الدين ومثل هذا كثير فى الجرائد كالمناظر وأما المدارس النصرانية فأكثرها أو جميعها تلزم التلاميذ المسلمين بالعبادات النصرانية ولا نعرف مدرسة اسلامية فى الدنيا تعامل التلاميذ النصارى بمثل هذه المعاملة•

ثم انه ليس لمشايخ المسلمين من العناية بعامتهم وتلقينهم التعاليم والتقاليد الدينية مثل ما للقسوس وأكثر حديث المشايخ مع غيرهم فى الامور المادية وياليتهم كانوا يعنون بنشر مسائل الدين إذاً لقل التنافر فان رأي الاسلام فى النصرانية ليس كرأي النصرانية في الاسلام. الاسلام يثبت ان كتاب النصرانية حق ويوجب الايمان بمن جاء به وانما يثبت ان اهلها حرفوا وانحرفوا عن صراطها وأن ايذاءهم حرام والبر اليهم مشروع • والنصرانية تعد الاسلام كفراً فى اصوله وفروعه وقد ألف القسوس في ذمه كتباً حشوها بأكاذيب لم تخطر على قلب مسلم في الارض ثم انه لم يعقد احد من المشايخ مجالس وسماراً لاجل الطعن فى النصرانية ولم يعينوا احدا منهم لدعوة النصارى الى الاسلام كما يفعل القسوس بالمسلمين، فأي الفريقين هو المفرق بين العالمين ؟

لهذا أرى ان أقرب طريق الى التأليف بين الفريقين نشر تعاليم الاسلام الصحيحة فى المسلمين واقلاع قسوس النصارى الذين لهم السلطان الاعلى على قلوب عامتهم عن تنفيرها من المسلمين وكفهم عن الطعن فى الاسلام ولا أبرئ بعض المشايخ من كلام ضار يقولونه في المجالس عند مايذكر تعصب النصارى ولكن مثل هذا الكلام لايكاد يجيء فى درس ديني ولا كتاب تعليمي • وقد اقنعت من لا أحصي من المسلمين بأن التساهل والاتفاق على المصالح الدنيوية خير يأمر به الدين فلم اجد مقاومة تذكر، ولا ردا يؤثر، وقد كتبت من قبل ان الصواب فى التأليف ان يحمل الاحرار من كل طائفة على المتحمسين المفرقين منها واما حمل كل طائفة على الاخرى فهو الداء الذى لا يرجى معه شفاء.

تهذيب الاخلاق

يولد في كل أمة ألوف من الاولاد على استعداد عظيم للعلوم والفضائل فيضيع استعدادهم باغفال تربيتهم وتعليمهم وفيهم من لو علم وربي لنهض بالامة أو لكان ركناً من أركان ارتقائها. على أن إغفال تربية الاولاد وتعليمهم لايكون من والديهم بالعمد والاختيار وانما هو الجهل والعجز • وقد تهمل التربية الصحيحة والتعليم النافع في الامة حتى لايوجد أحد يقوم بهما ويقيمهما على قواعدهما وأمة مثل هذه يلوح للناظر انها قد تودع منها حتى لا رجاء فيها. ولكن هذا النظر غير صحيح فقد يقيض الله لبلد عم فيه الجهل والفساد، من يربي فيه بعض الافراد ، فيكون منهم النور المستطير•

والخير الكثير، كما علمت من سيرة الاستاذ الامام رحمه الله تعالى . وقد ينهض الاستعداد ببعض الناس الى ان يربي واحدهم نفسه بعد الرشد واستقلال الفكر ثم يتربي لتربية غيره ولا بد لمثل هذا من الاسترشاد بالكتب النافعة . ومن هذا الصنف العالم الفيلسوف أحمد بن محمد بن مسكويه صاحب كتاب (تهذيب الأخلاق) الذي هو أحسن المختصرات في هذا العلم الجليل .

ولعت بهذا الكتاب منذ رأيته فطالعته ثم قرأته درساً . ثم علمت بعد الهجرة الى مصر ان الاستاذ الامام قرأه درساً كما ذكرت ذلك في ترجمته وكان الكتاب يومئذ مجهولا عند المشتغلين بالعلم فعرف وميتاً فاستحيي ويسرنا ان الناس أقبلوا عليه في هذه السنين فقد كان طبع طبعاً قبيحاً ونفدت نسخه فأعاد طبعه عبد العليم افندي صالح منذ سنين بالحرف الاسلامبولي الجميل على ورق جيد فأقبل الناس بسعيه عليه حتى نفدت نسخه ورأى من الاعانة على التربية أن يطبعه ثانية ففعل وله من الفضل في اتخاذ الوسائل لنشره مايضاهي قيامه باجادة طبعه فعسى أن يكون في هذه الكرة اسرع انتشاراً لنستبشر بأن أمتنا تزداد حباً في العلم النافع وميلا الى التربية الصحيحة عاما بعد عام . وثمن النسخة من الكتاب خمسة عشر قرشاً وأجرة البريد قرش صحيح ويطلب من طابعه ومن إدارة المنار بمصر

شكر واعتذار

نشكر للذين عزونا ببرقياتهم وكتبهم عن مصابنا بمولانا الاستاذ الامام عالمين أن مكانتا منه مكان الولد البار من الوالد الرحيم، والمريد الصادق من المرشد الحكيم، على انه تغمده الله برحمته كان أبا الامة ومربيها، ومرشدها وهاديها، فما من معز لنا الا وكان يعزي نفسه ثم يذكر الامة والاسلام، ويعترف بأن المصاب عام، وكذلك رأينا التعازي التي خوطب بها اخونا حموده بك عبده والشيخ عبد الكريم سلمان بل رأينا مثل هذه التعازي في أيدي بعض المريدين وسننشر نموذجاً من ذلك في كتاب التاريخ ان شاء الله تعالى . وأما الاعتذار فهو عن عدم مجاوبة المعزين ويدخل فيه الاعتذار لمن كاتبونا منذ أشهر في مسائل اخرى ونخص بالذكر البحرين وزنجبار والمغرب الاقصى . ولعلنا نكتب اليهم عن قريب

(تنبيه) لانسمح للجرائد المصرية بنقل ترجمة الاستاذ الامام عن المنار ولا يضر اقتباس قليل من العبارة مع العزو وكثير من المعنى ولو بدونه والعلم أمانة بين أهله

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر – ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ – ١٧ اوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه)

(٢٢٥ : ٢٢٦) الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ، تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

كان للعرب في الجاهلية طلاق ومراجعة في العدة ولم يكن للطلاق حد ولا عدد فان كان لمغاضبة عارضة عاد الزوج فراجع واستقامت عشرته وإن كان لمضارّة المرأة راجع قبل انقضاء العدة واستأنف طلاقا ثم يعود الى ذلك المرة بعد المرة أو يفيء ويسكن غضبه فكانت المرأة ألعوبة بيد الرجل يضارها بالطلاق ماشاء ان يضارها فكان ذلك مما أصلحه الاسلام من أمور الاجتماع . وكان سبب نزول الآية ما أخرجه الترمذي والحاكم

وغيرهما عن عائشة وأورده السيوطي في أسباب النزول قالت كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مئة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبيني ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فسكت حتى نزل القرآن «الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»

قال الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) قد ذكر في الآية السابقة الطلاق على الاطلاق وذكر العدة والطلاق هنا هو الطلاق هناك وهو عبارة عن مفارقة المرأة المدخول بها وحل الرجل عقدة الزوجية التي تربطه بها واللفظ دل على هذا المعنى فهذا بيان لأصل الشرع في الطلاق جاء على صيغة الخبر لتقريره وتوكيده كقوله «والمطلقات يتربصن» أي ان حد الله الذي حدده للطلاق ولم يخرج به العصمة من أيدي الرجال هو مرتان أي طلقتان وعبر بالمرتين ليفيد ان الطلقتين تكون كل منهما مرة تحل بها العصمة ثم تبرم لا انهما يكونان بلفظ واحد ولهذا روي عن ابن عباس أنه جعل كلمة طلقت ثلاثا بمثابة قرأت الفاتحة ثلاثا فإن كان صادقا فالطلاق صحيح وإلا فهو لغو من القول. وقال إن إنشاء الطلاق ثلاثا بالقول ليس في قدرة الرجل إيقاعه مرة واحدة. ذلك ان الامور العملية لا تتكرر بتكرر القول المعبر عنها بل ولا القولية فمن قرأ الفاتحة مرة وعبر عنها بقوله ثلاثا فهو كاذب. ولو صح ذلك لصح أن يقال الواحد ثلاثة والثلاثة واحد. ومن سفه نفسه وجاء بهذا فقد خرج عن السنة واستحق التأديب فقد روى النسائي من حديث محمود ابن لبيد

قال أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فقام غضبان ثم قال «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم» حتى قام رجل فقال يارسول الله ألا أقتله! (*) وقد صرح جماهير العلماء ومنهم الحنفية بأن الطلاق الشرعي هو ما كان مرة بعد مرة وان جمع الثنتين أو الثلاث بدعة وانه حرام قال أبو زيد الدبوسي في الاسرار وهذا هو قول عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعمران بن الحصين وأبي موسى الاشعري وأبي الدرداء وحذيفة: وهم أعلم الصحابة رضي الله عنهم

قال هذا هو الطلاق المشروع في كتاب الله تعالى وهو الطلاق الرجعي على هذه الصفة وبهذا العدد وأما الطلاق البات البائن فلم يرد في كتاب الله تعالى والفقهاء والمحدثون متفقون على ان حكم الطلاق البائن بلفظ الثلاث أو تكرار اللفظ لا يؤخذ من هذه الآية ولا من آية أخرى من القرآن ولذلك وقع فيه الخلاف من الصدر الاول الى الآن ولم يذكر الخلاف بعد الأئمة الاربعة عن أحد من أتباعهم الا عن بعض الحنابلة وجمهور الامة على ان من قال لامرأته أنت طالق ثلاثا تبين منه كما لو طلقها ثلاث مرات فالطلاق في الآية يراد به نوع منه وهو الرجعي وأما البائن فلم يذكر وقد أخذوه من حديث الملاعنة والآخرون يجيبون عنه بأن الملاعنة تقتضي التفريق فالطلاق بعدها لغو

أقول حديث الملاعنة الذي أشار إليه الاستاذ الامام هو ما رواه أحمد والشيخان عن سهل بن سعد أن عويمرا العجلاني أتى النبي صلى الله

(*) المنار قال ابن كثير اسناده جيد وقال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام رواته موثوقون

عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أنزل فيك وفى صاحبتك قرآناً فأت بها» فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ قال عويمر كذبتُ عليها يارسول الله ان أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فكانت سنة المتلاعنين . وفي لفظ لمسلم وأحمد وكان فراقه إياها سنة فى المتلاعنين. وفى حديث ابن عمر المتفق عليه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرق بينهما ومن هنا ذهب بعض العلماء الى ان اللعان لا يقتضي التفريق الا بتفريق الحاكم وأجاب عنه الذين قالوا إن اللعان يقتضي التفريق بنفسه بأن تفريقه صلى الله عليه وسلم بينهما هو بيانه الحكم فى ذلك لا إنشاء تفريق وعلى كل من القولين لا يحتج بالحديث في وقوع التطليق الثلاث بتكرار اللفظ فى المجلس كما فعل عويمر إذ قال - كما فى رواية - فهي الطلاق فهي الطلاق فهي الطلاق . ولو كان هذا طلاقا صحيحا صادف محلا لأنكر عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إيقاعه بدعيا كما أنكر على الرجل الآخر الذي ذكر فى حديث النسائي .

وللجمهور أحاديث أخرى لم يذكرها الاستاذ الامام من أدلتهم لضعفها واضطرابها أشهرها حديث ركانة وهو انه طلق امرأته ألبتة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أردت الا واحدة فأعاد اليمين النبي (ص) وأعادها هو فردها إليه وطلقها الثانية في زمن عمر والثالثة في زمن عثمان . رواه الشافعي وأبو داود والترمذي وغيرهم قال الترمذي لا يعرف الا من هذا الوجه وسألت عنه محمدا يعني البخاري فقال فيه إضطراب

فقيل طلقها ثلاثا وقيل واحدة وقيل البتة . وفى إسناده الزبير بن سعيد الهاشمي وقد ضعفه غير واحد وقال ابن عبد البر فى التمهيد تكلموا فى هذا الحديث : فهو ضعيف ومضطرب كما انه معارض بما يأتي ورواية ثلاثا فيه معارضة للأخريين وهي حجة لمن قال لا يقع بلفظ الثلاث إلا واحدة فانه قال فيها طلقتها ثلاثا وجعلها النبي صلى الله عليه وسلم واحدة فهو باختلاف رواياته مشترك الإلزام . ومنها حديث ابن عمر وقد ضعفه غير واحد ولا حجة فيه

أما الحديث المعارض لذلك الموافق للكتاب العزيز فهو مارواه أحمد ومسلم من حديث طاوس عن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب : ان الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم : فأمضاه عليهم . وفى رواية لمسلم عن طاوس أن ابا الصهباء قال لابن عباس هات من هناتك ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر واحدة قال قد كان ذلك فلما كان فى عهد عمر تتابع الناس فى الطلاق (التتابع بالمثناة التحتية الوقوع فى الشر من غير تماسك ولا توقف) فأجازه عليهم : وفى رواية لأبي داود التقييد بما قبل الدخول وهو فرد من أفراد الرواية المطلقة التي هي أصح. وللحديث طريق آخر عند الحاكم وصححه . فلم يبق للجمهور الا الاخذ بعمل عمر رضي الله عنه ومن لم يحتج بعمل الصحابة قال انه لا بد له من دليل

قال في نيل الاوطار: واعلم انه قد وقع الخلاف فى الطلاق الثلاث اذا أوقعت في وقت واحد هل يقع جميعها ويتبع الطلاق الطلاق أم لا فذهب

جمهور التابعين وكثير من الصحابة وأئمة المذاهب الاربعة وطائفة من أهل البيت منهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه والناصر والامام يحيى حكى عنهم في البحر وحكاه أيضا عن بعض الامامية ان الطلاق يتبع الطلاق . وذهبت طائفة من أهل العلم الى ان الطلاق لا يتبع الطلاق بل يقع واحدة فقط وقد حكى ذلك صاحب البحر عن أبي موسى ورواية عن علي عليه السلام وابن عباس وطاوس وعطاء وجابر بن زيد والهادي والقاسم والباقر والناصر وأحمد بن عيسى وعبد الله بن موسى بن عبد الله ورواية عن زيد بن علي واليه ذهب جماعة من المتأخرين منهم ابن تيمية وابن القاسم وجماعة من المحققين وقد نقله ابن مغيب فى كتاب الوثائق عن محمد بن وضاح ونقل الفتوى بذلك عن مشايخ قرطبة كمحمد بن بقى ومحمد بن عبد السلام وغيرهما ونقله ابن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار وحكاه ابن مغيب فى ذلك الكتاب عن علي رضي الله عنه وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف والزبير . وذهب بعض الإمامية الى انه لا يقع بالطلاق المتتابع شيء لا واحدة ولا أكثر منها وقد حكي ذلك عن بعض التابعين وروي عن ابن علية وهشام بن الحكم وبه قال أبو عبيدة وبعض أهل الظاهر وسائر من يقول ان الطلاق البدعي لا يقع لان الثلاث بلفظ واحد أو ألفاظ متتابعة منه: الخ ثم ذكر الادلة وعرضها على ميزان التعادل والترجيح ورجح وقوع الواحدة وله أي للشوكاني رسالة خاصة في تفنيد أدلة الجمهور وأجوبتهم عن الحديث الصحيح ولشيخ الاسلام ابن تيمية مؤلف خاص فيها . وقد أطال ابن القيم فى اعلام الموقعين القول فى المسألة وأورد لاحاديث فيها والدلائل وأوضح معنى قوله تعالى «الطلاق مرتان» بالآيات والأحاديث

وهو ان معناها انه يكون مرة بعد مرة كما تقدم قال «وما كان مرة بعد مرة لم يملك المكلف ايقاع مراته كلها جملة واحدة كاللعان فانه لو قال: أشهد بالله أربع شهادات اني لمن الصادقين: كان مرة واحدة ولو حلف فى القسامة وقال: أقسم بالله خمسين يمينا ان هذا قاتله: كان ذلك يمينا واحدة ولو قال المقر بالزنا: أنا أقر أربع مرات اني زنيت: كان مرة واحدة فمن يعتبر الاربع لا يجعل ذلك الا اقرارا واحدا» ثم ذكر أحاديث وآيات أخرى كالأمر بالاستئذان ثلاث مرات وغير ذلك . ثم ذكر ان الصحابة كانوا مجمعين على أنه لا يقع بالثلاث مجتمعة الا واحدة من أول الاسلام الى ثلاث سنين من خلافة عمر وان هذا الاجماع لم ينقضه اجماع بعده وذكر بعض من أفتى به من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين واتباع تابعيهم وان الفتوى بذلك تتابعت فى كل عصر حتى كان من اتباع الأئمة الاربعة من أفتى بذلك فانه عندما ذكر اتباع تابعي التابعين قال «فأفتى به داود بن علي وأكثر أصحابه حكاه عنهم أبو المغلس وابن حزم وغيرهما وأفتى به بعض أصحاب مالك حكاه التلمساني فى شرح تفريع ابن الجلاب قولا لبعض المالكية وأفتى به بعض الحنفية حكاه أبو بكر الرازي عن محمد بن مقاتل وأفتى به بعض أصحاب أحمد حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية عنه قال وكان الجد يفتي به أحيانا» ثم ذكر ان الاثرم من أصحاب أحمد سأله عن حديث ابن عباس بأي شيء يدفعه فقال بما روي من فتوى ابن عباس بخلافه - روي عنه في الفتوى روايتان - ثم قال ان مذهب أحمد العمل برواية الصحابي دون رأيه اذا اختلفا وذكر لذلك شواهد . ثم بين ان اجازة عمر الثلاث لما تتابع الناس فى الطلاق تأديب لهم علي مخالفة ما شرعه الله فى الطلاق من كونه يوقع

المرة بعد المرة ليرجعوا الى السنة ووجه ذلك بالنسبة الى ذلك الوقت وذكر الروايات فى تأييده ثم بين ان المصلحة الآن تقضي بالرجوع الى الكتاب وما مضت به السنة فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفة الاول فرارا من مفاسد التحليل التي هي من أكبر العار على المسلمين على انها مخالفة لدينهم وأطال فى ذلك

وانما أطلنا فى ذكر الخلاف فى هذه المسألة على تحامينا فى التفسير ذكر الخلاف ما وجدنا مندوحة عنه لأن بعض الناس يعتقدون أن المسألة اجماعية فيما جرى عليه الجمهور وما ثم من اجماع إلا ما قاله ابن القيم وليس المراد مجادلة المقلدين أو ارجاع القضاة والمفتين عن مذاهبهم فيها فان أكثرهم يطلع على هذه النصوص فى كتب الحديث وغيرها

وقوله تعالى (فإمساك بمعروف أو تسريح باحسان) فيه وجهان أحدهما ان معناه: فالواجب عليكم إما إمساك للمرأة مع المعاشرة بالمعروف وإما تسريحها بامضاء الطلاق مع الاحسان اليها واتقاء اهانتها والاسائة اليها. والوجه الثاني أنه ليس لكم بعد المرتين الا أحد الامرين الامساك بالمعروف أو التسريح أي الطلاق بالاحسان ويؤيده حديث أبي رزين الاسدي عند أبي داود وغيره أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمعت الله يقول « الطلاق مرتان» فأين الثالثة فقال (ص) « أو تسريح باحسان» وعلى هذا يكون معنى « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » فى الآية الآتية بمعنى فان اختار الامر الثاني وهو التسريح فطلقها بانت منه ولا تحل له الخ ماسياتي مع حكمته لانه دليل على طلقة رابعة .

بعد ان فرض سبحانه الاحسان على من اختار التسريح حرم عليهم

اخذ شيء من المرأة فقال (ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) ويدخل في ذلك المهر وغيره مما يعطيه الرجل امرأته على سبيل التمليك. بل يجب ان يمتعها بشيء من ماله « فمتعوهن وسرحوهن » قال الاستاذ الامام (رضي الله عنه) ان أخذ الرجل شيئا من مال مطلقته مناف للاحسان فالأمر بالاحسان يستلزمه وانما صرح به لمزيد رأفته سبحانه بالنساء وتأكيد تحذير الرجال الاقوياء من ظلمهن وهضم حقوقهن وقد كرر هذا النهي ومنه قوله فى سورة النساء « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » الخ الآيتين. ومحل هذا الحكم اذا كان الزوج هو الذي اختار فراق المرأة ورغب عنها وأما اذا كانت هي الراغبة عنه الطالبة لفراقه وخيف ان تتوسل اليه بالنشوز وسوء العشرة لكراهتها اياه أو لسوء خلقها لا لمضارته لها فلا جناح عليهما حينئذ فيما أخذه منها للطلاق سراحها إذ لا يكلف خسارة امرأته وماله بغير ذنب منه ولذلك قال تعالى (الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله) التي حددها للزوجين من حسن المعاشرة والمماثلة فى الحقوق مع ولاية الرجل والتعاون على القيام بأمر المنزل وتربية الاولاد وعدم المضارة « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » وغير ذلك وذلك بأن تخاف المرأة أن تعصي الله فى أمر زوجها فتكفره أو تخونه ويخاف هو ان يخرج عن الحد المشروع فى مؤاخذة الناشز ويخافا معا سوء العشرة (فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) لا جناح عليها فيما تعطيه إياه ليخلعها لأن طلبها الطلاق انما يحظر لغير هذا العذر ولا جناح عليه فيما يأخذ لاجل ذلك لانه برضاها واختيارها من غير اكراه منه ولا مضارة . والخوف هنا على ظاهره وهو توقع المكروه

وفسره بعضهم بالظن وبعضهم بالعلم وتوقع الشيء لا يكون إلا بوجود شيء يدل عليه فان كان الدليل قطعيا فهو من العلم وإلا فهو من الظن وقد جعل بعض المفسرين الخطاب الأول للازواج والثاني للحكام وجعل بعضهم الخطاب للحكام أولا وآخراً لتناسق النظم بتناسق الضمائر ويقول الاستاذ الامام ان الخطاب في مثل هذا للأمة لانها متكافلة في المصالح العامة واولو الامر هم المطالبون أولا وبالذات بالقيام بالمصالح والحكام منهم وسائر الناس رقباء عليهم . وقرأ حمزة ويعقوب «يخافا» بضم الياء أي يتوقع الناس منهما ذلك لظهور أماراته وآياته

وظاهر الآية أنه لا فرق في الخوف من عدم إقامة حدود الله بين أن يكون مثاره الرجل أو المرأة وخصه بعض المفسرين بما اذا كان المانع من إقامتها من جانب المرأة واختاره الاستاذ الامام على ما تقدم آنفا . وهذا هو الذي يتفق مع عدل الاسلام ويدل عليه السياق اذ جعل هذا استثناء من قاعدة تحريم أخذ الرجل المطلق شيئا مما كان أعطاه امرأته وينجلي هذا بعرض حالات الزوجين الثلاث على العقل والعدل فهما إن أقاما حدود الله تعالى بحسن المعاشرة وأداء كل منهما حق الآخر الا ما كان من شذوذ يتسامح فيه عادة فلا خلاف ولا فراق وان عرض لها ما يمنع اقامتها فلا بد أن يكون العارض المانع من قبل أحدهما أو كليهما فان كان من قبل الرجل بأن أبغض المرأة أو فتن بغيرها واحب فراقها لغير ذنب منها أوجب ذلك وخاف ان لا يعاملها بما يجب من المعروف وان تقابله بمثل ذلك فله ان يسرحها باحسان لان عقدة الزوجية بيده وليس له أن يأخذ مما كان أعطاها شيئا بالنص وهو «وان أردتم استبدال زوج» الآية

فان التحريم فيها مبني على ما إذا كان الرجل هو الذي أراد الطلاق وان كان من قبلها كأن أبغضته بغضا لا تستطيع الصبر عليه والقيام معه بحقوق الزوجية وخافت ان تقع في النشوز ويسرف في العقوبة فمن العدل أن تعطيه ما كانت أخذت منه باسم الزوجية ليحل عقدتها فلا يخسر ماله وزوجته معا لا بالرخصة في الآية التي تفسرها اذ تعين حملها عليها . وقد يقال ان هناك حالة ثالثة وهي ان يكره كل منهما الآخر ويود فراقه : ونقول ان المطلوب في هذه الحال الصبر لقوله تعالى «وان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا» فان صبر أحدهما دون الآخر جاء الوجهان السابقان وان اتفقا على الفراق خوف الشقاق ورضيت المرأة بأن تعطيه شيئا صدق عليها أنها هي الطالبة للفسخ . وجملة القول أنه لا يجوز للرجل أن يأخذ منها شيئا الا برضاها واختيارها من غير إيذاء منه ولا مضارة ويدل على هذا ما ورد في نزول الآية

أخرج البخاري والنسائي وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ان جميلة بنت عبد الله بن سلول امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله : ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكن لا أطيقه بغضا وأكره الكفر في الاسلام (أي كفر نعمة العشير وخيانته) قال «أتردين عليه حديقته» قالت نعم قال «اقبل الحديقة ، وطلقها تطليقة» ولفظ ابن ماجه فأمره أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد . وذكر السيوطي في أسباب النزول من رواية ابن جرير عن ابن جريج ان قوله «ولا يحل لكم أن تأخذوا» الخ نزل في ذلك . وقد زعم بعض العلماء ان هذه الآية منسوخة بآية النساء التي لا استثناء فيها ولا دليل على ذلك والجمهور على خلافه . وهذا الفراق المبني على الافتداء يسمى الخلع وقد اختلف فيه

العلماء هل هو طلاق أم فسخ ولكل مذهب أدلة ليس التفسير بمحل لها ويترتب على هذا الاختلاف في عده من الطلقات الثلاث أم لا وفي عدة المختلعة فالجمهور على أنها كعدة المطلقة وفي حديث ابن عباس عند أبي داود والترمذي والنسائي والحاكم ان النبي (ص) أمر امرأة ثابت بن قيس أن تعتد بحيضة ومثله حديث الربيع بنت معوذ عند الترمذي

ثم ختم الآية بوعيد من يخالف هذه الاحكام فقال (تلك حدود الله فلا تعتدوها) أي هذه الأوامر والنواهي هي حدود الله للمعاملة الزوجية فلا تتجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) الذين صار الظلم وصفا لازما لهم متمكنا من أنفسهم والظلم آفة العمران ومهلك الامم. إن ظلم الازواج للازواج أعرق في الإفساد وأعجل في الاهلاك من ظلم الأمير للرعية لأن رابطة الزوجية أمتن الروابط وأحكمها فتلاً في الفطرة فاذا فسدت الفطرة فساداً انتكث به هذا الفتل وانقطع هذا الحبل فأي رجاء في الأمة من بعده يمنع عنها غضب الله وسخطه. ثم ان هذا الظلم ظلم للنفس يؤدي إلى الشقاء في الآخرة كما انه مشقي بطبيعته في الدنيا. وقد بلغ التراخي والانفصام في رابطة الزوجية لعهدنا هذا مبلغا لم يعهد في عصر من العصور الاسلامية فأسرف الرجال في الطلاق وكثر نشوز النساء وافتداؤهن من الرجال بالخلع لفساد الفطرة في الزوجين، واعتداء حدود الله من الجانبين، وقد ورد في كراهة الطلاق في الشرع ما هو مشهور وورد مثله أيضا في طلب المرأة له كحديث ثوبان عند أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»

تتمة سيرة الاستاذ الامام

حياته في المنفى

لا تكمل تربية الرجال، الا بمكافحة الاهوال، فمعادن النفوس لا تصفو من شوائب الضعف في الحق، وتتمكن من مقعد الصدق، الا بعد أن تعرض على نيران الفتن، وتذاب في بوادق المحن، «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» ولذلك يبتلي الله سبحانه وتعالى عباده المصلحين بفتن المفسدين، ليعلم الصابرين والصادقين، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، فالفتن والكوارث تمحص نفوس المؤمنين بالله السائرين على سننه فتزكيها وتعليها، وتمحق الكافرين بنعمه والمنحرفين عن سننه فتدسيها وتفنيها، وقد اتهم فقيدنا في الثورة بما هو بريء منه، وتفنن المنافقون يومئذ بأخبار السوء عنه، حتى أنذر بالاعدام، ثم استبدل ذلك بالنفي ثلاثة أعوام، فما حقد على واش ولا محتال، بل كتب من السجن الى صاحب له يعجب من كيدهم ثم قال،

«ولئن عشت لأفعلن المعروف، ولأغيثن الملهوف، ولأنقذن الهاوي في حفرة الغدر، ولآخذن بيد المتضرع من ضغط الظلم، ولأتجاوزن عن السيئات، ولاتناسين جميع المضرات، ولابينن لقومي أنهم كانوا في ظلمات يعمهون * ولأظهرن الصديق في أجمل صوره، ولأجلونه للناس في أبهج حلله، ولأثبتن لهم ببرهان العمل انه فكرك الثاني في روحك الواحدة، وجسمك الآخر في حياتك المتحدة، وأنه صاحبك اذا طال ليل الكدر، ومصباحك اذا غسق دجى الهموم، تستضيء به في حل ما انعقد، وتستعين بقوته في تيسير ما عسر، وتذهب به إلى أوج المعالي والناس من

معجزات الصديق يتعجبون * - الى ان قال - لكني أقول لكم ان هذه الحوادث المريعة سوف تنسى ، وان هذا الشرف سوف يرد ، ولئن أبت طبيعة هذه الأرض بخستها ان يكون لها من عوده نصيب فليعودن فى بلاد خير منها ، ولأجذبن الى المجد احبتي ومن الى المجد ينجذبون * كل ذلك ان عشت وساعدتني صحة الجسم ولا أطلب شيئا فوق هذين سوى معونة الله الذى عرفه بعض الناس وبعضهم له منكرون*» والكتاب طويل وسننشره برمته فى تاريخ الفقيد

وله قصيدة في الثورة نظمها في ظلمة السجن أيضا تزيد على مئة بيت وقد عرض فى آخرها بما أبانه فى آخر كتابه هذا من صدق العزيمة والثقة بنفسه والاعتماد عليها في مغالبة الزمان بعد الاتكال على الله تعالى وكونه لايخاف شيئا يقطع عليه طريقه فى عمله لوطنه وأمته الا الموت قال

وأحفظ الدهرَ أني لا أشاكله — فيما تبطن من غش وتمويه
أحارب الدهر وحدي ليس ينفعني — الا الثبات وحسبي من أصافيه
تعلم الدهر مني كيف يطمتني — فخاب ظنا وخانته مزاكيه
وليس يعجزني عن كسر فيلقه — الا المنايا تفاجيني فتحميه
ان المنايا سهام الله سددها — وليس يخطىء سهم الله مرميه

أرأيت من كانت له هذه النفس العالية ، والعزيمة الماضية ، أيحط من قدره ان يتهم بالسياسة فيلقى في غيابة السجن ، أم يطفىء نور استعداده الاخراج والنفي ، ؟ كلا

(عمله في اوربا لمصر والاسلام)

سافر رحمه الله تعالى الي سوريا فأقام فيها نحو سنة ثم سافر الى أوربا

على اتفاق بينه وبين استاذه وصديقه السيد جمال الدين لأجل الاشتغال بما كان يسمى « المسألة المصرية » فأقام فيها عشرة أشهر معظمها فى باريس حيث أصدرا جريدة العروة الوثقى وكانا أسسا لها جمعية من مسلمي الهند ومصر والغرب وسوريا غرضها السعي فى جمع كلمة المسلمين وايقاظهم من رقادهم وإعلامهم بالاخطار المحدقة بهم وإرشادهم الى طريق مقاومتها.

كان السيد جمال الدين مدير سياسة الجريدة والشيخ محمد عبده المحرر الاول لها، على انه لم يكن لها محرر سواه الا من كان يترجم بعض الأخبار من الجرائد الاوربية ويلقيها الى الشيخ يصححها وينفخ فيها من روح العبرة ماينفخ . كان السيد منبع الافكار والآراء السياسية التي تنشر فى الجريدة لاسيما ماهو من سيئات الانكليز فى الهند وغيرها وكان الشيخ يبرز هذه المسائل فى صورة تروع الابصار وتحرك الأفكار ويتصرف فيها ماشاء

أما المقالات التي كان يكتبها فى الاجتماع والوعظ والاخلاق والسياسة الاسلامية فقد كانت من الآيات البينات التي لايكاد يوجد فى كلام البشر مايساميها فى البلاغة والتأثير حتى كان علماء المسلمين وعقلاؤهم فى كل قطر يتوقعون ان تحدث تلك الجريدة انقلابا عاما فى المسلمين : حدثني الثقة عن السيد سلمان افندي الكيلاني نقيب بغداد انه كان يقول كلما قرأ عددا من جريدة العروة الوثقى : يوشك ان يحدث انقلاب في بعض بلاد الاسلام قبل ان يصدر العدد الذي بعد هذا : والسيد سلمان هذا كان من بقايا زعماء المسلمين يخضع له مئات الالوف من العرب والعجم. وسمعت شيخنا الشيخ حسينا الجسر العالم الطرابلسي الشهير يقول: لو طال الزمان على جريدة العروة الوثقى لأحدثت نهضة جديدة للمسلمين وانقلابا عظيما.

أقول وهي هي التي نقلتني من طور الى طور وحببت اليّ صاحبيها حتى جذبني الحب الى مصر ووصل حبل ودي بالاستاذ الامام وحملني على نشر حكمته، وإعلان دعوته، فقد كنت مرة أبحث في أوراق والدي العتيقة وأتصفح مافيها من الجرائد المطوية فعثرت على أعداد من العروة الوثقى فطفقت أقرأها المرة بعد المرة وهي تفعل في نفسي فعلها تهدم وتبني، وتعد وتمني، وما كان وعدها الا حقاً، ولا تمنيها الا رجاء وأملا، أحدث إصلاحا وعملا، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أثر في نفسي، وأقيم عليه بناء عملي وأملي، وأما الاستاذ الأول فهو كتاب إحياء العلوم للامام الغزالي الذي كان أول كتاب ملك عقلي وقلبي. أنشأت بعد ان ظفرت بتلك الاعداد أبحث عن اخواتها في طرابلس فكنت أجد عند الرجل العدد وعند الآخر العددين فأنسخ ماأجد ثم علمت ان الشيخ حسينا الجسر احتواها كلها ومن عنده أتممت استنساخها. وأكبر أثرها عندي أنها هي التي وجهت نفسي للسعي في الإصلاح الاسلامي العام بعد أن كنت لاأفكر الا فيمن بين يدي وأرى كل الواجب علي أن أظهر في دروسي العقيدة الصحيحة والاخلاق الفاضلة وآمر بالمعروف وانهى عن المنكر وأنفر عن المعاصي وأنا لا أعلم سبب الفساد الذي فعل في العقائد والاخلاق مافعل، ودفع المسلمين الى مزالق الزلل، حتى هدتني العروة الوثقى الى المناشيء والعلل،

لم تكن خدمة الشيخين للاسلام في أوربا قاصرة على الوعظ والإرشاد بل كان لهما سعي لدى فرنسا وانكلترا نفسها في المسألة المصرية ومسألة السودان وكان سعيا ـ لو ظهر ـ غريبا. وكان منه إقناع ناظر خارجية انكلترا بعد فصل السودان عن مصر وسفر الاستاذ الامام الى بلاد كثيرة لتوثيق

العروة والتمهيد للعمل أن يترك السودان لأهله ويعدلوا عن محاولة فتحه، وكان لهما في ذلك آمال، ومقاصد ذات بال، وقد كان تقرر هذا وماحال دون إمضائه وسيما إلا موت محمد أحمد مهدي السودان، ولو شرحنا الوسائل التي اتخذها الشيخان لذلك لحار في براعتهما الثقلان، لاأذكر ان هذه الاعمال السياسية كان السيد جمال الدين هو المقترح لها ولكن كان فقيدنا عضده وساعده ولسانه وقلمه ولولاه لما استطاع المضي فيها على أن فقيدنا كان بما جرى له ولشيخه مع توفيق باشا في مصر قد ضعف أمله في الاصلاح السياسي ووجه همه الى الاصلاح القومي في التربية والتعليم. حدثني انه قال للسيد في أوربا إن هذه السياسة لايأتي منها خير لان تأسيس حكومة اسلامية عادلة مصلحة لايتوقف على ازلة الموانع الاجنبية فقط فخير لنا ان نذهب معا الى مجهل من مجاهيل الارض لاسلطان للسياسة فيه ونحاول تربية افراد على مانحب فاذا تيسر لنا تربية عشرة رجال يبذلون انفسهم لخدمة الامة لايصدهم عن ذلك الجثوم في وطن، ولا الاخلاد الى الاهل والسكن، بل يكون همهم الاكبر الضرب في الارض لتربية مثلهم على ماربوا عليه فلايبعد ان يربي الواحد منهم عشرة فيكون لنا في زمن قريب مئة رجل يعملون للاسلام والرجال هم الذين يعملون كل شيء: فقال له السيد انما أنت مثبط قد شرعنا في عمل فلا بد من المضيّ فيه حتى يتم أو نعجز

كان لذلك السعي في انقاذ مصر والسودان أو السودان فقط طريق في ذلك الوقت لان الاحتلال الانكليزي كان في نظر أوربا كلها موقتا ولم تكن قدم انكلترا راسخة في مصر. وبعد ان رسخت القدم وتمكنت السلطة من البلاد قام بعض الأحداث يكتبون ويخطبون ويقولون مايعد أمام ماقاله وكتبه

الشيخ فى وقته لذنوا وكانوا يعدون أنفسهم بذلك خدمة مصر ومنقذيها ويرمون مثل الفقيد بالتقصير فى خدمة الامة والوطن على انه هو المصري الوحيد الذي قدر على استخدام السلطة الانكليزية في مصر لخدمة مصر والاسلام، بعدان صارت الخدمة بمقاومتها من المحال، ولو كانت الخدمة النافعة هي مقاومة القوة بالكلام والكتابة لكانت العروة الوثقى أخرجت الانكليز من مصر قبل ان يتمكنوا منها

(مناظرة الفقيد لوزراء الانكليز في المسألة المصرية)

ذهب الفقيد الى لندن فى تلك الاثناء وتكلم مع وزراء الانكليز فى المسألة المصرية ومسألة السودان وفى المالية المصرية وغير ذلك ونشرت الجرائد الاوربية بعض محادثاته معهم. نذكر هنا محادثة نشرت فى العدد الرابع عشر من العروة الوثقى الذي صدر فى ٢٢ شوال سنة ١٣٠١ - ١٤ اغسطس سنة ١٨٨٤ تحت عنوان (هؤلاء رجال الانكليز وهذه أفكارهم) والكلام بلسان السيد قال:

« تأخر صدور الجريدة أياما لضرورة مامسنا من ضعف فى المزاج مع مصادفة رداءة الهواء فى البلاد الفرنساوية هذه الايام والحمد لله على زوال المانع. الا اننا مع ذلك لم نقصر فى أداء الواجب من العمل الذي قمنا به فى المدافعة عن حقوق المسلمين فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبعنا عليه ونرجو ديان السماوات والارض ان نموت في هذه السبيل وان نبعث فى زمرة السالكين فيها.

رأينا إن يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الاول لهذه الجريدة) الى لوندرا إجابة لدعوة من يرجى منهم الخير لملتنا ومن يؤمل فيهم صدق

النية فى رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية، وليستكشف مناصب الفخاخ السياسية التي مامرت عليها قدم شرقي الا سقطت منهافيما يعسر الخلاص منه، وليسبر أغوار المطامع الانكليزية التي لا يدرك منتهاها- تلك المطامع التي بعد ماالتهمت ثلث المسكونة وطوقت كرة الارض بالفتح والاستملاك لم تزل فى مد لاجزر معه ولا يزال رجال حكومة بريطانيا فى قرم شديد لابتلاع ممالك العالم وكلما أساغوا قطرا طلبوا اليه آخر، وليستطلع خفايا المقاصد من أثناء الأفكار وغضون الاقوال، وليقف على الطرق المألوفة بين أولئك السياسيين في التلوين ويتبين كيف يتمكنون من ابراز محاسن الاعمال فى صفات رديئة يستنكرها كل ناظر اليها واظهار السيئات فى ألوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان قسط يتميز به الزيف من النضار الخالص كي لا يغتر الجاهل ولا يزل العالم. لاقى (محرر الجريدة) كثيرا من رجال السياسة الانكليزية وأنفذ الناس رأيا فيها وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة في الاحوال المصرية ومن محادثاته الابتدائية ما نشر في بعض الجرائد الانكليزية كجريدة «البال مال كازيت» وجريدة «التروث» التي يحررها النائب الشهير مستر لابوشير وجريدة «التيمس» وسيذكر شيء مما جرى بينه وبين بعض الاكابر من رجال الحكومة الانكليزية مما يستفيد منه الشرقيون عموما والمصريون خصوصا وستأتي جريدتنا على بعض ماتستنبطه من فحوى أقوالهم وأدركه من مرامي أفكارهم. أما الآن فنأتي على جملة واحدة من محادثة طويلة كانت بينه وبين اللورد (هرتنكتون) وزير الحربية الانكليزية ليأخذ كل مصري منها حظه ويصيب كل شرقي سهمه ويقف جميعهم على مواقع الشرقيين من

أنظار رجال الحكومة الانكليزية.

سأل اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانكليزية: ألا يرضى المصريون أن يكونوا فى أمن وراحة تحت سلطة الحكومة الانكليزية أو لا يرون حكومتنا خيرا لهم من حكومة الاتراك وفلان باشا وفلان باشا؟ فأجاب الشيخ (محرر جريدتنا) كلا إن المصريين قوم عرب وكلهم مسلمون إلا قليلا وفيهم من محبي أوطانهم مثل ما في الشعب الانكليزي فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه فى الدين والجنس ولا يصح لحضرة اللورد وهو على علم بطبائع الأمم ان يتصور هذا الميل فى المصريين: فقال الوزير هل تنكر ان الجهالة عامة فى أقطار مصر وان الكافة لاتفرق بين الحاكم الاجنبي والحاكم الوطني وان ما ذكرته من النفرة من سلطة الاجانب انما يكون فى الأمم المهذبة؟ فأخذت الشيخ حدة تليق بمسلم لايتهاون فى أداء مافرض الدين وأوجبته حقوق الملة وقال: أولا ان النفرة من ولاية الأجنبي ونبذ الطبع لسلطته مما أودع فى فطرة البشر وليس يحتاج للدرس والمطالعة وهو شعور إنساني ظهرت قوته في أشد الأمم توحشا كالزولوس الذين لم تنسوا ما كابدتموه منهم في الدفاع عن أوطانهم. وثانيا ان المسلمين مهما كانوا وعلى أيّ درجة وجدوا لايصلون من الجهل الى الدرجة التي يتصورها لوزير فان الاميين منهم ومن لا يقرأون ولا يكتبون لايفوتهم العلم بضروريات الدين ومن أجلاها وأظهرها عندهم ان لا يدينوا لمخالفيهم فيه وان لهم فى الخطب الجمعية ومواعظ الوعاظ في مساجدهم مايقوم مقام العلوم الابتدائية وان جميع مايتلقونه من النصائح الدينية يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم، ويحدث فيهم من الاحساسات

الشريفة الانسانية مالا ينحطون معه عن سائر الأمم خصوصا المصريين الذين ينطقون باللسان العربي ويفهمون دقائق ما أودع فى ذلك اللسان وهو لسان دينهم. وثالثا إن أرض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم والآداب الجديدة على نحو ماهو موجود فى بلاد أوروبا وأخذ كل مصري نصيبا منها على قدره ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها قارئون كاتبون والاخبار العمومية توصلها إليهم الجرائد العربية ومن لم يقرأ يستنبىء الاخبار من القارئين فبهذا أضافوا إلى الشعور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشأها التهذيب العمومي قوي بها الميلان الاولان ولا أظنهم يخالفون فى ذلك سائر الأمم: اه

«أين العلماء الاذكياء، أين الجهلة الاغبياء، أين الأباة الاعلياء، أين السفلة الأدنياء، ليرى كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الانكليزية كل ذي شكل إنساني وصورة بشرية يدرك ماوراء هذه الاسئلة وماتشف عنه هذه الظنون العجيبة.

«هذا اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانكليزية يظن ان الجهل بالغ من المسلمين عموما والمصريين خصوصا الى حد سلب عنهم كل إحساس إنساني وانهم فى حضيض من الجهل لا يميزون فيه بين الغريب والقريب، ولا بين العدوّ والحبيب.

هذا دليل على ان الانكليز (إلا من أنار الله بصيرته ووفقه لفهم الصواب) يعتقدون ان الأمم الشرقية والأمة المصرية في درجة الحيوانات السائمة والدواب الراعية لاتتألم الا من الجوع وفواعل الطبيعة المادية وليس لها من الاحساس إلا نوع من الانفعالات البدنية ولا تعرف من شؤونها

إلا ما به تقوم حياتها الحيوانية فتألف راكبها والعامل عليها ومستخدمها في أي عمل من الاعمال الشاقة مادام يقدم لها طعاما وشرابا وإنها تهش وتبش لرؤية من يقدم لها غداءها وعشاءها وإن كان من أشد البلاء عليها بما يسومها من مشاق الأعمال فاذا عجزت عن العمل ذبحها وتغذى بلحومها: » ألخ ألخ

ضاقت الحرية الانكليزية الواسعة ان تسع جريدة العروة الوثقى فمنعتها من الهند ومصر واشتدت الحكومة الانكليزية فى إعنات من تصل اليهم وفرضت الحكومة المصرية غرامة وعقوبة على من ترى عنده فكان ذلك مانعا من الاستمرار فى اصدارها وقد كان صدور آخر عدد منها (وهو الثامن عشر) فى ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١ - ١٦ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ثم سافر الفقيد الى تونس فأقام فيها أياما ثم سافر الى بلاد أخرى متنكرا فوثق عقود العروة السرية التي كان من أغراضها ما أشرنا اليه ولو ذكرناه مرتبا مفصلا لكان مثارا للعجب من ركوب هذا الرجل مع استاذه الصعاب واقتحامهما الاخطار فى خدمة هذه الأمة التي كانت ولا تزال كالمريض الاحمق يأبى العلاج لأنه علاج وان كان سهلا سائغا ، ويمقت حكيمه وطبيبه وان كان برا رحيما ، فليحفظ القارئون هذا الايجاز ليذكروه عندما يصلون فى تاريخه الى سلوكه الاخير فى مصر إعلان رأيه بتحتيم مسالمة المحتلين والاستفادة من حريتهم وحبهم للعمران ليعلموا انه هو عين الحكمة التي اختبرت بعد مساع جليلة ، وتجارب طويلة ،

﴿ عمله في البلاد السورية ﴾

وبعد الاخفاق فى ذلك العمل السري ، دون ذلك الهدي النبوي ، ألقى عصا السير فى بيروت أعظم ثغور سوريا وأقربها من العمران فأقبل عليه

أهل العقل والفضل ، وأرباب الذكاء والنبل ، يستفيضون منه سماء الحكمة ، ويتلقون هدي الحكماء والأئمة ، فكانت داره مدرسة عامة يؤمها الاذكياء وعشاق المعارف ، من جميع الملل والطوائف ، ومما كان يقرأ عليه فيها السيرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، وكان يقرأ التفسير فى الجامع الكبير وفى جامع الباشورة لا يلتزم فيه كتابا وإنما يقرأ فى المصحف ويلقي ما يفيض الله على قلبه وكان الناس يقبلون على درسه إقبالا لم يعرف في تلك البلاد لأحد من قبله حتى حسد النصارى عليه المسلمين فكانوا ينسلون اليه زرافات ووحدانا ويقفون بباب المسجد يمدون أعناقهم ويشخصون بأبصارهم ويصيخون بآذانهم لعلهم يلتقطون شيئا من تلك الدرر . ثم إنهم استأذنوه فى دخول المسجد والجلوس فى ناحية من حلقة الدرس فأذن لهم « فأجره حتى يسمع كلام الله »

وفي أول سنة ١٣٠٣ دعي إلى التدريس فى المدرسة السلطانية لإحياء اللغة والدين فيها فلبى ولم يكن فى المدرسة من العلوم العربيـة الا مبادىء النحو والصرف وما تسميه الترك « علم حال » وهو ما يلقن للولدان من أحكام العبادات . فلما دخل المدرسة أدخلها فى طور جديد كما كان شأنه فى عامة أعماله يدخل فى العمل مرءوسا فيكون فى الواقع رئيسا . ذلك انه أصلح إدارتها بالاتفاق مع مديرها ووضع قانونا جديدا (بروجرام) للدروس وزاد فى العلوم التوحيد ومعاملات الفقه والتاريخ الاسلامي والمنطق والمعاني والانشاء زادها لنفسه فكان هو الذي يدرسها حتى كانت دروسه تستغرق عامة النهار . وكانت دروسه كلها للتلاميذ على نحو ما ذكر فى رسالة التوحيد « أمالي مختلفة تتغاير بتغاير طبقاتهم ... فى أسلوب لا يصعب تناوله ، وإن

لم يعهد تداوله» إلا معاملات الفقه فكان يقرأ فيه مجلة الاحكام العدلية التي يحكم بها فى المحاكم العثمانية . وكان يكلف تلاميذ الانشاء حفظ شيء من نهج البلاغة وديوان الحماسة والالفاظ الكتابية ويشرحه لهم. وكان له هم عظيم وعناية تامة بملاحظة آداب التلاميذ فى المدرسة حتى إنه كان يزورها ليلا لأجل ذلك . وقد تخرج على يديه نابتة هي الآن تخدم البلاد بغيرتها واستقامتها، وعرفانها ونباهتها،

ثم إنه فى سيرته كان مربيا للجماهير الذين يترددون عليه فقد كان يجالس اليه السني والشيعي والدرزي والنصراني واليهودي فيوسع صدره للجميع ويعامل كل واحد بالأدب الذى يليق به لايؤذي جليسا ولا يغمط فضل مذاكر ولا مناظر على أنه لم يكن يقول غير ما يعتقد سواء كان القول فى الدين أو فى العلم أو في العادات والأمور الاجتماعية فكان رضي الله عنه نسخة كاملة من رجال السلف فى التسامح والتساهل وجمع الحكمة واحترام العلم وأهله كما وصف فى كتاب (الاسلام والنصرانية) وقد أدهش أهل الفضل بعلمه وأدبه وبلاغته لاسيما فى الخطابة الارتجالية التي لم يكونوا يعهدونها

وكان هنالك يشتغل بالتأليف فقد نقل إلى العربية رسالة الرد على الدهريين أو المقابلة بين الايمان والكفر فى العمران التي كتبها السيد جمال الدين باللغة الفارسية . وشرح كتاب نهج البلاغة ومقامات بديع الزمان الهمذاني . وقد أقبل الناس على هذه الكتب وانتفعوا بها حتى انها طبعت مرارا . وكان يكتب المقالات النافعة فى الجرائد وسننشر ماعثرنا عليه منها فى تاريخه . ولم يكتف بهذا الاصلاح المعنوي بل كان يسعى لدى الحكومة فى إصلاح البلاد الاداري فوضع فى ذلك لائحة قدمها للوالي

وسننشرها فى تاريخه أيضا وكتب لائحة أخرى فى الاصلاح الديني وقع عليها بعض الوجهاء وقدمت بواسطة الوالي الى السلطان . وكان قد جال فى أرجاء الولاية واختبرها أتم الاختبار

﴿ عودته الى هذه الديار * وما استفاده من الاسفار ﴾

وفي سنة ١٣٠٦ عاد الى القطر المصري وقد كمل تهذيبه بالاسفار، وركوب الاخطار، ولذلك كان يسافر بعد ذلك في أكثر السنين مختارا كما كان يكرر المطالعة والمدارسة عن رغبة، بعد أن ألزم بالدرس أولا بالقوة، وقد كتب عن تأثير الاسفار فى نفسه مانصه :

«أما الاسفار الى البلاد العثمانية ومعاشرة كثير من المسلمين غير مسلمي مصر فقد كان من نتائجها عندي أني عرفت حق المعرفة أن مرض المسلمين نشأ من أمرين الأول الجهل بدينهم وإبداع مالم يكن منه وإلصاقه به واختلاط ماهو من الدين بما ليس منه حتى صار ماهم عليه دينا أجنبيا عن أصول الدين الاسلامي الطاهر الرفيع . والامر الثاني استبداد الحكام الظالمين من المسلمين فى جميع أقطار الارض

«وقد سافرت بعد ذلك مرات الى أوربا وأفريقيا فكان أثر الاسفار فى بلاد المسلمين زيادة البصيرة فى ذلك الذي عرفته لأول الامر، وأثر الاسفار في أوربا قوة الامل في إصلاح أحوال المسلمين فما من مرة اذهب الى أوربا الا ويتجدد عندي الامل فى تغيير حال المسلمين الى خير منها وذلك باصلاح ما أفسدوا من دينهم، وتشحيذ عزائمهم الى معرفة شؤونهم ، وامتلاك ناصيتها بأيديهم دون افراد ظلمتهم. وهذه الآمال وان كانت تضعف في نفسي عند ماأعود الى دياري لكثرة ما ألاقي من العنت

وشدة ما أصادف من المصاعب وسوء ما أرى من انصراف المسلمين عن النظر في منافعهم وشدة عداوتهم لانفسهم وقوة رغبتهم في تمكين ظالميهم من رقابهم وحبهم في الاستعباد لهم لغير سبب معقول ، لكني متى عدت الى أوربا ومكثت فيها شهرا أو شهرين تعود إليَّ تلك الآمال، ويسهل عليَّ تناول ما كنت أعده من المحال ، ولا تسألني عن السبب في ذلك فاني لا أستطيع تفصيله ولكن هذا ما تحدثه الأسفار في نفسي » اه

أقول والمتبادر الى الذهن ان السبب في ذلك هو ما يسمى في العرف الآن بتأثير الوسط أي البيئة من المكان والمكين لأن كل انسان يحل في مكان ويشاهد حال قوم لابد ان يتأثر بشيء مما هم عليه بحسب استعداده وما وجهت اليه نفسه . وبلاد أوربا قد ارتقت ارتقاء عظيما في العلوم والصناعات والكسب والسياسة وغير ذلك فمن سافر اليها وكان من همه التجارة يزداد معرفة بطرقها ونشاطا في عملها ومن كان همه غير ذلك يتأثر بارتقاء القوم فيه فتنهض همته اليه وناهيك بعلو كعب القوم في خدمة أمتهم ، وإعلاء شأن ملتهم، وما يبذلون في هذه السبيل من الاموال، وما يركبون لها من الاهوال، فمن يرما هم عليه من العزة والسيادة ، وهو يعلم ما كانوا فيه من الضعة والمهانة ، فهو جدير بأن يكبر أمله في قومه ، ولا ييأس من غده في يومه، وكان تغمده الله برحمته يقول لي عندما يريد السفر الى أوربا : انني أذهب لأجدد نفسي : أي فقد أخلقتها معاشرة الكسالى واليائسين . وقد توجهت همته في هذه السنين الأخيرة لزيارة الشعوب المسلمة فبدأ بزيارة تونس والجزائر وكان عازما على زيارة الهند وإيران وتركستان والقوقاس في هذه السنة وما بعدها فصرفه المرض عن عزمه في هذا العام ، ثم قطع آماله كلها الحمام ،

سيرته في القضاء الاهلي

لما عاد من سوريا الى مصر تسابق العظماء الى توفيق باشا في طلب العفو عنه فكان من الشافعين بعض الاسرة الخديوية ومختار باشا الغازي واللورد كرومر ولم يكن أحد منهم يعرفه من قبل معرفة شخصية ولكنهم سمعوا بفضله فحفظ لكل منهم جميله وعفا عنه الامير وهو يعلم انه كان خصما للثورة العسكرية وإن كان روحا مدبرة لتلك الحركة الفكرية، وأن الحكم عليه لم يكن عادلا ولذلك قال كما روى الثقة للفقيد: ماعفوت عن أحد عفوا كان أشبه بالاعتذار من هذا العفو : ولكنه كان يخاف أفكاره السياسية وميله الى تربية ملكة الاستقلال في الامة ولذلك أمر بأن يعين قاضيا في المحاكم الاهلية فلما نمي الخبر الى الفقيد امتعض وقال إنني لم أخلق لأكون قاضيا أقول حكمت على فلان بكذا وعلى فلان بكذا وانما خلقت لأكون معلما وقد جربت نفسي في التعليم فنجحت ثم طلب من ناظر الداخلية أن يشفع له عند الامير باستبدال التدريس في مدرسة دار العلوم بالقضاء وقال انني أعلم انه لا ارتقاء في التدريس وانني ارتقي في القضاء ولكنني لا احبه فلم يرض توفيق باشا وقال انني لا أحب ان يربي لي التلاميذ على أفكاره السياسية فرضي الفقيد بالقضاء وما زال يرقى فيه الى ان بلغ أعلى درجة منه

وقد كان قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم وان شئت قلت القاضي المجتهد لا المقلد ذلك أنه لم يكن يحكم بظاهر عبارة القانون وتطبيق الوقائع عليها بادي الرأي بل كان يتحرى اظهار الحق واصابة العدل في القضايا فان انطبقت على القانون والا عمد الى الصلح وكأين من قضية خالف فيها القانون عمدا حتى وشى به بعض حساده الواقفين على ذلك

وذكر شيئا من مخالفاته هذه فسأله المستشار القضائي السابق (مستر سكوت) عن حقيقة ذلك فقال هل العدل وضع لأجل القانون أم القانون وضع لاجل العدل ؟ قال المستشار بل القانون وضع لأجل العدل والعدل هو المقصود بالذات : فأنشأ حينئذ يشرح له القضايا ويبين أنه لم يحكم فيها الا بالعدل فاقتنع المستر سكوت وسر منه سرورا عظيما لأنه كان منصفا عارفا بقيمة الرجال على ان هؤلاء الانكليز أبعد الشعوب الأوربية عن الرسوم في القضاء وأقربهم الى اعتبار الانصاف ووجدان القاضي ولو كانت هذه البلاد محتلة من دولة أوربية أخرى لتعذر ارتقاء الفقيد فيها

ومما كان يحكم فيه باجتهاده واعتقاده مسائل الربا فانه كان اذا تعذر عليه الصلح يحكم برأس المال دون الربا فيلجأ رب المال الى الاستئناف ليحكم له بالربا. ومما كان يخالف القانون فيه حبس الشهود الذي يظهر له تزويرهم فإنه كان يخرجهم من الجلسة الى الحبس. ثم ان الحكومة أقرت عمله هذا وأدخلته في القانون بالتعديل الاخير . وقد أساء الادب بعض الاجانب مرة في الجلسة فأمر بحبسه فحبس ثم جاء قنصله الجنرال الى نظارة الحقانية شاكيا من ذلك . وكلم المستشار القضائي الفقيد في ذلك قائلا ان هؤلاء القناصل ليس لهم عمل يشغلهم في مصر فهم يفترصون شيئا يحاكون به الحكومة ونحن نحب ان لا نجعل لهم سبيلا إلى القيل والقال : فذكر له الفقيد ما كان من ذلك الاجنبي في الجلسة من رفع الصوت وعدم التزام الأدب المعروف وقال إنني مادمت جالسا على هذا الكرسي لتقرير العدل فأنا لا أقصر في احترامه اذ لا يمكن احترام القضاء الا بذلك الخ ما قال وكان مستحسنا عند المستشار

وقد كان يحكم على الاجانب وينفذ أحكامه. من ذلك أن كثيرا من

الفلاحين كانوا اذا حكم على أحدهم بنزع أرض من يده يلجأ الى رجل أجنبي أو رجل داخل في حمايتهم فيعطيه الارض بعقد كاذب نكاية في خصمه فيمنع الاجنبي الحكومة من تنفيذ الحكم أو ترفع الدعوى إلى المحكمة المختلطة فتحكم فيها وكان من المحكوم لهم من يترك الارض للاجنبي لاعتقاده بعجزه عن انتزاعها منه في المحاكم المختلطة ومنهم من كان يلقي بنفسه في مهاوي الدعاوى ويخسر فيها ماشاء الجهل ان يخسر. فعلى أمثال هؤلاء الاجانب كان ينفذ أحكامه بالقوة متحملا تبعة التنفيذ لعلمه بأن ذلك الاجنبي المحتال لا يتجرأ على مقاضاة الحكومة في دعوى هو فيها مبطل يعجز عن إثبات دعواه

ذلك شأنه في القضاء وقد كان فيه نسيج وحده ولم يكن مشغولا فيه عما خلق لأجله من تربية الأمة فقد كان يعاقب المزورين وشهداء الزور حتى طهر كثيرا من البلاد من شرهم بعد ان استفحل وطغى سيله وكان يجتهد في الإصلاح بين أهل البيوت وذوي القربى ويبالغ في حفظ حقوق اليتامى. وكان يطارد الفحش والفجور حتى كادت الزقازيق تطهر من رجس البغايا أيام كان قاضيا فيها كما طهرت من التزوير. ذلك أنه كان يحكم بأشد العقوبة التي يسمح له القانون بها على كل بغيّ تبرجت في الشوارع وعلى أعين الناس حتى كاد يجعلهن من ذوات الحجاب وقد نقل الينا عن بعض الفساق هناك انه قال مرة لبغي يعرفها: كيف الحال؟ قالت: زيّ الزفت واذا بقي القاضي أبو عمة (ذو العمامة) هنا فانه يقطع رزقنا من هذه البلد . عايز يرجع الدنيا لزمان سيدنا النبي: أو قالت مامعناه ان النبي ظهر ثانية

وأما براعته في تحقيق القضايا وفراسته في تمييز البريء من ذي الريبة فحدث عنهما ولا حرج وقد كان مؤيدا بالوجدان الصحيح

والإلهام الصادق فان كان كغيره من البشر عرضة للخطأ في رأيه فقد كاد لايخطىء فى وجدانه أو إلهامه. وسمعته يقول فى بحث الكسب والاختيار انني كثيرا ما أنظر فى قضية فاستخرج من التحقيق الطويل وجوها كثيرة للحكم بالادانة مثلا حتى اذا ماتمت المحاكمة وأردت النطق بالحكم تقوض كل ذلك البناء الذي كنت بنيته من وجوه الادانة وظهر لي بغتة ان المتهم بريء حتما فأحكم بالبراءة فسبحان مقلب القلوب.

﴿ عمله فى الازهر ﴾

كان أول حديث دار بيني وبين الاستاذ الامام (قدس الله روحه) فى مصر الحديث فى إصلاح الأزهر. زرته فى اليوم الثاني من وصولي إلى القاهرة بداره (فى أواخر رجب سنة ١٣١٥) وبعد التحية والسلام ومايتصل بذلك من كلام كاشفته باعتقادي واعتقاد من أعرف من العقلاء فيه وانه بقية رجاء المسلمين فى السعي للاصلاح وأنه بلغني انه يعمل لذلك فى الأزهر فأفاض فى كلام لخصته بعد مغادرة المجلس فى عشر مسائل. قال (١) إن إصلاح الازهر أعظم خدمة للاسلام فان إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين وفساده فساد لهم و(٢) ان أمامه عقبات وصعوبات من غفلة المشايخ ورسوخ العادات القديمة عندهم. و(٣) ان هذا الاصلاح لا يتم إلا فى زمن طويل وانه اذا رأى حال الأزهر قد صلحت قبل موته فانه يموت قرير العين ويرى نفسه سعيدا بل يرى نفسه ملكا. و(٤) انه لايرى لدخوله فى الحكومة فائدة الا الاستعانة على إصلاح الأزهر فانه لولا مكانته عند الخديو والحكومة لما كان يسمع له فى الازهر كلام ولا يقبل له رأي. و(٥) انه لم يحصل شيء من الإصلاح يذكر حتى الآن و(٦) انه أراد أن يبدأ بأعمال عظيمة في الاصلاح اغتناما

للفرصة فأشير عليه بوجوب التدريج ولكن لابد له من المسايرة وإن كان يخشى أن تضيع الفرصة بما يسمونه التدريج

هذه ست مسائل فى موضوع الازهر أطال القول فيها وانتقل منها الى المسائل الاخرى وأهمها تخطئته أذكياء المسلمين الذين يريدون خدمة الاسلام من طريق السياسة والى يأس من يعرفه من كبراء المسلمين من نهوضهم وتخطئتهم فى ذلك. وقال لي في حديث آخر ان نفسي توجهت لاصلاح الازهر منذ كنت مجاورا فيه بعد التلقي عن السيد جمال الدين وقد شرعت فى ذلك فحيل بيني وبينه ثم كنت اترقب الفرص فما سنحت الا واستشرفت اليها وأقبلت عليها حتى اذا ماصدفت الموانع لويت وصبرت مترقبا فرصة أخرى. وبعد ان عدت من النفي حاولت اقناع الشيخ محمد الانبابي بشيء فلم يصادف قبولا. قلت له مرة هل لك أيها الاستاذ ان تأمر بتدريس مقدمة ابن خلدون في الأزهر ووصفت له من فوائدها ماشاء الله ان أصف فقال ان العادة لم تجر بذلك. فانتقلت به في شجون الحديث الى ذكر الشيوخ وسألته منذ كم مات الاشموني والصبان؟ قال منذ كذا قلت انهما حديثا عهد بوفاة وهذه كتبهما تقرأ بعد ان لم تجر العادة بذلك. فسكت ولم يدخل فى الحديث

وقال لي مرة أخرى ان بقاء الازهر متداعيا على حاله فى هذا العصر محال فهو إما ان يعمر وإما ان يتم خرابه وانني أبذل جهد المستطيع فى عمرانه فان دفعتني الصوادف الى اليأس من اصلاحه فانني لاأيأس من الاصلاح الاسلامي بل أترك الحكومة وأختار افراداً من المستعدين فأربيهم على طريقة التصوف التي ربيت عليها ليكونوا خلفا لي في خدمة الاسلام ثم

أؤلف كتابا فى بيان حقيقة الازهر أمثل فيه أخلاق أهله وعقولهم ومبلغ علومهم وتأثيرهم فى الوجود وأنشره باللغة العربية ولغة أفرنجية حتى يعرف المسلمون وغيرهم حقيقة هذا المكان التي يجهلها الناس حتى من أهله

لما جلس عباس باشا حلمي على كرسي الخديوية تجددت للبلاد المصرية آمال، وتوجهت الى أعمال، كان الغرض منها إزلة الاحتلال، ولو كان هذا الغرض مما ترجى اصابته بسهام المصريين ، لكان الفقيد يكون في طليعة العاملين، لأنه كما نعلم أنفذهم رأيا، وأقواهم عزما، وأخلصهم قلبا، ولكنه كان يعتقد بعد ذلك السعي الذي أشرنا اليه أن المسألة لا يمكن أن تحل الا باتفاق الدول العظام وأن الرجاء فى اتفاقهم بعيد كما تبين . فأراد أن يكون حظه من حب الأمير الجديد للعمل السعي في اصلاح الأزهر بنفسه واقناع الأمير بالسعي في اصلاح المحاكم الشرعية والاوقاف لأن هذه المصالح الثلاث إسلامية محضة لا مقاومة فى اصلاحها للقوة المحتلة ولا منها فاتصل بالامير وحظي عنده وكاشفه برأيه كما كاشف الحكومة بأمله فى الأزهر وجاء بما جاء من آيات الاقناع به حتى توصل الى إنشاء قانون تمهيدي للإصلاح يديره مجلس مؤلف من أكابر علماء المذاهب فى الأزهر ينتخبون انتخابا وقد جعل هو وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان من أعضائه على انهما من قبل الحكومة لا رأي لشيخ الازهر ولا للمجلس في انتخابهما ولا فى استبدالهما وكان الشيخ محمد الانبابي الذي هو شيخ الأزهر لذلك العهد مريضا وقد كثرت شكوى الشيوخ من إدارته فعين الشيخ حسونة وكيلا له بعد أن أخذ عليه العهد باقامة النظام والاتفاق مع الفقيد على الاصلاح

عين الشيخ حسونه وكيلا لمشيخة الأزهر مأذونا بإدارة شؤونه لسبع

خلون من جمادى الثانية سنة ١٣١٢ وصدر الأمر العالي بتشكيل مجلس إدارة الأزهر لست خلون من رجب من تلك السنة أي في الشهر الثاني ثم كان سعي في إقناع الشيخ الانبابي بالاستقالة يكاد يكون أمرا حتما فاستقال وصدر الأمر العالي بتولية الشيخ حسونة شيخا للازهر فى ٢ المحرم سنة ١٣١٣

كان الاستاذ الامام ، روّح الله روحه فى دار السلام ، يحب أن يجري الاصلاح في الأزهر باقناع كبار مشايخه ورضى أهله فبدأ باستمالتهم بتكثير رواتبهم فسعى لدى المستشار المالي الاسبق وطلب تعيين مبلغ من خزينة المالية لمساعدة الأزهر الذي يخرّج للحكومة كذا رجالا من القضاة الشرعيين والمفتين والمأذونين فأجيب الطلب وعين فى ميزانية سنة ١٨٩٥ م مبلغ ألف جنيه للازهر على أن تصرف بنظام معلوم لا برأي شيخ الأزهر وميله على ما كان يعهد فى الأزهر مع الوعد بالزيادة على هذا المبلغ في فرصة أخرى اذا جاء بفائدة فكان هذا حجة للفقيد على وجوب وضع قانون للمرتبات فى الازهر ليكون لكل عالم حق معلوم يتناوله فى وقته من غير تزلف إلى شيخ الجامع أو غيره. وتلا هذا القانون قانون كساوي التشريف ومرتباتها وكان الرأي فيها من قبل لشيخ الجامع يعطي من يشاء ويمنع من يشاء فصارت تعطى لمستحقها من غير سعي ولا تزلف فسرّ الشيوخ بذلك سرورا عظيما

بعد هذا وجه الفقيد عنايته فى المجلس الى نظام التدريس والامتحان وبيان وسائل العلوم ومقاصدها وجعل التدريس فيها على طريق توصل الى الغاية منها وبعد اجتماع ومذاكرات طويلة وضع القانون لذلك واحتيج فى تنفيذه الى المال فلجأ الفقيد الى اريحية الأمير فصدر الأمر لديوان

الاوقاف بصرف ٣٣٧٤ جنيها للأزهر بينت مصارفها ومنها ٤٦٤ جنيها لانشاء دار الكتب الازهرية . ثم وضع نظام آخر لتوزيع الجرايات بالعدل

أما نظام التدريس واختيار كتب العلوم فهو الذي أحب الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ان يجعله برأي كبار الشيوخ ليسهل تنفيذه بالرغبة ، ولا يثقل عليهم إلزامهم به من جانب القوة ، وليتعود أهل هذا المكان على البحث فى الأمور المهمة ، والتعاون على ما ينفع الأمة ، فوضع مشروع نظام التدريس واختيار الكتب واقترح ان تؤلف لجنة من كبار الشيوخ للبحث فيها واقرار مايرونه نافعا فألفت اللجنة من أكثر من ثلاثين عالما وجعل الشيخ سليم البشري أحد أعضاء مجلس الادارة رئيسا لها . ثم انتخب منها لجنة للبحث في كل فرع من المشروع وابداء رأيها فيه للجنة الكبرى وكانت هذه اللجنة مؤلفة من بضعة نفرهم أكابر شيوخ الازهر وضم اليهم الاستاذ الامام من قبل مجلس الادارة وبعد ان اتمت هذه اللجنة عملها قدمته إلى اللجنة الكبرى فأقرته هذه بعد تحوير قليل لا يذكر. وكانت مشيخة الازهر قد أسندت يومئذ الى الشيخ سليم البشري الذي أوقف كل ما كان المجلس شرع فيه فأوقف أيضا مشروع اصلاح التدريس بل كان المجلس يقرر الشيء بالاتفاق مع رئيسه الشيخ سليم ثم انه لا ينفذه ولم يكن القصد من ذلك الا إحباط سعي الاستاذ الامام وابقاء القديم على حاله ولقد كان قادرا على الالزام بالتنفيذ بطلبه رسميا من الحكومة ولكنه لم يكن يحب أن يكون للحكومة تصرف فى الأزهر بل ان يبقى مستقلا يصلح أهله برضى واقتناع وهل يبقى كذلك بعده ؟ الله أعلم والايام تظهر ما يعمل

وكان من الاصلاح الذي تم فى الازهر بسعيه رحمه الله تعيين طبيب للازهر

وصيدلية (أجزاخانه) خاصة به في نفس الجامع وانارة المسجد بالغاز البخاري وانشاء الميضأة على الاصول الصحية وتجديد مبان صحية فى الاروقة وغير ذلك مما نفصله في التاريخ . ومن شاء ان يطلع على ذلك بالتفصيل التام ، فليرجع الى كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر) الذي طبع فى هذا العام (١)

وقد انتقل الازهر بهذا الاصلاح من خلل عام الى شيء من النظام، ومن حالك الديجور، الى بصيص من النور، ولم يتم عمل من الاعمال على ما كان يحب رحمه الله تعالى . ولكن الاصلاح الحقيقي الذي كان روحا محييا ونورا مبصرا فهو ما كان يلقيه من دروس التوحيد والتفسير والبلاغة والمنطق فهذه الدروس هي التي حولت نفوسا كثيرة عن السبيل المتفرقة الى سبيل الله وصراطه وهي محل الرجاء في هذا المكان ، (للسيرة بقية)

مرثية محمد حافظ افندى ابراهيم فى الاستاذ الامام رضي الله عنه

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على ايامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجى ... على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت اخشى عادي الموت قبله ... فأصبحت أخشى ان تطول حياتي
فوالهفي والقبر بيني وبينه ... على نظرةٍ من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعا ... كأني حيال القبر في عرفات
لقد جهلوا قدر الامام فانزلوا ... تجاليده في موحش بفلاة (٢)
ولو أضرحوا بالمسجدين لانزلوا ... بخير بقاع الارض خير رفات

---

(١) هو تاريخ يبين ماكان عليه الازهر قبل الاصلاح وماصار اليه بعده صورة ومعنى وصفحاته ١٢٤ وثمن النسخة منه ٤ قروش واجرة البريد قرش واحد ويطلب من ادارة المنار ومن بعض المكاتب بمصر (٢) تجاليد الانسان جسمه

تباركت هذا الدين دين محمد ... أيترك فى الدنيا بغير حماة
تباركت هذا عالم الشرق قدقضى ... ولانت قناة الدين للغمزات

***

زرعت لنا زرعا فأخرج شطأه ... وبنت ولما نجتن الثمرات
فواهاً له ألاّ يصيب موفقاً ... يشارفهُ والارضُ غيرُ مَوات
مددنا إلى (لأعلام) بعدك راحنا ... فردّت الى اعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغي سواك عيوننا ... فعدنَ وآثرن العمى شرقات
وآذوك فى ذات الاله وأنكروا ... مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الاذى فى جانب الله لذة ... ورحت ولم تهمم له بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبا فى غياهب ... ومعرفة فى أنفس نكرات
ابنت لنا التنزيل حكما وحكمة ... وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجى ... فاطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفت لهانوتو وربنان وقفة ... امدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله فى كل موقف ... فخافك أهل الشك والنزغات
وكم لك فى إغفاءة الفجر يقظة ... نفضت عليها لذة الهجعات
ووليت شطر البيت وجهك خاليا ... تناجي اله البيت فى الخلوات
وكم ليلة عاندت في جوفها الكرى ... ونبهت فيها صادق العزمات
وارصدت للباغي على دين أحمد ... شباة يراع ساحر النفثات
اذا مس حد الطرس فاض جبينه ... باسطار نور باهر اللمعات
كأن قرارِ الكهرباء بشقه ... يريك سناه أيسرُ اللمسات

***

فياسنة مرّت بأعواد نعشه ... لانت علينا أشأم السنوات
حطمت لنا سيفا وعطلت منبرا ... واذويت روضا ناضر الزهرات
واطفأت نبراسا واشعلت انفسا ... على جمرات الحزن منطويات
رأى فى لياليك المنجم ما رأى ... فأنذرنا بالويل والعثرات
ونبأه علم النجوم بحادث ... تبيت له الابراج مضطربات
رمى السرطان الليث والليث خادر ... وربَّ ضعيف نافذ الرميات
فاودى به ختلا فمال الى الثرى ... ومالت له الاجرام منحرفات
وشاعت تعازي الشهب باللمح بينها ... عن النير الهاوي الى الفلوات
مشى نعشه يختال عجبا بربه ... ويخطر بين اللمس والقبلات
تكاد الدموع الجاريات تقله ... وتدفعه الانفاس مستعرات
بكى الشرق فارتجت له الارض رجة ... وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففي الهند محزون وفى الصين جازع ... وفى مصر باك دائم الحسرات
وفي الشام مفجوع وفي الفرس نادب ... وفي تونس ماشئت من زفرات
بكى عالَمُ الاسلام عالم عصره ... سراج الدياجي هادم الشبهات
ملاذ عيايل ثمال أرامل ... غياث ذوي عدم إمام هداة
فلا تنصبوا للناس تمثال عبده ... وان كان ذكرى حكمة وثبات
فاني لاخشى ان يضلوا فيومئوا ... الى نور هذا الوجه بالسجدات
فياويح للشورى اذا جد جدها ... وطاشت بها الآراء مشتجرات
وياويح للفتيا اذا قيل من لها ... وياويح للخيرات والصدقات
بكينا على فرد وان بكاءنا ... على أنفس لله منقطعات
تعهدها فضل الامام وحاطها ... باحسانه والدهر غير موات

فيا منزلا في عين شمس أظلني ... وأرغم حسادي وغم عداتي
دعائمه التقوى وآساسه الهدى ... وفيه الأيادي موضع اللبنات
عليك سلام الله مالك موحشا ... عبوس المغاني مقفر العرصات
لقد كنت مقصود الجوانب آهلا ... تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابة ارزاق ومهبط حكمة ... ومطلع أنوار وكنز عظات

﴿ المنار الاسلامي واللواء الوطني ﴾

بين المنار الاسلامي وجريدة اللواء الوطنية تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامي ويثبت ان المسلمين لايرتقون الا بترك البدع ورجوعهم في الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية في أمر الدنياء ويدخل في الاول ان كل مسلم أخ لكل مسلم وفي الثاني ان أهل كل قطر من الاقطار ينبغي لهم التعاون على عمرانه لا يفرق بينهم في ذلك دين ولا مذهب . وجريدة اللواء لارأي لها في الدين والاصلاح يسقطها ولكن لها وطنية عمياء من معناها انه يجب على كل مصري ان يتعصب على كل من يقيم في مصر من غير أهلها الاقدمين وان كان مسلما وعلى كل مصري مسلم ان يتعصب على كل مصري ليس بمسلم وهذا مما ينقضه المنار ولذلك ترى جريدة اللواء تقدح في المنار وقلما نطلع على شيء من طعنها . وقد صارت في هذه السنة تسند الطعن الى بعض الاقطار إما اختلاقا وإما لأن مثل أحمد المنوفي كتب اليها بذلك (هذا الرجل من باعة الكتب كالذين يطوفون بالازبكية وسافر الى كلكته فصار امام مسجد بها) فتسمي ذلك صوت اللواء في الهند!! . وقد يجيئها ما يفند مطاعنها فلا تنشره كما ترى في الرسالة الآتية التي كتب الينا مرسلها من سنغافورة صورتها وكلفنا نشرها ان لم تنشر في اللواء وهي

عن سنغافوره في ٢٧ جماد أول سنة ١٣٢٣ الى مصر القاهره .

حضرة الفاضل سعادتلو أفندم صاحب اللواء دام علاه

بعد السلام قد اطلعت على ما كتبه في جريدتكم الغراء في العدد ١٧٥١ حضرة الفاضل الهندي المولوي عبد المجيد المرادآبادي أحمد مدرسي العلم الشريف بكلكتا فتأسفت كثيرا لاني لم أكن طالعت شيئاً من أفكار علماء الهند قبل في هذا الموضوع

وظننت حينئذ انهم في جمود وخمود لا كما كنت أظن وأسمع حتى رأيت ما كتبتموه من كلام حضرة المفضال النواب محسن الملك كثر الله أمثاله وحفظه فسري عني ذلك الاسف وحل محله الرجاء وقد أعجبني كثيرا مما كتبتم على كتابه الاخير . فجزى الله أحسن الجزاء كل داع الى الهدى نابذ للتعصب الاعمى

اللهم الا انه وقع عندي موقع الاستغراب جهل المولوي انتشار المنار بالهند وخصوصاً في كلكته اذ حضر لدي وقت قراءتي تلك الرسالة أحد أهل كلكته ممن يقرأ المنار منذ سنين من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويعرفون الرجال بالحق لا بالعكس وقد أفادني ان للمنار هناك سمعة حسنة ولكثير من الجرائد والمجلات العربية والمصرية .

أما حصر المولوي ما وجد في المنار في نبذ المذاهب الاربعة فشيء اختص هو به فليعد النظر ان لم يعمه تعصبه ليعلم ان المنار يدعو الى نبذ نحو قولهم (اذا زنى الرجل بأمه أو بنته بعد ان يعقد عليها صارت له فراشاً ولا حد عليهما) وامثال ذلك وصاحب المنار ومن على شاكلته هم المتبعون للائمة عليهم الرضوان لان الائمة لم يكونوا مقلدين جامدين بل أفنوا اعمارهم في اقتباس العلم من الكتاب والسنة

وتنظيره بالخوارج مما دلنا على كمال عقله وعلمه بالدين والتاريخ فلا اطيل الكلام مع من كان اعمى او يتعامى لكننا ننصح لذوي الشأن في المدارس بأن لا يثقوا بمن هذا علمه وعقله وغالب الظن ان ذلك الكاتب لا عالم ولا متعلم بل متعصب متخبط أراد التضليل فنسب نفسه الى العلم والتدريس والا فليكتب لنا العبارة المنتقدة بنصها ثم ليرد عليها بالدليل لا بقال وقيل . وانى له ولامثاله ذلك فيقال له (ليس بعشك فادرجي) ولسنا ممن يعتقد العصمة للمنار ولكننا نعلم ان المتعصبين لا ينكرون الامر الحق . واما تربصه الدوائر لمن ينفي تحريف المبطلين وانتحال الغالين عن هذا الدين فنقول له ولشيعته تربصوا فانا معكم متربصون والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين افندم

شيخ بن احمد الهادي

﴿ مشروع بناء مسجد في باريس ﴾

خطر هذا المشروع للخواجه (ليون لامبير) المقاول في مصر من عدة شهور وكاشف به بعض وجهاء مصر فعلم منهم انه لا يرجى نجاحه الا اذا كان تحت رئاسة فقيد الاسلام والشرق الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فأرسل أحد أولاده (فليكس لامبير) بكتاب منه الى الامام عندما ذهب الى رمل الاسكندرية مريضاً فمنعناه من مقابلته لان صحته لا تسمح

له بالكلام ولا الفكر في الاعمال فعاد لى مصر وأرسل الي بعد ذلك كتاباً في ٢١ يوليو يرجوني فيه رجاء مؤكداً أن أعرض المشروع على الامام في الوقت المناسب وأرسل معه قائمة كتب في أعلاها (أسماء المتحدين على مشروع بناء جامع في مدينة باريس تحت رياسة فلان الخ) ورغب الي أن أكلف الامام بامضاء القائمة ثم أعرضها على بعض وجهاء الاسكندرية ثم أرسلها اليه لكي يتيسر له امضاؤها من وجهاء مصر. وانني لم أر فرصة مناسبة لمذاكرة فقيدنا في هذا المشروع لاعرف رأيه فيه وبعد ان توفاه الله تعالى بلغني ان الرجل رغب الى شيخ الازهر ان يجعل المشروع تحت رياسته فقبل فعسى ان ينجح المشروع ويبنى المسجد في مكان يسهل على المسلمين في باريس القصد اليه والصلاة فيه ولا يكون كجامع لوندن (لوندره) الذي حدثنا عنه الأستاذ الامام رضي الله عنه بما يأتي قال

خطر لرجل يهودي كان مستخدماً في الهند ان يجمع من المسلمين مالا يبني به مسجدا في لوندره فجمع خمسين الف جنيه ثم جاء لوندره فبنى مسجداً في خارجها على مسافة ساعة في السكة الحديدية وهو مكان لا يصل اليه احد من المسلمين في لوندره فهو مغلق دائما لا يصلي فيه احد. وقد اشترى الرجل ارضا لنفسه عند الجامع وبنى فيها بيتا انزهته واذا علم بأن بعض امراء المسلمين او اغنيائهم زار لوندره يبحث عنه ويدعوه الى داره والى رؤية المسجد ولما زار امير الافغان لهذا العهد لوندره — وكان يومئذ ولي العهد للامارة — اجاب دعوة هذا اليهودي وبعد الطعام اعطاه خمس مئة جنيه. ولا يخال احد ان الامير كان مبسوط الكف لكل احد يتصل به او يخدمه فقد كان خالد افندي استاذ اللغة التركية في مدرسة كمبردج (مهمنداراً) للامير في لوندن لزم خدمته واعد له كل وسائل الراحة وهو لم ينعم عليه الا بجنيه واحد لم يقبله

والعبرة في هذا المقام ان المسلمين قد فتنوا بهؤلاء الاجانب فتوناً فالخواجه المجهول منهم يحظى عند كبيرهم وصغيرهم ويسهل عليه أن يبلغ منهم ما لا يبلغه اوسعهم علما وابعدهم فهما واشدهم غيرة واطهرهم سريرة فلو ان مسلما حاول جمع المال من الهند او مصر لبناء مسجد في لندن او باريس لعجز ولكن الاجنبي لا يعجز عن استخدام نفوذ كل كبير فيهم حتى رجال الدين وما احوجنا الى رجال يسبرون غور الاجانب فيستفيدون من خيارهم ما ينفع الامة ويتوقون شر شرارهم ويدفعونه عنها كما كان يفعل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وجزاه عن هذه الامة افضل الجزاء

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — غرة رجب سنة ١٣٢٣ — ٣١ اوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٢٦:٢٢٧) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ*

بعد ان بين سبحانه وتعالى أن الطلاق مرتان وأنه يكون بلا عوض وقد يكون بعوض قال (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) أي فان طلقها بعد المرتين طلقة ثالثة فلا يملك مراجعتها بعد ذلك الا إذا تزوجت بآخر زواجا صحيحا مقصودا حصل به ما يراد بالزواج من الغشيان. قال الاستاذ الامام عبر عن الطلقة الثالثة بإن دون إذا للإشعار بأنها لا ينبغي أن تقع مطلقا كأنه تعالى لا يرضى أن يتجاوز الطلاق المرتين. والنكاح له إطلاقان العقد وما وراء العقد وهو المقصود منه وقد ذهب

سعيد بن المسيب الى أن الحل يحصل بمجرد العقد وهو خلاف ماعليه الجماهير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذ قالوا لابد من العقد وما وراء العقد أخذا من إسناد النكاح إلى المرأة مع العلم بأن المرأة لاتتولى العقد ومن تسمية من تنكح زوجا . وهذا هو الموافق لحديث العسيلة الصحيح والمنطبق على الحكمة فى منع المراجعة

روى الشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجني عبد الرحمن بن الزبير وما معه إلا مثل هدبة الثوب: فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال «أتريدين أن ترجعي الى رفاعة؟ لاحتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» والعسيلة كناية عن أقل مايكون من تغشي الرجل للمرأة . وذكر السيوطي فى أسباب النزول ان هذه الآية نزلت فى امرأة رفاعة هذه واسمها عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك ورفاعة بن وهب بن عتيك ابن عمها. وساق الحديث من رواية ابن المنذر عن مقاتل ابن حيان وفيه انها قالت إنه طلقني - أي عبد الرحمن بن الزبير - قبل أن يمسني أفأرجع الى الأول؟ قال «لا حتى يمس»

وقال المفسرون والفقهاء فى حكمة ذلك انه اذا علم الرجل ان المرأة لاتحل له بعد ان يطلقها ثلاث مرات الا اذا نكحت زوجا غيره فانه يرتدع لانه مما تأباه غيرة الرجال وشهامتهم لاسيما اذا كان الزوج الآخر عدوا أو مناظرا للأول . ولنا ان نزيد على ذلك أن الذي يطلق زوجه ثم يشعر بالحاجة اليها فيرجعها نادما على طلاقها ثم يمقت عشرتها بعد ذلك فيطلقها

ثم يبدو له ويترجح عنده عدم الاستغناء عنها فيرجعها ثانية فانه يتم له بذلك اختبارها لأن الطلاق الاول ربما جاء عن غير روية تامة ومعرفة صحيحة منه بمقدار حاجته إلى امرأته ولكن الطلاق الثاني لايكون كذلك لأنه لايكون الا بعد الندم على ما كان أولا والشعور بأنه كان خطأ ولذلك قلنا ان الاختبار تم به فاذا هو راجعها بعده كان ذلك ترجيحا لإمساكها على تسريحها ويبعد أن يعود الى ترجيح التسريح بعد أن رآه بالاختبار التام مرجوحا. فان هو عاد وطلق ثالثة كان ناقص العقل والتأديب فلا يستحق أن تجعل المرأة كرة بيده يقذفها متى شاء تقلبه ويرجعها متى شاء هواه بل يكون من الحكمة أن تبين منه ويخرج أمرها من يده لأنه علم ان لا ثقة بالتئامهما وإقامتهما حدود الله تعالى . فان اتفق بعد ذلك أن تزوجت برجل آخر عن رغبة واتفق ان طلقها الآخر أو مات عنها ثم رغب فيها الأول وأحب ان يتزوج بها وقد علم أنها صارت فراشا لغيره ورضيت هي بالعود اليه فان الرجاء في التئامهما وإقامتهما حدود الله تعالى يكون حينئذ قويا جدا ولذلك أحلت له بعد العدة . وقد شرحنا الحكمة بناء على مافسرنا به كون الطلاق مرتين وكون النكاح لزوج آخر هو ما يكون بين الزوجين بعد العقد الصحيح وهو الحق

(فان طلقها) الزوج الثاني (فلاجناح عليهما) أي الزوج الثاني والمرأة (ان يتراجعا) هذا ما اختاره الاستاذ الامام خلافا للجلال وغيره من القائلين ان المراد الزوج الأول والمرأة قال وحكمته بعد قوله تعالى «وبعولتهن أحق بردهن» هي إزالة وهم من يتوهم من أن الزوج الأول يكون أحق بها ولا تظهر لنا حكمة فى قولهم ان المراد الزوج الأول والمرأة.

وعلى كل من القولين لابد فى التراجع من مراعاة شرطه وهو قوله (ان ظنا أن يقيما حدود الله) أي ان ترجح عند كل منهما انه يقوم بحق الآخر على الوجه الذي حدّه سبحانه وتعالى فلا بد من حسن القصد وسلامة النية من كل من الزوجين لأن الله تعالى ماوضع هذه الحدود للزوجين الا ليصلح حالهما ويستقيم عملهما فان كانت هناك نية سوء فان هذا التراجع لاقيمة له عند الله تعالى وإن صح عند القاضي أو المفتي عملا بالظاهر. وقد فسر بعضهم الظن هنا بالعلم ولا وجه له إذ لا يعلم أحد باليقين كيف يعامل الآخر فى المستقبل ويكفي أن ينوي إقامة الحدود الشرعية ويغلب على ظنه القدرة على تنفيذ ما نواه. قال (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) أي يبينها فى كتابه لأهل العلم بفائدتها وما فيها من المصلحة ومن علم المصلحة في شيء كان مندفعا بطبعه إلى العمل به وإقامته على الوجه الذي تتحقق به الفائدة منه - يبينها لهؤلاء الذين يعلمون الحقائق لأنهم هم الذين يقيمونها لامن يجهل ذلك فيأخذ بظاهر قول المفتي أو القاضي ولا يجعل لحسن النية وإخلاص القلب مدخلا فى عمله فيرجع الى المرأة وهو يضمر لها السوء ويبغيها الانتقام: وقد بينا معنى هذه الحدود فى تفسير «ولهن مثل الذي عليهن» فارجع اليه ان كنت نسيته

ألا إن الآية صريحة فى أن النكاح الذي تحل به المطلقة ثلاثا هو ما كان زواجا صحيحا عن رغبة وقد حصل به مقصود النكاح لذاته فمن تزوج بامرأة مطلقة ثلاثا بقصد إحلالها للأول كان زواجه غير صحيح بل هو معصية لعن الشارع فاعلها وهو لا يلعن من فعل فعلا مشروعا ولا تحل به المرأة للأول فان عادت اليه كانت حراما ومثال ذلك مثال من

طهر الدم بالبول وهو رجس على رجس. وبهذا قال مالك وأحمد والثوري وأهل الظاهر وخلائق غيرهم من أهل الحديث والفقه. وقال الاستاذ الامام ان نكاح التحليل شر من نكاح المتعة وأشد فسادا وعارا. وقال آخرون من الفقهاء انه جائز مع الكراهة مالم يشترط فى العقد لأن القضاء بالظواهر لا بالمقاصد والضمائر. نقول نعم ولكن الدين القيم أن يكون الظاهر عنوان الباطن والا كان نفاقا على ان باغي التحليل ليس بمتزوج حقيقة الزواج الذي شرعه الله وبينه لا عند نفسه ولا عند من أراده على التحليل وتواطأ معه عليه وقد أوضح ذلك الحافظ الفقيه ابن القيم فى اعلام الموقعين أتم الايضاح(*) ومن غرائب الانتصار للتقليد ان استدل بعضهم (كالآلوسي) على صحة نكاح المحلل بتسميته محللا فى الحديث الناطق بتحريم التحليل وانما سماه بذلك من أرادوه أول مرة عند حاجتهم اليه وبعد التسمية سئل عنه الشارع فلم يجز عمله ولا يصح ان تكون حكاية لفظ الاسم مبطلة لمضمون الحكم فالناس هم الذين سموا والشارع هو الذي حرم كما ترى فى حديث ابن عباس الآتي وانما نثبت هنا ما أورده ابن حجر المكي فى الزواجر من الاخبار والآثار فى تحريم التحليل قال

أخرج أحمد والنسائي وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا أخبركم بالتيس المستعار» قالوا بلى يارسول الله قال «هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له» قال الترمذي والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر وابنه وعثمان رضي الله عنهم وهو قول الفقهاء من التابعين* و(روى) أبو اسحاق الجوزجاني عن ابن عباس رضي

(*) راجع بحث تحريم التحليل في ص ٥٤٦ من مجلد المنار السادس

الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال «لا، إلا نكاح رغبة لا دلسة ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ثم تذوق العسيلة» وروى ابن المنذر وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والاثرم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما: فسئل ابنه عن ذلك فقال: كلاهما زان: وسأل رجل ابن عمر فقال ماتقول في امرأة تزوجتها لاحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم فقال له ابن اعمر: لا، الا نكاح رغبة ان أعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقتها وان كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: وسئل عن تحليل المرأة لزوجها فقال ذلك هو السفاح. * وعن رجل طلق ابنة عمه ثم ندم ورغب فيها فأراد ان يتزوجها رجل ليحلها له فقال: كلاهما زان وان مكثا عشرين سنة أو نحوها اذا كان يعلم انه يريد ان يحلها: وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عمن طلق امرأته ثلاثا ثم ندم فقال: هو عصى الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا فقيل له فكيف ترى في رجل يحلها له؟ فقال من يخادع الله يخدعه: » اه

وان ترى مع هذا ان رذيلة التحليل قد فشت في الاشرار الذين جعلوا رخصة الطلاق عادة ومثابة لاسيما مع الفتوى والحكم بأن الطلاق مرة واحدة بلفظ الثلاث يقع ثلاثا، اتخذ غوغاء المسلمين دينهم هزوا ولعبا فصار الاسلام نفسه يعاب بهم وما عيبه سواهم. وقد رأيت في لبنان رجلا ولع بشراء الكتب الاسلامية وغيرها وأكثر من النظر فاهتدى الى حقية الاسلام مع الميل الى التصوف وقال لي لم اجد في الاسلام غير ثلاثة عيوب لا يمكن ان تكون من الله اقبحها مسألة «التجحيش» أي التحليل فبينت له الحق فاقتنع

تتمة سيرة الاستاذ الامام

(افتاء الديار المصرية وخدمة الاوقاف والمحاكم الشرعية)

في ست بقين من المحرم سنة ١٣١٧ (٣ يونيو سنة ١٨٩٩) صدر الامر العالي بناء على قرار مجلس النظار بتعيين الفقيد مفتيا للديار المصرية وكان الامير أيده الله بتوفيقه هو الذي اختاره لذلك أولا. وقد رأيته في أول الامر غير مرتاح الى هذا المنصب وإن كان شريفا لانه ليس فيه أعمال عمومية ولكن الرجل الذي قدر على ان يجعل التحرير في الجريدة الرسمية وسيلة للاصلاح في الحكومة والارشاد للأمة لا يعجز عن التوسل بأكبر منصب شرعي الى الخدمة الملية العامة وكذلك كان فانه به خدم القضاء الشرعي والاوقاف الاسلامية أجل خدمة. وزادت في أيام هذا المنصب شهرته وكثر عدد العارفين بفضله حتى كاد يكون المرجع في الفتوى لجميع مسلمي الأرض وناهيك باستفتاء مثل مفتي بنجاب اياه

كان أول عمل جليل له بعد ان صار مفتيا تفتيش المحاكم الشرعية في القطر كله وإظهار جميع ما فيها من الخلل وبيان مناشئه فمنها ما كان من تقصير الحكومة ومنها ما هو من تقصير القضاة والكتاب وقد كتب في ذلك تقريره المشهور فكان مدهشا للافكار في دقة بحثه وتشخيصه داء هذه المحاكم؟ ووصفه للعلاج الذي لا شفاء بدونه وقد عجب الجبناء من شجاعته اذ خاطب الحكومة رسميا ببيان تقصيرها وطالبها بإزالته. وقد أحلت الحكومة هذا التقرير محل الاعتبار وألفت لجنة في نظارة الحقانية للبحث في تنفيذ ما تيسر تنفيذه منه بالتدريج

وكان رحمه الله صاحب الرأي المنير في مجلس الأوقاف الأعلى بما كان

يطبق الأعمال على الشرع والمصلحة وأهم خدمة له فيه مشروع المساجد الذي وضعه لعمارة بيوت الله تعالى وإحياء الدين وعلومه وترقية الخطابة وبث الإرشاد فى الأمة وقد نوهنا به في المنار من قبل ونشرنا فى الجزء الثامن من هذا المجلد ما أقره المجلس من ذلك المشروع ثم صدر الامر العالي بتوقيف تنفيذه ثم صدر أمر آخر بتنفيذ شيء منه . ومن هذا المشروع تعلم انه رحمه الله تعالي كان يتوسل بكل عمل يدخل فيه الى إحياء العلم وهداية الدين وتربية المسلمين

﴿ عمله فى مجلس الشورى ﴾

فى سنة ١٣١٧ - ١٨٩٩ عين عضوا دائما فى مجلس الشورى فانتقل المجلس به من حال إلى حال . كانت الحكومة قلما تحفل برأي المجلس وكان المجلس في نظر الأمة وفى نظر أعضائه الوكلاء عنها غير مضطلع بما أوجد لأجله حتى ان جلساته كانت قلما تلتئم على أصول نظامه بحضور جميع أعضائه أو معظمهم . فلما دخله نفخت فيه روح جديدة زال بها سوء التفاهم بينه وبين الحكومة فصارت تحفل برأيه وتحله من الاعتبار مالم تكن تحله فتأخذ برأيه فيما يمكن الأخذ به وتبين له سبب مالم تأخذ به وقوي رجاء أعضائه فى خدمتهم وانتظم عقد اجتماعهم وعظمت ثقة الأمة بهم وكان أكثر ماترسله الحكومة الى المجلس لينظر فيه يؤلف له لجنة تحت رياسة الفقيد لتدقق النظر فيه وتعرض رأيها على المجلس . وكان له رحمه الله الرأي العالي والصوت المسموع فى كل مسألة وكل مشروع فكنت تراه في المسائل المالية حاسبا اقتصاديا ، وفى المسائل الادارية اداريا ماهرا ، وفى اللوائح والقوانين قانونيا خبيرا ، وفي الامور الشرعية

إماما فقيها ، . وكان المجلس يعهد اليه مذاكرة الحكومة في الشؤون العظيمة ليكون الحد الاوسط فى شكل القياس لتخرج النتيجة فى خدمة البلاد صحيحة

وقد كادت أعمال المجلس تغتال معظم وقته فكنت أتألم من ذلك لاعتقادي ان وقته أثمن من أن ينفق فى خدمة المجلس فلا أكاد أجد فرصة الا وأرغب اليه فيها بالتخفيف والاقلال من الاشتغال بعمل المجلس حتى قلت له مرة ان الحكومة المصرية يشبه ان تكون أعمالها وقوانينها مؤقتة فهي عرضة للتغيير فرب عمل تنفق فيه أياما طويلة لتقره الحكومة على ما ترى انه أنفع للبلاد ولا تلبث هي بعد ان تقره ان ترجع عنه بعد زمن قصير أو طويل ويوشك ان تنفق فى تحقيق بعض الأمور اياما كثيرة ثم لا يتيسر اقناع الحكومة به أو تقتنع بأنه نافع ويمنعها مانع من العمل به ولو صرفت مثل هذه الاوقات فى الكتابة والتأليف لكان ماتكتب هداية لهذه الامة باقية مابقيت الامة : فقال ان الغرض الاول من العمل فى المجلس هو التعاون مع الاعضاء على الجد والاهتمام بالبحث فى الامور العامة ومصالح البلاد وتربية الرأي العام فى الامة ليكون ذلك إعدادا لنفوس طائفة منا لفصل الاحكام بالشورى فاذا ارتقت هذه الملكة فى الهيأة الحاضرة للمجلس فانها تنتقل منها الى الهيأة التي تخلفها ويكون ذلك جرثومة من جراثيم الاصلاح فى البلاد . فعلمت من هذا الجواب أنه لا يترك مذهبه فى الاصلاح من طريقة التربية العملية في عمل من اعماله وسيأتي ذكر مذهبه هذا فى محله

﴿ عمله في الجمعية الخيرية الاسلامية ﴾

يوجد في كل قطر من بلاد المسلمين أفراد تفرقت فيهم الفضائل

الكثيرة التي هي مناط حياة الأمم ولكن يعوزهم شيء للحياة الاجتماعية فى هذا العصر هو أهم شيء وعليه يتوقف كل شيء وهو التعاون على الخدمة العامة والاعمال المشتركة وانك لاتكاد ترى فى قطر إسلامي جمعيات ولا شركات ناجحة يرجى خيرها للأمة الا مابدأ به مسلمو الهند ومصر فى ظل الحرية الانكليزية ، ولا يزال كثيره فى مهد الطفولية ، ولم تنجح فى مصر جمعية من الجمعيات الكثيرة التي ألفت فيها بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة مثل نجاح الجمعية الخيرية الاسلامية ولم تصادف جمعية منها ماصادفته هذه الجمعية من الصدمات ، التي يعز فيها الصبر والثبات ، وكان الفضل الأول فى ثباتها ونجاحها للاستاذ الامام أحسن الله جزاءه

أنشئت الجمعية للتعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين وإعانة العاجزين منهم عن الكسب على شقاء الحياة فاتهمها أعداء البشر بالسياسة وسعوا بها الى ذوي النفوذ والسلطة ولولا سعيه في الدفاع عنها وإقناع أهل الحل والعقد بأنها خيرية محضة ليس من موضوعها ولا مما تقصد اليه شيء سياسي أو سري لعفت رسومها . ثم إنه خدمها بنفسه وبالتعاون مع أصفيائه المؤسسين لها معه كوكيلها وأعضاء ادارتها لهذا العهد خدمة جليلة حتى ارتقت عن طور الطفولة وصار ثباتها مضمونا بحول الله وقوته . ومما انفرد به فى خدمتها دعوة الأمراء والوجهاء والاغنياء الى الاشتراك فيها ومساعدتها وتحصيله منهم قيم الاشتراك إذا اقتضت الحال بذلك

أسست الجمعية سنة ١٣١٠ وفى سنة ١٣١٨ انتخب رئيسا لها فزاد اجتهاده فى خدمتها وكان من ارتقائها في زمن رياسته ان صار إيرادها فى السنة الماضية ١٠٣٩٥ جنيها وكان فى سنة (١٣١٧) ٤٤٣٠ جنيها وصارت

أطيانها ٥٣٣ فدانا وكانت قبيل ذلك ٢٨٠ فدانا وصارت مدارسها سبعا وكانت أربعا . على أنه كان يرى أن الفائدة الأولى المقصودة بالذات من الجمعية هي تعويد المسلمين الاجتماع للخير والتعاون على البر والخدمة العامة وإشعار قلوب الاغنياء عاطفة الرحمة والإحسان بالفقراء كما كان يصرح بذلك فى الاجتماع العامّ السنوي كل عام فهو فيها عامل بمذهبه فى تربية الأمة كما كان شأنه فى غيرها جزاه الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء

﴿ طبع الكتب النافعة وجمعية إحياء العلوم العربية ﴾

كان رضي الله عنه يرى أن حياة الامة بدون حياة لغتها من المحال وان حياة العلوم العربية بمثل هذه الكتب الازهرية محال وان لا بد للاصلاح من إحياء كتب أئمتنا وكبار علمائنا التي ألفت أيام كان العلم حيا فى الامة فكان يسعى لذلك سعيه وبهديه وإسعاده طبعنا ذينك الكتابين الجليلين اللذين هما روح علم البلاغة ـ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ـ للشيخ عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة ولولا تصحيح الفقيد لهما واستحضاره لنسخهما من الاقطار النائية لما تيسر طبعهما . وفى سنة ١٣١٨ أسست في مصر جمعية خاصة لهذه الخدمة تحت رئاسته سميت (جمعية إحياء العلوم العربية) كانت فاتحة أعمالها طبع كتاب (المخصص) لابن سيده في اللغة وهو كتاب لانظير له في بابه ولا غناء عنه فى إحياء اللغة فى هذا العصر . وقد شرعت بعده فى احياء مدونة الامام مالك وعني الفقيد رحمه الله تعالى باستحضار نسخها من تونس وفاس وغيرهما من البلاد ولولاه لما تيسر جمعها كلها ولنا رجاء عظيم فى بقائها وحسن خدمتها بهمة من كان وكيلها وليس لرئاستها بعد الفقيد سواه الا وهو حسن باشا عاصم

مؤلفاته ـ بحسب تاريخ تأليفها بالتقريب

(١ ـ الواردات) رسالة فى الكلام أو التوحيد على طريقة الصوفية وأسلوبهم وهي أول تأليفه ولعلنا ننشرها برمتها فى سيرته المطولة فقد كان أعطانا نسخة منها

(٢ ـ رسالة فى وحدة الوجود) وهي رسالة نفيسة لم أطلع عليها ولكنه هو الذى أخبرني بها وقال انها ليست بمعنى ما كتب عبد الكريم الجيلي وأمثاله مما هو أقرب الى مذاهب الحلول كالنصرانية منه إلى توحيد الاسلام ولكنها بأسلوب آخر وأراه يبين فيها مراتب الوجود وتعددها من وجه ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر ولعلنا نظفر بها ونطبعها

(٣ ـ تاريخ إسماعيل باشا) أخبرني بهذا الكتاب أحد تلامذته الأولين وقال ان عبد الله النديم كان أخذ من الفقيد نسخته فى أثناء الثورة العرابية ونشر منه فصولا فى جريدة الطائف بتصرف أو بغير تصرف ولم أسمع منه رحمه الله تعالى ذكرا لهذا الكتاب وكنت أظن أنه لم يصنف شيئا الا وقد أخبرني به لأنه قص عليّ تاريخه بالتفصيل وكتب إليّ شيئا مجملا منه كما علم القراء

(٤ ـ فلسفة الاجتماع والتاريخ)هو الكتاب الذي ألفه أيام كان يدرس مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار العلوم كما ذكرنا فى هذه السيرة وقد فقد هذا الكتاب عند ماعزله توفيق باشا من المدرسة ونفي السيد جمال وأخذت أوراقه. وكان طيب الله ثراه يقول أتمنى لو يحفظ هذا الكتاب من وقع فى يده ويدعيه لنفسه ولو بعد موتي لينتفع به الناس

(٥ ـ حاشية عقائد الجلال الدواني)وهي غاية الغايات في علم الكلام

وتحقيق مسائله وتحرير الخلاف بين المتكلمين وبيان ماهو لفظي منه وماهو حقيقي وقد كان السيد عمر الخشاب شرع فى طبعها ولعلها تتم عن قريب

(٦ ـ شرح نهج البلاغة) وهو شهير جدا وقد طبع فى بيروت مرتين وفى طرابلس مرة وفي مصر مرة

(٧ ـ شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني)وهو مطبوع فى بيروت ولم يعرف لغيره شرح لهذه المقامات وقد فرغ منه فى ١٦ رمضان سنة ١٣٠٦

(٨ ـ شرح البصائر النصيرية) في المنطق وهو شرح وجيز أطلق عليه لفظ التعليقات والكتاب عالي الاسلوب وهو من أحسن ما كتب المسلمون فى المنطق ولم يسبق لاحد قبله كتابة عليه فيما نعلم وقد قرأه درسا فى الجامع الازهر وحضرناه عليه ولعله لا يتسامى أحد الى تدريسه بعده وان كان من الكتب التي قرر مجلس ادارة الازهر تدريسها فيه رسميا الا ان يكون بعض من تلقاه عنه

(٩ ـ نظام التربية بمصر) رسالة فى الطريقة المثلى لتربية المصريين وتعليمهم وهي على إيجازها من أحسن ما كتب وأنفعه وستنشر فى تاريخه

(١٠ ـ رسالة التوحيد) وما أدراك ما رسالة التوحيد هي التي يصدق عليها القول المشهور «لم ينسج ناسج على منوالها ولم تسمح قريحة بمثالها» هي التي يصح أن تعد معجزة من معجزات النبي عليه السلام، وآية من آيات الاسلام، هي التي ينبغي ان تجعل أصل الدعوة الى هذا الدين، ويهم تلقينها جميع المسلمين، وقد قلت للاستاذ الامام رضي الله عنه إنه لولا اسم هذه الرسالة وما فى أولها من الاصطلاحات الكلامية الوجيزة لكان انتشارها أضعاف ماهو الآن، ولعم الانتفاع بها كل مكان، ولكن

البعيد ، اذا سمع باسم رسالة التوحيد ، يتوهم انها عقيدة كالسنوسية ، أو كالعقائد النسفية ، والقريب قد يأخذ نسخة منها ، فيصرفه ذكر الواجب والممكن والمستحيل عنها ، توهما انها فى علم الكلام ، الذي لا يتناوله الا الا العلماء الاعلام ، وقد كان رحمه الله تعالى عازما على بسط الكلام في هذه المقدمات ، وسائر مسائل الالهيات . وجعل الكلام فيها كالكلام فى النبوة ومزايا الاسلام ، موجها الى العقل والى الوجدان ، لا لمجرد تقرير وجيز للبرهان، وقد قرأها درسا فى الأزهر وتلقيناها عنه

(١١ - تقرير المحاكم الشرعية) هو على خصوصية موضوعه مفيد حتى لغير القضاة ومستخدمي هذه المحاكم من جميع أهل العلم والادب لا سيما طلاب علم الفقه فانه يعطيهم من البصيرة فى طريقة التحصيل على الوجه الذي ينتفعون به وينفعون مالا يجدونه فى سواه وفيه كثير من الفوائد الادارية والاجتماعية والادبية . وأحوج الناس اليه بعد القضاة وكتاب المحاكم المرشحون للقضاء وللكتابة فى هذه المحاكم

(١٢ - الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) وهو مقالات كتبها لمجلة المنار ثم جردناها منه وطبعناها على حدتها وسميناها بهذا الاسم باذنه فجاءت كتابا مستقلا يناهز مئتي صفحة وقد نفدت نسخ الطبعة الأولى فأعدنا طبعه

(١٣ - تفسير سورة العصر) كتبه لينشر فى المنار إجابة لرغبتنا ورغبة بعض أهل العلم فى مدينة الجزائر الذين حضروا هناك درسه فى تفسير السورة وقد كتب فى هامش تفسير جزء عمّ عند تفسير هذه السورة مانصه : «قد كتبنا تفسيرا لهذه السورة الشريفة نشر وحده بعد ان طبع فى

مطبعة جريدة المنار وهو ما كنا ألقيناه درسا فى مدينة الجزائر فى شهر جمادى الاولى سنة ١٣٢١ وفيه تفصيل طويل لما أجملناه فى هذا التفسير المختصر فمن أراد بيانا أوسع ، وتفصيلا أبدع ، فليطلب ذلك التفسير ، فهو فيما أعلم غير مسبوق بنظير» اه أقول اننا طبعناه بالقطع الصغير ليوضع فى الجيب وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ الامام في تونس وموضوعه العلوم الاسلامية وأقرب الطرق لتعلمها

(١٤ - تفسير جزء عم) هو على قرب العهد بطبعه أشهر من نار على علم وقد كان رواجه أكثر من رواج سائر كتبه على شدة الرغبة فيها كلها حتى انه قد وزع منه عدة ألوف فى عدة شهور وهذا شيء لم يعهد له نظير فى المطبوعات العربية

هذه هي مؤلفاته التامة ولا حاجة هنا لذكر ما بدأ به ولم يتمه وأما مقالاته التي نشرت قديما وحديثا فى الجرائد المصرية وغيرها فهي كثيرة جدا وكلها آيات بينات فى العلم والدين والادب نفع الله بها وأعاننا على احيائها (للسيرة بقية)

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثانية - لصاحب الامضاء

بقية الكلام فى النبوة

أليست العقائد الاسلامية أنزه العقائد وأبعدها عن مخالفة المعقول والوحيدة في قوة الحجة ومتانة البرهان (أنظر ماتقدم فى المقالة الاولى) . أليس في القرآن أصول الدلائل العقلية على صحة هذه العقائد مع الرد على من خالفها بأجلى بيان . أليس فى العبادات والاوامر والنواهي القرآنية مايطهر القلب ويصلح النفس والجسم معاً وأحوال الدين

والدنيا. أليس في القرآن من المسائل العلمية الطبيعية مالم يخطر على قلب بشر فى ذلك الزمن وفي تلك البلاد. ماذا يكون قول العامي اذا ذكر شيئاً عن البرق والرعد والصواعق وماذا يقع في كلامه من الاوهام ونحن في القرن العشرين للمسيح فما بالك إذا كان في القرن السادس فكيف لم يدخل مايذكره العامة من الخرافات فى القرآن ولم يذكرها محمد فيه اعتقاداً منه لها وجرياً على ما كان عليه معاصروه. فكم ذكرت هذه الاشياء فى القرآن وغيرها من عجائب الكون ومع ذلك لم يودعها إلا كل قول صحيح سالم من طعن الطاعنين فكيف تحاشى محمد الوقوع فيما يقع فيه مثله من العامة عند ذكر هذه المسائل. هل يعرف العامي الامي من العرب في ذلك الزمن أن كل الثمرات لها حياة كحياة الحيوان وأنها جميعها لها ذكر وأنثى وهو الامر الذي لم تقل به العلماء إلا فى الزمن الاخير (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) مع ان العرب لم تكن تعرف ذلك إلا في النخيل. هل يعرف العامي أن القمر ليس مضيئاً بذاته ويدرك ان الشمس وحدها هي مصباح عالمنا هذا فيقول (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ولا يصف القمر بما يستفاد منه أنه مصدر للنور ويصف الشمس وحدها دائماً بذلك كقوله أنها سراج ونحو ذلك. هل كان احد في ذلك الزمن يعتقد دوران الارض حتى يرد فى القرآن (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء) وليس ذلك في يوم القيامة على الاصح إذ قوله (تحسبها جامدة) لايناسب مقام التهويل والتخويف وقوله «صنع الله الذى اتقن كل شيء» لايناسب مقام الاهلاك والابادة هل كان احد يدرك الفرق بين جعل النهار الذى هو من حركة الارض مجلياً للشمس والليل غاشيا لها وبين العكس حتى يأتي بهذا التعبير (والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) والذى اتعب المفسرين زمناً ولا يقول إن الشمس هي المجلية للنهار بتحركها كما كان ينتظر من مثل هذا العربي الامي.

من من العامة يدرك أن صغر القمر وكبره حسب مانشاهده ليس الا لاختلاف منازله بالنسبة إلى الشمس لا لان حجمه الحقيقي يصغر ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يقول (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب). يظن العامة أن المطر آت من الجنة أو من الملكوت الاعلى أو من عالم غير عالمنا هذا ولا يتصورون أن أصله من ماء بحار أرضنا هذه ولكن القرآن يقول (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي إن المياه بأنواعها التي نستعملها

خارجة من الارض ولم يستثن منها ماء المطر كما يتوهمون. فهل يكون في كلام الامي العامي في ذلك الزمن هذه الدقة فى التعبير والصدق فى العبارة والاشارة الواضحة الى مسائل علمية لم تكن معروفة من قبل أو معولا عليها في زمنه

هل تدرك العامة بل وكثير من الخاصة أن التغيرات في العالم أعظم برهان على وجود الخالق تعالى حتى يستشهد القرآن على ذلك باختلاف الليل والنهار وحركات الكواكب وشروقها وأفولها. أليس ذلك مما لم تنته اليه عظماء الفلاسفة الا بعد الجهد والعناء الكبير

هذا وإن القرآن قد أتى بالحكم الكثيرة والامثال الصحيحة على وجه وتعبير ينهك الفيلسوف الحكيم بدنه دون أن يأتي على تعبير مثله فما بالك بهذا الامي. فهل نقول بعد ذلك كله إن سماع النبي لخلط من جاوره من الناس الجهلاء وهوسهم هو المصدر لهذا الكتاب الحكيم

فوالله لو كلف أحد الفلاسفة أن يمحص المسائل كما محصها القرآن وان يأتي بأصح الآراء وأقومها في المعتقدات وغيرها ويؤسس مثل هذا الدين الكامل بجميع مافيه ويتبع السياسة الرشيدة والحكمة البالغة فى ارشاد الناس اليه كما فعل محمد عليه السلام وأن يحترس من الوقوع في زلة واحدة وان يخبر عن بعض اشياء فى المستقبل بفكره وقريحته بحيث لايخطيء فيها وان يأتي ببعض مسائل علمية لايعرفها معاصروه وكلف بأن يجعل كل كلامه هذا بأسلوب غريب لم تعهده الناس من قبل ويكون فى درجة من البلاغة لايحاكيها أحد وأن يقلب كيان أمة عظيمة كالامة العربية فبعد ان كانوا اعداء صاروا اخواناً وبعد ان كانوا عابدين للاوهام صاروا علماء وبعد ان كانوا اضعف الامم صاروا اقواها وسادتها فى مدة قليلة — لو كلف بهذا كله لاقرّ في الحال بالعجز واعترف بالضعف فما بالك اذاً بالنبي العربي الذي نشأ يتيما فقيراً امياً في وسط الجهل والوثنية في زمن العمى والظلام تحتاط به الخرافات من كل جانب والاباطيل من كل مكان امتزج حوله الحق بالباطل واختلط الصدق بالكذب يسمع قولا حقاً مرة واكاذيب بجانبه مرات فلا يمكنه ان يميز احدهما عن الآخر لعدم علمه. تشعبت في فكره الآراء وتضاربت فى نفسه الاقوال فوقف وقفة الحائر ينتظر الارشاد الالهي حتى جاءه الوحي الرباني فمحص الحق ورفض الاباطيل وقرر الصدق وازهق الاكاذيب.

واعتمد في دعواه على الحجج البينات لا على الالاعيب فأعظم به من نبي ختم الله به الانبياء واكرم به من رسول طار ذكره في السماء صلى الله عليه وسلم

يهمني ان اذكر شيئاً عن اخلاقه بعد ان خضعت له الملوك وهابته الجبابرة وانتشر اسمه في سائر الافاق . هل طغى وبغى وانهمك في الملاذ ؟ كلا ثم كلا . ملك ملكا واسعاً ولكنه ما فارقه الزهد والتقشف طول حياته مات ولم يترك الا شيئاً زهيداً وأوصى أن يكون صدقة لامته لم يتغير حلمه وعفوه ورأفته ورحمته بالناس بل زادت . اقتصر على زوجته العجوز الى ما بعد الاربعين كما قلنا سابقاً حتى توفيت ومن تزوجهن بعد ذلك لم يكن فيهن بكر سوى عائشة وتزوجها وهي في سن تكاد أن لا تشتهي فيه لتوثيق ما بينه وبين والدها من المحبة والمودة وكان غرضه من تعددهن القيام بكفالتهن لفقرهن أو عدم وجود من يقوم بشؤونهن كمن فقدت بعلها في حرب أو غضب عليها أهلها لاسلامها أو لم يرغب فيها أحد من أصحابه لكبر سنها وليس للنبي أن يشير على أحد بتزوج بعضهن لئلا يأخذها مضطراً في زواجها فلا يحصل بينهما وفاق . وكان الغرض في زواج بعضهن ايجاد الرابطة بينه وبين أهليهن أو تعزية بعضهن على فقد زوج كانت تتفانى في حبه أو ابطال عادة من عادات الجاهلية الى غير ذلك من الاغراض الشريفة كما يتضح للمدقق في أخبارهن فشفقة بهن ورحمة لهن كان يتزوجهن ولا يمكنه أن يبقيهن في منزله من غير زواج لئلا يرميه الناس باستخدامهن من غير حق أو بارادة الفحشاء بهن (تنزه عن ذلك وجل مقامه عنه) ولو كان غرضه الشهوة لكن من حسان الابكار لا الثيبات المسنات فمن كان هذا شأنه لا يتصور أنه كان يطلب بدعواه النبوة الحصول على شيء من لذات هذه الدنيا والا لوجدته بعد نجاحه متكبراً جباراً منتقماً فظاً غليظ القلب متعالياً في نفسه محتقراً لغيره فأين هذا كله ممن كان متواضعاً متقشفاً يخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويطوي على الجوع ليالي راضياً بالقليل رحيماً بالناس لطيفاً يحترم كل أحد حسب منزلته حليماً لا يغضبه جهل الجاهل ولا قلة أدب الوقيح . يعفو ويصفح عمن أساء اليه . اذا احتاج يقترض المال حتى من اليهود وكثيراً ما أوذي بسبب ذلك فالله أكبر ما اجل شأن النبوة وأرفعها عما يرميه به الجهلة من الناس هداهم الله

هذا الذي ذكرناه من الدلائل هو المعول عليه في هذا الباب والسند الاقوى للنبي

في دعواه وأما ما ظهر على يديه من خوارق العادات فلم يكن عليه السلام يعتمد عليها كثيراً فلذا اضربنا صفحاً عن اطالة البحث فيها وغاية ما نقول ان هذه المعجزات ليست من المستحيلات بل هي مما يدخل تحت قدرة الله تعالى وقد نقلها الثقات نقلاً متصلاً صحيحاً وتواتر بعضها بحيث ان الانسان ان شك في بعض أفرادها لا يمكنه ان يشك في مجموعها . وامثال هذه المعجزات كانت الحجة الكبرى والدليل الوحيد للانبياء السابقين مع اممهم . ذلك لان الانسان في تلك العصور ما كان يدرك قوة الدليل العقلي فكان كالطفل لا تنفعل نفسه الا بما وقع تحت حسه ولا يتأثر الا بما كان تحت لمسه ولما بلغ رشده وارتقى ارتقت ادلة النبوة كذلك واتاه الله من الدلائل بما يناسب حالة رقيه العقلي وجعل المعجزة الكبرى في اتيان الامي بما أتى به مما فصلناه وعجز البشر جميعاً عن الاتيان بمثله واما المعجزات الاخرى فلم يكن يراد بها الا تثبيت الذين آمنوا بالحس بعد ان اقتنعوا بالعقل وإلزام المعاندين الذي علقوا ايمانهم على رؤية هذه الخوارق ولما لم يؤمنوا عند ظهورها ما كان يجيبهم الى طلب غيرها الان من لم يقتنع بهذه لا يقتنع بتلك اذ الدلالة على الصدق في جميعها واحدة . وهذا الذي قلناه هو ما يستفاد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن فليراجعها من شاء . والخلاصة ان الدليل قسمان حسي وعقلي اما الحسي فانه اشد تأثيراً على النفس وافعل في القلب واما العقلي فانه اصح واعم فائدة وذلك لانه متى احكمت مقدماته ونتائجه فلا سبيل لتطرق الشك اليه وكل من تصوره صدق به بخلاف الحسي فلا يؤثر الا على من نظره بعينه ويتطرق اليه شبهات كثيرة كالشعوذة والتدليس والحيل وكلما كان الانسان بسيطاً كان فعله في نفسه اشد

ولما كان محمد عليه السلام خاتم الانبياء ومرسلاً الى الانسان بعد بلوغه رشده ودعوته ليست قاصرة على زمن او مكان كان الانسب ان تكون حجته عقلية من ان تكون حسية . وقد كان ذلك وظهرت حكمة الله جل شأنه في هذا النوع فآتاه في زمن طفوليته بما يناسب بساطته وفي زمن كهولته بما يوافق رقيه ودرجة عقله كالاب الحكيم يحمل ابناءه في صغرهم على الدرس باعطائهم المكافآت كالحلوى والصور وفي كبرهم بتبيين فوائد الدراسة ومنافعها وتأثيرها في مستقبلهم فالانسان بالبعثة المحمدية ادرك قيمة عقله وخاض من سائر القيود ولم يبق لمشعوذ عليه سلطان او لمحتال عليه حيلة

وقام ينفض ماعلى جسمه من غبار التقليد و نظر بعقله الى ماحوله من الموجودات واستخدمها وهكذا سار في طريق الاصلاح الى ان يبلغ الكمال ان شاء الله تعالى

ولنختم هذه المقالة باختصارها في كلمات معدودة فنقول:

كل من اتى باصلاح في الارض من قبل الله تعالى فهو نبي و محمد قد اتى بالاصلاح من قبله تعالى فهو نبي والدليل على ان اصلاحه من عند الله انه ليس مستمداً من معلومات من جاوره من الناس كما بيناه آنفا وان ما اتى به لا يقدر البشر على الاتيان بمثل جزء منه اذ لو كان مقتبسا من علمهم لكانوا اقدر على الاتيان بذلك قال تعالى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله)

اذاً القرآن كتاب الله وكل مافيه حق من عنده تعالى فيجب الايمان به والعمل بما فيه لنحوز سعادة الدنيا والآخرة، (محمد توفيق صدقي طبيب بسجن طره)

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

المكتوب الثاني

من إراسم الى «إميل»

فراق الولد لوالديه سنة فطرية — العلم في ألمانيا — نقد التلميذ مايقرؤه من أفكار غيره — القصد فى علوم المعقولات نفع الامة بالقيام بالواجب على قدر الطاقة — اختيار الولد العمل الذي يشتغل به بعد — بيان انه لاحرية لامة يتكالب شبانها على تولي أعمال الحكومة — التحذير من الملحدين — بيان ان الرأي العام لاقيمة له الا اذا كانت الحكومة شورى — خدمة الامة لذاتها لا للجزاء

لوندره في ١٣ فبراير سنة — ١٨٦

اذا كنت ياعزيزي «أميل» تألم من استيحاشك فنحن نألم من فراقك ولكن يجب علينا التسليم والرضا بما لا بد منه واعلم انه لو كان في وسعي أن أبرح لوندره وأخلف من أقوم

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

عليهم من المرضى لمرافقتك الى حيث أنت الآن لكنت فيه متردداً فقد آن لك أن تتعلم كيف تسير سيرة الرجال ان الطيور لتحب افراخها ولكنها متى آنست فيها من القوة مايكفي لاستقلالها بنفسها فى الطيران شجعتها على تجريب أجنحتها فيه سنة الله الذي أراد أن يهب الحرية لجميع البرايا

أنت تعلم حق العلم اني لم أرسلك الى «بُنْ» الا لاسهل عليك درس لغة الالمانيين وأخلاقهم وأفكارهم وأنا أعلم انك الى الآن قد استقللت بنفسك فى تعلمك فكنت في باطن الامر وحقيقته استاذاً لنفسك ومرشداً وليس ما أخذته عني من الدروس شيئاً يذكر ولكن قد اقتضت أحوال هذا العالم أن توجد مذاهب وطرق لابد في تعلمها أن تلتمس من ينابيعها والمانيا في يومنا هذا هي مقتبس نور العرفان وهي البلاد التي يجب أن يعرف لها الفضل في الحكمة والعلم والنقد وآداب اللغة ومدارسها الجامعة محط رحال الكثيرين من أفاضل الاساتذة وجهابذة العلماء ولست مع ذلك أدعوك الى قبول تعليمهم على غير بصيرة وتلقي أقوالهم وآرائهم قضايا مسلمة اذن أكون قد تخليت عن جميع الاصول التي أسير عليها. ان للانسان شيئاً لا ينبغي أن يسمح به لاحد الا وهو حرية الفكر فالعلوم التي تتلقاها فى الجامعة لا يمكن أن يتسع بها نطاق عقلك ويتقوى بها ادراكك مالم تراقب مافيها من أفكار غيرك مراقبة ذاتية واياك ثم اياك أن تنهك قواك التي أنت محتاج اليها في العمل بفرط الانكباب على دراسة المعقولات بالغة مابلغت من الطلاوة وبعد الغور فان البحث في المعقولات لاقيمة له الا اذا أدى الباحث الى وسيلة ينفع بها نظراءه والمحب لنفسه من يقصر ثمرة فكره ودرسه عليها لامراء في ان الاتصاف بالعلم من الامور الحسنة ولكن أجل منه وأحسن أن يكون الانسان محباً لوطنه نافعاً لأهله ولا يعزب عن ذهنك ان المانيا ليست بلادك وان آثار سلفك هي حكمة القرن الثامن عشر وان أمك هي الثورة الفرنسية.

آلمتني عبارة من مكتوبك وهي قولك «اني أحياناً آنس من نفسي فتورا فى الهمة وضعفاً فى العزيمة وأسائلها عما أصلح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صدراً» فاعلم انه ليس من الضروري لتحقق النفع فى الانسان أن يكون من كبار الرجال فأيما رجل صدقت نيته في فعل الخير وصح قصده للنفع فانه يغير من حالة القوم الذين يعيش

فهم بقدر ما من التغيير وعلى كل حال ليست الحياة الا نتيجة القيام بفروض صغيرة فمن أداها كلها بما في وسعه من الوسائل كان في الغالب أفضل ممن يسعى في الاشتهار بعمل خطير وليس شيء من أفكارنا ولا من أعمالنا بضائع علينا فان آثارها تظهر فيمن حولنا من الناس أو فيمن يخلفوننا ومن ذا الذي يستطيع أن يقول ان الحركات الكبرى التي غيرت أحوال العالم من جهة السياسة والعمران لم يكن فيها للمستضعفين الخاملين من الخدمة والعمل ما للرؤساء المسيطرين كلا بل ربما لم يكن ظهور هؤلاء واشتهارهم الا صورة منعكسة لفضائل أولئك ومساعيهم المحمودة

اقنع بأن تكون كما أنت مع مواصلة السعي في تنمية غرائزك وتوسيع نطاق مواهبك بالدأب في العمل والمدارسة وإذا احتجت في بعض أوقاتك الى تكبير دائرة وجودك فتصفح دواوين الشعراء الحقيقيين وكتب أئمة النظار المشهورين وتمتع بما تجده في نفسك عند مطالعتها من عظم القدر وسمو المكانة الذي يسري اليك منهم فان في ذلك غبطة لا يحيط بها الوصف فاذا هبطت من هذه المقامات العلى لم تعدم حولك من النفوس الصغيرة المحتاجة للاستضاءة بنور العلم من يغنيك الاشتغال بهم عن الاهتمام بغيرهم ومن صنائع البر ما فيه تسلية لك عما يعوزك من الخصائص واعلم انه لا يتألم مما في عقله من مواضع الضعف والقصور الا محب لنفسه أو خبيث واما من يستسلم ويرضى بقسمته ويتعلم ليعمل فانه لا يطلب فوق ما قسم له من العقل شيئاً بل يكون مغتبطاً به غير حاسد لغيره

أراك أيضاً تغلو في الاهتمام باختيار ما تمارسه من الاعمال فانه وان كان مما لا مرية فيه ان كل فرد من الناس يجب عليه أن يعيش من كسبه وكده واني أغتم لو رأيتك مفرطاً في هذا الامر الذي هو أول فرض على الانسان ينبغي أن تعلم ان جملة الدروس التي تتلقاها الآن مع كونها تؤدي الى جميع الحرف لا تفتح لك باب واحدة منها ولا أرى في ذلك ما يدعو الى كدرك لان كل علم تحصله هو ذخيرة لعقلك فان لم يفدك في نفسك فقد تجد فيه وسيلة لنفع غيرك على ان ما في الكون من طوائف الامور المختلفة وطبقات الحوادث المتباينة مرتبط بعضه ببعض فلا بد في معرفة أمر منها معرفة صحيحة من معرفة أمور كثيرة لها بهذا الامر تعلق بعيد ولست بهذا القول ألزمك السعي في تحصيل ما يسمى

بالعلم العام الذي هو ضرب من الخيالات والاوهام وانما أريد به تفهيمك ان للعلوم قضايا عامة لا بد لك من تصور حدودها الاصلية قبل تفرغك لتحصيل علم منها على حياله

أنت ولي أمرك في الحكم على ما يلائمك من الاعمال وليس عليّ الا أن أسألك عدم التأسي في ذلك باخوانك من الطلبة فكن كما يرشدك اليه خلقك وميلك اما طبيباً أو محامياً أو مهندساً أو صانعاً أو آلياً أو غير ذلك ولكني أسألك بالله أن لا تكون عاملا للحكومة

أي حرية ترجى لقوم يتطلع المتعلمون من شبانهم الى الانتظام في سلك عمال حكومتهم قد كان فن ظلم الحكام للناس في الايام الخالية من الفنون الصعبة الكثيرة المشكلات التي يلزم لتعلمها استعداد خاص ونفس كنفس مكيافيل (١) وأما الآن فيظهر من أحوال الرعية انهم يعنون أشد العناية بكفاية حاكمهم مؤنة استعبادهم بالحيلة أو القهر لانهم يتهافتون على احتمال نير عبوديته فأي ملك أو عاهل يجد حول أريكته رؤوساً خاضعة واطماعاً سافلة نهمة كاطماع الكلاب التي لا هم لها الا قضم العظام ما دام بين يديه من الاموال الوافرة ما ينفقه كيف يشاء ومن المناصب وألقاب الشرف والرتب الكثيرة ما يوزعه على من يريد

ليس الالحاد والوقاحة مقصورين على احداث المانيا فانك حيثما حللت تجد من الشبان من لا يعتقدون بشيء ولا يوقرون شيئاً فكن منهم على حذر لان هذا الفسوق العقلي يساعد قطعاً على تثبيت الاوضاع القديمة ذلك ان هؤلاء الذين يدعون لانفسهم حرية الفكر لم يخلصوا من قيد الاثر ومن هذه الجهة تأخذ الحكومة منهم بالنواصي والاقدام أعني ان عبادتهم لنجح مساعيهم وطمعهم في الوصول الى ما يبتغون وظمأهم الى المناصب والتمتع بمرتباتها الجسيمة لا تلبث أن تدعوهم الى توقير النظام الذي سنته الحكومة واجلاله واني لا أعتد بجراءة العقل ما لم تصحبها بسالة النفس وتنزهها عن الاغراض ثم انه مهما كان بلوغ كل أمنية في الدنيا ممكناً بمحض هوى الغير ورضاه لم

(١) مكيافيل هو أحد رجال الحكومة الايطالية ومن كتابها المشهورين ومن كتبه كتاب الامير وهو مختصر في السياسة المفسدة للاخلاق

يعدم المستبدون عبيداً متحمسين في خدمتهم يعملون لهم مايشاؤون وتجد من كانوا من الشبان بالامس منطقيين متحذلقين يصبحون وهم أكثر الناس سجوداً للقوة واستكانة للسلطان ٠

ولاية أعمال الحكومة هي بلاء الامم في هذه الايام فالبلاد التي رئيس حكومتها هو الذي يوزع مناصبها لايمكن أن تكون آراء الناس فيها الا نتيجة عمل حسابي لمايربح منها فاذا وقع خطأ سياسي أو ديني من الحاكم وكان ينتج للموافقين عليه بعد الحساب عشرة آلاف فرنك مثلا فانه يصير حينئذ صواباً واذا أتى أمراً خسيساً ودفع ضعف هذا المقدار قيل انه قام هذه المرة بماتدعو اليه الهمة والبسالة فيجب الاخلاص له

يلهج الناس كثيرا بذكر الرأي العام ويقولون انه أقوى كفالة للحق والحرية وهو صحيح اذا كان أمر الامة بيدها وكانت هي التي تلي شؤون إدارتها وأما اذا كان حالها غير هذا فالرأي العام نفسه قد يكون فيها آلة للاستبداد فان أكفل وسيلة لظلم الامة هي اعدام شرف النفس من افرادها وازهاق روح الاستقلال بينهم بتحبيب الحكومة القائمة اليهم وحملهم على رجاء بقائها ٠ ورب قائل يقول ان عدد العمال فى الحكومة لايذكر فى جانب السواد الاعظم من الامة: فأجيبه ان هذا الاعتراض عبث لانه قد نسي ان بازاء كل عامل نال منصباً ألفا من الناس يطلبونه ويرجون رجاء قوياً ان ينالوه يوماً من الايام فعالم العمال يكاتفه عالم آخر من السائلين ومن ورائهم جميع طلاب الاموال واذا كان تحرير الناس من الاستعباد لايتأتى الامتى أعانوا عليه بارادتهم فأي وسيلة تبعثهم على ارادة التفصي من ربقته اذا كان فريق منهم وهم الذين تقوم لهم الحكومة بنفقات مطعمهم وملبسهم ومسكنهم قد بلغت بهم الحال الى أن يكون استعبادهم قوام معيشتهم والفريق الآخر يغبطونهم على هذه النعمة ولا يأسفون الا على عجزهم عن مشاركتهم فيها

ولست أقصد بهذا القول ان من لوازم المناصب العامة تصغير نفوس القائمين بها أو الساعين في تقلدها حاش لله فانها في الحكومات الحرة كحكومة أمريكا مثلا من شأنها أن تنمي فيهم قوة العزيمة ومكارم الاخلاق لان الحكم فى اختيارهم راجع الى انتخاب الامة ولانهم انما يمرون بالاعمال مروراً ولان جميع الولايات لاتلبث

أن يعود أمرها الى الأمة فتقلدها من تشاء ومن هنا يعلم أني لاأتكلم عن الامم التي حكوماتها مؤسسة على الشورى وانما أتكلم عن الحكومة التى تولى الاعمال فيها بالمحاباة والهوى فشبانها يتدلون ويصغرون بسعيهم فى تقلد تلك الاعمال لان حكوماتها لاتبغي في الحقيقة الا نفوساً سلسة القياد تلصق بما جرى عليه العمل من التقاليد الادارية وطباعاً لينة عطفت على كل ناحية فلم تبق لها وجهة ذاتية وعقولا مثقفة ولولم تسم عن عقول العامة تستعمل زخرف القول فى تصوير ماوضع من النظام بصورة معقولة ٠ واني لتمر بي ساعات أحدث فيها نفسي بأن من ظلم الشعوب أن يلوموا حكامهم على استعبادهم فأي معنى للومهم اذا كانوا قد جعلوا مقادتهم بأيديهم وكان الآباء لايتمنون لابنائهم الا تقلد المناصب ذات الرواتب العظيمة التي لاعمل فيها بدلا من صرفهم الى وجوه الكسب الاخرى بل اذا كان كل الناس يؤملون أن يكونوا عالة على المصلحة العامة ويودون لو أن للحكومة من العقل والوداعة ما يكفي لمنعها من الانتفاع بما يقدمونه لها من الفوائد فما أسخف عقولهم إذ جعلوا أنفسهم تراباً ثم هم يدهشون من وطء الحكام اياهم

أنا لاأنكر أن نيل الشاب منصباً من المناصب الكثيرة المقررة في الحكومة أسهل عليه كثيراً من أن يفتح لنفسه بابا للكسب في قومه بجدارته وأهليته الذاتية ولهذا لايلبث الانسان أن يعرف الامم التي اعتادت الارتزاق من حكوماتها لما يكون فيها من فقد الاستعداد لانشاء الاعمال وابتكارها فترى الصناعة والزراعة والتجارة تنساق في مجرى العادة بتكلف وجهد والاموال تحذر الخروج من جيوب المتمولين والتقاويم التجارية التي تأبى الحكومة حمايتها يشق عليها كما يقال ان تطير بأجنحتها والصناعات الحرة تحوم حول السلطان لنيل الاعمال والمحاباة وترقب فرصة التطفل على مائدة المصلحة العامة وآداب اللغة والفنون تتأثر بقوة السلطان وتتدلى بتدلي الحياة العامة التي يحطها سلطان رجل واحد وحاجة التغذي من يد الحكومة تزيد على الدوام عدد طائفة الندمان والمملقين

كأني بك تقول لي إن ذلك الذي وصفت عيب في شكل من أشكال الحكومة وذنب لجموع الامة التي ترتضي هذا الشكل وانه ليس مما يعتد به كثيراً أن يزيد عدد عمال الحكومة واحداً أو ينقص واحداً لانهم جيش لايعد: فأجيبك على هذا بأني لست أجهل

ان واحداً من الناس ليس في قدرته أن يغير أحوال أمة بأسرها ولكن اذا ارتكن كل فرد من افرادها على هذه المغالطة فاستسلم للتيار المحتوم الذى يسوق غيره فلا ينبغي أن يرجى شرف للاوضاع القوميه ولا حرية للناس٠ إن الامم اذا تدلت وفشت فيها عدوى التأسي وجب على كل انسان حقيق بأن يسمي انساناً أن يرفع لها من نفسه لواء المجد ويدعوها الى النهوض فانها لا تنهض من انحطاطها الا بالمجاهدة و بذل القوة الذاتية وكم من رجل يشكو من خسة السرائر في قومه ويتألم من دناءة نفوسهم وهو شريك لهم بالواسطة في فعل ما أداهم الى هذه الحالة بكثرة خشيته و تحرجه في سيرته فانه اذا تعفف هو عن تولي المناصب الرسمية قد يريدها لابن أخ له أو لاحد اللائذين بيته وبهذا يصير شريكا فى الضرر الذي يندب سوء مغباته

هذه يا بني أفكاري قد افضيت بها اليك صراحية فان كنت لابد راغبا فى بلوغ منصب رسمي فوسيلتك اليه ميسرة جداً وهى أن تذل و تستكين وأما اذا فضلت كرامة نفسك واستقلالك وشرفك على المزية التى تجدها في سهولة فتح باب الكسب وسرعته فاني أهنئك عليه من صميم فؤادي ولكن لابد لك حينئذ أن تعرف ما أنت داخل فيه فانك بتنازلك عن رعاية الحكومة تضطر الى كسب قوتك بالعمل والجهاد ولا تجد من أحد حمداً على كدك ونصبك وترى كثيرا من الناس يسخرون من بسالتك واقدامك فلا يحبونك اذا كنت تسفههم وتزري عليهم بالنهج الذي تسير عليه في عملك وفكرك

أخدم الامة ولا ترج منها جزاء ولا شكوراً فانها لا تملك ما تجزيك به لانه ليس بيدها شيء من أموال البلاد ولا من ألقاب الشرف ولا من وسائل التنويه واعلاء الذكر وعلى انها قد تنكر مالك من حسن النية في خدمتها فليس عليك حينئذ الا الاعتماد على قواك الجسدية والعقلية٠٠٠ وانه ليس فى هذا الانكار المتوقع ما ينبغي أن يريعك فليست أهم مسألة للانسان فى حياته أن يبلغ مقاما ساميا بل المسألة الكبرى هى أن يكون قدره أعلى من المقام الذى يشغله

وأما أخبار البيت فهاهى «لولا» عهدت الىّ إعلامك بأن طيورك وزهورك فى حالة راضية وان دفاتك بعد أن حفظت فى بطن الارض مليونين أو ثلاثة من السنين سالمة من التغير قد تغيرت قليلا من غبار لندرة ودخانها وبأنها قد رتبت مجموع حشائشك وانها أشدلك ذكرامنك لها

وفى الختام أقبلك أنا وأمك قبلة الوداع ونرجو أن نكون دائما على علم بدروسك ومقاصدك وحالة معيشتك فكل ما يتعلق بك يعنينا٠ اه

آثار علمية ادبية

المجلد الاول من كتاب أشهر مشاهير الاسلام

قد صدر الجزء الرابع من هذا المجلد وهو فى سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومن اشتهر من رجال دولته وصفحاته ٢٢٠ وقد كان مصنفه (رفيق بك العظم) وعد بأن سيوجز القول في خلافة عثمان وعليّ (رض) تحامياً للخوض في مسألة الخلافة ومثار الفتن فى الامة فما زال به محبو التاريخ وطلاب الحقائق من قراء كتابه حتى أرجعوه عن رأيه وأقنعوه بوجوب بيان تلك الحوادث بعللها وأسبابها ونتائجها ومعلولاتها فأقدم على البحث بما نعهد فيه من الادب والاخلاص، والبعد عن التشيع والاعتساف، فجاء بمصاص الاخبار، واستخرج منها آيات العظة والاعتبار، ولم يأل جهداً في حسن الاختيار، واستنباط الحكم والاعذار، لعظماء الصحابة الاخيار،

تصفحت جل ما كتبه فى الفتنة التي أدت الى قتل عثمان (رض) فرأيته قد حصر ما نقمه الناس من عثمان بحق في غلبة بني أمية على أمره حتى استبدوا بالامر دونه وافتاتوا عليه وحملوه على الرجوع بما عاهد عليه المسلمين وتاب عنه فى محفل كبراء المهاجرين وبين ان أهل الرأي ورجال الشوري من الصحابة خافوا أن يجعلوا الخلافة أموية تقوم بالعصبية لا قرشية تقوم بالانتخاب والشورى الشرعية، وكشف الحجاب عما كان هناك من الجمعيات السرية التي تحرض الناس على التألب على الخليفة وإلزامه بابعاد دهاة بني أمية عنه أو اعتزاله وخلع نفسه ٠ وبين انه لم يكن أحد من كبراء الصحابة وزعمائهم يعتقد ان الامر يصل الى ما وصل اليه وانهم يقتلون الخليفة ظلماً ولم يفعل فعلا يبيح دمه، وانتحل لعثمان أحد عذرين فى الاعتصام بقومه أحدهما أنه علم ان رجال الشوري الستة كل منهم يريد الخلافة لنفسه وله أنصار فخاف أن يترك أنصاره الاقربين من بني أمية فيختلف القوم دونه ويتوثب عمال الامصار عليه فلا يجد له عاصما لذلك ولا هم الامصار وزاد استمساكه بهم حين سئل التخلي عنهم، وثانيهما أن قومه استلانوا جانبه واستضعفوه فغلبوا على رأيه فيهم ٠ أقول إن الثاني هو الصواب ويدل عليه تعويله على تنحية مروان

وذويه وتصريحه بذلك في خطبته التي بكى فيها وأبكى الناس (وهي في ص ٧٩٧ من الكتاب) وفيها ان بني أمية قد استحوذوا على عثمان بعد ذلك وملكوا جنانه لكبر سنه وضعفه فعذلوه واستذلوه وافتات عليه مروان بما افتات.

يعلم كل من قرأ تاريخ المسلمين أن تألب الناس على عثمان لم يكن يرجى له صد الا باعتزاله الخلافة وخلع نفسه منها أو بعزل مروان وغيره من دهاة بني أمية الذين غلبوا على أمره وتقلدوا معظم أعماله وقد علمت رأي المصنف في الامر الثاني وأما الامر الاول فقد ذكر أن لامتناع عثمان عنه أحد أسباب ثلاثة ١ - ضعف الارادة الذي هو أثر كبر السن، ٢ - الخوف أن يعجلوا عليه ما اتهموه به من الاحداث وهو يعتقد انه لم يستحل فيها محرما ٣ - العمل برأي مروان وأضرابه الذين كانوا يعلمون ان أمر الملك لا يتم لهم الا باراقة الدم. والثالث هو الصواب وربما كان غيره داعما له ولولاه لكان يمكن أن يقال ان امتناعه من اعتزال الخلافة مع تألب الناس عليه وحصرهم اياه هو من قوة الارادة لا من ضعفها. ومن فصول الكتاب الذي تستحق أن ينبه عليها ويلفت اليها فصل عقده لاثبات عدم تحامل رجال الشورى على علي كرم الله وجهه وبيان أن خلافة كل واحد من الراشدين جاءت في وقتها اللائق بها

ورأيت صديقي المؤلف قد أكثر القول بهذا الجزء في تقرير رأيه في الخلافة والحكومة الاسلامية وبيان ضرر ما ينكره منها ويعده أصل البلاء وعلة الضعف والشقاء وهو أمران عدم توفر شروط الشورى والاختيار في البيعة بحيث كان شكل الخلافة وسطاً بين الشورى والاستبداد او بين الحكم المطلق والحكم المقيد اذ أناطوا بالخليفة جميع الاعمال، وثانيهما اصطباغ المسلمين في حياتهم السياسية بصبغة الدين وعدهم الخليفة رئيساً دينياً

قراء المنار يعرفون رأيه في هذه المسألة ولم ينسوا المناظرة التي كانت بينه وبين أحد علماء الهند في هذه المجلة. وأقول ان هذه المسألة الكبيرة لم تحل فيما كتبه فلا تزال في حاجة الى التحرير وكنا وعدنا بكتابة رأينا فيها بالتفصيل ولما تسمح لنا الفرص بذلك. ونقول هنا ان ما جاء به الاسلام في ذلك وما كان من انتخاب الخلفاء الراشدين وسيرتهم يصدق عليه قول الامام الغزالي في نظام الوجود العام «ليس في الامكان أبدع مما كان» الا ما كان

من إصرار عثمان على إمساك مروان وغيره من ذوي قرابته الذين نقم منهم المسلمون ولقد يظهر للمؤرخ الذي وقف على نظام الحكومات النيابية في هذا العصر أنه كان ينبغي للراشدين أن يضعوا نظاما مثله واذ لم يفعلوا فلنا أن نحكم بأن عملهم كان ناقصاً. ومثال هذا مثال من ينكر بعض مظاهر الوجود التي رأى من جنسها ما هو أحسن منها غافلا عن امكان ذلك وعدم امكانه بحسب سنن الكون العامة

الحكومة النيابية المنتظمة القائمة على أساس الشورى والاختيار لا تصل اليها الامم الا بعد أن تتربى وتتعلم في مدرسة الحكومة الاستبدادية زمناً طويلا فلم توضع حكومة نيابية منتظمة على وجه الارض بمجرد الرأي والاستحسان من افراد أسسوها وأقنعوا الامة بأن فيها مصلحتها فقامت بها وثبتت عليها اقتناعاً بقولهم وعملا برأيهم. وانما كان تأسيس الحكومات النيابية والجمهورية بما نعلم ويعلم صديقنا مؤلف أشهر مشاهير الاسلام ثم كان تقدمها وثباتها بالتدريج بمقدار ارتقاء الامم في العلوم والاعمال الاجتماعية بالتدريج ايضا

كان يقول كما يقول بعض الناس انه كان ينبغي للمسلمين أن يتعلموا كيفية تأسيس الحكومة النيابية من جيرانهم الرومانيين ثم هو يعتذر الآن عن الخلفاء الراشدين بأن الحكومات النيابية كانت بعيدة العهد يومئذ من مجاوريهم الرومانيين فلجأوا الى إناطة كل شؤون الدولة السياسية والدينية بالخليفة (ص ٦٧٩) فيالله وللرومانيين هل كانت قوانينهم ومجالس شيوخهم ونوابهم عاصمة لهم من السقوط في هوة الاستبداد ثم من تحويل الجمهورية الى امبراطورية. ألم يكن الاشراف هم أصحاب المجالس والحقوق والعوام لا حقوق لهم ؟ ألم يكن الدافع للملك «سرفيوس» المصلح الى منح العوام جميع الحقوق الرومانية هو التخلص من أثرة الاشراف وظلمهم وشدة فرقهم منهم ؟ ألم يأت بعده الملك الطاغية «تاركان» بأشد ضروب الاستبداد تشويها فأفسد كل ما كان أصلحه «سرفيوس» وكان يقتل كل من يتوسم فيه عدم الاخلاص له من أعضاء مجلس الشيوخ والاعيان ويسخر الاهالي لاعماله الخاصة حتى كانت مظالمه العامة هي السبب في تأسيس الجمهورية سنة ٥١٠ ق م ألم يحول «أغسطس قيصر» الجمهورية بعد استقرارها الى امبراطورية سنة ٢٨ ق م أولم يحول «نابليون» الجمهورية الفرنسية الى ملكية ويفعل فعلته بمجلس النواب على ان شعب فرنسا كان ارقى من شعب رومية يومئذ؟

هل تأسست الجمهورية الرومانية كاملة؟ ألم يكن ضباط الجيش هم الذين ينتخبون النواب في الحكومة الجمهورية ؟ ألم يكن هؤلاء الضباط وعسكرهم آلة في أيدي الاشراف المستبدين؟ ألم يقاوم الاشراف اقتراح «فوليرو» أن يكون الشعب هو الذي ينتخب نوابه حتى ثار الشعب ونال هذا الحق بالثورة سنة ٤٧١ ؟ هل نال الشعب بعد هذا حقوق المساواة الا بالتدريج إذ نال المساواة في الحقوق المدنية سنة ٤٥٠ ق م والمساواة في الحقوق السياسية سنة ٣٩٧ والمساواة في الحقوق القضائية سنة ٣٢٩ ثم لم يتم له حق المساواة في الاعمال القضائية الا بعد سنين، والمساواة في الدين سنة ٣٠٢ ق م ؟

أو لم تكن المساواة في جميع هذه الحقوق عامة في الحكومة الاسلامية من أول يوم لاصطباغها بصبغة الدين الذي يخضع المتدين لاحكامه عند ما يسمعها ؟

نعم كل هذا مما لا ينكره عارف ولولا ان كانت أركان الحكومة الاسلامية قائمة على أساس الدين لما استقام للمسلمين حكم ولما وجد ذلك العدل العام الذي لم تكتحل عين الزمان بمثله حتى اليوم فان الدولة الانكليزية التي هي أرقى الامم الاوربية في حكومتها وأقربها من العدل في مستعمراتها لا تساوي بين أبناء جلدتها في الحقوق وبين الهنود بحيث تقتص من مثل اللورد كتشنر لرجل هندي كما أراد عمر أن يفعل بجبلة بن الايهم ملك غسان وكما ساوى بين علي ورجل من آحاد يهود وكما عد الصحابة من أحداث عثمان التي توجب خلعه عدم قتل عبيد الله بن عمر أمير المؤمنين بالهرمزان الفارسي الذي قتله لقيام القرينة عنده على إغرائه بقتل أبيه أمير المؤمنين وان استرضى عثمان ولي الدم بماله الخ الخ

وسنبين في مقال خاص بهذه المسألة كيف كان ما عمله الراشدون هو المتعين الذي لا يمكن أن يكون خير منه يومئذ وكيف كان الفساد الذي طرأ على الحكومة الاسلامية فأضعف الامة وزعزع الملة محصوراً في هدم بني أمية للقواعد التي وضعها القرآن للحكومة الاسلامية وأيدتها السنة وهي ابطال العصبية الجنسية وجعل أمر المسلمين شورى بينهم والاذن لاولي الامر وهم أهل الحل والعقد باستنباط الاحكام مجتمعين وايجاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقول والفعل

وجملة القول في هذا الجزء من كتاب أشهر مشاهير الاسلام انه من أنفع الاجزاء

وأشدها عظة وتذكيراً بحال سلفنا «وما يتذكر الا أولو الالباب» وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق أجود من ورق الاجزاء الاولى وثمن النسخة منه ثمانية قروش صحيحة واجرة البريد قرش ونصف ويطلب من مكتبة المنار وغيرها

تاريخ التمدن الاسلامي

قد صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص البحث في سياسة الدول العربية في الشرق والغرب وقد جعل الكتاب أبوابا عبر عنها بالعصور فأولها العصر العربي الاول وفيه الكلام عن حال العرب وعصبيتها قبل الاسلام وعن الارقاء والموالي والاجانب والسياسة في الجاهلية ثم عن سياسة الخلفاء الراشدين وسياسة الامويين واحداثهم في الدولة والاسلام . وثانيها العصر الفارسي الاول ويعني به زمن نفوذ الفرس واستبدادهم في الدولة العباسية من خلافة السفاح سنة ١٣٢ إلى خلافة المتوكل ٢٣٣ وفيه الكلام عن سياسة العباسيين وخربتهم والعصبية العربية في زمنهم . وثالثها العصر التركي الاول وفيه الكلام عن الجند التركي في الدولة العباسية وعن الخدم ونفوذهم وتأثير النساء في سياسة الدولة وفي هذا العصر كان مبدأ فسادها وسقوطها ثم الكلام في تشعب المملكة العباسية وانقسامها إلى دول فارسية وتركية وكردية . ورابعها العصر العربي الثاني في الاندلس ومصر وخامسها العصر المغولي أو التتري وفيه الكلام عن انحلال المملكة الاسلامية بقيام الترك وتنكيلهم بالمسلمين الى ان نهض العثمانيون بتكوين دولة جديدة قوية . هذا موضوع الكتاب وهو من الفائدة بالمكان الذي يستغني فيه عن التنويه به والحث على مطالعته . وانا لنرجو ان يأذن لنا الزمان بفرصة نطالع فيها هذا الجزء وما سبقه بالتدقيق لنعطيها حقها من النقد والتقريظ فنكون من الشاكرين لمؤلفه على اجتهاده العظيم في هذه الخدمة لتاريخنا المبعثر في كتب الاخبار والآثار

مراشد الهدايات . إلى واجبات الحلاقين والدايات

كتاب جديد للدكتور أحمد أفندي الدرندلي مفتش صحة الفيوم . ويعني بالحلاقين الاطباء الذين خصتهم الحكومة بالكشف على الموتى لتحقيق موتهم ولمعرفة

سببه وبالتبليغ عن الامراض الوبائية والتلقيح لمنع الجدري . ويعني بالدايات القوابل. والكتاب يشرح الامراض التي يتعلق بها عمل الفريقين ويبين ما يجب عليهما فعله ومباحثه نافعة ينبغي اطلاع كل قارىء وقارئة عليها ليكون الناس على بصيرة من الامراض التي تعرف لهم ولمن يعيشوا معهم فلمؤلف الكتاب الشكر أن طبع هذا الكتاب ومن الشكر الاقبال عليه

﴿ديوان الرافعي﴾

قد طبع مصطفى صادق أفندي الرافعي الجزء الثاني من ديوانه وشعره فيه يدخل في ستة أبواب أولها باب التهذيب والحكمة وثانيها باب النسائيات وثالثها باب الوصف ورابعها المدح وخامسها الغزل والنسيب وسادسها الاغراض والمقاطيع وصفحات هذا الجزء تبلغ ١٢٠

ومما يذكر له أنه أكرم ديوانه عن مدح زيد وعمر وخالد وبكر فلم يمدح من عظماء الدنيا غير السلطان وأمير مصر ومن عظماء الدين ورجال العلم غير الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ومن الاغنياء غير أحمد باشا المنشاوي أيام وفق للاحسان بماله ولهج الناس بوقفيته . ومن باب النسائيات قوله في المرأة المصرية:

أنى عليك وان لم تشعري الامد ... وأنت أنت مضى أمس وحل غد
فهبك عيناً فما من الناس ذو نظر ... الا ويؤلمه في عينه الرمد
وهبك قلباً فما في الخلق من رجل ... الا ويوجعه في قلبه الكمد
وهبك من كبد في جنب صاحبها ... أليس يحمل ما تغلي به الكبد
عجبت لامرأة هانت وما اعتبرت ... ومن رجال أهانوها وما رشدوا
كلاهما رجل في الناس وامرأة ... ولا تمييز الا ذلك الجسد
وكل ما حولهم في الذل مثلهم ... يستعبد الكل حتى النهر والبلد
يابنت مصر ولا قوم تعزبهم ... ولا بلاد ولا أهل ولا ولد
زاغت عيون بني مصر وضل بها ... غيّ النفوس وهذا الجهل والفند
فأنت في نظر الراقين سائمة ... وفي نواظر فلاحيهم وتد
وأنت بينهم في كل منزلة ... صفر اليسار به يستكمل العدد

أقام في رأسك الجهل الذي سلفت ... به الليالي وفي أضلاعك الحسد
وما يحلان بيتاً كان في رغد ... الا وهاجر منه ذلك الرغد
(فالسحر والزار والاسياد) جملتها ... لاهلها نكد ما مثله نكد
ما أنت في الصين والاوثان قائمة ... وللشياطين في كل الامور يد
تالله لو كان من علم وتربية ... شيء يمازجه ذا الصبر والجلد
اذاً لما سخرت من بنت جمعتها ... من يومها السبت أو من يومها الاحد
فهل أرى رجلا فينا أو امرأة ... بعد الخمود وطول الذل يتقد
ياقوم لو نام ليث الغاب نومكم ... لاستنكف الفار ان قالوا له أسد

فهذه القصيدة تشعر بأن الشاعر يرى وجوب تعليم النساء ليسلمن من الاوهام والخرافات ولكن له مايدل على خلاف ذلك كقوله في المقاطيع :

ياقوم لم تخلق بنات الورى ... للدرس والطرس وقال قيل
لنا علوم ولها غيرها ... فعلموها كيف «نشر الغسيل»
والثوب والأبرة في كفها ... طرس عليه كل شيء جميل

وأحسن ماقرأت في هذا الديوان قوله في فنون من الوصف وذكر الليل

تقاصر عمر الزمان الطويل ... ولا بد من أجل للعليل
وضاق به الافق ضيق القبور ... فزم الكواكب يبغي الرحيل
وراح نخفت هموم القلوب ... كما سار بعد المقام الثقيل
لقد كدت أبغض لون الظلام ... لولا شفاعة طرف كحيل
طوى الشمس فاختبأت أختها ... نفورَ الغزالة من وجه فيل
وكانت إذا احتجبت قبله ... تجاذبها نسمات الاصيل
ترى البدر غار فأغرى بها ... وكل جميل يعادي الجميل
أم الحظ أرسل لي ذا الدجى ... فكان الرسالة وجه الرسول
أم الليل قد قام في مأتم ... فمنه الحداد ومني العويل
ولم أنس ساعة أبصرتها ... وجسم النهار كجسمي نحيل
وقد خرجت لتعزي السماء ... عن بنتها اذ طواها الافول

على مركب اشبهته البروج   تمر به كالبروق الخيول
اذا قابلته لحاظ العيون   سمعت لاسيافهن صليل
وان قاربته ظنون النفوس   رأيت النفوس عليه تسيل
وقد اخرجت نفحات الرياض   زكاة الرياحين لابن السبيل
وقد عبث الدل بالغانيات   فذي تتهادى وهذي تميل
كأن الحواجب قوس فما   تحرك الاجلت عن قتيل
كأن القلوب أضاعت قلوبا   فكانت لحاظ العيون الدليل
حمائم في حرم آمن   بهذا الضلوع بناه الخليل
وما راعها غير لون الدجى   يصدىء لوح السماء الصقيل
فياقبح الليل من قادم   بوجه الكذوب ومرأى العذول
بغيض الينا على ذله   وشرّ من الذل بغض الذليل
وكم عزني بالاماني التي   ارتني ان زماني بخيل
ومن امل الناس مالا ينال   كما ان في الناس مالا ينيل

وثمن النسخة خمسة قروش واجرة البريد قرش ويطلب من المكتبة الأزهرية بمصر

حقوق المرأة في الاسلام

أيقظت المدنية الاوربية العالم كله ووجهته الى حياة جديدة من العزة والقوة فمن الشعوب الشرقية من سار الى هذه الحياة من طريقها فأدركها وكل من سار على الدرب وصل، وكل قارىء يعلم ان هذا هو الشعب الياباني وهناك قوم آخرون من الوثنيين في الهند يسيرون على هذه الطريق ولو كان لهم استقلال في الحكم لصاروا دولة عظيمة • وأما الشعوب الاسلامية فقد وقفت أمام هذه المدنية موقف الحائر لاتدري كيف تستفيد منه وأول شعب اسلامي ولي شطرها هو الشعب المصري فان حكامه حاولوا اقتباس هذه المدنية منذ مئة سنة ولكنهم لم يسيروا اليها من طريقها فكانت العاقبة ان احتلت بلادهم دولة اوربية في الربع الاخير من القرن

لم يوجد للمسلمين حكومة تقودهم في الطريق الموصلة الى النافع من هذه

المدنية مع التوقي من مضارها ولم يكن لهم زعماء في الدين والعلم اذا قالوا يسمعون، وإذا هدوا يتبعون ، بل ظهر في شعوبهم المتمتعة بشيء من وشل الحرية او غمرها (كمسلمي روسيا والهند ومصر) كتاب ومؤلفون يدعون الى شيء من الاصلاح الاجتماعي الذى حولت العالم اليه مدنية اوربا ولكن صوت العارف الناصح من هؤلاء الكتاب يكاد يخفى بين ضوضاء الغوغاء من المتطفلين والمقلدين والمتجرين بالكتابة والصحافة ولا غرض لهم منها الا ارضاء عامة الدهماء ، او التزلف الى بعض الحكومات او الرؤساء ، ولو من الاجانب والغرباء ، والدهماء في جهل مبين، لاتميز بين الغث والسمين ،

لايكاد يوجد اصل من اصول الاصلاح الذى يحتاج اليه المسلمون الا وله في دينهم دليل يرشد اليه ، او سبق عمل يعول عليه ، وقد حكموا التقاليد والعادات في اعمالهم فلا الى هدي الدين يرجعون ، ولا بما تقضي به حال العصر يعتبرون ،وانما تتدافعهم التقاليد القديمة والحديثة فيندفعون ، ولايدرون في اي طريق يسيرون ، ولا الى اي غاية يصيرون،

امامك مسألة تربية النساء وتعليمهن وهي من اعظم مسائل الاجتماع في هذا العصر والمسلمون في حيرة لايدرون الصواب فيها وقد كثر اختلاف الكتاب والمصنفين فيها حتى كأنهم في مجموعهم خيال ذلك الشاعر الذى اوردنا كلامه المتناقض في النساء آنفاً صاح بعض الكتاب في الهند ومصر ان علموا النساء وربوهن، فلا ارتقاء لكم مع جهلهن، فصاح بهم آخرون انكم مخطئون، تفسدون في الارض ولا تصلحون، وقد سمعنا في هذه الايام صيحة جديدة من مسلمي روسيا فان أحمد بك آجايف أحد كتابهم المشهورين ألف كتاباً باللغة الروسية سماه حقوق المرأة في الاسلام ونقله إلى اللغة العربية سليم أفندي قبعين وطبعه وقدمه الى قاسم بك أمين الذي فتح بمصر باب البحث في «مسألة النساء» بكتابه (تحرير المرأة) ثم كتابه (المرأة الجديدة)

ليتني كنت أدري ماذا كان لكتابه من التأثير في بلاده ولعله كان أقرب الى قلوب الجمهور هناك من كتاب تحرير المرأة الى قلوب الجمهور هنا لان الناس هناك أكثر اعتدالا وأشد استعداداً فيما أظن ولان اسلوب الكتاب يوافق هوى المسلمين عامة

اذ برز في صورة الدفاع عن الاسلام والرد على الاجانب الذين يسيئون به الظن، ويكثرون فيه الطعن، فقد ذكر الكاتب شيئاً من إفك الافرنج واختلاقهم في الاسلام، وطعنهم في النبي عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر انصاف افراد منهم عرفوا شيئاً من الحق فنطقوا ببعض ما عرفوا • ومن هنا انتقل الي الكلام في حقوق النساء في الاسلام لان الافرنج يبالغون في الطعن بأحكام الاسلام في النساء، ويعدونها من اكبر علل الشقاء، ذكر ما كان عليه النساء في الامة العربية وغيرها قبل الاصلاح الاسلامي ثم انه ذكر الاحكام التي انفرد بها الاسلام في ذلك مستشهداً بالآيات الكريمة والاحاديث الشريفة والاحكام الفقهية على بعض المذاهب وقد انتقل بعد ذلك الى التاريخ فتناول منه شيئاً من سيرة المسلمات اللواتي اشتهرن بالعلم والادب • ويقول المؤلف في الحجاب انه ليس من الاسلام في شيء •

وجملة القول ان الكتاب نافع ولا يخلو من افكار جديدة ويقل فيه ما يتناوله النقد فنشره مما يزيد المسلمين بصيرة في هذه المسألة إن كانوا يطلبون البصيرة ليعملوا بها وأنى لنا العمل ومن ذا الذي يعمل وهذه مصر التي يذكرها المؤلف ويظن انها عاملة قد كثرت فيها الكتب المؤلفة في تربية المرأة وتعليمها لم تتغير الحال بها بل لا تزال الامة تتدحرج في التيار الذي قذفتها فيه الحرية الشخصية والتقليد الصوري فيزداد النساء تبرجاً وتهتكا وزمام تعليم البنات في ايدي الاوربيين واللورد كرومر ينادي في تقريره الاخير بما علمه القراء في مقالات (الحياة الزوجية) فنحن في حاجة شديدة الى مدرسة اسلامية للبنات كالمدرسة التي كان الاستاذ الامام عازماً على انشائها للجمعية الخيرية وسترى ذكرها في ترجمته رحمه الله تعالى

كتاب الرسائل الزينبية

زينب فواز أشهر النساء المتعلمات الكاتبات بالعربية لما لها من الرسائل في الصحف المنشرة ، والكتب والقصص المنتشرة ، وقد جمعت رسائلها المتفرقة في الجرائد ، وطبعتها في ديوان واحد ، فاذا هي سبعون أو تزيد ، وكم فيها من مبحث طريف وموضوع جديد ، كالكلام في بدعة الزار ، وما فيها من الاوزار ؛ وكوصف حفلات الاعراس ، في بيوت كبراء الناس ، وما للنساء من التقاليد والعادات، في تلك البيوتات ، ومن هذه الرسائل مناظرات بينها وبين بعض الكاتبين والكاتبات، ومنها ماهو في وجوب تعليم البنات ، • وثمن الكتاب خمسة قروش صحيحة يضاف اليها قرش أجرة للبريد وهو يطلب من مؤلفته المقيمة في سوق السلاح بمصر

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

تبرج النساء بمصر

للكلام في مصر دولة ذات صولة بل له دول متعددة يصول بعضها على بعض والحرب بينها سجال، وأكثرها يقع في عالم من الوهم والخيال، هو بمعزل عن عالم الحقيقة والاعمال،

قال قوم ان النساء أسيرات الحجاب في سجون الحجال، قد استضعفهن فاستعبدهن معشر الرجال، فيجب تحريرهن من هذا الرق، والمن عليهن بنعمة العتق، فقام آخرون يقولون ان هذا الحجاب، حكم أنزله الله في الكتاب ، فالتهاون فيه إهمال للديانه، وجناية على العفة والصيانة، وقد أكثر هؤلاء القول وسودوا صفحات الصحف في التألم والشكوى من الدعوة الى تخفيف الحجاب، ونبز من يراه بالالقاب

ليس من غرضنا أن نقول ان هؤلاء أو أولئك مخطئون وانما الغرض أن نبين ان مسألة الحجاب مسألة كلام ومراء ، لا مسألة إرشاد واصلاح، وان الغيرة فيها ليست غيرة على الصيانة وآداب الاسلام، وانما هي تغاير في ذرابة اللسان وخلابة الاقلام،

نحن نعلم ان نساء المدن الذين يطلق عليهن لفظ المخدرات والمتحجبات، لا يبلغن عشر النساء المسلمات ، ثم ان مظهر هذا الحجاب وعنوانه هو البرقع والملحفة التي تعرف بالملاءة أو الحبرة وان خلت صاحبتهما بالرجال ، وشاركتهم في بعض المعاملات والاعمال، وكان الاصل في هذا البرقع أن يستر الوجه حتى لا يظهر منه الا العينان والاصل في هذه الملاءة أن تستر الرأس وجميع البدن فلا يبدو منها شيء

فما زال هذا البرقع يرق حتى صار يشف عما وراءه فيبدو مستوراً أجمل منه مكشوفاً ومازال يدق من جانبيه ويتدلى من اعلاه والملاءة تنحسر من حوله فتظهر الجبهة وقصبة الانف والاذنان والليتان (صفحتا العنق) والوجنتان ثم خرجت الملحفة التي تعرف بالملاية وبالحبرة عن كونها ملحفة تستر البدن والثياب والزينة فصار نساء الاغنياء

والمتوسطين ومن قلدهن من دونهن يستبدلن بالملحفة الساترة عمارة قصيرة تتدلى من الرأس الى المرفقين وكساء من نسيج العمارة يشددنه على خصورهن ويزررن العمارة به من أقفائهن ويخرجن وهن كذلك إلى الاسواق والشوارع حاسرات عن معاصمهن المحلاة بالاسورة وسواعدهن إلى المرافق وإذا رفعت إحداهن يدها ظهر ماوراء المرفق من العضد لأن أردان جلبابها واسعة جداً تشبه أردان «فرجيات» شيوخ الازهر .

هذا ماتراه من صيانة مخدراتنا المسجونات وراء الحجاب ، فى زعم أنصاره باللسان والكتاب ، يتبرجن في الاسواق والشوارع تبرج الجاهلية الاولى مظهرات جميع زينتهن لجميع الناظرين فلا قرط ولا خاتم ولا سوار ولا خلخال ، إلا وهو معروض فى الطريق لانظار الرجال ، والرأس نصفه مكشوف وكذلك الوجه الا ماعلى الفم وأرنبة الانف من تلك الحريرة البيضاء التى تسمى البرقع وما هو إلا من نوع الشفوف المعروف بالسابري (الذى يكون المكتسي به كالعريان) أو النهنه الذى هو أرق من السابري

أين أصحاب الغيرة الاسلامية الذين حملوا على قاسم بك أمين تلك الحملة أن قال انه يجب على المرأة أن تستر جميع بدنها إلا وجهها وكفيها وأن لاتخلو بأجنبي ولا تزيد لأن هذا هو الحجاب المشروع ؟ ألا يحملون على اللواتي أظهرن الشعور والنحور والمعاصم والسواعد والمرافق والاعضاد وطفقن يتبرجن بزينتهن هذه فى كل مكان ؟ ألا يحملون على أزواجهن وآبائهن واخوانهن وسائر اهليهن فيسفهون احلامهم ، ويحركون غيرتهم ، ويأمرونهم بامساك أموالهم أن تنفق في اعانه نسائهم على هذا المنكر العظيم ؟ لماذا ثارت حميتهم على القائل ولم تثر على الفاعلين والفاعلات . فان زعموا ان القول لايفيد فلماذا خافوا من ذلك القائل ولماذا قالوا فى حقه ما قالوا

النساء فى مدن مصر لسن مسترقات فيدعى الى تحريرهن ، ولسن مظلومات فيدعى الى الرفق بهن ، وانما هن مسترقات للرجال ، ظالمات لهم فى الانفس والاموال ، والسبب الغالب فى هذا هو جهل الرجال وضعف إرادتهم وسوء إدارتهم فهم غير رؤساء فى بيوتهم ، فاذا كان تعليم البنات وتربيتهن على مايحب دعاة المدنية سبباً لنهوض الامة من كبوتها وارتفاع

شأنها لانهن يربين الرجال فيكونون أصحاب عزائم ، ويعلمنهم فيعرفون حقائق المصالح ، كما انهن يربين صنفهن على التوفير والاقتصاد ، والعمل الموافق لمصلحة البيوت ومصلحة البلاد ، فمن المطالب الآن بتربية النساء ؟ لاجرم انهن هن المطالبات بتربية أنفسهن ، لانهن متصرفات بارادتهن لابارادة أوليائهن ، ولكن هل يسمعن النداء ، ويجبن من يدعو اليه الجهلاء والعقلاء ؟

الحق انه لا يرجى أن نقوم بتربية حسنة للبنات يرجى منها مقاومة تيار الفساد الجارف الا بتحقيق أمنية الاستاذ الامام رحمه الله وهي إنشاء الجمعية الخيرية مدرسة لهن على الوضع الذي كان عازماً على تنفيذه فى العام القابل بعد القيام بجمع الاعانة له فى هذا الشتاء كما نذكر ذلك فى موضعه فاذا كان عدد أهل الغيرة على الدين والشرف وعلى الآداب والمدنية كثيراً فليبذلوا المال للجمعية وهي زعيمة بهذه الخدمة كما كان يريد ويحاول رحمه الله تعالى

خنوثة الرجال وفسوقهم

بينا في النبذة الماضية أن النساء قد استضعفن الرجال فاتبعن الهوى ، وضللن طريق الهدى . وصار التبرج في الاسواق ، وابداء الزينة للصالحين والفساق ، سنة فى العمل متبعة ، وان كان في الشرع بدعة محرمة ، ولذلك يوشك أن تعم جميع النساء ، لانهن خلقن مولعات بالتقليد في الازياء ، والذنب فى ذلك كله على الرجال ، فهم الرعاة وعليهم تبعة الاختلال ،

يرخي الرجل لامرأته الطول . بعد ان يبذل لها ثمن ماتشتهي من الحلي والحلل ، ويخرج الى الطرق والمنتزهات ، يستشرف للظباء السانحات ، فلا تمر به عذراء الا ويلقي اليها قولا ، ولا تلمحه عوان الا ويطلب منها نيلا ، وقد حملني على هذا الذي كتبت الآن انني رأيت رجلين فى سن الكهولة عليهما أثر النعمة يتمشيان في شارع من اعظم شوارع القاهرة فمر بهما فتاتان صبيحتا الوجه فكرا على عقبيهما يقتفيان أثر البنتين ويشذان بكلمات التصبي التى تغثى لسماعها نفس الحر حتى تكاد تقيء

صادف هذا المنظر من نفسي أشد الاستهجان على انني لا اكاد امر فى شارع ولا

أطل من كوّة الا وأرى ما يحاكيه او يزيد قبحاً وشناعة وكأن السبب في ذلك انني توهمت الادب والكمال في الكهلين

رأيت منذ ايام شابا يتأثر فتاة في جادة واسعة في احد جانبيها قمامة واقذار فكان كلما دنا منها بعدت عنه حتى اضطرها الى المشي في ذلك الجانب القذر فراراً من قذارة نفسه ونتن أخلاقه وما كان امتعاضي من هذا المنظر الا دون امتعاضي من منظر ذينك الكهلين اللذين كانا يتكلمان بما يعد في العرف البلدي ظرفاً وذوقاً

ما كل متبرجة بغي او ملتمسة خدن بل فيهن المقلدة في الزي كيلا تعاب بين النساء بالعجز عن مجاراة صنفها او بالتأخر فيما يسمونه «المودة» ولكن هذا التبرج مطمع للفساق – وما اكثرهم لا اكثر الله من أمثالهم – ولهم العذر فقد ورد في الحديث «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» رواه ابنا خزيمة وحبان في صحيحهما . ودخلت امرأة من مزينة المسجد ترفل في زينة لها فقال النبي (ص) « يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فان بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد» رواه ابن ماجه والتبختر في الشوارع والمنازه ادعى إلى الفتنة منه في المساجد فهل من ذي نفس ابية، وغيرة اسلامية، يسعى في ابطال هذه الازياء الفاضحة، والمعاصي القادحة، وهل للكتاب أن يحملوا على هذه العادات الشائنة حملة منكرة في الجرائد لعلهم يفيدون

الحداد والمآتم

وقفت على عادة من عادات البيوت في الحداد لم اكن أعلم بها من قبل وهي ان النساء يفرشن البسط والطنافس في البيوت مقلوبة ويجعلن على الارائك والحشايا التي يجلس عليها نسيجاً أسود ويغيرن سائر ما في البيت من الاثاث والمتاع بعضه بالقلب وبعضه بالنزع وبعضه بتغشيته بالسواد ليكون كل شيء مذكراً بالمصاب باعثاً على تجديد الحزن واثارة الشجن . وهذه العادات عامة لا يكاد يخلو منها بيت عالم ولا جاهل ولا رفيع ولا وضيع اذا مات احد من اهله لاسيما كبير البيت . وانا نحمد الله ان لم يبتل من ربينا بينهم من الاهل والمعاشرين بهذا البعد الشديد عن هدي الدين والسخط لقضاء الله تعالى . ونسأله تعالى ان يوفق علماء هذه البلاد وكتابها الى الاجتهاد في تغيير منكرات الحداد والمآتم ، وازالة ما اعتيد فيها من البدع والمآثم،

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر – ١٦ رجب سنة ١٣٢٣ – ١٥ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٢٧:٢٢٨) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

هذا حكم جديد غير ما تقدم في قوله «الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان» فهذه الآية بيان للواجب في معاملة المطلقات ونهي عن ضده ووعيد على هذا الضد وإرشاد الى المصلحة والحكمة في الائتمار بذلك الامر والانتهاء عن هذا النهي . وتلك بيان لكيفية الطلاق المشروع وعدده وكون الاصل فيه ان يكون بغير عوض

وكون أخذ العوض من المرأة لايحل الا بشرط . ولا ينافي هذا ماورد فى سبب نزولها وذكرناه فى تفسيرها وهو أليق بهذه فان هذه الآيات كلها نزلت فى إبطال ما كان عليه الناس من سوء معاملة النساء في الطلاق فجميع الوقائع التي كانت تقع على العادات الجاهلية كانت تعد من أسباب النزول لها وقد ورد فى أسباب نزول هذه مانقله السيوطي فى كتابه عن ابن جرير وهو فى معنى رواية الترمذي والحاكم هناك قال : أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ثم يطلقها ثم يفعل ذلك يضارها ويعضلها فأنزل الله هذه الآية . واخرج عن السدي قال نزلت فى رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى انقضت عدتها الا يومين أو ثلاثة راجعها ثم طلقها مضارة فأنزل الله تعالى «ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا» :اه ولاتحسبن ان قوله تعالى «ولاتمسكوهن» نزل وحده بل القول فيه كالقول فى مجموع هذه الآيات فى مسائل الطلاق نزلت كلها مرة واحدة فيما يظهر من سياقها، ولكن بعد وقوع حوادث جعلت من أسبابها،

الأجل فى قوله تعالى (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) هو زمن العدة ومعنى بلغن أجلهن قاربن اتمام العدة قال القرطبي هذا إجماع لم يفهم أحد من الآية غيره: وهو مبني على قاعدة ماقارب الشيء يعطى حكمه تجوزا يقول المسافر بلغنا البلد أو وصلنا اليه اذا دنا منه وشارفه. وقوله (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) معناه فاعزموا أحد الامرين - إمساك المرأة بالمراجعة أو إطلاق سبيلها - وليكن ما تختارونه من أحد الامرين بالمعروف الذى شرع لكم في آية «الطلاق مرتان» (ولاتمسكوهن ضرارا

لتعتدوا) أي ولا تراجعوهن إرادة مضارتهن وايذائهن للاعتداء عليهن بتعمد ذلك . فالضرار بمعنى الضرر وذكر بالصيغة التي تأتي للمشاركة للاشعار بأن ضره إياها يستلزم ضرها إياه فالرجال يضرون أنفسهم بايذاء النساء ويؤيد هذا قوله (ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) فى الدنيا بسلوك طرق الشر والاعتداء التي لا راحة لضمير صاحبها وبجعل المرأة وعصبتها اعداء له يناصبونه ويناوؤنه والعدوّ القريب أقدر على الإيذاء من العدوّ البعيد وبتنفير الناس منه حتى يوشك ان لا يصاهره أحد ، وظلم نفسه فى الاخرى بما خالف أمر الله وتعرض لسخطه.

ثم قال تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) وهذا وعيد بعد وعيد ، وتهديد لمن يتعدى حدود الله فى هذه الأحكام أي تهديد ،والسبب فيه حمل المسلمين على احترام صلة الزوجية ، وتوقي ما كانوا عليه فى عهد الجاهلية ، فقد كانوا يتخذون النساء لعبا ، ويعبثون بطلاقهن وإمساكهن عبثا ، وفى أسباب النزول: اخرج ابن أبي عمر فى مسنده وابن مردويه عن أبي الدرداء قال كان الرجل يطلق ثم يقول لعبت ويعتق ثم يقول لعبت فانزل الله « ولا تتخذوا آيات الله هزوا » أي انزله فيما أنزل من آيات أحكام الطلاق لا انه أنزله على حدة كما تقدم نظيره فى نظيره . والمعنى لاتهاونوا بحدود الله تعالى التى شرعها لكم في آياته جريا على سنن الجاهلية فان هذا التهاون والاعتداء للحدود بعد هذا البيان والتأكيد من الله تعالى يعد استهزاء بآياته . ومن هنا قال بعض السلف المستغفر من الذنب وهو مصرّ عليه كالمستهزىء بربه . ولا شك ان الذي يخالف أمر الله وينقض هذه العهود بعد توثيقها طلبا لشهوة من شهواته ، أو استمساكا بعادة

من عاداته ، فهو جدير بأن يعد مستهزئا بآيات الله غير مذعن لها

بعد التحذير من التهاون بحقوق النساء وجعل العابث بأحكام الله فيها مستهزئا بآياته - وفى ذلك من الوعيد والترهيب ما فيه - أراد تعالى أن يقرر هذه الاحكام في النفوس بباعث الترغيب فيها بالتذكير بفوائدها ومزاياها وبيان المنة في هداية الدين التى هي منها فقال (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) فأما نعمة الله تعالى فهي نعمة الفطرة السليمة فى الرابطة الزوجية المعبر عنها بقوله تعالى «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» ولا يبعد عندي ان تكون هذه الآيات النفسية هي المرادة بقوله تعالى «ولا تتخذوا آيات الله هزوا» .

وقد أفسد على الناس هذه المودة والرحمة واضعف في نفوس الأزواج ذلك السكون والارتياح غرور الرجال بالقوة وطغيانهم بالغنى وكفران النساء لنعمة الرجال وحفظ سيئاتهم وتماديهن فى الذم والتبرم منها ، وما مضت به عادات الجاهلية وقلد به الناس بعضهم بعضا . فالله سبحانه وتعالى ذكرنا أولا بنعمه علينا فى أنفسنا لنزيح عن الفطرة السليمة ماغشيها بسوء القدوة واتباع الهوى ونشكرها له سبحانه بالمحافظة عليها بتمكين صلة الزوجية واحترامها وتوثيقها وثانيا بهذا الدين القويم الذي هدانا الى ذلك وحد لنا كتابه الحدود ووضع الاحكام مبينا حكمها واسرارها ، مؤيدا لها بالوعظ السائق الى اتباعها ، وماذكرنا بالكتاب هنا الا لنجعله إماما لنا فى تقويم الفطرة ، على مامضت به السنة وعززته الحكمة ، ولكننا قدأعرضنا عنه فمن نظر فى شيء من هذه الاحكام فانما ينظر فيما كتبه بعض البشر مما هو خلو من حكمة التشريع ،

غير مقرون بشيء من الترغيب والترهيب ، فهو لا يحدث للنفوس عظة ولا ذكرى ، ولا يبعث فى القلوب هداية ولا تقوى ، على أن أكثر المسلمين لا ينظر فيها ، ولا يسأل العارفين بها عنها ، الا ان يكون لأجل الاستعانة على حقوق يهضمها ، أو صلات يقطعها وعرى يفصمها ، فهو يستفتي غالبا ليأمن مؤاخذة الحكام ، لا ليقيم حدود الاسلام ، واذا قام فيهم داع يدعو الى الله ويذكر المؤمنين بآيات الله ، رماه الرؤساء بسهام الملام ، وأغروا به السياسة وهاجوا عليه العوام ، خائفين ان يحيي ما أماتوه من الاجتهاد فى فهم الكتاب والسنة ، زاعمين انه يبطل مذاهب الائمة ، على ان هذا التذكير هو الذي يحيي علم المجتهدين ، لانهم كانوا مذكرين به ومبينين ، لاصادين عنه ولا ناسخين ، وما كل من اهتدى بهديهم فى التذكير والتبيين ، يلحقهم فى الاستنباط والتدوين ، فيا أيها العلماء أحيوا كتاب الله ، فوالله انه لاحياة لهذه الأمة بسواه ، ولذلك عادت بترك هديه إلى عادات الجاهلية ، اتباعا للهوى ونزغات البهيمية ،

هذا وان جمهور المفسرين فسروا نعمة الله هنا بالدين والرسالة وجعلوا قوله « وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة » تفصيلا للنعمة المجملة . قال الاستاذ الامام « واذكروا نعمة الله عليكم » بارسال هذا الرسول وبيان الحدود والحقوق التي تحفظ لكم الهناء فى الدنيا وتضمن لكم السعادة فى الآخرة . وذكر ان مابعد هذا تفصيل له وفسر الحكمة بسر الكتاب ثم قال وفى النعمة وجه آخر وهي هذه الرحمة التي جعلها الله بين الرجال والنساء وامتن بها علينا فى قوله «وجعل بينكم مودة ورحمة» : وانما أوردنا هذا الوجه أولا بالبيان والتفصيل لانه هو المختار وذهب بعضهم الى

ان النعمة هنا عامة تشتمل نعم الدنيا والدين

ثم ختم الآية بقوله (واتقوا الله) الخ أمر بعد كل ماتقدم من التأكيد والتشديد والتهديد بتقواه بامتثال أمره ونهيه زيادة فى العناية بأمر النساء وصلة الزوجية وهو ماتقتضيه البلاغة في هذا المقام مقاومة لماملك النفوس قبل ذلك من عدم المبالاة بعقد الزوجية اذ كانوا يرونه كعقد الرق والبيع والاجارة فى المتاع الخسيس والنفيس بل كانوا يرونه دون ذلك لان الرجل لم يكن يشتري متاعا ثم يرمي به فى الطريق زهدا فيه ولم يكن يمسكه ليعذبه وينتقم منه ولكنهم كانوا يطلقون المرأة لادنى سبب كالملل والغضب ثم يعودون اليها يفعلون ذلك المرة بعد المرة وكانوا يمسكونها للضرار والاهانة كما تقدم آنفا وقد يستبدل الواحد منهم امرأة الآخر بامرأته . فالاعتياد على هذه المعاملة السوءى والأنس بها لاتكون مقاومته الا بتعظيم شأن عقد الزوجية والمبالغة فى تأكيده بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد اذ لا يسهل على الرجل الذي كان يرى المرأة مثل الامة أودونها أن يساويها بنفسه بمجرد الامر ويرى لها عليه مثل ماله عليها ويحظر على نفسه مضارتها وإيذاءها ويلتزم معاملتها بالمعروف فى حال إمساكها عنده وفى حال تسريحها ان اضطر اليه . ولكن هذه العظات والتشديدات المشتملة على الإقناع وبيان المصلحة هي التي تعمل فى نفسه وتؤثر بتكرارها فى قلبه وإن كان كالحجارة فى القسوة

أم ترى الحبل بتكراره فى الصخرة الصماء قد أثرا

وقوله (واعلموا ان الله بكل شيء عليم) هو أبلغ فى موضعه من كل ماتقدم من التأكيد والتشديد في حقوق النساء لأن الانسان قد يراعي

الاحكام الظاهرة بقدر الامكان بغير إخلاص فيطبق العمل على الحكم على وجه يعلم ان من ورائه ضررا فهذه الجملة تذكره بأن الله تعالى لايخفى عليه شيء مما يسره العبد أو يعلنه فلا يرضيه الا التزام حدوده والعمل بأحكامه مع الاخلاص وحسن النية حتى يكون ظاهره كباطنه فى الخير ولا يتم له ذلك الا بمراقبة الله تعالى في عمله والعلم اليقين بأنه مطلع عليه لا يبيت قولا أو فعلا ولا ينوي خيرا أو شرا ولا يطوف فى ذهنه خاطر ولا تختلج فى قلبه خلجة إلا وهو سبحانه عالم بذلك ومطلع عليه فلا طريق له الى مرضاة ربه الا بتطهير قلبه وإخلاص نيته فى معاملة زوجه وفى سائر المعاملات . قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى : من حسنت نيته حسن عمله غالبا بل كان موفقا دائما : أقول ومن التوفيق ان يستفيد من خطئه الذي لم يرد به سوءا فيعرف كيف يتوقى مثل هذا الخطأ ويزداد بصيرة في الخير. فليزن المؤمنون أنفسهم بميزان هذه الآية الكريمة وأمثالها وهي الموازين القسط ليعلموا ان منشأ فساد البيوت وشقاء المعيشة هو الإعراض عن هدي الكتاب المبين وانه لاسبيل إلى السعادة الا بالرجوع إليه وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه

(٢٢٨ : ٢٢٩) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ*

المراد ببلوغ الاجل فى هذه الآية انقضاء العدة قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين:ذلك أن الإمساك

بمعروف والتسريح بمعروف فى الآية السابقة لا يتأتى بعد انقضاء المدة لان انقضاءها إمضاء للتسريح لا محل معه للتخيير وانما التخيير يستمر الى قرب انقضائها ، والنهي عن العضل فى هذه الآية يقتضي ان المراد ببلوغ الاجل انقضاؤها اذ لا محل للعضل قبله لبقاء العصمة . وفى هذه الآية حكم جديد غير الاحكام السابقة وهو تحريم العضل وقد كان من عادات الجاهلية ان يتحكم الرجال فى تزويج النساء إذ لم يكن يزوج المرأة الا وليها فقد يزوجها بمن تكره ويمنعها ممن تحب لمحض الهوى وقال المفسرون ان الرجال المطلقين كانوا يفعلون ذلك يتحكم الرجل بمطلقته فيمنعها ان تتزوج أنفة وكبرا ان يرى امرأته تحت غيره فكان يصد عنها الأزواج بضروب من الصد اولمنع كما كان يراجعها في آخر المدة لاجل العضل وقد أثبت الاسلام الولاية للأقربين وحرم العضل وهو المنع من الزواج وأن يزوج الولي المرأة بدون إذنها فجمع بين المصلحتين

وقد اختلف المفسرون فى الخطاب هنا فقيل هو للأزواج أي لا تعضلوا مطلقاتكم أيها الأزواج بعد انقضاء المدة ان ينكحن أزواجهن واضطر أصحاب هذا القول إلى جعل الازواج بمعنى الرجال الذين سيكونون أزواجا. وقيل هو للأزواج والاولياء على التوزيع فقوله «واذا طلقتم النساء» خطاب للازواج وقوله «فلا تعضلوهن» خطاب للأولياء وقالوا لا بأس بالتفكيك فى الضمائر لظهور المراد وعدم الاشتباه واستدلوا بما ورد فى سبب نزول الآية فى الصحيح ـ أخرج البخاري وأصحاب السنن وغيرهم بأسانيد شتى من حديث معقل بن يسار قال كان لي أخت فأتاني ابن عم لي فأنكحتها اياه فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت

العدة فهويها وهويته ثم خطبها مع الخطاب فقلت له يا لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخطبها والله لا ترجع اليك أبدا وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الى بعلها فأنزل الله هذه الآية (قال) ففيّ نزلت فكفرت عن يميني وأنكحتها إياه وفى لفظ فلما سمعها معقل قال سمعا لربي وطاعة ثم دعاه فقال أزوجك وأكرمك: وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فتلا عليه الآية. ومن هنا نعرف خطأ من قال ان إسناد النكاح الى النساء هنا يفيد انهن هن اللواتي يعقدن النكاح فان هذا الاسناد يطلق فى القديم والحديث على من زوجها وليها كانوا يقولون نكحت فلانة فلانا كما يقولون حتى الآن تزوجت فلانة بفلان: وانما يكون العاقد وليها. ولم تكن أخت معقل حاولت ان تعقد على زوجها فمنعها وانما طلبها الزوج منه فامتنع أن ينكحه إياها فصدق عليه أنه منعها ان تنكح زوجها ونزلت فيه الآية وفهمها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وغيرهم من العرب كالامام الشافعي بهذا المعنى

وفى الخطاب وجه ثالث رجحه الزمخشري واختاره الاستاذ الامام هنا وسبق له مثله وهو انه للامة لأنها متكافلة في المصالح العامة على حسب الشريعة كأنه يقول يا أيها الذين آمنوا اذا وقع منكم تطليق للنساء وانقضت عدتهن وأراد أزواجهن أو غيرهم أن ينكحوهن وأردن هن ذلك فلا تعضلوهن أن ينكحن أي لا تمنعوهن من الزواج . أو غيرهم وعلى هذا الوجه يأخذ كل واحد حظه من الخطاب للمجموع . وتقدم لهذا الخطاب نظائر ومنها خطاب بني اسرائيل فى عصر التنزيل بما كان من آبائهم فى زمن موسى وما بعده مسندا اليهم . والحكمة فى هذا الخطاب العام

هنا أن يعلم المسلمون انه يجب على من علم منهم بوقوع المنكر من أولياء النساء أو غيرهم أن ينهوه عن ذلك حتى يفيء الى أمر الله وانهم اذا سكتوا على المنكر ورضوا به يأثمون . والسر فى وجوب تكافل الامة ان الافراد اذا وكلوا الى أنفسهم فكثيرا مايرجحون أهواءهم وشهواتهم على الحق والمصلحة ثم يقتدي بعضهم ببعض مع عدم النكير فيكثر الشر والمنكر في الامة فتهلك ففي التكافل والتعاون على إزالة المنكر دفاع عن الامة ولكل مكلف حق فى ذلك لان البلاء اذا وقع فانه يصيبه سهم منه . قال تعالى « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئسما كانوا يفعلون »

ثم قال (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) أي اذا تراضى مريدو التزوج من الرجال والنساء بأن رضي كل من الرجل والمرأة بالآخر زوجا وقوله « بينهم » يشعر بأن لا نكر فى أن يخطب الرجل المرأة الى نفسها ويتفق معها على التزوج بها ويحرم حينئذ عضلها أي امتناع الولي أن يزوجها منه اذا كان ذلك التراضي فى الخطبة بالمعروف شرعا وعادة بأن لا يكون هناك محرم ولا شيء يخل بالمروءة ويلحق العار بالمرأة وأهلها وقد استدل الفقهاء بهذا على ان العضل من غير الكفؤ غير محرم كأن تريد الشريفة فى قومها أن تتزوج برجل خسيس يلحقها منه الفضاضة ويمس مالقومها من الشرف والكرامة فينبغي أن تصرف عنه بالوعظ والنصيحة . ويجيز بعض الفقهاء العضل اذا كان المهر دون مهر المثل وقال الاستاذ الامام اذا أرادت المرأة أن تتزوج بأقل من مهر مثلها ولم يكن الحامل على ذلك فساد الاخلاق والمسقط للكرامة

أو اتباع الهوى وارضاء الشهوة بل كان ميلا الى رجل مستقيم يرجى منه حسن العشرة وصلاح المعيشة الا أنه يعسر عليه دفع مهر كثير مع نفقات الزواج الاخرى فلا يجوز حينئذ العضل بل يجب تزويجه

(ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر) الوعظ النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل . أي ذلك الذي تقدم من الاحكام والحدود المقرونة بالحكم والترغيب والترهيب يوعظ به أهل الايمان بالله والجزاء على الاعمال فى الآخرة فان هؤلاء هم الذين يتقبلونه ويتعظون به فتخشع له قلوبهم ويتحرون العمل به قبولا لتأديب ربهم وطلبا للانتفاع به فى الدنيا ورجاء فى مثوبته ورضوانه في الأخرى . وأما الذين لا يؤمنون بما ذكر حق الايمان كالمعطلين والمقلدين الذين يقولون آمنا بأفواههم لأنهم سمعوا قومهم يقولون ذلك ولم تؤمن قلوبهم لانهم لم يتلقوا أصول الايمان بالبرهان، الذي يملك من القلب مواقع التأثير ومسالك الوجدان ، فان وعظهم به عبث لا ينفع ، وقول لا يسمع ، لانهم يتبعون فى معاملة النساء اهواءهم ، ويقلدون ماوجدوا عليه آباءهم وعشراءهم، والآية تدل على ان الايمان الصحيح يقتضي العمل وقد غفل عن هذا الأكثرون، وقرره الائمة المحققون، كحجة الاسلام الغزالي والحافظ الشاطبي وشيخ الاسلام ابن تيمية والاستاذ الامام رحمهم الله تعالى قال الاستاذ الامام هنا : كأنه يقول من كان مؤمنا فلا شك انه يتعظ بهذا يشير الى ان من لم يتعظ ويعمل بها ليس بمؤمن : وتدل على ان أحكام الدين حتى المعاملات منها ينبغي أن تساق الى الناس مساق الوعظ المحرك للقلوب لا أن تسرد سردا كما ترى فى كتب الفقه

(ذلكم أزكى لكم وأطهر) الزكاء النماء والبركة فى الشيء واتباع ما جاء به القرآن فى منع عضل النساء وفى معاملتهن بالمعروف فى كل حال هو مزيد فى نماء متبعيه وصلاح حالهم مابعده مزيد يفضله وهو أطهر لاعراضهم وانسابهم، وأحفظ لشرفهم واحسابهم، لأن عضل النساء والتضييق عليهن مدعاة لفسوقهن، ومفسدة لاخلاقهن، وسبب لفساد نظام البيوت وشقاء الذراري، مثل فى نفسك حال امرأة كأخت معقل ابن يسار تزوجت برجل عرفها وعرفته، فأحبها وأحبته، ثم غضب مرة وطلقها وبعد انقضاء العدة ندم على مافعل وأحب أن يعود الى امرأته التي تحبه، واعتادت على الأنس به والسكون اليه، فعضلها وليها اتباعا لهواه، واعتزازا بسلطته، ألا يكون ذلك مضيعة لولدهما ومغواة لهما؟ ومثل أيضا وليا يمنع موليته من الزواج بمن تحب ويزوجها بمن تكره اتباعا لهواه أو عادة قومه كما كانت العرب تفعل وانظر أترجو ان يصلح حالهما ويقيما حدود الله بينهما أم يخشى أن يغويها الشيطان بالآخر ويغويه بها ويستدرجها فى الغواية فلا يقفان الا عند نهاية حدودها؟ وهكذا مثل كل مخالفة لهذه الاحكام تجدها مفسدة. وقد كان الناس لجهلهم بوجوه المصالح الاجتماعية على كمالها لايرون للنساء شأنا فى صلاح حياتهم الاجتماعية وفسادها حتى علمهم الوحي ذلك ولكن الناس لا يأخذون من الوحي فى كل زمان الا بقدر استعدادهم. وان ماجاء به القرآن من الاحكام لاصلاح حال البيوت (العائلات) بحسن معاملة للنساء لم تعمل به الأمة على وجه الكمال بل نسيت معظمه فى هذا الزمان وعادت الى جهالة الجاهلية.

ولهذا الجهل السابق ولتوهم الذين يسيئون معاملة النساء أنهم يتبعون المصلحة ختم هذه المواعظ والاحكام بقوله (والله يعلم وأنتم لاتعلمون) وهذه آيات

علمه ظاهرة فان البشر لم يهتدوا الى هذه الاحكام النافعة باختبارهم الطويل بل عزبت حكمتها عن نفوس الأكثرين بعد ان نزل الوحي بها فلم يعملوا بها وكان يجب على المؤمن الذكي أن يقيمها على وجهها ملاحظا فوائدها وعلى المؤمن الغبي أن يسلم بها تسليما وان لم تظهر له فائدتها فى الدنيا اكتفاء بأن الله تعالى يعلم من ذلك مالايعلم هو

ومن دقائق البلاغة فى الآية واختلاف الخطاب بالاشارة فانه لما جعل الوعظ بما ذكر من الأحكام والحكم خاصا بمن يؤمن بالله واليوم الآخر وجه الخطاب به للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله «ذلك يوعظ» الخ وأما كونه أزكى وأطهر فقد جعله عاما وخاطب به الناس كافة بقوله «ذلكم» الخ وقد تقدم توجيه الأول وأما توجيه الثاني فهو ان كل من عمل بهذه الاحكام فإنها تكون زكاء وبركة فى بيته وذريته وطهرا لعرضه وشرفه سواء اوعظ بتلك الآيات فاتعظ لايمانه أم لا بأن بلغته غفلا من الوعظة غير مسندة الى الوحي أو قلد بها بعض العاملين. وكون الخطاب في «ذلك» للنبي صلى الله عليه وسلم هو أحد الوجوه التي ذكروها فيه قال البيضاوي فى توجيهه انه على طريقة قوله «ياأيها النبي اذا طلقتم» للدلالة على ان حقيقة المشار اليه أمر لايكاد يتصوره كل أحد: اه وقيل الخطاب للجمع على تأويل القبيل وقيل لكل أحد وقيل لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين ذكر ذلك كله البيضاوي. وسأل الفخر الرازي: لم وحد الكاف فى قوله تعالى «ذلك» مع أنه يخاطب جماعة؟ وأجاب بأن هذا جائز والتثنية أيضا جائزة والقرآن نزل باللغتين جميعا قال تعالى «ذلكما مما علمني ربي» وقال «فذلكن الذي لمتنني فيه» الخ ماأورد

وهو جواب مبهم موهم فان التثنية هنا واردة في خطاب الاثنين والجمع المؤنث وارد فى خطاب النسوة اللاتي قطعن أيديهن فلا يصح شيء مما ذكره في هـذا المقام . والمعروف فى الاستعمال ولعله مراده أن الكاف المفردة تستعمل فى كل خطاب سواء كان المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا وهي لغة بعض العرب فاذا تحول المتكلم عنها وجب أن يكون كلامه على حسب المخاطبين تقول للرجل ذلك بفتح الكاف وبكسره للمرأة وذلكما للاثنين مطلقا وذلكم للذكور وذلكن للاناث وهي لغة قريش

تتمة سيرة الاستاذ الامام

نموذج من كتبه وترسله

كتب من بيروت سنة ١٣٠٢ الى صديق عالم فى بعض البلاد وفيه من الحث على احياء دين الله ، والاهتداء بكتاب الله ، مالا تجد مثله فى كلام ، الا ان يكون لمثل علي عليه السلام ، قال رضي الله عنه

السلام عليكم، تحية أخ يهزه التشوق اليكم ، وبعد فقد تلقيت اليوم كتابك وتشممت منه ريح الحمية ، والنعرة الدينية ، وأرجو ان تصل بك بدايتك الى مايختار الله لك من حسن النهاية ولم يكن ظني فى همتك ، دون ماتبينت في عبارتك ، فليكن سرورك بنفسك ، على قدر شفقتك على دينك ، وحركة ميلك للاخذ بيده ، وتقويم أوده ، فانما هو الدين المتين الذي أطلق العقل من قيده ، وأخذ على الوهم فى كيده ، وهز النفوس الى نيل الفضائل ، ونكب بها عن مشايمة الرذائل ، حتى ساد به الضعفاء، وذلت لسلطانه الاقوياء ، وسبق وعد الله بأن يظهره على الدين كله ، والله

منجز وعده لاهله ، وانما خلقنا الله وكلفنا صرف هممنا اليه ، وتمويلنا في شؤوننا عليه ، وليس لنا من الحق فى أنفسنا وأموالنا ، الا مانبذله فى تأييد ديننا ، ولا حاجة لله فيمن لم يكن له من نفسه وماله نصيب

داوم قراءة القرآن وتفهم أوامره ونواهيه، ومواعظه وعبره، كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي وحاذر النظر الى وجوه التفاسير الا لفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد العرب منه ، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصله ، ثم اذهب الى مايشخصك القرآن اليه، واحمل بنفسك على مايحمل عليه ، وضم الى ذلك مطالعة السيرة النبوية واقفا عند الصحيح المعقول ، حاجزا عينيك عن الضعيف والمبذول ، (*) واعتبر بما قاسى النبي وأصحابه من الجهد والعناء لنصر دين الله ، وما ركبوا من المتاعب ، وما احتملوا من المصاعب ، على ما تعلم من درجة قربهم الى الله وغفرانه لهم ماتقدم من ذنبهم وماتأخر ، واجعل عيشك للآخرة واستعد لما وعد فان سعادة أبدية ، لاتنال الا بسيرة محمدية ، ولن تنال بنوم موسد ، على فراش ممهد ، واعلم انك محاسب على الدقيقة من أوقاتك ، لاعزاز دينك كانت لك والا كانت عليك ، وأرجو ان يكون كل سعيك خيرا يجعله الله نورا يسعى بين يديك ان شاء الله

اما ماذكرت من مسألة الشيخ ... فبودي لو توجه الى الله كل مسلم ، واعتصم بحبله كل مؤمن ، فما بالك بشيخ من جمال الوصف على ما ذكرت ، ومن علو المنزلة على مابينت ، فان تيسر لك السبيل فتقدم

(*) يريد بالمبذول تلك الموضوعات التي ينبذها روح الدين وتأباها قواعده العامة ونصوصه القطعية

لدعوته (أي إلى الاعتصام) وادخل اليه ابتداء من طريق لا يعرفه وتلطف له في القول وان شئت أطلعته على شيء من مقالات العروة الوثقى فاذا انتهيت به الى ما يعرف وآنست منه الميل والرضاء فإما ان يكتب إليّ وإما ان يستعد لتلقي كتاب مني ثم سراع إليّ بالخبر الخ

وكتب منها الى عالم كبير في بعض البلاد في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠٢

أشد ما أجد من فراقك ، حرماني من محاضرة آدابك . والاقتباس من نوادر فضلك ، وتعرّف الصواب من صائب رأيك ، وإنما يخفف ألم البعد عنك أن أكون بمكان من فكرك ، وأصيب حظا من مراسلتك ، وجدير بكرمك ان تصل واصلا ، وتجيب سائلا ، وسلامي عليك وعلى أنجالك الصالحين ، والله ينفع المسلمين بسعيك وخالص نيتك والسلام اه

فانظر كيف كان إحياء الدين وهم المسلمين والسعي في إصلاحهم مما يدخل في كل أقواله ، كما كان مسيرا له في جميع أحواله ، فهل تزن بمثله من ليس لهم حظ من الدين ، الا الأكل به من السوقة والفلاحين ، لا يهمهم الا التحلق حول الموائد ، والتطواف لجمع النذور «والعوايد»

﴿ قوة عقله وسعة علمه ﴾

يصف الناس كل نابغ بالذكاء الفطري ويعنون به سرعة الفهم وسهولة الحفظ ولذلك كنت تجد الناس مجمعين على وصف الاستاذ الامام بالذكاء النادر ، لا يختلف في هذا منصف ولا مكابر ، أما هو فكان يقول عن نفسه إنه متوسط في الذكاء وانه يوجد في كل مئة رجل ٧٥ رجلا مثله في ذهنه . وعلى هذا كان يجب ان يكون ثلاثة أرباع الناس أو طلاب العلم منهم خاصة مثله ولكن الناس لم يروا في الملايين الكثيرة مثله وانك لتسمع

كثيرا من أهل الفضل يقولون ان الدنيا انما تلد مثل هذا الرجل في كل عدة قرون مرة وقالوا بعد موته ان الفراغ الذي حدث بفقده لا يملأه أحد في هذا العصر . وقد راجعناه في قوله ان ثلاثة أرباع الناس يساوونه في ذهنه وقلنا له كيف تحصل في الزمن القصير من العلم مالا يحصلونه في الزمن الطويل فقال ان الفرق بين الناس في هذا لا يأتي من الاختلاف في الذهن فقط وانما يأتي معظمه من الاختلاف في توجيه الارادة الى الشيء ومعرفة طريقه وغايته قبل طلبه . وهذه حقيقة لا مرية فيها ولكنها لم تذهب بامترائنا في ان قوله ذلك من المبالغة بمكان وان كان قاله اعتقادا لا تواضعا وهضما لنفسه . على اننا نعرف من أصحاب الذكاء المدهش من كان ذكاؤهم وبالا عليهم خاصة أو عليهم وعلى كثير من الناس الذين يعرفون : فالعبرة بما قال وهو ان ادراك المقاصد انما يكون بصحة توجيه الارادة اليها وطلبها من طرقها الطبيعية

بلغ هذا الرجل من قوة العقل ان عجزت الأمراض الشديدة عن منعه المطالعة فكان يقرأ في أيام مرضه أكثر مما يقرأ في صحته التي تشغله فيها الأعمال . أتظن انه كان يقرأ كتب القصص والفكاهات ؟ كلا انما كان يقرأ العلوم العقلية والفلسفة وكتب التربية والتاريخ . وقد رابه من مرضه الاخير ملله فيه من المطالعة وقال انه لم يعهد ذلك في مرض قط فقلت له هكذا شأن أمراض المعدة على ان كثرة الاعمال العقلية هي السبب الفعال في مرضك هذا كما يقول الأطباء - ولم يكن المرض يومئذ قد اشتدت وطأته

وقد أصيب بحمى التيفوس مرة في بيروت فبلغت نهاية شدتها وأعلى

حرارتها ولم يغب عقله ولم يهذ لسانه حتى قال الطبيب الذي كان يعالجه انني لم أر مثل دماغ هذا الرجل ولو حدثت عن مثل مارأيت منه لما صدقت . وكذلك قال بعض الأطباء الذين زاروه قبل موته بأيام قليلة فقد دب التسمم في جسمه وعقله حاضر وذاكرته تملي على لسانه الأجوبة السديدة في وصف مرضه لمن يسأل عنه . وقد اتفقنا نحن الذين كنا نلازمه على ان لا نحدثه في الجد ولا مسائل العلم والاجتماع وان نمنع عائديه من الحديث فى ذلك لاسيما بعد اشتداد المرض عليه ولكنه كان ينتقل بنا من الفكاهة الى الجد فاذا ساقت شجون الحديث مسألة عويصة أو عبارة احتجب معناها ، أسرع ذهنه الى كشف الحجاب عن الخفايا فجلاها ، ونفث فى عقدة العويص من عراها ،

أذن لنا بذكر الشعر والادب فى يوم تواترت فيه نوبات الألم فكان مما أنشده حافظ ابراهيم من مختار محفوظه قول بشار :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

وقال انني أنشد هذا البيت منذ سنين وأنا لم أفهمه وسألت عنه غير واحد من الادباء فلم يأت أحد بتفسير ترتاح اليه النفس فلم يلبث الامام ان قال، والالم ينال من كبده ماينال ، ان معناه ظاهر فانه يريد انهم اذا غضبوا اسلوا سيوفهم وأشرعوا رماحهم فكان بريقها ولمعانها هتكا لحجاب الشمس الى أن يمكنوها من طلى أعدائهم وصدورهم فتخرج وهي تقطر دماء وتسيل مهجا ، هنالك يخفى ذلك البريق واللمعان بستر الدم له ورينه عليه . فالضمير فى قوله قطرت دما عائد الى السيوف أو الرماح وان لم تذكر بالقول فهي معلومة بالقرينة أي على حد قوله تعالى « إني أحببت حب

الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب » على التفسير المشهور

ناهيك بمن كان يقتل عامة نهاره وزلفا من ليله بحل المشكلات وإمضاء الأعمال فى معاهد كثيرة ولا يشكو تعبا ولا يخاف مللا ، كان يصبح فيغدو الى مجلس الشورى مثلا فيجلي المسائل الموضوعة للبحث سواء كانت قضائية أو إدارية أومالية ويؤلف بينها وبين مصلحة البلاد ويؤيدها بالحجج القانونية والعقلية التي تقنع الحكومة بعد اقتناع الاعضاء ثم يخرج من هذا المجلس فيأكل طعام الغداء ويذهب الى الازهر فان كان اليوم يوم جلسة الادارة جلسها وعمل فيها عمله ثم ينتقل الى مكتب الافتاء حيث كان ينتظره أصحاب الحاجات المختلفة فى جميع مصالح الحكومة وغيرها والمستفتون والزائرون وكتاب الجمعية الخيرية والازهريون من علماء ومجاورين فينظر فى هذه الأمور الى مابعد العصر ثم يخرج الى ديوان الاوقاف ان كان اليوم يوم جلسة المجلس الاعلى أو الى مجلس ادارة الجمعية الخيرية ان كان اليوم يوم جلسته ثم يعود عند الغروب الى الازهر فيقرأ الدرس فيخرج بعد العشاء قاصدا داره فيجد العفاة وأصحاب الحاجات ينتظرونه في المحطة وفى البيت يعرضون عليه حاجاتهم وبعد هذا كله لم تكن تخلو داره ليلة من السامرين يتكلمون فى العلم والادب والمصالح العامة والخاصة . ولا تنس ان الايام التي لم تكن موعد الجلسة فى تلك المجالس الرسمية هي التي تقرأ فيها أوراق تلك المجالس ، ولكنه كان على ذلك العقل الكبير والعرفان الغزير كثير النسيان للأمور الجزئية لاسيما أسماء الاعلام حتى انه نسي اسم نفسه مرة . ذهب لزيارة صديق له فلم يجده فسأله البواب عن اسمه ليخبر مخدومه به فتوقف الاستاذ فى الجواب ذهولا عن اسمه فقال الخادم أقول الشيخ

محمد عبده ؟ قال نعم فأنت اعرف باسمي مني

أتقن جميع العلوم الاسلامية وضرب بسهم فى العلوم والفنون العصرية قبل تعلم اللغة الفرنسية وقد أتقن هذه اللغة فى سن الكهولة وتوسع بها في العلوم على طريقة الافرنج وكان يعني بالعلم على قدر الحاجة اليه في العمل والإصلاح. فأما علوم اللغة العربية فقد بلغ منها ان كان ادق الناس فهما للقرآن ، ولغيره من فصيح الكلام ، وأبلغ الكتاب بلا منازع ، وأخطب الخطباء بلا مدافع ، وأما العلوم العقلية فقد ارتقى فيها الى أن كان فيلسوفا حكيما اعترف له بذلك من يعتد بمعرفتهم . ونذكر هنا تفسيره لكلمة فيلسوف . حدثنا فى طرابلس الشام قال كنا في مجلس بعض الوجهاء بمصر وكان فى المجلس بعض أهل العلم وحملة الاقلام من السوريين . فقال مامعناه ان الناس قد ابتذلوا لقب فيلسوف فصاروا يطلقونه على غير أهله وكان أطلق هذا اللقب فى جريدة على بعض الحاضرين فجرى ههنا كلام فى معنى كلمة فيلسوف قيل الفيلسوف هو الذي يتقن جميع العلوم قال الاستاذ اذاً لم يوجد فيلسوف فى الارض قيل هو الذي اتقن بعض الفنون وله إلمام بسائرها قال ان جميع الذين يتعلمون على الطريقة الحديثة يخرجون على إلمام بجميع العلوم العصرية ويتقنون بعضها فما أكثر الفلاسفة فى المهندسين والأطباء وفي التلامذة أيضا . ثم قال بعد كل مقال: الفيلسوف هو الذي له رأي ومذهب فى العقليات يمكنه الاستدلال عليه والمدافعة عنه

وأما العلوم الشرعية فقد كان فيها إماما مجتهدا وان كبرت هذه الكلمة عند الذين سجلوا على أنفسهم الحرمان من فضل الله على المتأخرين،

وإبنائهم من العلم والفهم ما آتاه المتقدمين ، وناهيك بفهمه فى القرآن ووقوفه على أصول الشريعة وحكمها واسرارها وقوة حجته فى إثبات عقائدها ودفع الشبهات عنها وتطبيق أحكامها على مصالح البشر . ولست أعني بكونه إماما مجتهدا فى الشريعة انه صاحب مذهب دونه أو كان يريد أن يدونه وانما أعني ماذكرت آنفا من فهمه الدين أصوله وفروعه بالدلائل والبراهين والفقه فيه والوقوف على حكمه والقدرة على بيانه بدون تقليد عالم معين من العلماء السابقين والأئمة المهديين الذين اتبع آثارهم واهتدى بهديهم . وكان يرى ان من يضع للناس مذهبا جديدا فانما يزيدهم عمى وجهلا وتفرقا واختلافا

أخلاقه وشمائله

الأعمال ثمرات الأخلاق فماذكرناه من أعمال الرجل تمثل بعض أخلاقه لأنها بعض آثارها وان وراء ذلك من أحاسن الخلال ، وآيات الكمال ، ماتقصر عن تمثيله جلائل تلك الأعمال ، ولقد كملت للاستاذ الأمام أصول الفضائل الأربع ، وما نشأ عنها وتفرع ، واننا نشرح بعض أخلاقه لتكون قدوة للمقتدين ،

طبع الله هذا الرجل على عزة النفس وعلوّ الهمة من أول نشأته وقد أدركه السيد جمال الدين الذي درج فى حجر السيادة وترعرع فى بيت الامارة وهو مجاور فى الأزهر ومنقطع إلى التصوف يلبس قميصاً يبدو من أعلى جيبه صدره الاشعر وقد أرسل جمة كجمة الدراويش فراعه من صاحب هذا القشف ماعنده من العزة والاباء وحفظ الكرامة ورقة شعور الشرف وأكبر ان يكون هذا أثر التربية والتخلق فى بلاد ساسها الظلم وتحكم فيها الجور المذلل للنفوس وكأنه سبق إلى نفسه أن هذا أثر وراثة

لأحد آبائه الاولين ، وانهم لابد ان يكونوا من الملوك والحاكمين ، فقال له مرة : « قل لي بالله أيّ أبناء الملوك أنت » : وهـذا الخلق هو ركن الفضائل الركين ، وناهيك بقول الله تعالى « ولكن العـزة لله ولرسوله وللمؤمنين » ، وهو الباعث على تلك الأعمال ، والحامل عـلى الاستهانة بما بين يديها من الاهوال ، وقد يشتبه على كثير من الناس هـذا الخلق الكريم ، بخلق الكبر الذميم ، ولذلك كان بعض الحاسدين والجاهلين ينبز الاستاذ الامام بهذا اللقب لاسيما عندما كانوا يرونه مترفعا عن الدهان والتملق للكبراء ، معرضا عمن يعارضـه في مقاصده وان كان من العظماء ، ولو عاشروه ناظرين بعين الانصاف لرأوا حقيقة التواضع مع الرفعـة كيف تكون . لرأوا كيف كان ذلك الرجل العظيم يخدم الفقير والمسكين ، ويتجافى جنبه عن مضجعه لاجل العفاة والمستفيدين ، ومن دقائق ملاحظتـه في التواضع انه كان يتحامى صيغة الطلب الجازم في مخاطبة أصدقائه ومحبيه ، بل وتلامذته ومريديه ، فيستبدل بالأمر الاستفهام والتخيير ويوسع للمخاطب العذر قبل أن يحتاج الى الاعتذار ثم اذا أخلف معه يتناسى فلا يقابله بلوم ولا عتب . أذكر من لطائفه في هـذا الباب قوله لي مرة : انني أكون غدا في مكان كذا بعد الظهر فان ذكرت ذلك ووجدت فراغا وأحببت أن تجيء فعلت : ذكر كل هذه القيود وأنا اعلم انه يريد ان أوافيه حتما ولولا ذلك لذكر لي أنه يكون في ذلك المكان ولم يزد كعادته معي إذ كان يخبرني بمواقيته

وقـد عرف رحمه الله تعالى بسـلامة الصدر وصفاء القلب والحلم والصفح فما انتقم من مسيء ولا سعى في ضرر أحد قط بل كان يحسن

الى من أساء اليه اذا استنجده أنجده ، واذا استرفده أرفده ، وان عاد الى الاساءة سبعين مرة . وكان أهل الخبث والمنكر من حاسـديه يظنون أنهم يخدعونه بدهانهم ودهائهم ولكن فراسته كانت تخترق صدورهم ، وتنفذ الى سواد قلوبهم ، ويقرأ في صحائف وجوههم الاولى ، مارسم على صحائف وجوههم الاخرى ، وإنما يقبل منهم ما أظهروا ، ويتغابى عما أضمروا ، عملا بما ورد في الخبر « إصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله فان اصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فأنت من أهله » وكان يعجبه قول أفلاطون : استصلاح العدو أحزم من استهلاكه :

نعم كان يغلب عليـه حسن الظن وبذلك رفع أناسا الى مراتب لم يكونوا أهلا لها والناس يعدون ذلك عليه ويغفلون عن عـذره فيه وهو ان من رفعهم ورقاهم كان لابد للاعمال التي رقاهم اليها من عاملين فحسن الظن ببعض من يمكن ان يعهد اليهم العمل وناطه بهم فمنهم من ظهر بالاختبار ان ظن الخير فيه صادق فكان صالحا للخدمة شاكرا للصنيعة ومنهم من ظهر بعد التجربة لؤمه ، وتبين فساده وشؤمه ، فلم يصلح عملا ، ولم يشكر محسنا ، ومن هذا الفريق من أساء الى من أحسن اليه ، وكفر حقوق المنعم عليه ، ومنهـم من أظهر الوفاء ، في وقت الرخاء ، وأظهر حقده وضغنه ، عند الضراء والمحنة ، وليت شعري ما حيلة الرجـل الذي جبلت طينته على الاحسان وتوجهت همته الى الخدمة العامة ، وقد نشأ في قوم فشا فيهم فساد الاخلاق ، وقل فيهم الوفاء والاخلاص ، أيمكن ان يقال له لا تسد الى أحد معروفا ، ولا تسع الى أحد بخير ، إلا بعد ان تجربه عدة سنين ، فتعلم انه من المصلحين والشاكرين ؟ كيف وانما يجرب الرجل بما يعهد اليه من الأعمال ،

وما يعامل به من البر والاحسان ،

على أنني لا أنكر انه كان لسلامة قلبه يفيض أمام بعض من يعتقد إخلاصهم بما لاتسع عقولهم ، ويفضي إلى بعضهم بما تضيق عنه صدورهم ، وانه كان لمبالغته فى الحلم يعفو عمن لاتعفو المصلحة العامة عنه ، ويصفح عمن يقضي الاصلاح بالانتقام منه ، وقد كان يكون هذا العفو والصفح مما يخفى على من عفا وصفح عنهم ، كما كان يخفى الانتقام لو انه انتقم منهم ، ولعله لولا هذا الخلق لكان نجاحه أسرع وأتم ، وإصلاحه أشمل وأعم ،

وكان من الكمال فى الوفاء لأصدقائه ، والغيرة على أحبائه ، بحيث يهتم بشأنهم فى السر والجهر والبعد والقرب والغيب والشهود بمثل مايهتم آباؤهم وأبناؤهم او أشد وكثيرا ما رأيناه يسعى فى دفع الشر عنهم وفى سوق الخير اليهم بأشد مما كانوا يسعون لأنفسهم . وما من صديق ولا محب له وإلا وكان آمنا من انحرافه عنه ، بل من توانيه فى الانتصار له ، تأثرا بقول واش محال ، أو رهبته من كيد قوي ذي محال ، أوطمعا في جاه أو مال ، وقد كان فى وفائه هذا خير قدوة لمعاشريه والمتصلين به يربي نفوسهم بأخلاقه وسيرته ، كما يربي عقولهم بعلمه وحكمته ، فمريدوه ومحبوه أشد الناس وفاء لمن يحبون ، وأعظمهم إخلاصا لمن يصطفون ،

وقد كان على ماعلمت من صفحه عن الأعداء ، وكمال الوفاء للاحباء ، والاحسان لأولئك وهؤلاء ، لايخاف فى طريقه الى الاصلاح عدوا مبينا ، ولا يعتمد فيه على الصديق وإن كان ناصحاً أمينا ، وانما كان مستقلا برأيه مع الاستشارة ، مستقلا بارادته مع الاستعانة ، واثقا بأن الله يؤيده ويسخر له الناس لإخلاصه لله وللناس ، يستخدم فى سعيه كل من

استطاع استخدامه من موافق ومخالف ووطني وأجنبي ولكنه لا يعتمد فى قلبه على أحد من الناس ولا يغتر بأحد منهم . كان فى الناس من يظن بأن السبب فى شجاعته وقوة عزيمته في عمله ونفوذه عند الحكومة وإدلاله عليها هو اعتماده على حزبه الكبير الذي يضم جماهير العقلاء والفضلاء والكتاب والادباء ، وفيهم من يظن أن جراءته ومضاءه وإقدامه من ثقته بتأييد الحكومة له والقوة المحتلة من وراء الحكومة . أما هو فكان يعتقد أنه لاحول له ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما وهبه من العزيمة والاخلاص . وقد كلمته مرة فى هذا فأقسم بالله انه يشعر بأنه فى هذا الوجود كالعريان الذي ليس له فيه شيء وانه لا يعتمد على شيء الا على الله وهو المسخر لمن يشاء

وكان رضي الله عنه معتصما بحبل الصدق ، متحريا مايعتقد انه حق ، واذا تذكرت ان علة العلل لفشو الكذب فى الناس هي شدة ظلم الحكام ، واستبداد ذوي السلطان ، وأن أكذب الناس أكثرهم قربا من الظالمين ، ومعاملة للحكام المستبدين ، علمت أن ملكة صدق اللسان ، لا تتربى الا فى حجر شجاعة القلب وجرأة الجنان ، ولولا شجاعته لما نادى بمقاومة الاستبداد والاستبداد ـ كما قال ـ فى عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ولما حافظ على رأيه واعتقاده وان خالف العلماء والحكام ، وخالف الجماهير المعبر رأيهم بالرأي العام ،

هذان الخلقان ـ الصدق والشجاعة ـ هما شرطان للقدرة على الاصلاح فالكذوب والجبان عدوان لله لا يصلحان لشيء من الخير ولا يصلح بهما شيء . وان التزام الصدق فى أمة فشا فيها الكذب ، واعتادت على الدهان والملق ، من أشق الامور على النفوس ، وأبعدها عن طاعة التهذيب ، لما له من

الاثر في إحفاظ القلوب، والتأثير في إثارة البغضاء، وتكثير سواد الاعداء، وتنفير المحبين والاصدقاء، فكيف يتكلفه المتكلف مع هذه المنفرات عنه، والمرغبات في ضده، ثم كيف يكون ملكة نفسية، لا تكلف فيه ولا روية، لا تحسبن الامر سهلا فان الظهور بمخالفة اهواء العامة مما يجبن امامه الملوك القاهرون، وينكمش دونه العلماء العاملون، ولهذا يدهن الرؤساء للمرؤسين، ويدهن المرؤسون للامراء والسلاطين، فالصدق فيما لا يرضي العامة، أشد من الصدق فيما لا يرضي الخاصة، فما بالك بالصادق فيما قد يغضب الفريقين، والصابر على الطعن من الجانبين، أليس هو في مرتبة الصديقين، التي تلي مرتبة النبيين والمرسلين،؟

رأيت الاستاذ الامام في النوم بعد موته بأيام فقال لي ان الله تعالى أعطاني مقام الصدق أو قال انني في مقام الصدق فتذكرت كلام الشيخ محي الدين بن عربي في مقام الصدق وحال الصدق ومنه ان صاحب حال الصدق يكون كثير الظهور بالولاية والكرامة كثير الدعوى بحق وصاحب مقام الصدق أعلى وأكمل ويكون في الولاية مجهولا لا يعرف، ونكرة لا تتعرف، وتذكرت جهل الناس بمقام الاستاذ الامام، في الولاية والعرفان، احتجابا بمظهره الدنيوي ومعارفه الكونية، عن مرتبته الروحية ومعارفه اللدنية، واستيقظت وعلى لساني قوله تعالى « ان المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر »

ان ما ذكرناه من الشجاعة في التزام الصدق، والمجاهرة بنصرة الحق، هو ما يعبر عنه كتاب العصر بالشجاعة الأدبية وانت لا تجهل ان من لا يهاب في الحق وثبات الحكام، ولا يخاف طعن الخواص والعوام، فهو

جدير بأن لا يخيفه الحسام، ولا ترهبه السهام، كاشفني رحمه الله مرة بكتاب جاءه بغير توقيع يهدده مرسله فيه بالقتل اذا هو ظل مسترسلا في عمل نسب اليه ورأيته غير مبال به ولا مكترث فقلت له ان لك أعداء لا يخافون الله وانك تجيء دارك في الليل وهي في الخلاء بعيدة عن العمران فلو نظرت في ذلك: فقال أو تخاف علي من مثل هذا الكاتب المهدد؟ انني لم أهنيء نفسي الى الآن بأنه وجد في وطني من تجرأ علي بكلمة «أخطأت». وسألته مرة ماذا تصنع اذا هجم عليك لص في الليل أتطلق عليه الرصاص من هذا المسدس - وأشرت الى مسدس معلق بسرير نومه - فقال لا يجوز اطلاق الرصاص في البيت فانه يزعج النساء والعيال وليس عندي للص الا القبض عليه والاخذ بقوف رقبته: وكذلك يفعل

ومن خلائقه الانصاف في الرأي والعلم، كالانصاف في الحكم، والبعد عن المكابرة، في المذاكرة والمناظرة، فلم يكن يزدهيه الغرور والاعجاب، بسعة العلم وكثرة الصواب، ولا كان يصده الارتقاء عن مرتبة المقلدين، عن الرجوع الى رأي أحد التلاميذ والمريدين، بل كان رجاعا للحق اذا ظهر له، يحترم فهم غيره ورأيه، وهذا الخلق عزيز في العلماء، لا سيما ذوي الشهرة والجاه، ومن طلب آية على هذا فليرجع الى ما كتبه الإمام الغزالي عنهم في بيان آفات المناظرة من كتاب العلم في الاحياء. فاذا علم بما كان يجري والعلم حي والأمة عزيزة - ومن لوازم ذلك الانصاف - فما ظنه بهذا الخلق في خلف لم يبق لهم من عزة سلفهم الا الفخر بها، ولا من علمهم الا الحكاية عمن قلدهم فيه،

من آيات انصاف استاذنا ورجوعه الى الحق ماهو مدون في المنار.

لم ينس القراء مانشرناه له فى تفسير «وأما السائل فلا تنهر» اذ اختار قول بعض المفسرين ان المراد بالسائل من يسأل عن العلم ويطلب التفقه في الدين وذكر فيما كتبه فى تفسير جزء عم ان لفظ السائل لم يرد فى كتاب الله عنوانا للفقير والمسكين فظن بعض من قرأ ذلك ان قوله يفيد ان لفظ السائل لم يرد فى القرآن بمعنى طالب المال . فذكره رجل من عمد البلاد بقوله تعالى « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » فحسب انه أخطأ فيما كتب فأرسل اليّ ورقة صغيرة يصرح فيها بتخطئة نفسه وكلفني طبع عشرة آلاف نسخة منها بعدد ماطبع من كتاب تفسير «جزء عم» لتلصق بنسخ التفسير وأمر الجمعية الخيرية بأن تمسك عن بيع الكتاب حتى تطبع الاوراق وتلصق فرجعت الى الجزء فرأيت عبارته صحيحة الا انها مبهمة ليست كالمعهود فى بيانه فراجعته فى ذلك ولم أطبع الورقة فعاد الى التأمل فى العبارة ورجع الى مسودات تفسير الجزء فتذكر انه ما كتب تلك العبارة فى السائل الا وهو ذاكر لما توهموا انه ينافيها من قوله تعالى « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقوله تعالى « والسائلين وفي الرقاب » ثم كتب ما كتب فى إيضاح العبارة واعترف بما فيها من الابهام واستغفر الله من العود الى مثله وقد نشرنا ذلك فى ص ٨١٥ من المجلد السابع من المنار فليرجع اليه من شاء

وكان هذا الاوّاب الرجاع الى الحق جبلا راسخا فى الثبات والاستقامة لا يرجع عما شرع فيه، فكيف يطمع فى رجوعه عما طبع عليه، لانه كان لا يقدم على العمل إلا بعد الرّوية والتدبر، والبصيرة والتثبت، وقد كان السيد جمال الدين يقول فيه هو كالفلك لا يتغير قال هـذا بعد ما غاب غيبته فى بلاد

المشرق ثم عاد إلى أوربا ورأى فيها جماعة ممن كان يعرف قد تغيروا عما كان يعهد الا الشيخ محمد عبده فانه لقيه كما تركه

ولا حاجة الى الكلام فى جوده وسخائه فانه صار فيه على اكتتامه الصدقة وإخفائه البذل أشهر من علم وعرف الناس كثيرا من البائسين والعجزة الذين كان يمولهم ويوصيهم بالكتمان. ولم يكن فى أيام السراء ، أبسط يدا منه فى أيام الضراء ، لقيه صاحب فى بيروت فقال له ان والدي قد توفي وليس لدي ما أنفقه فى تشييعه فأعطاه كل ما كان يملكه من النقد وهو راتبه الشهري من المدرسة السلطانية كان قد قبضه ولم ينفق منـه شيئا ولكن الله أخلف عليـه بما لم يكن يحتسب فقد كان له دين عنـد رجل فى مصر يلويه ويمطله به أيام كان يتقاضاه ، وهو يراه فيستحيي منـه ويخشاه ، فما مر يوم على بذل جميع مافي يده وايثار صديقه على عياله حتى آذنه مصرف (بنك) بيروت بأن حوالة برقية جاءت باسمه من مصر واذا هي دينـه على ذلك الرجل « ومن يتوكل على الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » وكان اذا وفر شيئا من النفقة صرفه فى سبل البر. كان يدخن باللفائف المعروفة بالزنوبية وبالنارجيلة (الشيشة) ثم ترك التدخين بالمرة وجعل ما كان ينفقه فيه صدقة ولولا بعض أصـدقائه لما امتلك من طين هذه الارض شيئا ولا حاجة الى بيان ذلك هنا

لعلي لا احتاج إلى التنويه بغيرته على ملته وأمته فان بذل حياته كلها فى السعي بتربية الأمة على آداب الملة لم يكن الا أثرا من آثار هذه الغيرة فالدليل وجودي عملي عرفه القريب والبعيـد واعترف به العدوّ والصديق ولكنني أذكر في هذا الباب شيئا لا يعرف نظيره إلا بعض أصفيائه الذين

لم يغب عنهم شيء من أحواله

جئته مرة فى رمضان (سنة ١٣١٥) بعد الظهر على موعد فقيل انه نائم ولم يكن ينام فى مثل هذا الوقت بل كان ينام طائفة من الليل ثم يقوم في السحر ويلبث بعد السحور الى أن يصلي الصبح ثم ينام حتى ترتفع الشمس فمكثت ريثما استيقظ فسألته ما أنامه قال مامعناه ارّقني الليلة الفكر فى حال المسلمين وما ينزل بهم من البلاء يبعدهم عن دينهم واتباع أهوائهم وشهواتهم وقوي سلطان الفكر فهاج المجموع العصبي ونبه تنبيها شديدا حتى حدثتني نفسي بأن أنزل الى حيث يكثر اجتماع الناس كالموسكي والازبكية فأقف فى الطريق وأنادي أيها الناس ماذا رأيتم في دينكم من القبيح حتى تركتموه ، وماذا رأيتم فيما اخترتم بديلا منه حتى تقلدتموه ، ثم أخطبهم في حقيقة ماهم فيه ، وأنذرهم عاقبة ماهم عليه ، وأبين لهم طريق النجاة منه ، وقد عالجت النوم فلم أملك منه شيئا فلجأت الى الكتابة وما كنت لأكتب في الليل فجرى القلم بفصل جعلته آخر فصول رسالة التوحيد فثابت اليّ بعد ذلك نفسي وران النوم على عيني ولكن الليل قد آذن بالرحيل فلم أنل منه نيلا فكانت هذه النومة فى النهار عوضا عما فاتني فى الليل

أقول قد عرف من سبق له قراءة رسالة التوحيد ان الفصل الذي كتبه فى تلك الحالة هو الفصل الذي عنوانه (انتشار الاسلام بسرعة لم يعهد لها نظير فى التاريخ ٠) ولعمري ان ذلك الفصل لقول فصل ، وما هو بالهزل ، أملاه على كاتبه الالهام ، حتى كاد يكون معجزة من معجزات الاسلام ، وقد قال فى أوائله

« ابتدأ هذا الدين بالدعوة كغيره من الاديان ولقي من أعداء أنفسهم أشد مايلقى حق من باطل ، وأوذي الداعي صلى الله عليه وسلم بضروب الايذاء ، وأقيم فى وجهه ما كان يصعب تذليله من العقاب لولا عناية الله ، وعذب المستجيبون له وحرموا الرزق ، وطردوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة ، غير ان تلك الدماء كانت عيون العزائم تتفجر من صخور الصبر يثبت الله بمنظرها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب في أنفس المرتابين ، فكانت تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب وهي ذوب مافسد من طباعهم فتجري من مناحرهم جري الدم الفاسد من المفصود على أيدي الأطباء الحاذقين « ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون » تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وماجاورها على الاسلام ليحصدوا نبتته ، ويخنقوا دعوته ، فما زال يدافع عن نفسه دفاع الضعيف للاقوياء ، والفقير للاغنياء ، ولا ناصر له الا انه الحق بين الأباطيل ، والرشد فى ظلمات الأضاليل ، حتى ظفر بالعزة ، وتعزز بالمنعة ، وقد وطيء أرض الجزيرة أقوام من أديان أخر كانت تدعو اليها وكانت لهم ملوك وعزة وسلطان وحملوا الناس على عقائدهم بأنواع المكاره ، ومع ذلك لم يبلغ بهم السعي فلاحا ، ولا انالهم القصد نجاحا ، » الخ

وجئته مرة في داره بعين شمس (سنة ١٣٢١) وكان قد وعك غداة يومه فرأيته ينظر في ثلاثة كتب عربية يقرأ المسألة في كل منها فسألته مابك وما هذا الذي تنظر فيه فقال هو التهييج العصبي الذي يلم بي أحيانا من الفكر في الامور العامة وهذه كتب فى أصول الفقه ألهو بمباحثها عن

القرآن فانني اذا فكرت فيه رأيت بعد المسلمين عنه فيقوى التهيج العصبي

واما عاداته فقد كان يخالف فيها علماء هذه الديار - يخالفهم فيما يكره شرعا أو عقلا كتطويل الأردان وتوسيعها وجر الاذيال فكان زيه أقرب إلى زيّ علماء سوريا منه إلى زيّ علماء مصر . وكان يكره أن تقبل يده بل يصافح الناس مصافحة وقد منع الأزهريين عن تقبيلها بعد الدرس كعادتهم . وكان يكره ان ينشد أمامه شعر أو يقرأ شيء في مدحه يكره ذلك رأيا وشعورا فيتألم لسماعه وينفر منه . ولما كتب ما كتب في الرد على مقالات هانوتو فى الاسلام ونشر ذلك فى المؤيد معزوّا الى أحد أئمة الاسلام لم يخف على الناس أنه هو الكاتب لاعتقادهم انه لا يوجد في مصر من يقدر على مثل ذلك غيره وقد ذكر هذا أمامه فظهر التغير على وجهه وقال إنه لا يؤلمه شيء مثل هذا لانه إقرار بأن أمته بلغت من الجهل ان انفرد فيها واحد بالقدرة على أداء بعض الواجبات التى كان من الضروري أن يضطلع بها كثير من أفرادها فى كل بلد وأيّ ألم أشد من ألم من يحب ارتقاء أمته ورفعة شأنها وهو يراها بهذه الحال من العجز (قال) ومن البلاء ان يعجز الانسان فى هذه البلاد عن التنكر فى بعض الخدم التى تقضي المصلحة بتنكر من يخدم الأمة بها . وقد ذكرني قوله هذا قولا آخر له قريبا منه وهو إنني أحب لو يكون فى قومي كثير من الناس الذين يفضلونني فى كل علم لأن ذلك يعينني على تكميل نفسي بالرجوع إليهم فيما أجهل والاستعانة بهم على ما أعجز ومن أكبر المصائب على محب العلم ان لا يجد من يستمد منه فيقف علمه عند حد بحثه لا سبيل إلى ضم بحث غيره إليه . (لها بقية)

المصاب العظيم ☼ بوالدنا البر الرحيم

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

في يوم الاحد رابع رجب الحرام فجعنا بوفاة والدنا ومربينا ومربي اليتامى وكافل الارامل الشيخ الجليل ، السيد النبيل ، علي رضا الحسيني الحسني أحد سادات الديار الشامية المشهورين ، وأجواد الأمة المحسنين ، وله من السن ستون سنة أو ثلاث وستون سنة فى الاكثر (وليس عندي هنا قيد لسنة ولادته) فصبرنا واحتسبنا رجاء صلوات ربنا ورحمته وهدايته ومثوبته فلم نقل ولم نفعل مالا يرضي ربنا جل جلاله فله ما أعطى وله ما أخذ واليه المصير

ولد تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه في قرية القلمون بسفح لبنان من الجهة الشمالية بجوار طرابلس الشام وفيها تعلم مبادي القراءة والكتابة ثم اشتغل بطلب العلم في طرابلس على المرحوم الشيخ محمود نشابه أشهر علماء الديار السورية وشيخ الشيوخ فى طرابلس عدة سنين وأدى امتحان العسكرية فيها غير مرة ثم انقطع عن الطلب قبل أن يتم حضور الكتب ويصل الى مقام التدريس لشدة حاجة والده اليه فى ادارة أملاكه والنظر فى أعماله مع الحكومة والناس اذ لم يكن يومئذ له ولد رشيد سواه ولكنه لم ينقطع عن المطالعة في كتب الدين والادب والتاريخ بل كان يتراوح بين هذه الكتب ماسمح له الوقت وكان قوي الذاكرة طلق اللسان جريء الجنان يذكر ما يحفظ من الاشعار وأخبار الاوائل ووقائع الاواخر كلما عرض ما يذكر بشيء منها ولكنه كان يعيد الشيء المحفوظ كما قرأه أول مرة فان اتفق ان كان محرفاً أو ملحوناً أعاده كذلك عند الاستشهاد به غالباً وان عرف بعد حفظه بما فيه من خطأ أو تحريف كأن ما ينطبع في ذهنه لا يقبل المحو وكأن ما يعرض بعد ذلك من التصحيح ينطبع في مركز آخر من مراكز الدماغ فلا يلقيه إلى اللسان إلا اذا ورد المحفوظ لاجل بيان صحته . ومن قوة ذاكرته انه كان يحفظ كل ما مر به في سفره وحضره وكل ماله عند الناس أو لهم عنده من الحقوق المالية وان طال عليها الزمان

وكان مهيباً وقوراً حتى في طور الشباب يجله كل من جالسه وان كان أكبر منه

سناً أو فضلا وجاها كمشايخه وكبار الحكام. وأعرف ماعرف به وغلب على سائر أخلاقه الجود والسخاء فقد كان مضيافاً متلافاً مبذول القرى لكل طارق من غني وفقير وقريب وغريب ومسلم وغير مسلم كل من نزل به يلقى ما يليق به من الاكرام والحفاوة وكان فى أول العهد يتكلف لاهل الوجاهة والثروة اذا استضافوه زيادة عما جرت به العادة في المنزل ويقدم لغيرهم ماراج حتى كنا ننكر عليه ثم رجع عن هذا الى قاعدة الصوفية «لانبخل بموجود ، ولانتكلف لمفقود ،» حتى ربما أنكرنا ذلك أحياناً ، ولاحاجة لاستثناء ما لاهل الخصوصية الذين يدعوهم اليه من الاختصاص وانما الكلام فى العادة اليومية مع الضيوف وقد بلغت عنايته بأبناء السبيل أنه كان يحمل الطعام اليهم بنفسه أحياناً • وقد جاع الناس فى سنة من السنوات فكان يرسل الدقيق والارز الى بيوت القانعين الذين يفضلون الموت على السؤال في حنادس الظلام والناس نيام وله فى اخفاء الصدقة حذق غريب

أنعم السلاطين العظام على جدنا الثالث بسبع قراريط من مال عشر القلمون وما يتبعها من المزارع لينفق منها على مسجده الذي جدده فى القرية وعلى نفسه فلما وصل هذا الى والدنا رحمه الله تعالى كان فى الغالب يأخذ من الحكومة حصتها بما يسمونه الالتزام ثم يسمح لاكثر الاهالي بعشر كثير مما يزرعون من البقول وغيرها وما يجنون من الثمار لايعنى الا بعشر حب الحصيد والزيتون وكان كثيراً مايفوض اليهم أمر ما يجب عليهم من غير أن يخرص ويقدر – يجيئه الرجل بشيء من الزيتون مثلا ويقول هذا عشر ماجنيت فيرضى ويعطيه الآخر شيئاً من النقد يزعم انه عشر ما استفاده من أرضه فيقبل • وكنا نقول له يجب أن تضبط جميع مالك عند الناس ثم تأخذ ماشئت وتسمح بما شئت فلا يعجبه • وكان كريماً بجاهه أيضا اذا قصد بحاجة أو قدر على دفع مكروه اوجب منفعة للناس فانه يبذل جهده

وكان حسن المجاملة عظيم التساهل في معاشرة المخالفين في الدين مع الغيرة الشديدة على الاسلام والمناضلة عنه بما يحج المناظر ولا يؤذيه وانني منذ دخلت فى سن التمييز أرى في دارنا وجهاء النصارى من طرابلس ولبنان بل وأرى فيها القسوس والرهبان لاسيما في أيام الاعياد وأرى الوالد رحمه الله تعالى يجاملهم كما يجامل من يزوره من

الحكام ووجهاء المسلمين ويذكر مايعرف من محاسنهم في غيبتهم بكل إنصاف وقد كان هذا من أسباب دعوتي الى التساهل والوفاق وتعاون جميع أهالي البلاد على ما يرقي البلاد مع القسط والبر المشروعين فان الانسان اذا تربى على شيء ورأى ثمرته في نفسه وفيمن يعاشر كان أعرف بفائدته لاتفاق فكره ووجدانه فيه

وكان شديد الغيرة على الدولة العلية وقد عرف كثيرين من وزرائها وعظمائها كالمرحومين شرواني باشا وحمدي باشا اللذين وليا الصدارة وولاية سورية وكامل باشا والي أزمير اليوم والصدر الاعظم من قبل وجميع متصرفى لبنان السابقين وغيرهم فكان لاجلاله لهؤلاء واعتقاده بحسن سياسة أكثرهم كبير الامل في الدولة • ولا أعلم انه صدر منه قول ولا فعل ينافي الاخلاص للدولة والسلطان المعظم وكان يعز على الجواسيس المفسدين أن يأخذوا من أقواله مايشون به عليه الا أن يكون حسن ذكره لمصر وثنائه على أميرها الماضي وأميرها الحاضر وقد زارها فى أيامهما على أنني عرضت عليه عندما زار مصر في سنة ١٣١٧ أن أستأذن له في زيارة الامير فلم يرض ومع هذا كان يملأ الاندية ثناء على سموه وعلى الاستاذ الامام وكذا على صاحب المؤيد الذي عرفه هنا • وأما اتهامه بالسياسة في هذا العام ، وجعله تحت المراقبة الى أن وافاه الحمام ، فسببه وشاية من مصر فيه الى السلطان بأنه من أعوان مريدي إقامة الخلافة العربية (الموهومة) على انه منذ سنين لم يفارق القرية فهل تقلب الدول وتؤسس الممالك من شيخ مريض في قرية لازعماء فيها ولا ثروة ولاسياسة ولا حكومة ولا مدارس ؟ ؟

وأن تعجب فعجب عجاب ان تهتم الدولة بأمر الشيخين – الشيخ محمد عبده والسيد علي رضا – وتأخذ الحذر منهما بعد ان نزل بهما مرض الموت وأعجب من هذا ان يبقى هذا الحذر على اشده بعد موتهما فان كانا قضيا عمرهما ولم يحفظ عنهما قول ولم يعرف لهما فعل يؤذي الدولة فهل يخشى من رفاتهما في القبر أن يقلب دولة ويؤسس دولة؟ ياللخجل ، من تلاعب سفهاء الجواسيس بالدول ، الحق أقول انني كنت شديد الميل الى البحث في خلل الدولة وبيان طرق إصلاحها وما منعني من الاسترسال فى ذلك الا الشيخان اعلم ان والدي يستاء إن كتبت مالا يرضي الدولة وأستاذي كان ينهاني عن الكتابة فى السياسة مطلقاً

وكان الوالد تغمده الله برحمته معتصما بكمال الصبر فى المصائب ابتلي بمرض الصدر

المعروف بالربو وهو في شبابه فكانت النوبة تشتد عليه أحياناً حتى يمنعه الزفير من النوم والكلام المتصل فلا تراه الا حامداً شاكراً • وكان فخوراً بنسبه الى البيت النبوي خلافا لما عليه أسرتنا من البعد عن الفخر • وكان سنيا شافعي المذهب ويميل الى الشيعة الا انه يعظم الشيخين والسيدة عائشة ويقول في معاوية « لانسبه ولا نحبه » وينحي على غير الصحابة وعمر بن عبد العزيز من بني أمية إنحاء شديداً • وقد كان يقرأ في كتاب أمام استاذه الشيخ محمود نشابه فجاء ذكر معاوية فقال له الشيخ لم لم تقل « سيدنا معاوية » قال الوالد « سيدكم معاوية » قال الشيخ ألا تعترف بالسيادة لصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحي ؟ قال اني لم أنكر صحبته ولا كتابته للوحي ولكن أقول انه لاسيادة لاموي على هاشمي : فسكت الشيخ رحمه الله تعالى وكان الشيخ يحترمه حتى كان يخاطب جميع تلامذته ويذكرهم بأسمائهم ولا يذكره الا بلقب السيد

وكان طيب الله ثراه سليم القلب بريئا من الحقد والحسد بعيداً من الايذاء والانتقام الا انه كان يحتقر من عاداه، بقدر مايتودد لمن والاه، فلا يعرف الدهان والتملق وكان باطنه خيراً من ظاهره لاعدائه وأحبائه فمهما أعرض عن عدوه وازدرى به في الظاهر لايستحل أن يؤذيه في الباطن واني لاأستحي أن أصف ماامتاز به في معاملة الاصدقاء لئلا يشتم منها رائحة المنة على أحد منهم مع أنه كان يرى لهم المنة اذا حكموا في ملكه حكمه فيه

وجملة القول ان مزاياه كثيرة وفضائله عظيمة ولابدع فان البيت الذي نشأ فيه يندر ان يوجد مثله في هذه الامة الآن في سلامة الفطرة وطهارة الاخلاق وحسن الفعال واني والله لم أحكم هذا الحكم الا بعد الاسفار وطول الاختبار • بل أقول ان قريتنا تمتاز على القرى والمدن التي نعرفها بالخبر والخبر بالعفة والشجاعة والتقوى والاخذ بالسنن والبعد عن البدع وانما كانت كذلك بوجود بيتنا فيها اذ لايخلو مسجدنا من واحد منا يقرأ علوم الدين والتهذيب للعامة واستعداد أهلها للعلم عظيم وكلهم في الاصل شرفاء النسب مشهورون بالسيادة وقد كتب في سجل الاحصاء العام للدولة المودع في الباب العالي المعبر عنه بالدركنار «القلمون سيدة القرى والمزارع» ثم صار فيها

دخلاء كثيرون أكثرهم من مسلمي لبنان وأكثر مايقع فيها من المخالفات الضرب وسرقة الثمار وفق الله أهلها وتاب عليهم انه هو التواب الرحيم

ومما كنت أنكره على الوالد عفا الله عنه بعدما عرفت طرق التربية الحديثة وقرأت علم الاخلاق اختيار الشدة والترهيب في التربية فقد بلغنا مبلغ الرجال ونحن نهاب مؤاكلته ومكالمته والاتكاء أمامه • وكان يعاقبنا على الذنب بالاعراض والهجران حتى نتوسل اليه بأن يرضى • وقد صار في أخريات سنيه يمازح أولاده الصغار ويجمعهم على الطعام ذكرانا واناثاً اذا اتفق خلو البيت من الضيوف وكان يوصينا دائماً بالخوف من الله تعالى دون سواه • عفا الله عنه وأحسن اليه ورحمه رحمة واسعة بمنه وكرمه وأحسن عزاءنا عنه وثوابنا فيه

نعيه الينا وتعزيتنا عنه

توفاه الله عن ستة ذكور أكبرهم صاحب هذه المجلة (المنار) ومنهم ثلاثة يشتغلون بالعلم في الازهر وواحد في السجن متهم بالسياسة وهو منها بريء وبها جاهل ولها غير مستعد وواحد في القرية لاغناء به • وقد كتب الينا أحد علماء سوريا الاعلام في التعزية مانصه :

«إنا لله، ولاحول ولاقوة الا بالله، مصاب بعد مصاب، وخطوب تذهل الالباب، لقد جلت الرزية، وفدحت المصيبة، وتضاعف الاسف، وتجددت الاحزان، بوفاة السيد السند الكريم، الوالد البر الرحيم، الذي فجع به الفضل والكرم، ورزىء به المجد والشرف، وإنما غار الله له، فاختار له ماعنده، فنقله من دار المحن والشجن، الى دار الكرامة والمنن، وأنقذه ممن أرادوا به كيداً، وأمهلهم رويداً، ولسوف يأخذهم عذاب يوم شديد، ان ربك فعال لما يريد، وان من أنجب مثلك أيها السيد الكريم فهو حي باق أمد الدهر، لايموت له ذكر ولا ينقطع له أجر، بل طوبى له وقرة عين، لاسيما بجوار سيد الكونين، تغمده الله برضوانه وعظيم رحمته، وأسكنه بحبوحة جنته، وأحسن عزاءكم عنه جميعاً، وأنزل عليكم السكينة والرحمة، وأسبغ عليكم النعمة والمنة، وضاعف لكم الاجر، وأفرغ عليكم جميل الصبر، إنا الى الله راغبون، ولمثل هذا المصير صائرون، أسأله تعالى أن يعوضك وأشقاءك عنه خيراً ويعوضنا بطول حياتكم الخ

وكتب آخر من أهل العلم والادب هناك معزيا عن الاستاذ الامام والسيد الوالد «أعزي السيد أطال الله حياته عن رزأيه بأبويه، ومصيبتيه في والديه، وما أجلهما من رزئين عظيمين، وخطبين جسيمين، فأما رزء فقد أصيب به الاسلام كله، وبكى له العالم بأسره، وانطمس لاجله نور العرفان، وغيضت ينابيع الفضل، وهيضت أجنحة النهضة، وانقطع به ما اتصل من الآمال، واختل ما انتظم من الاعمال، وأما رزء فقد ذبل له روض الكرم، وهوى نجم الشرف، وسقط عمود المجد القديم، والحسب الصميم، فأحسن الله عزاء السيد عنهما، بما يرثه منهما، من المجد الذي لا يضاهى، والعلم الذي لا يتناهى، ان شاء الله تعالى، الخ

وكتب غيرهما من أهل الفضل والوجاهة في تلك البلاد والكلام كله في سياق واحد فنشكر لكل واحد فضله، ونكتم خوف الظلم اسمه وبلده، أما الجرائد السورية فلم تكتب شيئاً عن وفاة الشيخين لانها لا حرية لها فهي تخاف ان تكتب ثم ان هي سلمت من الضر، فلا يؤذن لها في النشر

ولما بلغ نعيه هذه البلاد كتبت الجرائد اليومية الشهيرة ما كتبت، وألقى الينا البرق والبريد من رسائل المحبين في التعزية ما ألقى، قالت جريدة الاهرام في العدد ٨٣٥٢

ورد من طرابلس الشام نعي الشيخ الجليل السيد علي رضا والد حضرة العلامة المفضال السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية

توفي الى رحمة ربه في يوم الاحد الماضي وهو في نحو الستين من عمره تاركاً في دنياه أحسن ذكر مقدماً للآخرة أعمالا طيبات فعز المصاب به على آله وعارفي فضله ونبله اذ كان الرجل وجيهاً في قومه رحب الصدر طيب الخلق مضيافاً كريماً ما زار القلمون زائر الا وكان في منزل الفقيد كانه في منزله ولا يذكر لهذا البيت الكريم من قديم الزمان حتى اليوم الا كل مأثرة طيبة وفضل ونبل

وقد شيعت جنازته في بلدته القلمون بمشهد كبير يليق بمقام هذه الاسرة الحسيبة الشريفة فنحن نعزي حضرات أنجاله الكرام وآله الافاضل على فقده سائلين له الرحمة والرضوان ولهم العزاء والصبر الجميل

وقالت جريدة الظاهر في العدد ٥٤٨

بلغنا بمزيد الاسف انتقال فضيلة الحسيب النسيب والعالم الفاضل السيد علي رضا الحسيني من أعيان طرابلس الشام وأشرافها الى رحمة الله تعالى ورضوانه نهار الاحد ٤ رجب عن عمر ناهز الستين قضاه في البر والافادة وعمل الخير أثر مرض حارت فيه الاطباء في بلدته القلمون فكان لنعيه رنة أسف عظيمة في البلاد السورية لماله من سمو المكانة وعلو القدر وشرف الاصل وعميم الاحسان تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته

وقالت جريدة المقطم في العدد ٥٠٠٢

ورد على حضرة العالم الفاضل الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار نعي المرحوم والده الجليل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعها توفاه الله يوم الاحد الماضي (٤ رجب) في القلمون عن ستين عاماً قضاها في عمل الخير والصالحات وهو من بيت مجد موصوف بالكرم وحسن الضيافة ومعروف في لبنان وولاية بيروت. وقد خلف ستة أولاد وكلهم من النجباء وأكبرهم حضرة الشيخ رشيد المشار اليه آنفاً

وقد لقي الفقيد رحمه الله من اضطهاد الحكومة الحميدية وظلم عمالها وقسوتهم ما اضناه وعجل عليه بالوفاة فقد كان يحتضر والعساكر العثمانية ملازمة باب داره ليلا ونهاراً خوفاً من ان ينهض عن فراش الموت ويخلع السلطان أو يثل عرش آل عثمان في حكم عقلاء هذا الزمان وابنه المدبر أمور بيته في غياب اخوته مطروح في سجن طرابلس الشام حيث يتقلب على جمر العذاب ريثما تمتثل المحكمة أمر الظالمين وتحكم عليه بالعقاب. وكل هذا الجور والظلم بناء على وشايات قوم يبغضون صاحب المنار ويحقدون على فقيد الوطن المرحوم الشيخ محمد عبده. فاجتمع الشيخان الجليلان الآن امام عرش العادل الديان يدعوان الى قاهر العتاة ومؤدب البغاة ان يجبر الضعفاء المظلومين ويكشف شر الطغاة الظالمين

وقالت جريدة الاخلاص في العدد ١١٠٠

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

نعي الى حضرة رصيفنا المحبوب العالم الكامل المهذب الشيخ رشيد رضا أفندي

صاحب مجلة المنار الغراء والده الجليل سليل بيت المجد الاثيل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعها في طرابلس الشام فكان لنعيه رنة أسف وحزن لامزيد عليهما لدى كل من عرفه لانه فضلا عن حسبه ونسبه كان رحمه الله من ذوي الغيرة على الفقراء والبائسين مشهوراً بالجود والكرم ومحباً للخير والاعمال الصالحة قضى ستين عاماً من عمره وهو في مقدمة الغيورين على دولته ووطنه ولكن في المدة الاخيرة وشى الواشون بحقه على أثر وفاة المغفور له فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فأهين من رجال حكومة الدولة على مابلغنا فكانت هذه الاهانة سبباً كبيراً لفقد حياته العزيزة

ولقد ساءنا ويسوءنا وأيم الله كلما سمعنا خبراً كهذا عن رجال دولتنا العلية ومعاملتهم هذه المعاملة لرجال اشتهروا بالغيرة والاخلاص نحو سلطانهم ودولتهم كهذا الفقيد الجليل . وهذه هي الفرص التي ينتهزها الاغيار منا فيحفظونها لنا في سجلاتهم الى أن يجيء اليوم الذي يحاسبوننا فيه عليها .

فياأيها الرجال الامناء والمخلصون للدولة وللجالس على كرسي الخلافة العظمى اتقوا الله وفكروا في ماهو أهم لصوالح الدولة والامة . اخدموا جلالة السلطان باخلاص اللسان والفؤاد وانبذوا الوشايات واتركوا هذه الخطة الذميمة لانها لاتنيلكم المرام وهب انكم نلتموه فسوف تجازون عن عملكم هذا لانه قيل «بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم وازود» تقربوا الى جلالة المتبوع بطريقة غير هذه الطريقة حتى ان الله تعالى يبارك لكم في أموالكم وعيالكم وينقذكم وينقذهم من شرور الزمان وغدراته وقد كفى ماحل بنا وبدولتنا العلية والامة والوطن من سوء أعمال بعض رجال الدولة الخائنين الذين يتظاهرون بصدق الخدمة نحو المتبوع الاعظم ولكنهم أولى المنافقين . والآن بما ان المجال ليس مجال وعظ وارشاد بل نعي فقيد تأثر لموته الكثيرون فوعدنا بنشر شيء من هذا القبيل في أعداد قادمة ان شاء الله

هذا وفي الختام نقدم واجبات العزية لجناب زميلنا الفاضل المهذب الغيور الشيخ رشيد رضا أفندي وجميع اخوته انجال الفقيد والله نسأل أن يفرغ في قلوبهم جميل الصبر والسلوان ويتغمد فقيدهم الجليل بواسع الرحمة والرضوان اه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر — غرة شعبان سنة ١٣٢٣ — ٣٠ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٥ ﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٢٨ : ٢٢٩) وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ، وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ، فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *

انتقل من أحكام الطلاق الى أحكام الرضاعة وكلاهما من أحكام البيوت (العائلات) الهادية الى كيفية التعامل بين الأزواج من المعاشرة بالمعروف وتربية الاطفال وللمفسرين في (الوالدات) هنا ثلاثة أقوال — القول الاول انه خاص بالمطلقات لوجوه أحدها ان الكلام السابق في

أحكامهن وهذا من تتمته ، ثانيها ايجاب رزقهن وكسوتهن على الوالد ولو كن أزواجاً لما كان هناك حاجة الى هذا الايجاب لأن النفقة على الزوجة التي في العصمة واجبة للزوجية لا للرضاع ، ثالثها أن المطلقة عرضة لاهمال العناية بالولد وترك ارضاعه لأنه يحول دون زواجها في الغالب ولما فيه من النكاية بالرجل لا سيما اذا لم يتيسر له استئجار ظئر تقوم مقام الوالدة. وهناك وجه رابع لترجيح هذا القول ظهر لي الآن وهو تعليل الحكم بالنهي عن المضارة بالولد وانما تضار بذلك المطلقة دون التي في العصمة فبين ان للمطلقة الحق في ارضاع ولدها كسائر الوالدات وأنه ليس للمطلق منعها منه وهو عرضة لهذا المنع

القول الثاني انه خاص بالوالدات مع بقاء الزوجية قال الواحدي في هذا القول هو الاولى لأن المطلقة لا تستحق الكسوة وانما تستحق الاجرة وهذا الترجيح مرجوح لا يلتفت اليه لانه مبني على الاحتجاج بقول الفقهاء على القرآن وهذا القول أضعف الاقوال

القول الثالث انه عام في جميع المطلقات وقال كثيرون انه أولى عملا بظاهر اللفظ فهو عام لا دليل على تخصيصه ويكون الرزق والكسوة أي النفقة خاصاً ببعض أفراد العام وهن الوالدات المطلقات وقال بعضهم ان استئجار الأم للرضاع صحيح وعبر عن الاجرة بالرزق والكسوة وقيل انه ليس في الآية ما يدل على ان الرزق والكسوة لاجل الرضاع وانت ترى ان هذا خلاف المتبادر من الآية . ونحن لا نستفيد من جعل الآية عامة زيادة عما نستفيده بجعلها خاصة الا أنه يجب على غير المطلقة من ارضاع الولد مطلقاً أو بشرط ما يجب على المطلقة بالنص وانه من حقوقها

أيضاً وهذا يؤخذ من الآية اذا حملت على التخصيص بالطريق الاولى على أن القائلين بالعموم لم يقولوا بهذا الوجوب مطلقاً كما يأتي ولا أذكر عن الاستاذ الامام ترجيحاً أو اختياراً في هذه المسألة

وقوله تعالى (يرضعن أولادهن) أمر جاء بصيغة الخبر للمبالغة في تقريره على نحو ما تقدم في قوله « والمطلقات يتربصن » وزعم بعضهم انه خبر على بابه أي ان شأن الوالدات ذلك وانت ترى انه لا فائدة في الاخبار عن الواقع المعلوم للناس في مقام بيان الاحكام وكأن صاحب هذا القول أراد أن يقوي به قول الفقهاء الذين ذهبوا الى انه لا يجب على الوالدة إرضاع ولدها الا اذا تعينت مرضعاً بأن كان لا يقبل غير ثديها كما يعهد من بعض الأطفال أو كان الوالد عاجزاً عن استئجار ظئر ترضعه أو قدر ولم يجد الظئر على أن هؤلاء الفقهاء لم يروا جعل الخبر بمعنى الأمر مانعاً من حكمهم هذا فقد حملوه على الندب في حال الاختيار قالوا لان لبن الام أنفع للولد من لبن الظئر لا سيما اذا لم يكن ولدها في سنه . والظاهر ان الامر للوجوب مطلقاً فالاصل انه يجب على الام ارضاع ولدها واختاره الاستاذ الامام يعني ان لم يكن هناك عذر مانع من مرض ونحوه ولا يمنع الوجوب جواز استنابة الظئر عنها مع أمن الضرر لان هذا الوجوب للمصلحة لا للتعبد فهو كالنفقة على القريب بشرطها فاذا اتفق الوالدان على استئجار ظئر ورأيا انها تقوم مقام الام فلا بأس كما في مسألة الفصال الآتية

كما يجب على الام ارضاع ولدها يجب لها ذلك بمعنى انه ليس للوالد أن يمنعها منه . ولأن يمنع الرجل مطلقته من ارضاع ولدها منه ان أبيح له ذلك أقرب من أن تمتنع هي عن ارضاعه وكان الذي يتبادر الى فهمي

ان المقصود من الجملة أولا وبالذات هو ان من حقوق المطلقات تمكينهن من ارضاع أولادهن المدة التامة للرضاع وهي كما قال (حولين كاملين) والحول العام والسنة وقد حددت مدة الرضاعة بسنتين كاملتين مراعاة للفطرة لان الطفل لايقوى فيها على التغذي من غير اللبن وهذه المدة هي التي تثبت بها حرمة الرضاعة في النكاح ومن العجب أن ترى الفقهاء اختلفوا في مدة الرضاعة بعد تحديد الله سبحانه لها فقال بعضهم هي ثلاثون شهراً وقال بعضهم ثلاث سنين ولكن الجماهير على ان مدتها التامة لاتزيد على حولين كاملين وقد تنقص اذا رأى الوالدان ذلك لان قوله تعالى (لمن أراد أن يتم الرضاعة) أجاز الاقتصار على مادون الحولين ولم يحدد أقل المدة بل وكله الى اجتهاد الوالدين الذي تراعى فيه صحة الطفل فمن الاطفال السريع النمو الذي يستغني عن اللبن بالطعام اللطيف قبل الحولين بعدة أشهر ومنهم القميء البطيء النمو الذي لايستغني عن ذلك . وقد استنبطوا من قوله تعالى في (سورة الاحقاف ٤٦) : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » أقل مدة الحمل بناء على أن الحولين أكثر مدة الرضاعة فما يبقى بعد طرح شهور الحولين من ثلاثين شهراً هو ستة أشهر وهي أقل مدة الحمل روي هذا عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وقالوا لعل الحكمة في تحديد المدتين — أكثر الرضاعة وأقل الحمل — هي انضباطهما دون مايقابلهما وقد يقال اننا نطرح مدة الحمل الغالبة وهي تسعة أشهر من مجموع مدة الحمل والفصال وهي ثلاثون شهرا فالباقي وهو واحد وعشرون شهرا ينبغي أن يكون أقل مدة الرضاعة . والظاهر ان معنى قوله « لمن أراد أن يتم الرضاعة » لمن أراد اتمامها ولذلك قلنا ان الامر موكول الى اجتهاد الوالدين وقيل انه متعلق بقوله « يرضعن » أي انهن

يرضعن هذه المدة لمن أراد اتمامها من المولود لهم وهم الآباء فيكون الامر لهم في ذلك خاصة وسيأتي ترجيح الاول في قوله « فان أرادا فصالا »

(وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) المولود له هو الاب ووجه اختيار هذا التعبير على لفظ الوالد والاب الإشعار بأن الاولاد لآبائهم — لهم يُدعون واليهم ينسبون وأن الامهات أوعية مستودعة لهم كما قال المأمون :

وانما أمهات الناس أوعية   مستودعات وللآباء أبناء

وللتنبيه على علة وجوب النفقة كأنه يقول ان هؤلاء الوالدات انما حملن وولدن لك أيها الرجل وهذا الولد الذي يرضعنه ينسب اليك ويحفظ سلسلة نسبك من دونهن فعليك أن تنفق عليهن بما يكفيهن حاجات المعاش من الطعام واللبس ليقمن بذلك حق القيام . فاختيار لفظ « المولود له » هنا على لفظ الأب والوالد هو الذي تقضي به البلاغة قضاء مبرماً وبه يستفاد مالا يستفاد بهما وأين تجد هذه الدقة في غير القرآن العزيز .

والمراد بكون هذه النفقة بالمعروف أن تكون كافية لائقة بحال المرأة في قومها وصنفها لاتلحقها غضاضة في نوعها ولا في كيفية أدائها اليها . وتقدم ان هذا يرجح أن المراد بالوالدات المطلقات منهن وقد عبر عن النفقة هنا بالرزق والكسوة الواجبين للمرأة بمقتضى الزوجية دون الاجرة حتى لايتوهم ان كل والدة تجب لها الاجرة على ارضاع ولدها لان الكلام بدىء بلفظ « الوالدات » وأما في سورة الطلاق فقد عبر بلفظ الاجرة اذ قال « فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن » لان الكلام هناك في المطلقات لايحتمل غيره فلا ايهام في اختيار اللفظ الاخصر . ولو توجه الذهن الى

فهم الآية غير مثقل بأقوال الفقهاء لما فهم غير هذا منها ولو فهمها مجردة غير محمولة على مذهب معين لما احتاج الى الكلام في جواز استئجار الام للرضاع مطلقاً وعدمه ما دامت في النكاح أو العدة اذ المتبادر أن الأم يجب عليها ارضاع ولدها عند عدم المانع الشرعي ويجب لها ذلك على ما تقدم وان المطلقات اذا كن والدات يجب أن ينفق عليهن مدة الارضاع لما تقدم وهن في هذه المدة اما بائنات ولعله الاكثر لندرة طلاق أم الطفل ولا خلاف في جواز استئجارهن واما معتدات تجب لهن النفقة لعدم خروجهن من عصمة النكاح وهؤلاء استشكلوا استحقاقهن الاجرة على الإرضاع ولا اشكال في وجوب الشيء بسببين ولا تكرار في نصي الوجوب لأن كل واحد منهما جاء في موضعه وله صورة ينفرد بها اذ المعتدة قد تكون والدة وغير والدة والمرضع تكون بائنة ومعتدة وكل منهما مشغولة بمصلحة الرجل المطلق شغلا يمنعها عن زواج يغنيها عن نفقته لان المرضع قلما يرغب فيها وقلما ترغب هي في الزواج ثم انها لا تستحق ولدها اذا تزوجت

ولما كان المكلفون من الرجال يتفاوتون في الاعسار والايسار بالنفقة فمنهم من لا يقدر على اللائق بالمرأة في عرف الناس ومنهم من يقدر على أكثر من ذلك عقب تعالى هذا الامر بقوله (لا تكلف نفس الا وسعها) فسر بعضهم الوسع بالطاقة وهو غلط لان الوسع ضد الضيق وهو ما تتسع له القدرة ولا يبلغ استغراقها وأما الطاقة فهي آخر درجات القدرة فليس بعدها الا العجز المطلق كأنها آخر طاقة من الطاقات التي يتألف منها الحبل والمعنى ان المطلوب التوسع في النفقة من

السعة أي بحيث لا ينتهي الى الضيق . وقد بسط هذا الايجاز في سورة الطلاق بقوله تعالى في هذا المقام « لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً »

(لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب « لا تضارُّ » بالرفع تبعاً لقوله « لا تكلف نفس » والباقون « لا تضار » بالفتح وهو نهي عن المضارة صريح والاول نهي في المعنى خبر في اللفظ وقالوا ان الكلام تفصيل لما يفهم من سابقه وتقريب له الى الفهم والصواب انه يفيد مع تعليل الاحكام السابقة حكماً جديداً عاماً فمنع الرجل المرأة من ارضاع ولدها وهي له أرأم وبه أرأف، وعليه أحنى وأعطف، اضرار بها بسبب ولدها والتضييق عليها في النفقة مع الارضاع اضرار بها بسبب ولدها . وامتناعها من ارضاعه تعجيزاً للوالد بالتماس الظئر أو تكليفه من النفقة فوق وسعه اضرار له بسبب ولده فالعلة في الاحكام السابقة منع الضرار باعطاء كل ذي حق حقه بالمعروف ، وهو يتناول تحريم كل ما يأتي من أحد الوالدين للاضرار بالآخر كأن تقصر هي في تربية الولد البدنية أو النفسية لتغيظ الرجل وكأن يمنعه هو من أمه ولو بعد مدة الرضاع أو الحضانة . فالعبارة نهي عام عن المضارة بسبب الولد لا يقيد ولا يخصص بوقت دون وقت أو حال دون حال أو شخص دون شخص . وكلمة «تضار» تحتمل البناء للفاعل والبناء للمفعول وهي للمشاركة وانما أسندت الى كل واحد للإيذان بان اضراره بالآخر بسبب الولد اضرار بنفسه لانه يتضمن ضر الولد أو يستلزمه وكيف تحسن تربية ولد

بين أبوين همّ كل واحد منهما ايذاء الآخر وضرره. والنهي عن المضارة في هذا المقام تؤيد القول بأن الكلام في الوالدات المطلقات كما تقدم

أما قوله (وعلى الوارث مثل ذلك) فمعطوف على قوله «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف» وما بينهما معترض للتعليل أو التفسير لما قبله من كون ذلك بالمعروف وان أفاد حكماً جديداً وقد اختلفوا في الوارث هل هو وارث المولود له أي الاب لان الكلام فيه أو وارث الولد لانه وليه تجب عليه نفقته واختلف القائلون بأن المراد وارث الأب هل هو عام أو خاص بعصبته أو بالولد نفسه أي ان نفقة ارضاعه تكون من ماله ان كان له مال والا فهي على عصبته. وقال بعضهم ان المراد بالوارث وارث الصبي من الوالدين أي واذا مات أحد الوالدين فيجب على الآخر ما كان يجب عليه من ارضاعه والنفقة عليه . وكل يحتمله اللفظ ولعل الحكمة في هذا التعبير ان يتناول كل ما يصح تناوله اياه.

(فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) الفصال الفطام لانه يفصل الولد عن أمه ويفصلها عنه فيكون مستقلا في غذائه دونها والمراد انه لما كان ما ذكر من تحديد مدة الرضاعة وكون الحق فيها للوالدة وكونها تستحق الاجرة عليها اذا كانت مطلقة كل ذلك لدفع الضرار وتقرير المصلحة لا للتعبد كان للوالدين صاحبي الحق المشترك في الولد والغيرة الصحيحة عليه أن يفطماه قبل هذه المدة أو بعدها اذا اتفق رأيهما على ذلك بعد التشاور فيه بحيث يكونان راضيين غير مضارين فيه. وقال أبو مسلم يحتمل الفصال معنى آخر وهو ايقاع المفاصلة بين الأم والولد أي بأن ترضى بضمه الى أبيه يستأجر له ظئرا ترضعه ويرضى هو

بذلك لا يضارّ به أحدهما الآخر وبهذه المناسبة مناسبة الحكم بأن الحقوق والواجبات المتعلقة بالولد مشتركة بين والديه ولهما الخيار في تقرير ما فيه المصلحة بالتراضي مع انتفاء الضرر أو مناسبة جواز فصل الطفل عن أمه برضاها ذكر حكم المسترضعات وهن الأظآر اللواتي يرضعن بالاجرة فقال (وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم) يقال استرضعت المرأة الطفل اذا اتخذتها مرضعا له ويحذفون أحد المفعولين للعلم به فيقولون استرضعت الطفل كما يقولون استنجحت الحاجة من غير ذكر من استنجح والمعنى ان أردتم أن تسترضعوا أولادكم المراضع الأجنبيات (فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف) قال قتادة والزهري أي اذا سلمتم ما آتيتم من ارادة الاسترضاع أي سلم كل واحد من الأبوين ورضي بأن كان ذلك عن اتفاق منهما وقصد خير وارادة معروف من الأمر فالخطاب عام للوالدين والوالدات على سبيل التغليب كذا في فتح البيان. أو اذا سلمتم ما أردتم ايتاءه المراضع من الأجور بالمعروف أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً وعادة وقال الأستاذ الإمام المراد به اعطاء الأجرة المتعارفة وهي ما يسميه الفقهاء أجر المثل وفي هذا الشرط مصلحة المرضع ومصلحة الولد والوالد لأن المرضع اذا لم تعامل المعاملة الحسنة المرضية بأخذ أجرها تاماً لا تهتم بمراعاة الطفل ولا تعنى بارضاعه في المواقيت المطلوبة وبنظافته وسائر شأنه واذا أوذيت يتغير لبنها فيكون ضارا بالطفل . والقول الاول مؤيد وموافق لما علم من كون الام أحق بارضاع ولدها كما تقدم والثاني لا يعارضه لان الخطاب فيه يصح أيضاً أن يكون للآباء والامهات جميعاً والسكوت عن التصريح بالتراضي والتشاور بين الوالدين للعلم به وهو يشمل ما اذا

كان هناك مانع منع الام من الارضاع كمرض أو حبل . وقرأ ابن كثير وحده «أتيتم» مقصورة الالف من أتى اليه احساناً اذا فعله وروى شيبان عن عاصم (أوتيتم) أي آتاكم الله من الخير والمراد الاجرة كذا قالوا والاقرب ان معناه اذا سلمتم المراضع ما أوتيتم من الولد بالمعروف بأن يتفق الوالدان أو أحدهما ان استقل بالولد مع المرضع على أن تأخذ الولد لارضاعه بطريقة معروفة شرعاً وعادة مرضية لهما ولها .

ثم ختم الآية بما يبعث على التزام أحكامها والمحافظة عليها فقال ﴿واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير﴾ فهو يحصي لكم عملكم ويجازيكم عليه فاذا قمتم بحقوق الأطفال بالتراضي والتشاور واجتناب المضارة جعلهم قرة أعين لكم في الدنيا وسبباً للمثوبة فى الآخرة وان اتبعتم أهواءكم وعمد الوالد الى مضارة الوالدة به وعمدت هي الى ذلك كان الولد بلاء وفتنة لهما في الدنيا وكانا بعملها السيء في أنفسهما وولدهما مستحقين لعذاب الآخرة

قال الأستاذ الإمام جاء الأمر الإلهي بارضاع الامهات أولادهن على مقتضى الفطرة فأفضل اللبن للولد لبن أمه باتفاق الأطباء: أي لأنه قد تكون من دمها في أحشائها فلما برز الى الوجود تحول اللبن الذي كان يتغذى منه في الرحم الى لبن يتغذى منه في خارجه فهو اللبن الذي يلائمه ويناسبه وقد قضت الحكمة بأن تكون حالة لبن الأم في التغذية ملائمة لحال الطفل بحسب درجات سنه ولذلك كان مما ينبغي أن يراعى في الظئر أن يكون سن ولدها كسن الطفل التي تتخذ مرضعاً له . وقال الاستاذ الامام ان لبن المرضع يؤثر في جسم الطفل وفي أخلاقه وسجاياه ولذلك

يحتاط في انتقاء المراضع ويجتنب استرضاع المريضة والفاسدة الاخلاق والآداب ولكن لايخشى من لبن الام وان كان بها علة في بدنها أو في أخلاقها لانما يأخذه من طبيعتها فانما يأخذه وهو في الرحم فاللبن لايزيده شيئاً : وهذا الذي قاله هو الاصل وهو لا ينافي أن تمنع الامهات من الارضاع أحياناً لسبب عارض في البدن أو النفس وهذا نادر وأما التدقيق في صحة المرضع وفي أخلاقها فيجب أن يكون مطرداً اذا كانت ظئراً لا أماً . قال: اللبن يخرج من دم المرضع ويمتصه الولد فيكون دماً له ينمو به اللحم وينشز العظم فهو يشرب منها كل شيء من حسن وقبيح وقد لوحظ ان من يرضع من لبن الأتان يغلظ قلبه وكذلك لبن كل حيوان يؤثر على حسب حاله ولكن حياة الأنسان نفسية عقلية أكثر مماهي بدنية فجسمه مسخر لشعوره وعقله لذلك كان تأثير الانفعالات والصفات النفسية من المرضع في الرضيع أشد من تأثير الصفات البدنية وقد لاحظنا أن صوت المرضع قد ظهر في الولد الذي كانت ترضعه فكيف بآثار عقلها وشعورها وملكاتها النفسية . وقد نبه الفقهاء على هذا المعنى وحكاية امام الحرمين فيه معروفة :

أقول ذكر المؤرخون ان أبا محمد عبد الله الجويني والد امام الحرمين الشهير (واسمه عبد الملك) كان ينسخ بالاجرة فاجتمع له من كسب يده شيء اشترى به جارية موصوفة بالخير والصلاح وكان يطعمها منه الى أن حملت بامام الحرمين وهو مستمر على تربيتها الحسنة وتغذيتها بالحلال فلما وضعته أوصاها أن لا تمكن أحداً من ارضاعه فاتفق انه دخل عليها يوماً وهي متألمة والصغير يبكي وقد أخذته امرأة من جيرانهم وشاغلته

بثديها فرضع منها قليلا فلما رأى ذلك شق عليه وأخذه اليه ونكس رأسه ومسح على بطنه وأدخل أصبعه في فيه ولم يزل به حتى قاء جميع ماشربه وهو يقول يسهل عليّ أن يموت ولا يفسد طبعه بشرب لبن غير أمه .

ويحكى عن امام الحرمين انه كان يلحقه بعض الاحيان فترة في مجلس المناظرة فيقول هذا من بقايا تلك الرضعة . فانظر الى هذه المبالغة في العناية بتربية الاطفال من هؤلاء الأئمة وقابله بتهاون الناس اليوم في أمر الولدان في رضاعتهم وسائر شؤونهم حتى ان الأمهات اللواتي فطرهن الله تعالى على التلذذ بارضاع أولادهن والغبطة به قد صار الاغنياء منهن يرغبن عنه ترفعاً وطمعاً في السمن وبقاء الجمال أو ابتغاء سرعة الحمل وكل هذا مقاومة للفطرة ومفسدة للنسل وقد فطن له من عرف سنن الفطرة من الأمم المرتقية بالعلم والتربية حتى بلغنا ان قيصرة الروسية ترضع أولادها وتحرم عليهم المراضع

ألسنا نحن المسلمين أولى بهذه الآداب في الرضاع والتربية من غيرنا ؟ ان كانت الفطرة تقضي به فديننا دين الفطرة ، وان كان العلم يدل عليه فقد علمنا الله ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله ولم نعرف ان دينا أرشد الى ما أرشد اليه ديننا من ذلك ، وان كانت القدوة هي التي يعول عليها فيه فقد علمت ما كان من أئمة علمائنا في ذلك ، فالهم وفق المسلمين الى الاهتداء بهذا القرآن ، ليتحققوا بحقيقة الاسلام والايمان ،

سيرة الاستاذ الامام

قد أرجأنا نشر بقية هذه السيرة الى بعض الاجزاء التالية وسيذكر فيها رأيه في الاصلاح ، وما كان له من الأماني والآمال ،

الحياة الزوجية

﴿ ٥ ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * (سورة الروم ٣٥ — ٢٠)

﴿ الركن الثاني من أركان هذه الحياة — المودة ﴾

تكلمنا في المقالات الاربع السابقة من هذا البحث عن الركن الأول من أركان الحياة الزوجية وهو سكون كل من الزوجين الى الآخر وبينا انه يتوقف على حسن اختيار كل منهما للآخر وهذا الركن خاص بالزوجين عليه تبنى سعادتهما وهناء معيشتهما وتحققه شرط لتحقق الركنين الآخرين أو كمالها وهما المودة والرحمة وبتحقق الأركان الثلاثة تكمل فائدة هذه الحياة الفائدة التي أرشدنا الله تعالى الى طلبها منه بقوله في صفات المؤمنين « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً » (الفرقان ٢٥—٧٤)

أما الركن الثاني وهو المودة فليس خاصاً بالزوجين لأن المودة تصل بين عشيرتيهما بما تصل به بينهما ولذلك لم يقل « لتسكنوا اليها وتودوها » بل قال « وجعل بينكم مودة » والخطاب للناس لا للازواج خاصة أي انه جعل من مقتضى الفطرة البشرية التوادّ بينكم بسبب الزوجية بين الزوجين ومن يتصل بهما بلحمة القرابة والنسب كما هو معروف بالاختبار فيمن سلمت فطرتهم من الفساد، وعرفوا قيمة الحياة الاجتماعية فعاشوا عيشة الاجتماع لا عيشة الأفراد ، وما زال البشر يعدون المصاهرة من أسباب العصبية بين البيوت والعشائر والقبائل بل نرى الامراء والملوك يحاولون بمصاهرة بعضهم بعضاً التواد والتناصر بين دولهم ، أو تخفيف العداء والتنافر بين أممهم ، حتى أنهم ينبذون لذلك مذاهبهم الدينية كما فعلت الاميرة الجرمانية التي تزوجها قيصر روسيا — فهذه سنة من سنن الفطرة عرفها البدو والحضر وجرى عليها أدنى القبائل همجية وأعلى الشعوب مدنية ، وتنكبها أناس مذبذبون كاد يخرج بهم فساد الفطرة عن البشرية ،

نرى ونسمع فى هؤلاء الذين خلقوا على صورة الانسان من التخاصم والتنازع مع أصهارهم واختانهم مالانرى نظيره ولا نسمع بمثله في أهل الاضغان الموروثة والاحقاد المتسلسلة، يرى أحدهم نعمة الآخر قذى في عينه وحرجاً في صدره، و يعد شرفـه اذا ارتفع خافضاً لقدره ، فهو أنـكى حاسديه ، وأنكأ جارحيه ، وأول المتربصين للوثبة عليه،

لم يقف تأثير اعتلال الفطرة في نفوس هؤلاء عنـد تنكيث المفتول ،وتشتيت الملموم وتقطيع الموصول ، بل أوغل في النفس الى مواضع الشعور بالحاجـة الى الاعتصام،والاحساس برزايا الانفصام، فتخدرت الاعصاب، وانطمست البصائر والالباب ، وانتكس الطبع، وانعكس الوضع،فصارت أسبـاب المودة والالتئام، عللا للتباغض والانقسام ، وانقلبت معارج الشرف والرفعـة ، مدارج للتسـفل والضعة، وأمسى ما يكتسب لاجله يكتسب به، وما يتعزز به يعتز عليه ، ولا يعتد بشيء من هذا خروجاً عن سنن الفطرة ، ولااعتداء لحدود الشريعة ، وانما يحسب من أمور الحزم،وطرق القيام بالمصالح،

لو أحب الأزواج أنفسهم حباً صادقاً وسكن بعضهم الى بعض ذلك السكون الطبيعي لوادّ كل منهما الآخر ووادّ لأجله أهله وعشيرته بلا تكلف ولا تعمل وأحس بأن قوتهم قوة له وشرفهم مزيد في شرفه وكثرة مالهم زيادة في نعم الله تعالى عليه

لو عرف الأزواج معنى الحياة الزوجية وقيمتها واتفق ان كان كل منهما على غير مايحب الآخر ويهوى فلم تسكن اليه نفسه ذلك السكون المطلوب لتودّد كل منهما للآخر تودداً لعله يصيب بالتكلف والصنعة بعض ما فاته بالسجية والفطرة فان التودّد مودة متكلفة أو صورة للود الحقيقي فله جميع فوائد المودة الصورية وانما ينقصه روحها وهو مافيها أريحية النفس وأنسها بالفضيلة ولذتها واغتباطها بها وقد ينتهي التودد بشيء من هذا ومن فاته كمال المنفعة بشيء فليس من الرأي ولا الـكياسة أن يفوته كل جزء من أجزائه وكل أثر من آثاره وهو قادر على ادراكه فان بلغ النفور في قلبي الزوجين مبلغاً يعز معه التودد و يتعذر التجمل فالواجب أن يتفرقا بالمعروف والاحسان كما اجتمعا بهـذا القصد لانهما تحققا حينئذ انهما لا

يقيمان حدود الله تعالى « وإنْ يتفرقا يُغنِ اللهُ كلاً من سَعته »

من المودة أن يحب كل من الزوجين من يحب الآخر من أهله وعشيرته وأصدقائه فيسر لسرورهم و يستاء لاستيائهم ويتمنى لهم الخير والنعمة ويقوم بأداء حقوقهم بما جرى به العرف بين أمثالهم في ذلك والتودد هو عبارة عن هـذا الأمر الاخير الذي هو عمل اختياري دون ماقبله لانه من عمل القلب وهو شعور اضطراري يملك النفوس المستعدة له اذا هي آنست من هو أهله

النفوس المستعدة للود الصحيح والحب الخالص هي النفوس الزكيـة التي آوى حسن التربية منها الى سلامة الفطرة والنفوس المستأهلة لذلك هي النفوس المستعدة له فالمحبة والمودة من ثمرات المشاكلة في السجايا والصفات النفسية الفاضلة وأما المشاكلة فى الصـفات الرديئة والسجايا الخسيسة فهى لا تثمر حباً خالصاً ووداداً صادقاً ولـكنها تثمر تودّداً يقصد به كل من المتشاكلين الاستفادة من الآخر والتعاون معه على المقصد الذي وجههما اليه فساد الطبع فاذا أحسّ بالاستغناء عنه أو ظفر بمن يقوم مقامه فيما توادّا لأجله ويكون الربح منه أكثر أو المكافأة له أقل فلا يلبث أن يتبدله به جذلا مسروراً . فأصحاب الأخلاق الفاسـدة محرومون من ملكة المودة الصحيحة وهم في توددهم تجار مماكسون حتى ان فساد الفطرة يبلغ منهم أن يتجروا بعقد الزوجية و يعتدوا أزواجهم من سلع التجارة كما قدمنا في مبحث اختيار الأزواج

من التودد ما هو رذيلة وهو تودد الشطار العيارين الذي كشفنا عن حقيقة أمرهم آنفا ومنه ماهو فضيلة وهو مايقصد به أداء الحقوق المعروفة للخلطاء والعشراء وتكلف القيام بآثار المودة كراهة الحرمان من خيرها الظاهر والباطن معاً ورجاء أن يصير التودد وداً والتحبب حباً فقد علم بالتجربة ان تكرار العمل بأثر خلق من الأخلاق تكلفاً قد ينتهي بأن يصير ملكة كما ورد فى الحديث «والحلم بالتحلم» وقالت علية بنت المهدي

تحبب فان الحب داعية الحب … وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

وهذا النوع من التودد وهو الذي نأمر به من تزوجا فلم يجدا في أنفسهما سكونا

يبعث كلا منهما على مودة الآخر ظاهرا و باطنا وهو ضرب من ضروب التربية القويمة التربية في الكبر بعيدة المنال لا يقصد اليها الا أهل العلم ، ولا يصل منهم الأولو العزم، لأن الجاهل بعلم النفس وأخلاقها ، والشريعة وآدابها ، يقوده شعوره على غير هدى ، حتى يهوي به في مهاوي الردى ، فان كان زكي الطبع ، سليم القلب ، صبر على تجرع الغصص ، وتحمل المضض ، من معاشرة زوج لا يأنس به ، وقرين لا تسكن نفسه اليه ، حتى يقتله الصبر ، أو يخرج به الى الفساد والنكر ، وان كان شرسا شكسا كانت حياته مع الزوج الآخر في تشاكس وتعاسر ، وتنافس وتنافر ، وأما العالم فاذا ابتلي بزوج لا تسكن اليه النفس ولا يخلص له الود ، فكان العدو الذي مامن صداقته بد، فانه يتكلف اظهار صداقته ، واخفاء مقته وكراهته ، ليسلم من سوء المعاشرة ، ويستظهر على آفات المنافرة ، واذا كان واسع العلم بتربية النفوس ، وأثر المعاملة فى تقلب القلوب ، صادق الإرادة في تربية نفسه ، قوي العزيمة في تأديب وجدانه وحسه ، فانه يطمع في أن يكون التودد وداً، والتطبع طبعاً ، ويعطى ما يطمع ، وينال ما يريد ، ومصداق هذا واضح في أهل العلم ، ومصداق ماقبله ظاهر في أهل الجهل ،

لك أن تقول اننا رأينا من المتعلمين والمتعلمات فى هذه البلاد أزواجاً كان يرجى أن يكونوا حجة للعلم على الجهل بالعيشة الراضية ، وقصر كل من الزوجين طرفه على الآخر وقناعته بالاختصاص به لكمال سكون نفسه اليه واخلاصه في مودته ومحبته، أو التودد اليه ومجاملته، فبدا للناس منهم مالم يكونوا يحتسبون فلم تكد تنتهي أيام أعراسهم وليالي أفراحهم الا وقد نجمت بينهم قرون الفتنة ووقع عليهم طائر الشقاق ، وصاح بهم غراب الافتراق ، و ياليته كان شقاقاً بكتمان ، وتسريحاً باحسان، وانما هداهم العلم الى أن يكيد أحدهم للآخر في المحاكم الشرعية، ومنهم من قذف بهم التخاصم الى المحاكم الاهلية ،

ولي أن أجيب بأنك قد نسيت انني أعني بالعلم علم النفس وأخلاقها، وعلم الشريعة وآدابها ، ومن تحدث عنهم لا يعرفون من ذلك شيئاً الا قليلا من الألفاظ المحفوظة ، والكلمات المتداولة ، التي يمليها الخيال ويلوكها اللسان، وليس

لها في النفس منشأ يعرف ، ولا في الاعمال أثر يوصف ، كما هو شأن الأمة في إبان موتها توجد عندها صور من العلوم لا تطلب بها غايتها، و بقايا من الرسوم لا تجنى منها فائدتها،

سكون الزوج الى الزوج سبب من أسباب سعادة الزوجين وهناء معيشتهما خاص بهما لا يشاركهما فيه أحد من الأقربين والمحبين وأما المودة بينهما فهي من أسباب سعادة عشيرتيهما أيضاً لأنها متعدية فهي مبعث التناصر والتوازر والتعاضد والتساند وبهذا تكون سبباً من أسباب سعادة الأمة المؤلفة من العشائر المؤلفة من الأزواج فهذا التأليف هو الذي يتكوّن منه مزاج الأمة فما يكون عليه من اعتدال وكمال يكون كمالا في بنية الأمة وقرة عين لمجموعها وما يطرأ عليه من فساد واعتلال يكون مرضاً للأمة يوردها موارد الهلكة

ان الانسان ليشعر بحاجته في كماله الى الامة و بحاجتها اليه في ذلك على قدر قوة معنى الانسانية فيه فأدنى أفراد الانسان حظاً من الانسانية لا يشعر بحاجته الى أحد ولا بحاجة أحد اليه الا من تقوم بهم شؤون حياته الشخصية فهو ينظر الى زوجه في البيت بالعين التي ينظر بها الى شريكه في السوق أو معامله فى الحقل وهي عين المبادلة في المنفعة وطلب الربح فاذا قدر على استبدال زوج مكان زوج يكون به حظه من التمتع أوفر ، أو مكافأته له بالنفقة وغيرها أقل ، فهو يقدم على ذلك فرحاً راضياً كما يستبدل عاملا بعامل وشريكا بشريك وأجيرا بأجير اذا رأى ان الجديد أنفع له من القديم . فمثل هذا لا يمتد وجوده الى ماوراء محيط جسمه فلا يتحقق فيه معنى الزوجية الذي هو عبارة عن حقيقة مؤلفة من فردين يعيشان بروح واحدة واذا لم يصل في سعة الوجود الى أن يكون زوجاً فلا شك انه لا يصل الى أن يكون عضواً من عشيرة يشعر بأن له بها حياة أعلى من حياته الفردية ووجودا أوسع من وجوده الشخصي واذا صغر عن هذا فانه يكون أصغر وأحقر من أن يشعر بمعنى الوجود القومي والحياة الملية التي ترفع صاحبها الى الشعور بأن كل عمل من أعماله يجب أن يكون نافعاً لأمة عظيمة وان مجموع أعمال العاملين في هذه الأمة يلحقه شرفه اذا كان شريفاً وتصيبه خسته اذا كان خسيساً وهذا هو شأن الانسان الكامل فمودة الأهل هي أول مجالي الانسانية الكاملة ولذلك

قال عليه الصلاة والسلام « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » رواه الترمذي من حديث عائشة وصححه ورواه أيضاً مصححاً من حديث أبي هريرة بلفظ « خياركم خياركم لنسائهم » وروى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً « أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله »

ومن المودة بين الزوجين الممازحة والملاعبة ومن الرجال من يرى ان مفاكهة المرأة ومداعبتها مما يذهب بمهابتها اياه واحتشامها له وينسى ان ترك ذلك يذهب بأنسها به وسكونها اليه وحبها اياه وان الحب ليغني عن المهابة والاحتشام ان صح ان الممازحة والملاعبة والمفاكهة والمداعبة لاتتفق معهما وما ذلك بصحيح فان أعظم الرجال قدراً من الانبياء والحكماء والملوك المهذبين كانوا يرضون نساءهم في البيوت ولا يتخوّن ذلك من مهابتهم واجلالهم شيئاً كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمازح نساءه ويداعبهن وقال لجابر رضي الله عنه حين استأذنه في نكاح الثيب « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » والحديث في الصحيحين وكذلك كان يفعل (ص) حتى رووا انه كان يسابق عائشة في العدو (الجري الشديد) سابقها فسبقته ثم سابقها فسبقها فقال « هذه بتلك » والحديث عند أبي داود والنسائي وابن ماجه وسنده صحيح ويؤثر عن عمر انه كان يقول « كل امرىء في بيته صبي » وفي الاحياء : وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته « ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ماعنده وجد رجلا » :وللدعابة في البيت حد من تجاوزه ذهبت حشمته ، ومن قصر فيه ثقلت عشرته ، واستثقال المرأة للرجل مدرجة البلاء ، ومدعاة الشقاء ،

ومن المودة بين الزوجين الاعتدال في الغيرة ، بحيث تتحامى فيها الظنة والريبة ، فينبغي للرجل أن يؤذن امرأته بأوقاته خارج البيت أين يصرفها فان ذلك يعلي مكانه من قلبها ، ويمكن الثقة به من نفسها ، ويحول بينها وبين وسوسة الشيطان ، فلا تتهمه باتخاذ الأخدان ، ويكون أعون له على إلزامها القرار في البيت وتحري رضاه في الخروج عند الحاجة اليه. وان كثيراً من الرجال ليشاقون النساء

بالمشادّة في الخروج حتى يبتغوا بهن الريبة فيوقعوهن فيها ومنهم الذين يسلسون لهن أو يلقون حبالهن على غواربهن فيسرحن ويمرحن ويتبرجن تبرج الجاهلية الاولى حتى يكون البيت في نظرهن كالسجن وان ملل المرأة من البيت وكراهتها له كملل التاجر من محل تجارته والقاضي من محكمته والأمير من امارته، وكراهة كل عامل من عمله سبب للضياع ومعول للخراب

ومن المودة بين الزوجين أن لاتخرج المرأة من دارها الا باذن الرجل ورضاه وأن لا تكلفه من النفقة والزينة فوق مايليق بحاله في الثروة وقد مضت التجارب بأن العهد الى النساء بالنفقة يبعثهن على الاقتصاد ويغريهن بالتوفير . وارجع فى سائر مايطالب من المرأة لزوجها وولدها في المقالات السابقة فالنهوض بها مع الغبطة والسرور هو أثر المودة المطلوبة

لو لم تكن المودة بين عشيرتي الزوجين مما يقصد بالزواج قصداً مستقلاً لكانت مما يقصد بالتبع لتوثيق الرابطة الزوجية بين الزوجين فان احترام كل منهما القرابة الآخر مزيد فى احترامه له ولعل الذين يختارون الازواج لمكان البيوت والعشائر أكثر من الذين يختارون لمجرد الاستحسان الذاتي ولا تكاد تجد في العناصر الكريمة من لا يبالي بالمنبت وانما أولئك تحوت الناس وعبيد الشهوات

ان المشاكلة بين الزوجين فى السجايا والعادات كافية مع سكون الزوجية لتحقق المودة بينهما ولكن مكان عشيرتيهما قد يفسد مودة بينهما اذا كانت غير مرضية لهم وقد يشفع لما ينقصهما من سكون النفس ومودة القلب لحلول عاطفة الاحترام القومي محل عاطفة المشاكلة في بعض الطباع فان لم يأت احترام العشيرة بالمودة فهو لا يقصر عن الاتيان بالتودد وحسن المعاشرة

سل قضاة المحاكم الشرعية ووكلاء الدعاوي فيها يخبروك عن أرباب التخاصم من الأزواج ان أكثرهم من الشذاذ الذين ليس لهم عشائر معروفة أو من البيوت التي أفسدها الترف والتربية السوءى حتى كان أهل الزوجين هم الذين يحلون ميثاق الزوجية بينهما ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً بمضارة الرجل بامرأته والمرأة ببعلها باسم المحافظة على الحقوق ورعاية الشرف

وما الشرف الا في الوفاق الوئام ، والوداد والالتئام ،

يقع مثل هذا مع فساد الفطرة من الذين عزموا عقدة المصاهرة على رغبة وتخير فما بال أولئك الذين يمتون الى هذا العقد بوسائل الرهبة أو الحيلة أو يهجمون على البيوت فيأتونها من ظهورها لا من أبوابها ، ويمزقون ستارها ويهتكون حجابها ، وينتزعون الخرائد من أكنافها ، والفرائد من أصدافها ، ويفرقون بين الاولاد والوالدين ، ويوقعون العداوة والبغضاء بين الاقربين ، ماذا يكون أثرهم في البيوت التي تتكون منها الأمة وفي الأمة التي تتكون من البيوت ؟ لا يغيب عن عاقل ان شرهم مستطير ، وان ما يفعلونه فتنة في الأرض وفساد كبير ، (للكلام بقية)

فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

تزويج الشريفة بغير شريف وفضل أهل البيت

(س٢٩) مستفيد في (سنغافوره) سيدي هل هذه الفتوى (المذكورة أدناه) صحيحة ويجوز العمل بما فيها أم الاصح خلافها أفيدونا لازلتم خير خلف لخير سلف عن جوهر الاسلامية وأرجو من حضرتكم الكلام عنها في المنار وهي :

ما قولكم في من يستحل تزويج الشرائف بمن ليسوا بأشراف بل لو كان بعضهم يزعم أنه هاشمي أو مطلبي أو من بقية قريش فهل يصح تزويجهم بالشرائف أولا

الجواب والله أعلم بالصواب

اعلم أن مراعاة الكفاءة في النكاح واجبة وهي في النسب على أربعة درجات (كذا) الاولى العرب لا يكافئهم غيرهم من العجم الثانية قريش لا يكافئهم غيرهم من بقية العرب الثالثة بنو هاشم و بنو المطلب لا يكافئهم غيرهم من بقية قريش الرابعة أولاد فاطمة الزهراء بنو الحسن والحسين رضي الله عنهم لا يكافئهم غيرهم من بني

هاشم والدليل عليه كما فى التحفة والنهاية وغيرهما خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال «ان الله اصطفى من العرب كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم» والاحاديث الواردة في فضل العرب وفي فضل قريش وفي فضل بني هاشم كثيرة جداً وقال ابن حجر في التحفة والرملي في النهاية أولاد فاطمة لا يكافئهم غيرهم من بقية بني هاشم لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان أولاد بناته ينتسبون اليه في الكفاءة وغيرها كالوقف والوصية كما صرحوا به (انتهى) لأنهم أبناؤه كما ثبت في قصة المباهلة في قوله تعالى «ندع أبناءنا وأبناءكم» فانه ورد انه خرج ومعه الحسن والحسين وعلي وفاطمة وروى الحاكم قال صلى الله عليه وسلم لكل بني أم عصبة الأبناء فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وأخرج الترمذي عن أسامة انه صلى الله عليه وسلم أجلس الحسن والحسين يوماً على فخذيه وقال هذان أبناي وابنا بنتي اللهم اني أحبهما فأحبهما وأخرج الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال : كل بني أم ينتمون الى عصبة الا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم (انتهى)

فقول الشارع نص ويترتب عليه أحكام البنوة في الاشباح والارواح كالحسن والحسين وأولادهما والتشريف ببعض خصائصه صلى الله عليه وسلم كوجوب الصلاة عليهم ودخولهم في آية التطهير وتحريم الزكوة عليهم وافتراض محبتهم على الامة وغير ذلك ثم اعلم ان الشرف قسمان ذاتي وصفاتي وقد اصطلح العلماء على ان الشرف الذاتي للنبي صلى الله عليه وسلم ومنه بالنسبة لذريته فكما كانت ذات النبوة مختارة الله من الوجود جعلها الله معدناً لكل نعت محمود ولم يزل يسري منها في شعبها مظهرها في المعدن ومع ذلك فقد بالغ الجليل الكبير فى كمال التطهير لها كما قال «ويطهركم تطهيراً» لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم فتأثير البضعة النبوية لا يدركه أكابر الاولياء من غيرهم ولو جاهدوا أبد الآباد ولهذا السر قال الله «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى» اذا عرفت ذلك واتضح لك ان مقام ذات النبوة وقدرها لا يدرك وعرفت ان الكفاءة عند العرب بل وغيرهم أمر مرعي وقد جاء الشرع في ذلك على موافقة عادتهم وعرفت ان تزويج

الادنى بمن ليس كفوءا لها ملحق عاراً على عصبتها كما صرح به الفقهاء الواصل ذلك العار عند تزويج الشرائف بغير الاشراف الى مقامه صلى الله عليه وسلم تحقق لديك ان الجراءة على ذلك ايذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ولذريته وأي ايذاء أعظم من إلحاق العار فقد قال صلى الله عليه وسلم :من آذى أهل بيتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله: وقال عليه الصلاة والسلام: لاتؤذوني في أهل بيتي الخ وقال عليه الصلاة والسلام : احفظوني في أهل بيتي: فإيذاؤهم من أكبر الكبائر ومن استحله كفر فلا يجوز تزويج غير السيد بالسيدة ولو رضيت وأسقطت الكفاءة أو رضي وليها لان الحق ليس لهما لانه شرف ذاتي ليس من كسبهما حتى يسقطاه بل له صلى الله عليه وسلم ولكافة أبناء الحسنين ولا يتصور رضاهم وقد ثبت انهم موال على ماسواهم من كافة الخلق بنص حديث «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» وهل يجوز تزويج العبد مولاته لاقائل به بل قد منع خليفة الزمان السلطان عبد الحميد خان أيده الله تبعاً لسلفه تزويج السيدات بغير السادة وأمر الخليفة يجب العمل به في المباحات فضلا عن الموافق للحكم الشرعي . وأما مانسب الى الامام مالك عالم دار الهجرة رضي الله عنه من أن المسلمين أكفاء فلا يبعد انه مقول عليه لانه ثبت عنه انه امتنع من لبس النعال في المدينة وقال أستحي أن أطأ بنعلي أرضاً وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه فمن استعظم واستشرف أرضاً وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه يبيح و يستحل افتراش ووطء بضعته صلى الله عليه وسلم يجل قدره عن مانسب اليه رضي الله عنه وفي هذا القدر كفاية لمن من الله عليه بالهداية ومن قال بخلاف ما ذكر فإما عدم اطلاع وإما جهل بقدره صلى الله عليه وسلم وقدر أهل بيته بل من تجرأ وارتكب ذلك بعد اطلاعه على ما ذكر فهو ضعيف ايمان بل مسلوبه لمراغمته ومعاندته للشرع يخشى عليه من سوء العاقبة «ومن يضلل الله فلا هادي له» حفظنا الله من ارتكاب الموبقات وعصمنا من الهجوم على الخطيئات وعرفنا قدر نبيه وأهل بيته السادات انه ولي التوفيق غير انه معلوم لذي كل ذي عقل أنه للضرورات تباح المحظورات وارتكاب أخف الضررين لدفع الاشد متعين فلا يلزمك العناد ارتكاب الفساد والعدول

عن سبيل الرشاد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم: قاله بفمه وكتبه بقلمه أضعف الناس عمر بن سالم العطاس عفى الله عنه آمين وذلك في شهر محرم سنة ١٣٢٣

(ج) سبق لنا أن نشرنا في هذه المسألة سؤالا لأحد القراء في سنغافوره في واقعة حال هناك ثم جاءنا من سنغافوره رسالة بتوقيع أحد الحضارمة رغب الينا مرسلها أن نرمز له بحرفي ع . ب قال فيها بعد الثناء والإطراء ان مانشرناه في الواقعة (في ج ٦ م٨) لم يكن السؤال فيه مطابقاً للواقع وان الشريفة التي تزوجت بالسيد الهندي قد زوجها وليها الشرعي برضاه ورضاها مع علمها بأن الزوج مطعون في نسبه على أنه قد شهد ١٢ شاهداً من أهالي بلده وغيره بالسيادة له وان ماذكره السائل أيضاً عن طعن ذلك الرجل بكتب الشرع غير صحيح وطلب منا هذا الكاتب أن نذكر الحكم في الواقعة على ماقرره هو من تزويج ولي الشريفة لها برضاه ورضاها على أنه لاحاجة الى ذلك فان الجواب الأول ناطق بصحة العقد في هذه الحالة . وقد فهمنا من الرسالة ومن مجموع ما كتب الينا في معناها من تلك الجزيرة ان سبب الاهتمام بهذه المسألة هو أن بعض السادات الحضرميين الذين يوجد منهم طائفة هناك غالون في التفاخر بأنسابهم ،والإدلال باحسابهم، ولذلك ذهبوا في الغلوّ الى ماتراه في فتوى الشيخ عمر بن سالم العطاس التي سألنا عنها أحد القراء في سنغافوره وقد أرسلنا الينا صورتها مطبوعة فعلمنا انهم طبعوها ووزعوها لاثبات اعتقادهم في أنفسهم

أما الحق في مسألة الكفاءة فهو ما بيناه في الجزء العاشر من المجلد السابع أيام حادثة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وقد نقل المؤيد ما كتبناه يومئذ فاطلع عليه الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية رحمه الله تعالى وكان في مصيف رأس البر فكتب اليّ « اطلعت في المؤيد على ما كتبتَ في الكفاءة والأولياء واستحسنته» وانما اطلع عليه في المؤيد لانه نشر فيه ما كتبت قبل أن أرسل المنار ولذلك كتب اليَّ الامام في ذلك الرقيم « كنت أنتظر أن يصل اليّ المنار هنا ليكون مما ألقي عليه نظري اذا أرجعته عن أمواج البحر الابيض ولم أطلقه الى بساط النيل الاحمر فاني جالس طول يومي بين البحرين» والمقصود ان الاستاذ الامام

قدأجاز ما كتبته فى الكفاءة فكأنه أفتى به

أما المنزع الذي رمى عنه الشيخ سالم العطاس فهو غريب وأوغله في الغربة والغرابة جعل الكفاءة فى الشرفاء حقاً للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع أبناء الحسنين بحيث لا يصح تزويج الشريفة بغير شريف ولو رضيت ورضي وليها اذ لا يتصور أن يرضى النبي (ص) وسائر الشرفاء في مشارق الارض ومغاربها واستدلاله على ذلك بكونه ايذاء للنبي بايذاء أهل بيته قال وايذاؤهم من أكبر الكبائر يكفر مستحله ثم استدلاله أيضاً بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» على كون ذراري عليّ موال على من سواهم من جميع الخلق بالنص وخروجه من ذلك الى ان جميع الناس عبيدلهم وانه لا قائل بجواز تزويج العبد لمولاته نعوذ بالله من هذا الغلو والغرور

يستدل الشيعة بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» على ان علياً أحق بالخلافة ممن سبقه فيها ولا أعرف عنهم انهم بعدوا في الاستدلال الى جعل جميع الناس عبيداً له ولذريته بل لم يقل مسلم بأن الناس عبيد للنبي صلى الله عليه وسلم بل الاسلام يمنع هذا فمن أين جاء به العطاس يرحمه الله ويصلح باله. وكيف يتفق استنباطه هذا مع ذكره السلطان عبدالحميد بلقب الخلافة واذا كان غير الشريف العلوي الفاطمي لا يجوز أن يكون زوجاً للشريفة لانه عبدها فكيف يكون العبد خليفة على ساداته ومواليه الذين لا يحصى عددهم والخليفة مولى لرعيته يجب عليهم طاعته في كل معروف وأما الزوج فليس مولى لامرأته بهذا المعنى بل يقول جماهير الفقهاء انه لا تجب عليها طاعته الا في المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع.

والحق ان لفظ المولى في الحديث معناه الناصر كما قال الجوهري في الصحاح ويطلق في اللغة على الصاحب والقريب والجار والحليف والنزيل والشريك والعبد والمعتق والمعتق فكيف يسمح لنا الدين أن نتخطى هذه المعاني ونقول ان الحديث نص في أن الناس عبيد لذرية علي؟ هل كان أبو بكر وعمر والعباس وغيرهم من الصحابة وسائر المسلمين عبيداً لعلي في حياته وهل ملك أولاده من بعده الناس بالارث أم نص الحديث دال على انهم يملكونهم بالاستقلال فى كل زمان؟ ظاهر قول

العطاس الثاني وكل مسلم يبرأ الى الله من الاول والثاني

كان الشرفاء وما زالوا يزوجون بناتهم من غيرهم وجميع العلماء يستحلون هذا مع التراضي وسائر الناس تبع لهم فيه فهل يقول العطاس ان جميع من استحل ذلك كافر حتى المزوجون والمتزوجات بالرضى والاختيار فيكفر الشرفاء مبالغة في تعظيمهم ؟؟

ليس هذا المنزع الذى رأيت بأغرب من منزعه الآخر في جعل النسبة الى الحسن والحسين فى معنى نبوة النبي عليه الصلاة والسلام من حيث ان شرفها ذاتي غير مدرك وانها من اختيار الله تعالى وانها منبع لكل نعت محمود وأن أكابر الاولياء لو جاهدوا أبد الآباد لا يلحقون لشريف أثراً لأن الله تعالى بالغ في كمال تطهير آل البيت اذ قال «ويطهركم تطهيرا» لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم: ثم قال ولهذا السر قال الله «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى»

فانظروا أيها المنصفون كيف يُلعب بكتاب الله ويحرف كلمه عن معناه، بدعوى الاهتداء بهديه، والعمل بأمره ونهيه، وانما هو اتباع الهوى، شرد بالغالين عن معهد الهدى، وأحمد الله تعالى أن جعلني شريفاً غير مفتون، وجنبني وقومي مزال الغرور، فأما قوله تعالى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» (سورة الاحزاب ٣٣–٣٣) فقد ورد تعقيباً لآيات في خطاب نساء النبي عليه الصلاة والسلام يأمرهن الله تعالى بها وينهاهن ويعلمهن بأن جزاءهن على الخير والشر مضاعف لأنهن لسن كسائر النساء وهذا ظاهر معقول المعنى فان بيت المرشد الكامل قدوة فى الهدى والرشاد ولو ظهر العمل السيء من ذلك البيت الذي جعله الله منبعاً للهدى ومشرقاً للوحي لكان أعظم منفر عن الاهتداء والايمان فقوله تعالى بعد تلك الاحكام «انما يريد الله» الخ تعليل وبيان للحكمة في كون نساء النبي لسن كسائر النساء وكونهن جديرات بمضاعفة العذاب على المعصية والثواب على الطاعة لمكان القدوة كقوله تعالى بعد ذكر أحكام الصيام ومافيها من الرخص «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وانما قال «عنكم» لان النبي صلى الله عليه وسلم في البيت وهو المقصود بالتطهير أولا وبالذات لأن كمال نسائه ينسب الى هدايته صلى الله عليه وسلم

وأما قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى » فليس معناه انه يطلب من الناس مودة قرابته أجرة لتبليغه أحكام ربه حاش لله ما كان لنبي أن يطلب على التبليغ أجراً كما نطق القرآن ونهض البرهان وانما الاستثناء منفصل ومعناه لا أسألكم أجراً على ما جئتكم به فتتوهموا انني طالب منفعة لنفسي وانما أسألكم ماهو نافع لكم وهو المودة في القرابة أي ان تودوا ذوي القربى منكم فهو اذاً بمعنى ما يؤثر عن الانجيل من الامر بمحبة القريب أو أن تودوني في قرابتي منكم لا لأني بعثت لهدايتكم فعاملوني معاملة سائر الاقربين ولا تؤذوني وأما الدين فلكم دينكم ولي دين لست عليه بجبار، وانما عليَّ البلاغ وللناس الخيار وعقب هذا بقوله «ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً» والآية من سورة الشورى وهي مكية من أول القرآن نزولا وأمثال هذا الخطاب في الدعوة والاستمالة الى الحق كثيرة ولا يمكن أن يحمل لفظ القربى فيه على ذرية فاطمة عليها السلام لما تقدم ولانها لم تكن تزوجت ولا ولدت في ذلك العهد

سبق للمنار قول في تفسير هذه الآية وفيه ان الشيعة هم الذين افتحروا لها هذا المعنى غافلين عما وراءه من الطعن في الرسالة واحتجاج الكافرين علي المؤمنين بأن الرسول كان يطلب بدعوته الدنيا لذريته كالملوك والامراء . وإن القرآن بجملته وتفصيله وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وأهله ومعاملته للناس وتوليتهم الاعمال كل ذلك مما ينسف هذه الشبهة نسفاً

أيُّ غلوّ العطاس يرحمه الله ويصلح باله ليس بالغريب ؟ أأنكاره قول الإمام مالك: ان المسلمين أكفاء: واحتجاجه على ذلك بما كان من أدب هذا الامام مع النبي عليه السلام اذ كان لا يطأ أرض المدينة بالنعال واستنباطه منه عدم اباحة افتراش البضعة النبوية ووطئها ؟ أيظن أن الامام مالكا كان يحرم أن يمشي الناس في المدينة بالنعال، أو أن تركب فيها الحمير والبغال،؟ أيظن أنه يقيس اتخاذ المرأة زوجاً وقرينة للرجل تشاركه في نعمته وتتحد معه في معيشته على وطء الأرض بالنعل أو بغير النعل ؟ ماهذا الفقه المقلوب ؟

يسهل على من يسلك مسلك هذا المفتي في الاستنباط أن يستخرج من كلامه

مايعده الفقهاء من المكفرات فيكفره كما كفر من يخالف فتواه أوكاد يكفر بها جميع المسلمين والحق أنه لا يحكم بكفر أحد من أهل القبلة الا بقول أوعمل يدل دلالة قطعية على أنه لا يؤمن بالله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فمن آذى شريفاً من آل البيت لحظ من حظوظ الدنيا يكون عاصياً الله كما لو آذى غيره لأن الايذاء حرام وأما من يؤذي الشرفاء لأنهم ينتمون الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالاقرب أن يكون ايذاؤه اياهم بهذا القصد معلولا لكفره به لا علة له اذ لا يعقل أن يقصد المؤمن ذلك ولا يظهر هذا الا فيمن يؤذي كل من قدر على ايذائه منهم فمتى خصص فرداً أو أفراداً علم انه لا يؤذيهم لأجل النسبة

وجملة القول أن الشريعة الاسلامية شريعة عدل ومساواة لا شريعة تقسيم ومحاباة وأحكامها عامة مدار العبادات فيها على تزكية النفس وتحليتها بالفضائل ومدار المعاملات على درء المفاسد والمضار وجلب المنافع وحفظ المصالح وليس لأحد أن يخص الشرفاء أو غيرهم بأحكام شرعية تؤخذ بالتسليم على انها من التعبد فأبناء الحسنين وغيرهم من الناس سواء في أحكامها وما ورد في تخصيص آل النبي (ص) ببعض الاحكام كتحريم الصدقة عليهم معقول المعنى ولا يجوز لاحد أن يزيد عليه لأن التخصيص خلاف القياس فلا يقاس عليه وفي الحديث الصحيح أن الآل في باب تحريم الصدقة هم بنو هاشم و بنو المطلب لا ذرية فاطمة خاصة . وان الكفاءة فى النكاح لا يستدل عليها بالفضائل والخصائص وانما يرجع فيها الى نص الشارع أو القياس الصحيح . أما نص الشارع فلم يصح منه في مسألتنا شيء قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخاري: لم يثبت في اعتبار الكفاءة في النسب حديث وأما ما أخرجه البزار من حديث معاذ رفعه «العرب بعضهم أكفاء بعض والموالي بعضهم أكفاء بعض» فإسناده ضعيف : اه وانما الكفاءة الثابتة في السنة خاصة بالدين والحرية والأخلاق واليسار وهذا ما كان عليه أكثر أهل الصدر الأول ومن قال من الفقهاء باعتبارها في النسب فحجته الصحيحة القياس ومداره على دفع العار فاذا لم يكن هنالك عار بالفعل فلا اعتبار بالنسب في الكفاءة

وعلى هذا أكثر البلاد الاسلامية فيما نظن واذا رضيت امرأة شريفة هي وأولياؤها بالتزوج بمن ليس بشريف في بلاد يعد ذلك فيها من العار فلا حرج عليهم لأنهم أعلم بمصلحتهم وأحرص على شرف أنفسهم والامر ليس بتعبدي ولو كان ما ذكره العطاس من فضل أهل البيت يجعل استنباطه صحيحاً وداخلا فى الاحكام التعبدية لكان لنا أن نقول مثله في العلماء فان ماورد في الكتاب والسنة فى مدح العلم والعلماء أعظم وأظهر مما ورد فى آل البيت فهل نقول إنه لا يحل للعالم أن يزوج ابنته بمن ليس بعالم لأن ذلك اهانة للعلم الذي عظمه الله تعالى فالامر فيه ليس اليه وانما هو متعبد بذلك ؟ كلا ان الزواج من المعاملات التى تبنى على أساس المصلحة وكل قوم أعلم بمصلحتهم والشرع لم يحجر عليهم فى اختيار الخير وانما حرم عليهم الإيذاء والله أعلم وأحكم

هذا وانى لأظن بالشيخ عمر بن سالم العطاس الا الخير وحسن النية وأشكر له حبه للشرفاء ولولا أن فتواه طبعت لمارددت عليها فى المنار وأسأل الله تعالى أن يحفظنا واياه من الغلوّ و يلهمنا رشدنا أجمعين

﴿ ضمان البضاعة وسلع التجارة والسيكارتو ﴾

(س ٢٩) سألنا كثيرون من أهل هذا القطر وغيره من الاقطار عما جرى عليه عرف التجار من ارسال البضائع للبلاد مضمونة من شركة تسمى شركة الضمان وقد أرجأنا الجواب عن ذلك لأجل أن نبحث عن كيفية هذا التعامل بنفسنا فنجيب عن بصيرة ولم يتيسر لنا ذلك وقد جاءنا من عهد قريب صورة فتوى في ذلك من سنغافورة يسألنا مرسلها عن رأينا فيها فلم نجد بداً من التعجيل بنشرها و بيان رأينا فيها وهذه هي :

بسم الرحمن الرحيم رب زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، أما بعد فقد ورد عليّ سؤال من بعض التجار القاطنين بعدن فيما كثر تعاطيه في الناس ليكونوا على بصيرة من أمره ونص سؤاله هو .

ماقولكم دام فضلكم في معاطاة التجار مع الافرنج الجارية في هذا الزمان

بغير صيغة شرعية أصلا وهو ان التاجر اذا أراد ارسال مال له الى بلد أخرى على طريق البحر يطلع ماله في احدى البوابير الذاهبة الى تلك البلاد المطلوب ارسال المال اليها . فاذا أطلع التاجر ماله وسلم نولاً على المال وأخذ ورقة من قبطان الوابور بوصول المال اليه في الوابور ومقداره وثمنه ثم اذا كان موجود احد الافرنج وعرض التاجر عليه ورقة صاحب الوابور وسلم له على المال المقدر فيها على كل مائة (ربية) خمس (ربيات) يقدر المال الذي طلعه ثم يسلم له الافرنجي ورقة بعلامته متضمنة بكلام الافرنج ضمانة المال عليه اذا غرق في البحر فهو يعطيه ثمنه بقدر ماهو محرر في ورقة قبطان الوابور وسمو هذه المعاملة « بيمه » . ثم انه يوجد إفرنجي آخر اذا احتاج التاجر المذكور ثمن ماله الذي أرسله مقدماً فيعرض عليه ورقة الأفرنجي المتضمنة الضمان للمال فعند ما يراها يقدم للتاجر ثمن ماله و يحوله التاجر على وكيله الذي يستلمه بتلك البلدة الاخرى ان سلم المال من الغرق والا فيستلم ذلك الافرنجي الاخير من الافرنجي الاول الذي سلم الورقة المتضمنة لضمان المال بلغتهم فهل والحال هذا اذا جرت هذه المعاملة منا مع أهل حرب أو مؤمنين من غير ألفاظ شرعية أصلا تكون من قبيل مالو أعطونا شيئاً من حقهم مجاناً برضاهم و يجوز أخذها أم لا يجوز ذلك أصلا افتونا مأجورين نفع الله بكم المسلمين . اهـ .

﴿ الجواب ﴾ فقلت و به القوة والحول ان هذه المسئلة هي من حوادث الزمن الاخير لم أر من تكلم عليها من أئمتنا الشافعية في كتبهم المتأخرة فيما اطلعت ومن حيث ان الباع قصير والمقام خطير تكأكأت مدة عن الجواب ، وصاحب السؤال يلح علي في الخطاب ، و يطلب مني بيان حكم الله تعالى فيها فلم أجد بداً من اسعافه فاقتحمت ذلك ، متحرياً فيما هنالك ، مجتهدا في استخراجها من كلام الائمة تصريحاً أو تلويحاً فأول ماوقفت على كلام في ذلك لخاتمة محققي السادة الحنفية الامام العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر حيث قال في فصل في استئمان الكافر بعد كلام في ذلك مانصه (و بما قررناه يظهر جواب ما كثر السؤال عنه في زماننا وهو انه جرت العادة ان التجار اذا استأجروا مركبا من حربي فيدفعون له أجرته و يدفعون أيضاً معلوماً لرجل حربي مقيم في بلاده و يسمى ذلك المال (سوكره)

على انه مهما هلك من المال الذي في المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن في دارنا مقيم في بلاد السواحل الاسلامية بأذن السلطان يقبض من التجار مال السوكره واذا هلك من مالهم في البحر شيء يؤدي ذلك المستأمن للتاجر بدله تماماً والذي يظهر لي انه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله لان هذا التزم مالا يلزم اه . أي فلا يحل أخذ ماله بعقد فاسد

أي هذا الحكم مع المستأمن في دارنا قال بخلاف المستأمن في دار الحرب فان له أخذ مالهم برضاهم ولو بربا أو قمار لان مالهم مباح لنا الا أن الغدر حرام وما أخذ برضاهم ليس غدراً من المستأمن منهم في دارنا لان دارنا محل اجراء الاحكام الشرعية فلا يحل لمسلم فى دارنا أن يعقد مع المستأمن الا ما يحل من العقود مع المسلمين ولا يجوز أن يؤخذ منه شيء لا يلزمه شرعاً وان جرت به العادة كالذي يوخذ من زوّار بيت المقدس : اه ما نقلته عن حاشية الدر لابن عابدين

نرجع الى الحكم على عدن هل هي الآن دار حرب لاستيلائهم عليها أو باقية دار اسلام على أصلها نص في شرح الدر ان دار الاسلام تصير دار حرب بثلاثة أمور باجراء أحكام الشرك و باتصالها بدار الحرب ولا يعد البحر فاصلا بل قال تقدم ان بحر الملح ملحق بدار الحرب والشرط الثالث أن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي آمنا بالأمان الأول على نفسه أي الأمان الذي كان ثابتاً قبل استيلاء الكفار للمسلم باسلامه وللذمي بعقد الذمة اه . بتوضيح في حاشيتها لابن عابدين ولا شك ان هذه الشروط قد وجدت فى عدن فهي دار حرب عند السادة الحنفية يجوز للمسلم فيها أخذ مالهم برضاهم ولو بربا وقمار كما تقدم آنفاً عن العلامة ابن عابدين أما عند الإمام الشافعي فلا تعتبر دار الاسلام دار حرب مطلقاً أي سواء غلب عليها الكفار أم لا منعوا المسلمين أم لا كما في باب الجهاد من شرح المنهاج للامام ابن حجر رحمه الله تعالى

هذا ما عند السادة الحنفية أما حكم السؤال على مذهب السادة الشافعية فالذي ظهر لي من كلام فقهائنا انه اذا لم تجر هذه الالتزامات بمعاطاة أو صيغ فاسدة في الشرع ولا يتلفظ بشيء منها بل يعطيه ذلك المال بمجرد اوراق

تتضمن ذلك الالتزام عن وجه رضاء واختيار فلا بأس بقبوله من كافر أو مسلم وما أظن أحداً يخالف فى جواز قبوله كيف وقد نبه العلامة ابن حجر في الايعاب في باب البيع عند القول بجواز المعاطاة حيث قال ولك أن تقول الكلام جميعه مفروض فيمن لم يعلم أو يظن رضا المأخوذ منه ولو بلا بدل أما من علم أو ظن رضاه فلا يتأتى فيه خلاف المعاطاة لأنهم اذا جوزوا لهم الاخذ من ماله مجاناً مع علم الرضا أو ظنه فلأن يجوز الاخذ عند بدل الشيء أولى لأن المدار ليس على عوض ولا على عدمه بل على ظن الرضا فحيث وجد عمل به وحينئذ لا يكون أخذاً من باب البيع لتعذره بل من باب ظن الرضا بما وصل اليه وعجيب من الائمة كيف أغفلوا التنبيه على ما ذكرت وكأنهم وكلوه الى كونه معلوماً اه كلام الايعاب وكذلك ما يؤخذ في صورة السؤال لا يكون من باب الضمان ولا عدمه بل من باب أخذه بالرضا والاختيار هذا ما ظهر لي فى المذهبين وفوق كل ذي علم عليم والله سبحانه وتعالى أعلم

(الختم) (الواثق بخفي الألطاف علوي بن أحمد السقاف) كان الله لهما آمين

ثم كتب بعد قوله بل من باب أخذه بالرضا والاختيار : ولك أن تقول هذا الكافر الملتزم للغرم عند التلف فيما كتبه للمسلم متردد بين غنم وغرم فيحتمل أن يكون من أنواع القمار الممنوع اقراره عليه فنقول على فرض تسليمه انه نوع منه فلا نمنعه منه الا أن كان من الملتزمين لأحكامنا أما كالذي في عدن كما هو فى صورة السؤال فليس من الملتزمين لأحكامنا بل ربما قهرونا على مجاراة بعض أحكامهم كما هو مشاهد فلا مانع من أخذ ماله برضاه هذا ما تبادر الى فهمي الفاتر وعلمي الناقص فان أصبت فمن عند الله وان وجد نص يعتمد بخلافه فالمرجع اليه والله ولي التوفيق

﴿ المنار ﴾

ان ما يسمونه (سوكرة البضائع) عقد تأمين وضمان يكون بين التاجر صاحب البضاعة وبين رجل آخر هو وكيل شركة كبيرة والورقة التي ذكرها السائل العدني في استفتائه هي صك بعقد التأمين والضمان فهي متضمنة للايجاب والقبول والفقهاء يعدون هذا العقد فاسداً لأن الضامن يلتزم فيه ما لا يلزمه شرعاً وكان يظن انه يأخذ ما يأخذه بدون مقابل ولكننا علمنا من بعض التجار أن لهذه الشركة التي تؤمن

التجار على بضائعهم وتضمن لهم مايهلك منها أعمالا في حفظ البضائع تتفق بهمع شركات النقل في المراكب وغيرها فهي اذاً من قبيل الاجارة كأن التاجر يستأجر صاحب الباخرة للنقل وصاحب التأمين للحفظ فما يأخذانه من المال على ذلك يعد أجرة عملهما فعلى هذا يجوز للتاجر أن يسوكر بضاعته ثم اذا هي تلفت بتقصير في الحفظ جاز له أخذ الضمان عنها وأما اذا تلفت بدون تقصير في حفظها فلا يجوز عند الفقهاء أخذ الضمان لانه لا يلزم الأجير وان التزمه وقد خرج السقاف الجواز في الواقعة المسئول عنها على مذهب الحنفية بأنه أخذ لمال الحربي بعقد فاسد بغير عذر ولا خيانة وهو جائز وعلى مذهب الشافعية بأنه مال أخذ برضاء صاحبه وسكت عن إعطاء الاجرة

ويجب التنبيه ههنا الى مسألة مهمة وهي أن مايشترطه الفقهاء باجتهادهم من شروط صحة العقود وفسادها ولزوم ما يلتزم فيها وعدمه ونفوذ الحكم بها وعدم نفوذه ليس من الامور التعبدية التي يتقرب بها الى الله تعالى بحيث يكون العقد الفاسد معصية من المتعاقدين وان كان برضاهما واختيارهما بلا غش ولا تغرير كلا ان هذه المسائل وضعت لاجل ضبط الاحكام وحفظ الحقوق وتسهيل الحكم بالعدل على القضاة فهي لا تسلب الناس حرية التصرف في أموالهم بما يرونه نافعاً لهم في حفظها أو تنميتها مع التزام حدود الله الثابتة في كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كتحريم الغش والتغرير والخداع والغصب ونحو ذلك وهذا هو مراد ابن حجر الفقيه اذ جوز الأخذ والاعطاء بالتراضي فيما كان مخالفاً لشروط صحة عقد البيع (ومثل البيع غيره من العقود) فكأنه قال ان هذه الاركان والشروط التي ذكروها لصحة العقود هي التي يلزم الحاكم الناس بها اذا تنازعوا فاذا تراضوا فيما بينهم على خلافها فلا حرج عليهم وعد هذا من الامور التي سكت عنها الأئمة لكونها معلومة بالبداهة فتبين من هذا ان العاقل الرشيد له أن يتصرف في ماله مالم يرتكب محرماً والمحرم فيه ضرر بالفاعل أو بغيره فاذا ثبت بالاختبار ان هذه (السوكرة) نافعة غير ضارة فهي جائزة اذ لم يرد نص من الشارع في تحريمها ومدار الاجتهاد في أحكام المعاملات على دفع الضر وجلب المنفعة وحفظ المصالح واذا ثبت بالاختبار انها ضارة ومضيعة للمال بغير فائدة كانت محرمة والله تعالى أعلم

باب التربية والتعليم

﴿ المكتوب الثالث — من «إميل» الى أمه (*) ﴾

افضاؤه اليها بحبه لقينة من الممثلات — كيف تعلق قلبه بها — استعلامه سيرتها — تمنيه انقاذها مما هي فيه — طلبه المغفرة من أمه بعد اعترافه لها بالحب.

تحريراً في ١٢ مايو سنة ١٨٦

اني منذ عرفت نفسي أبثك جميع ما يسوءني وما يسرني وما أكره وما أحب وأكاشفك بالخير والشر ولا أكتم عنك شيئاً حتى اني لما كنت بحضرتك ما كنت في حاجة الى البيان لانك كنت تطالعين أفكاري في عينيَّ وتبصرينها تجول على جبيني وهذه أول مرة لي في حياتي أسررت فيها سرا ... وليت شعري أأبوح به الي قصب نهر الرين ؟ إذا لتضاحك مني كما تضاحك من اذني الملك ميداس (١) أم أبثه الى القمر ؟ كلا فقد سمع كثيرا من أمثاله أم أكنه في قلبي ؟ اذاً لأنبتني عليه سريرتي . ما أنا بفاعل شيئاً من ذلك بل أريد أن أودعه صدر أمي

على ان الإفضاء به ليس من السهولة بالمقدار الذي كنت أتوهمه فاني ما أنشأت أخط هذه السطور الاولى من مكتوبي حتى ارتعشت يدي وخفق قلبي ولست إخالك الا ساخرة مني ولكن أقل ما أنا واثق به منك انك لن تجدي عليَّ أن صدقتك الخبر واذا كان الامر كذلك فلابد من افشائه وهو اني أحب !

الآن أراك تسأليني من هي التي تحبها وأين رأيتها وكيف عرفتها وفي هذه

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

(١) ميداس بحسب ما جاء في أساطير اليونان هو ملك فريجيا وهي قطر من أقطار آسيا الصغرى اشتهر بواقعتين نذكر إحداهما فقط لاختصاصها بهذا الموضوع وهي ان ابولون بن المشتري حكمه في المناظرة التي قامت بينه وبين بان إله الرعاة في الموسيقى والشعر والفنون وكان بان صديقاً للملك فحكم له فلم يكتف ابولون في الانتقام من ميداس بسلخ جلده حيا بل جعل له بدلا من أذنيه أذني حمار فغطاهما ميداس بتاج حتى لا يظهرا للناس ولما علم ان حلاقه لابد له من رؤيتهما عاهده على كتمان أمرهما ولكن الحلاق لم يلبث أن ثقل عليه الكتمان فاحتفر حفرة في الارض بمعزل عن الناس وأسر فيها قوله ان للملك ميداس اذني حمار فاتفق بعد حين أن نبتت في هذا المكان قصبات كانت كلما هزتها الريح كررت هذا القول

الاسئلة ما يزيدني حيرة وارتباكاً

في مدينة بُن ملعب من الطبقة الثانية غير انه مشهور بحسن اختيار القصص التمثيلية فمما يمثل فيه قصة مريم استوارت (١) وقصص شيلار (٢) وقصة غويت عن فوست ومرغريته (٣) وغيرها من القصص الشهيرة وللموسيقى والاغاني الموقعة عليه فى هذا الملعب يومان أو ثلاثة تحل فيها محل الأدبيات والوقائع التمثيلية وأنا أذهب اليه في بعض الاحيان لسببين أولهما ترويح نفسي من عناء الدرس وثانيهما إيلافها أصوات اللغة الالمانية فمن نحو شهر ابتدأت قينة باڤيرية (٤) فتية تغني على الموسيقى هناك وكان أول ما غنته قصة النبي من توقيع ماير بير فبلغت من الاجادة في تغنيتها الى حد أن جميع طلبة الجامعة كانوا يلهجون بذكرها كأنها آية من الآيات فجريت معهم في مساق الاعجاب بها ولما انطلقت الى الملعب ورأيتها داخلة في باحة التمثيل كان كلي عيونًا تبصر وآذانًا تسمع وليس صوتها هو الذي اشتداعجابي به مع كونه من أندى الاصوات وأندرها بل الذي ملأني اعجاباً هو ما في تغنيتها من الروح بل ما في خلقها من الحسن والاتقان فبت ليلي كله أحلم بها ولا يفارقني طيفها وكنت أراها بين الافلاك السماوية وأسمع أنغام الكواكب الموسيقية فكأن فيثاغورس (٥) كان يحب قينة مثلي عند ما كان يحدث تلاميذه عن حسن ألحان النجوم

ولخوفي من انقضاء اعجابي بها فيما يلي من التمثيل عاهدت نفسي على أن لا أختلف الى الملعب ليالي تغنيتها ولكني ما استطعت أن أوفي بعهدي وقد انتفى

(١) مريم استوارت هى بنت يعقوب الخامس ملك ايقوسيا ومريم لورين ولدت سنة ١٥٤٢ م وماتت سنة ١٥٨٧ تزوجت بولي عهد فرنسا (من اول حكم فرنسيس الثاني) وبعد موت زوجها رجعت الى ايقوسيا وتزوجت بهنري درنلي ثم بالكونت بوتويل ثم ثار عليها رعاياها فلاذت باليصابات ملكة انكلترا التي حبستها ١٩ سنة ثم أمرت باعدامها (٢) شيلار شاعر ألماني شهير ولد سنة ١٧٥٩ م ومات سنة ١٨٠٥ ومن أشهر قصصه المحزنة النهبة ووالانشنين وغليوم تل (٣) غويت واسمه جان ولف جانج هو أكبر كاتب ألمانى ولد في فرنك فور سيراين سنة ١٧٤٩ م ومات سنة ١٨٣٢ وفوست اسم لشخص خرافي مشهور فى حكايات الالمان بأنه تعاهد مع الشيطان (٤) نسبة الى باڤير احدى ولايات المانيا (٥) فيثاغورس فيلسوف يوناني ولد في ساموس سنة ٥٦٩ ق م ومات سنة ٤٧٠ أقام بمصر وبابليون مدة طويلة ثم رجع إلى بلاد اليونان وأسس مدرسة في كروتون وهو أول من قال بالتناسخ وعرف نظام العالم الحقيقي

عني كثيراً خوف اقلالي من التحمس في حبها بما اكتشفته فيها على توالي الايام من الخصائص الجمة التي لم أكن لاحظتها من قبل ولا بد من الاعتراف لك بأني كنت أجلس من الصف المواجه لباحة التمثيل بحيث أكون مرئياً لها وقد حسب لحظي مرة أو مرتين انه لاقى لحظها . . . ولكن ربما كان هذا ضلالا ومع ان التمثيل كان يمكث أكثر من أربع ساعات كنت دائمًا أجده في غاية القصر وأغادر مقعدي فى ختامه وقلبي مفعم بما لا يوصف من الاضطراب

خطر في ذهني ان أخاطبها بأبيات من الشعر أنظمها وأرسلها اليها غير ممضاة مني على يد بواب الملعب الهرم ففعلت وكنت أقول في نفسي وقت نظمها ان أقل فائدة لي منها ان تعلم ان واحداً من الناس يحبها ولكنها كانت أبياتاً رديئة وأقر بأنها ما كانت تؤدي نصف ما كنت أضمره لها من عواطف الميل وهذا ما دعاني الى عدم الاعتقاد بصحة ما قيل من أن الشعر من لوازم الحب كما قرأته ذات مرة في بعض الكتب وليس في قدرة أحد ممن عدا المصطفين من الخلق أن يعبر عن كل ما يجده في نفسه و ياليتني كنت واحدا من هؤلاء النوابغ الممتازين

كنت من مساعيّ في القرب من هذه الفتاة واقفاً عند الحد الذي بينته لك فبينما أنا في يوم من أيام الآحاد أجوب المنتزه الذي تجتمع فيه نساء المدينة فى نحو الساعة الثانية بعد الظهر اذا بها أقبلت آخذة نحوي في مخرف فخطر ببالي أولا ان اتنكب هذا المخرف لسلوك احدى السبل المقاطعة له لانه كان يخيل لي ان سأصفق مما قام بنفسي من ضروب الانفعال والاضطراب غير اني تثبت ومشيت مشية الجندي الباسل الذاهب الى حومة الوغى فرأيتها في بزة بالغة من الرونق غايته على بساطتها . وارباه ! كم وددت لو كنت في تلك الساعة قفازها أو زهرة قلنسوتها أو مظلتها التي تقيها حر الشمس؟ أقول ذلك واني لاعلم انه كان مني قبيحًا ولكن لا ينبغي أن أكتم عنك شيئًا من مواضع ضعفي

ان في اللحظ خاصة الجذب فاني كنت آنس من لحظي اذا رنوت اليها ان كله اقرار وتصريح بالحب ولما مر كل منا حذاء صاحبه جرى على وجهي لألاء حسنها كما يجري لمعان البرق ولم أجسر على الالتفات خلفي الا بعد ان جاوزتها

بثلاثين خطوة فرأيتها قد بعدت عني مهرولة غير اني بصرت فى المسافة التي بيني وبينها بشيء أبيض يخفق خفوق جناح الحمامة من صفق الريح اياه فماتريثت فى التقاطه فاذا هو منديلها قد سقط منها ... أو تعمدت اسقاطه فعدوت خلفها ودفعته اليها فأظهرت الدهش من ضياعه وتلطفت في اسدائي الشكر على رده وراقني ان سمعتها تحسن التكلم بالفرنسية فلاح في ذهني أن أعرفها اني صاحب الشعر الذي أرسل اليها ولكني كنت من شدة الاضطراب الذي استولى على نفسي بحيث لم أستطع تحريك شفتي بكلمة ما ولا بد أن تكون حسبتني ابله

يزعم العارفون بتركيب الحيوان ومنافع أعضائه ان الذاكرة لا تحفظ الروائح وعذرهم في ذلك انهم لم يحبوا في حياتهم فان منديلها وهو قطعة من النسيج الباتستي (١) الرقيق كان يتضوع عن عطر لطيف لن أنساه مادمت حيا . وفي اليوم التالي لهذا اللقاء انطلقت الى ماحول المدينة من الربى الزاهرة فجنيت باقة من ألطف ما وجدته من الزهور البرية وأدلها على العفاف ولما حان وقت التمثيل خبأتها في قلنسوتي المدرسية وأخذت مجلسي في الملعب فغنت كعادتها بصوت يسمو بسامعيه الى السحاب ولكن كان يخيل اليّ ان هذه المرأة التي لاقيتها في الطريق أمس ذلك اليوم أكمل من قينة وان كان استعدادها للتغنية مثاراً للاعجاب و بعدان انتهت من غنائها وانصرفت استعادها جميع السامعين فهطلت حولها باقات الزهر من غرف الملعب والكراسي المقابلة لباحته وآن لي أن ألقي اليها باقتي فاهتممت غاية الاهتمام بأن تبصرني عند إلقائها مع تظاهري بالاختفاء خلف جيراني وما أدراك ما فعلته حينئذ؟ لقد أهملت كل ما ألقاه غيري من الازهار النادرة مثل زهر الكاملية (٢) وزهر التين الهندي والورد ذي الأسنة وعمدت الى باقتي الحقيرة المؤلفة من أزهار برية فتناولتها وضمتها الى قلبها أفلا ترين في ذلك برهانا على حبها لي ؟

ستقولين لي أنت لا تعرفها وقد تكون مخالفة تمام المخالفة لما تخيلته منها وانه كان ينبغي لك قبل أن تعلل نفسك بالاماني والاوهام أن تكون على بينة من أخلاقها وكيفية معيشتها فأجيبك أن هذا أيضاً لم يفتني وأقر بأني لم أقف من

(١) الباتستي نسبة الى باتست وهو أول صانع لهذا النسيج (٢) الكاملية زهرة يابانية جلبها الى أوربا مرسل ديني اسمه كاملي فنسبت اليه

تحري سيرتها الا على أخبار لا يزال فيها شيء من الغموض ولم يجتمع لديّ في هذا الصدد الا أقوال فى غاية التعارض والتناقض فأنت تعلمين مقدار ما للشبان فيما بينهم من القسوة على النساء ولاسيما الممثلات فقد بلغ الحسد من افساد خلق الانسان الى حد أن جعل من لذاته تمزيق اعراضهن مع ما لهن من الملكات التي هي مناط الاستحسان العام ولست بمخف عنك شيئاً مما يقولون فبعضهم ينسب لها من هنات الشباب ما يغير دمي و يثير غضبي و بعضهم يقول انها تعيش مع أمها في حيّ منعزل عن المدينة وقد أراني الطلبة هذه الام تصحبها ليلا عند خروجها من الملعب فلم أجد بينهما مشابهة ما وان أردت الوقوف على شيء من نعتها فتخيلي امرأة ضخمة من عامة النساء قد ذر شاربها واني لمتألم من تصور ان مثل تلك الزهرة قد نبتت من هذه المدرة ومهما يكن من وضاعة أصل تلك الجارية فمن الفضل أن تعامل بجميع ما يجب لفتاة مخلصة مثلها من صنوف الرعاية والتكريم

على اننا اذا سلمنا حصول أسوأ ما يتأتى حصوله منها وفرضنا ان سيرتها لم تكن دائماً مرضية أفلا يكون الذنب في ذلك على مهنتها وعلى من يعاشرونها من الناس ؟ اني أراها بالغة من الظرف والكياسة مبلغاً أستبعد معه أن لا تكون لها نفس زكية وربما لم يتفق لها فى حياتها أن تمثل لها الحب الصحيح المطهر للنفس بشراً فاضلا كريماً . وار باه أي فخر أناله لو أبيح لي أن أمد يدي الى تلك الروح الملكية فأنتاشها من درك الانحطاط الذي هبطت فيه لتعود الى نور الهدى والفضيلة

ها أناذا قد كشفت لك مكنون سري ونجوت بهذا الاعتراف من شديد زجر سريرتي والآن أقع بين يديك راجياً منك غفران خطيئتي . اه

باب الأخبار والآراء

تأبين الاستاذ الامام

في يوم الجمعة (١٧ جمادى الثانية ١٨ أغسطس) اجتمع خواصّ الناس من العلماء والادباء والوجهاء من المسلمين وغيرهم عند قبر الاستاذ الامام حكيم الشرق

وحجة الاسلام الشيخ محمد عبده لتأبينه ورثائه وكان عدد المجتمعين عظيماً كما كان ينتظر أو أكثر مما كان ينتظر فقد غص بهم المكان المعروف بالحوش والبطحاء التي أمامه ورجع خلائق أموا المكان فلم يجدوا مقعدا ولا موقفا

قام حسن باشا عاصم الذي كان رئيس الديوان الخديوي من قبل بعد تلاوة أحد القراء آيات من الكتاب العزيز فألقى على الحاضرين سيرة الامام ، بالاختصار اللائق بالمقام ، وتلاه الشيخ أحمد أبو خطوه القاضي في المحكمة الشرعية الكبرى وأحد أكابر المدرسين في الجامع الازهر وطفق يسرد ما كان للفقيد عليه الرضوان من خدمة العلم والدين والاصلاح الصوري والمعنوي في الازهر والمحاكم الشرعية وماله من الايادي البيضاء على العلم والعلماء ، وقد ضعف صوته أن يصل الى آذان الحاضرين جلياً فامتدت الاعناق وكاد يضطرب الجمع فاستناب عنه محمد أفندي سعودي أحد كتاب المحكمة بعد الاعتذار . ثم قام حسن باشا عبد الرازق أحد أعضاء مجلس الشورى فذكر من فضائل الفقيد وفواضله وآثاره ومآثره ماشاء الله أن يذكر وتوسع بعض التوسع في أثره رحمه الله تعالى في مجلس الشورى وكيف كان صاحب الرأي الاعلى حتى ارتقى به المجلس وزال ما كان بينه وبين الحكومة من سوء التفاهم . وتقفاه قاسم بك أمين القاضي في محكمة الاستئناف الاهلية فذكر مكانة الفقيد في الامة، وماامتاز به من المزايا الجمة، وكيف وقف نفسه على اصلاح أمته ، وكان قدوة صالحة في علمه وسيرته ، وكيف ارتقى بجده وعلمه وعقله وقوة ارادته، الى مقام مكنه من الاخذ بزمام أمة بأسرها، وسوقها الى المستقبل الذي هيأه لها، وهو مقام الامامة بأوسع معناها

تلا هؤلاء الخطباء أشعر الشعراء في هذا العصر حفني بك ناصف القاضي بمحكمة مصر الاهلية وحافظ أفندي ابراهيم فأنشد كل منهما مرثية أبكت السامعين بعد ما كدنا نظن ان تلك الخطب المؤثرة قد استنزفت الشؤون من العيون . فأما مرثية حافظ فقد نشرناها في جزء سابق وأما مرثية حفني فسننشرها مع سائر المراثي والتأبين في جزء الرثاء والتأبين من تاريخ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ثم ختم الاحتفال كما بدىء بتلاوة آيات القرآن الحكيم وانفض الجمع وهم يستمطرون الرحمة لفقيد الشرق والاسلام ، ويسألون الله أن ينفع بسيرته الانام ،

وقد رأوا ان هؤلاء المؤمنين الذين يمثلون الطبقات العليا في الأمة على مالهم من الصفة الرسمية قد سجلوا مناقب الفقيد على رؤوس الاشهاد وأقرهم الالوف على ذلك

سبق للادباء والوجهاء في مصر ان اجتمعوا لتأبين ثلاثة رجال شفيق بك منصور يكن الذي كان قاضياً في محكمة الاستئناف ثم رئيساً للنيابة فيها ووكيلا للنائب العمومي (المتوفى سنة ١٣٠٨) وعلي باشا مبارك ناظر المعارف الذي خدمها في مصر بهمة واجتهاد واخلاص بقدر ما سمحت له قدرته وحال البلاد (المتوفى سنة ١٣١١) ومحمود سامي باشا البارودي وما العهد به ببعيد

كل أولئك نابغ في قومه انفرد بالسبق في بعض المزايا حتى لم يكن في عصره من يزاحمه في مزيته فيدعي مساواته فيها وكأنك بهذه الأمة التي زادتها الحرية الشخصية فوضى وتهجماً من الوضيع على محاكاة الرفيع فيما تسهل المحاكاة فيه مما كان عن الرفعة دون ما كانت به الرفعة قد صارت تجتمع لتأبين من ليس لهم فيها أثر يذكر ولا ذكر يرفع اجابة لدعوة أهليهم وأصدقائهم حتى لا يبقى لمثل هذا الاجتماع مزية يحفظها التاريخ أو يحفل بها المؤرخ

قد بلغ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى من المكانة العالية والشهرة الواسعة ان صارت الأبصار تشخص والقلوب من ورائها تتلفت الى كل ما كان يكون منه أو يصدر عنه أو يعمل له أو يقال فيه وهذا ما أحسب أن يجعل تأبينه سبباً لاجلال التأبين وحمل المقلدين على الرغبة فيه وهذا هو الذي يجعل التأبين بعد اليوم محاكاة لاجلال الأمة لمن يؤبن لا حكاية عنه اذ يعز أن تجذب قلوب جميع الطبقات في الأمة لمجتمع يشاد فيه بذكر رجل بعد خادمها الامين ، وامامها في العلم والعمل والدين ، أو ينبغ فيها من يساهم الرجل في فضائله ، ويكون له في الامة ولو بعض فواضله ، فتأبين الاستاذ الامام هو الذي جعل للتأبين شرفاً يرغب فيه ويحمل على محاكاته وهو الذي يسلبه هذا الشرف اذا كان لغير مستحقه واذا فهم المقلدون هذه الحقيقة فانهم يكرمون من يفقدون من ذوي القربى أو الصداقة بترك الدعوة الى تأبينهم ويتركون هذا الأمر الى الامة نفسها يقترحه فضلاؤها وكتابها لمن يرونه أهلا له في المستقبل فيكون كما ينبغي أن يكون ، ولله في خلقه شؤون ،

كتاب تعزية من عالم انكليزي

كتب مستر أدوارد برون أحد علماء الانكليز الاعلام المدرس فى مدرسة كمبردج الجامعة الكتاب الآتي بالعربية الى حموده بك عبده يعزيه به عن أخيه الاستاذ الامام فنشرناه هنا تنويهاً بانصاف كاتبه وفضله وتنبيهاً للاذهان على ما كان لامام الشرق فى نفوس علماء الغرب ليعلم من لم يكن يعلم أن تعارف إمامنا بالافرنج قد كان حجة للإسلام وشرفاً للمسلمين . قال الكاتب :

سيدي الفاضل المكرم

لا أعلم بأي لسان أعزيكم وكل المصريين بل كل المسلمين بل كل العالمين، على هذه المصيبة التي عمت الناس كلهم أجمعين ، وخصت المصريين ، ومنذ ورود هذا الخبر الهائل رب يوم أردت ان آخذ القلم بأصابعي لكي أعرب عما في القلب من الحزن والغم الشديد ووضعته يأساً وعجزاً لان هذه المصيبة وراء الكلام

خبر "ما نابنا مصمئل" جل حتى دق فيه الاجل"

ياسيدي في مدة عمري رأيت كثيراً من البلاد والعباد وما رأيت مثل الفقيد المرحوم قط" لا في الشرق ولا في الغرب فوالله كان وحيداً فى العلم، وحيداً في التقوى والورع، وحيدا في البصيرة والاطلاع على ظواهر الامور و بواطنها، وحيدا في البلاغة والفصاحة، عالمًا عاملا محسناً ورعاً مجاهدا في سبيل الله محباً للعلم ملجأً للفقراء والمساكين

شامساً في القرحتى اذا ما زكت الشعرى فبرد وظل

كيف أصف بهذا اللسان العاجز هذا الرجل الوحيد الفقيد الذي كنت أفتخر بأن أحسب من أقل تلامذته انما أرجو من سيدي أن يقبل مني تعزية من قلب حزين غير قابل للتسلي على هذا الفقدان العظيم

أريد ان شاء الله أن أكتب شيئًا باللغة الانكليزية فى ترجمة حال الفقيد وقد جمعت كل ماوجدت فى الجرائد العربية فى هذا الباب وأرجو من حضرتك أن تعينوني فى ذلك بارسال الترجمة الموعودة في المؤيد اذا طبع على حدة لكي أستفيد بما فيه من المعلومات . فتقبل ياسيدي المكرم في الختام أخلص تعزيتي وأزكى السلام المخلص أدورد برون

المنار

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

مصر — ١٦ شعبان سنة ١٣٢٣ — ١٥ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٥

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها فى الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٣٣ : ٢٣٤) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ، فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * (٢٣٤ : ٢٣٥) وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ، عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لاَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً * (٢٣٦ف) وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ *

لا يزال الكلام في أحكام النساء من حيث هن أزواج يمسكن ويسرحن ، فيراجعن أو يبتن ، وفي حقوقهن حينئذ في أولادهن ، وكل هذا قد مر تفسيره . وقد ذكر في هاتين الآيتين أحكام من يموت بعولتهن

ماذا يجب عليهن من الحداد والاعتداد ومتى تجوز خطبتهن ومتى يتزوجن

قوله تعالى ﴿والذين يتوفون منكم﴾ أي يتوفاهم الله تعالى أي يقبض أرواحهم ويميتهم قال تعالى في سورة الزمر (٣٩ — ٤٣ : ٣٩) « الله يتوفى الأنفس حين موتها » فاذا حذف الفاعل أسند الفعل الى المفعول هذا هو المستعمل الفصيح . ﴿ويذرون أزواجاً﴾ أي يتركون زوجات والفصيح استعمال لفظ الزوج في كل من الرجل وامرأته ويجمع في الاستعمالين على أزاج قال تعالى في سورة الاحزاب « وأزواجه أمهاتهم » والزوج في الاصل العدد المكون من اثنين وقد اعتبر في تسمية كل من الرجل وامرأته زوجاً أن حقيقته من حيث هو زوج مكونة من شيئين اتحدا فصارا شيئاً واحدا في الباطن وان كانا شيئين في الظاهر ولذلك وضع لهما لفظ واحد ليدل على ان تعدد الصورة لا ينافي وحدة المعنى . أريد ان هذا اللفظ المشترك يشعر بأن من مقتضى الفطرة أن يتحد الرجل بامرأته والمرأة ببعلها بتمازج النفوس ووحدة المصلحة حتى يكون كل منهما كأنه عين الآخر .

وقوله تعالى ﴿يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾ تقدم الكلام في مثله في تفسير قوله «يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء» فارجع اليه ان كنت نسيت مافي التعبير من آيات البلاغة . والمعنى ان عدة النساء اللاتي يموت أزواجهن أربعة أشهر وعشر ليال لا يتعرضن للزواج بزينة ولا خروج من المنزل بغير عذر شرعي ولا يواعدن الرجال بالزواج وقد يتعارض هذا مع قوله تعالى في سورة الطلاق «وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن» فهل يقال ان ما هنا خاص بغير الحوامل أم ماهنالك خاص بالمطلقات؟ الظاهر الثاني لان الكلام هنالك في الطلاق والسورة سورته فهو خاص والآية

التي نحن بصدد تفسيرها عامة في كل من يتوفى زوجها لان الله تعالى جعل عدتها طويلة وفرض عليها الحداد على الزوج مدة العدة مع تحريم الحداد على غير الزوج أكثر من ثلاثة أيام اهتماماً بحقوق الزوجية وتعظيما لشأنها ولكن الجمهور على القول الاول وان الحامل التي يموت زوجها اذا وضعت تنقضي عدتها ولو بعد الموت بيوم أو ساعة واحتجوا بحديث سبيعة الأسلمية عند أبي داود فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم أفتاها بأنها حلت حين وضعت حملها وكانت ولدت بعد موت زوجها بنصف شهر ويروى عن علي وابن عباس (رضي الله عنهما) أنها تعتد بأقصى الاجلين احتياطاً فاي الآية كانت عند الله هي المخصصة للاخرى كانت عاملة بها ولا أحفظ عن الاستاذ الامام جزماً بقول من هذه الاقوال ولكن الاحتياط الذي قال به الحبران لا ينكره منكر

وقد سئل الاستاذ الامام في الدرس عن الحكمة في كون عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا فأجاب ان مثل هذا ليس علينا ان نبحث عنه وانما نبحث عما يشير الكتاب الى حكمته اشارة ما . ويقول بعض الناس ان ما يحصل من فراق الزوج من الحزن والكآبة عظيم يمتد الى أكثر من مدة ثلاثة قروء أو ستين يوماً فبراءة الرحم ان كانت تعرف بهذه المدة فلا يكون استعراف براءته من الحمل مانعاً من الزواج فبراءة النفس من كآبة الحزن تحتاج الى مدة أكثر منها والتعجل بالزواج مما يسيء أهل الزوج ويفضي الى الخوض في المرأة بالنسبة الى ما ينبغي أن تكون عليه من عدم التهافت على الزواج وما يليق بها من الوفاء للزوج والحزن عليه

هذا ما حكاه عن بعض الناس جليناه وزدناه توضيحاً (*) فكان بياناً

لحكمة الزيادة في عدة الوفاة على عدة الطلاق في الجملة لا لكونها أربعة أشهر وعشرا. وقد سئلنا في المنار عن هذه الحكمة فأجبنا بجواب ذكر (في ص ٥٣٩ م ٧) واطلع عليه الاستاذ الامام فلم ينكره. قلنا بعد بيان حكمة العدة وما يجب من حداد المرأة على زوجها مانصه: « وذهب أكثر المفسرين الى ان الحكمة في تحديد عدة الوفاة بهذا القدر انه هو الزمن الذي يتم فيه تكوين الجنين ونفخ الروح فيه. ولا بد من مراجعة الاطباء في هذا القول قبل التسليم به والظاهر لنا أن الزيادة لاجل الإحداد ولم يظهر لنا شيء قوي في تحديده ولكن هناك احتمالات منها انه ربما كان من عرف العرب أن لا ينتقد على المرأة اذا تعرضت للزواج بعد أربعة أشهر وعشر من موت زوجها فأقرهم الاسلام على ذلك لأنه من مسائل العرف والآداب التي لا ضرر فيها. وقد كان من المعروف عندهم أن المرأة تصبر عن الزوج بلا تكلف أربعة أشهر وتتوق اليه بعد ذلك ويروى أن عمر أمر أن لا يغيب المجاهدون عن أزواجهم أكثر من أربعة أشهر. واذا صح ان هذا أصل في المسألة تكون الزيادة الاحتياطية عشرة أيام والله أعلم بالصواب اهـ وسيمر بك من ذكر بعض عادات العرب في الحداد على الزوج وشدته وما أصلح الاسلام فيه ما يبطل التعليل الاول وظاهر الآية ان هذا التحديد لعدة الوفاة يشمل بعمومه الصغيرة والكبيرة والحرة والأمة وذات الحيض واليائسة ولكن الفقهاء اختلفوا

(*) لفظه الذي قاله: ويقول بعض الناس ان ما يحصل من فراق الزوج فيه صعوبة لا تخفى وبراءة الرحم وان كانت تعرف بالاقراء أو بستين يوماً ولكن تزوجها عاجلا مما يسيء أهل الزوج: الخ وقد بينا هذا التصرف مراعاة لامانة النقل

في أفراد هذا الشمول كما اختلفوا في الحامل فذهب الجماهير الى أن عدة الأمة نصف عدة الحرة شهر وخمس ليال ولم ينقلوا في هذا خلافاً الا عن الاصم وابن سيرين من فقهاء السلف. والاصل في هذا القياس على الحد فان الله تعالى يقول في سورة النساء (٤ — ٢٥ : ٣٠) بعد ذكر التزوج بالإماء « فاذا أحصن فان أتين بفاحشة مبينة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » وعلى حديث ابن عمر مرفوعاً عند ابن ماجه والدارقطني والبيهقي « طلاق الامة اثنتان وعدتها حيضتان » والحديث ضعيف في اسناده عمر بن شبيب وعطية العوفي وقال الدارقطني والبيهقي والصحيح أنه موقوف. واختلفوا أيضاً في عدة أم الولد يموت سيدها فقالت طائفة من علماء السلف عدتها أربعة أشهر وعشر وقال آخرون تعتد بثلاث حيض وعليه الحنفية وقال آخرون منهم الائمة الثلاثة عدتها حيضة أو شهر اذا لم تكن تحيض

﴿فاذا بلغن أجلهن﴾ أي أتممن عدتهن ﴿فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ مما كان محظوراً عليهن في العدة من التزين والتعرض للخطاب والخروج من المنزل وقيد ذلك بالمعروف شرعاً وأدباً عرفياً لانهن اذا أتين بالمنكر وجب منعهن. واختلفوا في الخطاب فقيل هو للاولياء لان هذا من مقدمات الزواج الذي يتولونه وقيل للمسلمين كافة يتولاه منهم من هو قادر عليه من العارفين به وهو المختار كما علم مما سبق له من النظائر لا تقل: ان الآية لم تنطق بما يحظر على المرأة في هذه العدة فنقول ان نفي الجناح متعلق به: فان ما علم من الناس بالسنة المتبعة والاخبار الصحيحة في أمر نزل فيه قرآن يتعين حمل القرآن عليه. روى الشيخان

من حديث حميد بن نافع عن زينب بنت أم سلمة أنها أخبرته بهذه الاحاديث الثلاثة قالت دخلت على أم حبيبة حين توفي أبو سفيان (والدها) فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر « لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا » قالت زينب وسمعت أمي أم سلمة تقول جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابنتي توفي زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا» مرتين أو ثلاثاً — كل ذلك يقول «لا» ثم قال «انما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول » قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على رأس الحول فقالت زينب كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشاً ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتقتض به فقلما تقتض بشيء الامات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد ماشاءت من طيب أو غيره * وروى أحمد والشيخان من حديث أم سلمة ان امرأة توفي زوجها فخشوا على عينها فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنوه في الكحل فقال «لا تكتحل كانت احداكن تمكث في أحلاسها أو شر بيتها فاذا كان حول فمر كلب رمت ببعرة ، فلا حتى تمضي أربعة أشهر وعشر » وفي رواية مطرف وابن الماجشون عن مالك « ترمي ببعرة من بعر الغنم أو الابل فترمي بها أمامها فيكون ذلك إحلالا لها »

فانت ترى من هذه الاحاديث الصحيحة ان العرب على غلوها في الحداد وكثرة منكراتها في النوح والندب كانت تعتاد أمورا خرافية فيه وكانت المرأة تحد على زوجها شر حداد وأقبحه فتلزم شر أحلاسها في شر بيتها وهو الحفش سنة كاملة لا تمس طيبا ولا زينة ولا تبدو للناس في مجتمعهم ثم تخرج من ذلك بما علمت أما الاحلاس فهي جمع حلس (بكسر فسكون وبالتحريك) وهو في الاصل ما يكون على الظهر تحت القتب أو السرج أو البرذعة ويطلق على الكساء الرقيق وعلى مايجلس عليه من مسح ونحوه والحفش بكسر المهملة البيت الصغير المظلم داخل البيت ويسمون مثله في الحجرات الآن (خزنة) . والاقتضاض بالدابة هو التمسح بها قيل كانت تمسح به جلدها وقيل ماهنالك قال ابن قتيبة سألت الحجازيين عن الاقتضاض فذكروا ان المعتدة كانت لا تمس ماء ولا تقلم ظفرا ولا تزيل شعرا ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ثم تقض أي تكسر ما كانت فيه من العدة بطائر تمسح به قبلها فلا يكاد يعيش ما تقتض به . وأما عادة مرور الكلب ورمي البعرة فظاهر الرواية ان المعتدة كانت في آخر العدة تنتظر مرور الكلب لترميه بالبعرة وان طال الزمان وبه قال بعضهم وقيل بل ترمي بها ماعرض من كلب أو غيره وقالوا ان المعنى في ذلك عندهم ان مافعلته من التربص في تلك المشقة والجهد هو عندها بمنزلة البعرة التي رمتها احتقارا له وتعظيما لحق زوجها وقيل هو اشارة الى رمي العدة والتفلت منها وقيل بل هو تفاؤل بعدم العود الى مثلها وتمني أن تموت في كنف من عساها تتزوج به .

اذا علمت هذا وأمثاله مما كانت عليه العرب من العادات السخيفة

والخرافات الشائنة يظهر لك شأن ماجاء به الاسلام من الإصلاح في ذلك اذ جعل العدة على نحو الثلث مما كانت عليه ولم يحرم فيها الا الزينة والطيب والتعرض لانظار الخاطبين من مريدي التزوج دون النظافة والجلوس في كل مكان من البيت مع النساء والمحارم من الرجال . وهذا الذي أمر به الاسلام يليق ويحسن في كل شعب وجيل في كل زمن وعصر لا يشق على بدو ولا حضر . وقد رأيت ان سعة الدين قد كادت تنسي المسلمات مالم يبعد العهد به من عادتهن وتخرج بهن من كل قيد حتى استأذن من استأذن منهن بالكحل بحجة الخيفة على العين من المره أو الرمد حتى ذكرهن صلى الله عليه وسلم بذلك . واستشكل في الحديث المنع من الكحل للتداوي كما هو ظاهر من قولها: فخشوا على عينها : مع ما علم من أصول الشريعة التي لا خلاف فيها من انتفاء العسر والحرج ومن كون الضرورات تبيح المحظورات وكون الضرر والضرار ممنوعين ومن الترخيص في الكحل للتداوي بالليل دون النهار — لان الليل أبعد من مظنة الريبة — في حديث الموطأ عن أم سلمة وفيه ان صلى الله عليه وسلم قال «اجعليه بالليل وامسحيه بالنهار» وحديث أبي داود « فتكتحلين بالليل وتغسلينه بالنهار» وأجيب عن حديث النهي المطلق بأجوبة منها حمله على كحل الزينة كأنه علم بالقرينة ان السؤال كان عنه أو لاجله ومنها غير ذلك مما لا حاجة لاستيفائه هنا

هذا ماجاء به الاسلام من الاصلاح في هذه المسألة الاجتماعية ومن أراد الاعتبار فلينظر الى حظ المسلمين اليوم من هديه فيها . المسلمون لا يسيرون اليوم على طريقة واحدة وانما هم طرائق قدد فمن نسائهم من يغلون

في الحداد ويغرقن في النوح والندب والخروج من العادات في كيفية المعيشة في البيوت حتى يزدن في بعض ذلك على ما كان يكون من نساء الجاهلية وليس لهن في ذلك حد ولا أجل يتساوين فيهما ولا يخصصن الزوج بما خصه به الشرع بل ربما حددن على الولد سنة أو سنين ، وربما تركن الحداد على الزوج بعد الاربعين ، يختلف ذلك فيهن باختلاف البلاد والطبقات والبيوت . فإياكم نسأل أبناء العصر الجديد الذين يرون ان أنفسهم ارتقت في المدنية والاجتماع الى أفق يستغنون فيه عن هدي الدين هل تجدون لنا سبيلا الى اصلاح هذه العادة الرديئة عادة الحداد الذي لا حد له ولا نظام ولا فائدة فيه لأحد بل كله غوائل بما يفني من المال في تغيير اللباس والأثاث والرياش والماعون وغير ذلك وما يفسد من آداب المعاشرة ويسلب من هناء المعيشة وما يفعل في صحة الكثيرين لاسيما ضعاف المزاج وأهل الامراض . أصلحوا لنا بعلومكم وفلسفتكم هذه العادة الرديئة بارجاعها الى ماقرره الشرع من الحداد ثلاثة أيام على القريب وأربعة أشهر وعشرا على الزوج وجعل هذا الحداد قاصرا على ترك الزينة والطيب وعدم الخروج من البيت أو بما هو خير من ذلك ان أمكن والا فاعلموا أن لا اصلاح لنا الا بالاعتصام بهدي الدين الذي تحاربونه كل ساعة بأعمالكم وخلالكم وعاداتكم ولذاتكم وما تحاربون الا أنفسكم وما تشعرون ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ لا يخفى عليه منه شيء فاذا ألزمتم النساء بالوقوف معكم عند حدوده أصلح أحوالكم ورفه معيشتكم في الدنيا وأحسن جزاءكم في الآخرة وان لم تفعلوا أخذكم في الدارين أخذاً وبيلا ، « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا »

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الفصيح المستعمل في التعبير عن الموت بالتوفي ان يقال تُوفِّيَ فلانٌ بالبناء للمفعول وعليه القراءة المتواترة في الآية « يتوفون » وقرىء في الشواذ عن علي « يتوفون » بالبناء للفاعل وفسر يستوفون آجالهم وكانوا يعدون التعبير عن الميت بالمتوفي — بصيغة اسم الفاعل — لحنا كما روي عن أبي الأسود الدؤلي أنه كان خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي؟ فقال « الله تعالى » وكان هذا من أسباب أمر علي بوضع بعض أحكام النحو

ومنها مسألة المطابقة بين المبتدإ وهو « والذين يتوفون » والخبر وهو جملة « يتربصن » فانها غير جلية على قواعد النحو وان كان المعنى جلياً والتأليف عربياً وقد قدر بعضهم لفظ زوجات مضافاً محذوفاً اي وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن الخ قال الاستاذ الامام ولا لزوم له أي لانه لا يكون معه فائدة لقوله « ويذرون أزواجاً » مع مافيه من التكلف ويروون عن سيبويه ان الخبر محذوف تقديره: فيما يتلى عليكم حكم الذين يتوفون منكم ورجح الاستاذ الامام ماقاله الكسائي ومثله الاخفش وهو ان الرابط بين المبتدإ والخبر في مثل هذا التعبير هو الضمير العائد الى الأزواج الذي هو من متعلقات المبتدإ فهو راجع الى المبتدإ كأنه قال «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربص أزواجهم أربعة أشهر وعشرا » قال وهو ينطبق على استعمال اللغة وهناك وجه آخر يرجع اليه وهو صحة الاخبار عن المبتدا بما يرجع اليه كقول الشاعر

لعلي ان مالت بي الريح ميلة   الى ابن أبي ذبيان أن يتندما

فمراد الشاعر الإخبار عن تندم ابن أبي ذبيان والأخبار في اللغة لا يراعى

بها الا صحة المعنى وكونه مفهوماً كما تقدم في تفسير «ولكن البر من اتقى»

ولما كان من شأن الراغبين في التزوج بمن يتوفى زوجها المسارعة الى خطبتها ذكر حكم الخطبة في مدة العدة فقال ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم ﴾ فالمراد بالنساء المعتدات لوفاة أزواجهن قالوا ومثلهن المطلقات طلاقاً بائناً وأما الرجعيات فلا يجوز التعريض لهن لأنهن لم يخرجن عن عصمة بعولتهن بالمرة. والتعريض في الاصل امالة الكلام عن منهجه الى عرض منه وهو الجانب وهو مقابل التصريح فهو ان تفهم المخاطب ماتريد بضرب من الاشارة والتلويح يحتمله الكلام على بعد بمعونة القرينة وفي الكشاف هو ان تذكر شيئاً تدل به على شيء لاتذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه: جئتك لاسلم عليك ولأنظر الى وجهك الكريم :أقول وللناس في كل عصر كنايات في هذا المقام ومما سمعته من استعمال عامة زماننا في هذا ذكر الرغبة في الزواج مسندة الى أناس مبهمين نحو ان من الناس من يتمنى لو يكون له كذا او يوفق الى كذا.

والخطبة بالكسر من الخطاب أو الخطب وهو الشأن العظيم وهي طلب الرجل المرأة للزواج بالوسيلة المعروفة بين الناس وأما الخطبة بالضم فهي ما يوعظ به من الكلام . والإكنان في النفس هو ما يضمره مريد الزواج في نفسه ويعزم عليه من التزوج بالمرأة بعد انقضاء العدة. أباح الله تعالى أن يعرض الرجل للمرأة بأمر الزواج تعريضاً وقرن ذلك بما يكون من النية في القلب والعزم المستكن في الضمير كأنه مثله في تعذر الاحتراز منه أو تعسره ولم يحرم عليهم أن يقطعوا في هذا الامر بأنفسهم لان الامر أمر ديني بل راعى فيما شرعه لهم مافطرهم عليه ولذلك ذكر وجه الرخصة فقال ﴿ علم الله

انكم ستذكرونهن ﴾ في أنفسكم وخطرات قلوبكم ليست في أيديكم ويشق عليكم أن تكتموا رغبتكم وتصبروا عن النطق لهن بما في أنفسكم فرخص لكم في التعريض دون التصريح فقفوا عند حد الرخصة ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرا ﴾ أي في السر فان المواعدة السرية مدرجة الفتنة ومظنة الظنة والتعريض يكون في الملا لا عار فيه ولا قبح ولا توسل الى ما لا يحمد وذهب جمهور العلماء الى ان السر هنا كناية عن النكاح أي لا تعقدوا معهن وعدا صريحا على التزوج بهن قال الاستاذ الامام عبر عن النكاح بالسر لانه يكون سرا في الغالب وروي عن ابن عباس انه قال المواعدة سرا أن يقول لها اني عاشق وعاهدتني أن لا تتزوجي غيري ونحو هذا : وقيل هي المواعدة على الفاحشة ، والدليل على ان النهي عامّ يراد به تحريم الكلام الصريح معها في الخلوة قوله ﴿ الا ان تقولوا قولا معروفاً ﴾ قيل هو التعريض وقال الاستاذ الامام هو ما يعهد مثله بين الناس المهذبين بلا نكير كالتعريض وهذا أقوى من التعريض . وجملة القول أنه لا يجوز للرجال أن يتحدثوا مع النساء المعتدات عدة الوفاة في أمر الزواج بالسر ويتواعدوا معهن عليه وكل ما رخص لهم فيه التعريض الذي لا ينكر الناس مثله في حضرتهم ولا يعدونه خروجاً عن الادب والفائدة منه التمهيد وإلفات الذهن حتى اذا تمت العدة كانت المرأة عالمة بالراغب أو الراغبين فاذا سبق الى خطبتها المفضول ردته الى أن يجيء الافضل عندها . وقد أوضح الامر وسلك فيه مسلك الإطناب لان الناس يتساهلون في مثل هذه الامور لما لهم من دافع الهوى اليها ولذلك صرح بما فهم من سابق القول من جواز القصد الى العقد بعد تمام العدة فقال ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾ أي على عقدة النكاح على حذف «على»

ويقال عزم الشيء وعزم عليه أو المعنى لا تعقدوا عقدة النكاح وهو العزم المتصل بالعمل لا ينفصل عنه ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ أي حتى ينتهي ما كتب وفرض من العدة فالكتاب بمعنى المكتوب أي المفروض أو بمعنى الفرض قال تعالى « كُتب عليكم الصيام » وقال « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » وانما عبر عن الفرضية المحتمة بلفظ الكتاب لان ما يكتب يكون أثبت وآكد وأحفظ وفسر بعضهم الكتاب بالقرآن على ان المراد به العدة أيضاً كأنه قال حتى يتم ما نطق به القرآن من تحديد العدة والحاصل ان التزوج بالمرأة في العدة محرم قطعاً . ولاجله حرمت خطبتها فيها والعقد باطل باجماع المسلمين .

ثم قال ﴿ واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾ قال الاستاذ الامام هذا التحذير راجع للاحكام التي تقدمت من التعريض وغيره جاء على أسلوب القرآن وسنته في قرن الاحكام بالموعظة ترغيباً وترهيباً تأكيداً للمحافظة عليها والالتفات اليها ولا يقال ان العلم بما في النفس أعم من الخبر بالعمل فيستغنى عن هذا بما ختمت به الآية السابقة لان لكل كلمة مما ورد في هذا المقام أثراً مخصوصاً في النفس والمقصود واحد . وما دامت الحاجة ماسة الى شيء فلا يقال ان في الاتيان به تكرارا مهما كثر وتعدد ولو بلغ الألوف بلفظه فكيف به اذا تنوع بعموم أو خصوص أو غير ذلك . وقوله ﴿ واعلموا ان الله غفور حليم ﴾ بعد ما ورد من الوعيد والتشديد في الآيات السابقة يبين ان للانسان مخرجاً بالتوبة اذا هو تعدى شيئاً من الحدود وأراد الرجوع الى الله تعالى فانه غفور له حليم لا يعجل بعقوبته بل يمهله ليصلح بحسن العمل ما أفسد بما سبق من الزلل

باب العقائد

مذهب السلف ، وطريقة الحنابلة في التأليف

نموذج من مقدمات شرح عقيدة السفاريني الذي نطبعه في هذه الايام المسمى (لوائح الانوار البهية ، وسواطع الاسرار الاثرية ، لشرح الدرة المضية ، في عقد الفرقة المرضية ، قال

السابع

المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أوشهر بقلب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق لكن لما كان فشو البدع وظهورها كان بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم وزاد البلاء وأظهر المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال ظهوراً لامزيد عليه بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحق وكان الذي قام في نحورهم ورد مقالتهم وإبطال مذهبهم وتزييفه وذم من ذهب اليه أو عول عليه أو انتمى الى ذويه أو ناضل عنه أو مال اليه سيدنا وقدوتنا الامام المبجل والحبر البحر المفضل أبا عبد الله الامام أحمد بن محمد بن حنبل نسب مذهب السلف اليه وعول أهل عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه والا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الامة المقدمين قال حرب ابن اسماعيل الكرماني في كتابه المصنف في مسائل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واسحق بن ابراهيم بن راهويه مع ماذكر فيها من الآثار عن النبي المختار والصحابة الابرار والتابعين الاطهار ومن بعدهم . قال هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أوطعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق قال وهو مذهب الامام أحمد واسحق و بقي ابن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن

جالسنا وأخذنا عنهم العلم فذكر الكلام في الايمان والقدر والوعيد والامام الخ كلامه كما سننبه عليه في محاله * وممن ألف في عقائد السلف وذكر معتقدهم في كتب التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير الامام أحمد واسحق و بقي بن مخلد وعبد الرحمن بن ابراهيم دُحَيم وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن أبي حاتم ومحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن المنذر وأبي بكر عبد العزيز وأبي الشيخ الاصفهاني وأبي بكر بن مردويه وغيرهم وكذلك الكتب المصنفة في السنة والرد على الجهمية وأصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق الافعال للبخاري وكتاب السنة لابي داود ولابي بكر الاثرم ولعبد الله بن الامام أحمد ولحنبل بن اسحق ولابي بكر الخلال ولابي الشيخ الاصفهاني ولابي القاسم الطبراني ولابي عبد الله بن منده وأمثالهم وكتاب الشريعة لابي بكر الآجري والابانة لابي عبد الله ابن بطة وكتاب الاصول لابي عبد الله الطلمنكي وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي وكتاب الرد على الجهمية له وغير ذلك فالأئمة الاربعة والسفيانان والحمادان وابنا أبي شيبة والليث ابن سعد وابن أبي ذيب وربيعة بن عبد الرحمن والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وابن حبان وأبو ثور وابن جريج والاوزاعي وابن الماجشون وابن أبي ليلى وأبو عبيد بن سلام ومسعر ابن كدام الامام ومحمد بن يحيى الذهلي امام أهل خراسان بعد اسحق بلا مدافعة وأبو حاتم الرازي ومحمد بن نصر المروزي وغير هؤلاء كلهم عقيدة واحدة سلفية أثرية وان كان الاشتهار للامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه للعلة التي ذكرناها حتى ان الشيخ أبا حسن الاشعري قال في كتابه — الابانة في أصول الديانة — ما نصه بحروفه « فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وماروي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث فنحن بذلك معتصمون وبما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لانه

الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين فرحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين» انتهى فنسب المذهب اليه لاشتهاره بذلك مع ان سائر أئمة الدين سلكوا تلك المسالك و بالله التوفيق

الثامن

قال الجلال السيوطي في الاوائل أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني أمية فقال بأن الله تعالى لا يتكلم قال شيخ الاسلام في الرسالة الحموية الكبرى أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين قال ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد ابن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه وقد قيل ان الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمعان وأخذها ابان عن طالوت بن أخت لبيد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنف بعض الساحرين في سحرهم والنمرود هو ملك الصابئة كما ان كسرى ملك الفرس والمجوس فهم اسم جنس لا اسم علم قال وكانت الصابئة اذ ذاك الا قليلا منهم على الشرك وعلماؤهم الفلاسفة وان كان الصابئ قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفاراً ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب و يبنون لها الهياكل ومذهب النفاة الذين يقولون ليس له صفات الا سلبية أو اضافية أو مركبة منها وهم الذين بعث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم فيكون الجعد أخذ عقيدته عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً — فيما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه — عنه وعن غيره وكذلك أبو نصر

الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فلسفته لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات فرجعت أسانيد الجهم الى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين اما من الصابئين واما من المشركين فلما عربت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان فى قلوب أهل الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم

ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه . وكلام الائمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض و بشر الحافي وغيرهم في ذمهم وتضليلهم معروف وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) و يوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار ابن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد * على الكاذب العنيد * فيما افترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ثم ردها بكلام اذا طالعه العاقل الذكي يسلم حقيقة ما كان عليه السلف و يتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم وقد أجمع أئمة الهدى على ذم المريسية بل أكثرهم كفرهم وضللهم و يعلم بمطالعة كتاب ابن سعيد الدارمي ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية فلا حول ولا قوة الا بالله فمذهب السلف حق بين باطلين وهدى بين ضلالين قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا تتجاوز القرآن والحديث . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه و بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل

فالمعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنما والمسلم يعبد إله الارض والسماء والله أعلم

التاسع

مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة ولكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر والأيمان بالقدر والتسليم لما جاءت به النصوص فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه — ممن لا يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها — من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وهؤلاء انما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهور وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم قال الحافظ ابن رجب في كتابه (بيان فضل علم السلف * على علم الخلف) ما نصه «ومن محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول وهي أشد خطرا من الكلام في القدر لان الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته وينقسم هؤلاء الى قسمين أحدهما من نفى كثيرًا مما ورد به الكتاب والسنة لاستلزامه عنده التشبيه كنفي الرؤية والاستواء وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن ينتسب الى السنة والحديث من المتأخرين والثاني من رام اثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد على أولئك مقالتهم كالكرامية ومن وافقهم حتى إن منهم من أثبت الجسم اما لفظا واما معنى ومنهم من أثبت له تعالى صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وقد أنكر السلف على مقاتل رده على جهم بأدلة العقل وبالغوا

في الطعن عليه والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن أحد من السلف خلاف ذلك ألبتة خصوصاً الامام أحمد رضي الله عنه ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل لها وان كان بعض من كان قريباً من زمنه فيهم من فعل ذلك من ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل ابن سليمان فلا يقتدى به فى ذلك وانما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد ونحوهم رضي الله عنهم فكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلام من سلم من قدح وجرح وقد قال أبو زرعة الرازي: كل من كان عنده علم فلم يصن علمه واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فلستم منه وقال الحافظ ابن رجب أيضاً. وفي زماننا تتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الامة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو بأخذ مالم تأخذ به الامة من قبله وأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا وتلطخ ببعض أوضارهم كما قال الامام أحمد رضي الله عنه: لا يخلو من نظر في الكلام الا تجهم: وكان هو وغيره يحذرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة

وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل أو الحشو أو الى انه غير عارف بالله أو بدينه فمن خطوات الشيطان نعوذ بالله منه» انتهى ملخصاً

وفي الآداب للعلامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا عبد الله بن الامام أحمد قال حدثني أبي قال: قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة وقبور أهل البدعة من الزنادقة حفرة فساق أهل السنة أولياء الله وزهاد أهل البدعة أعداء الله: وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تسمع ومن

دعوة لا يستجاب لها» وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في بعضها «ومن دعاء لا يسمع» وفي بعضها «أعوذ بك من هؤلاء الأربع» وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ماينفعني» ورواه النسائي من حديث أنس رضي الله عنه وزاد «وارزقني علماً تنفعني به» ويأتي الكلام على هذا بأبسط من هذا في المقدمة والله أعلم

﴿المنار﴾ كنا عند ابتداء الاشتغال بعلم الكلام نرى في الكتب خلاف الحنابلة فنحسب أنهم قوم جمدوا على ظواهر النقول ، ما فهموها حق فهمها ، ولا عرفوا حقائق العلوم وطابقوا بين النقل وبينها ، وأن كتب الاشاعرة هي وحدها منبع الدين ، وطريق اليقين ، ثم اطلعنا على كتب القوم فاذا هي الكتب التي تجلي للمسلمين طريقة السلف المثلى ، وتورد الناس موردهم الاحلى ، واذا بقارئها يشعر ببشاشة الإيمان ، ويحس بسريان برد الايقان ، واذا الفرق بينها وبين كتب الاشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي ، ومن يسبح في بحر لجي ، تتدافعه أمواج الشكوك الفلسفية ، وتتجاذبه تيارات المباحث النظرية ، وقد ظهر لي اذ تبينت ان مذهب السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم ، ان هذا من دلائل صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأن المسلمين بعد أن نظروا في فلسفة الحكماء الالهيين ، وخاضوا فى جميع علوم الأولين ، لم يأتوا بشيء في توثيق عقد الإيمان ، ولا بالوصول الى الحق بالبرهان ، الا بدون ماجاء به القرآن ، ولو كان هذا القرآن من وضع البشر لارتقوا عنه بعد خروجهم من الأمية ، وتوغلهم فى العلوم العقلية من رياضية وطبيعية وفلسفية ، ومما تفضل به كتب الحنابلة سائر الكتب أنها يحتاج اليها في كل زمان ، وكتب الاشاعرة قد استغنى الناس عن معظم نظرياتها الآن ، لأن معظمها من الفلسفة اليونانية وقد نسخت ، وفي مناظرة فرقة المعتزلة وقد انقرضت ، نعم لا أقول ان كل ما كتب الحنابلة من المسائل والمباحث صواب ، وانها معصومة من الخطأ فاليها المرجع والمآب ، فان العصمة لكتاب الله وحده «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(اعطاء الزكاة والصدقة للشرفاء ومعاملتهم)

(س ٣٠) عوض بن جمعان سعيدان فى (سنغافوره) ما قولكم سيدي في اعطاء الزكوات لمن صح انتسابهم الى الامام الحسين بن علي عليهما السلام صحة لامرية فيها يعتقدها المعطى والمعطي اعتقاداً جازما مع علمهما بالنهي الوارد فيه وتعليل الشارع عليه الصلاة والسلام عدم حلها لآل بيته بكونها أوساخ الناس الخ . لماذ كر من غنائهم بما لهم من خمس الخمس وللحاجة تقليدا لقليل من متأخري أئمة الشافعية في تحليلهم الاعطاء والأخذ (كذا كتبت العبارة والظاهر انه يريد بيان علة من قال بالجواز بالحاجة مع عدم استغنائهم الآن بما لهم من خمس الخمس) فهل ماجنح اليه أولئك القليل مما يسقط به الحرج عن الآخذ وتبرأ به ذمة المعطي أم هو اجتهاد مع وجود النص ونسخ لما صرح الشارع بعدم حله معللا له بأمر ذاتي وهو مع ذلك حظ قوم لا يتعداهم فإعطاؤه غيرهم ظلم لهم فلا يجوز ؟

(س ٣١) ومنه معطوفاً على ماسبق : وفي الاموال حقوق على أهلها غير الزكاة فما هي ؟ ولما كان القصد بيان الحكم المفهوم من النصوص الشرعية بعد ذكرها وذكر ما فهمه سلف الأمة منها وذلك مما يتعذر على أهل هذه الديار رفعنا هذه السطور مستمدين من المنار تحقيق المسألة خدمة للشرع كما هو ديدنه وله الشكر منا سلفاً والاجر من الله

(ج) روى أحمد والشيخان من حديث أبى هريرة انه قال أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كخ كخ ارم بها أما علمت انا لانأكل الصدقة»

وروى أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابنا خزيمة وحبان

وصححاه من حديث أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع اصحبني كيما تصيب منها فقال لا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله وانطلق فسأله فقال «إن الصدقة لا تحل لنا وان موالي القوم من أنفسهم»

وجاء في شرح الحديث الاول من نيل الاوطار ما نصه: قال ابن قدامة لا نعلم خلافاً في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة وكذا قال أبو طالب من أهل البيت حكى ذلك عنه في البحر وكذا حكى الاجماع ابن رسلان وقد نقل الطبري الجواز عن أبي حنيفة وقيل عنه تجوز لهم اذا حرموا سهم ذوي القربى حكاه الطحاوي ونقله بعض المالكية عن الابهري منهم . قال في الفتح وهو وجه لبعض الشافعية وحكى فيه أيضاً عن أبي يوسف أنها تحل من بعضهم لبعض لا من غيرهم وحكاه في البحر عن زيد بن علي والمرتضى وأبي العباس والإمامية وحكاه في الشفاء عن ابني الهادي والقاسم العياني قال الحافظ وعند المالكية في ذلك أربعة أقوال مشهورة — الجواز ، المنع ، جواز التطوع دون الفرض ، عكسه — والأحاديث الدالة على التحريم على العموم ترد على الجميع وقد قيل انها متواترة تواترا معنوياً ويؤيد ذلك قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى» وقوله «قل ما أسألكم عليه من أجر » ولو أحلها لآله أوشك أن يطعنوا فيه ولقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «ان الصدقة أوساخ الناس» كما رواه مسلم وأما ما استدل به القائلون بحلها للهاشمي من الهاشمي من حديث العباس الذي أخرجه الحاكم في النوع السابع والثلاثين من علوم الحديث باسناد كله من بني هاشم أن العباس بن عبد المطلب قال قلت يارسول الله انك حرمت علينا صدقات الناس هل تحل لنا صدقات بعضنا لبعض قال « نعم » فهذا الحديث قد اتهم بعض رواته وقد أطال صاحب الميزان الكلام على ذلك فليس بصالح لتخصيص تلك العمومات الصحيحة . وأما قول العلامة محمد بن ابراهيم الوزير بعد ان ساق الحديث ما لفظه : وأحسب له متابعاً لشهرة القول به (قال) والقول به قول جماعة وافرة من أئمة العترة وأولادهم وأتباعهم بل ادعى بعضهم انه اجماعهم ولعل

توارث هذا عنهم يقوي الحديث : انتهى فكلام ليس على قانون الاستدلال لان مجرد الحسبان ان له متابعاً وذهاب جماعة من أهل البيت اليه لا يدل على صحته وأما دعوى انهم أجمعوا عليه فباطل باطل ومطولات مؤلفاتهم ومختصراتها شاهدة لذلك ، وأما قول الأمير في المنحة انها سكنت نفسه الى هذا الحديث بعد وجدان سنده وما عضده من دعوى الاجماع فقد عرفت بطلان دعوى الاجماع وكيف يصح اجماع لأهل البيت والقاسم والهادي والناصر والمؤيد بالله وجماعة من أكابرهم بل جمهورهم خارجون عنه ، وأما مجرد وجدان السند للحديث بدون كشف عنه فليس مما يوجب سكون النفس . والحاصل أن تحريم الزكاة على بني هاشم معلوم من غير فرق بين أن يكون المزكي هاشمياً أو غيره فلا ينفق من المعاذير عن هذا المحرم المعلوم الا ماصح عن الشارع لا ما لفقه الواقعون في هذه الورطة من الأعذار الواهية التي لا تخلص ولا ما لم يصح من الأحاديث المروية في التخصيص . ولكثرة أكلة الزكاة من آل هاشم في بلاد اليمن خصوصاً أرباب الرياسة قام بعض العلماء منهم فى الذب عنهم وتحليل ماحرم الله عليهم مقاماً لا يرضاه الله ولا نقاد العلماء فألف فى ذلك رسالة هي كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ، وصار يتسلى بها أرباب النباهة منهم وقد يتعلل بعضهم بما قاله البعض منهم أن أرض اليمن خراجية وهو لا يشعر أن هذه المقالة مع كونها من أبطل الباطلات ليست مما يجوز التقليد فيه على مقتضى أصولهم فالله المستعان ما أسرع الناس الى متابعة الهوى وان خالف ما هو معلوم من الشريعة المطهرة . واعلم ان ظاهر قوله «لا تحل لنا الصدقة» عدم حل صدقة الفرض والتطوع وقد نقل جماعة منهم الخطابي الاجماع على تحريمها عليه صلى الله عليه وآله وسلم وتعقب بأنه قد حكى غير واحد عن الشافعي في التطوع قولا وكذا في رواية عن أحمد وقال ابن قدامة ليس ما نقل عنه ذلك بواضح الدلالة وأما آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أكثر الحنفية وهو المصحح عن الشافعية والحنابلة وكثير من الزيدية انها تجوز لهم صدقة التطوع دون الفرض قالوا لأن المحرم عليهم انما هو أوساخ الناس وذلك هو الزكاة لا صدقة التطوع . وقال في البحر انه خصص صدقة التطوع القياس على الهبة والهدية والوقف . وقال أبو يوسف وأبو

العباس انها تحرم عليهم كصدقة الفرض لأن الدليل لم يفصل اه ما في نيل الأوطار

فأنت ترى ان الحديث في تحريم الصدقة على الآل صحيح وان الخلاف في حكمه ضعيف ويزيد الخلاف ضعفاً عمل الناس بالحديث من الصدر الأول حتى صار الحكم معلوماً من الدين بالضرورة . وان علته تنزه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن شبهة أخذ الاجر على النبوة وكونها طريقاً له أو لآله الى حطام الدنيا ثم حمل آله على التنزه عن أوساخ الناس ليتربوا على كرامة النفس وعزتها ويكونوا قدوة للناس في الترفع عن الدنايا والخسائس ، وأي خسة أبلغ من رضى الانسان بأن يكون عالة على الناس يده السفلى وأيديهم هي العليا؟ ولو جاز في أصل الشرع بذل الصدقات لآل البيت لقدمهم الناس فيها على غيرهم حتى ليوشك أن يعطى منهم غير المستحق ويحرم المستحق من غيرهم رجاء أن يكون ذلك أكثر قبولا عند الله تعالى وذلك مما يحملهم على ترك الكسب اتكالا على ما يبذل الناس من صدقاتهم . على انهم لم يسلموا من هذا في كثير من البلاد مع تحريم الصدقة عليهم فان الناس يبذلون لفقرائهم من صدقة التطوع ما يبذلون، ويقدمون لوجهائهم من الهدايا ما يقدمون، حتى صارت معايشهم فائضة من أنامل الناس يوطنون أنفسهم عليها بطناً بعد بطن فانصرفت همتهم عن الكسب حتى ضعف استعدادهم له فنزل بهم الناس في سلم الحياة الاجتماعية وهم يحسبون أنهم صاعدون فهؤلاء الذين يحتالون لتجويز اعطائهم الزكاة يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بالقيام بمصلحتهم وسد خلتهم وفاتهم أن الشارع أعلم بهذه المصلحة وأحكم، حيث حرم عليهم ما حرم ، ومن الجهل أن يقال ان التحريم خاص بذلك الزمان، وان لنا أن نقول بنسخه الآن ،

كذلك أضر المحبون بنا معشر الشرفاء بالغلو في التعظيم لمكان النسب لان هذا كان سبباً لاقتناع الجماهير منا بهذه المكانة دون مكانة العلم والاستقلال الذاتي فان صغيرنا يرى الكهول والشيوخ يهوون الى يده بالتقبيل فلا يشعر بحاجته الى كمال آخر يرتفع به ذكره ويعلو قدره فيكون سيدا في الناس بجده في العلم والفضل، لا بعمل أبيه وجده من قبل، والرأي عندي للاغنياء المحبين لآل البيت أن يساعدوهم على الاستقلال بأنفسهم حتى يكون الناس في حاجة الى علمهم ورفدهم ولا يكونوا هم عالة

على الناس لا أن يلصقوا بهم أوساخهم ويجعلوهم كالقمل الذي لا يعيش الا في الوساخة والدرن . وان يؤاخذوا الشريف الذي يخرج عما يليق بشرفه من كرامة النفس ، والاعتصام بأدب الشرع ، ما لا يؤاخذون سواه ، وان يعظموا فضائله ، ويجلوا فواضله ، بأبلغ مما يكون لمن عداه ، كما توعد الله نساء النبي بمضاعفة عذابهن على الذنب ضعفين ، ووعدهن بإيتائهن أجرهن على العمل الصالح مرتين ، وهو تعالى أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ،

وأما الحقوق التي على الانسان في ماله غير الزكاة فمنها الواجب كالنفقة على من تلزمه نفقته وكازالة ضرورة المضطر فان من رأى معصوماً مشرفاً على الهلاك من الجوع يجب عليه اطعامه كما يجب عليه انقاذ الغريق عند القدرة على ذلك والمراد بالمعصوم من لا يباح دمه شرعاً كالمحارب ولا يفهم من هذا أن غير المعصوم تحرم اغاثته مطلقاً فرب انقاذ محارب يأتي بمصلحة أو يسوق الى هداية . ومنها ما هو مندوب كبذل المال في وجوه الخير أياً كانت كالضيافة وأنفعها في هذا الزمان انشاء المدارس للتعليم النافع والتربية الصحيحة والجمعيات الخيرية التي تقوم بتربية اليتامى وكفالة العاجزين ونحو ذلك من الوجوه التي يعم نفعها حتى ترتقي بالسبق فيها أمة على أمة، وتستعلي بآثارها دولة على دولة ، وناهيك بالجمعيات التي تبث الدعاة في الاقطار لهداية الخلق الى الحق في زمن لا يحفل ملوك المسلمين وامراؤهم فيه بالدعوة ولا يهمهم أمر الدين . وانك لتجد في باب التفسير من أجزاء المنار بياناً للآيات الكريمة التي تحض على بذل المال في سبيل الله غير فريضة الزكاة فلا حاجة الى كتابة شيء من الآيات هنا وهي كثيرة جدا . وكذلك الاحاديث في هذا المقام كثيرة فان كان يرى السائل حاجة الى سرد شيء منها فليكتب الينا

لعن معاوية والترضي عنه — وفيه حكم اللعن مطلقاً

(س ٣٢) ومنه : سيدي قال لي أحد العلماء ان من يلعن معاوية أقل خطراً ممن يترضى عنه ولقصور علمي لم أحر جواباً فهل هو مصيب فيما قال أم مخطيء أفيدونا على صفحات المنار لازلتم مؤيدين وبعين العناية ملحوظين

(ج) هو مخطيء بلا شبهة فالدعاء بالخير — ومنه الترضي — من البر الا من قام عنده دليل قطعي على ان فلاناً مات كافراً بالله وأن الله غضبان عليه وهذا لا يعرف

الا بوحي من الله تعالى لأن المعاصي والكفر في الحياة لا يدلان دلالة قطعية على أن صاحبيهما ماتا عليهما لأن الخاتمة مجهولة بلا خلاف بين العلماء ولا العقلاء وأما اللعن فهو من السفه الذي لا ينبغي للمؤمن وقد قال صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالسباب ولا بالطعان ولا اللعان» قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الاحياء رواه الترمذي باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه :ورواه غيرهم من حديثه ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً . وروى الترمذي من حديث ابن عمر وحسنه « المؤمن لا يكون لعاناً » وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » وورد في حظر اللعن وذمه غير ذلك من الاحاديث

وقد جعل حجة الاسلام الغزالي اللعن على ثلاث مراتب بحسب الصفات المقتضية للعن الاولى أن يلعن الكافرين أو المبتدعين أو الفاسقين جملة ، الثانية أن يخص طائفة منهم كآكلي الربا من الفاسقين مثلا ، الثالثة لعن شخص معين من هذه الاصناف ونذكر عبارته فيها قال رحمه الله تعالى

«الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً اما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعوناً . فان قلت يلعن لكونه كافراً في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلماً في الحال وان كان يتصور فيه أن يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله أي ثبته على الاسلام الذى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر . واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعن

الاعيان فيه خطر لأن الاعيان تتقلب في الأحوال الا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوماً باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى « ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » يعني انهم ربما يسلمون فمن أين تعلم انهم ملعونون . وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مرّ به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتياً على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة . فقال أبو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم «اكفف عن أبي بكر » فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال « يا أبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء »(١) فكف الناس عن ذلك . وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك» وفي راوية «لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله» (٢) فنهاه عن ذلك وهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائزة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره . فان قيل هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به قلنا هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال انه قتل أو أمر به مالم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا تجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق « نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً رضي الله عنه وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواتراً فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير

---

(١) الحديث رواه أبو داود فى المراسيل من رواية علي بن ربيعة (٢) رواه بهذا السياق ابن عبد البر فى الاستيعاب وهو عند أحمد والبخاري وغيرهما لم يسم فيه نعيمان

تحقيق . قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ماشهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافراً فهو كما قال وان لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره اياه» وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً . وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصي اماماً عادلا» (٢) والتعرض للأموات أشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: مافعل فلان لعنه الله: قلت توفي قالت رحمه الله: قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا» (٣) وقال عليه السلام «لاتسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء» (٤) وقال عليه السلام « أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهاري ولاتسبوهم أيها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيراً » (٥)

«فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله: لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة فان وحشياً قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا يجوز أن تنتهي

(١) الحديث رواه الشيخان والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم لفظ الفسق والحديث الذي بعده رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٢) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث طويل (٣) رواه أحمد والبخاري والنسائي بدون ذكر قصة عائشة مع مسروق وهي عند ابن المبارك في الزهد والرقائق (٤) رواه أحمد والترمذي والطبراني من حديث المغيرة بن شعبة (٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس ولبعض جمله شواهد في الصحاح كحديث أبي سعيد وأبي هريرة عند أحمد والشيخين «لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه » وحديث ابن عمر عند أبي داود والترمذي «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم » وغير ذلك

الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر

«وانما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر أو على الاجناس المعروفين بأوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة. وقال مكي ابن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال ابن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكبه منك (١) فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة — لا إله الا الله، ولعن الله فلاناً — فلأن يخرج من صحيفتي «لا اله الا الله» أحب اليّ من أن يخرج منها (لعن الله فلاناً) وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال (أوصيك أن لا تكون لعاناً) (٢) وقال ابن عمر إن أبغض الناس الى الله كل طعان لعان. وقال بعضهم لعن المؤمن كعدل قتله قال حماد بن زيد لو قلت انه مرفوع لم أبال (٣) وعن أبي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله: وقد نقل ذلك مرفوعاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا: لاصحح الله جسمه ولا سلمه الله: وما يجري مجراه فان ذلك مذموم. وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة » اه ما كتبه الغزالي

(المنار) قد أوردت كل هذا ليعلم القارئ أن السنة الرجيحة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالحين وفقه أئمة الدين كل ذلك ينهى المؤمن عن

(١) ابن عون هو أبو عون عبد الله بن عون أحد أعلام السنة أدرك أنس بن مالك وروى له الجماعة. و بلال بن أبي بردة هو ابن أبي موسى الاشعري كان أمير البصرة وقاضيها روى له الترمذي حديثاً واحداً وكان قد آذى ابن عون ولذلك سبه القوم ولعنوه أمامه فلم يشايعهم بل أنكر عليهم (٢) رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرهما (٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٤) المرفوع رواه الشيخان من حديث ثابت بن الضحاك بلفظ (لعن المؤمن كقتله)

اللعن الذي يتساهل فيه أهل الاهواء من السفهاء وما أحسن قول حجة الاسلام «ففي لعن الأشخاص خطر ولاخطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره» أي فان الله تعالى - وان لعنه - لم يكلفنا لعنه وأكبر العبر للمؤمن فيما تقدم تأديب الله تعالى نبيه اذ أنزل عليه حين طفق يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة « ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون» وأصحاب بئر معونة سبعون رجلا من القراء بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم ليعلموا الناس القرآن فقتلهم عامر بن الطفيل وأصحابه . وروى أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم من حديث أنس أن الآية نزلت يوم أحد حين كسر المشركون رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وشجوا وجهه وفي حديث ابن عمر عند أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد «اللهم العن أباسفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت الآية وهي على هذا أكبر عبرة وأعلى تهذيبا

هذا وان السواد الاعظم من المسلمين يعدون سب معاوية ولعنه من الكبائر ويرمون سابه بالرفض والابتداع وان السني من المسلمين ليعادي الشيعي على سب معاوية وأبي سفيان بَلْهَ الخلفاء الثلاثة ويعادي الخارجي على سب عثمان وعلي مالا يعادي غيرهما على ترك فريضة من الفرائض أو ارتكاب فاحشة من الفواحش فهذا الطعن في عظماء الصحابة وحملة الدين الاولين لو كان جائزاً في نفسه لكفى في تحريمه مايترتب عليه من زيادة التفريق بين أهل القبلة وتمكين العداوة والبغضاء في قلوبهم حتى يكفر بعضهم بعضاً . لهذا لا أبالي ان أقول لو اطلع مطلع على الغيب فعلم ان معاوية مات على غير الاسلام لما جاز له أن يلعنه . فما قاله ذلك الرجل للسائل مردود ولا قيمة له وهو دالّ على انه جاهل يفتي بغير علم بل بمحض الهوى

(استدراك) علم مما تقدم عن الغزالي انه لا يجوز لعن كافر ولا فاسق حيّ وان هذا خطر لما يتضمن من الرضى بموته على كفره أو فسقه، ولا لعن ميت لأن الخاتمة مجهولة لاتعرف الا بوحي من الله ، وأن لعن الفساق والكفار عامة أو لعن صنف معين منهم في الجملة جائز ولكنه غير محمود شرعاً والأولى أن يستبدل

الانسان بذلك اللعن ذكر الله أو الكلام في الخير. وأقول إن جواز لعن الصنف أو النوع بمعنى عدم تحريمه مقيد بما اذا لم يكن سباً لهم في وجوههم لأن السب محرّم في ذاته لأنه بذاء مذموم وسبب للشحناء والعدوان وقد نهى الله تعالى عن سب معبودات المشركين، لئلا يسبوا معبود المؤمنين، فقال في سورة الانعام «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» ولا يخفى ان حرمة الكتابي أعظم من حرمة المشرك واتقاء تنفيره أهم وان ايذاءه اذا كان ذمياً أو معاهدا أو مستأمناً محرم بالاجماع، وانه لا يصح أن يجعل لعن الفاسقين ذريعة الى تنفيرهم عن فسقهم كأن يحضر مجلس السكارى ويلعن شاربي الخمر على مسمع منهم لان الارشاد يجب أن يكون بالمعروف واللين - هذا وان لعن صنف من الكفار أو الفساق في حضرة أفراد من الصنف هو بمثابة لعن الاشخاص فهو معصيتان لأنه سب علني من جهة ولعن لأشخاص معينين من جهة أخرى .

فعليك أيها المؤمن أن تحفظ ما بين فكيك فانه لا يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم كما ورد في الحديث الصحيح عند الترمذي وابن ماجه . ولا تغتر ببعض حملة العمائم ، وسكنة الأثواب العباعب ، اذا رأيتهم يلعنون الأحياء والأموات ويكفرون المسلمين ، ويبرزون خروجهم عن هدي الدين في معرض الدفاع عن الدين ، فأولئك ليس لهم حظ من هدى الاسلام، ولا من العلم غير الثرثرة والتشدق في الكلام، وقد روى أحمد من حديث أبي ثعلبة ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « ان أبغضكم الي وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام » ومثله عند الترمذي من حديث جابر وله نظائر

ومن علامات هؤلاء السفهاء ان لهم في كل مجلس لسان ومع كل مخاطب وجه فهم المنافقون ، هنا يذمون وهنالك يمدحون ، وهم على الناس شر من المبتدعة وأهل الاهواء الذين يلعنون أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان هؤلاء يغتر بهم العوام مايغترون بأولئك . وشرهم الحساد الذين ينفرون الناس عن الحكماء المصلحين ، ويخوضون في أعراض العلماء العاملين ، « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين »

باب التربية والتعليم

« الحب الحقيقي ومعاملة الوالدين للشاب العاشق »

المكتوب الرابع — من هيلانه الى ولدها (*)

لقد راقني منك يابني العزيز صراحتك وموافقة سرك لعلانيتك واني مجتنبة كل الاجتناب ممازحتك في غانيتك التي نطت بها أمانيك ومع اعترافي بأن ماقصصته عليّ في شأنها لايخلو من أمور تدعوني الى التفكر وتبيح لي أن أنبهك في أمرها الى تفاصيل اخالها مريبة أتحامى ان أجرد تلك الاماني من زهوها وأعريها من روائها فليس عليك الا أن تنكر انك شاب غرلما تختبرْ شيئاً من أمور الدنيا وانك وآسفي لسرعان ماتتعلم أن لاتغتر بالظواهر وعسى الله أن لايجعل في ذلك خساراً عليك

قد تعاهدت أنا وأبوك على عدم التداخل في محباتك بحال من الاحوال فأنت حينئذ آمن من ضروب عذلي وتأنيبي ولكنك بماصرت ولي نفسك مسئول عن جميع مايقترفه قلبك في سبيل الحب من الآثام واعلم أن من هوفي مثل سنك يكون شديد الارتياح الى الاغترار والانخداع فكم شاب يحسب من الحب ماليس هو الا اضطراباً في مشاعره وسراباً يبدو لحواسه لان الحب الصحيح هو الاستيلاء على نفس المحبوب ولا يبلغه الامن كان حقيقاً به واهلاله

لم يعلق بنفسي أدنى أثر مما للناس في الممثلات من الاوهام وانهم لظالمون في حكمهم على كثير منهن وحاشا أن أحكم على تلك القينة التي فتنتك بمحاسنها وأنا لا أعرفها وانما أنبهك الى انك ليس لك حتى الآن أدنى وجه صحيح في أن تستنتج من بعض أحوالها معك انها تفضلك على غيرك من عبادها فمن غرور الشبان أن يعتقدوا انهم محبوبون لأنهم محبون على أني أسلم لك ان قلبها ملبٍ لعواطفك والذي تعرفه منها والذي تلمسه من وراء حبها ليس من الخصائص المقومة للمرأة في شيء لانك انما تعشق منها تغنيها وحسنها ودعابتها وهي مزايا

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

تستفيد العامة منها أكثر مما يستفيده الرجل الذي قد تصير صاحبة له فهل تدري مايبقى لتمثال حبك الذي تعبده من المحاسن اذا زال عنه زخرف الملعب ورونقه وغرور العشق وخدعه ؟

أنت بنفسك فيما يظهر لي مرتاب من ماضي سيرتها لأنك تتمنى لو أتيح لك انقاذها من الدرك الذي هي فيه وهي فكرة كريمة جعلها أدباء العصر بدعة من البدع ومعاذ الله صيانة لشرف المرأة نفسه ان اعتقد ان ذنوبها لاتكفر بل اني أسلم ماقلته من ان الحب قد يمحو بعض الادناس ولكننا لانعلم كثيراً من أمثال النساء اللاتي أُبن الى الرشد بعد الغي ثم اني لاأظنك فكرت فيما يعترض مقصدك الدال عن البسالة من الصعوبات والعوائق فان انقاذ الخاطئات الذي يحسن الطيش لبعض الشبان الاغرار أن يدعوه لأنفسهم يلابسه في معظم الاحيان من الكبر والعجب أكثر مما يصاحبه من الاخلاص الحقيقي فكأنهم بهذا يعتقدون أن ملائكة العشق اللاتي أهبطن الى حضيض الرذيلة ليس لهن من الصلف والإباء مثل مالهم . ان من يحاول ذلك العمل يجب أن يكون بالغاً من قوة النفس ولطف الذوق مبلغاً عظيماً يسمو به عن الغض من المرأة الخاطئة واذلالها ثم هل أنت في سنك هذا تأنس من نفسك قوة واقداماً على كتمان الغيرة فانها تبكيت ومؤاخذة للمرأة التي لم تكن طول حياتها عفيفة وهل لك من السلطان على نفسك مايكفي لاخفاء مايكون في معظم الاحيان مثاراً للريبة منك وهو ندمك على اجلالك لمثل تلك المرأة مع انه لايسمح به عادة الا الزكية الطاهرة فاذا كنت لم تستكمل هذه الصفات فخل الجهاد عنك لانه لايكون من ورائه الا زيادة من تزعم انقاذها خسراً

من الامهات من يكتبن لأبنائهن في مثل هذا الموضوع على أسلوب مغاير لهذا تمام المغايرة فقد يؤنبنهم ويجتهدن في تخويفهم من عواقب طيشهم وغير الامهات قد لايرين في كل هذا الامقدمة لواقعة من الوقائع الشائع حصولها بين الشبان وهفوة عادية من هفوات الطلبة وربما قلن فوق ذلك وهن مبتسمات «تهويناً تهويناً فمن الواجب اقالة عثرات الشباب» وأما أنا فأعلم انك جادّ فيما كتبت والا لما

أفضيت الي بسرك ولهذا أجبتك بالجد واست أخاف عليك الآن تكون خدعة لما في خيالك من التوقد الذي هو من لوازم سنك ومن العبث القول بالتسامح في أمر الحب فليس أحد يسلم عليه بالاستخفاف به لانه اذا لم يرفع النفس ويزكيها فانه يسفلها ويدسيها. وحسبي ما قلته في هذا الموضوع فلا أزيدك عليه شيئاً

جاءتنا أخبار من البيرو فقد كتب الينا قو بيدون وجورجيا بأنهما يذكرانك و«لولا» ذكرا كثيراً

ومما ينبغي ان تعلمه أيضاً أن «لولا» تفكر في اختيار مهنة لها فقد قالت لي من أيام مضت «اني أريد أن أتعلم حرفة من أجل أن...» وما عتمت ان فرت الى حجرتها قبل أن تتم كلامها وقد احمر وجهها خجلا

واراني أدركت مرادها وهو ان المرأة التي لا مال لها ولا حرفة ليست حرة فاذا تزوجت فانما تتزوج في الغالب مقام زوجها ومكانته و«لولا» لعزة نفسها وإبائها تتذمر من هذا الاحتياج ولا ترضى الاستكانة له فهي تريد أن تقول يوماً ما لمن يروقها من الناس اني في استطاعتي أن أعيش بعملي واني اذا أخلصت في تحصيل الاغتباط والسعادة لك فذلك لأني أحبك

أستودعك الله يا بني العزيز وأوسع صدري على الدوام لتلقي أسرارك ومشاركتك في آلامك وأبعث لك في هذا قبلة الحب الذي لا يتغير الا وهو الحب الذي لك في قلب أمك. اه

آثار علمية أدبية

مبادي التعليم • في الدين القويم

كتب الشيخ مصطفى بكري الاسيوطي مدرس اللغة العربية بمدرسة مغاغة الخيرية رسالة وجيزة في أركان الاسلام الخمسة لأجل تعليم المبتدئين جعلها أسئلة وأجوبة وهي منتزعة من الكتب المتداولة مع التساهل والتوسع في بعض المسائل فالرسالة سهلة من أحسن ما كتب للمبتدئين وكنا نود من معلمي المدارس الخروج

عن تقليد عبارات بعض المتأخرين الى ما هو أسهل منها وأقرب الى الاذهان فانه ليحزنني أن يلقن الولدان أن الواجب اعتقاده في الله تعالى عشرون صفة واجبة وعشرون صفة مستحيلة وصفة واحدة جائزة فان هذا الاصطلاح الذي جرى عليه السنوسي في عقيدته دقيق لا يمكن أن يفهمه المبتدئ وحفظ الالفاظ ليس من الاعتقاد في شيء. ما هي الصفة التي تشتمل الوجودي والعدمي والواسطة بينهما على القول بالواسطة وما فيه من الفلسفة الغريبة؟ كيف كان الوجود الذي هو الجنس العالي لجميع الموجودات على التحقيق صفة؟ وكيف كانت القدرة صفة وكونه قادراً صفة أخرى؟ وكيف جعل فعل الشيء أو تركه صفة من الصفات؟ هل وردت هذه الاصطلاحات في الكتاب والسنة فنلتزم فهم العقيدة منها؟ هل كلفنا الله تعالى اعتقاد كون الملائكة أجساماً نورانية قادرة على التشكل بالصور الجميلة مسكنهم السموات دون الأرض وأن نعرف أربعة منهم فقط؟ هل يذكر في العقائد الوجيزة ما ورد أو استنبط من أحاديث الآحاد عن عالم الغيب؟؟

لعل مؤلف هذه الرسالة وأمثاله ممن يكتبون للتعليم يسلكون مسلكاً آخر يفهمه تلاميذهم كأن يقولوا في تنزيه الله تعالى إن خالق هذه الكائنات لا يشبهها ولا تشبهه فليس كمثله شيء مما نعرفه بحواسنا وتتصوره عقولنا فهو قديم ليس قبله شيء وهي حادثة لأنه هو الخالق وهي المخلوقة وهو باق أبدي لا يفنى ولا يتغير وهي تتغير وتفنى. ويقولوا في الصفات الثبوتية ان الله تعالى عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض لأنه خالق كل شيء والصانع الضعيف من الآدميين يعرف دقائق صنعته أفلا يعلم الخالق من خلق: ويقولوا في عالم الغيب ان الله تعالى خلق خلائق كثيرة منها ما أعطانا حواساً ومشاعر لإدراكه ومنها ما هو مغيب عنا. وعالم الغيب عظيم لا يحيط به الا الله تعالى وقد جاءنا الوحي بذكر بعض ما فيه كالملائكة وحقيقتهم مجهولة عندنا لكن الله تعالى وصفهم بأوصاف العقلاء وأسند اليهم العبادة وتلقين الوحي للأنبياء وغير ذلك فنؤمن بما جاء به الوحي من ذلك لا نزيد عليه ولا ننقص منه ولا نقيس عليه ولا نشبهه بما نعلم من عالم الشهادة. ولا غرابة في هذا فاننا الى الآن لم نعرف حقائق ما نشاهده ومازال

يظهر لنا في هذا العالم أشياء كانت مغيبة لانرى لها نظيرا فيما كنا نعرف من قبلها كالكهرباء مثلا . مثل هذا يقال ويكتب للمبتدئين

جواهر البلاغة — في المعاني والبيان والبديع

كتاب جديد ألفه الشيخ أحمد الهاشمي وجعل له خاتمة في القوافي وفنون الشعر. وهو يمتاز على الكتب القديمة التي استمد منها بشيء يرغب القارىء في القراءة وينبه نشاطه ويحفز ذهنه وهو أنه جعل الكتاب على الطريقة العصرية في الوضع والطبع أي جعل فيه بياضاً كثيراً وعناوين كثيرة وجعل لكل مبحث تمريناً أما البياض فهو مايترك غفلا في صحائف الكتاب بين ابوابه وفصوله ومباحثه وكذا في اعجاز السطور اذا تمت المسألة في أثناء السطر ، وقد أكثر صاحب جواهر البلاغة من هذا البياض حتى انه ليذكر الاقسام للشيء المقسم على هذا النحو

« فصاحة المركب سلامته بعد فصاحة مفرداته من ستة أشياء »

١ تنافر الكلمات مجتمعة
٢ ضعف التأليف
٣ التعقيد اللفظي
٤ التقيد المعنوي
٥ كثرة التكرار
٦ تتابع الاضافات

ومثل هذا كثير وقد جعل للكلام في الفصاحة عنواناً بحروف كبيرة ولفصاحة المفرد عنواناً مثله ولفصاحة المركب عنواناً آخر وعلى ذلك فقس . وقد بلغت كراريس الكتاب (ملازمه) ٢١ ولو طبع على الطريقة القديمة لما زادت على ١٥ الا قليلا وان هذا الوضع الذي يزينه حسن الطبع هو سبب من الرغبة في القراءة كما قلنا والرغبة في القراءة هي السبب الاول في الرواج ومن ثم ترى هذه الكتب التي توضع وتطبع على الطريقة العصرية أكثر رواجاً ولا يعتبر بهذا الذين لايزالون يلتزمون الطريقة العتيقة في جعل الكتاب كله كتلة واحدة سوداء يرمي اليها الناظر بطرفه فلا يكاد يميز مبحثاً من آخر ويرون هذا الصنيع اقتصاداً في الورق ولا يدررن انهم

لولم يقتصدوا هذا الاقتصاد لكان خيراً لهم وللناس . على أن السابقين ماوضعوا الفصول في الكتب الا ليكون بين المبحث وما يليه بياض يهدي الطرف الى بداية هذا وغاية ماقبله ولكن المتأخرين جعلوا لفظ (فصل) كالمتعبد به فصاروا يضعونه في اثناء السطر يتصل به ماقبله وما بعده فيكون وصلا لا فصلا

وضع في آخر الكتاب تقاريظ منها تقريظ عزي الى الاستاذ الامام رحمه الله تعالى نبهنا اليه من رأى الكتاب من الأدباء فرابهم عزوه لأن عبارته دون ماعهد من عبارات إمام البلاغة وقد رابنا مارابهم ووددنا لو يطلعنا المؤلف على الاصل الذي عنده بخط الاستاذ الإمام . وهذه عبارة التقريظ « اطلعت على كتاب جواهر البلاغة في علوم المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفنون الشعر والسرقات والمحاضرات الشعرية فوجدته كتاباً عظيما ، وأسلوباً حكيما ، يشهد لحضرة مؤلفه بملاك الذوق السليم ، والعقل الحكيم هداه الله الى «الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين » اه

ولاشك ان كل ذي ذوق سليم يعرف كلام الاستاذ الامام يرتاب في كون هذا التقريظ له واذا ظهر انه له وانه لاغلط فيه ولا تحريف التمسناله عذراً وأزلنا ارتياب المرتابين .

الألزم ، من لزوم مالا يلزم

«لزوم مالا يلزم» أو اللزوميات هو مجموع مايؤثر عن الفيلسوف العربي أبي العلاء المعري من الشعر في الفلسفة الإلهية والاجتماعية والكونية وانتقاد سيئات الانسان في الكون وغير ذلك من ضروب التخيل والحقيقة . وهو ديوان طويل شهير يدخل في سفرين كبيرين وقد عمد أحمد أفندي نسيم الشاعر المصري وعبدالله أفندي المغيرة الاديب النجدي الى الكتاب فاختارا منه أرقه وأعذبه في مذاقهما وطبعاه في ديوان لطيف سمياه (الالزم) الخ وكتبا في أوله ترجمة وجيزة للناظم ذكرا في آخرها ما كنا أوردناه في ص ٢٧٣ من المجلد السابع دليلا على صحة عقيدته وقوة دينه . وقد نقلنا هناك الابيات التي كان أنشدها في خلوته كما كتبت في ترجمته وهكذا أوردها صاحبا الألزم والبيت الاول منها محرف وهو

كم غودرت غادة كعاب وعمرت أمها العجوز

فإن السياق يدل على انه يريد كم ماتت فتاة ناعمة الشباب كاعبة الثديين وعمرت بعدها أمها العجوز ولفظ « غودرت » لا يدل على الموت لان معناه تركت وكنا بعد ان نشر الجزء الذي كتبنا فيه الأبيات اهتدينا الى أن غودرت محرفة عن «غوضرت» ولم يتح لنا التنبيه الى ذلك اذ كنا لا نذكره عند كتابة المنار حتى تذكرناه الآن . واذا صح هذا ولا نخاله الا صحيحاً فهو قد استعمل غوضرت بمعنى ماتت فى غضارتها ونضرة شبابها ولكن الصيغة التي جاءت من هذه المادة بهذا المعنى هي « اغتضر » ففي كتب اللغه التي فى أيدينا اغتضر فلان بالبناء للمفعول مات شاباً صحيحاً أي فى غضارة شبابه وريعانه ومثله اختضر وهو مأخوذ من اختضر الكلأ اذا أخذه أو رعاه طرياً غضاً فى ريعان خضرته ويقال اختضر الفاكهة اذا أكلها قبل إدراكها اذ تكون خضراء ولا يبعد أن يكون المعري قد روى غوضر بمعنى اغتضر أو يكون ممن يستجيز مثل هذا البناء ويراه قياساً

وتذكرت أيضاً — والشيء بالشيء يذكر — ما كنت كتبته في ترجمة محمود سامي البارودي (ص٨٢٦م٧) من نفي المعرفة بكون صيغة تفزّع عربية مسموعة لأنها لم تذكر فى مادة ف ز ع من القاموس وشرحه ولسان العرب وغيرها من الكتب ثم رأيتها في القاموس نفسه في آخر مادة روع قال « وتروّع تفزع » وعزمت على ذكرها في المنار وكنت أنساها عند الكتابة مع ان جريدة الصاعقة انتقدتها علي منذ أشهر فذكرتني بها ولكن فى غير وقت كتابة المنار ولكل شيء أجل

هذا وقد طال الكلام في الاستطراد وشعر المعري غني عن التقريظ وقد طبع المختار من اللزوميات طبعاً جميلا وهو يطلب من طابعيه

﴿ أبو مسلم الخراساني ﴾

قصة تاريخية غرامية هي الحلقة التاسعة من سلسلة القصص التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان ويطبعها في مجلته «الهلال» واسم هذه القصة يدل على ان ما فيها من تاريخ المسلمين هو قيام أبي مسلم بالدعوة الى الخلافة العباسية حتى سقطت بسعيه الدولة الأموية . وقد صارت طريقة صاحب الهلال في تأليف القصص معروفة

للجماهير فقصصه غنية بهذه الشهرة عن التقريظ والتنوية ببيان فائدتها التاريخية وفكاهتها الأدبية فحسب المقرظ أن يعلم الناس بأن القصة طبعت على حدتها وانها تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

السلاح الخفي — اليد الاثيمة

قصتان افرنجيتان ترجمها صالح أفندي جودت ونظمتا في سلك قصص « مسامرات الشعب » والمراد بالسلاح الخفي السم وباليد الاثيمة يد امرأة شريرة فاجرة كانت تنتقم بالسم من أعدائها وفي القصتين غرائب تلذ للقاريء ولكنني أنصح لصاحب هذه المسامرات أن يختار القصص التي تمثل الفضيلة وتشرح محاسن آثارها على القصص التي تمثل الرذيلة وان ساءت عاقبة أنصارها الأن تذكر الرذيلة من غير شرح لكيفيتها وتطويل بذكرها ويكون الاسهاب في بيان سوء مغبتها وشقاء أربابها

ألف نادرة ونادرة

كتاب لمحمد أفندي مسعود أحد كتاب جريدة المؤيد «محرريها» جمعه من الكتب الافرنجية وطبعه في مطبعته المعروفة بمطبعة الجمهور وصفحاته ٢٥٥ وفى هذه النوادر ماهو فكاهة وحكمة وما هو فكاهة فقط أوحكمة فقط ومنها ماليس بشيء وجملة القول فيها أنها من المسليات التي يرغب فيها عند السآمة من العمل والكتاب لطلب من صاحبه في المؤيد بمصر

تاريخ الاستاذ الامام

يوزع هذا الجزء من المنار ونحن شارعون في طبع قسم التأبين والمراثي والتعازي من تاريخ الاستاذ الإمام وهو وحده يدخل في مجلد ضخم وفيه مما لم يطلع عليه القراء في هذه البلاد أقوال بعض الجرائد المعتبرة في الاقطار الغربية الشرقية ومراثي وتعازي بعض العلماء والأدباء التي لم تنشر فى الجرائد المصرية ويتلوه طبع جزء منشآت الفقيد من المقالات العلمية والاجتماعية والرسائل الدينية والأدبية وغير

ذلك مما هو غير منشور ولا متداول ومنه مقالات «العروة الوثقى» برمتها . ونؤخر طبع جزء سيرته وترجمة حياته المطولة الى ما بعد تمام طبع هذين الجزئين لزيادة التروي والاتقان لأنها تكتب بحرية كاملة ويفصل فيها ما لقيه في سبيل الاصلاح من العناء وما قيل فيه وما كيد له

ومتى تم طبع هذا الجزء الذي شرعنا فيه نعلن عنه في الجرائد ونجعل لكل مشترك في المنار الحق في أخذ نسخة منه مجاناً اذا كان قد أدى قيمة الاشتراك تامة . واننا في هذا المقام نعيد استجداء أصدقاء الامام ومريديه بأن يتفضلوا علينا بل على التاريخ بما عساه يوجد عندهم من آثاره القلمية وما يعرفون من مناقبه الشخصية، لنضع كل شيء في موضعه من التاريخ فان الطبع فيه سيكون متصلا ان شاء الله تعالى

هذا وان للفقيد تغمده الله برحمته صورة شمسية قد أخذت عنه وهو يصلي في معبد عام في لندره عند زيارته الأولى لها وذلك انه أدركه وقت الصلاة في ذلك المكان الذي هو كحديقة الازبكية بمصر ورأى انه اذا عاد الى المكان الذي يقيم فيه فان الصلاة تخرج عن وقتها فصلى على الأرض حيث كان فأسرع حاملو الآلات الفوتغرافية الى أخذ صورة عالم شرقي في هيئة عبادة لم يسبق لهم رؤية مثلها ثم وصلت تلك الصورة الى هذه البلاد والى سوريا وتونس فمن كان عنده صورة منها فليتكرم علينا بها لنأخذ مثلها ونعيدها له وله الفضل والشكر

شكر بعد شكر

كنا كلفنا بعض أصحاب الجرائد اليومية المعتبرة في هذا القطر بأن يعبروا عن شكر منشيء هذه المجلة وأشقائه للذين عزونا عن فقد والدنا الجليل (تغمده الله برحمته) ثم جاءتنا تعاز أخرى في البرق والبريد من أنحاء القطر ومن السودان ثم من بلاد الهند ومن بلاد المغرب فوجب علينا نبدىء الشكر ونعيده لجميع الذين تفضلوا بتعزيتنا أولاً وآخراً ونسأل الله تعالى أن يقيهم الأرزاء ، ويديم عليهم النعماء ،

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر — غرة رمضان سنة ١٣٢٣ — ٢٩ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٥ ﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٣٥ : ٢٣٧) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً، وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * (٢٣٦ : ٢٣٨) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ، وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *

قالوا المراد بالجناح المنفي هنا التبعة من المهر ونحوه لا الإثم والوزر وأوردوا هذا وجهاً ضعيفاً وجهوه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما ينهى عن الطلاق فظن الناس ان فيه جناحاً فنفته الآية وهو كما ترى يتبرأ منه السياق ، وقال الأستاذ الإمام المراد بنفي الجناح نفي المنع وهو

مقيد بقيدين عدم المسيس وعدم تسمية مهر ، والمسيس هو الغشيان المعلوم بين الزوجين . قرأ الجمهور «مالم تمسوهن» وقرأ حمزة والكسائي «تماسوهن» بالصيغة الدالة على المشاركة هنا وفي سورة الأحزاب (٣٣) لان كلا منهما يمس الآخر فهذه القراءة بيان للواقع وتلك بيان لعمل الرجل الذي يجب به مايجب من المهر والعدة . وآية الأحزاب التي فيها القراءتان هي (٤٨:٤٩) «ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً» وأجمعوا على قراءة واحدة في قوله تعالى في سورة مريم (١٩ـ٣٠:١٩) «ولم يمسسني بشر» وهو بمعنى الغشيان بلا خلاف والمراد بفرض الفريضة تسمية المهر والآية تدل على ان عقد النكاح يصح بغير مهر قالوا ويجب مهر المثل حينئذ . قال الاستاذ الامام والفرض هنا يصدق بما يكون بعد العقد كأن يقول : أمهرتك ألفاً : مثلا . يقول الله تعالى ﴿ لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ﴾ أي لا يلزمكم شيء ﴿ مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ أي مدة عدم مسكم إياهن وتسمية المهر لهن فأو هنا بمعنى الواو أو المعنى الى أن تفرضوا لهن أو الا أن تفرضوا لهن أي فحينئذ يجب عليكم شيء وهو مايذكر في الآية التالية لهذه . اذا تحقق الشرطان فلا تدفعوا لهن مهراً ﴿ ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾ أي اعطوهن شيئاً يتمتعن به ولتكن هذه المتعة على حسب حالكم في الثروة ﴿ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾ الموسع ذو السعة وهي البسطة والغنى والمقتر من أقتر الرجل اذا قل ماله وافتقر ويقال أقتر أيضاً اذا قتر عمداً فعاش عيشة الفقير والقتر في الاصل الرمقة من العيش قرأ حمزة والكسائي

وحفص وابن ذكوان «قدره» بفتح الدال والباقون بسكونها وهما لغتان بمعنى وقيل القدر بالتسكين الطاقة وبالتحريك المقدار والمراد لا يختلف وهو ان المتعة تختلف باختلاف ثروة الرجل وبسطته ولذلك لم تحدد بل تركت لاجتهاد المكلف لأنه أعرف بثروة نفسه وقد علم ان الله فرضها عليه وأكدها بقوله ﴿ متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين ﴾ فأما المعروف فهو ما يتعارف الناس بينهم ويليق بهم بحسب اختلاف أصنافهم وأحوال معايشهم وشرفهم وأما كونه حقاً على المحسنين فمعناه أنها واجبة حاقة على أنها احسان في التعامل لا عقوبة فان الحكمة فيها كما قالوا جبر ايحاش الطلاق كأن المعنى ان كنتم مؤمنين بالله محسنين في طاعته فعليكم أن تجعلوا هذا المتاع لائقاً مؤدياً الى الغرض منه

الاستاذ الامام : الحكمة في شرع هذه المتعة أن في هذا الطلاق غضاضة وايهاماً بأن الزوج ما طلقها الا وقد رابه منها شيء فاذا هو متعها متاعاً حسناً تزول هذه الغضاضة ويكون هذا المتاع الحسن بمنزلة الشهادة بنزاهتها والاعتراف بأن الطلاق كان من قبله أي لعذر يختص به لا من قبلها أي لا لعلة فيها لأن الله تعالى أمرنا أن نحافظ على الأعراض بقدر الطاقة . فجعل هذا التمتيع كالمرهم لجرح القلب لكي يتسامع به الناس فيقال ان فلاناً أعطى فلانة كذا وكذا فهو لم يطلقها الا لعذر وهو آسف عليها معترف بفضلها لا لأنه رأى عيباً فيها أورابه شيء من أمرها ويقال ان سيدنا الحسن متع إحدى زوجاته بعشرة آلاف درهم وقال متاع قليل من حبيب مفارق لهذا وكل الله تعالى الامر الى أريحية المؤمنين فلم يحدده بل وصفه بالمعروف وذكر عند ايجابه بالاحسان هنا وبالتقوى في الآية الآتية:

وأقول زيادة في ايضاح الحكمة: من المعروف أن الإقدام على عقد الزوجية يتقدمه تعارف وتواد بين بيت الرجل وبيت المرأة ثم تكون الخطبة فالعقد فاذا طلق الرجل قبل الدخول فان الناس يظنون بالمرأة من الظنون مالا يظنون بها اذا طلقت بعد الدخول لان المعاشرة هي التي تكشف لكل واحد عن طباع الآخر فيحمل الطلاق على تنافر الطباع وعدم المشاكلة في الاخلاق والعادات وهذا وجه جعل بعض العلماء متعة غير المدخول بها واجبة ومتعة غيرها مستحبة واذا كانت الغضاضة في الطلاق قبل الدخول على ماذكرنا فلا جرم ان ذلك التوادّ الذي ظهرت بوادره قبل الخطبة وتمكن بالعقد يتحول الى عداء وتباغض الا أن يدفع المطلق ذلك بالتي هي أحسن وهي المتعة اللائقة ولا تتحقق هذه الحكمة الا بجعل مقدار المتعة موكولاً الى اختيار الرجل مع العلم بأنها واجبة على حسب الحال في السعة وان الغرض منها كذا فلا يتحقق الامتثال الا بتحري اصابته، ومما روي عن الحسن انه متع بعشرين ألفاً وزقاق من عسل وكذلك كانوا يفعلون.

هذا هو المتبادر من الآية ولكن من الفقهاء من قال ان المتعة تستحب ولا تجب لأنها جعلت حقاً على المحسنين كأن القيام بالواجب لا يوصف بالاحسان. ويكفي في اثبات الوجوب قوله تعالى « على الموسع قدره وعلى المقتر قدره» وقوله « حقاً على » وانما حسن ذكر الإحسان هنا لأن المفروض غير محدد والشارع يحب بسط الكف فيه فذكر الاحسان لأجل ذلك وليبين ان المتعة ليست من قبيل الغرامة اذ لو كانت غرامة لااختيار في قدرها كما انه لا اختيار في أصلها لما تحققت بها الحكمة التي تقدم شرحها وآية الأحزاب المتقدمة آمرة بالتمتيع أمراً لم يذكر معه لفظ المحسنين

على ان الله تعالى ذكر الاحسان والمحسنين في مقام الاعمال الواجبة كقوله في سورة التوبة (٩:٩٢) « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل» والنصح لله ورسوله واجب حتم وقوله في هذه السورة أيضاً (١٢١) «ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله – الى قوله – ان الله لا يضيع أجر المحسنين» وذكر هذا اللفظ كثيراً بعد ذكر الصبر في مواضع البأس وهو واجب وبعد ذكر محاولة ابراهيم ذبح ولده وكان واجباً عليه لولا ما افتداه الله تعالى. وقال تعالى في سورة الزمر عند ذكر الجزاء (٣٩–٥٥ : ٥٩) « أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين » وهل يصح أن يقال ان النفس تعذب على ترك النوافل المستحبة فتتمنى الرجعة لتؤديها؛ ومن تتبع الآيات التي ذكر فيها الإحسان يرى ان منها ما يراد به الاعمال المفروضة أولاً وبالذات ومنها ما يراد به ما زاد على الفرض من العمل الصالح ومنها ما يراد به احسان العمل مطلقاً. وممن صرح بوجوب المتعة من علماء السلف علي وابن عمر والحسن البصري وسعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وقتادة والضحاك وغيرهم. واختلفوا أيضاً في تحديدها وقد علمت المختار فيه. واختلفوا أيضاً هل تشرع لغير هذه المطلقة قبل المسيس والفرض أم لا وسيأتي ذلك في تفسير « وللمطلقات متاع بالمعروف »

ثم قال تعالى ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ الآية الماضية في حكم غير الممسوسة اذا لم يفرض لها وهذه في حكمها وقد فرض لها المهر وهو ان لها نصف المهر

المفروض قال الجلال : فنصف ما فرضتم يجب لهن ويرجع لكم النصف قال الاستاذ الإمام : وهذا جرى على ان الذي كان عليه العمل هو سوق المهر كله للمرأة عند العقد خلافاً لما استحدثه الناس بعد من تأخير ثلث المهر : أي في الغالب وقد يؤخرون أكثر من الثلث أو أقل حتى كأن ذلك من سنن الدين وما هو الا عادة من العادات . وقدر غير الجلال : فالواجب نصف ما فرضتم أو فادفعوا نصف ما فرضتم والمعنى ظاهر على كل تقدير ﴿الا أن يعفون﴾ أي النساء المطلقات ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ وهو الولي مطلقاً وعليه جماعة من المفسرين وقال كثير منهم ان الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج الذي بيده حلها قال الاستاذ الامام عبر عنه بهذا للتنبيه على أن الذي ربط المرأة وأمسك العقدة بيده هذه المدة لا يليق به أن يحلها ويدعها بدون شيء بل يستحب له العفو والسماح بكل ما كان قد أعطى وان كان الواجب المحتم نصفه فذلك تمهيد لقوله ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ والخطاب على هذا خاص بالرجال وفيه وجه آخر أنه عام للنساء والرجال أي من عفا فهو المتقي ويروى عن جبير بن مطعم أنه تزوج بنتاً لسعد بن أبي وقاص ثم طلقها قبل الدخول وأعطاها جميع المهر فسئل عن هذا فقال أما التزوج فلانه عرضها عليّ فما رأيت أن أرده وأما العفو فأنا أحق بالفضل . هكذا روى القصة بالمعنى وفي التفسير الكبير انه قال أنا أحق بالعفو واذا كان هذا لفظه فهو دليل على أن الخطاب عام على سبيل التغليب ويرجحه اختلاف الأحوال ففي بعض الاحوال تكون المصلحة في عفو الرجل عن النصف الآخر وفي بعضها تكون في عفو المرأة عن النصف الواجب لها ذلك لأن الطلاق قد يكون من قبله بلا علة

منها وقد يكون بالعكس والذي تراه في عامة كتب التفسير ان المراد بالتقوى هنا تقوى الله تعالى المطلوبة في كل شيء وذلك أن العفو أكثر ثواباً وأجرا وقال الاستاذ الامام ان التقوى في هذا المقام اتقاء الريبة وما يترتب على الطلاق من التباغض وآثار التباغض ولا يخفى ما في السماح بالمال، من التأثير في تغيير الحال ، ولذلك قال بعد ذلك ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ فسروا الفضل بالتفضل والاحسان وجعلوه للترغيب في العفو وقال الاستاذ الامام المراد به المودة والصلة أي ينبغي لمن تزوج من بيت ثم طلق أن لا ينسى مودة أهل ذلك البيت وصلتهم قال فأين هذا مما نحن عليه اليوم من التباغض والضرار

على هذا السياق جرى في تفسير الآية وهو مما لا يقف الذهن فيه الا من كان مطلعاً على وجوه الخلاف فى الذي بيده عقدة النكاح، يقول القائلون بأنه الولي انه هو الذي يتولى العقد شرعاً وعرفاً وقد يتولى العفو عن نصف المهر بالنيابة عن موليته اذا هي طلقت لا سيما اذا كانت غير مدخول بها ولا حديث بينها وبين الزوج ولا معاملة، وإن تبرع الزوج بالنصف الآخر من المهر لا يسمى عفواً وانما يسمى هبة ، وانه كان من مقتضى السياق ان يقول لو أريد الزوج الا أن يعفون أو تعفوا أنتم ، وان عقدة النكاح لم تبق في يد الزوج بعد الطلاق ، ويقول الذاهبون الى انه الزوج ان الولي بيده عقد النكاح لا عقدته التي هي أثر العقد وانه ليس للولي أن يسمح بشيء من مال موليته لانها هي المالكة المتصرفة من دونه ، وأنت ترى الجواب من كل جانب عما أورده الآخر سهلا والخطب أسهل فالمعنى المراد ان الواجب نصف المهر الا أن يسمح الرجل به كله وسمي سماحه بالنصف الآخر عفواً لأن المعهود انهم كانوا يسوقون جميع المهر عند العقد كما تقدم

أو تعفو المرأة بنفسها أو بواسطة وليها عما يجب لها فلا تأخذ منه شيئاً فأي الفريقين عفا فعفوه أقرب الى التقوى . والقائلون بأن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج أكثر كما تشعر به العبارة السابقة ويروى فيه حديث مرفوع عند ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي

وقد ختمت الآية بقوله تعالى ﴿ ان الله بما تعملون بصير ﴾ جرياً على السنة الإلهية بالتذكير والتحذير بعد تقرير الأحكام لتكون مقرونة بالموعظة التي تغذي الايمان وتبعث على الامتثال وفي التذكير باطلاع الله تعالى واحاطة بصره بما يعامل به الازواج بعضهم بعضاً ترغيب في المحاسنة والفضل، وترهيب لاهل المخاشنة والجهل ، قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى بعد تفسير هذه الآيات مامعناه : من تدبر هذه الآيات وفهم هذه الاحكام يتجلى له نسبة مسلمي هذا العصر الى القرآن ، ومبلغ حظهم من الاسلام، قال وأخص المصريين بالذكر فان الروابط الطبيعية في النكاح والصهر وسائر أنواع القرابة صارت في مصر أرث وأضعف منها في سائر البلاد فمن نظر في أحوالهم وتبين ما يجري بين الأزواج من المخاصمات والمنازعات والمضارات وما يكيد بعضهم لبعض يخيل اليه أنهم ليسوا من أهل القرآن بل يجدهم كأنهم لا شريعة لهم ولا دين بل آلهتهم أهواؤهم وشريعتهم شهواتهم ، وان حال المماكسة بين التجار في السلع هي أحفظ وأضبط من حال الزواج ، وأقوى في الصلة من روابط الأزواج ، وسرد في الدرس وقائع تؤيد ما ذكره منها ان رجلا هجر زوجه —وهي ابنة عمه وله منها بنت— بغير ذنب غير الطمع في المال فكان كلما كلموه في شأنها قال : لتشتر عصمتها مني: ومنها ما هو أدهى من ذلك وأمر كالذين يتركون نساءهم بغير نفقات حتى

قد يضطروهن الى بيع أعراضهن وكالمطلقات المعتدات بالقروء يزعمون أن حيضهن حبس فتمر السنين ولا تنقضي عدتهن بزعمهن وما الغرض الا الالزام المطلق بالنفقة طول هذه المدة انتقاماً منه ، وكالذين يذرون أزواجهم كالمعلقات لا يمسكونهن بمعروف ولا يسرحونهن باحسان أو يفتدين منهم بالمال ، فأين الله وأين كتاب الله وشرعه من هؤلاء وأين هم منه ؟ انهم ليسوا من كتاب الله في شيء ولكن المسرفين أهواءهم يتبعون

باب العقائد

﴿ نموذج آخر من شرح عقيدة السفاريني ﴾

تنبيهات

(الاول) لاخلاف بين العقلاء ان الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا فى الكمال والنقص فتراهم يثبت أحدهم لله مايظنه كمالا وينفي الآخرين ما أثبته هذا لظنه نقصاً وسبب ذلك أنهم سلطوا الافكار على مالا سبيل اليه من طريق الفكر فان الله تعالى خلق العقول وأعطاها قوة الفكر وجعل لها حدا تقف عنده من حيث ماهي مفكرة لا من حيث ماهي قابلة للوهب الإلهي فاذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه أصابت باذن الله تعالى واذا سلطت الافكار على ماهو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها ركبت متن عمياء وخبطت خبط عشواء فلم يثبت لها قدم ولم ترتكن على أمر تطمئن اليه فان معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بادراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات وانما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة فهو اختصاص إلهي يختص به الانبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة وتصفية القلب من وضر البدع والفكر من نزغات الفلسفة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ومما يوضح ذلك ان العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وانزال الكتب واللازم باطل بالنص قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) فكذا الملزوم فلما بعث الله الرسل وأنزل الكتب وجبت لله على الخلق الحجة البالغة وانقطعت علقة الاعتذار (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه * لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ولما عجزت العقول من طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي وراء طورها ومنحها القبول وقد أنزل الكتاب وأنزل فيه ما حارت في ادراكه العقول من الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها الا الله أمرنا الشارع بالايمان بها ونهانا عن التفكر في ذات الله رحمة منه بنا ولطفا لعجزنا عن ادراكه فان تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة ونصب من غير عائده وطمع في غير مطمع وكد من غير منجع وقد أمرنا بالايمان بالمتشابه وفي الحديث « تعلموا القرآن والتمسوا غرائبه — يعني فرائضه أي حدوده — وهي حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله » رواه الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا » وروى نحوه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب» ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفا بنحوه وروى ابن أبي حاتم

من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به وهو من عند الله كله وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسوخهم في العلم ان آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه . ولما قدم ابن صبيغ المدينة المنورة وجعل يسأل عن متشابه القرآن أرسل اليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال عبد الله بن صبيغ فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه وفي رواية فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دَبَرَةً ثم تركه حتى برئ ثم أعاد عليه الضرب ثم تركه حتى برئ فدعا به ليعيده عليه فقال ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا أو ردني الى أرضي فأذن له الى أرضه وكتب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين . وفي فروع ابن مفلح من علمائنا ان عمر رضي الله عنه أمر بهجر ابن صبيغ لسؤاله عن الذاريات والمرسلات والنازعات انتهى وهذا من سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسد باب الذريعة والآية الشريفة دلت على ذم متبع المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم الى الله وسلموا اليه كما مدح الله تعالى المؤمنين بالغيب فعلى العاقل الناصح لدينه ونفسه أن يسلك مسلك السلف الصالح وأن يرقى على سلم التسليم فانه من أنجح المصالح وأن يؤمن بالمتشابهات من آيات الأسماء والصفات كما فعل الصحابة والتابعون ويمتثل من نبيه خاتم النبيين وامام المرسلين في قوله « وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا » فلقد بالغ في النصيحة بأدلة صحيحة وكلمات فصيحة فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته ورضي الله تعالى عن آله وصحبه والتابعين لهم باحسان وذوي الحق وحزبه

الثاني

اعلم ان مذهب الحنابلة هو مذهب السلف فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فالله تعالى ذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه الصفات من المحدثات فاذا ورد القرآن العظيم وصحيح سنة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بوصف للباري جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم

ووجب اثباته له على الوجه الذي ورد ونكل معناه للعزيز الحكيم ولا نعدل به عن حقيقة وصفه ولا نلحد فى كلامه ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا نزيد على ما ورد ولا نلتفت لمرطعن في ذلك ورد فهذا اعتقاد سائر الحنابلة كجميع السلف فمن عدل عن هذا المنهج القويم زاغ عن الصراط المستقيم وانحرف فدع عنك فلانا عن فلان وعليك بسنة سيد ولد عدنان فهي العروة التي لا انفصام لها والجنة الواقية التي لا انحلال لها والله تعالى الموفق

الثالث

قد ذم السلف الصالح الخوض فى علم الكلام والتقصي والتدقيق فيما زعموا انه قضايا برهانية وحجج قطعية يقينية وقد شحنوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتخيلات الكشفية والمباحث القرمطية وكان أئمة الدين مثل مالك وسفيان وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض و بشر الحافي يبالغون فى ذم الكلام وفي ذم بشر المريسي وتضليله حتى ان هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس قال يوماً بلغني ان بشر المريسي يقول ان القرآن مخلوق ولله علي ان أظفرني به الله لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحداً فأقام بشر متوارياً أيام الرشيد نحوا من عشرين سنة قال شيخ الاسلام بن تيمية وهذه التأويلات التي ذكرها بن فورك ويذكرها الرازي في (تأسيس التقديس) ويوجد منها في كلام غالب المتكلمة من الجبائي وعبد الجبار وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمي عثمان بن سعيد أحد مشاهير أئمة السنة من علماء السلف في زمن البخاري فى المائة الثالثة في كتابه الذي سماه (رد عثمان بن سعيد* على الكاذب العنيد* فيما افترى على الله من التوحيد) فحكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي ان المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته وقد أجمع أئمة الهدى على ذم أئمة المريسية وأكثرهم كفروهم وضللوهم وذموا الكلام وأهله بعبارات رادعة وكلمات جامعة قال أبو الفتح نصر المقدسي في كتابه (الحجة على تارك المحجة) باسناده عن الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي يقول ما

رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح ولما كلمه حفص الفرد من أهل الكلام قال لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه خلا الشرك بالله عز وجل خير له من أن يبتلى بالكلام وقال حكمي في أصحاب الكلام أن يصفعوا و ينادى بهم في العشائر والقبائل هذا جزاء من ترك السنة وأخذ في الكلام وقال سيدنا الامام أحمد عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم واياكم والخوض والمراء فانه لا يفلح من أحب الكلام وقال في علماء أهل البدع من المتكلمة لا أحب لاحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره الا الى البدعة فان الكلام لا يدعوهم الى خير فلا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء ادركنا الناس وما يعرفون هذا ويجانبون أهل الكلام وقال رضي الله عنه من أحب الكلام لم يفلح عاقبة الكلام لا تؤول الى خير أعاذنا الله واياكم من الفتن وسلمنا واياكم من كل هلكة وقد نقل عن هذين الامامين من ذم الكلام وأهله كلام كثير مذكور في كتب علماء السلف وعن عبد الرحمن بن مهدي قال دخلت على الامام مالك بن أنس وعنده رجل يسأله عن القرآن والقدر فقال الامام مالك رضي الله عنه للرجل لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فانه ابتدع هذه البدعة من الكلام ولو كان الكلام علما لتكلم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم كما تكلموا في الاحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل: فهل يكون أشد من هذا الانكار من هؤلاء الائمة الكبار وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة سمعت أبا حنيفة يقول لعن الله عمرو بن عبيد فانه مبتدع والنصوص عن أئمة الهدى في ذلك كثيرة جدا وروى الامام الحافظ شمس الدين الذهبي فى كتابه (العرش) بسنده الى أبي الحسن القيرواني قال سمعت الاستاذ أبا المعالي الجويني يقول يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ بي الى ما بلغ ما اشتغلت به وقال الفقيه أبو عبد الله الدسبي قال حكى لنا الامام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال دخلنا على الامام أبي المعالي الجويني نعوده في مرض موته فاقعد فقال لنا اشهدوا على اني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها السلف الصالح واني أموت على ما يموت

عليه عجائز نيسابور قال الحافظ الذهبي قلت هـذا معنى قول بعض الائمة عليكم بدين العجائز يعني انهن مؤمنات بالله على فطرة الاسلام لم يدرين ما علم الكلام قال الحافظ الذهبي وقد كان شيخنا أبو الفتح القشيري رحمه الله تعالى يقول

تجاوزت حد الاكثرين الى العلى ... وسافرت واستبقيتهم في المفاوز
وخضت بحارا ليس يدرك قعرها ... وسيرت نفسي في قسيم المفاوز
ولججت في الافكار ثم تراجع ... اختياري الى استحسان دين العجائز

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته الحموية وقد أخبر الواقف على نهايات اقدام المتكلمة بما انتهى اليه من مرامهم

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وقول بعض رؤسائهم

نهاية اقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقال

قال شيخ الاسلام ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني الله برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام قال شيخ الاسلام ثم اذا حقق عليهم الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر وما ذكرناه عن الأنباه قطرة من بحر لجي وبالله التوفيق

فان قلت اذا كان علم الكلام بالمثابة التي ذكرت والمكانة التي عنها برهنت فكيف ساغ للائمة الخوض فيه والتنقيب عما يحتويه ثم انك أتيت ما عنه نهيت وحررت ما عنه نفرت وهل هذا الا في بادي الرأي مدافعة وجمع للشيئين اللذين بينهما تمام الممانعة قلت ان ما ذهب اليه ذهنك من التمانع لممتنع وما سنح في خلدك من التدافع لمندفع بل العلم الذي نهينا عنه غير الذي ألفنا فيه والكلام الذي حذرنا منه غير

الذي صنف فيه كل امام وحافظ وفقيه فعلم الكلام الذي نهى عنه أئمة الاسلام هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل والإلحاد والأباطيل وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة والأخبار النبوية عن حقائقها الباهرة دون علم السلف ومذهب الأثر وما جاء في الذكر الحكيم وصحيح الخبر فهذا لعمري ترياق القلوب الملسوعة بأراقم الشبهات وشفاء الصدور المصدوعة بتراجم المحدثات ودواء الداء العضال وبازهر السم القتال فهو فرض عين أو عين فرض على كل نبيه وهو العلم الذي تعقد عليه الخناصر لدحض حجة كل متحذلق وسفيه فزال هذا الإشكال والله ولي الافضال » اه المراد

(المنار) ما ذكر من ذم السلف لعلم الكلام الذي يقصد به الجدل ثابت لا ريب فيه وقد يشكل على القراء ضرب عمر لصبيغ مع ما كان عليه المسلمون من الحرية في الصدر الأول حتى انهم لم يقتلوا أحدا من مثيري الفتنة على عثمان بل نفوهم من بعض البلاد الى غيرها عند ما رأى أمراء الامصار أثر فتنتهم فيها والسبب في تشديد عمر رضي الله عنه على صبيغ هو تعرضه للناس وتشكيكهم في دينهم فكان يجالس العامة والاعراب ويسألهم عن متشابه القرآن قال في القاموس عند ذكر اسمه «كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات فنفاه عمر الى البصرة» وخبر النفي هو المشهور وأما الضرب في النفس من كلامهم فيه شيء أقله المبالغة على ان الحاكم يجب عليه أن يدفع عن رعيته من يعتدي على عقائدهم وأفكارهم، كما يدفع عنهم من يعتدي على أجسامهم وأموالهم، وقد سبق لنا ذكر مسألة صبيغ في المنار ولا أذكر الآن الموضع الذي ذكرت فيه. وأما ذم الكلام على طريقة الجدل والتحيز للمذاهب فقد رجع اليه أكابر النظار من علماء الكلام بعد بلوغ الكمال كحجة الاسلام الغزالي والذي حققوه ان يلقن الجماهير من المسلمين عقيدتهم كما وردت في الكتاب والسنة من غير تأويل ولا جدل ولا خوض في النظريات وأن تذكر لهم الأدلة الكونية كما ذكرت في القرآن وان يذكر لهم وجه الاعتبار والخشية من ذكر صفات الله تعالى مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث فاذا ذكرنا قوله «وهو السميع البصير» نتدبر ذلك معتقدين انه لا يخفى عليه شيء من أقوالنا وأفعالنا ولا نبحث في كيفية سمعه وبصره كما لا نبحث عن كيفية علمه وقدرته

باب المقالات

الحياة الزوجية

(٦)

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون* (سورة الروم ٣٥—٢٠)

الركن الثالث من أركان هذه الحياة — الرحمة

تقدم ان الطور الاول من أطوار هذه الحياة خاص بالزوجين وهو سكون نفس كل منهما الى الآخر ذلك السكون الذي لا نظير له بين سائر المتحابين لغير اتحاد الزوجية وهو وجدان من وجدانات النفس لا يعرف كنهه الا الزوجان اللذان أحسنا الاختيار فتعارف الروحان وتمازج النفسان، فكانا حقيقة واحدة لها صورتان، وأن الطور الثاني يشاركهما فيه غيرهما وهو الود الذي تحدثه المصاهرة بين عشيرتي الزوجين الوديدين، ونبين في هذه المقالة ان الطور الثالث مشترك بين الزوجين وما يرزقان من الولد

الرحمة ضرب من ضروب وجدان النفس له مثار في النفس غير مثار السكون الى المحبوب والأنس به، وغير مثار مودة المشارك في المعيشة والمشابك في المصلحة، ذلك الذي يثير وجدان الرحمة، ويهز عاطفة الرأفة والشفقة، هو ما ترى في غيرك من ضعف أو سقم، أو حاجة يصحبها ألم، وهذا هو ملاك الحياة الزوجية عند حدوث الأمراض والأدواء، وعند ما تذوي غصن الشبيبة هاتيك الأهواء، ولو لم يودع الله تعالى الفطرة الا سكون الزوج لملامسة الزوج ومودة كل منهما للآخر للتعاون على المصالح والمنافع التي هي قوام معيشتها لكانت الحياة الزوجية نعيماً في الشباب بؤساً في الشيخوخة، سعادة في السراء، شقاوة في الضراء، يتمتع كل من الزوجين بصحة الاخر ونشاطه، وبسطته واغتباطه، حتى اذا لسعت أحدهما حمة الضر، أو عضته ناب الفقر، أو نالت السن من فتائه وجدته، ما لم تنل الناب من ثرائه وجدته، استحال سكون الآخر اليه اضطراباً منه، وانقلبت مودته اياه مقاطعة له، ويالذلك لو كان من نقص عظيم، ينافي خلق الانسان في أحسن تقويم،

لا تحسبن هؤلاء الذين يملون أزواجهم عند السقم أو الهرم فلا يرحمون لهن ضعفاً، واللواتي يملن أزواجهن في الكبر أو الفقر فلا يحفظن لهم عهداً، قد سلمت لهم فطرة هذا النوع الكريم، الذي خلقه الله في أحسن تقويم، كلا بل أفسدت الشهوات فطرتهم، ونكست الأهواء خلقتهم، فلهم من الانسان صورته وشكله، لا روحه ولا عقله، ولا كرمه ولا فضله، بل صاروا أعدى للإنسان من الشيطان، وأضرى بمضرته من سباع الحيوان، وأي خير يرجوه الإنسان في نوعه، أو الأمة في خاصتها، ممن لا خير فيه لمن انفصل لأجله عن أمه وأبيه، وأخته وأخيه وعشيرته التي تؤويه، واتصل به على عهد الله وميثاقه في الفطرة البشرية، والشريعة السماوية، فكان معه روحاً حلت في جسمين، وهيولى تجلت في صورتين، ثم لم يلبث بعد فراغ حظه منه، أن انفصل عنه، لا يرحم له ضعفه، ولا يعطف عليه عطفه، ؟ أليس المشارك له في النوع والصنف، أولى بهذه القسوة وهذا العنف، ؟ بلى ان هؤلاء الذين استعبدتهم الأثرة، واسترقتهم «الأنانية»، أعداء الأهل والأقربين، بل أعداء البشر كلهم أجمعين،

هذا الضرب من فساد الفطرة هو في الرجال أكثر منه في النساء والعدوى فيه تفعل فعلها في البيوت تسير سير البريد من بيت الى آخر ولا آسي يأسو هذا المرض الذي كاد يكون وباء. وأنى يوجد الآساة أو تنتفع الأمة بمن عساه يوجد منهم وطب القلوب مهجور وأهله كأهل طب الابدان منهم العالم العامل ومنهم الدجال المحتال وقد مضت سنة الكون بأن الأمة في طور ضعفها وضعتها تدين للدجالين المحتالين، وتنفر من العارفين الناصحين، لذا ترى مدعيي طب الأرواح عندنا من أكبر الأعوان على تخريب البيوت فمنهم الذين جعلوا طب القلوب الظاهر وسيلة لإعانة كل زوج على قهر الآخر بالتقاضي كبعض القضاة والمحامين، ومنهم الذين جعلوا طبها الباطن ذريعة الى استحلال المحرمات بالفعل اعتماداً على شفاعة الشافعين، والانتساب بالقول الى المشايخ الميتين،

فطر الله تعالى قلوب البشر على الرحمة ليتراحموا فلا يهلك فيهم العاجز والضعيف، وكل احد عرضة لاستحقاق الرحمة في يوم من الأيام، وجعل سبحانه حظ الوالدين والزوجين من الرحمة أرجح ليعنى بكل فرد من الناس أقرب الناس

منه عند شدة الحاجة الى العناية والكفالة فالزوج لزوجه عند الضعف في المرض أو الكبر ، كالوالدين لولدهما عند ضعفه في الصغر ، بل تجد المرأة أرحم ببعلها في مرضه أو كبره من أمه لو وجدت وتجد الرجل أرحم بسكنه في مرضها أو كبرها من أبيها لو وجد اذا كانت الفطرة سليمة ، فان لم يكن كل من الزوجين أرحم بالآخر في كبره من والديه فانه يقوم مقامهما اذ لا يضعف كل من الزوجين ويحتاج الى الرحمة الا بعد موت الوالدين في الغالب فان مرض وهما في صحتهما فانهما يكونان بعيدين عنه لا يسهل عليهما ترك بيتهما ومن عساه يكون فيه من محتاج الى رحمتهما لأجل لزام ولدهما الكبير المتزوج . فظهر ان كلا من الزوجين في حاجة الى رحمة الآخر به عند ضعفه لا يقوم بها سواه من الأقربين أو المستأجرين مقامه فيها

ليست الأريحية في سكون الزوج الى زوجه عند داعية المسيس ولا أريحية مودته ومودة أهله في المعاشرة والمعاملة بأكبر من الأريحية التي يجدها الرحمته به وحنوه عليه في حال الضعف ، فإن الانسان يشعر بالارتياح من عناية غيره به عند الحاجة ما لا يشعر بها عند الاستغناء ، فالضعفاء والمرضى والمملقون يكبرون من أمر الوفاء والاعتناء ، ما لا يكاد يشعر به الاقوياء والأصحاء والأغنياء ، « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وان من طغيانه أن يعتقد أن كل من يحفل به ويعنى بشأنه فانما يفعل ذلك لأجل نفسه لا لأجله هو لان الناس في حاجة اليه وهو ليس في حاجة اليهم ، وقد يبلغ به الطغيان الى ادخال زوجه وولده في هذا الحكم فاذا تحول مد طغيانه الى جزر بالمرض أو الحاجة رق قلبه ولطف شعوره وكان أعدل في الحكم وأقرب الى عرفان قدر النعمة والشكر عليها

يسمون مسألة الزواج مسألة « مستقبل الانسان » وان كنت تجد في الاغرار من لا يفكر عند ارادة التزوج بمستقبله مع من يختاره زوجا له فانك لا تكاد تجد من لا يعبأ بهذا المستقبل اذا ذكر به فأعمل فكره فيه الا ما يكون من بعض المترفين اذا فتن أحدهم بجمال امرأة يود أن يقضي منها وطرا ثم لا يبالي ما يكون بعد ذلك ومثل هذا اذا مل طلق ولا تكاد تجد امرأة ترضى بالتزوج بمثله ، على أن هذا النوع من الازدواج ، هو أشبه بالاستئجار أو البغاء منه بالزواج ، وانما

الزواج الشرعي الطبيعي ما كان عن ارادة الاشتراك في الحياة مدة الحياة والا كان متعة بالغش والمخادعة ولا أرى الشيعة يدينون بجواز هذا الضرب من المتعة لان الغش محرم بالاجماع لا خلاف في ذلك بين سني وشيعي . واذا كانت مسألة الزواج هي أعظم مسائل مستقبل الانسان الخاصة أفلا يكون من أعظم الشقاء أن يبدأ أمر الزوجين بالسكون والود في السراء ، وينتهي بالاضطراب والتخاذل في الضراء ، يشكر أحد الزوجين للآخر عند إمكان استبداله أو الاستغناء عنه ، ويكفره أحوج ما كان اليه ، أي عاقل يرضى بهذه الخاتمة السوءى اذا علم بها أو ظن أن ستكون؟

لا شيء يخفف أثقال الفقر وأوزاره عن كاهل الرجل يحمله مثل المرأة التي ترحمه في فقره فتظهر له الرضى والقناعة ولا تكلفه ما تعلم ان يده لا تنبسط له فما بالك اذا كانت ذات فضل تواسيه به ، ولا شيء يعزي الانسان عن مصابه في نفسه وغيره مثل المرأة للرجل والرجل للمرأة اذا ظهرت عاطفة الرحمة في أكمل مظاهرها فشعر المصاب بأن له نفسا أخرى تمده في القوة على مدافعة هذه العوارض التي لا يسلم منها البشر ، واعكس الحكم في القضيتين ، يتجلى لك وجه الصواب في الصورتين ،

اذا كان لركن الزوجية الاول وهو السكون المعهود تأثير في الثاني وهو المودة فلا ريب أن الركن الثالث وهو الرحمة يكون أثرا للركنين قبله أو فرعا لهما فعلى قدر السكون والمودة بين الزوجين في النعماء ، تكون الرحمة بينهما في البلاء ، لأن مصاب الوديد المحبوب يعيد للنفس ذكرى جميع حسناته ، وطيب أيامه وأوقاته ، ويمثلها في أبهى حللها ، ويعرضها على النفس في أجمل معارضها ، (المعرض هو الثوب الذي تجلى فيه العروس) فيخيل الى المحب ان تلك الحسنات واللذات قد اجتمعت وان المصاب يحاول أن يشتت شملها ، ويقطع حبلها ، فهو يواثب لذاته المجتمعة في شخص محبوبه ، ويحاول سلب منافعه باغتيال نفس وديده ، فمن أراد أن يحسن مستقبله في هذه الحياة فليجتهد أولا في حسن اختيار الزوج ثم ليخلص له المودة ثانيا ليتمتع بوفائه أولا وآخرا وباطنا وظاهرا

ما أجهل الرجل يسيء معاشرة امرأته وما أحمق المرأة تسيء معاشرة بعلها ، يسيء أحدهما الى نفسه من حيث يسيء الى الآخر فهو مغبون غالبا ومغلوب وما رأيت

ذنباً عقوبته فيه كذنب اسائة الزوج الى الزوج بل أرى العذاب يضاعف في الدنيا على ذنب الزوجية فيكون زوجاً لا فرداً وكل ذنب له عقوبة في النفس أو فيما يتعلق بالنفس تكون أثرا طبيعياً له الا ذنب أحد الزوجين في مغاضبة الآخر فانه هو نفسه عقوبة لنفس مقترفه يؤلمها ويمضها ثم انه يلد لها عقوبة أو عقوبات أخرى تكون أثرا له كسائر الذنوب . ولكن أثر ذنب الزوجية ليس كآثار غيره لأنه هو ليس كغيره فكبر الآثار وصغرها تابع لحال المؤثرات

أنهاك أيها المعزابة أن تسارع الى الزواج مهما تمادت بك العزوبة الا بعد حسن الاختيار ، وأنهاك أيتها الأيم وأولياءك أن تجيبوا خاطباً الا بعد التروي في الاختبار ، وأعظكما اذا أنتما تزوجتما فلم تجدا ذلك السكون النفسي كاملا ، وذلك الودّ الطبيعي مواصلا ، أن يتحبب كل منكما ويتودد الى الآخر ما استطاع ويجعل أكبر همه في هبته واستيهابه قلبه لتحسن الحال ، ويرجى حسن العاقبة في المآل ، فان عجزا عن ذلك بعد الإخلاص فى طلبه ، والجد في إدراكه ، فليتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله عليماً حكيما

اذا رزق الله الزوجين الولد تنمو به بينهما المودة والرحمة ويكون هو منبعاً لرحمتها فاشترا كهما في هذه الرحمة الوالدية التي لها مصدر واحد ومورد واحد يؤكد الصلة بينهما فبيناهما معتصمان بحبل الزوجية الذي هو من أقوى الروابط الحيوية اذا هما معتصمان بحبل الوالدية الذي هو أقواها على الاطلاق وكيف لا يكون كذلك ورابطة الزوجية هي طاقة من طاقات حبل الوالدية اذ الوالدان هما الزوجان قد انتجا فكملت حيويتهما وجاءت بثمرتها .

كل واحد من الوالدين يشعر من حيث هو والد بما يشعر به الآخر ويملكه الوجدان الذي يملك الآخر وتتولد فيه الآمال التي تتولد في الآخر ويكون جده وسعيه لمثل ما يجد ويسعى له الآخر ويرى سعادته عين سعادة الآخر ، أرأيت هذا الاتحاد في هذه الشؤون كلها اذا صافح اتحاد الزوجية وعانقه كيف يكون حال المتحدين في تراحمهما وتعاطفهما بل في تمازجهما وفناء كل منهما في الآخر ؟ لو كانت المسألة نظرية محضة لحكم الناظر فيها مع سلامة الفطرة بأن الحياة الوالدية

هي كمال الحياة الزوجية وان هذا الكمال هو الذي ليس بعده كمال فالوالدان هما أسعد الناس بنفسهما وولدهما لا يتصور أن يقوى الزمان على شت شملها ، أو نكث فتلهما ، وإن اتحادهما هذا لأكبر عون لهما على أحداث الزمان ، وأفعال الطبيعة في الانسان ،

ما كان لسليم الفطرة الذي يعيش بمعزل عن فاسدي الأخلاق معتلي الطباع أن يتخيل وقوع نزاع يتمادى بين الزوجين الوالدين بله المغاضبة التي تفضي الى المباغضة ، والمناصبة والمناهضة ، على نحو ما يكون بين أصحاب الترات الموروثة ، والاضغان المخبوءة ، كما يقع الآن على مرأى منا ومسمع والمعنا اليه من قبل . لكن الفساد قد بلغ من هذه الأمة مبلغاً لا يصدقه عاقل ، ولا يتخيله فاضل ، الا أن يرى بعينه ، ويسمع بأذنه ، وقد أحصى الأستاذ الامام عليه الرحمة قضايا سنة في احدى المحاكم الأهلية فبان له أن ٧٥ قضية منها كانت بين الأقربين فما بالك بقضايا المحاكم الشرعية ولعل ٩٩ منها فى المئة بين الازواج والوالدين

سبق القول بأن الحياة الزوجية هي أصل الحياة الوطنية والحياة الملية فاذا كانت الأولى سعيدة كان ذلك أصلا في سعادة الأمة واذا كانت شقية كان ذلك علة لشقاء الأمة لان الأمة مؤلفة من هذه البيوت فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه لأمته ، كما علمت من حديث «خيركم خيركم لأهله» فما دامت حياتنا الزوجية مختلة معتلة فلا يرجى لنا أن نحيا حياة ملية طيبة . وان هذا الشقاء في الأمة والبيوت هو فى المسلمين أثر من آثار ترك عقائدهم وآدابهم الدينية ، وتقطيع روابطهم الملية ، فخسارتهم لسعادة الدنيا دليل على أنهم — ان لم يعودوا ويتوبوا — سيخسرون سعادة الآخرة وذلك هو الخسران المبين

نقف عند هذا الحد في بيان أركان الزوجية الثلاثة التي نطقت بها الآية الكريمة في السورة التي ورد فيها أن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فقد شرحناها بما أملته علينا الفطرة ، وهدتنا اليه الفكرة ، اذ هي التي أرشدتنا الى ذلك بخاتمها «ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون»

فتاوى المنار

فتحنا هـذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبـه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعـد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله .

أسئلة من سنغافوره

(س ٣٣–٣٥) السيد سالم بن أحمد عبد الفتاح في سنغافوره : اني رأيت جريدتكم «المنار» الأغر في أبهى الكمال لارشاد أهـل الضلال والبدع واني سائلكم أن تفتونا عن الأسئلة الآتية

(١) ماقولكم فيمن اعتادوا تلطيخ قبلة المسجد بالسواد وغيره من أصناف الألوان وتقطيع أطراف أثوابهم والصاقها بالبصاق على حيطان المساجد من داخلها

(٢) ماقولكم فى تقبيل شواهد الأموات والتوسل بها والدعاء بهذه الدعوات: عباد الله جئنا كم طلبنا كم، أغيثونا أعينونا بهمتكم وجدوا كم:

(٣) في ليلة نصف شعبان من كل سنة يفككون الصناديق والحواصيل (كذا) ويزعمون ان في تلك الليلة تقسيم وتوسيع الأرزاق . وفى أول ليلة من السنة الجديدة يجمعون شيئاً من النقود وغيرها كالحلي وشيئاً من حشيش الأرض يسمونه «السعدى» وعوداً من نخل المدينة ويجعلون الجميع فوق غطاء قـدر ويزعمون ان تلك السنة تدخل عليهم بهذه الاشياء التي فعلوها . افتونا في ذلك ودمتم مأجورين:

(ج) عن تلطيخ جدران المساجد وإلصاق الخرق عليها

تلطيخ قبلة المسجد وجدرانه بالسواد وغيره من الألوان ينظر فيه من وجهين القصد منه وأثره في شغل المصلين به عن الصلاة فان كان القصد منه تلويث المسجد وتقذيره كما تشعر به كلمة «تلطيخ» فهو معصية وقد ذكر بعض الفقهاء ان من يلطخ المسجد بنجس أوقذر يكون مرتداً يعنون انه لا يعقل أن يهين أحد بيتاً ينسب الى الله تعالى بتخصيصه لعبادته فيه وهو يؤمن بأن هذه العبادة حق شرعـه الله

تعالى وكأنهم لم يلتفتوا الى احتمال أن يقع تقذير المسجد من غافل عن الكفر بالله وعن حقية العبادة التي تؤدى في هذا المكان ولكن القرائن قد تكون دالة دلالة قطعيـة على ان ملوث المسجد غير كافر بالله ولا منكر لشيء من شريعة أهل المسجد ولا قاصد الى اهانة المسجد ولا وجه للحكم بالردة حينئذ والتلويث محظور على كل حال ولا وجه لإباحته.

وان كان القصد منه تزيينه بالألوان فحكمه على كونه خلاف السنة يختلف باختلاف حال المصلين فان كانوا قداعتادوا الصلاة في المساجد المزوقة بالألوان فصارت لاتشغل قلوبهم عن معنى الصلاة من التوجه الى الله تعالى وتدبر ذكره وكلامه فيها فالأمر في التزيين أهون اذليس فيه الا المخالفة السنة التي جرى عليها سلف الأمة في الأمور الظاهرة من غير اخلال بأمور الدين الباطنة كالتوجه الى الله تعالى والخشوع لذكره وتدبر كلامه، وان كان المصلون في هذا المسجد غالباً لم يعتادوا ذلك فالأمر أشد لأن هذا العمل يكون مخالفاً لآداب الدين الظاهرة والباطنة كما علمت

هذا ما يقال في فقه المسألة وأما المروي في المساجد مما يتعلق بها فكثير ومنه ما رواه أحمد ومسلم من حديث أنس مرفوعاً «إن هذه المساجد لاتصلح لشيء من القذر والبول والخلاء وانما هي لقراءة القرآن وذكر الله والصلاة» ومنها حديثه عند أحمد والشيخين «النخاعة في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها» وفي رواية أخرى البصاق بدل النخاعة وقد كانت أرض المسـجد تراباً لافرش عليها وكفارتها في مساجدنا أن تمسح وينظف المحل وقد ورد في الحديث النهي عن البصاق في المسجد ومن تنحم فليبصق في ثوبه أي كمنديله وورد في البصاق فيه وعيد شديد

وجاء ذكر زخرفة المساجد في بعض الأحاديث التي وردت في علامات الساعة وفى افتراق الأمة مقرونة الى بدع وضلالات يقتضي السياق أنها مثلها كحديث عوف بن مالك عند الطبراني «كيف انت ياعوف اذا افترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها فى الجنة وسائرهن في النار؟ قال وكيف ذلك قال اذا كثرت الشرط وملكت الاماء وقعدت الجهلاء على المنابر واتخذوا القرآن

مزامير وزخرفت المساجد ورفعت المنابر واتخذ الفيء دولا والزكاة مغرماً والامانة مغنما وتفقه في دين الله لغير الله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأقصى أباه ولعن آخر هذه الامة أولها وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل اتقاء شره فيومئذ يكون ذلك» الحديث وهو ضعيف وله شواهد في زخرفة المساجد وغيرها كحديث أبي الدرداء عند ابن أبي الدنيا في المصاحف «اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فعليكم الدمار». وأقوى من ذلك حديث ابن عباس عند أبي داود «ماأمرت بتشييد المساجد» وفسره ابن عباس بزخرفتها كما زخرفت اليهود والنصارى وفي فقه المسألة حديث عثمان بن طلحة عند أحمد وأبي داود وفيه «فانه لا ينبغي أن يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي»

ومنها في أشراط الساعة حديث ابن مسعود الطويل عند الطبراني ومنه «يا ابن مسعود ان من أعلام الساعة وأشراطها أن تزخرف المحاريب وأن تخرب القلوب يا ابن مسعود ان من أعلام الساعة وأشراطها أن تكنف المساجد وتعلو المنابر» الحديث. وله حديث آخر فيه هذا اللفظ وهو عند البيهقي في البعث وابن النجار قال البيهقي اسناده فيه ضعف الا أن أكثر ألفاظه قد روي بأسانيد متفرقة: أقول منها حديث أنس عند أحمد وأصحاب السنن ماعدا الترمذي ان النبي (ص) قال «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» وقد صححه ابن خزيمة وأورده البخاري تعليقاً بلفظ يتباهون بها ثم لا يعمرونها الا قليلا:

واما إلصاق قطع من أطراف ثيابهم بجدر المسجد فالذي تبادر الى فهمي أنهم يقصدون به دفع ضرر أوجلب منفعة قياساً على مانراه في هذه البلاد وغيرها من ربط بعض الجاهلين قطعاً من أثوابهم ببعض الاشجار المعتقدة أو أضرحة الموتى المشهورين بالصلاح أو أبواب الحجرات التي دفنوا فيها وكل هذه الاعمال مما تبع فيه المسلمون الجغرافيون سنن من قبلهم من الوثنيين بعد انتقال هذه الاعمال الوثنية الى أهل الكتاب فلا حاجة الى اطالة القول فيها ولا شبهة على هذه البدع لاعداء السنة وأنصار البدعة الا جعلها من أذيال مايسمونه زيارة القبور وأين زيارة القبور المأذون فيها للاعتبار بالموت من هذه الاعمال الوثنية

(ج) عن تقبيل أحجار القبور ودعاء الموتى والتوسل

يريد السائل بشواهد الموتى الاحجار الكبيرة التي توضع تجاه رؤوس الموتى من قبورهم وتقبيل هذه الأحجار من سنن الوثنية وأقبح البدع في الاسلام وأما دعاء الموتى فهو عبادة حقيقية لهم وان غير المبتدعون اسمها وأطلقوا عليها لفظ التوسل وقد كان هذا النوع من العبادة وهو دعاء غير الله أي نداؤه لطلب المنفعة منه أو دفع الضرر أو التقرب به الى الله واتخاذه شفيعاً هو جل ما يعرف من عبادة المشركين لغير الله ولذلك فسر الدعاء بالعبادة حيث ورد في هذا المقام من القرآن. قال تعالى في سورة الاعراف «ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين» وقال تعالى في سورة فاطر «ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير» وقال في سورة الجن «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» والآيات في هذا لا تحصى وقال تعالى في سورة يونس «ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» الآية وقال تعالى في سورة الزمر «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» الآية. وقد فصلنا القول في هذه المسألة في المجلدات السابقة مراراً كثيرة وفندنا فيها مزاعم أهل التحريف والتأويل فليراجع ذلك في محاله مع الاستعانة بالفهرس. يطلب منه لفظ التوسل ولفظ الشفاعة ولفظ قبور الصالحين أو القبور مطلقاً

(ج) عن بدع ليلة نصف شعبان وأول السنة

قد كتبنا في بدع ليلة نصف شعبان غير مرة فمنها ما كتبناه في الجزئين السابع عشر والرابع والعشرين من المجلد السادس ومنها ما كتبناه في الجزء الذي صدر في ٦٠ شعبان من المجلد الثالث وغير ذلك. ولم نذكر فيما أوردناه من بدع الناس في هذه الليلة مسألة تفكيك الصناديق والحواصيل للاستعانة على سعة الرزق وكأن هذا من الخرافات المعروفة ببلاد السائل دون البلاد التي عرفناها وهي خرافة يتبرأ منها الاسلام ومن ينتسب اليه بحق. ومثله ماذكره من خرافاتهم في أول السنة ويشبه أن يكون هذا من خرافات بعض العجائز الجاهلات ويطلق المصريون

على أمثال هذه السخافات اسم « علم الركة » يعنون به تقاليد النساء وخرافاتهن ومزاعمهن وهن قلما يسندن شيئاً من هذا الجهل الذي يسمينه علما الى الدين، ولولا ان علم الركة في سنغافوره وأمثالها من البلاد التي يغلب فيها الجهل يستند في بعض مسائله الى الدين لما احتاج السائل الى جواب عن هذه المسألة يحتج به على الجاهلين

دعوى الرقيقة بعد موت السيد انها أم ولد له

(س ٣٦) عوض بن جميعان سعيدان (بسنغافوره) (*) ماهو الحكم في جارية رجل تسكن معه في بيت وتتولى خدمته ثم مات عنها وزعمت أنه يطوؤها فهل قولها كاف فى اثبات نسب الابن ومايترتب عليه ؟ أم لا بد من عدم معارضة ورثة سيدها ان كان له ورثة أولا يكفي الا استلحاق الحائز للتركة للابن ؟ أم لا بد من ارقاق الجارية وولدها الا باقرار السيد لاغير وإقامة الحد عليها ؟ أفيدونا بما تعتقدون انه الحق والمسألة واقعة والخبط والخلط كثير لازلتم هداة للحق دعاة للصدق

(ج) سكنى الجارية في بيت سيدها لايجعلها فراشاً الا اذا أقر انه جعلها كذلك اقرارا صريحاً فان جاءت بولد في حياته وادعاه كان ولده بلاخلاف وكانت هي أم ولد لها حكمها المعروف وان لم يدعه فكذلك عند مالك والشافعي وأحمد لانه يكفي عندهم اعترافه بوطئها وهو الذي أعتقد . ولا حاجة لذكر دعواه الاستبراء أو نفيه الولد لأنه ليس مما نحن فيه وما نحن فيه دعواها انه اتخذها فراشاً ولا بد في إثبات ذلك من بينة وحاصل الخلاف في المسألة أن الحنفية يقولون لايثبت كون ولد أمته ابناً له الا باستلحاقه كأن يعترف به إن ولد وهو حي أو يقول ان جاءت بولد فهو ابني أو مني ثم يموت فتلد بعد موته . وعند الائمة الآخرين يكفي فى ذلك أن يعترف بوطئها فأما مجرد دعواها بعده فلا يثبت بها شيء . وان كان هناك ورثة واعترفوا بأن الولد لمورثهم من جاريته فلا نزاع ولا اشكال والا فالجارية على رقها مالم تأت ببينة على اقرار سيدها بافتراشها وأما اقامة الحد عليها فالشبهة تدرؤها فيما نعتقد

(*) ذكرنا في الجزء الماضي السؤال عن لعن معاوية أو الترضي عنه مسنداً لهذا السائل وانما جاءنا بامضاء (م٠م) وهو أحد القراء ولم يأذن بالتصريح باسمه

تفسير « فاذا هما اجتمعا لنفس مرة »

(س٣٧) ومنه : ما الذي ترونه صوابا في قول الشاعر

* الرأي قبل شجاعة الشجعان * الى قوله

فاذاهما اجتمعا لنفس مرة   بلغت من العلياء كل مكان

أنشد البيت أحد الأدباء « مِرّةٍ » على انه مصدر بمعنى القوة صفة لنفس فاعترضه شاعر بأن الشاعر لم يقل الا « مَرَّةً » أي اجتمعا معا فاحتج الاديب بما قاله بعض الشراح كالعكبري وبجواز الوصف بالمصدر كما في ألفية ابن مالك فأجاب الشاعر ان شرط جواز المصدر لم يتحقق . فتأول الاديب واحتج بأن مرة لم تذكر في القاموس ولا كتاب لسان العرب بمعنى «معاً» كأن يقولوا جاء الزيدان مرة: أي معا كما يستعملونها للعدد سواء . فما هو الحق فيما ذكر أفيدونا :

(ج) الاصل الذي يبنى عليه الترجيح بين الأقوال في مثل هذه المسألة هو الرواية فالشاعر الذي ضبط « مرة» في البيت بفتح الميم يحتاج فى اثبات قوله الى رواية معروفة عن أبي الطيب المتنبي انه قال «مرة» بالفتح والى رواية أخرى عن كندة بأن هذه الكلمة تستعمل في لسانهم ظرفاً بمعنى « معاً » فإن لم يستطع اثبات الرواية فما عليه الا أن يعتمد الرواية التي سنذكرها أو يتابع الاديب في قراءة مرة بالكسر كما ضبطها شراح ديوان المتنبي . قال الواحدي في شرحه :

* فاذاهما اجتمعا لنفس مرة * أي أبية للذل والضيم ولا تستلينها الاعداء : وقال العكبري: النفس المرة هي القوية الشديدة من مر الحبل والمرة الشدة ومنه قوله تعالى « ذومرة فاستوى» والنفس المرة التي هي لا تقبل الضيم : وظاهر كلامهم أن مرة صفة وهو غير معروف وانما فسروه بالمعنى والاصل ذات مرة فحذف المضاف . وما قاله الشاعر في الوصف بالمصدر كان يستغنى عنه بقولهم ان الوصف به على كثرته سماعي وان ما ذكر من شروطه انما ذكر لضبط المسموع لا لأجل القياس . ومن الروايات المتداولة في البيت ولم يذكرها الشارحان * فاذاهما اجتمعا لنفس حرة * بالحاء المهملة وصف من الحرية وهي أظهر معنى وأصح مبنى ولا يبعد أن تكون مرة محرفة عن حرة والله تعالى أعلم

﴿ أسئلة من الجزائر ﴾

جاءتنا الاسئلة الآتية من الجزائر وأحب مرسلها أن يرمز الى اسمه بكلمة « غو يشم » قال بعد الثناء والسلام :

﴿ الفتن بين الصحابة رضي الله عنهم ﴾

(س ٣٨) انني أحببت أن أشرب من بحر علومكم فهم مسألة الفتن الواقعة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع علمهم لاشك بأفضلية بعضهم على بعض وسبب قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه وكيف نسلك طريق الاعتقاد في ذلك تفصيلاً وتحقيقاً وتعميقاً وتدقيقاً ومرادنا من استمداد هذا المرغوب من حضرتكم الفخيمة لكونها نتيجة حضرة المغفور له مولانا الاستاذ الامام الشيخ سيدنا محمد عبده رضي الله عنه فنحصل على بعض أفكاره في المسألة رحمه الله وأعزكم من بعده

(ج) لايمكن التفصيل والتحقيق المطلوب في هذه المسألة في جواب سؤال وانما يكون ذلك في مصنف خاص بها ولو ذكرنا خلاصة وجيزة لمصنف وضعه أو هيأه لصعب التسليم بها على من لم يطلع اطلاعه ولم يقتنع بمأخذه لتلك الخلاصة وأحب لكم أن تقرءوا ما كتبه رفيق بك العظم في كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) وتعملوا رأيكم في ذلك وتراجعوا فيه كتب التاريخ حيث تجدون حاجة المراجعة وما يشتبه عليكم بعد ذلك فراجعونا لنبين لكم رأينا فيه . على اننا نذكر هنا شيئاً وجيزاً ينير لكم طريق البحث

أما علم الصحابة عليهم الرضوان بفضل بعضهم على بعض فهو على كونه ضروريا في الجملة وكونه على غير ما يظن الجمهور في التفصيل لايستلزم عدم وقوع الخلاف فان معاوية اذا كان يعلم ان علياً يفضله في العلم والتقوى فقد يعتقد انه هو يفضل علياً في السياسة والادارة وقول العلماء « يوجد في المفضول مالا يوجد في الفاضل » معقول لاسبيل الى انكاره وهو مما لايخفى على عاقل ويؤيده استدراك التلميذ على الاستاذ والمبتدي على المنتهي في مسائل يكون هو المصيب فيها ولاجل ذلك نبحث في كل ماقاله العلماء الراسخون وأئمة الفنون الواضعون رجاء أن نعلم مالم

يعلموا أو نصيب بعض الأغراض التي أخطأوا كما قال الامام مالك رضي الله عنه: كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر : يشير الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويريد بعموم كلامه الصحابة فمن دونهم من علماء التابعين وهو يعلم ان فيهم من لا يُعد ممن يفضله في فهم الشريعة والوقوف على أحكامها . اذا فهمت هذا فلا تعجب لاختلاف الصحابة يوم السقيفة ولا يوم اختيار أحد الستة الذين جعل عمر الأمر فيهم ولا لاختلاف علي ومعاوية فان الصحابة لم يكونوا كالاشاعرة والماتريدية لهذا العهد مقلدين لشيوخهم بأن أفضلهم فلان ففلان الخ ولا ممن يقول إن الأفضل يجب أن يكون هو الخليفة . على أن الاشاعرة وغيرهم يجوزون إمامة رجل مع وجود أفضل منه اذا كان المولى حائزا الشروط التى لابد منها للإمامة

ثم اعلم أن كبار الصحابة كانوا يعلمون من مجموع ما جاء في الكتاب العزيز عن الشورى ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في سياسته وأحكامه ومن جعله الخلافة في قريش ان شكل الحكومة الاسلامية يجب أن يكون وسطاً بين ما يسمى اليوم حكومة جمهورية وحكومة ملكية ووسطا بين ما يسمى اليوم حكومة الأشراف وحكومة الافراد أعني أن الذي فهموه كان وسطاً حقيقياً بين ما ذكرت من غير ملاحظة هذه الاطراف وكونه وسطاً بينها . فلهذا لم يجعلوها في آل البيت خاصة بهم اذ لو فعلوا ذلك لكانت من نوع حكومات الأشراف التي استعبدت الناس وجعلت الملك إلهاً معبوداً ولا تستبعد أنهم كانوا يفطنون لهذا الأمر لاسيما مع علمك بما أوتوه من نور البصيرة الذي أعشى شعاعه بصائر الفلاسفة والحكماء حتى هذا العهد وقد رأيت أن هذا الامر وقع بالفعل من الفاطميين عند ما جعلوا الخلافة تراثاً فيهم لمكان نسبهم

ومن هنا تعرف سبب تألب الناس على عثمان بعد أن قويت عصبية بني أمية باستكثاره من استعمالهم حتى خيف أن يتحول وضع الخلافة عن الشرع ويصير حكم أشراف يقوم بالعصبية . وعثمان لم يكن يقصد هذا ولكن الحوادث مهدت له بما كان من لينه وحيائه وشره قومه وطمعهم فيه حتى أحس المسلمون بالخطر قبله وهو

لايرى قومه في جواز استعمالهم الاكسائر الناس . فارجع بعد هذا الى ماقلناه في تقريظ كتاب (أشهر مشاهير الاسلام) في الجزء الثالث عشر من منار هذه السنة . وحسبك الآن هذه التنبيهات ، وعليك بعد كثرة القراءة بمراجعتنا في المشكلات .

﴿ ثبوت رمضان بقول المنجم ﴾

(س٣٩) ومنه: ثم أستفتيكم في مسألة ثبوت شهر رمضان بقول المنجم ولماذا قال خليل «لا بمنجم»

(ج) راجع ص ٦٩٤ ومابعدها من المجلد السابع تجد القول في ذلك مفصلا تفصيلا

﴿ صلاة النساء في المساجد ﴾

(س٤٠) ومنه: هل يجوز للمرأة أن تصلي في المسجد أم لا؟ لأن في بلادنا رجالا طغاة بمالهم وجاههم حرموا المساجد على النساء وأحلوا لهم العفرات (كذا)

(ج) كان النساء على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلين مع الرجال في المسجد يقفن وراءهم فصلاتهن في المسجد سنة متبعة ثابتة لم يختلف في صحتها أحد من المسلمين فتحريم ذلك على الإطلاق جهل فاضح . والاحاديث القولية في ذلك كثيرة أشهرها حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «اذا استأذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فأذنوا لهن» رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن ماعدا ابن ماجه ولكن ورد أن يخرجن غير متبرجات بزينة فقد روى أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة مرفوعاً «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات» أي غير متطيبات قالوا ويلحق بالطيب مافي معناه من المحركات لداعي الشهوة كالحلي والحلل وجميع ضروب الزينة . وروى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي في سننهما من حديثه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة» وأعم منه حديث زينب امرأة ابن مسعود في صحيح مسلم «اذا شهدت احداكن المسجد فلاتمس طيباً» نعم ورد أيضاً أن صلاة النساء في بيوتهن أفضل من صلاتهن في المسجد

فقد روى أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر «لاتمنعوا النساء أن يخرجن الى المساجد وبيوتهن خير لهن» وله شواهد . وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خير مساجد النساء قعر بيوتهن» وفي اسناد الحديث ابن لهيعة ممن طعن في روايتهم ويجوز حمله على غير صلاة الجماعة . وفي الباب رأي عائشة رضي الله عنها قالت: لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى من النساء مارأينا لمنعهن من المسجد كما منعت بنو اسرائيل نساءها» رواه الشيخان وعلى هذا الرأي بني المتأخرون منع النساء من المساجد فهو اجتهاد لايصح أن ينسخ النص القطعي الصريح ويحرم ما أحل الله ورسوله نعم إن علم أن خروجهن الى المسجد يكون سبباً للفتنة جاز أو وجب منع من يعلم أو يظن الافتتان بهن فقط مع ازالة سبب الفتنة ولكن لا يصح أن يقال ان خروجهن الى المسجد وصلاتهن فيه محرمة عليهن ولا أن يجعل حكما عاماً مطلقاً

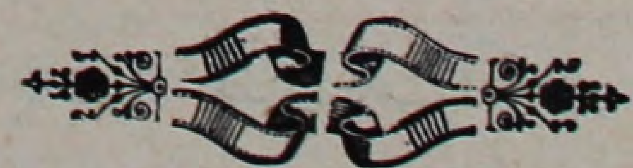
﴿ ذنوب الخطيب الذي يحث على الكسل والخرافات ﴾

(س٤١) ومنه: كم هي ذنوب الخطيب الذي لا يأمر الناس الا بالعجز والكسل والموت والخرافات والتقليد وسيء العادات ؟ لازلت بحرا يستجلب دره ، ومزناً يستوكف دره ، والسلام

(ج) هذا الخطيب شر خطباء الفتنة وذنوبه لاتحصى الا اذا أمكن احصاء تأثيرها الضارّ في الأمة وأنى يحصى وهو من الامور المعنوية التي لاتعرف بالعد والحساب فمن سيئات هؤلاء الخطباء وآفاتهم في الأمة أن كانوا علة من علل فقرها وضعفها في دينها ودنياها وضياع ممالكها من أيديها، فهم أضر على المسلمين من الأعداء المحاربين ، ومن دعاة الضلال الكافرين ، ومثلهم كمثل الطبيب الجاهل يقتل العليل ، وليس هذا محل شرح سيئاتهم بالتفصيل، ولكن لابد من التنبيه على سيئه منها حادثة لم تكن من قبل وهي ان أبناء المسلمين الذين تعلموا العلوم العصرية وعرفوا أحوال الامم وسياستها ، وتأثير آدابها في مدنيتها، وعزتها ولم يقفوا على حقيقة الآداب الاسلامية ، ولا غير ذلك من الأصول الدينية، يتوهمون ان هؤلاء الخطباء ينطقون بلسان القرآن ، ويبينون للناس لباب ماجاء

به الدين من الحكم والأحكام ، ويستدلون على ذلك باجازة العلماء مايقولون ومايوردون في كلامهم من الأحاديث وان كانت موضوعة أو واهية ، ومايرصعونه به من الآيات وان كانت بما ينهون عنه آمرة وعما يأمرون به ناهية ، ولكن أنّى للسامع المسكين ، أن يميز الغث من السمين ، اذا كان لم يطلع على تفسير الكلام القديم ، ولم يقرأ علم الحديث الشريف ، فلا جرم ينفر من الدين نفور الكاره له ، المعتقد أن معارف البشر أهدى منه ، واذا كان عارفاً بدينه فانه ينفر من صلاة الجمعة وأعرف من المصلين من يتحرى أن يدخل المسجد بعد فراغ الخطيب من خطبته وحدثني الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أن رجلا من النابغين في العلوم العصرية كان كثير الخوض في الدين والانكار لبعض أصوله وفروعه فما زال به الاستاذ حتى أزال شبهاته وأقنعه بأن يصلي فبدأ بصلاة الجمعة فى الجامع الأزهر فسمع خطبة من الخطب المسوءل عنها فنفر ، وقال إن هذا شيء لا يصلح به أمر البشر ، وما أنا بعائد الى سماع هذه الخطابة ، انخداعاً بما للشيخ محمد عبده من الخلابة ،

هذا وان مقام الخطابة هو مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومقام خلفائه ونوابهم وقد أهين هذا المقام فى هذا العصر لا سيما في مصر فصار يعهد به كثيرا الى أجهل الناس وأقلهم احتراماً في النفوس لان الخطابة في نظر ديوان الاوقاف هنا وظيفة رسمية تؤدى بعبارة تحفظ من ورقة فتلقى على المنبر أو تقرأ في الصحيفة ككنس المسجد يقوم بها أي رجل وفي نظر طلابها حرفة ينال بها الرزق . فهمّ الديوان في الخطيب أن يكون قليل الاجرة لتتوفر أموال الاوقاف فيوضع ما يزيد منها عن النفقات التي لا تفيد المسلمين فى خزائنه أو خزائن البنك وقد اجتهد الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في احياء هذا الركن الاسلامي بجعل الخطابة خاصة بالعلماء الاعلام فوقفت السياسة في طريق مشروعه مدة حياته ولعلها تتنحى فينفذ بعد موته



باب التربية والتعليم

﴿ المكتوب الخامس — في المدرسة الجامعة (*) ﴾

كتب في ١٠ يوليه سنة —١٨٦

«من أميل» الى أبيه

كلفتني بأن أجعلك على علم بدروسي فموافاة لرغبتك أقول : الجامعة التي أختلف اليها بناء في غاية الجدة وتفتح قاعاتها للتدريس في فصل الصيف من الساعة السابعة صباحاً الى الساعة الاولى بعد الظهر ومن الساعة الثالثة بعده الى الساعة السادسة وتنقسم دروس الاساتذة فيها الى عامة وخاصة فالاولى تلقى بالضرورة مجاناً و يدفع الطلبة في مقابل تلقي الثانية «فريدريكين» ذهباً (٥٠ فرنكا) كل ستة أشهر وتنقسم جامعة «بن» مثل كل الجامعات فى ألمانيا الى أربع مدارس اختيارية احداها للقوانين والثانية للحكمة والثالثة للطب والرابعة للالهيات و يتعلق بكل من هذه المدارس الاربع فروع مختلفة يدرّسها فيها رجال مخصصون بها

الجامعة تخلي بيننا و بين حرية التصرف في وقتنا اما باضاعته أو بالانتفاع به لاني لا أرى لاحد منها أدنى تفتيش ولا أقل هيمنة علينا في سيرتنا على أني أعتقد ماقاله لي كثيراً من أن النظام التأديبي الناجع هو مايفرضه الانسان على نفسه و يلتزم اتباعه

لا مراء في أن أساتذة جامعتنا متضلعون من العلوم غير أني كثيراً ماشق علي أن أتتبع سلسلة أفكارهم في الدروس لسببين أولها أن هذه الافكار ليست فى ذاتها واضحة وثانيها اني لقلة تعودي على تصوير فكري بالألمانية حتى الآن أجد من الصعوبة فى فهم تلك الافكار أكثر مما يجده غيري من المتعودين و يدهشني من أمر هوءلاء العلماء أنهم على سمو مكانتهم فى العلم و بعد صيتهم مغبونون فى أجر عملهم اذ استدللت على هذا بما يبدو عليهم من رقة الحال و بقناعتهم باليسير من العيش ورثاثة ملبسهم الذي يكاد يكون وسخاً وفقرهم هذا يوءلمني

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

ويزيدهم في نفسي اجلالا على اجلالهم الذي تدعوني اليه معارفهم فأولئك رجال يحبون العلم لا لكسب المال ولا للتمتع بالحطام وانما يحبونه لما يحصله للعقل من لذاته وضروب اغتباطه

ثم ان بعض المدرسين يرتجلون الدروس مطنبين فيها و بعضهم وهم الاكثرون يأتون بها مكتوبة فيلقونها على الطلبة وهؤلاء يصغون لما يلقى عليهم ويكتبون ما يعلقونه منه وقد وضعت لنفسي نمطاً فى اختزال الكتابة وهو وان كنت لا أشك في قصوره لأوليته يمكنني من اثبات الحدود الاساسية لما أسمعه من الجمل

ينقسم الطلبة باعتبار مذاهبهم الى كاثوليكيين و بروتستانتيين متشددين يعد بعضهم نفسه للاعمال الخطابية وحكماء يجتهدون في تأويل المذاهب تأويلا مطابقاً للعقل وماديين وهم قليل يصرحون بأن زمن الديانات قد انقضى وانه لا ينبغي اضاعة الوقت في العكوف على ما لا حقيقة له من هواجس القرون الوسطى وأحلامها

رأيتك دائماً تجتنب الخوض معي في المذاهب والاسرار الدينية واستنتجت من سكوتك عنها انك قصدت مني الاستقلال بنفسي في الاعتقاد ولقد حملتني عظيما فاني حتى هذا اليوم في غاية البعد عن معرفة ما يستقر عليه فكري في كثير من المسائل التي ترجفني محاولة سبر غورها على انه لا بد من الاقرار لك بأني لست مطرحاً هذه الطائفة من الافكار ولا مغفلا لها فكم مرة نظرت الى السماء فى سكون الليل وحاولت على حداثة سني وجهلي أن أقرأ في نجومها حلا للغز هذا العالم واني منذ اليوم الذي شهدت فيه إلقاء جثة الملاح فى البحر — وإخالك تذكره — لا ينفك عني التفكير فى سر الموت حتى فى أحلامي وقد سألت القبور أن تكشفه لي فلم تحر جواباً فعمدت من عهد دخولي الجامعة الى مطالعة ترجمة الفيدا (١) الألمانية والزنداويستا (٢) والتوراة فأثرت قراءتها فى نفسي تأثيراً بليغاً وكان يتراءى لي منها عالم جديد ولكن من خلال ظلمات لا يسعني الا الاقرار بأنها لم تنقشع

(١) الفيدا كتاب الهنود المقدس وهو اسم عام تحته أربعة كتب خاصة وهو الريجفيدا والسمافيدا والباجورافيدا والاثارفافيدا (٢) الزنداويستا مجموع ما لأتباع زردشت من الكتب المقدسة

ولست أدري أأعكف على دراسة هذه الكتب أم أعدل عن اماطة الظلمات عما لا يتناهى فلا أشتغل الا بما هو ثابت محقق من نتائج العلم

أنا الآن أحوج مني فيما مضى الى ارشادك والاستضاءة بنور علمك ومن ذا الذي أسترشده وأستهديه سواك ؟

جميع الطلبة يتعلمون المجالدة والمناضلة وأنا مقتد بهم فى ذلك فلي فى كل يوم ساعة أوساعتان أقضيهما فى ممارستهما لان فى هذه الممارسة تمريناً مفيداً فى تقوية الاعضاء وتنميتها ويؤكد لي العارفون من الطلبة أن أمهر المجالدين من يندر التحرش به. ومع اني لا أرجو مطلقاً أن أبلغ في المجالدة والمناضلة مبلغ الفارس سان جورج (١) أود لو أثبت في قاعة الممارسة ثبوتاً كافياً أني على علم باستعمال السلاح حتى يحسب الطلبة حسابي فلا يستخفون بإغضابي فان المبارزة كثيرة الوقوع بينهم وهم يجرحون فيها أحياناً ولكن يندر والحمد لله أن يقتلوا ومن يجرح منهم لا يبالي بخدش وجهه بل يعتبر ندب الجروح على ما فيها من التشويه لخلقه من موجبات اجلال النساء له

ثم اني أختم مكتوبي راجياً أن تثق مني بدوام محبتي لك وتعلق قلبي بك

البداوة — من باب الآثار الأدبية

قصيدة من نظم حسين أفندي عبد الفتاح الجمل ويعني بالبداوة تلك المعيشة العربية الخالية من ترف المدنية لاسكنى البادية فقط

ليت البداوة لي مهد ولي وطن ... ففي الحضارة لي شغل عن الجذل
أعني بداوة عرب طاب مولدهم ... وطاب محتدهم في الأعصر الأول
فالأريحية فيها والندى خلق ... ملازم لهم في الخصب والمحل
ترى العفاف لديهم مد أروقة ... محفوفة بالتقى فى كل محتفل

(١) سان جورج شخص يذكر فى الاساطير انه أمهر المجالدين والمناضلين

أما الوفاء فقد حازوا الفخار به ... فلا ضريب لهم في كل مرتحل
لا يغدرون ولو كانت منيتهم ... رهن الوفاء ولا يمسون في وجل (١)
نال السموأل فيه غاية وقفت ... عنها الملوك وقوف العاجز الخمل
ضحى ابنه خوف غدر لو تحمله ... لكان للعذر فيه واضح السبل (٢)
وعامر كان في حفظ الجوار له ... بيت من المجد مرفوع اللواء علي
يحمي المجار به من كل غائلة ... م الانس والجن بل من سطوة الاجل (٣)
وفي التقى كان عبد الله ذا ورع ... لا يعرف الشرف في شيء من العمل (٤)

---

(١) كان حنظلة الطائي وعد النعمان بن المنذر بالرجوع بعد عام لاستقبال الموت فطلب النعمان من يضمنه فضمنه شريك بن عدي . فعجب النعمان من رجوع حنظلة وليس له داع غير الوفاء وعفا عنه

(٢) كان امرؤ القيس الكندي قد استودع السموأل سلاحاً ودروعاً وسافر الى بلاد الروم فمات وهي عند السموأل فطلبها منه ملك كندة فلم يسلمها . فجرد الملك عليه جيشاً وحاصره فى حصنه المشهور بقوله

لنا جبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل

فوقع ابن السموأل أسيراً عند الملك فهدده بقتله ان أبى تسليم الوديعة فأبى وقال له ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل وفائي فافعل ماشئت فذبح ولده والسموأل ينظر . . وانصرف الملك خائباً ولم يأخذ الوديعة غير أصحابها الوارثين

(٣) كان الاعشى امتدح الاسود العنسي فأجازه بشيء كثير من الحلل والعنبر فخاف على مامعه فأتى عامر بن الطفيل فقال أجرني قال قد أجرتك قال من الانس والجن قال من الانس والجن قال ومن الموت قال نعم قال وكيف تجيرني من الموت قال اذا مت وانت جاري بعثت الى أهلك الدية فقال الآن علمت انك تجيرني .

(٤) هو عبد الله بن الزبير ترك عطاءه (ماهيته) فى المسجد ثم أرسل خادمه

ولابن عباس في حفظ العلوم مدى ... مافيه من مطمع يوماً الى رجل (٥)
ماذا يقال وقد سارت مناقبهم ... كالشمس فينا بنور غير منتقل
وكيف للشعران يأتي على صفة الصديق أو عمر الفاروق ثم علي
محامد طبعت فيهم وغيرهم ... تكلفوها وليس الكحل كالكحل
كأنما نبتت هذي الفضائل في ... ارجائها فنمت في السهل والجبل
فهم كأنهم يغذون من كرم ... أو انه فطرة فيهم من الازل

باب الأخبار والآراء

الثورة في روسيا

العلم نور لا ينتشر في بلاد الا و ينجاب عنها من ظلمات الظلم بقدر ما يفيض عليها منه فاذا تمكن في النفوس وملكها وصار صفة من صفات عدد كثير من أهلها فبشر أهلها بالسعادة بعد زمن طويل أو قصير لأن العلم مع الجهل وآثاره من الظلم والاستبداد لا يتجاوران على وفاق وسلام بل يفتآن يتنازعان و يتصارعان حتى يصرع أقواهما أضعفهما و ينزعه من الارض

مقارعة العلم ومنافعه للجهل ومصارعه هي مقارعة طائفة من جند الحق لطائفة من جيوش الباطل والحق هو القوي المنصور ، والباطل معه هو الضعيف المخذول، اللهم اذا هما وجدا فتجاولا وتصاولا ولكن قد يحول دون ظهور جند الحق مانع

بعد حين ليحضره فقال الخادم وانّى لنا ذلك وقد دخل المسجد بعدنا كثير فقال عجباً ! وهل بقي أحد يأخذ ماليس له

(٥) فضل ابن عباس مشهور انما أذكر هنا انه أنشد مرة قصيدة من شاعر (هو عمر بن أبي ربيعة) وجرى في المجلس ما اقتضى أن ينشدها ابن عباس فانشدها وقد بلغت سبعين بيتاً فعجب الحاضرون فقال مم تعجبون وهل يسمع أحد شيئاً ولا يحفظه

فيظهر الباطل ويظن الظانون أنه قد غلب الحق على أمره وكيف يسمى غير الموجود مغلوباً

فاض شعاع من العلم بمصالح الامم وسنن العدل في الدول على البلاد الروسية فمازال يزيح من تلك الظلمات المتراكمة في النفوس حتى انزاحت فأشرقت العقول واستنارت القلوب فعرفت حق الراعي على الرعية وحقوق الرعية على الراعي وتمكن هذا العرفان في نفوس كثير من المتعلمين فكان وميضه يلوح لأبصار المستبدين من أفق المدارس الكلية فينذرهم بالصواعق المحرقة فتهلع قلوبهم ثم لاتلبث أن أن تعود الى طمأنينتها اغتراراً برسوخ السلطة المطلقة القائمة على صخرة تقاليد الدين وجهالة الأكثرين حتى اذا ما انكشف للعالم كله ضعف دولة الاستبداد والظلم، وانهزامها من وجه دولة العدل والعلم، في الحرب الروسية اليابانية، اذ نكلت الثانية بالاولى في جميع الوقائع البحرية والبرية، ظهر أهل العلم من الروسيين، وقاموا بالدعوة الى الخروج على الحكام المستبدين، فنفخوا في البلاد روح الثورة فاشتعلت نارها، وكثر أنصارها، ولم يثنهم عن عزمهم ان وضعت الحرب أوزارها، وفرغت الحكومة للثورة تبلو أخبارها، وتضرب وجوهها وأدبارها،

بعد كفاح طويل عريض، وأخذ للثائرين أليم شديد، وثبات من طلاب الحرية، أمام أرباب العبودية، واصرار من طلاب العدل، على مقاومة الظلم والجهل، خضع القيصر العظيم، لأولئك الشراذم من شعبه الحقير، وأمر بتحويل شكل الحكومة الروسية، من اطلاق الاستبداد الى قيود الشورى القانونية، فقالوا انه خضع اضطرارا لا اختيارا، فلا تغتروا بما أمر اغترارا، بل أصروا أيها الثائرون والمتعصبون، يكن لكم كل ماتطلبون، فهم لايزالون يقترحون، فهل يعتبر بحالهم جيرانهم الأقربون،

تعزيتنا عن والدنا

لاتزال ترد علينا التعازي من محبينا في المشرق والمغرب كالهند وسنغافوره وجاوه وتونس والجزائر وفاس فنشكر لمن كتب ولمن سيكتب إلينا في ذلك عودا على بدء ونخص بالذكر أهل الوفاء في الديار التونسية من العلماء والأدباء

وأصحاب الصحف الفضلاء . واننا ننشر بعض ماتفضلوا به ليكون تعزية للبعيد من الأقربين . كتب أحد العلماء المدرسين بعد الثناء الذي هو أهله والدعاء

« العزاء بعد ثلاث وان كان تذكارا بالمصيبة ، فإن تركه ثلمة في وجه الود وشبهة فى صحته مريبة ، اليوم وصلت اليّ مجلة المنار فقرأت الخبر الأليم ، بوفاة والدكم البر الرحيم ، ذلك الخبر الذي ملأ فؤادي أسفاً مشاركة لكم على مايجده ابن بار على فقد والد شفيق

«وفوق مشاركتك أيها الاخ في الحزن كيف لاآسف على فقد صاحب تلك الشمائل الزكية لولا أن فيما بذرته من كمالك الفطريّ مسلاة ومتعزى عنه فانك تخلد له ذكرا احرى مما كانت تخلده صفاته الطيبة وأنتم بحمد الله كما قال الشاعر

نجوم سماء كلما انقض كوكب   بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

ثم عظيم أن يلم بك أيها السيد مصابان في زمن متقارب يمر بي نفسك الشاعرة، وبأصل فطرتك الطاهرة ، فتعز بأن الله جعلك لهما لسان صدق في الآخرين ، وعليك صلوات الله ورحمته بالصابرين ، »

وكتب عالم آخر من المدرسين

« حياك الله سيدي الاخ وعظم أجرك كما عظم رزءك ومنحك من صلواته ورحمته وهدايته ماأنت أهله فلقد أبديت صبراجميلا ،وثباتاً عظيما، أمام مصابين عظيمين تتدكدك لهما الجبال الرواسخ ـ وفاة والدك الجسماني ،قبل أن يجف القلم من تأبين والدك الروحاني، فرحمهما الله من أبوين صالحين تركا للاسلام فاضلا نحريرا مثل جنابكم الكريم فهما بذاك لم يموتا وانما غابا عن هذا الوجود الكدر وخلفا عملا كبيرا وسراجاً منيرا نسأل الله تعالى أن يطيل بقاءه، ويديم اشراقه وارتقاءه الخ

وكتبت جريدة (الترقي) الغراء التي تصدر فى تونس ما يأتي تحت عنوان (الشام) نعى لقراء الترقي شيخاً جليلا وسيدا كريماً نبيلا من نسل السلالة المطهرة ألا وهو سيد سادات الديار الشامية وفرع الدوحة الحسينية المرحوم الشيخ علي رضا أفندي الحسيني الحسني والد رصيفنا العلامة الفيلسوف الكبير السيد محمد

رشيدرضا صاحب مجلة المنار المنير

قضى هـذا الفاضل عمره المديد في اسداء المبرات واعمال الخيرات فكان كفيل الأرامل ومربي اليتامى والمحسن للقريب والبعيد وقد قرأ العلم بطرابلس الشام وارتقى في مراتب الدولة العلية التي كان مخلصاً في خدمتها للحد الذي جعله ممتازا على بقية الأشراف بوراثة أعشار بلد القلمون التي كان أنعم بها السلاطين العظام على أسلافه الاكرمين وكان رحمه الله كما جاء في المنار «حسن المجاملة عظيم التساهل فى معاشرة المخالفين فى الدين مع الغيرة الشديدة على الإسلام والمناضلة عنه بما يحج المناظر ولا يؤذيه» كعلماء السلف برد الله مضاجعهم

اتهمه مصادروه (أعداء الدولة) فى الاوقات الاخيرة بالجاسوسية وبأنه يسعى مع المرحوم فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده لتقويض أركان الخلافة العثمانية (لا سمح الله) فدسوا بفراشه عقارب سعايتهم الممقوتة وأوغروا عليه صدور رجال الدولة فجعلته تحت مراقبة الجواسيس الحقيقيين بما تحرجت له النفوس الطاهرة والقلوب الرحيمة فكان يقابل تحرشهم بالصبر واللين ويدعو الله مع أبنائه بتوفيق دولة الاسلام وبتطهير ساحة سراية يلذ من أهل السوء والعدوان هذا وقد تسابقت الجرائد الشرقية لتمجيده وتأبينه بأجمل عبارة تليق بمنزلته حياً وميتاً ونحن نضم لتلك التعازي عبارات تعزيتنا ونسأل الله أن يفسح له فى صعيد الجنة وأن يجمل عزاء بنيه خصوصاً رصيفنا العلامة المفضال محرر المنار الأغر اه

(المنار) نخص هذا الرصيف الفاضل بمزيد الشكر والثناء أن أحسن الظن بنا وبالغ في مجاملتنا. ونذكر هنا أن كثيرا من كتب التعزية قد شنعت على الحكومة العثمانية سوء معاملتها لوالدنا وشقيقنا بل جاء شيء من ذلك أيضاً في بعض البرقيات (التلغرافات) فلم ننشر شيئاً منها لئلا يتوهم أننا ننتقم بذلك لنفسنا، ونستدرك على الترقي أن السيد الوالد رحمه الله تعالى لم يدخل في أعمال الحكومة الرسمية على تعارفه بكثير من وزراء الدولة وكبرائها. هذا وقلما عزانا أحد عن والدنا الا وأعاد تعزيتنا عن أستاذنا تغمدهما الله تعالى برحمته، ومتعهما بدار كرامته،



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر — ١٦ رمضان سنة ١٣٢٣ — ١٣ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠٥ ﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها فى الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٣٧: ٢٣٩) حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِين (٢٣٨ : ٢٤٠) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ*

كانت الآيات السابقة أحكاماً بعضها في العبادات وبعضها في الحدود والمعاملات آخرها معاملة الأزواج ورأينا من سنة القرآن أن يختم كل حكم أو عدة أحكام بذكر الله تعالى والامر بتقواه والتذكير بعلمه بحال العبد وبما أعد له من الجزاء على عمله، وفي هذا مافيه من نفخ روح الدين في الاعمال وإشرابها حقيقة الاخلاص. ولكن هذا التذكير القولي بما يبعث على اقامة تلك الاحكام على وجهها قد يغفل عن تدبره ويغيب عن الذهن تذكره بانهماك الناس في معايشهم واشتغالهم بما يكافحون من

شدائد الدنيا أوما يلذ لهم من نعيمها. ولهذه الضروب من المكافحات، والفنون من التمتع باللذات، سلطان قاهر على النفس، وحاكم مسخر للعقل والحس، يتنكب بالمرء سبيل الهدى، حتى تتفرق به سبل الهوى، فمن ثم كان المكلف محتاجاً في تأديب الشهوات الحيوانية، الى مذكر يذكره بمكانته الروحانية، التي هي كمال حقيقته الانسانية، وهذا المذكر هو الصلاة فهي التي تخلع الانسان من تلك الشواغل التي لابد له منها، وتوجهه الى ربه جل وعلا، فتكثر له مراقبته، حتى تعلو بذلك همته، وتزكو نفسه فترتفع عن البغي والعدوان، وتتنزه عن دناءة الفسق والعصيان، ويحبب اليها العدل والإحسان، بل ترتقي في معارج الفضل الى مستوى الامتنان، (١) فتكون جديرة بإقامة تلك الحدود، وزيادة ما يحب الله تعالى من الكرم والجود، ذلك أن الصلاة تنهى باقامتها على وجهها عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله فيها أعظم من جميع المؤثرات وأكبر، فاذا كان الانسان قد خلق هلوعاً، اذا مسه الشر جزوعاً، واذا مسه الخير منوعا، فقد استثنى الله تعالى من هذا الحكم الكلي المصلين، اذا كانوا على الصلاة الحقيقية محافظين، لهذا قال ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾

قال بعض المفسرين في وجه اختيار لفظ المحافظة على الحفظ ان الصيغة على أصلها تفيد المشاركة في الحفظ وهي هنا بين العبد وربه كأنه قيل احفظ الصلاة يحفظك الله الذي أمرك بها كقوله « فاذكروني أذكركم » أو بين المصلي والصلاة نفسها أي احفظوها تحفظكم من الفحشاء والمنكر بتنزيه نفوسكم عنهما ومن البلاء والمحن بتقوية نفوسكم عليها كما قال

(١) الامتنان من امتن عليه اذا أنعم عليه إنعاماً وامتنه بلغ ممنونه أي أقصى ما عنده

«واستعينوا بالصبر والصلاة». وقال الاستاذ الامام: قال حافظوا على الصلوات ولم يقل احفظوها لان المفاعلة تدل على المنازعة والمقاومة ولا يظهر قول بعضهم ان المفاعلة للمشاركة لان الصلاة تحفظه كما يحفظها الا لو كانت العبارة حافظوا الصلاة ولكنه قال على الصلاة أي اجتهدوا في حفظها والمداومة عليها: ولا يريد بهذا أن الصلاة لا تحفظ مما ذكر وانما يريد ان لفظ حافظوا لا يدل على هذا المعنى الثابت في نفسه. والذي أفهمه في المفاعلة على الشيء هو فعله المرة بعد المرة ومنه حافظ عليه وواظب عليه وداوم عليه الا اذا كانت «على» للتعليل كقاتله على الأمر أي لأجله فالمقاتلة فيه للمشاركة. وحفظ الصلاة المرة بعد المرة على الاستمرار عبارة عن الاتيان بها كل مرة كاملة الشرائط والاركان العملية، كاملة الآداب والمعاني القلبية، فالشيء الذي يتعاهد بالحفظ دائماً هو الذي لا يلحقه النقص والا لم يكن محفوظاً دائما

والصلوات هي الخمس المعروفة ببيان من بين للناس ما نزل اليهم ونقلت عنه بالتواتر العملي وأجمع عليها المسلمون من جميع الفرق فهم على تفرقهم في كثير من المسائل متفقون على أن جاحد صلاة من الخمس لا يعد مسلما على أنهم استنبطوا كونها خمساً من ذكر الوسطى في الجمع كما في تفسير الرازي قال الأستاذ الامام وهو من قبيل التماس النكتة ومن آيات أخرى كقوله تعالى « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون » وسيأتي بيان كل شيء في محله ان شاء الله تعالى وكانوا يعبرون عن الصلاة بالتسبيح يقولون سبح الغداة مثلا أي صلى الفجر. والصلاة الوسطى هي احدى الخمس. والوسطى

مؤنث الاوسط ويستعمل بمعنى المتوسط بين شيئين أو أشياء لهاطرفان متساويان وبمعنى الافضل وبكل من المعنيين قال قائلون ولذلك اختلفوا في أي الصلوات أفضل وأيها المتوسطة وللعلماء في ذلك ثمانية عشر قولا أوردها الشوكاني في (نيل الاوطار) أصحها رواية ما ذهب اليه الجمهور من كونها صلاة العصر لحديث علي عند أحمد ومسلم وأبي داود مرفوعاً «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر »ورواه الشيخان وأحمد عنه بلفظ إن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب « ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » ولم يذكر العصر ولذلك قال بعضهم انها الظهر لأنه شغل يوم الأحزاب عنها وعن العصر جميعاً وهي متوسطة وكانت تشق عليهم لانها تؤدى في وقت الحر والعمل وفي رواية عن علي عند عبد الله ابن أحمد في مسند أبيه : كنا نعدها الفجر فقال رسول الله (ص) «هي صلاة العصر» ووجه ما رأوه أولا توسطها وقوله تعالى في سورة الإسراء «أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » فقد أشار في الآية الى الصلوات وجعل لصلاة الفجر مزية خاصة بها وهو كون قرآنها مشهودا وورد في معناه انه تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ٠ وفي الحديث التصريح بأن صلاة العصر تشارك صلاة الفجر بهذه المزية ٠ ولأصحاب الأقوال الأخرى في تعيين الصلاة الوسطى أحاديث لاتصل الى درجة ماورد في صلاة العصر فقيل هي الفجر وقيل هي الظهر كما مر وقيل هي المغرب وقال الاخفش هي صلاة الجمعة ٠ وقال بعضهم انها غير معروفة وان الله تعالى أبهم الصلاة الفضلى التي ثوابها أكثر لنحافظ على كل صلاة قال الاستاذ الامام

ولولا أنهم اتفقوا على أنها احدى الخمس لكان يتبادر الى فهمي من قوله «والصلاة الوسطى» ان المراد بالصلاة الفعل وبالوسطى الفضلى أي حافظ على أفضل أنواع الصلاة وهي الصلاة التي يحضر فيها القلب وتتوجه بها النفس الى الله تعالى وتخشع لذكره وتدبر كلامه لا صلاة المرائين ولا الغافلين، ويقوي هذا قوله بعدها ﴿وقوموا لله قانتين﴾ فهو بيان لمعنى الفضل في الفضلى وتأكيد له اذ قالوا ان في القنوت معنى المداومة على الضراعة والخشوع أي قوموا ملتزمين لخشية الله تعالى واستشعار هيبته وعظمته ولا تكمل الصلاة وتكون حقيقية ينشأ عنها ما ذكر الله تعالى من فائدتها الا بهذا وهو يتوقف على التفرغ من كل فكر وعمل يشغل عن حضور القلب في الصلاة وخشوعه لما فيها من ذكر الله بقدر الطاقة

أقول انه ليس عندنا نص صريح في الحديث المرفوع ينافي ماذكره الاستاذ الامام في الصلاة الوسطى فقد قال بعض المحدثين ان لفظ —صلاة العصر— في حديث علي مدرج من تفسير الراوي قالوا ولولا ذلك لما اختلف الصحابة فيها وأيدوا ذلك ببعض الراويات كرواية مسلم « شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس : يعني صلاة العصر » وما قاله في القنوت هو لباب الأقوال الكثيرة التي أوصلها ابن العربي الى عشرة نظمها في قوله

ولفظ القنوت اعدد معانيه تجد ... مزيداً على عشر معاني مرضية
دعاء خشوع والعبادة طاعة ... اقامتها إقرارنا بالعبودية
سكوت صلاة والقيام وطوله ... كذاك دوام الطاعة الرابح النية

وقد روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن ماعدا ابن ماجه من

حديث زيد ابن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل مناصاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت «وقوموا لله قانتين» فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام: وذلك ان القنوت عبارة عن الانصراف عن شؤون الدنيا الى مناجاة الله تعالى والتوجه اليه لدعائه وذكره وحديث الناس مناف له فيلزم من القنوت تركه ويدل على ذلك حديث ابن مسعود المتفق عليه قال: كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد فقلنا — أي بعد الصلاة — يارسول الله كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا فقال «ان في الصلاة شغلا»: وقال سعيد بن المسيب المراد بالقنوت هنا القنوت المعروف في صلاة الصبح وهو ان صح يرجح أنها الصلاة الوسطى

المحافظة على الصلوات آية الإيمان الكبرى وقد جعل الشرع الصلاة والزكاة شرطاً لصحة الاسلام واخوة الدين وماله من الحقوق. قال تعالى في أوائل سورة التوبة (٩-١١) في الكلام على المشركين المعتدين «فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين» والأحاديث في منطوق الآية ومفهومها كثيرة منها حديث ابن عمر عند أحمد والبخاري ومسلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز وجل» والمراد بالناس هنا المشركون أهل الاوثان لا أهل الكتاب الذين تقبل منهم الجزية ومن في حكمهم كالمجوس ذلك أنهم هم الذين كانوا يقاومون دعوة الاسلام مالا يقاومها سواهم وكان

استقرار الدين من غير دخول مشركي جزيرة العرب في الاسلام ضرباً من المحال. والكلام هنا في مكانة الصلاة من الاسلام لا في الدعوة وحمايتها. وروى أحمد ومسلم في صحيحه وأبوداود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» وروى أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم من حديث بريدة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «العهد الذي بيننا وبينكم الصلاة فمن تركها فقد كفر» صححه النسائي والعراقي. وروى أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الصلاة يوماً فقال «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» وفي الآثار مايشعر بأن الصحابة كانوا متفقين على ذلك فقد روى الترمذي والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الاعمال تركه كفر غير الصلاة:

أرأيت هذه الآيات العزيزة، والاحاديث الناطقة بالعزيمة، قد نال التأويل منها نيله في الزمن الماضي، وأعرض جماهير المسلمين عنها في الزمن الحاضر، حتى كثر التاركون الغافلون والمارقون، وقل عدد المصلين الساهين وندر المصلون المحافظون، ذلك ان الاسلام عند هؤلاء المسلمين، الذين يصفون أنفسهم بالمتمدنين، قد خرج عن كونه عقيدة دينية، الى كونه جنسية سياسية، آية الاستمساك به والمحافظة عليه والدفاع عنه مدح

كبراء حكامه وان كانوا لا يقيمون حدوده ولا ينفذون أحكامه بل وان رفعوا أنفسهم الى مرتبة التشريع العام، واستبدال القوانين الوضعية بما نزل الله من الاحكام ، فلا غرو ان يعد الذي يلغو بمدح دولته أو بذم عدو لها من أكبر أنصار الاسلام وان كان لا يعرف حقيقة عقيدته ولا يقيم الصلاة ولا يؤتي الزكاة ، ولا يحفل بغير ذلك مما نزل الله ، ولا يشترط أن يكون مخلصاً فى دفاعه يتحرى به وجه المنفعة العامة لا تتبع طرق المال والجاه . أرأيت هؤلاء المسلمين سياسة ان أحدهم لتتلى عليه تلك الآيات والاحاديث فيصر مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا . فمنهم من يصده عنها عدم ايمانه بها وهو الذي قد يصف نفسه أو يصفه أقرانه «بالمتمدن والمتنور» ومنهم من يصدف به عنها الاتكال على شفاعة الشافعين والغرور بالانتساب الى الاسلام والاعتقاد بأن النسبة اليه كافية في نيل سعادة الآخرة وعدم المؤاخذة فيها على شيء لا سيما اذا كان «محسوباً على أحد الصالحين» وهذا اعتقاد أكثر العامة ولهم من مشايخ الطرق وغيرهم ما يمدهم في غيهم، ويستدرجهم في غرورهم ، وما أعظم غرور من يأخذ منهم العهد ، ويحافظ على الورد

نعم ان للاسلام دولة وان كان هو في نفسه دينا لا جنسية ووظيفة دولته أو حكومته انما هي نشر دعوته وحفظ عقائده وآدابه وإقامة فرائضه وسننه وتنفيذ أحكامه في أهله فمن ينصر حكومة الاسلام فانما ينصرها بمساعدتها على ذلك بالعمل به في نفسه وبحمل غيره من حاكم ومحكوم عليه لأنه هو المقوم والمعزز للامة وانما الدولة بالامة . وإن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة هما أعظم شعائر الاسلام وأولهما الركن الركين لصلاح النفوس

وثانيهما الركن الركين لصلاح الاجتماع فاذا هدما فلا اسلام

ماذا كان من أثر ترك الصلاة والتهاون بالدين في المدن والقرى والمزارع ؟ كان من أثره في المدن فشو الفواحش والمنكرات . فحانات الخمر ومواخير الفجور والرقص وبيوت القمار غاصة بخاصة الناس وعامتهم حتى في ليالي رمضان ، ليالي الذكر والقرآن ، وعبد الناس المال ، لا يبالون أجاءهم من حرام أم من حلال وانقبضت الأيدي عن أعمال الخير ، وانبسطت في أفعال الشر ، وزال التعاطف والتراحم ، وقلت الثقة من أفراد الامة بعضهم ببعض فلا يكاد يثق المسلم الا بالاجنبي ، وغير ذلك من فساد الاخلاق وقبح الفعال في الافراد وأكبر من ذلك انحلال الروابط الملية بل تقطع أكثرها حتى كادت الامة تخرج عن كونها أمة حقيقية متكافلة بالمصالح الاجتماعية والتعاون على الأعمال المشتركة التي تحفظ وحدتها وطفق بعض هؤلاء «المتمدنين» الذين قطعوا روابطها بأيديهم يفكرون في جعل الرابطة الوطنية لأهل كل قطر بدلاً من الرابطة الملية الجامعة لأهل الأقطار الكثيرة فلم يفلحوا ولكن أثر كلامهم أردأ التأثير في مصر فالأمة الآن في دور الانسلاخ عما كانت به أمة بسيرة هؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وهذا الانسلاخ هو الغي الذي توعدهم الله تعالى به في الدنيا

وأما أثر ذلك في القرى والمزارع فاستحلال جماهير الفلاحين لإهلاك الحرث والنسل عملاً لا قولاً وذلك باعتداء بعضهم على زرع البعض بالقلع قبل ظهور الثمرة وبالسرقة بعدها وعلى بهائمه بالقتل بالسم أو السلاح بل وباعتدائهم على أنفسهم بالسلب والنهب والقتل حتى أعيا ذلك الحكومة على اهتمامها بأمرهم فبلاد الأرياف المصرية لا أمن فيها على النفس والمال بتأمين

الحكومة لأنها صارت كالبوادي التي ليس فيها حكام لا يعتمد أحد على غير نفسه وعصبته في حفظ نفسه وحقيقته . ولو حافظ هؤلاء وأولئك على الصلوات كما أمر الله تعالى لانتهوا عن الفحشاء والمنكر بالوازع النفسي فان الصلاة كما يقول مختار باشا الغازي كالبوليس (المحتسب) الملازم يمنع من عمل السوء. وأنى يحافظون عليها ومنهم الذي كفر بالله تقليدا ، ومنهم الذي آمن تقليدا بما وجد عليه آباءه وهو أن مرضاة الله تعالى بالنجاة من عذابه والفوز بنعيم الآخرة عنده لا تحصل الا بواسطة أحد الأولياء الميتين وانما يتوسطون لمن يحتفل بموالدهم أو يسيب لهم السوائب من البقر وغير البقر ويقدم لأضرحتهم الهدايا والنذور ، ومنهم الذي يتعلم كيفية أقوال الصلاة وأعمالها البدنية يؤدونها وهم عن الله ساهون ، يراؤن الناس ويمنعون الماعون، وهؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم «فويل للمصلين» وانما المحافظون على الصلاة هم الذين قال فيهم « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » الخ الآيات

المحافظ على هذه الصلاة الفضلى ينتهي عن الفحشاء والمنكر فلا يرضى لنفسه أن يكون حلساً من أحلاس بيوت القمار ومعاهد اللهو والفسق، المحافظ على هذه الصلاة لا يمنع الماعون بل يبذل معونته ورفده لمن يراه مستحقاً لها، المحافظ على هذه الصلاة لا يخلف ولا يلوي في حق غيره عليه وان حقا فرضه على نفسه أو التزمه برا بغيره كالاشتراك في الجمعيات الخيرية ، المحافظ على هذه الصلاة لا يضيع حقوق أهله وعياله ، ولا حقوق أقاربه وجيرانه ، ولا حقوق معامليه واخوانه ، المحافظ على هذه الصلاة يعظم الحق وأهله ، ويحتقر الباطل وجنده ، فلا يرضى لنفسه ولا

لأمته، بالذل والهوان، ولا يعتز بأهل البغي والعدوان ، المحافظ على هذه الصلاة لا تجزعه النوائب ، ولا تفل غرار عزمه المصائب ، ولا تبطره النعم ولا تقطع رجاءه النقم، ولا تعبث به الخرافات والاوهام ، ولا تطير به رياح الاماني والاحلام ، فهو الانسان الكامل الذي يؤمن شره ، ويرجى في الناس خيره ، ولو أن فينا طائفة معروفة من المصلين الخاشعين ، لأقمنا بهم الحجة على المارقين والمرتابين ، ولكن المحافظ على الصلوات والصلاة الوسطى مع القنوت والخشوع قد صار أندر من الكبريت الاحمر ومن عرفه لا يصدق ان للصلاة يدا في آدابه العالية، واستقامته في السر والعلانية وكأني ببعض القارئين لما تقدم وقد ملوا منه ، ورموا الكاتب بالغلو فيه، «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها * ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم »

ثم قال تعالى ﴿ فان خفتم فرجالا أو ركباناً ﴾ قال الاستاذ الامام هذا تأكيد للمحافظة وبيان ان الصلاة لا تسقط بحال لأن حال الخوف على النفس أو العرض أو المال هو مظنة العذر في الترك كما يكون السفر عذراً في ترك الصيام وكالأعذار الكثيرة لترك صلاة الجمعة واستبدال صلاة الظهر بها. والسبب في عدم سقوط الصلاة عن المكلف بحال أنها عمل قلبي وانما فرضت فيها تلك الأعمال الظاهرة لأنها مساعدة على العمل القلبي المقصود بالذات وهو تذكر سلطان الله تعالى المستولي علينا وعلى العالم كله. ومن شأن الانسان اذا أراد عملا قلبياً يجتمع فيه الفكر ويصح فيه توجه النفس وحضور القلب أن يستعين على ذلك ببعض ما يناسبه من قول وعمل ،ولا ريب أن هذه الهيأة التي اختارها الله تعالى للصلاة هي أفضل معين على

استحضار سلطانه ، وتذكر كرمه واحسانه ، فان قولك « الله أكبر » في فاتحة الصلاة وعند الانتقال فيها عمل الى عمل يعطيك من الشعور بكون الله أكبر وأعظم من كل شيء تشغل به نفسك وتوجه اليه همك مايغمر روحك ويستولي على قلبك وإرادتك وفي قراءة الفاتحة من الثناء على الله تعالى وتذكر رحمته وربوبيته ومعاهدته على اختصاصك اياه بالعبادة والاستعانة ودعائه لان يهديك صراطه الذي استقام عليه من سبقت لهم منه النعمة من عباده الصالحين مافيها مما تقدم شرحه في تفسيرها، وكل ما تقرأه من القرآن بعد الفاتحة له في النفس آثار محمودة تختلف باختلاف مافي القرآن من المعارف العالية والحكمة البالغة والعبر العظيمة والهداية القويمة، وانحناؤك للركوع وللسجود بعد ذلك يقوي في النفس معنى العبودية وتذكر الألوهية ونعم الربوبية، لمافي هذين العملين من علامة الخضوع والخروج عن المألوف، وماشرع فيهما من تسبيح الله، وتذكر عظمته وعلوه جل علاه ،

واذا تعذر عليك الإتيان ببعض تلك الاعمال البدنية ، فان ذلك لا يسقط عنك هذه العبادة القلبية ، التي هي روح الصلاة وسرها وهي الاقبال على الله تعالى واستحضار سلطانه مع الإشارة الى تلك الاعمال بقدر الامكان الذي لا يمنع من مدافعة الخوف الطارىء من سبع مفترس أو عدو مقتال أو لص محتال ، وكيف يسقط طلب الصلاة القلبية في حال الخوف وهو يساعد على الخروج منه ، أو تخفيف وقعه . فالآية تعلمنا انه يجب أن لا يذهلنا عن الله تعالى شيء من الاشياء ، ولا يشغلنا عنه شاغل ولا خوف في حال من الاحوال ، ولذلك قال فان ﴿ فان خفتم فرجالا أو ركبانا ﴾ أي فصلوا مشاة أو راكبين كيفما اتفق وهذا في حالة الملاحمة في القتال أو مقاومة العدو

ودفع الصائل أو الفرار من الأسد أي ممارسة ذلك بالفعل فان كان الوقت وقت صلاة صلى المكلف راجلا أو راكبا لا يمنعه من صلاته الكر والفر ولا الطعن والضرب، ويأتي من أقوال الصلاة بما يأتي مع الحضور والذكر ويومىء بالركوع والسجود بقدر الاستطاعة ولا يلتزم التوجه الى القبلة. وأما صلاة الخوف في غير هذه الحالة كصلاة الجند المعسكر بإزاء العدو فهي مذكورة في سورة النساء

﴿ فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ أي زال خوفكم واطمأننتم فاذكروا الله لأنه علمكم كيف تعبدونه وتصلون له في حال الخوف فيكون ذلك عونا لكم على دفعه أي تذكروا نعمه عليكم بهذا التعليم واشكروه له — هذا اذا قيل ان الكاف للتعليل واذا قلنا ان الكاف للبدلية فالمعنى فاذكروه على الطريقة التي علمكم اياها من قبل أي فصلوا على السنة المعروفة في الأمن باتمام القيام والاستقبال والركوع والسجود

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثالثة

﴿ الاسلام هو الإصلاح الأكبر ﴾

مقال آخر آتي به اليوم تتميما لمقالي السابق (الدين في نظر العقل الصحيح) وايضاحا لما أجملته هناك في مسألة الإصلاح الإسلامي في الارض. ولا أريد أن أذكر المسائل التي شارك الإسلام فيها غيره من الأديان الأخرى ولكني ذاكر ما امتاز به عنها ليتضح لأهل الانصاف، أنه هو الاصلاح الأكبر بلا خلاف

١ — التوحيد والتنزيه

أتى القرآن بالتوحيد الخالص والتنزيه المطلق فقال «هو الله أحد * لا تدركه

الأبصار وهو يدرك الأبصار «ليس كمثله شيء» وتحاشى مايوهم التشبيه والتجسيم الا ما اقتضته ضرورة التعبير اللغوي حتى انه أزال في مثل قوله «وهو أهون عليه» مايتبادر منه من التمثيل بالمخلوقين بقوله بعده «وله المثل الأعلى» ففاق بذلك جميع الكتب الاخرى الممتلئة بالتشبيهات والتمثيلات حتى الساقطة الباردة منها. وأبان بمثل قوله «وان من شيء الا يسبح بحمده» وقوله «ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبداً» أن لا شجر ولا حجر ولا بشر تجوز عبادته من دون الله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» فعرف الانسان حقيقة حاله وأن لا يليق به أن يخاف أحداً سوى الخالق تعالى فخلص بذلك من الاوهام المحيطة به من كل جانب. هدأ الله بعد ذلك روعه منه وأعلمه أنه به رؤوف رحيم بل أشفق عليه من الأم على ولدها وأنه أقرب اليه من حبل الوريد يجيب دعوة الداعي اذا دعاه. فأحبه المسلم لإحسانه اليه وقربه منه مع جلاله وخاف من عقابه اذا هو عصاه . فمن غمره الملك بنعمه كان له محباً ولكنه يخاف أن يقع منه مايغضبه. ومع ذلك اذا عصاه الانسان ثم رجع اليه وجد بابه مفتوحاً وغفرانه واسعاً «قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم» . الله أكبر. أين هذا الاعتدال في العقيدة من افراط قوم يظنون أن الله لا يحب الانسان الا اذا قتل نفسه لتكفير ذنبه فأوقعهم ذلك في الاشراك الحقيقي وان أنكروه وفي التشبيه والتجسيم وما خالف المعقول والمنقول . وأين ذاك الاعتدال من تفريط آخرين يعتقدون أن الله بعيد عنهم ولا يبالي بهم ولا يريد بهم خيرا

يزعم بعض من يدعي العلم من قسيسي المسيحيين أنه لم يرد في كتاب المسلمين مايدل على حب الله لهم وحبهم له بل كل مافيه الخوف والانزعاج منه فلذا أورد هنا ماورد في القرآن الشريف في ذلك المعنى «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» «والذين آمنوا أشد حباً لله» «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» «ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» «وآتى المال على حبه» «ويطعمون الطعام على حبه» وفيه من ذكر الرضى والرأفة والرحمة والغفران مالا يوجد في كتب المسيحيين أنفسهم ويكفيك أن كل سورة مبتدأة بالرحمن والرحيم . فهل إله المسلمين قاس كما يهذون؟؟

ألا ان التعصب يعمي ويصم

والخلاصة أنه بهذه العقيدة الصحيحة اجتثت جذور الوثنية من الارض وكذا كل عقيدة اتفقت معها في الحقيقة وان اختلفت عنها في الشكل وتبع ذلك طهارة العقول من الوساوس والخرافات التي أحاطت بالأمم الاخرى، فأي اصلاح أكبر من هذا؟

٢ – المساواة

قرر الاسلام أن أفراد البشر عند الله سواء وأنه لا ينظر الى صورهم وأزيائهم بل الى قلوبهم. وأن رحمته تعالى لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشياً وعذابه لمن عصاه ولو كان شريفاً قرشياً فلا فرق بين الغني والفقير والصعلوك والامير والحر والعبد الا بالتقوى «ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم» فرفع بذلك كل امتياز موهوم بين الافراد ولم يجعل لأحد على الآخر سلطاناً الا ما اقتضته حدود الشريعة لدفع الاذى وحفظ الأمن وفيما عدا ذلك لامسيطر على الانسان الا الله وحده وليس بيننا وبينه تعالى حجاب أو واسطة «انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر» فلا كاهن ولا رئيس في الدين ليقرب الناس من رب العالمين. زال بذلك كل ماكان وضعه رؤساء الاديان الاخرى من الحجر على العقول وعلى مامنحه الله لنا من الحرية كدعوى التوسط بين الله والناس في غفران الذنوب واباحة ارتكاب بعض المحرمات في مقابلة دريهمات يأخذونها ومنع الناس من قراءة كتبهم الدينية الى غير ذلك من المفاسد التي وقع فيها الامم الاخرى بسبب عبارات وردت في كتبهم فهموها بهذا المعنى بحق أو بغير حق واستمروا على العمل بها الى مابعد مجيء الاسلام بعدة قرون ثم أخذ بعض الطوائف في الاصلاح بمثل ما أتى به ديننا القويم من قبل.

أمكن المسلم بسبب ذلك أن يقف بين يدي الله تعالى وحده ويقرأ كتابه بنفسه ويفهم منه ماشاء أن يفهم فلا توسط ولا مراقبة ولا حجر . والناس غيره في عبودية وذل، وغباوة وجهل، ذم الاسلام بعد ذلك التقليد ونهى عن متابعة الأهل في شيء الا بدليل «واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا

أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون » وأمر المسلم أن ينظر في القول ليميز صدقه من باطله . بدون نظر الى قائله « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » فأي دين أتى بمثل هذا كله ؟؟

٣ — العقل والعلم بالحقائق رائدا الايمان الصادق

امتاز القرآن الشريف عن غيره من الكتب الدينية بمخاطبة العقل في جميع العقائد، والتحاكم اليه عند التخالف والتعاند، فلم يقرر عقيدة أو يرد أخرى الا بالدليل العقلي . أي كتاب غيره أقام الدليل على حدوث العالم بحركات الأجرام السماوية تذكر حجة ابراهيم على قومه في سورة الأنعام مثلا تأمل قوله في الرد على من عبد مريم والمسيح « كانا يأكلان الطعام » وقوله « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » رداً على من اتخذ ولادته بدون أب دليلا على ألوهيته . وقوله في اثبات النبوة « أم يقولون تقوَّله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » وقوله « فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » وقوله « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون » وقوله في عدم استحالة البعث « أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » الى غير ذلك من الآيات التي هي أساس علم الكلام كما بينا ذلك في المقال السابق :

ولم يكتف باقامة الحجة على العقائد فقط بل لاتجد في الغالب أمراً أو نهياً الا أتبعه بالدليل ولم يرض بالاستسلام والرضوخ بدون معرفة السبب فقال مثلا « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » أي ان الصيام الذي يقوي الارادة و يربي النفس على مراقبة الله تعالى و يعرفها مقدار النعم عند فقدها أعظم معد للتقوى . وقال في الحدود « ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب » وقال في الاخلاق « ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم » وغير ذلك كثير مما لم يأت في كتاب سواه فلا تجد صحيفة منه خالية من قوله « لعلكم تعقلون . تتفكرون . ياأولي الالباب .

الأولي النهى . لذي حجر الخ الخ » ثم ماورد فيه بشأن العلم والعلماء كثير « ومايعقلها الا العالمون * انما يخشى الله من عباده العلماء * ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم * هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون » و بذلك كله صار المسلم لا يبالي بعقيدة خالفت العلم الصحيح أو تناقضت حكم العقل فبينما تجد غيره يرضخ لعقيدة لا يفهمها ولا يمكنه أن يعبر عنها بما يجعله يفقهها بل يذعن و يسلم ثم يقيم الصلوات والأدعية لترسخ بالقوة في ذهنه — بينما تجد ذلك في غيره تجده هو يشق الحجب بفكره ويرقى الى الملكوت الأعلى بعقله عملا بقول كتابه « قل انظروا ماذا في السموات والارض »

لايطالب القرآن أحدا بالايمان لمجرد سرد قصص عن المعجزات وخوارق العادات بل أمر بالتدبر والنظر فيه « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » وخالف بذلك سائر الكتب الاخرى وفتح للعقل باباً واسعاً للبحث فيما أتى به حتى يجزم بأن صدوره من مثل محمد العربي الامي صلى الله عليه وسلم ضرب من المحال . ولم يرد أن يغلق دونه الباب بتعداد حكايات لم تخل أمة من نسبة أمثالها الى مؤسسي دينهم بل قد ورد في كلام بعضهم كالمسيح مثلا ما يدل على انكاره لها ان صحت الرواية عنه . وذلك قوله « جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي » يريد بذلك أنه كما آمنت أهل نينوى بيونس لمجرد الوعظ فلتؤمن الناس بي أيضاً لهذا السبب بعينه بدون معجزة وماورد بعدها من قوله « لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال » قال فيه المحققون من المسيحيين أنفسهم انه تفسير من جانب كاتب الانجيل وهو غلط لوجهين (الاول) ان المسيح لم يمكث في بطن الارض على قولهم الا يوماً وليلتين كما هو صريح جميع الأناجيل و (الثاني) أنه بعد قيامته لم يظهر لاحد من هؤلاء الطالبين ولم يشاهده سوى بعض نساء و بعض المعتقدين فيه . فكيف يكون ذلك آية مقنعة للمخالفين ؟ وخلاصة القول ان هذه العبارة تنفي جميع المعجزات ومع التساهل لاتبقي الا واحدة وقد بينا لك حالها : فهذا هو شأن جميع الاديان التي لاحجة لها الا أمثال هذه الأقاصيص والاعجوبات : فهل تقارن هذه بالدين

الذي لاعقيدة ولاأمر ولانهي ولاحكم فيه الا ويتبعه الدليل العقلي من نفس كتابه: فلله دره من دين أحيا العقل بعدأن أماتوه، ونهض به الى حظيرة العلم بعد أن دفنوه، فأي اصلاح أكبرمن هذا ! ؟

٤ — رفع وهم عن الناس في مسألة تأثير الشياطين

أتى الاسلام والناس جميعاً واهمون في مسألة تأثير الشياطين: رسخ في عقول الامم كافة أن الارواح الخبيثة مسلطة على الانسان بالاذى فاذا رأوا مفلوجاً أومشلولا أو مجنونا أوابكم أو أصم أومصاباً بأي مرض آخر نسبوا ذلك اليها فامتلأت قلوبهم رعباً منها وخافوا من الاماكن القديمة أوالخالية أوالمظلمة أومن سقوط شيء على الارض أومن دخول محال التغوط الى غير ذلك من الاوهام التي لايزال أثرها في نساء أهل مصر الى اليوم: و ياليت الامر كان قاصراً على ماذكر بل ظهرت نتيجة ذلك في أعمالهم وكانت سبباً في ضررهم ضررا بليغاً فاذا أصيب أحدهم بمرض ما تداووا بالعزائم والطلاسم وايقاد البخور أو زيارة بعض القبور أو تعليق اوراق او الاستنجاد براق حتى يتمكن الداء وتستفحل العلة فلا يقوى الطبيب على استئصالها او ايقاف سيرها ويموت الشخص ضحية للجهل والوهم: هذا كان شأن الامم في هذه المسألة وهذه كانت افكارهم وكانت تأتيهم الاديان ولا تزيل عنهم هذه الخزعبلات المميتة للنفوس والاجسام بل إن بعضها ايدها تأييدا ونص على صحتها صريحاً: فتجد ان كل صحيفة من كتبها تدل على ان الشياطين هي علة هذه الامراض كالصرع وانواع الشلل والبكم والصمم وانواع الجنون والعتاهة وغير ذلك مما عرفت اسباب اكثره العلوم الطبية الحديثة ومالا تعرفه قاسته على غيره لوجود التشابه العظيم بينهما ولشفاء بعضه باستعمال العلاجات المادية المحضة كالمواد الكيماوية ونحوها

اتى الاسلام والناس على هذه الحالة فلم يشأ ان يتركهم وشأنهم يخبطون خبط العشواء في الليلة الدهناء بل أصلح هذه كما اصلح غيرها مما يميت النفس والجسم معاً صغيرا كان أوكبيرا وذلك بالافصاح أن ليس للشيطان على الانسان

من سلطان الا بالاغراء والوسوسة فلا يمكنه أن يؤذيه في جسمه أوعقله أواحدى حواسه بشيء مطلقاً قال تعالى حكاية عن الشيطان «وما كان لي عليكم من سلطان الاأن دعوتكم فاستجبتم لي فلاتلوموني ولوموا أنفسكم» وقال تعالى في خطابه «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين» وماورد فيه من قوله «لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» هو على سبيل التمثيل والتشنيع الذي ورد مثله في كل لغة مهما كان اعتقاد قائله فهو على حد قوله فى مقام آخر «طلعها كانه رؤوس الشياطين»(١) وتلك عبارة واحدة لم يرد غيرها. فليطالع القارئ العهد الجديد للنصارى مثلا ليعلم الفرق بين هذا وذاك بمثل هذه الحقائق التي قررها القرآن صار المسلم الحق لا يعبأ بالشيطان ولايخشى منه أذى أوضررا إلا ما كان دعوة لشهوة أو نحوها مما يجب عليه أن يحترس منه فاذا أصابه مرض مّا لم يستشف بقديس أو قسيس كما يفعل غيره بل يطلب الطب والدواء و يأتي البيوت من أبوابها فأعظم به من كتاب لم يهمل شيئاً فاسداً الا أصلحه . فبأي كتاب يمكن أن نقارنه ؟؟

الله أكبر ان دين محمد ... وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فاطفىء القنديلا

الاعتقاد الصحيح لا يكون الا باقتناع العقل بدليل لا بارهاب أوترغيب. فمن لم يطمئن قلبه بالبرهان، لايحصل له الايمان، وان تظاهر بشيء منه فهو منافق كذاب، فلا معنى لادخال عقيدة في القلب، بواسطة التهديد بالقتل أو الضرب، وهذا مالاجدال فيه وعليه فاستعمال القوة للحمل على اعتقاد هوس وجنون وسعي فيما لا يمكن أن يكون، لهذا نهى الله المؤمنين عن الإكراه نهياً صريحاً في عدة مواضع من كتابه العزيز «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مومنين» ثم طيب قلوبهم بنحو قوله «لا يضركم من ضل اذا اهتديتم * — وقوله — ولوشاء ربك لجعل الناس

(١) المنار: الصواب ان الشياطين هنا نوع من الحيات كما في التفاسير المعتمدة.

أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » ففقه المسلمون أن ليس من وظيفتهم بالنسبة لغيرهم ما نهاهم الله عنه . أمروا بالقتال ولكن لا للعقيدة بل لدفع الأذى وأمن الفتنة وحماية الدعوة «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » الفتنة هي ما يفتن به المرء في دينه من أنواع الاذى والاضطهاد والمعنى قاتلوهم حتي يأمن كل منكم على نفسه ويكون دينه كله خالصاً لله لا يشوبه خوف أحد أو كتمان شيء لعدم اغضابه أو اظهار آخر لا يدين به لاجل ارضائه بل يكون دينكم وخضوعكم كله لله بدون مبالاة بغيره . ولو كان القتال لاجل الدين لما كان هناك معنى لقوله « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وقوله « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » وهذه الآيات مدنية . نزلت وقد أعلن القتال وأنشبت الحرب أظفارها فكيف ينهى عن قتال من لم يقاتل أو يُعقد عهد مع المشركين ، اذا كانت الحرب لاجل الدين ولما أمر الله تعالى فى سورة براءة بقتال المشركين الذين خانوا العهود ونقضوا المواثيق وبدأوا بالعدوان، وكانوا مهددين للمسلمين في كل وقت وأوان ، وخيف أن يدخل أحدٌ فى الاسلام حذر القتل أمن كل من رغب النظر فيه ليهتدي اليه بدون اكراه فقال « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون »

والخلاصة أن المسلمين اذا أمكنهم الدعوة الى دينهم دعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ولكن اذا هددت الدعوة وخيفت الفتنة قاتلوا حتى يخضع المهدد لسلطانهم ويأمنوا شره وبعد ذلك يعطفون عليه بالرفق واللين والاحسان وحمايته في مقابلة جزء يسير يدفعه من ماله وله أن يقيم على أي دين شاء . هذا هو حكم الجهاد فى الاسلام كما يستفاد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن . أما ما خالف ذلك فليس من الاسلام في شيء ويكون الحامل عليه الملك والاستعمار لا الدين وهذا مبحث آخر فليس للمسلم أن يقاتل من كان آمنا منه لأجل أن يكرهه على دينه، أو يسيء الى من خالفه فى الاعتقاد «لا ينهاكم

الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » أو يقطع علاقته مع أهله لأجل الدين « وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » أو يعاقب بأكثر مما عوقب به . أو يقتل في حربه شيخاً أو طفلا أو امرأة . الى غير ذلك من شرائع العدل والرأفة والرحمة . فأي دين بلغ من القوة ما بلغ الاسلام وعمل بمثل هذه القوانين العادلة . قارن ذلك بما فعله بنو اسرائيل مع غيرهم وما فعله النصارى مع مخالفيهم ومع بعضهم

يقولون ان المسيح عليه السلام فاق محمدا عليه الصلاة والسلام بالدعة والرحمة ونقول هب أن ذلك صحيح فهل يقارن من عاش ثلاث سنين في الضعف والمسكنة بمن عاش ثلاثاً وعشرين وهابته الملوك والجبابرة ؟ فما يدرينا أنه لو عاش مثل ما عاش وبلغ مثل ما بلغ ماذا كان يفعل . عاش محمد عليه السلام ثلاث عشرة سنة أو أكثر ولم يبد منه عداوة لأحد وعاش المسيح عليه السلام ثلاث سنوات فبدت منه البغضاء للناس اذا صح ما نقل عنه نعم انه قال «أحبوا أعداءكم : باركوا لاعنيكم» ولكنه كان أول من خالف ذلك على روايتهم فقال «من لم يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً » وقد برهن على هذا القول بالعمل حينما قيل له أمك واخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك فقال «من هي أمي ومن هم اخوتي —ومد يده نحو تلاميذه وقال— ها أمي واخوتي :من يصنع مشيئة أبي هو أخي وأختي وأمي» وقال في مثل له «أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي» فما هذا التناقض وما هذه الحال . والحق يقال ان حب العدو فوق الطبيعة البشرية فمن أراد أن يغيرها لا يلتفت اليه ولا يسمع له قول كما هو مشاهد في العالم الآن بأجمعه، ولكن الشريعة الاسلامية أتت لتقويم معوج الطبيعة لا لتغييرها وتبديلها فأمرت بما يقدر عليه الانسان بجهد قليل بأن حثت على الاحسان الى المسيء «ويدرءون بالحسنة السيئة» ومدحت ذلك ولكنها أقرت بأن الأخذ بالمثل لا ظلم فيه ولا عدوان ولكنها لم تندب اليه كما ندبت الى الأول «ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور » فانظر

الفرق بين ماوافق الفطرة و بين ماحاول تبديلها. وهذا هو الشأن فى كل المسائل التي خالف فيها الاسلام الأديان الاخرى المعروفة «فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون»

٦ — اصلاح حال المرأة

أتى الاسلام وحال المرأة فى اختلال، بنات موؤدة ، وحقوق مهضومة ، وذل واحتقار ، حتى ظن بعض من كان يعتقد بنوع من البعث أن المرأة لا نصيب لها فيه، طلاق لأوهي الاسباب، أوامساك مع البغضاء والشحناء ،تعدد لاحد له أواقتصار على واحدة أوقع غيرها فريسة للفقر والاهواء فماذا عمل الاسلام فى هذه الحالة المختلة، وكيف أزال العلة؟؟

حرم وأد البنات تحريماً بتاً. وأنذر الناس عذاباً أليما يوم القيامة ان لم يتركوه «واذا الموؤدة سئلت* بأي ذنب قتلت» رفع شأن المرأة وحفظ حقوقها وجعل لها مثل ماعليها فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» وهي درجة القوة والانفاق كما ذكر في آية أخري. ساوى بينها و بين الرجل في جميع الأوامر والنواهي الدينية «ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما» وقال أيضاً « اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى» فعلم الرجل انها قرينة له فى الآخرة كما هي في الدنيا ولا امتياز بينهما فى ذلك. امر بالاحسان اليهن فى عدة مواضع ومعاشرتهن بالمعروف ونهى عن امساكهن ضراراً. وطيب قلب الرجل اذا حصل فيه شيء من الكره بقوله «وعاشروهن بالمعروف» فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا» حتى لا يتسرع الى الطلاق لأقل سبب وأوجب عليه التروي وتحكيم حاكمين من أهلها قبل أن يقدم على ذلك «وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها» الآية لأن الطلاق وان كان مباحاً لكنه أبغض الحلال الى الله كما ورد في الحديث أما اذا لم يمكن التوفيق بينهما

لسبب ما من الاسباب فعدمه فيه حرج كبير مخل بالعائلة والنظام و يجر الى مالاتحمد عقباه ولذلك نجد من حرم عليهم في شريعتهم أخذوا يتخلصون من ذلك بكل وسيلة

قال المولعون بالاوهام ان اباحة الطلاق تقلل الحب بين المرأة وزوجها لأنها مهددة به في كل وقت. ولكنا نقول هل المرأة التي تعلم أن الجامعة بينهما قسرية اضطرارية تضمن حب زوجها لها أكثر من التي تعلم أنه لو لم يكن هناك حب لسهل افتراقهما؟ فما هذا القلب قلب الحقائق الى الضد!

كان تعدد الزوجات غير محدود عند العرب وعند غيرهم فوضع الاسلام له حدا كما هو معلوم ولم يندب اليه وقيده بشرط عدم الخوف من عدم العدل وفوائد الاباحة كثيرة منها (١) أن الانسان اذا أصاب امرأته مرض مزمن جعله ينفر منها فاما أن يبقيها أو يطلقها : أما طلاقها والحالة هذه فهو خلاف المروءة والانسانية اذ لا يمكنها أن تتزوج بغيره وربما لا يكون لها عائل سواه وان أبقاها ولم يتزوج عليها تعطل نسله هو أيضاً وتعرض للاصابة بأمراض كثيرة تنشأ من عدم القيام بهذه الوظيفة أو اضطرته الشهوة الى الزنا أما اذا كان هو المصاب بذلك المرض المزمن فطلاقها اذا يكون عين الحكمة والصواب فتسلم من العدوى ان كان مرضه معدياً فيمكنها التزوج بغيره والقيام بوظيفتها التناسلية أو الاشتغال بشيء تكتسب منه قوتها. وهذا أيضاً من فوائد الطلاق. فهل في الطلاق والتعدد اصلاح للمرأة أم اضرار بها ؟ ومثل المرض المزمن العقم فى النساء فالتزوج عليهن خير حل لهذه المسألة وخصوصاً فيمن كان يطلب وارثا له في مال أو ملك (٢) عدد النساء أكثر من عدد الرجال فلو لم يبح التعدد لوجد عدد كبير منهن لا حيلة لهن سوى الاتجار في أعراضهن كما هو مشاهد في أكثر بلاد أوروبا وذلك يجعلهن مبتذلات معرضات للامراض واذا افتقرن ومرضن أو كبرن في السن أو فقدن عضوا منهن فلا مخلص لهن من سوء الحال سوى الانتحار. فهل فى التعدد اصلاح أم اضرار بهن ؟ هذا واذا علمنا أن شهوة الرجال أقوى من النساء بكثير وأنهم يميلون الى التعدد بخلاف الاناث كما هو مقرر في العلوم الباحثة في هذا الشأن أيقنا أن اباحة التعدد موافقة للنوع الانساني

من كل وجه. ولا ننكر أنها قد تجر الى بعض مضار . ولكن باستعمال العقل والحزم يغلب نفعها على ضررها.

ولا يزول ما بين الرجل العاقل و بين امرأته من المودة والرحمة التي جعلها الله بينهما بسبب التعدد كما يتوهم البعض لان قلب الرجل يسع أكثر من واحدة كما أن قلب الام يسع جميع أولادها وقلب الاستاذ جميع تلاميذه النبهاء. فالتعدد لا يمنع من حب الجميع ألبتة ولا ينافيه. ولكنه ينافي العشق والغرام الذي هو أحد أمراض الحب. وأقصد بالعشق عبادة ذات مخصوصة والتفاني فيها بما يؤدي الى الموت ان فقدت ومثل هذا لا يليق بعاقل وهو لا يدوم بل سريع الزوال فالحب المقصود وجوده هو المعبر عنه بقوله تعالى «وجعل بينكم مودة ورحمة» أي حب شفقة وحنان وحب اخلاق لا حب ذات وهذا لا ينافيه التعدد فقد توجد المودة والرحمة والشفقة والحنان وحب الاخلاق من شخص لكثيرين . ومتى علمت المرأة ذلك من الرجل وعلمت أنه هو عائلها وكافلها أحبه قلبها رغم أنفها وان كرهت شريكاتها فيه. وهذا الكره ناشىء من شهوة الاستئثار بالنفع وهي شهوة لا يجوز للرجل أن يطيعها فيها اذا اقتضت الضرورة خلافها. ولو عقلت المرأة أن غيرها يود من يقوم بشؤونه مثلها وأن قلة الرجال بالنسبة لهن يستلزم قيام رجل واحد بشؤون أكثر من واحدة لوجدت نفسها مخطئة في ايثار النفع الخاص على النفع العام. الامر الذي تحاشاه ديننا القويم والخلاصة أن الشريعة الاسلامية حلت مسألة المرأة أحسن حل وأصلحت حالها اصلاحاً لم تات به شريعة أخرى وقد أخذت الافكار في أوروبا تتقرب الى ما أتى به الاسلام بعد أن عادته عداء شديداً مدة مديدة .

الحديث شجون — ايثار النفع العام على النفع الخاص هو مما يعبر عنه المسيحيون (بانكار الذات) . فهل الدين الذي يدعو المرأة لان ترى غيرها شريكة لها في زوجها كالذي يدعوها لان تستأثر بشخص وحدها وترى غيرها من النساء يرحن ويغدون في الطرقات كل يوم الى ما بعد نصف الليل ليحصلن على ما به يقتتن ويكتسين؟؟ هل الدين الذي كان أهله في الصدر الاول يطلقون نساءهم ليزوجوهن اخوانهم من المسلمين ويطعموهن طعاماً هم أنفسهم محتاجون اليه يقال عنه انه لم

يعلمهم انكار ذاتهم!! ألم يرد في كتابهم قوله تعالى «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»؟؟ هل الدين الذي كان صاحبه يدعو ربه لينجيه من القتل والصلب بقوله على زعمهم «ان أمكن فلتعبر عني هذه الكاس» وزعمهم أنه لما حصل بالفعل ضجر وخارت قواه وصرخ قائلا «إلهي إلهي لماذا تركتني» كالدين الذي كان صاحبه لا يبالي بالاذى والقتل في سبيل نصرة الله ودينه وقد احتمل من الاضطهادات مدة ثلاث وعشرين سنة مالم يحتمله سواه وهو يتلو قوله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً» الآية أيهما برهن للعالم على انكاره لذاته في سبيل هداية الناس وارشادهم الى الحق مهما أصابه وكان يقابل سهام العدو بصدره وحده و يقول «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» ؟ الله أكبر . أين هذا من ذاك . فما كان أغنانا عن هذا الجدال كله لولا اعتداؤهم علينا . هل أوجب المسيح الزكاة والصوم والحج على متبعيه مثل ما أوجب القرآن . أليس في هذه الثلاث أكبر معنى لإنكار الذات ونفع الناس والاستيلاء على الشهوات ووطئها بالاقدام وتحمل المصاعب والمشاق للحصول على رضوان الله . أبعد ذلك يقولون ان المسلمين لا يعرفون معنى لانكار الذات الذي يطنطنون به و يدعونه بألسنتهم وهم أبعد الناس عنه وأكثرهم انغماساً في الملاذ والشهوات . ولكن ليقف القلم عند هذا الحد ولنرجع الى ما كنا فيه

باب المقالات

﴿ دعوة اليابان الى الاسلام ﴾

خواطر وآراء

كان أشيع منذ سنين أن أولي الامر فى اليابان قد عرفوا بارتقائهم في العلم والسياسة أن دينهم الوثني باطل وأنهم يبحثون في غيره من الأديان ليختاروا لهم منها ما يظهر لهم أنه أهداها سبيلا، وأقومها قيلا وأقواها دليلا، وأقربها من صداقة المدنية، وأبعدها عن عداوة العلوم الكونية، وأنهم لاحت لهم بوارق دين الاسلام فأحبوا اكتناه كنهه، والوقوف على حقيقة شأنه، فراجعت حكومتهم في ذلك سلطان

العثمانيين، لأنه أكبر سلاطين المسلمين ،شاع ذلك أيام أرسل السلطان عبد الحميد تلك السفينة الحربية (أرطغرل) الى بلاد اليابان لتزور حكومتها وأرسل معها وفداً دينياً ليبين لها حقيقة الإسلام كما قيل ولكن السفينة غرقت قبل أن تصل الى حيث تقصد ثم سكت الناس عن الكلام في اسلام تلك الأمة ونسوه ولم يكن قد ظهر لهم حقيقة أمرها في القوة والمدنية

ولما ظهر من أمرها فى الحرب الاخيرة في هاتين السنتين ماظهر ، وغلب نور فضلها —وهي دولة الشمس— على نور القمر ،عاد المسلمون الى حديثهم الاول في اسلامها فتحدث به المصري والسوري، والهندي والروسي ، والجزائري والتونسي والافغاني والصيني ، من غير مواطأة بين مسلمي هذه الاقطار ،ولا تقليد أحد منهم للآخر في الافكار ،وانما هو شعور بعثه في نفوس هذه الشعوب القصية، مايعلمونه من الخطر على بقايا السلطة الاسلامية، بما جبل عليهم حكامهم من الجهل والاستبداد، مع وقوف دول أور بالهم بالمرصاد، و بما اعتادوا عليه —أعني المسلمين— من الاتكال على الحكام في الاعمال، والاستعاذة بهم من خواطر التكافل والاستقلال، والنهوض بجلائل الاعمال،

اسلام هذه الامة العزيزة ذات الدولة القوية قد صار من الاماني التي يتخيلها كثير من المسلمين المتفكرين، الذين يألمون من سلطة المخالف لهم في الدين، فمنهم من يلهو بتخيلها في خلوته، ويتمثل بما قال ذلك الشاعر في معشوقته،

أماني من سعدى عذاب كأنما   سقتنا بها سعدى على ظمأ بردا
مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى   والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

ومنهم من يتحدث بها فى الاندية والسمار ، ويشرح ما يكون لها من الفوائد والآثار ، ويقول ان أسلم الميكادو فانا أول المبايعين، واضمن له ذلك فى جميع شعوب المسلمين ، ومنهم من ارتقى عن الأماني وهم أحلام المستيقظين ، وعن لغو الحديث وهو فاكهة الكسالى والعاجزين ، الى حث من يظن فيهم كمال العلم بحقيقة الاسلام، على تأليف رسالة أو كتاب لدعوة أولئك الأقوام ، ومنهم من يقترح أن يجمع شيء من المال ، يجهز به دعاة من فضلاء الرجال ، ليأتوا البيوت من

الأبواب ، وينشروا الدعوة بالقول والكتاب ، ومنهم من ارتقى لى الاستعداد للدعوة بالفعل ، ويقال انه قد انتدب الى ذلك أفراد من الشيعة في الهند،

رأينا بعض أولئك المتمنين ، وتحدثنا مع بعض المقترحين ، فرأينا أن السياسة هي ولدت فى نفوسهم هذه الرغبة وقلما تجد فيهم من يود اسلام تلك الأمة لباعث ديني خالص من شوائب السياسة وإني ليحزنني أن لاأرى في قومي كثيراً ممن يهتم بنشر الاسلام لذاته رغبة في سعادة من يدخل فيه وفوزه برضوان الله تعالى ويعزيني عن حزني أن أرى الاهتمام بحفظ السلطة الاسلامية عظيماً في نفوس كثير من المسلمين فان للإسلام ركنين أحدهما للآخرة وثانيهما للدنيا وان ضعف أحدهما أهون من ضعفهما كليهما وان كان القوي لا يغني عن الضعيف الا أن يستند اليه المصلحون في اقامة الآخر وارجاعه الى أصله

قلت لبعض المتكلمين معي في هذه الأمنية ان اليابانيين مستعدون لقبول دين يتفق مع العلم والمدنية والقوة وإنا نحن واياكم لعلى اعتقاد بأن الاسلام الذي عليه المسلمون ليس كذلك والا لما حرموا من العلم والمدنية والقوة مااعتز به غيرهم، وأن الاسلام الذي جاء به القرآن الحكيم و بينته السنة السنية وكان عليه أهل الصدر الاول هو كذلك ، ثم ان ماتطالبونه بدعوة هذه الأمة الى الإسلام هو الاعتزاز السياسي بهم والتمتع العاجل بحمايتهم وانما يرجى هذا اذا وجهت الدعوة أولا الى ملكهم ورجال حكومته وهؤلاء قوم سياسيون يوشك ان لا يعتدوا بقول أمثالنا في بيان دين له ملوك وأمراء بدون استفتائهم فيه فاذا نحن كتبنا رسالة الدعوة وبينا فيها أصول العقائد والاحكام في الإسلام وأهمها عند هؤلاء شكل الحكومة وهو كونها وسطا بين الديمقراطية والدسقراطية المتطرفتين مشروطاً فيها مشاورة أولي الامر في الشؤون السياسية واستنباط الاحكام وهم أهل الحل والعقد وأصحاب المكانة والرأي— فما يشعركم أنهم يراجعون في ذلك السلطان الذي يرون المسلمين يلقبونه بخليفة النبي صلى الله عليه وسلم ويعترفون له بالرياسة الدينية واذا هم فعلوا فماذا تتوقعون من جواب السلطان، ومن مفتي الدولة الاكبر الملقب بشيخ الاسلام؟،
قيل ننتظر أن يكون الجواب تكذيب الرسالة ولكننا نقول ان هؤلاء العقلاء

لا يستفتون حكومة شخصية مطلقة، في شأن حكومة شورورية مقيدة، بل يعتمدون على الدليل والبرهان، والاستشهاد على مايدعون اليه بما مضت به السنة ونطق به القرآن، قلت المسألة فيها نظر، تجب فيه اجالة الفكر،

وهنا خاطر آخر: اذا قلنا لهؤلاء القوم ان هذا الدين هو الدين الوحيد الذي حفظ أصله وضبط تاريخه فكتابه المنزل نقل بالتواتر الصحيح فهو يقرأ في مشارق الارض ومغاربها كما كان يقرؤه النبي وأصحابه، ويكتب في بلاد العرب والعجم كما كتبه حفظة الوحي وكتابه، وأن مافسره و بينه من السنة العملية قد تواتر كذلك تواتراً حقيقياً لم تنقطع سلسلته في يوم من الأيام، وما يؤثر عن النبي وأصحابه من الاقوال، قد ضبط ضبطاً لم يعهد مثله في جيل من الاجيال، ومع هذا كله نفرض عليكم مارضيه جماهيرنا لانفسهم وهو أن تتبعوا في الدين رأي عالم من المجتهدين الذين أفتوا وعلموا بعد النبي وأصحابه بعشرات أومئات من السنين، ولا نبيح لكم أن تأخذوا الدين من كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل، وتردوا الشريعة من ينبوعها الاول، فان رضيتم بذلك عددناكم من المسلمين، والا كنتم في نظرنا من الضالين المضلين — اذا فصلنا لهم هذا القول أفتراهم يرضون بأن نكون لهم هداة مرشدين، على رضانا بحرمان أنفسنا من الاستقلال بفهم الدين، أتراهم يتركون لنا ونحن دونهم في العلم مانجحوا به من الاجتهاد والاستقلال، والاعتماد في قبول أي شيء أو رفضه على قواعد الاستدلال، أتراهم يرون من الخير لدولتهم وأمتهم، ولمسابقة الاوربيين في ثروتهم وقوتهم، أن يتعبدوا في أعمالهم السياسية والمالية والمدنية، بأقوال التتارخانية والشرنبلالية والولوالجية، أو أمثالها من كتب المالكية والشافعية، ؟ كلا ان البداهة لتقضي بأن أمثال هؤلاء المستقلين في كل شيء لا يقبلون الا ديناً معقولا مساعداً على مسابقتهم للامم الراقية في كل شيء فيستحيل أن يقيدوا أنفسهم بفهم رجال غير معصومين وجدوا في زمان كانت سياسته وحربه ومدنيته ومعاملاته التجارية وغيرها مباينة لما عليه أهل هذا العصر مباينة تقضي باختلاف الاحكام، أو أن يدينوا باعتقاد العصمة لأئمة آل البيت عليهم السلام، ويأخذون مايرويه عنهم الشيعة بالاستسلام،

نحن نجزم بأن الاسلام دين الارتقاء الذي يناسب كل عصر فليس في كتابه

العزيز ولا في سنته الثابتة التي لا خلاف فيها بين المسلمين ما يبطىء بسير أمة مستقلة ومسابقتها لسائر الامم ولكن في الاحكام الخلافية التي هي محل الاجتهاد بين الفقهاء مالا يوافق مصالح الناس في كل عصر فالتزام أقوال بعض المجتهدين وأتباعه في أحكام المعاملات والسياسات والاخذ بكتب أي طائفة من الفقهاء هو عائق لأمة تلتزمه عن مجاراة أمم لا تلتزم الاما ترى فيه مصلحتها التي تختلف باختلاف ما يستحدث الناس آناً بعد آن من ضروب التفنن في الكسب واستعمار الأرض. فمن يدعو اليابانيين الى الاسلام يجب أن يكون عالماً بالكتاب والسنة وما في هذا العصر من طرق مدنية الامم والدول وأن لا يلتزم الدعوة الى مذهب معين والا كان من الخائبين، والويل لهذه الدعوة اذا جاءت من قبل شيوخ الرسوم المقلدين، وأين نجد هؤلاء الدعاة الهداة المهديين،

ومن المسائل التي يجب اجالة الفكر فيها عند البحث في هذه الدعوة «مسألة الوطنية» التي يدعو اليها بعض الاحداث المتسممين بغواية أوربا أو إغوائها المسلمين ومن مقتضاها على مايعرف القراء ان المسلم الياباني اذا جاء بلاداً اسلامية غير بلاده وأراد الاقامة فيها يجب أن يعد دخيلا وأن يسعى الوطنيون في مقاومته وعرقلة أعماله لئلا يربح من بلادهم ماهم أحق به في شريعة الوطنية وان كانت أعماله خدمة لهم حتى في دينهم أو ترقية بلادهم وان كان لا يوجد في البلاد من يغني عنه فيها

اذا سرى سم هذا الضرب من الوطنية في كل قطر من الأقطار الاسلامية ألا يكون مانعا من استفادة بعضهم بما يفضلهم به الآخرون من علم وعمل؟ اذا كان اليابانيون أنفسهم على هذه الطريقة فهل يهمهم من أمر المصري والسوري والمغربي مايحملهم على إفادة اخوانهم في هذه البلاد بما أوتوه من عزة وقوة وعلم وصناعة؟ ماذا ينتظر أهل مذهب الوطنية الكاذبة من دخول اليابانيين في الاسلام ومن أصول مذهبهم أن الرابطة الجامعة بين الناس هي عصبية البقعة لا الدين ولا اللغة بل ولا السياسة فان أحداث الوطنية في مصر لا يعدون العثماني السوري شريكا لهم في وطنيتهم، ولكن الشعور بميل المسلمين في مصر الى اسلام اليابانيين وباستفادتهم منه يدلنا على أن الرابطة الاسلامية لا تزال أقوى من الرابطة الوطنية التي يدعو اليها الاحداث الجاهلون

ولا ينسين المتمني لو يسلم اليابانيون والباحث في دعوتهم ليعتز باسلامهم في بلاده وان بعدت عنهم أنهم اذا قصدوا الى الدخول في سياسة بلاد غير بلادهم فان حكومتها اذا كانت اسلامية تناهضهم باسم الدين وعلماء الرسوم المقلدون يؤيدون حكوماتهم في أمثال هذه الامور بل هم عضد الحكام وأنصارهم في كل شيء فهم يفتون لهم بكفر اليابانيين لاسيما اذا كانوا لا يلتزمون في اسلامهم اتباع مذهب من المذاهب الاربعة في الاحكام واتباع الاشاعرة او الماتريدية في تقرير العقائد هذا اذا كانت الحكومة التي تقاومهم تنتسب الى أهل السنة كالدولة العثمانية أو اتباع مذهب الشيعة اذا أرادوا الدخول في سياسة الدولة الايرانية و بذلك يكون دخولهم في الاسلام لاجل السياسة فتنة للمسلمين لا يستهان بها ولا يسهل الحكم بنتيجتها

وقد يقال لو لم تستفد البلاد الاسلامية البعيدة عن اليابان من اسلامهم الا الاستفادة المعنوية لكفى وأدنى هذه الفائدة أن تخفف أوربا وطأتها عن المسلمين في مستعمراتها بل وفي الممالك الاسلامية المستقلة التي يعبث الدول باستقلالها كل يوم حتى صار مهدداً بالزوال والعياذ بالله تعالى ولا يبعد أن يلهم الله ملوك المسلمين رشدهم فيحالفون هذه الدولة العزيزة اذا قضت حكمتها بأن لا تنازعهم على لقب «الخلافة» الذي كان بركان كل بلاء وعلة كل شقاء أصابا هؤلاء المسلمين ماضيهم وحاضرهم . أقول وان أمام هذه المحالفات ووراءها من مقاومة أوربا مالا ينكره بصير ولا فائدة لنا في الخوض فيه وانما نودع هذا المبحث الجديد (تمني اسلام اليابانيين) من المسائل والخواطر ما يذكر الناسي و ينبه الغافل الى المسائل التي يفيد تذكرها والفكر فيها

لتجدن أجدر المسلمين بالاستفادة من اسلام اليابانيين ـ لو حصل ـ مسلمي الصين وان استفادة الدولة اليابانية منهم لاكبر من استفادتهم منها ذلك ان مسلمي الصين لا يقل عددهم عن عدد اليابانيين وهم أشد أهل الصين بأساً وأعز نفراً ، وأبرع في الجندية وأحسن أثراً ، فيسهل على الدولة اليابانية على قربها منهم ، ومعرفة كثير من رجالها بلغتهم ، ان تستعين بهم على ما تريد بمملكة الصين فتسود في الشرق الاقصى سيادة يمتد شعاعها الى الشرق الادنى ، فيحييه حياة جديدة تكون مبدأ لدخول

العالم كله في المدنية الفضلى ، واستقامته على الطريقة المثلى ، بالجمع بين الدنيا والدين بين مطالب الجسد والروح بين سعادة العاجلة والآخرة وذلك هو الفوز المبين

تلك الخواطر التي عارضت الفكر وهو يجول في رياض هذه الامنية هي من أهم مسائل الاصلاح التي تذكرنا بمواضع ضعفنا وناهيك بمسألة فقد العلماء المستعدين للدعوة الصحيحة الى الاسلام التي يقدر أصحابها على التأسي بالانبياء عليهم السلام في مخاطبتهم الناس على قدر عقولهم وبما يناسب استعدادهم . انك لتدخل بيوت بعض علمائنا فتجد فيها ألواحاً معلقة على الجدر مكتوباً عليها بخط يلفت جماله النظر (العلماء ورثة الانبياء) وألواحاً أخرى مثلها في الجمال والبهاء كتب عليها (علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل) (*) علقت لتوهم الزائر ان صاحب الدار من هؤلاء الورثة ولكن الخبير الذي لا تخدعه الازياء ولا تغره الرسوم يعلم أن واحداً من هؤلاء العلماء الرسميين لا يقدر على اقناع أحد من أهل هذا العصر بدعوة الاسلام بل يخشى أن يكون حديث الواحد منهم في الدين مع أهل العلوم الاجتماعية والسياسية حجاباً كثيفاً دونه بل شبهات قوية تصد عنه . واذا كانوا يعجزون عن كشف شبهة تعرض لتلميذ يتلقى العلوم العصرية وهو مؤمن بالله ورسوله وكتابه ولكنه جرى في التعلم على أخذ العلم بالدليل فأنى يقدرون على تمثيل الدين لفلاسفة العصر وساسته معقول العقائد سامي الاداب منطبق الاحكام على منافع الامم في ثروتها ومدنيتها ومصالح الدول في ادارتها وسياستها و يقنعونهم بأن الاسلام لا يعيد العقل الى وثاقه ولا يكبل الفكر بأوهاقه فيقيد العلم بعد اطلاقه ثم يدحضون بالآيات البينات ما يوردونه عليه من الشبهات أين يوجد هؤلاء العلماء في المسلمين؟ واذا عطس الصبح فظهر واحد منهم أيعترف له الرسميون بالعلم والدين ؟ وهل الحكام والعوام إلا تبع لهؤلاء الرسميين الضخام وهم مجموع المسلمين ودين الناس مما يقرره علماؤهم الرسميون لحكامهم وعامتهم . ناظر مناظر بعض العلماء الغربيين

(*) العبارتان ترويان في الاحاديث المرفوعة فأما الاول فحديث له أصل وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه عن أبي الدرداء ولكن اسناده مضطرب . وأما الثاني فموضوع قال ابن حجر والزركشي لا أصل له

في كثير من مسائل الاسلام التي يشتبهون فيها فنهض بالحجة فقال له مرة إن ماتقوله صحيح ومعقول ولكنه فلسفة وعقل لادين وانما دين الناس ماهم عليه. وقال مرة أخرى أرأيت اذا سألت علماء الازهر ماعدا الشيخ محمداً عبده عن هذه المسائل ايجيبوننى بمثل هذه الاجوبة ؟ قال لا أدري بماذا يجيبون وحسبك أن تعلم ان هذا هو الاسلام من اسنادي اياه الى القرآن والسنة

الدعوة الى الدين لايقوم بها في هذا العصر كل من قرأ السنوسية والعقائد النسفية، ولو وقف مع ذلك على المواقف العضدية، وكل مايقرأ في الازهر من الكتب الفقهية، للدعوة معارف أخرى منها فمنها فهم الكتاب العزيز، والاطلاع على السنة ومعرفة مافيهما من حكم التشريع، ومنها معرفة السيرة النبوية وتاريخ الاسلام، والبصيرة في علم الاجتماع والتاريخ العام، والإلمام بسائر العلوم العصرية، والاطلاع على ضروب الاساليب المدنية، ومنها غير ذلك مما يتعلق بالدعاة ومن تراد دعوتهم وقد فصلنا القول فيها من قبل فليراجعه في المجلد الرابع من شاء وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يحاول اعداد فريق من طلاب العلم فى الازهر للدعوة ولكن السياسة مازالت تعارضه في عمله وتغري بذلك أهل الجمود من الشيوخ حتى جاءه الاجل، قبل أن يتحقق له الامل.

الاستعداد للدعوة يسير على أهل الازهر اذا سلكوا سبيل الاصلاح التي كان يريدها الاستاذ الامام ولكن أنّى لهم بمثل الزعيم الذي فقدوا. وان في فضلاء المسلمين من غير أهل هذا المكان من هم أقدر على هذا العمل اذا حاولوه وانما يحتاجون فيه مع الهمة والعزيمة الى المال وأغنياء المسلمين لايزال أكثرهم حليف الجهل وأسير البخل. وقد يتوهم الكثيرون منهم أن دعاة النصرانية المنتشرين كالجراد في جميع البلاد تنفق عليهم دولهم من خزائنها والصواب ان جميع نفقات جمعياتهم ومدارسهم مما يتبرع به أولو الطول منهم وهي نفقات تبلغ الملايين من الجنيهات. فأين هذا السخاء الذي يؤيد به هؤلاء الناس دينهم من شح قومنا وقبض ايديهم عن كل مايؤيد الدين، و ينفع جمهور المسلمين، واعجب منهم اننا نفتخر عليهم بأننا أشد غيرة على ديننا منهم على دينهم، فما أجهلنا بحالنا وحالهم،

آثار علمية أدبية

﴿ نصائح صحية للبنات من مجلة أبقراط ﴾

صحة الغنية وصحة الفقيرة. منفعة العمل في الدار. مضرة قراءة الروايات. مضرة الخلوة. مضرة حكايات الخوادم والعجائز. مضرة تلوين الوجه. مضار الزار وأمراضه وحقيقته.

جاء في باب صحة العائلات من مجلة أبقراط الطبية ما يأتي بنصه

أيتها الفتاة الصغيرة ان عمرك الآن لايتجاوز الثلاثة عشر ولكن ألا تدرين ان هذه الثلاثة عشر ستكون عشرين ثم ثلاثين ثم أربعين ثم ماشاء الله ؟ اني لا أظنك الا عارفة بذلك . وها أنت متمتعة بالصحة خالية البال مالكة لأنواع السعادة تمرحين في بحبوحة من ثروة والديك فهل تستطيعين الصبر على ضياع شيء من ذلك ؟ اني أعيذك بالله فان الصحة والهناء لا يعوضان غير اني أرى شيئاً أريد أن أحدثك به لعلك تكونين على بينة منه . أرى ان الفتاة الفقيرة تقضي عمرها في عافية لامزيد عليها والفتاة الغنية كل يوم عندها طبيب يعالجها فلماذا ؟ اذا كنت لاتعرفين فأنا عارف و يمكني أن أعرفك ان الفتاة الفقيرة خادمة أبيها وأمها واخوتها وربما كانت خادمة لغيرهم أيضاً والفتاة المتوسطة هي خادمة نفسها وزوجها ان كانت متزوجة أوخادمة نفسها فقط أما الفتاة الغنية بنت البك أو الباشا فليست بخادمة بل يخدمها الناس ولا عمل لها لانها ترى كل عمل اهانة لنفسها وتعباً لذاتها. تأملي أيتها الفتاة قليلا يظهر لك سر المسئلة . العمل لا بد منه للفتاة مهما كانت مترفهة وهو قرين الصحة . والبطالة نذير المرض عند الفتيات فعليك بالعمل ولو بسيطاً واحذرك من مطالعة الروايات فانها تضر بالصحة ولست مكلفاً أن أبين لك السبب ولديك في منزل والدك الف عمل وعمل ولا أحسن من الخياطة والتطريز

ومما يجب أن أحذرك منه أيتها الفتاة هو الجلوس وحدك لانه مضر من جملة أوجه متعب للفكر ومتعب للمعدة لان الفتاة التي تجلس وحدها تكون ساكنة

ساكنة لاتتحرك وهذا موجب للامساك وغيره

ولا أريد أن أقول لك لاتسمعي حكايات الخدامات والعجائز لانها تضر بالصحة اذ ربما تظنينني أمزح مع اني لا أقول الا حقاً والاسباب غير مجهولة غير ان الوقت لايسمح لي بشرحها لك

ومتى صرت شابة في سن السابعة عشر مثلا فاياك وتلك الالوان التي تستعملها بعض الفتيات فانها فضلا عن خروجها عن حد الادب تضر أيضاً بالصحة لانها مركبة من مواد سامة تضيع نضرة الوجه وتجعل للجلد ثنيات كتلك التى تظهر على وجوه العجائز

ولا تشدى خصرك بهذه الكورسيه المعروف بالبوسطو لانها تؤذي الظهر وتسبب أمراض المعدة والأمعاء وتعطل حركة التنفس وحركة الهضم وكذلك لاتستعملي الاساور الزجاجية التي تدخلين يديك فيها بالعنف فانها فضلا عن ضررها أصبحت من زينة النساء الباغيات وليس فيها من البهجة شيء

ولا يخفاك أن لبعض الاخلاق تأثير كبير على الصحة فالكبرياء لاتصحب انساناً الا وكانت له علة لدوام انقباض صدره والاستبداد يجعله في كدر دائم لكثرة المعارضين والعوائد مثل الاخلاق أيضاً فاياك التدخين لان الفتاة التي تشرب الدخان يصفر وجهها وتضعف ضعفاً شديداً ومتى صارت كذلك تحتاج للالوان التي تستعمل لإخفاء صفرة الوجه وهذه الالوان قلنا انها تضر أيضاً

وعندي مسألة أريد أن اتحفك بها أيتها الفتاة ولكنها تحتاج الى امعان النظر وعدم التعصب وتحكيم العقل وهذه المسألة هي (هل الزار حقيقي وهل هو مفيد للصحة وهل له اسم عند الاطباء وهل يمكنهم أن يعالجوه كباقي الامراض ولماذا يهيج بالطبل والبخور وما السر في تكلم العفريت على لسان المصابة اذا كان هناك عفريت الخ ؟) وانا الآن أبين لك هذه المسائل واحدة فواحدة

الاعتقاد يجر الى النفس انفعالا والانفعال له تأثير على الجسم ومتى عرفنا هذه المقدمة الصغيرة تمكنا أن نبحث في تلك التفصيلات الطويلة العريضة

أما كون الزار حقيقياً فهذا مما لاشك فيه وهو موجود في سائر أقطار المسكونة

غير ان حقيقته غير الحالة الظاهرة في القطر المصري لان الشائع هنا هو ان المصاب به مس من الجن أو الاولياء مع ان هذا الاعتقاد فاسد ومن العجب ان كثيراً من الناس اذا قال لهم أحد ان الجن أو الاولياء ليس لهم دخل في الزار يقولون انه لا يصدق الشرع حالة كون جميع الشرائع تحرم الاعتقاد بذلك وأكبر دليل على فساد هذا الزعم ان لهذا المرض أطباء يعالجونه و ينجحون فى معالجته نجاحاً بيناً ولو كان من الجن أو الأولياء لما أمكن الطبيب مداواته وليست مجلتنا شرعية حتى نتكلم فيها على الاولياء أو مجلة عمومية فلسفية فنتكلم على الجن

تسمع المرأة أو الفتاة ان في بيت احدى قريباتها أو خليلاتها ليلة زار فلا يهدأ بالها الا اذا كانت ذات نصيب من تلك الليلة خصوصاً اذا كانت مدعوة الى الحضور فتروح سليمة متعافية أو مريضة منهوكة ولكنها لاتشعر بشيء ومتى حضرت مجلس الزار وسمعت الطبل واستنشقت رائحة البخور جاءها العفريت أو الشيخ كما يقال وتعود الى منزلها في أشد التعب ثم تشعر بنشاط لايمكث الا قليلا ثم يزداد الآلام فيما بعد فيقولون ان الشيخ قد غضب وهكذا وهي لاتعلم بحقيقة الحال ولا يزال هذا دأبها حتى تكون من الهالكين مع انها لو عرفت أن هذا من الامراض العصبية ويسميه الطبيب تشنجاً ويمكنه مداواته لتخلصت من تلك المصائب

لعلك أيتها الفتاة تقولين انك قد قلت ان المصابة تشعر بنشاط بعد الزار فكيف ذلك ان كان الامر غير حقيقي ؟ فأضرب لك مثلا: اذا جئت بعصا رفيعة وضربت بها ضربات خفيفات متواليات على خاصرة القدم (بطن الرجل) فانك تجدين لذلك لذة كما لو وضعت قطعة صغيرة من الثلج بين كتفيك وهذه ليست لذة ولكنها ألم في الحقيقة كاللذة التي توجد في الزار وأما النشاط الذي يحدث بعد ذلك فلا يحتاج لبحث لان كل مضرة تزول يحدث بعدها نشاط ثم يعقبه رد فعل أو (نكبة) وهذا معنى ذلك

أما النساء اللواتي يرى عليهن هذا العارض فعلى قسمين الاول النساء اللاتي يصرعن عند انتشاق الروائح القوية سواء كانت كريهة أو عطرية أو عند الغضب أو سماع الاصوات المزعجة كدق الطبل ورنة الموسيقى أو عند الفزع من أمر

فجائي اوالتأثر من أي شيء مهما كانت واسطته وهـذا الفريق من المصابات اوالمصابين عندهم مرض عصبي يمكن الطبيب ان يعالجه فعلى من شعر به ان يبادر الى التعالج قبل ان يستفحل الامر

والقسم الثاني هوالنساء اللاتي يرقصن على رنة الآلات المستعملة لهذه الغاية رقصاً منتظماً و يتـكلمن كلاماً يوهمن به انهن مختلطات بالجن او الاولياء و يطلبن اشياء من ازواجهن و يمسسن بايديهن على رؤوس الاطفال لتحصل لهم بركة الولي أورعاية العفريت وهذا القسم من النساء خليعات لادواء لهن غير الزجر والاهانة والتـكذيب فانهن مدعيات وكلهن من ذوات الثروة اوالازواج الاغنياء ومن يلاحظ ان المرأة الغنية التي تحضر مجالس الزار اذا افتقرت يفارقها الزار وهي تعرف حقيقة الامر» اه

﴿ تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن ﴾

كنا جردنا تفسير الفاتحة من المنار وضممنا اليه ما كتبه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في المسائل التي ينتقدها أعداء الاسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كمسألة الغرانيق ومسألة زيد وزينب ومسألة القدر وطبع ذلك كله في كتاب نفـدت نسخه سريعاً وألح علينا الـكثيرون بطبعة ثانية فطبعناه مع زيادة بيان وفوائد وضممنا اليه ما كتبه الاستاذ الامام في رواية سحر اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام فجاء كتاباً جامعاً لأهم مايؤثر عن فقيدنا في الارشاد القويم . وقد كان الـكتاب يباع أخيراً بخمسة قروش صحيحة فرأينا أن نعيد ثمنه الى قرشين ونصف قرش (٢٥ مليماً) على مازدنا فيه وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر . ومن طلب أن يرسل اليه في البريد فليرسل ثلاثة قروش صحيحة

تاريخ الاصلاح في الازهر . أو أعمال مجلس ادارة الازهر

من أراد أن يعرف حقيقة الأزهر وما كان عليه قبل أن ينتدب الاستاذ الامام عليه الرحمة لإصلاحه وما كان من هذا الاصلاح فيه مدة اشتغال ذلك المصلح في إدارته فليقرأ كتاب (أعمال مجلس ادارة الأزهر) فانه تاريخ رسمي للإصلاح ولحال المكان والمكين وثمن النسخة منه أربعة قروش و يسمح لمن كان أزهرياً بربعها وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها

باب الأخبار والآراء

﴿ احصاء رسمي ﴾

لخسائر الدولتين في الحرب الاخيرة

رأينا في جرائد مصر وسوريا والهند عـدة احصاءات لخسائر الحرب بين روسيا واليابان فاخترنا منها الاحصاء الآتي الذي نشر في جريدة ثمرات الفنون وهو اهتم الاحصائيون السياسيون اهتماماً شـديداً لوضع الاحصاآت الدقيقة لخسائر الحرب الروسية واليابانية، وقد نقلت احدى الجرائد الروسية احصاء رسمياً قالت انه أدق وأضبط احصاء يوثق به واليك بيانه:

الخسائر الروسية البرية

اسم الموقعة	قتلى وجرحى	أسرى	مدافع
تيورنتشان	٢٥٠٠	٣٥٠	٢٨
كينتشاو	٢٥٠٠	٤٠٠	٥٢
وافنغو	٥٠٠٠	٣٠٠	١٥
لياوان	٣٠٠٠٠		
شاهو	٧٠٠٠٠		١٦
هيواتياي	١٠٠٠٠		
موكدن	١١٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٤٠
بورارثور	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠	٤٥٦
	٢٥٠،٠٠٠	٧١،٠٥٠	٦٩٧

الخسائر اليابانية البرية

اسم الموقعة	جرحى وقتلى	اسرى	مدفع
تيورنتشان	٩٠٠		
كينتشاو	٥٠٠٠		
وافنغو	١٥٠٠		
لياوان	٥٠٠٠٠		
شاهو	٣٠٠٠٠		١٢
هايواتياي	٩٠٠٠	٣٠٠	
موكدن	٦٠٠٠٠		٣
بورارثور	٧٠٠٠٠ الى مئة الف		
	٢٢٦٤٠٠	٣٠٠	١٥

خسائر الروس البحرية

اسم الطراد		ثمنه بملايين فرنك
بورودينو	«اغرق»	٣٥
اسكندر الثالث	«اغرق»	٣٥
سوفوروف	«اغرق»	٣٥

اسم الطراد		ثمنه بملايين فرنك
اريول	«اسر»	٣٥
رتفيزان	«أخرج من البحر»	٣٥
سيسوي	«اغرق»	٣٥
نافارين	«اغرق»	١٥
بترو باولسك	«اغرق»	٢٥
بولتافا	«اخرج»	٢٥
سباسطبول	«اغرق»	٣٥
اوسلابيا	«اغرق»	٣٠
بيرسفيت	«اخرج»	٣٠
بو بيدا	«اغرق»	٣٠
نقولا الاول	«اسر»	٣٠
مدرعات لحماية الشطوط		
اوشوكوف	«اغرق»	١٠
ابركسين	«اسر»	١٠
سينيافين	«اسر»	١٠
ديريك	«اغرق»	١٥
بايان	«اخرج»	٢٠
ناخيموف	«اغرق»	١٥
فلادمير مونوماخ	«اغرق»	١٥
بالادا	«اخرج»	١٣
فارياج	«اخرج»	١٥

اسم الطراد		ثمنه بملايين فرنك
نوفيك	«اغرق»	١٠
بور يارين	«اغرق»	١٠
جيتمشوج	«اغرق»	١٠
ازمرود	«اغرق»	١٠

ومجموع ذلك كله ٢٨ دارعة بين طرادات وحراقات وغواصات و ينبغي أن نضيف الى هذا العدد عدداً من سفن الشحن التي أغرقت أو أسرت ولا يقل عددها عن ٢٠ وبضعة من الغواصات ومثلها من الزوارق وقد بلغ ثمن مجموع الاسطول الذي خسرته روسيا سبعمائة مليون فرنك والانكى من كل ذلك ان معظم سفن أسطولها وقع في قبضة اليابان أما اليابانيون فقد خسروا في البحر طرادين وحراقتين فقط وقد بلغت خسارة الروس الحربية بوجه عام نحو ٥ أو ٦ مليارات فرنك أما خسائر اليابان فبلغت من ٣ الى ٤ مليارات فرنك و بلغ ما اقترضته روسيا أثناء الحرب ملياراً و ٥٧٤ مليون فرنك وبلغ ما اقترضته اليابان مليارين من الفرنكات

هذا ما ترجمته الثمرات وقد أصلحنا فيه غلطاً فى الأرقام . ورأينا نحوه في جريدة حبل المتين الفارسية ومجموع خسائر اليابان البرية فيها ٢١٦٤٠٠

تبرج النساء وانصار الحجاب

كتبنا في الجزء الثالث نبذة فى الشكوى من تبرج النساء بمصر حثثنا فيها أنصار الحجاب على إعمال أقلامهم في الانتقاد على هذا التبرج القبيح الذي يتبرأ منه الدين والأدب ولا ترضاه المدنية الاوربية التي أسرفت في اطلاق العنان للنساء إسرافها المعروف اذ صارت حال نسائنا المسلمات في الاسواق والشوارع أبعد عن الصيانة والأدب من حال نساء الافرنج . كانت حملتنا شديدة على حملة الاقلام الذين أنكروا على الاقوال في المسألة وسكتوا عن الأفعال التي يشاهدونها حيثما توجهوا: وغرضنا بذلك حفز الهمم لانتفاء التبرج في الصحف المنشّرة وازعاجها الى تسفيه الرجال الذين يسمحون لنسائهم بهذا التهتك

ندبنا أولئك الكاتبين فلم ينتدب منهم أحد للكتابة فى انتقاد الفعل، ولكن وجد ممن كان ألف في المسألة من انتقد علينا القول ، وله وجه من حيث ان عبارتنا توهم أننا لا نعتقد باخلاص أحد ممن كتب وألف ولا غيرته وانّا نرفع هذا الوهم بالتصريح كما رفعناه آنفاً بالتلميح اذ قلنا ان الغرض من القول الحفز والازعاج الى الانتقاد فنقول اننا نعتقد اخلاص بعض الكاتبين حتى المختلفين فيما كتبوا ولكن المخلص في تفنيد قول يراه خطأً لا يسلم من تبعة التقصير في انتقاد الأفعال الخاطئة اذا كان غيوراً مخلصاً . واننا لم يتمثل لنا عند كتابة تلك النبذة الا الذين ذكرنا أنهم سودوا وجوه الصحف في الانكار على طالب تخفيف الحجاب وعنينا بالصحف الجرائد اتباعاً للعرف ولم نقصد واحداً معيناً منهم

واننا لا نزال نبدىء القول ونعيده في المسألة معتقدين أن حملة الجرائد على هذا التبرج وتشنيعها على الرجال الذين يمكنون نساءهم منه و يرضون لهم به يفيد فائدة عظيمة وأن سكوت الكتاب عنه ينافي الغيرة وأن أولى الكتاب بهذا الانتقاد المرة بعد المرة هم الذين فاضت بكلامهم أنهار الجرائد رداً على كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة وانهم اذا استمروا علي سكوتهم كان قولنا الذي قصدنا به المبالغة في حثهم غير مبالغ فيه واذا كان لبعضهم مانع من الكتابة اليوم فلا يصح أن تغلبهم الموانع في سائر الأيام

﴿موعظة وعبرة في وفاة حرة﴾

في منتصف شهر شعبان الماضي توفيت الى رحمة الله تعالى فاطمة بنت الاستاذ الامام الكبرى زوج محمد بك يوسف بمرض مفاجيء قضى عليها بعد أسبوع من نزوله بها وكانت قد رأت نفسها في النوم مع والدها في روضة فعبرت الرؤيا في المرض بأنه مرض الموت فأوصت بأن لا تنعى وأن تشيع جنازتها على السنة فلا يمشي أمامها قراء ولا منشدون ولا حملة الرياحين ونحوهم وأن لا تكفن بحرير . وأوصت بأن يوقف عشرة فدادين من أطيانها على الأعمال الخيرية وخصت بعض ذوي القربى ومن كان يواسيهم والدها بشيء من الريع . وقد شيعت جنازتها كما أوصت ولعلها أول امرأة في مصر أوصت بمثل هذا في عصر يحكم النساء فيه على الرجال حتى العلماء بالمحافظة على هذه البدع الذميمة فهكذا تكون تربية المصلحين، وهكذا تكون بنات العلماء العاملين، هذه هي العبرة التي لأجلها ذكر المنار وفاة امرأة فضلت الرجال باتباع الدين حية وميتة وأذكر من فضلها رحمها الله أنها لم تخرج في جنازة والدها ولم تكن تتردد لزيارة قبره ولكنها قبيل أسبوع المرض زارت القبر وعادت تقول ان في جانب قبر والدي مكانا آخر لا بد أن أدفن فيه وقد كان ذلك

كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أول رجل معروف ترك بدع الجنائز والمآتم جهرا عند ما مات والداه وبعض ولده حتى انه لم يكن يحتفل الاحتفال الذي يسمونه (الميتم) تحريفا عن المأتم . ويتوهم الجاهلون من قول الجرائد ان مأتم فلان سيكون ثلاثة أيام عملا بالسنة أن الاحتفال المعتاد هنا مسنون وأن النبي والصحابة كانوا يجتمعون كل ليلة من الثلاث في دار الميت أو عند بيته حيث تعد لهم المقاعد ويهيأ لهم الخدم فيخوضون فى شجون الحديث والقرآن يتلى . حاش لله ما جاءت السنة بمثل هذا وانما مضت السنة بأن المصاب لا يعزى بعد ثلاث لأن التعزية بعدها تذكير بالمصيبة

ثم ان كثيرا من الكبراء أصحاب العزائم قد تركوا بدع الجنائز وناهيك برياض باشا فانه عند ما توفيت زوجه لم يشيع جنازتها بالاناشيد أمامها ولا بالفراشين المؤتزرين بالحرير الحاملين للرياحين في شبه المباخر من الفضة كما يفعل الاغنياء تقليدا لمباخر النصارى . وفعل مثل ذلك كثيرون من العلماء والوجهاء فلا عذر بعد هذا لمن يعتذر عن ترك هذه البدع بالمحافظة على التقاليد والعادات،

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿مصر — غرة شوال سنة ١٣٢٣ — ٢٨ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠٥﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها فى الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٣٩: ٢٤١) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً الَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ، فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (٢٤٠: ٢٤٢) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ * (٢٤١ : ٢٤٣) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *

هذه الآيات تتمة ما في السورة من أحكام الازواج وقد جاء الامر بالمحافظة على الصلوات في أثناء هذه الاحكام — والصلاة عماد الدين — للعناية بها فمن حافظ على الصلوات كان جديرا بالوقوف عند حدود الله تعالى والعمل بشريعته ولذلك قال «واستعينوا بالصبر والصلاة» وقد بينا وجه ذلك

قوله ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا﴾ الخ فيه قولان (أحدهما)

ان عدة الوفاة كانت في أول الاسلام سنة كاملة مجاراة لعادات العرب ولكن مع تخيير المرأة في الاعتداد في بيت الميت فان اعتدت فيه وجبت نفقتها من تركته وحرم على الورثة اخراجها وان خرجت هي سقط حقها في النفقة وقالوا انه لم يكن للمرأة من ميراث زوجها الا هذا المتاع والنفقة فقوله تعالى ﴿وصية لأزواجهم﴾ معناه فليوصوا وصية لأزواجهم أو فعليهم وصية لأزواجهم اذ قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم «وصيةً» بالنصب . وقرأها ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالرفع وقوله ﴿متاعاً الى الحول﴾ معناه أن يمتعوا متاعاً أو متعوهن متاعاً كأنه قال فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعاً الى آخر الحول وقيل إن التقدير جعل الله ذلك لهن متاعاً وقوله ﴿غير إخراج﴾ معناه غير مخرجات أي يجب ذلك لهن مقيمات في دار الميت غير مخرجات فلا يمنعن السكنى . قال الاستاذ الامام: لأحسن ماقاله بعضهم من إن متاعاً مصدر بمعنى تمتيعاً أو معمولة للمصدر الذي هو وصية ومعنى غير اخراج غير مخرجات وهو حال من الأزواج والنكتة في العدول عنه هي أن المراد أن يوصي الرجل بعدم اخراج زوجه وأن ينفذ أولياؤه وصيته فلا يخرجونهن من بيوتهن ولو قال «غير مخرجات» لكان تحتيما عليهن بالبقاء في البيوت ولأفاد عدم جواز اخراجهن لأحد ولو كان وليا كأبيها وليس هذا بمراد فعبارة الآية تفيد المعنى المراد ولا توهم سواه — هذا ما ذهب اليه الجمهور في معنى الآية فهي عندهم توجب أن تكون عدة الوفاة سنة كاملة وأن ينفق على المعتدة من تركة زوجها مقيمة في داره لا يجوز اخراجها منه الا أن تخرج باختيارها فتسقط نفقتها قالوا ثم نسخت بجعل العدة

أربعة أشهر وعشرا كما في تلك الآية التي تقدمت عليها في الذكر وهي متأخرة عنها في النزول وبجعلها وارثة للزوج بنص القرآن مع تحريم الوصية للوارث في الحديث . أقول وعليه يكون الاصلاح لتلك العادات الجاهلية في الاعتداد لوفاة الزوج وما يتبعه من الحداد عليه قد حصل بالتدريج فأقرت مدة العدة أولا ولكن منع أن تكون بتلك الحالة الرديئة التي تقدم ذكرها ثم نسخت بما تقدم

قال الاستاذ الامام وهناك وجه آخر يتصل بقول الجمهور وهو أن الآية كانت في فرض الوصية وطلب مع هذا الفرض من ورثة الميت أن لا يخرجن النساء في مدة الحول . وان الخروج الذي يبرأ به أولياء الميت من الوصية المفروضة التي هي النفقة هو الخروج الذي بعد العدة التي هي أربعة أشهر وعشر . قال وهو قول ضعيف

والقول الثاني ان هذه الآية لم يذكر فيها التربص الذي هو الاعتداد كما ذكر في غيرها من آيات العدة السابقة وانما ذكر الوصية والمراد بها أن يستوصي الرجال بالنساء اللواتي يتوفى أزواجهن خيرا بأن لا يخرجوهن من بيوت أزواجهن بعدما كان من قوة علاقتهن بها الى مدة سنة كاملة تمر فيها عليهن الفصول الاربعة التي يتذكرن أزواجهن فيها ، وأن يجعل لهن في مدة السنة شيء من المال ينفقنه على أنفسهن الا اذا خرجن وتعرضن للزواج أو تزوجن بعد العدة المفروضة في الآية السابقة . ولكن لم يعمل أحد من الصحابة ولا من بعدهم بهذا ولذلك قال الجمهور انه منسوخ وذهب بعض الصحابة والتابعين الى أن الامر بالوصية كان للندب وتهاون الناس به كما تهاونوا في كثير من المندوبات — أي كاستئذان الاولاد الذين لم يبلغوا الحلم

عند دخول بيوتهم في الاوقات الثلاثة التي هى مظنة التهاون بالستر قبل صلاة الفجر وحين وضع الثياب من الظهيرة في أيام الحر ومن بعد صلاة العشاء- قال وعلى هذا فلانسخ لانهم مجمعون على أنه لا يصار الى النسخ اذا أمكن الجمع بين النصين

هذا ماجرى عليه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تفسير الآية وفي كتب التفسير عزو مخالفة الجمهور الى كبيرين من قدماء المفسرين وهما مجاهد وأبو مسلم أما مجاهد فقد روى عنه ابن جرير أنه يقول نزل في عدة المتوفى عنها زوجها آيتان قوله تعالى «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» الآية وقد تقدمت وهذه الآية فيجب حمل الآيتين على حالتين فان اختارت الاقامة في دار زوجها المتوفى والنفقة من ماله فعدتها سنة والا فعدتها أربعة أشهر وعشر. فيكون للعدة على قوله أجل محتم وهو الأقل وأجل مخير فيه وهو الأكثر. وأما أبو مسلم فيقول ان معنى الآية: من يتوفى منكم ويذرون أزواجاً وقد وصوا وصية لأزواجهم بنفقة الحول وسكنى الحول فان خرجن قبل ذلك وخالفن وصية الازواج بعد أن يقمن المدة التي ضربها الله تعالى لهن فلا حرج فيما فعلن في أنفسهن من معروف أي نكاح صحيح لأن اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة قال والسبب انهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا كاملا وكان يجب على المرأة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الآية ان ذلك غير واجب وعلى هذا التقدير فالنسخ زائل

أورد الامام الرازي هذا في تفسيره ثم قال «واحتج على قوله بوجوه (أحدها) ان النسخ خلاف الاصل فوجب المصير الى عدمه بقدر الامكان

(والثاني) أن يكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ في النزول (أي الشرط أن يكون الخ ولعل لفظ الشرط سقط من الاصل) واذا كان متأخراً عنه في النزول كان الأحسن أن يكون متأخرا عنه في التلاوة أيضاً لأن هذا الترتيب أحسن فأما تقدم الناسخ على المنسوخ في التلاوة فهو وان كان جائزا في الجملة الا أنه يعد من سوء الترتيب وتنزيه كلام الله تعالى عنه واجب بقدر الامكان. ولما كانت هذه الآية متأخرة عن تلك في التلاوة كان الاولى أن لا يحكم بكونها منسوخة بتلك (الوجه الثالث) هو أنه ثبت في علم أصول الفقه أنه متى وقع التعارض بين النسخ وبين التخصيص كان التخصيص أولى، وههنا ان خصصنا هاتين الآيتين بالحالتين على ما هو قول مجاهد اندفع النسخ فكان المصير الى قول مجاهد أولى من التزام النسخ من غير دليل وأما على قول أبي مسلم فالكلام أظهر لأنكم تقولون تقدير الآية: فعليهم وصية لأزواجهم أو تقديرها: فليوصوا وصية: فأنتم تضيفون هذا الحكم الى الله تعالى وأبو مسلم يقول بل تقدير الآية: والذين يتوفون منكم ولهم وصية لأزواجهم: أو تقديرها: وقد أوصوا وصية لأزواجهم: فهو يضيف هذا الكلام الى الزوج. واذا كان لا بد من الاضمار فليس اضماركم أولى من اضماره. ثم على تقدير أن يكون الاضمار ما ذكرتم يلزم تطرق النسخ الى الآية وعند هذا يشهد كل عقل سليم بأن اضمار أبي مسلم أولى من اضماركم وأن التزام هذا النسخ التزام له من غير دليل مع ما في هذا القول بهذا النسخ من سوء الترتيب الذي يجب تنزيه كلام الله تعالى عنه وهذا كلام واضح. واذا عرفت هذا فنقول هذه الآية من أولها الى آخرها تكون جملة واحدة شرطية فالشرط هو قوله «والذين

يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير إخراج» والجزاء هو قوله (فان خرجن فلا جناح عليكم في مافعلن في أنفسهن من معروف) فهذا تقدير قول أبي مسلم وهو في غاية الصحة» اه

أوردنا كلام الرازي بنصه على اسهابه واطنابه لما فيه من تفنيد قول الجمهور بالحجج البينة التي يقتنع بها أولو الألباب وليعلم المقلدون أن في أشهر مفسري القرون الوسطى من ضعف ذلك القول ورجح عليه كلا من القولين المخالفين له . واعلم أن ماذكره من جواز كون الناسخ متأخراً عن المنسوخ في التلاوة هو ماقاله الأصوليون واطلاق القول فيه غريب ماحملهم عليه الا تصحيح فهمهم لمثل هاتين الآيتين أو اغترارهم بتفسير الجمهور لهما واذا سهل تسليم قولهم بجواز وجود آيتين في سورتين تنسخ احداهما الأخرى مع وجود الناسخة في السورة المتأخرة في ترتيب القرآن فلا يسهل القول بأن آيات متناسقة في سورة واحدة يجعل السابق منها ناسخاً لما قبله ويفهم من قوله بوجوب تنزيه كلام الله تعالى عن مثل ذلك أنه لا يجيزه لان الواجب في التنزيه يدخل في باب العقائد فهو أبلغ من الواجب في الاحكام العملية فكيف يسمى تركه جائزا . واذا كان غير جائز فهو البرهان القاطع على بطلان قول الجمهور بالنسخ

بعد هذا كله أقول ان قول مجاهد في الآية بعيد جدا وإن فضله الرازي على قول الجمهور ويرجح قول أبي مسلم أمران أحدهما في العبارة وهو جعل « الذين يتوفون » فيه على ظاهره والجمهور يجعلونه بمعنى الذين تحضرهم الوفاة كأن هذه الوصية لا تجب الا على من يشعر بدنو أجله . وثانيهما ماعلم من عادة العرب في إلزام المرأة بيت زوجها المتوفي سنة كاملة فلما

جعل الاسلام عدتها أربعة أشهر وعشرا كان من مقتضاه أن يخرجها الورثة من البيت بعد مضي العدة فاذا كانت غير راغبة في الزواج يشق عليها ذلك فكان من اللائق المتوقع من الزوج الوفي أن يوصي بعدم اخراجها قبل الحول المعتاد جبرا لقلبها وأن لا تكلف النفقة على نفسها مادامت في البيت وقد بين الله تعالى للناس أنه لا حرج على أولياء الميت وورثته فيما تفعله المرأة اذا هي خرجت من بينهم لأن كفالتهم اياها تسقط حينئذ من غير تقصير منهم في اكرامها وانما قيد الفعل بالمعروف لان منعها عن المنكر واجب عليهم فاذا قصروا فيه كان عليهم جناح عظيم .

وهذا الوجه الثاني يتفق مع التفسير المختار عن الاستاذ الامام وهو أن الوصية للندب لا للوجوب . والوجه الأول يمكن التفصي منه بجعل الوصية من الله تعالى لا من المتوفى والتقدير على الوجه المختار : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية من الله لأزواجهم أو فالله يوصي وصية لأزواجهم أن يمتعن متاعاً ولا يخرجن من بيوت أزواجهن الى تمام الحول فان خرجن من تلقاء أنفسهن فلا جناح عليكم أيها المخاطبون بالوصية فيهم في مافعلن من المعروف شرعاً وعادة كالتعرض للخطاب بعد العدة والتزوج اذ لا ولاية لكم عليهن فهن حرائر لا يمنعن الا من المنكر الذي يمنع منه كل مكلف وجعل الوصية من الله تعالى معهود في القرآن كقوله «يوصيكم الله في أولادكم» وقوله «غير مضار وصية من الله» وهذا هو المتبادر من النظم الكريم فهو أظهر من قول أبي مسلم ولا يعارض آية تحديد العدة ولا آية المواريث ولا حديث « لا وصية لوارث» فيتأتى فيه النسخ سواء كانت هذه الوصية للندب أو للوجوب وما قلنا انها للندب الا لعدم شيوع العمل

بها كآية استئذان الولدين في سورة النور ولا يمكن الجزم بأنه لم يعمل بها أحد ألبتة اذ لم يطلع أحد من الخلق على جميع معاملات الناس في بيوتهم . وقد ختم الآية بقوله ﴿والله عزيز حكيم﴾ للتذكر بأن لله العزة والغلبة فيما يريد من تحويل الامم عن عادات ضارة الى سنن نافعة تقتضيها الحكمة لتحويل العرب عن عاداتهم في العدة والحداد بجعل المرأة أسيرة ذليلة مقهورة مدة سنة كاملة الى ماهو خير من ذلك وهو اكرامها مادامت في بيت زوجها بين أهله وعدم الحجر على حريتها اذا أرادت الخروج منه مادامت في حظيرة الشرع وآداب الامة المعروفة فهذه الحكمة البالغة توافق مصلحة الافراد والجمعيات في كل زمان ومكان

ثم قال تعالى ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ قال الجلال كرره ليعم الممسوسة أيضاً اذ الآية السابقة في غيرها : وقد أنكر عليه الأستاذ الامام كعادته القول بالتكرار قال كان ماتقدم خاص وماهنا عام والصواب أن كل آية من الآيات التي وردت في المطلقات وردت في نوع منهن فتقدم حكم من لم تمس وقد فرض لها وحكم المدخول بها المفروض لها وبقي حكم غيرهما (وفي المذكرة المأخوذة عن درسه وبقي حكم من الممسوسة سواء فرض لها أم لا) فذكره هنا ولم يذكر ذلك بالترتيب لان القرآن ليس كتاباً فنياً فيكون لكل مقصد من مقاصده باب خاص به وانما هو كتاب هداية ووعظ ينتقل بالانسان من شأن من شؤونه الى آخر ويعود الى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة مع التفنن في العبارة والتنويع في البيان حتى لا يمل تاليه وسامعه من المواظبة على الاهتداء ويوجز أحيانا بما يعجز كل أحد عن الاتيان بمثله اذا كان المقام يقتضي الايجاز

ويطنب في مقام آخر حيث ينبغي الاطناب وهو معجز في اطنابه كايجازه لا لغو فيه ولا حشو ولكل مقام فيه مقال ينطبق على الحكمة ويعين على التدبر والتذكر

أقول ان المطلقات أربع مطلقة مدخول بها قد فرض لها مهر فلها كل المفروض وعدتها ثلاثة قروء وفيها قوله تعالى «ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً» الآية وتقدم تفسيرها وفي معناها قوله تعالى في سورة النساء «وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً» ومطلقة غير مدخول بها ولا مفروض لها فيجب لها المتعة بحسب ايسار المطلق ولا مهر لها وفيها قوله تعالى «لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن» الآية وقد سبق تفسيرها ولا عدة عليها لآية الأحزاب التي ذكرناها في تفسير تلك الآية ، ومطلقة مفروض لها غير مدخول بها فلها نصف المهر المفروض وفيها قوله «وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن» وتقدم تفسيرها ولا عدة عليها أيضاً ، ومطلقة مدخول بها غير مفروض لها قالوا ولها مهر مثلها بلا خلاف وذكر بعضهم أن قوله تعالى في سورة النساء «فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة» معناه فأعطوهن مهورهن بالفرض والتقدير اذا كان غير مسمى أي والعمدة في التقدير مساواتها بأمثالها . ولم يأمرنا تعالى بالتمتيع عند ذكر نوع من المطلقات الا غير الممسوسات مطلقاً كما في آية الأحزاب أو مقيداً بقوله «أو تفرضوا لهن فريضة» كما تقدم في الآية المشار اليها آنفاً . ثم ختم الله تعالى هذه الأحكام المسرودة هنا بقوله «وللمطلقات متاع» فزعم بعضهم أن المراد المطلقات المعهودات اللواتي سبق الامر بتمتيعهن واستدلوا بما رواه

ابن جرير عن ابن زيد قال لما نزلت «ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين» قال رجل ان أحسنت فعلت وان لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله هذه الآية . وفسروا المتقين بمتقي الكفر وليست هذه الرواية مما يحتج به وقد قدمنا ان ذكر المحسنين هناك لا يدل على التخيير . وقال بعضهم ان هذا حكم عام فتجب المتعة لكل مطلقة . ولا تكرار على هذا مع الآية الآمرة بتمتيع من لم تمس ولم يفرض لها لأن هذه الآية مسوقة لحكم هذه المتعة من غير تخصيص ولا تقييد بكونها تختلف باختلاف حال الرجل في الإيسار وتلك سيقت لبيان نفي الجناح عمن طلق من لم يمسها ولم يفرض لها وجاء في السياق انه يجب لها تمتيع حسن بحسب قدرة المطلق لما تقدم بيانه في تفسيرها . فعلى هذا تكون المتعة مشروعة لكل مطلقة وروي هذا عن ابن عباس وابن عمر وعطاء وجابر بن زيد وسعيد بن جبير وأبي العالية والحسن البصري والشافعي في أحد قوليه وأحمد واسحق واستدلوا بعموم هذه الآية وبقوله تعالى في سورة الأحزاب (٣٣ — ٢٨) «يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا» وقد كن مدخولا بهن مفروضاً لهن المهر . والقائلون بهذا منهم من يقول انها واجبة لكل مطلقة ومنهم من يقول واجبة لمن لم تمس ولم يفرض لها مندوبة لغيرها . وحجة من قال ان التمتيع خاص بمن لم تمس ولم يفرض لها هي أنه بدل مما يجب لغيرها من نصف المهر ان فرض لها ولم تمس أو المهر المسمى أو مهر المثل اذا كانت ممسوسة . وحسبنا ان الله تعالى جعل تمتيع المطلقات حقاً على المتقين وقد فسروه بالذين يتقون الشرك أي هو حق على كل

مؤمن مطلقاً الا أن يثبت أن ما تستحقه من المهر يسمى متاعاً في عرف القرآن فحينئذ تكون هذه الآية فذلكة لسائر الآيات كأنه قال لكل مطلقة متاع تمتع به فمنهن من متاعها المهر المسمى أو المقدر ومنهن من متاعها نصفه ومنهن من لها متاع غير محدود لأنه على حسب الاستطاعة . وأحوط الاقوال وأوسطها قول من جعل المتعة غير المهر وأوجبها لمن لا تستحق مهراً وندبها لغيرها

ثم ختم الله تعالى هذه الأحكام بقوله ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ أي مضت سنته تعالى بأن يبين لكم آياته في أحكام دينه مثل هذا النحو من البيان وهو أن يذكر الحكم وفائدته ويقرنه بذكر الله والموعظة الحسنة التي تعين على العمل به ليعدكم بذلك لكمال العقل بتحري الاستفادة من كل عمل فعليكم أن تعقلوا ما تخاطبون به لتكونوا على بصيرة من دينكم عارفين بانطباق أحكامه على مصالحكم بما فيها من تزكية نفوسكم والتأليف بين قلوبكم فتكونوا حقيقين بإقامتها والمحافظة عليها . قال الاستاذ الامام ليس معنى العقل أن يجعل المعنى في حاشية من حواشي الدماغ غير مستقر في الذهن ولا مؤثر في النفس بل معناه أن يتدبر الشيء ويتأمله حتى تذعن نفسه لما أودع فيه إذعاناً يكون له أثر في العمل فمن لم يعقل الكلام بهذا المعنى فهو ميت وان كان يزعم أنه حي — ميت من عالم العقلاء حي بالحياة الحيوانية — وقد فهمنا هذه الاحكام ولكن ما عقلناها، ولو عقلناها لما أهملناها » :

وأقول ان هذه الطريقة المثلى في بيان الاحكام من طريقة الكتب المعروفة عندنا بكتب الفقه وهي غفل في الغالب من بيان فائدة الأحكام

وانطباقها على مصالح البشر في كل زمان ومزجها بالوعظ والتذكير . وأين أهل التقليد من هدي القرآن هو يذكر لنا الأحكام بأسلوب يعدنا للعقل ويجعلنا من أهل البصيرة وينهانا عن التقليد الأعمى وهم يأمروننا بأن نخرّ على كلامهم وكلام أمثالهم صما وعميانا ، ومن حاول منا الاهتداء بالكتاب العزيز وما بينه من السنة المتبعة أقاموا عليه النكير . ولعله لا يسلم من التبديع والتكفير ، يزعمون أنهم بهذا يحافظون على الدين وما أضاع الدين الا هذا فان بقينا على هذه التقاليد لا يبقى على هذا الدين أحد فاننا نرى الناس يتسللون منها واذا رجعنا الى العقل الذي هدانا الله تعالى اليه في هذه الآية وأمثالها رجي لنا أن نحيي ديننا فيكون دين العقل هو مرجع الأمم أجمعين ، وهذا ما وعدنا الله تعالى به «ولتعلمن نبأه بعد حين»

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

تتمة المقالة الثالثة لصاحب التوقيع

٧ – الرقيق وإصلاح حاله وتحريره

قضي على البشر أن يستعبد بعضهم بعضاً من قديم الأزمان . فلم تخل أمة من الاسترقاق واختطاف الناس للتجارة فيها . عومل الرقيق بضروب من القسوة في سائر الشعوب بما يجعل وجه الانسانية يحمر خجلاً وقلب المؤمن ينفطر من الله وجلا . ولكن هكذا كان وهكذا حصل .

أتى الاسلام فرقّ لحالهم كما كان شأنه لجميع الضعفاء . منع الاسترقاق بتاتاً الا أن يكون في حرب شرعية مع قوم لم يؤمن اذاهم من غير المسلمين . وبهذه القاعدة سدأ كثر ينابيعه وغلق أبواب الظلم والعدوان . أمر بالاحسان الى الارقاء ومعاملتهم بالرفق واللين . فقال «وبالوالدين احساناً وبذي القربى» الى أن قال «وما ملكت

أيمانكم» ونهى عن لطم المملوك وضربه وجعل كفارة ذلك العتق فقال عليه الصلاة والسلام «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه» وليس هذا فقط بل قال «اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم» وقال «لا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي» وحث على تهذيبهم وتعليمهم في مثل قوله «من كانت له جارية فعلمها وأحسن اليها وتزوجها كان له أجران» هذا وقد أمر الله تعالى بتزويجهم فقال في القرآن الشريف «وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله»

واذا افترش السيد أمته فولدت له كان الاولاد أحرارا ويرثون في أبيهم الى غير ذلك من القواعد العادلة التي لم تأت بها شريعة قط . ليس هذا كل ما فعله الاسلام بأولئك الضعفاء بل جعل تحرير الرقاب كفارة لكثير مما يقع من الانسان مخالفاً للدين حتى في أبسط المسائل كالحنث في الايمان فقال «لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته» الى أن قال «تحرير رقبة» وليس هذا فقط بل أمر بجمع الاموال – الزكاة من الاغنياء وصرف جزء منها في تحرير الرقاب «انما الصدقات للفقراء – الى قوله – وفى الرقاب» الآية وكرر حث ذوي اليسار على ذلك المرة بعد المرة «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله – الى أن قال – «وأتى المال على حبه ذوي القربى» – الى قوله – «وفي الرقاب» وقال أيضاً «فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة» الى غير ذلك مما يطول شرحه . أليس ما أتى به القرآن منذ قرون هو ما تفتخر به المدنية الحديثة وتتيه اعجاباً به ؟

يزعم دعاة المسيحية أن ما قام به الأوروبيون في الزمن الأخير هو من آثار دينهم فيهم . ولكن الحقيقة أن ذلك نتيجة الرقي العقلي والعلمي الذي وصلوا اليه عن قريب ولا دخل للدين فيه . والا فلماذا قضوا القرون العديدة في استعباد الناس على أشنع الأحوال !!

وهل ورد فى المسيحية كلمة واحدة عن تحرير الرقيق ؟ الذي ورد فيها هو أمر

الارقاء أن يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعون المسيح عليه السلام وأن يبالغوا في حسن القيام بخدمتهم تمجيداً لتعاليمه عليه السلام كما يقول بولس في رسائله وقد وافق على ذلك بطرس الحواري في رسالته الأولى حيث أوصى العبيد بأن يخضعوا لساداتهم ويخشوهم فأين هذا من ذاك وأين الثرى من الثريا. ولم لم يهتم المسيح بشأن العبيد ويرق لحالتهم كما رق الاسلام وينه عن الاسترقاق متبعيه أو يأمر باستعمال الرفق بهم واللين ولو بجملة واحدة؟ يقولون انه لم يأت ليسن شرائع أو ينسخ ما كان موجوداً منها . ونقول ردا عليهم لم حرم الطلاق والتزوج بالمطلقة والتعدد في الزوجات . أما كان يمكنه أن ينهى الناس عن استعمال القسوة على الاقل مع اولئك الضعفاء . واذا قدر على الاول فكيف لم يقدر على الثاني مع ان الاول اشق على النفوس من الثاني . (١)

هذا والحق يقال إن ما اتى به الاسلام لم يأت بمثله دين على وجه البسيطة ولو كان المسلمون في درجة الأوروبيين مدنية وعلماً لكانوا اولى الناس بذلك العمل العظيم وهو تحرير الارقاء الذي لم يعرفه غير دينهم . ولكن قضى الله أن يكون المسلمون حجة على دينهم كما كان يقول حكيمنا الاستاذ الامام قدس الله روحه

٨ — أصناف آخرون رعاهم الاسلام بعين رعايته

﴿الفقراء والمساكين﴾

قضت الحكمة الآلهية أن يكون الناس مختلفين في الدرجات ما بين غني وفقير اوصعلوك وأمير الى غير ذلك من أنواع الاختلافات التي قامت بسببها الأعمال في الارض ودارت حركة الاشغال وكثرت المنافسات في الحصول على العيش والارتقاء جاء الاسلام فقرر هذه القاعدة العمرانية « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » وخالف بذلك من أراد أن يجعل المعيشة اشتراكية لأن ذلك هدم للنظام ومدعاة للكسل وترك للأعمال وايقاع للبشر في مهواة الفقر والفاقة والتقهقر . ولذلك لم ينجح ولن ينجح من حاول تبديل خلق الله ولكن

(١) المنار: كان سكوت المسيح عن مثل هذا لأن الأمة لم تستعد له مع علمه أن الدين الاخير سيبينه في وقته وقد عبر عن رسول هذا الدين بقوله روح الحق الذي يبين لكم كل شيء

من الاختلاف نشأ مرض التباغض في جسم الهيئة الاجتماعية فحقد الفقير على الغني وأراد به السوء . فأفهم الاسلام هؤلاء البائسين حكمة الله في ذلك وأمرهم بالتزام الصبر والرضاء بقضائه ووعدهم خيراً في الآخرة . ثم عطف على الأغنياء وألزمهم أن يعطوهم شيئاً من أموالهم مساعدة لهم في معاشهم وكرر ذلك المرة بعد المرة حتى انك قلما ترى سورة من القرآن خالية من ذلك «وآتوا الزكاة» فاستل بذلك ضغائن أهل الفاقة ومحص صدورهم من الغل . فأي دواء أنجع من هذا؟ وأي دين أوجب ذلك كما أوجب القرآن وميز بين الصدقة والزكاة؟

﴿الأيتام﴾

لم يهمل الإسلام شأنهم بل حافظ على حقوقهم وحرم اغتيال شيء من مالهم «ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا» ونهى عن إغضابهم واذلالهم فقال « فأما اليتيم فلا تقهر » وحث على اطعامهم في نحو قوله «أواطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة»

﴿ ابن السبيل ﴾

عندي أن اللقيط أجدر بهذا اللقب من المسافر وغيره فان لم يكن هو المراد بهذه التسمية وحده فليكن مما يدخل في عمومها وان كان اللقطاء في بلاد الاسلام قليلين وعليه يكون القرآن قد أمر بصرف جزء من الزكاة في تربيتهم واعدادهم لأن يكونوا نافعين للمجتمع الانساني . فأي شيء يفتخر به الغربيون لم يوجد في ديننا؟ وأي دين وجد فيه ما يمكن أن يفهم منه هذا المعنى بصراحة مثل ذلك؟ (*)

(*) المنار : جاء في آية مصارف الزكاة ذكر ثمانية أصناف منها أربعة ذكرت بلام الملك « انما الصدقات للفقراء والمساكين » الخ والباقيات ذكرت هكذا «وفي سبيل الله وابن السبيل» والحكمة في ذلك أن الاصناف الأولى يملك أفرادهم نصيبهم من الزكاة وأما الأربعة الباقية فهي من المصالح العامة التي يصرف المال فيها ولا يملكه افراد الآخذين وقد فسروا في سبيل الله بالجهاد وزاد بعضهم الحج والاستاذ الامام يقول انه يشمل غير ذلك من المصالح العامة كبناء المدارس والمستشفيات وهو

٩ – الخمر والميسر ولحم الخنزير

نهى القرآن نهياً صريحاً عن هذه الاشياء الثلاثة بما لا يقبل تأويلا . ولم يرد عن نبيه أنه حول الماء خمراً معجزة له ليشربه الناس . ولم يأت في عبادات الاسلام ما يشرب فيه الخمر على أنه دم الإله (تعالى) وحكمة تحريم الخمر والميسر لا تخفى على أحد . وأما لحم الخنزير فقد سبق أننا كتبنا في المنار في احدى السنين الماضية ما فيه من المضرات التي هي علة تحريمه ونجاسته

١٠ – مصالح الدنيا

أباح القرآن بعد ذلك الطيبات أكلا وشرباً وزينة ولباساً (اقرأ أوائل سورة الأعراف) وأمر بالسعي والعمل وتصريف الأعضاء فيما خلقت لأجله « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه – فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » فلم يحث على زهد أو رهبانية أو إخصاء أو نحو ذلك مما هو عقبة في سبيل الرقي والتقدم (أنظر مثلا انجيل متى إصحاح ١٩ : عدد ١٠–١٢) وجملة القول أن الاسلام لم يدع أصلا من أصول الاصلاح الا أتى به

ولكن العمل بما قال به الفقهاء المقلدون لا يعادل عليه اللفظ والاسلوب في الكتاب

ولا فضيلة الا أقرها فهو وحده الدين الكامل بلا شك ولا مراء . ولا يراد بالدين والانبياء الا أن يكونوا كالطب والأطباء لامراض الاجتماع . ولا يعرف قدر الدين الا بقدر شفائه للادواء فهل هناك دواء شاف لمن تعاطاه غير الاسلام . لهذا أخذت

على كل حال ليس مما يملكه أفراد معينون بل يشترى به السلاح وتقام به الحصون وتنشأ به الاساطيل الى غير ذلك مما يتوقف عليه الجهاد فلذلك عبر عنه بقوله « وفي سبيل الله » ولما عطف عليه ابن السبيل كان من مقتضى الاسلوب أن يكون هذا من المصالح فلو كان ابن السبيل خاصاً بالمسافر الذي ينقطع في سفره كما يقول الفقهاء لعطفه على الفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والغارمين . فعلم من هذا أن ابن السبيل في قوله تعالى « وفي سبيل الله وابن السبيل » يجب أن يكون من المصالح التي ينفق فيها المسلمون ولفظ ابن السبيل وحده يدل على من لم يعرف له أصل ينسب اليه فنسب الى الطريق الذي وجد فيه وهو أظهر في اللقيط منه في المنقطع في سفره الحلال كما قال الكاتب

الامم تقرب منه يوماً بعد يوم الى أن يتحقق نبأ الغيب « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »

المقالة الرابعة وهي الخاتمة

(في رد بعض شبهات)

اذا قامت في نفس الانسان شبهة ولم يمكنه –أو لم يرغب– ازالتها أعمته عن قوة البراهين ولو كانت تلمس باليد وصارت عقبة في سبيل فهمها . وكلما ناداه منادي العقل والانصاف أن أذعن . صاح به شيطان الشبهة أن لا تغتر ، والى غير اعتقادك لا تركن ، ولذلك تجده يقرأ من البراهين ، ما هو آيات للمستيقنين ، ولا يزداد الا جمودا ، وللحق جحودا ، فلهذا رأيت أن أختم مقالاتي السابقة برد ما أعلم أنه العقبة الكبرى أمام اقتناع الكثيرين ممن يقرأونها وهم غالباً صنفان اما أن يكونوا ممن أثرت في عقولهم نظريات الماديين ، واما أن يكونوا من المسيحيين

شبهتان للماديين في القرآن

أما الأولون فأعظم ما يشتبه عليهم ذكر قصة آدم في القرآن وخلق العالم في ستة أيام لان ما عندهم من نظريات « داروين » وغيرها يحول دون التسليم بما ورد في الكتاب . ولي كلمتان أقولهما لهذا الصنف من الناس (الاولى) أني أقر وأعتقد أن مذهب « داروين » هو أسمى ما وصل اليه الفكر البشري لحل معميات هذه المسائل – الآثار الجيولوجية ، الاعضاء الأثرية ، التشابه العظيم بين الحيوانات وخصوصاً بين أجنتها وغير ذلك من المسائل العلمية في عالمي الحيوانات والنباتات التي لا يمكن تعليلها الآن بأحسن من هذا المذهب — ولكن لا ينتج من ذلك أنه هو الحق الذي لا يصل البشر الى تعليل آخر غيره . فكم من نظريات عمل بها العالم أجيالا وقروناً في تفسير كثير من المسائل وقد اعتقدنا الآن خلافها . أما كنا في الزمن الاول نعتقد أن العناصر أربعة فقط (الهواء والنار والماء والتراب) أما كنا نعتقد أن الارض هي مركز العالم وأن الشمس والسيارات تدور حولها ؟ أما كنا

نعتقد صحة خبطهم وخلطهم في أمزجة الانسان وأسباب الامراض ومعالجتها ؟ أما كنا نعتقد بكل هذه المسائل وغيرها ونظن أنها الحق الذي ما بعده الا الباطل . فما هو اعتقادنا اليوم ؟ أترك القارئ ليتفكر في هـذه المسألة وليستحضر في ذهنه تلك الدهور الغابرة

(الكلمة الثانية) لم يرد في القرآن الشريف نص قطعي على أن آدم أول بشر خلق على وجـه الارض ولا على أنه أبو جميع الناس ولا على أنه خلق مباشرة من التراب بل وجد فيه ما يشير الى خلاف هذه المسائل ومثل ذلك قوله تعالى «اني جاعل في الارض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» فان لم يكن قبله أحد فمن يخلف حتى سماه خليفة ؟ ولو لم تشاهد الملائكة افساد الناس في الارض وسفكهم دماء أنفسهم فمن أين علموا ذلك؟ ومثـل قوله تعـالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجها ،وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» . اعلم أن القرآن كثيرا ما يخاطب العرب دون غيرهم من الأمم كما في قوله «انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون» . فلا يتحتم أن يكون المراد بكل خطاب للناس فيه جميع من على وجه الارض وانما هؤلاء قد يكونون مطالبين بالتبع للعرب المخاطبين ابتداء على حد قول القائل — اياك أعني واسمعي ياجاره — ومثل قول الخطيب لسامعيه يا أيها الناس لا تشربوا الخمر مثلا فهو وان كان يخاطب الحاضرين الا أنه لا يقصد نهيهم وحدهم عن الشرب بل هم وجميع من على شاكلتهم فكذا يجوز أن يكون الخطاب في هذه الآية التي نحن بصددها للعرب وان كان غيرهم مطالبًا بالتقوى مثلهم . وقد ورد في القرآن لفظ الناس ولم يرد به الا طائفة قليلة وذلك نحو «واذا قيل لهم آمنوا كما امن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء؟» فالمراد بالناس هنا طائفة المؤمنين . واذا تصفحنا القرآن وجدنا أن التكلم في أكثره مع العرب . اذا علمت هذا أقول «يا أيها الناس» أي العرب و «من نفس واحدة» أي نفس أمهم لأن الأم هي الأصل المعول عليه ولها الحظ الأوفر في تكوين الانسان كما يتضح للناظر في العلوم الطبيعية . واذا لاحظت أن هذه الآية هي أول سورة النساء أدركت ما فيها من حسن الابتداء وبراعة الاستهلال

«وخلق منها زوجها» أي من جنسها كما في قوله تعالى «خلق لكم من أنفسكم أزواجا» أو باعتبار أن المرأة هي أصل الرجل . ولو كان المراد في مثل هـذه الآية أن آدم وحواء هما أصل جميع الامم لما قال في آخرها «وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» بل كان يقول «وبث منهما جميع الرجال والنساء» أو ما يفيد هذا المعنى من التعبير كما هو مقتضى السياق . ولكن عبارة القرآن الشريف صريحـة في أن المبثوث منهما بعض الرجال وبعض النساء لا كلهم . هذا ولا مانع من أن يكون آدم وحواء هما أبوا العرب وبعض الامم الشرقية . وأما غيرهم فلهم آباء آخرون . ولا يوجد في القرآن ما ينافي ذلك . وقد علمت أن هذه الآية على هذا التفسير فيها دليل لنا لا علينا ان قلنا بذلك المذهب — مذهب داروين — ولذا أوردناها في هذا المقام . واعلم أن القرآن قد يخاطب النبي فقط « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء » وقـد يخاطب العرب وقد يخاطب أولاد آدم «يا بني آدم خذوا زينتكم» وقد يخاطب المؤمنـين في زمن النبي ومع ذلك قد يريد بالخطاب من هم على شاكلة المخاطبين لا المخاطبين فقط ففي هـذه الآية التي نحن بصددها وان كان الخطاب لبني آدم على اعتقادنا الا أن المطالب بالتقوى جميع الناس . هـذا وفي قوله تعالى «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» اشارة الى أن الله تعالى خلق الناس أولا ثم صورهم ثانياً أي أحسن خلقتهم ثم أسجد الملائكة لبعض أفرادهم الذي اختاره أن يعمر بعض الجهات ويكون خليفة لقوم بادوا فيها . ومثـل ذلك قوله تعالى «ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإٍ مسنون * والجانّ خلقناه من قبـل من نار السموم * واذ قال ربك للملائـكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون *» فكأنه يشير الى أنه خلق الانسان من الطين «وليس فيها دليل على أن ذلك مباشرة » ثم أمر الملائـكة بالسجود لأحد أفراد الانسان الذي خلقه مثلهم أولا من الطين الذي يترفع الملائـكة عنه ويحتقرونه فكأنه يقول أنا آمركم أن تسجدوا لهذا الفرد المخلوق من الطين كغيره من الناس الذين تحتقرونهم ولذلك كرر قوله «من صلصال من حمإٍ مسنون» وقد يتمسك البعض بقوله تعالى «ان مثل عيسى عنـد الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون *» قائلا

ان كان ادم كسائر أفراد البشر مخلوقاً من ذكر وأنثى على مذهب «داروين» فلم خص بالذكر دون اي فرد آخر. قلت لأن الخطاب مع النصارى الذين يعتقدون بخلقة آدم من التراب مباشرة فأتاهم بما هو أعجب على حسب اعتقادهم كأنه يقول ان كان آدم في اعتقادكم مخلوقاً بلا اب ولا ام فكيف تعجبون ممن خلق بلا أب فقط . فان قيل لم قال «عندالله» ولم يقل — عندكم — قلت ليشعر بأن هذا التمثيل ان لم يكن مقبولا عندهم فهو عند الله مقبول وكذا عند جميع المنصفين من الناس لأن ما قبله تعالى فهو حق مقبول عندهم كأنه قال ان مثل عيسى كمثل آدم خلقه كما خلقه وان لم تقبلوا هذا التمثيل فهو عند الله مقبول. ثم ان الضمير في قوله خلقه عائد على ما أرى الى المسيح عليه السلام لأنه هو موضوع الكلام أي انه خلقه من تراب كما خلق آدم. ومن المعلوم أن المسيح لم يخلق مباشرة من التراب فيكون آدم مثله وعليه تكون هذه الآية أيضاً لنا لا علينا ان قلنا بمذهب «داروين» ومعناها هكذا: اني آتيكم بمثل مقبول عند الله وان لم تقبلوه وهو أن المسيح مخلوق من تراب كأي فرد من أفراد البشر وأخص آدم بالذكر لأنكم اذا اعتقدتم فيه هذا الأمر العجيب — وهو خلقه بلا أب ولا أم — كان الواجب أن لا تندهشوا من مسألة المسيح التي هي أقل غرابة من ذلك .

اذا علمت ذلك تحققت أن القرآن قد أشار الى أن آدم ليس أباً لجميع البشر الموجودين الآن وليس هو أول من خلق . ولم يخلق مباشرة من تراب . وعليه يكون جميع ما ورد في القران بشأنه سهل التفسير بما ينطبق على مذهب «داروين» تماماً

وأما خلق العالم في ستة أيام فقد ورد في القرآن أن اليوم عند الله آلاف من السنين «وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» وقال أيضاً «تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فيجوز أن يكون المراد بهذه الأيام الستة آلاف من السنين (*)

(*) المنار : اليوم في اللغة هو الزمن فالستة الأيام هي ستة أزمنة انتقلت بها السموات والارض من طور الى طور حتى تم خلقها على هذه الصفة المشاهدة كما أوضحنا ذلك في المجلد السادس (ص ٣٣١)

شبهات النصارى في القرآن

« وأما الصنف الثاني وهم المسيحيون» فلهم شبهات (الاولى) ان القرآن قد أخذ ما أتى به من الامم الاخرى ويستشهدون على ذلك بما يوجد فيه مشابهاً أو مماثلا ما عند غيرنا من القصص أو العبادات أو العقائد أو غير ذلك . ولكني أذكرهم بثلاث مسائل (١) ان القرآن أتى ليصلح ما كان فاسداً عند الامم لا لأن يزيله كله ويأتي بشيء جديد من الأول الى الآخر. كلا بل اذا وجد حسناً أبقاه واذا وجد قبيحاً محاه (٢) ان القرآن نص على أن الله بعث لكل أمة رسولا في عدة مواضع منه منهم من نعرف ومنهم من لا نعرف واذاً فلا غرابة اذا وجد عند هؤلاء الامم شيء من القصص الصحيحة والعقائد الحقيقية والعبادات. فان وافق عليها القرآن فما ذلك الا لانها وحي من عند الله لهؤلاء الناس. وان خالف شيئاً منها فما ذلك الا لوقوع الغلط فيها على ممر الازمان. وان رد عليها فما ذلك الا لانها مما اقترته الناس على الله (٣) اذا صح ذلك التعليل فيما أتى به القرآن مماثلا ما عند الناس فماذا يقولون فيما يوجد فيه مما لم يأت به دين آخر ولم يعرفه أحد الا في الايام الاخيرة وقد فصلنا ذلك في المقالات السابقة

(الشبهة الثانية) ورود بعض غلطات في القرآن على زعمهم . ولا حجة لهم على ذلك إلا مقارنة القرآن بكتبهم . فان وجدوه موافقاً في شيء قالوا أخذه منها . وان خالف قالوا أخطأ . وان أتى بما لم يعرفوه قالوا اخترع . فنعما لحجتهم المضحكة !! نحن لانريد أن نطيل الكلام معهم في هذا الباب ولكنا نطالبهم بأن يجيبونا عن هذه المسائل الثلاث بما يقتنعون به هم أنفسهم اقتناعاً حقيقياً بدون رياء أو مكابرة (١) أن يثبتوا بالبرهان القاطع صحة نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم و (٢) أن كاتبيها موحى اليهم من الله وأنهم لم يخطئوا في شيء كتبوه و (٣) أنها وصلت الينا كما كتبها هؤلاء بدون تحريف لا بالزيادة ولا بالنقص ولا بالتبديل .

نحن نعلم وكل الناس يعلمون الا الجاهلين أن في هذه الكتب عبارات تدل على أن كاتبيها ليسوا من نسبت اليهم ولنضرب مثلا واحدا اصحاح ٣٤: ٥ و ٦ من

سفر التثنيه يدل على أن الكاتب لم يكن موسى . وان قيل ان أحدا أضافها فمن هو حتى نثق بأقواله وكيف يضيف الى كتاب الله مالم يكن منه . واذا أمكن مثل هـذه الاضافة فلِمَ لم يمكن اضافة غيرها مما لم ينزله الله . ثم نسألهم كيف الف الناس كتبًا كثيرة ونسبوها الى الموحى اليهم كذبًا ؟ كيف ميزتم الكتب الصادقـة من الكاذبة وما هي حججكم ؟ لم رفضت بعض الطوائف ماسلمته الاخرى ؟ بماذا اعتقدتم أن كاتبيها ملهمون من الله . هل للخوارق التي يتناقلها جميع الأمم عن مؤسسي دينهم بل وعن غيرهم كالصالحين - الاولياء والقديسين - أم لماذا ؟ أو لم يقعوا في الغلط مع أننا نجد أنهم كانوا يفسرون الاشياء على غير حقيقتها كتفسير كثير من الامراض بتأثير الشياطين وكظنونهم فى قوس قزح الذي برهن العلم أنه موجود منذ وجد السحاب والنور وأنه نتيجة انكسار النور في مثل الماء أو البلور

نحن نعلم وأهـل العلم يعلمون أن هـذه الكتب مملوءة بما يسمونه غلط الكاتب . وفيها من الفقرات الزائدة والناقصة ما يدهش ذوي الالباب وفيها من التناقض ما يحير العقول . ولنضرب مثلا لـكل . أما مثل غلط الكاتب فما ورد في السفر الثاني للايام إصحاح (١٦ : ١) اذا قورن بالسفر الاول للملوك (٣٣:١٥) ومثل الزيادة ما ورد في رسالة يوحنا الاولى ٥ : ٧ التي فيها اشارة صريحة لعقيدة التثليث ومثل التناقض ما في الاصحاح ٩ عدد ٧ من كتاب الاعمال والاصحاح ٢٢ عدد ٩ من نفس الكتاب اذ يقول في الاول ان الذين معه سمعوا الصوت وفي الثاني أنهم لم يسمعوا الصوت . فاذا جاز أن يكون الكاتب أخطأ فى النسخ وانتشر خطأه في جميع النسخ فكيف لا يجوز أن يكون حرف شيئًا وانتشر كذلك ؟ !! واذا جازت الزيادة في الفقرات والنقص فيها فكيف نأمن أنه لم يزد أو ينقص مايخـل بالمعنى ؟ واذا وجـد التناقض فكيف نرجح الصحيح على الباطل ؟ هذا هو حال الكتاب الذي يتخذونه ميزانًا لكتاب الله تعالى وشتان ما بين هذا وذاك

واننا نؤيد قولنا بايراد أربعين شاهداً من هذه الكتب على وجه الاختصار

الذي لو راجعته لوجدته إما خطأ واما تناقضاً واما زيادة واما دليلا على أن المؤلف ليس من نسب اليه الكتاب الى غير ذلك من الدلائل على فساد هذه الكتب واذا لم تفهم بعض ما أشير اليه من عباراتها فطالع احد التفاسير لتفهم غرضي لاني لا أريد ذكرها بالتفصيل والتكلم عليها خوفًا من التطويل الممل فلذا أكتفي بالاشارة الى أماكنها وأترك الباحث وراء الحق يبحث كما شاء وهي هذه :-

﴿ أربعون شاهدا من «الكتاب المقدس» عندهم على تناقضه واختلاله ﴾

(١) رسالة يوحنا الاولى ٧:٥
(٢) تيموثاوس الاولى ١٦:٣
(٣) أ كو ٥:١٥ ومر ١٤:١٦
(٤) أعمال ٧:٩ و ٩:٢٢
(٥) أعمال ١٠:٢٢ و ١٦:٢٦
(٦) يوحنا ١٣:٣
(٧) يوحنا ١٩:٢ ومتى ٦٠:٢٦ و ٦١
(٨) يوحنا ٣١:٥ و ١٤:٨
(٩) مرقس ١:١٦ و ٢ و يوحنا ١:٢٠
(١٠) مرقس ٢٦:٢
(١١) مرقس ٤٦:١٠ ولوقا ٣٥:١٨
(١٢) مرقس ٨:٦ ولوقا ٣:٩
(١٣) متى ٩:٢٧
(١٤) متى ٤٠:١٢
(١٥) متى ١٣:٦
(١٦) متى ٢٨:١٩
(١٧) متى ١٥:٢ و١٧و١٨
(١٨) متى ١٧:٥ و٣١ و٣٢ و٣٨ و٣٩
(١٩) متى ٢٧:١٦ و٢٨ وأيو ١٨:٢ وأتسا ١٥:٤ و١٧ و١٨ وا كو ١١:١٠ ومتى ٣٤:٢٤

(٢٠)متي ١٢:١

(٢١)متى ١:١١و١٧

(٢٢)متى ٩:١٨ومرقس ٥:٢٣

(٢٣)دانيال ٩:٢٤

(٢٤)حزقيال ٤٥و٤٦ وسفر العدد ٢٨و٢٩

(٢٥)حزقيال ١٨:٢٠ وخروج ٢٠:٥

(٢٦)أرميا ٥٢:١—٣٤

(٢٧)نحميا ١٢:١ -٢٦

(٢٨)٢أيام ١٥:١٩وا ملو ١٥:٣٣

(٢٩)٢أيام ١٦:١وا ملو ١٥:٣٣

(٣٠)٢أيام ٢٢:٢ و ٢ملو ٨:٢٦

(٣١)١أيام ١٩:١٨ و ٢صمو ١٠:١٨

(٣٢)١أيام ١٨:٤و ٢ صمو ٨:٤

(٣٣)يشوع ١٠:١٣ وتكوين ١٤:١٤ (انظر ٢صمو ١:١٧ وقضا ١٨:٢٩)

(٣٤)يشوع ١٥:٦٣ (انظر صموئيل الثاني ٥:٦—٨)

(٣٥)يشوع ٢٤:٢٩ — ٣١

(٣٦)تثنية ٢٣:٢ و٣

(٣٧)تثنية ٣٤:٥—١٠

(٣٨)خروج ١٢:٤٠

(٣٩)تكوين ٤٦:١٥

(٤٠)تكوين ٣٦:٣١—٣٩

ناهيك بما في هذه الكتب من الغلط والخطإ في المسائل العلمية والأخلاقية والاعتقادية وقد أشرنا الى بعضها فيما سبق . (محمد توفيق صدقي)

(المنار) ان ماذكره في كون آدم ليس أول البشر على الاطلاق موافق لمذهب الصوفية الذي يؤيدونه بالكشف كما يعلم من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي . وللمقالة بقية

باب التربية والتعليم

تقرير مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٢ الدراسية

﴿ تمهيد ﴾ جاء في كتاب « أعمال مجلس ادارة الازهر » مانصه : في ٢٩ المحرم سنة ١٣٢١ و٢٧ ابريل سنة ٩٠٣ صدرت الارادة السنية بإلحاق التدريس والامتحان في ثغر الاسكندرية بالجامع الأزهر ومضمون الارادة « ان الجناب العالي وافق ارادته العليـة أن تكون الاسكندرية ملحقة بالازهر في التدريس والعلوم والامتحان وان مجلس ادارته يضع لها القوانين والنظامات ويرتب درجات العلماء الموجودين فيها وقت صدور هذه الإرادة ويحصر الاماكن التي تدرس فيها العلوم هناك وان يكون ترتيب درجات علمائها بحضور ثلاثة من مشهوريهم الاقدمين »

ثم ذكر بعد هـذا ان شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية (يعني الاستاذ الامام رحمه الله) سافرا الى الاسكندرية للابتداء بتنفيذ هذا الامر الذي كان من رغائب الثاني وأثر سعيه - فرتبا درجات العلماء وأحصيا عددهم واختارا الشيخ محمود باشا شيخاً لعلماء الاسكندرية و بعد ان عادا اشتغل مع مجلس ادارة الازهر بوضع قانون لسير التدريس والامتحان في الاسكندرية فوضع . ثم ان الشيخ محمود باشا أبى أن يكون شيخاً لعلماء الاسكندرية تابعاً للازهر فوقف العمل واتفق أن جاء الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان في ذلك العهد الى مصر بالاجازة فأراده أحد أعضاء المجلس (يعني الاستاذ الامام) على أن يكون شيخاً لعلماء الاسكندرية فصادف منه ارتياحاً « فأشار عليه أن يعمل ليصل الى هذه الغاية فقام بالأمر خير قيام ومهد لذلك باسترضاء الجهتين جهة السودان لتوافق على نقله وجهة مصر لترضى بتعيينه شيخاً لعلماء الاسكندرية وكلل سعيه فيهما بالنجاح فقرر مجلس الادارة في ١٦ ابريل سنة ١٩٠٤ انتخابه لهذه الوظيفة الجليلة وأن يكتب الى نظارة الداخلية لتستصدر الأمر العالي بذلك فكان ماطلبه المجلس وصدر الامر العالي بتعيينه شيخاً لعلماء الاسكندرية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٢ و٢٦ ابريل ١٩٠٤ واحتفل

ذلك المشكل العظيم» اه ماأردت نقله من كتاب أعمال الازهر

وأقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان يتوسم في الشيخ محمد شاكر الهمة والنشاط في العمل ويعرف فيه حب النظام فلذلك اختاره قاضياً للسودان أولا ثم شيخاً لعلماء الاسكندرية آخراً وهو الذي أقنع الحكومة السودانية بأن ترضى بنقله وأقنع مجلس ادارة الازهر بطلب تعيينه وتسهيل السبيل له وانظر ماجاء عن مبادئ عمله فى كتاب (أعمال مجلس الازهر) قال مؤلفه

« قام شيخ علماء الاسكندرية الجديد بعمله أحسن قيام لما فيه من الفطنة وشدة الذكاء وعلمه بما يجب لهذا الزمان الحاضر وعضده مجلس الادارة الازهرية وشيخ الازهر أكبر التعضيد وسهل له الطريق في استعمال فكرته ولم يقيده بنظام سوى نظام الازهر نفسه ونسخ له صور القوانين والقرارات التي يجري عليها العمل المستمر وقرر له كل ماطلبه فى سير الاعمال وضبط نظامها وتكليف العمال بما يطلبه منهم فأمضى بقية سنته في ترتيب وتنظيم وفي تعويد العلماء على العمل وضبط المواعيد والمواظبة على إلقاء الدروس واستصدر أخيراً من مجلس الادارة قرارا بحصر المساجد التي يكون فيها التدريس في ثمانية مساجد» الخ

ثم ذكر أنه في آخر السنة الدراسية قدم تقريرا الى مشيخة الجامع الأزهر فصل فيه أعماله في تلك المدة ومايريده في السنة الجديدة. ونقول قدمت هذه السنة ووضع لها تقريراً رفعه «للاعتاب الخديوية» لا لمشيخة الأزهر وهو موضوع مانكتب هنا بعد هذا التمهيد فنبدي رأينا في مسائله التي فيها مجال للرأي ثم في عبارته

﴿ مبحث التعليم الديني — رأيه ورأينا ﴾

في مقدمة التقرير كلام في فائدة عرض الأعمال على أصحاب الافكار والآراء قال بعده «وهذه خلاصة الاعمال في مشيخة العلماء بمدينة الاسكندرية وأن المشيخة ليسرها أن ترى ذلك اليوم الذي يتناول فيه كبار الكتاب أقلامهم لإفاضة البحث فى ترقية التعليم الديني واعلاء شأن معاهد العلوم الدينية استنهاضاً للهمم وترغيباً في تربية الشبيبة المصرية من كل الطبقات التي تتكون منها الامة تربية اسلامية مؤسسة على اتباع شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى العمل

بما جاء به من عند ربه بحيث تكون دعائم التعليم لكل بناء المسلمين هي تلك الدعائم التي بني عليها الاسلام وهي الاقرار لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام حتى لانرى في الشبيبة المصرية (وهم رجال الغد) من يجترئ على ترك فريضة أوسنة أو يستطيع الصبر على مسلم يتركها وهو على فعلها قدير والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»

﴿المنار﴾ قد أحسن الاستاذ في عرض تقريره على محك النقد بما كتبه في هذه المقدمة وبما كتب به الينا والى غيرنا من أصحاب الصحف . واننا نبدأ بابداء رأينا في هذه الجملة فنقول انه يعني بالشبيبة — وهي مصدر — الشبان بل من دونهم من المميزين المرشحين وما ذكره بشأن تربيتهم تربية اسلامية غير كاف على مافى العبارة من الاطناب الذي أفضى الى التكرار ايضاحاً للواضح في قوله «على اتباع شريعة المصطفى (ص) وعلى العمل بماجاء به» وقوله بعد هذا «بحيث تكون دعائم التعليم» الخ لايصلح تصويراً وبياناً للاتباع والعمل فان التعليم غير التربية العملية ثم ان الذي يجب أن يتعلمه كل مسلم من الإسلام ليس هو الاقرار لله بالوحدانية الخ ماذكره لأن كل مسلم يقر هذا الاقرار ويسهل عليه أن يتعلم كيفية اقامة الصلاة في مجلس واحد وكذلك أحكام الصوم ولايجب على مسلم تعلم أحكام الزكاة والحج الا اذا كانا مفروضين عليه لغناه . ثم ان تعليم هذا الاقرار وهذه الاعمال لايترتب عليه ماذكره غاية له بقوله «حتى لانرى فى الشبيبة المصرية من يجترئ على ترك سنة أو فريضة» الخ فان الأستاذ الكاتب يعلم كما نعلم ان عدد المسلمين الذين تعلموا هذه الأمور وعملوا بها لا يتناوله الاحصاء ولا يكاد يوجد فيهم من لا يجترئ ولا يصبر على ما ذكر .

ان الاحاديث التي اكتفت في اجراء أحكام الاسلام على المرء بالشهادتين والعمل بالاركان الاربعة الاخرى انما هي في شأن الكافرين الذين يدخلون في الاسلام فهذه هي الامور الظاهرة التي يعدون بها مسلمين وقد كان ممن قام بالأركان الخمسة في الظاهر المنافقون الذين نزل فيهم من الآيات مانزل وقال فيهم النبي

صلى الله عليه وسلم ماقال، والمبتدئون من جهلة الأعراب الذين سلموا بظاهر الدين ولم يفهموا عقائده بالبرهان المفيد اليقين الا بعد حين وفيهم نزل (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) الآية

الغاية التي ذكرها انما ترجى للكملة من الذين تربوا على الاصول الثلاثة في حديث جبريل المتفق عليه من رواية عمر وأبي هريرة وهي الاسلام المفسر بالاركان الخمسة التي ذكرها صاحب التقرير وهي عبارة عن القسم العملي من عبادات الدين والايمان وهو عبارة عن القسم الاعتقادي منه والاحسان وهو الادب الكامل الذي هو أثر الاعتقاد الصحيح والعبادة القويمة والتهذيب المعتدل . ونعني بتربيتهم على هذه الاصول الثلاثة تعويدهم العمل بالعملي منها من أول النشأة بحسن القدوة لا بمجرد الطلب باللسان وتلقينهم العلمي منها بالدلائل التي يخضع لها العقل ويطمئن بها القلب

وجملة القول ان عبارة التقرير في هذا المقام مضطربة وغير مبينة لما يجب من التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي ولا للضروري منه وهو (١) العقائد الدينية على طريقة القرآن مع كشف الشبهات التي فشت في هذا العصر بين المسلمين من غير خلط بفلسفة اليونان وشبهات المبتدعة الذين انقرضوا ودرست مذاهبهم . و (٢) الآداب الدينية مع بيان فوائدها للمتأدب بها في نفسه وفيمن يعيش معهم بحيث يقتنع بتعلمها أن فيها سعادة الدنيا قبل الآخرة ويتضح له ذلك بالتأدب بها فعلا . و (٣) الأحكام العملية مع بيان أسرارها وفوائدها في نفس العامل وفي صلته بالناس الذين يعيش معهم على ما بينا آنفاً . هذا ما يذكر في دعائم التعليم الديني بالاجمال ونحث الكتاب على الترغيب في إقامة هذه الدعائم بتعليمها لأولاد المسلمين وتنشئتهم على العمل بها في البيوت وفي المدارس حتى يصير العلم بها مؤيداً بالوجدان . وانا لنعلم ان كاتب التقرير يقر هذا في نفسه وان لم تتناوله عبارته وله أن يقول ان سيرته التي سيشرحها تتفق معه في الجملة وان كان اللاحق لا يدفع الايراد السابق . ونحن لا نرتاب في حسن قصده، وما قلناه بيان جاء في وقته ،

﴿التعليم الاسلامي في الاغنياء والاعلياء﴾

ثم قال الاستاذ صاحب التقرير بعد ما تقدم : « ومما يجب أن يتنبه له عقلاء

الاسلام وعظماء الامة أن التعليم الديني قد كاد يكون منحصرا في طبقات الفقراء وبعض الطبقات الوسطى من الامة الإسلامية دون الطبقات العليا منها وذلك خطر غير قليل على الجامعة الاسلامية بمرور الدهور والاعوام اذا قدر أن ينتهي الأمر بانحصار التعليم الديني في تلك الطبقات فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم لا يتولاها سواهم من الطبقات الاخرى و بالتالي تكون كل الوظائف الدينية في أيدي أولئك الاقوام ومن خصائصهم و بعبارة أصرح تكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية، والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية، و بين أيدينا من نتائج هذا التفريق في القوى الفعالة وهذا التدلي في التربية الدينية ما يصلح عبرة لكرام القوم وخاصة المسلمين وعقلاء الامة

« فلينظر العقلاء وسادات الاسلام الى موقفهم هذا فلعلهم اذا فكروا فيه كثيرا يترجح عندهم ان يتربى أبناؤهم تربية دينية اسلامية محضة تحت كفالة خبرة العلماء العاملين المرشدين حتى اذا تخرجوا على هذا المبدإ القويم كانوا أقدر على خدمة دينهم وأمتهم الخدمة التي ترجى من أمثالهم مع الترفع عن الدناءة وعن السقوط في مهاوي الخسران واذا شاء عظماء الأمة أن يتربى أبناؤهم هذه التربية فانهم يساعدون على ترقية التعليم الديني و يجعلون له المكانة العليا في أفئدة الناس أجمع وما ذلك على الله بعزيز نسأله الهداية والتوفيق لأقوم طريق » اهـ

(المنار) هذه تتمة مقدمة التقرير وجملة ما يقال فيها انها من الخواطر الحميدة التي تسنح للاذكياء وغرض الكاتب منها فيما يظهر دعوة أغنياء المسلمين في هذه البلاد الى نظم أولادهم في سلك طلبة العلم الديني في الاسكندرية والعناية بالاسعاد عن هذا التعليم . وما من مسلم متفكر الا وهو يتمنى أن يقبل الاغنياء مع الفقراء على تلقي العلوم الدينية والتأدب بأدب الاسلام وانها لأمنية لا تنال بالتعبير عنها في تقرير ولا بالدعوة اليها والترغيب فيها بالكلام المبهم . بل بترقية المدارس الدينية ترقية تجذب الغني اليها باعتقاد أن فيها سعادته في الدنيا قبل الآخرة بجمعها بين علومها مع الاقتصاد في الوقت على ما سنبينه بالايجاز الذي تقتضيه الحال

لا يقدم الناس على شيء الا اذا علموا علم إذعان أنه خير لهم وأكفل لمصالحهم

ودعوة الأغنياء الى التعليم الديني لم تبن على بيان يودع نفوسهم من العلم بذلك ما يحملهم على اجابة الدعوة فان عبارة التقرير لم تذكر من المرغبات في الدعوة الا توقي الخطر على الجامعة الاسلامية الذي جعله مشروطاً بانحصار التعليم فى غير الاغنياء وفرع من هذا الاصل انحصار الرياسة الدينية في غيرهم وجعل الوظائف الدينية تالية للرياسة في هذا ثم فسر ذلك بعبارة أصرح في مقصده وهي جعل الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية . فكأن هذا التجرد هو الخطر فاتقاؤه هو المرغب الوحيد للاغنياء في اجابة الدعوة وهو يتوقف على الاقتناع بصحته وصحة كونه محل الخطر على الجامعة الاسلامية وصحة كون معاهد العلم الديني فى الاسكندرية تجمع للمتعلمين بين القدرة على النهوض بالاعمال المالية مع الفضائل والمزايا الدينية ليجمعوا بين القوتين وكون ذلك يمنع الخطر . على ان هذا كله غير واضح فى كلامه ولنا أن نجعل كل كلمة من تلك الكلمات التي يفسر بعضها بعضاً في كلامه مرغباً مستقلا ونوسع الدائرة بالاستنباط ثم نرى أيكفي ذلك لاجابة الدعوة

أيحسب الذين اعتادوا الارتياح الى أمثال هذا الاقتراح في الجرائد أن من الجواذب اليه والمرغبات فيه ماذكره الاستاذ من الخطر على الجامعة الاسلامية ، والترغيب في الرئاسة الدينية، والوظائف الدينية ، وتجريد المزايا الدينية من القوة المالية ، وكفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين ، لطلاب هذه التربية مع التعليم ؟ أين توجد التربية الاسلامية والتعليم الديني الجامعان لكلمة المسلمين الموثقان لروابطهم ؟ أين أولئك العلماء الذين أشار اليهم وماهي آثارهم في وقاية الامة من الخطر ، ماهي الرياسة الدينية التي لا ينالها الا من تعلم العلوم الدينية وتربى في حجرها ، ثم ماهي الوظائف الدينية التي يرفع الاغنياء أبصارهم اليها ، أليست هذه الكلمات من قبيل مايطفو فوق أنهار الجرائد كل يوم كفقاقيع الماء ، ثم يتلاشى في الهواء ، بلى انها من هذا القبيل ولا ننس انا حمدنا السانحة في نفسها وجزمنا بأن كل مسلم عاقل يتمناها ، وكيف السبيل الى نيل الاماني !

فيادارها بالخيف ان مزارها   قريب ولكن دون ذلك أهوال

ليس في الاسلام رياسة دينية حقيقية كالرياسة في الاديان الاخر فان

كل مسلم مكلف فهم دينه من كتابه وسنة نبيه ان استطاع فان لم يستطع ذلك بنفسه استعان بأي مسلم يرى انه يعرف حكم الله الذي يطلبه لا تنحصر افادة الدين في رؤساء معينين . وقد مضى الاصطلاح بأن يدعى سلطان المسلمين رئيساً دينياً وان قال الصحابة في أبي بكر عليه الرضوان: رضيه رسول الله صلى الله عليه لديننا — أي في امامة الصلاة — أفلا نرضاه لدنيانا: فجعلوها دنيوية وهل يطمع غني أو فقير بهذه الرياسة الشرعية أو الدينية ، مهما بلغ في التربية والعلوم الاسلامية ؟ وأما الوظائف الدينية الحقيقية المحضة كامامة الصلاة والاذان فلا يرغب فيها الاغنياء بل لا يرضونها لانفسهم على أنها لا تزال مبذولة للجاهلين . وهناك وظائف شرعية كالقضاء والافتاء وليست مما يرغب فيه الاغنياء هنا لما هو معروف للكاتب والقارئين

لا خطر على الجامعة الاسلامية في انحصار الوظائف الدينية في أهل الفضائل والمزايا الدينية من الفقراء والأوساط ومن يتحلون بهذه الفضائل والمزايا لا يعجزهم أن يطلبوا الغنى فينالوه وأن يقنعوا الأغنياء ببذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الله لاقامة المصالح العامة . ثم إن تحلي الأغنياء بالفضائل والمزايا الدينية ليس مما يتوقف على هذا التعليم الذي يدعوهم اليه الاستاذ في تقريره . فجملة القول أن عبارة التقرير فى هذه المسألة مبهمة مضطربة كعبارته التي قبلها

اذا قلنا ان المسلمين أو الجامعة الاسلامية على خطر فانما نعيد قولا تكرر منا فى المنار كثيراً . ونعيده الآن لنقول ان التعليم الديني في مصر ليس له أثر ما في حفظ مايسمونه الجامعة الاسلامية بل ربما كان له الاثر في اضاعتها لأنه لا يدفع الشبهات الطارئة في هذا العصر على الدين ولا يبين انطباق أحكامه على مصالح البشر ومنافعهم الشخصية والاجتماعية ولا يخرج رجالا يصلحون حجة على أهل التعليم الدنيوي باستقامتهم وفضائلهم وقدرتهم على النهوض بالأعمال العظيمة عامة كانت أو خاصة حتى اذا أردنا أن نقول : ان أثر التعليم الديني في أهله هو أفضل من أثر التعليم الدنيوي بأهله أو مساو له في شؤون الدنيا و يفضله في الآخرة قلنا ذلك بقوة تخترق الآذان ، وتصيب من النفوس مواقع الوجدان ، بل كثيراً ما يأتي هذا التعليم بضد ذلك حتى صارت جميع الطبقات التي يصفونها بالعليا

تفكهه بانتقاد أهله والخوض فيهم

زار القاهرة في هذه الايام أستاذ من أساتذة المدارس الاسلامية في روسيا وكان جل همه البحث عن طرق التعليم الديني وغير الديني فساءه ما رأى في الازهر من الفوضى وفساد طريقة التعليم وزرت معه بعض العظماء فكانوا اذا ذكر الازهر وأهله يقولون انه لاخير في هذا المكان يرجوه الاسلام وان أهله «كالخشب المسندة» وألقاب أشنع لاأحب ذكرها . والتعليم في الاسكندرية قد أوشك يفضل التعليم في الازهر بالنظام والمراقبة والامتحان والمكافأة التي طالب المصلح بها أهل الازهر وحتمها عليهم بالقانون منذ عشر سنين أو أكثر فنفروا منها نفاراً، وأصرّ كبراؤهم على رفضها اصراراً، ووجدوا لهم من السياسة أنصاراً:

انه ليسرنا أن ينفذ في الاسكندرية شيء من الاصلاح الصوري مع توجيه الهمة الى شيء من الاصلاح المعنوي وأن يصدق ظن شيخنا الاستاذ الامام في الشيخ محمد شاكر ونراه موفقاً الى السداد في تنظيم معاهد العلم في تلك المدينة ولكننا نقول ان هذا كله لا يكفي في الاصلاح المطلوب الذي يرجى لوقاية الاسلام ولا مسلمي مصر من الخطر ولا لجذب أولاد الأغنياء الى هذا التعليم اذ الأغنياء أحرص الناس على الزمن أن يضيع منه خمس عشرة سنة أو عشر سنين في معالجة كتب محدودة في الفنون العربية والفقه الذي صار أكثره غير معمول به والكلام الذي معظمه نظريات في مذاهب انقرضت وهم يرون أنه يقل في معالجي هذه الكتب من ينجح في فهمها وأن الذين يفهمونها قلما يوجد فيهم من يفيد الأمة فائدة لها شأن في ترقيتها أو الدفاع عن دينها وحقيقتها بل قلما يوجد فيهم من تصح عبارته العربية وكيف يفهم الدين من لا يتقن لغته اتقاناً

ان توحيد التعليم والتربية في الأمة باشتراك جميع الطبقات فيهما مما يتوقف عليه تحقق وحدة الأمة وقوتها وهو أمر يتوقف على وجود زعماء من المسلمين يعرفون أسبابه فيأتونه من أبوابه وما أبوابه الا المدارس التي تجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا مع النظام الذي انتهى اليه رقيّ البشر الاجتماعي والصناعي . وأعني بعلوم الدين علوم القرآن والسنة ومافيهما من الحكم والاسرار الموافقة

لرقي الامم في كل زمان ومكان ثم ما استفاده سلف الامة منهما في تفصيل ليس هذا المقال بالذي يتسع له فأكتفي بهذه الكلمة كما أكتفي من بيان فوائد النظام بأن مدة تحصيل العلوم الدينية والدنيوية لا ينبغي أن تزيد فيه عن مدة التحصيل في الازهر لتلك الكتب التي لاغناء فيها وهي خمس عشرة سنة أما العلوم الازهرية فيكفي لتحصيلها في غير كتبهم هذه وعلى غير طريقتهم في التعليم خمس سنين

اذا حسنت حال التعليم في الاسكندرية فان حسنها يكون تمهيداً لما يريد المصلحون من ارتقاء علوم الاسلام فيها وان للشيخ محمد شاكر من الفطنة ما نرجو أن يرتقي به في السلم الذي وضع للازهر من قبل مع الاستعانة بالاذكياء العارفين بنظام التعليم كمريدي الاستاذ الامام الذين عرف لهم حقهم وشكر لهم صنيعهم بمساعدته في تقريره الاخير . وما وضع للازهر انما كان موقتاً روعي فيه ضعف الاستعداد . وكان في عزم المصلح الاول رحمه الله تعالى أن يعد به القوم الى نظام أكمل منه تزاد به العلوم ويجعل فيه فرق تختص باتقان بعضها بعد الالمام بجميعها . وسنبين بعض ذلك عند الكلام على التدريس والعلوم

باب الأخبار والآراء

مسألة مكدونية

﴿ أوربا وتركيا — أو الدين والسياسة ﴾

اشتد ضغط دول أوربا على دولتنا في هذه الايام يعرضن عليها أن يكون لهن مراقبون لمالية الولايات المكدونية ويحملنها على اجابتهن الى ما طلبن بالتهديد والوعيد . وما هذه المراقبة التي يطلبن الاجعل ادارة تلك البلاد — وهي سياج عاصمة الدولة — أوربية محضة . وقد كنا حين نجم ناجم الثورة في مكدونية من نحو ثلاث سنين لانخشي الامن روسيا لأنها كانت تستعد للحرب فاذا هي تستعد لليابان التي جعلت استعدادها في البر والبحر هباء منثورا

كتبنا في الجزء الأول لسنة المنار السادسة (سنة ١٣٢١) الصادر في ٣٠ مارس سنة ١٩٠٣ م نبذة في ثورة مكدونيه قلنا فيها مانصه : ولقد كان الانكليز عون الدولة العثمانية على روسيا فحال لون السياسة الجامعة بينهما وتغير شكلها ، وتبدل السلطان عاهل الألمان بالانكليز وهو ملك يَطعَم ولا يُطعِم شديد الجشع قوي الطمع اذا رأى روسيا وقد جد جدها يكتفي منها بلقمة كبيرة يلتهمها ويتركها بعد ذلك وشأنها ، ولا يطوف في خاطر عاقل انه يسمح بجندي ألماني واحد لصديقه السلطان ، اذا نزل مع الروس في ميدان الطعان، اه واذ ظهر لنا أن اليابان كفتنا الخوف من روسيا بما نكلت بها وبما أعقبت حربها اياها من الثورة التي كادت تدمر البلاد الروسية وتذهب بسلطانها المطلق وتقبض ظله عن الأرض فلنذكر ما كتبناه في تلك النبذة عما نخشاه من أوربا على تلك البلاد اذا أمنا روسيا وعن اضطراب المسلمين لذلك ثم نقفي عليه بما حدث في هذه الأيام. قلنا هناك:

«كانت قلوب المسلمين في العيدين (أي عيدي سنة ١٣٢٠) محوّمة فوق بلاد مراكش تؤلمها فتنة الخارج كما تسوءها سيرة المالك ، وقد دخلت عليها السنة الجديدة فاستقبلها همّ أكبر من هم مراكش – هم الدولة المسلمة الكبرى (وقاها الله تعالى) ولا خوف عليها الا من روسيا فاذا كانت لا تريد سوءا فدع البلقان يضطرم بنيران الثورة اضطراماً ولا تخش مغبته فالدولة قادرة على تأديبه . وأسوأ عاقبة تنتظر حينئذ استقلال مكدونية أو وضعها تحت حماية الدول الكبرى على المذهب الجديد في سير أوربا بالمسألة الشرقية ـ مذهب التفكيك وتحليل العناصر ـ وهذا المذهب خير لدول أوربا وأسهل طريقاً من حرب الدولة لأجل الفتح والتغلب لان هذا يعوزه الاتفاق على ما يتعسر الاتفاق عليه و يقتضي بذل أموال غزيرة وسفك دماء عزيزة . وهو خير للشرقيين أو المسلمين وأسهل عليهم أيضاً لأن كل عنصر ينحل من عناصر بلادهم وكل قطعة تنتقص من أرضهم تفيدهم عبرة كبرى وتعلمهم كيف يحفظ الباقي. فاذا لم يتعلموا بتكرار النذر ، وأنواع العبر ، وكانوا يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، فهم أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ،

«مسألة مكدونية مسألة عشواء والحكم فيها غامض لما تقدم ولأن النصارى فيها وفي جميع ما بقي تحت حكم العثمانيين من بلاد أوربا وما يدانيها كبلاد الارمن قد توجهت نفوسهم الى الاستقلال واعتقدوا ان أوربا نصيرة لهم وأن الذريعة الوحيدة لاثارة نعرتها عليهم وتصديها لفصلهم من جسم الدولة الثورات التي تضطر الأتراك الى سفك قطرات من دمائهم تأديباً لهم » اه المراد منه

ثم كتبنا مقالة في الجزء الحادي عشر الصادر في غرة جمادى الثانية من تلك السنة (١٣٢١) رجحنا فيه ان استعداد روسيا الحربي انما كان لاجل توقع الحرب مع اليابان وان الخوف على دولتنا يومئذ انما هو من الجانب الذي كانت ترجوه من قبل وهو انكلترا وأوضحنا بعض الايضاح ما عليه أوربا من التحامل علينا ولا بأس بذكر شيء من ذلك هنا . قلنا بعد الكلام في عدوان البلغار وأخذها بحضانة الثورة في مكدونية تعويلا على مساعدة بعض الدول

« أيعقل ان تتحرش بلغاريا الضعيفة بالأسد التركي الا اذا كانت واثقة بأن وراءها أسدا أو أسودا؟ اذا لم يكن الأسد الروسي الذي أعطى هذه البلاد استقلالها هو الذي يحميها من قرنه التركي فعلى أي الاسود تعتمد؟ الأقرب عندي أن يكون الخوف اليوم في موضع الرجاء بالأمس فاننا لما كنا نسيء الظن بروسيا أحسنا الظن بالانكليز حتى توقعنا أن يكون الغرض من زيارة ملكهم لفرنسا الاتفاق معها على عدم الرضى من روسيا بمحاربة تركيا لكيلا تساعدها فرنسا على ذلك ولما ترجح عندنا الآن أن روسيا لا تريد حرباً ولا تضمر غدراً (أي لنا) انعكس الرأي الأول وظننا السوء بانكلترا وتوقعنا انها قد اتفقت مع فرنسا على النفخ في نار الثورة . . . الى أن قلنا

«ان سلوك أوربا الجديد في حل المسألة التي يسمونها الشرقية ويعنون بها الاسلامية سلوك عجيب وأعجب صوره وأغرب أشكاله ما كان من نتيجة محاربة الدولة العلية لليونان فقد جعلت أوربا الدولة البادئة بالعدوان، المغلوبة في ميدان الطعان، هي الفائزة بالنتيجة اذ جعلت ولي عهدها حاكما على ولاية عظيمة من ولايات الدولة المنتصرة (وهي جزيرة كريت) على أن تكون هي الحافظة والحامية لتلك

الولاية ومايدرينا لعلهم يريدون الآن سلخ ولايات مكدونية من الدولة بمثل تلك الطريقة، وهكذا يقطعون في كل مرة عضوا من جسم الدولة يغذون به من يرونه أولى به حتى لايبقى الا الرأس والقلب فيسهل على الرؤس الاتفاق على الايقاع به

«اننا نرى دول أوروبا عابثة فى كل حين باستقلال الدولة، ففي كل حادثة لهم أوامر تطاع، ومناهي تجتنب، والدولة راضية وكل ماتجنيه في بعض الاحيان لايخرج عن مراوغة في تنفيذ بعض الأوامر أو إرجائها وكأنما للدولة ضرب من ضروب هذا الظفر الوهمي هتف المغرورون مع الغارّين . نحن أصحاب السياسة المثلى، والكلمة العليا . فاذا انتهى أجل الارجاء، وحل اليأس محل الرجاء، سكتوا واجمين، أوخدعوا أنفسهم معتذرين،

«يقول الاوربيون ان الذي أذل تركيا وذللها لهم هوظلمها لمن ليس على دينها من رعيتها لاسيما النصارى . ولنا أن نقول ان وجدنا سامعاً : اذا كانت هذه الدولة تظلم المخالفين لهافي الدين فلماذا يهرب اليهود من مشرق أوربا (روسيا) ومغربها (اسبانيا) الى بلادها ؟ أمن المعقول أن يهرب الناس من ظل العدل الى هاجرة الظلم واذا زعمتم أنها تظلم النصارى خاصة فكيف يعقل أن تظلم المخالف الذي يجد أنصارا أقوياء ينتقمون له وتدع من لاولي له ولا نصير، واذا كانت أوربا تعبث باستقلال الدولة وتفتات عليها في سياستها الداخلية حباً في العدل بالمظلومين فما بال هذه الرحمة لاتحرك لهم عاطفة على اليهود الذين يستحرّ فيهم القتل بأيدي النصارى لأنهم يهود ؟؟ ليس موقفنا مع أوربا موقف جدال وحجاج ولكنه موقف قوة وضعف فالقوة تفعل والضعف ينفعل اه المرادمنه

هذا شيء مما كتبناه في المسألة والعهد قريب بظهورها وقد كرت السنين فما زادت هذه الآراء الابيانا ورجحانا . وضعت أوربا ضباطاً من جندها يحفظون الأمن في الولايات المكدونية مع رجال الضبط العثمانيين ليكونوا مطلعين على كل مايقع في البلاد ثم أرادت القبض على أزمة المالية والادارة فاقترحت على الدولة تعيين مندوبين ماليين من الدول العظام يضعون الميزانية للبلاد و ينظرون في أمر العمال والمستخدمين من تولية وعزل و يتصرفون في الجباية والصرف و يكونون تابعين في أعمالهم

لسفراء دولهم . فخلاصة هذا الاقتراح أن تكون مالية تلك الولايات وادارتها في أيدي دول أوربا كما أن أمر الأمن فى أيديهم وللدولة اسم السلطة والسيادة لاينازعها فيه منازع الآن لما عليه أمراء الشرق وملوكه من التفاني فى عشق الالقاب:

رفض السلطان قبول هذا الاقتراح الجائر الذي يقلص ظل سلطته عن تلك الولايات التي هي حظيرة لعاصمة ملكه فألحت الدول عليه وهددته باحتلال بعض الجزائر العثمانية التي تقرب من باب الاستانة (الدردنيل) فأصر على الإباء وله الحق في ذلك ولكنهم قوم يطمعون في ضعفه

ماودع المسلمون رمضان واستقبلوا عيد الفطر الاوقلوبهم تكاد تتفطر أسى وحزناً، وحقداً وضغناً، الأسف والحزن على ماوصلت اليه الدولة الاسلامية الكبرى من الضعف باهمال اصلاح بلادها، والحقد والضغن على أوربا المتعصبة التي تريد محو سلطة المسلمين من أوربا ثم من الأرض كلها . وقد رأيت من مسلمي هذا القطر المبارك فوق ما كنت أعتقد فيهم من الغيرة والتألم على الدولة العلية أعزها الله بالعدل والعلم والاصلاح، ومن البغض لأعدائها خذلهم الله بالتفرق والتعادي والانقسام،

والرأي عندي وعند كل من تكلمت معهم في هذا الأمر، من ذوي الرأي والفكر، أن اصرار الدولة العلية على رفض مايطلب الدول منها هوالصواب وأن شر عاقبة تتوقع له لهي خير منه أوأضعف شراً وأقل ضرراً، ان استيلاء الدول على تلك الولايات بالقوة بعد مقاومة الدولة لهن لهو خير من تسليمهن ادارة ماليتها بالتهديد والانذار والوعيد فان كلا الأمرين خسران مبين للبلاد وفي الخنوع والاستسلام للوعيد خسران معنوي أعظم وهو خسران الشرف والاستقلال يقابله في المقاومة مع حفظ هذا الشرف فوز معنوي عظيم وهو ايقاظ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإشعارهم بالخطر الذي يتهدد سلطتهم من حيث هم مسلمون ولاشيء أنفع لهم في هذا العصر من هذه اليقظة والشعور وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول ان الحرب العثمانية الروسية الأخيرة قدكانت هي المبدأ لهذه الحركة الفكرية العامة في المسلمين وان كان البلاء لينزل من قبل هذه

الحرب في القطر الاسلامي فلا يهزله القطر الذي يجاوره دع البعيد عنه الذي انقطعت دونه أخباره وقد صرنا نرى المسلمين في كل قطر يتألمون لما يصيب اخوانهم في سائر الاقطار لاسيما اذا كان المصاب من اعتداء الاجانب عليهم

ان ساسة أوربا يقدرون هذه الحركة التي أشار اليها حكيمنا قدرها، و يحيطون بما لم نحط به من خبرها ،لذلك أجمعوا كيدهم على ذبح العفريت بسيفه الخشبي (*) اذ يتعذر قتله بسواه أعني أن يزيلوا السلطة الاسلامية من الارض بنفوذ رؤسائها من السلاطين والأمراء - يدخلون في أمر الواحد منهم و يدعونه الى ما يريدون، فينالون به نيلهم والمسلمون وادعون ساكنون، يحسبون أن أولي أمرهم منهم وأنهم لأمرهم يخضعون،فمثل أوربا في سياستها هذه وفي انتقاصها الممالك الاسلامية من أطرافها كمثل الطبيب يخدر العضو و يقطعه حتى لا يشعر صاحبه بشدة الالم ولكن الطبيب يعمل هذا لمصلحة الجسم وهم يعملونه لمصلحة أنفسهم باعدامه بل التهامه

يقول قوم ان الدافع لاوربا على هذا هو التعصب على الاسلام ولذلك لا نرى الدول النصرانية تتفق على العبث باستقلال دولة نصرانية فيجب ان يقابل المسلمون ذلك بالتعصب على النصارى كافة . ويقول آخرون ان أوربا بريئة من التعصب الديني الذي لا يعرف في غير الشرق وانما هي المصالح السياسية لا مذهب لها ولا دين ولذلك ينتصر الامبراطور غليوم النصراني للخليفة المسلم العثماني وتطارد حكومة فرنسا الرهبان وتتبرأ من الكنيسة . والصواب في المسألة ان أوربا لا تتعصب على المسلمين من حيث هم مسلمون يقرون لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة و يصلون الى الكعبة و يعبدون الله تعالى على غير الطريقة التي يعبده بها سواهم وانما تتعصب عليهم لان لهم سلطة ودولا فالذين سموا تعصبها

(*) في الحكايات الخرافية التي يلهي بها الامهات أطفالهم ان للعفريت سيفاً خشبياً اذا ذبح به مات واذا ذبح بسيف آخر من الحديد والفولاذ فانه لا يصيبه ضرر، ولا يحدث منه في رقبته ولا جسمه أدنى أثر، ولكنه ينتبه لمحاول قتله فيفتك به وكذلك المسلمون لا يسهل اهلاكهم الا بواسطة رؤسائهم الذين هم سيوفهم ولذلك تحاول أوربا أن تكون هذه السيوف الخشبية في يدها فاللهم أصلح الراعي والرعية

سياسيا قد صدقوا ، والذين سموه دينيا لم يكذبوا ، فاذا كان لا يهمها أمر الدين الاسلامي من حيث هو اعتقاد وعبادة ، فأكبر همها ان لا يكون له سلطان ولا سيادة ، ألا يجدر بالمسلمين اذاً ان يحرقوا عليها الأرّم ، و يعتقدوا ان شرف سلطتهم لا يسلم حتى يراق على جوانبه الدم ، بلى وانما موضع الخطأ ان يحاولوا الانتقام من الذميين والمسالمين ، والله تعالى يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » فايذاؤنا النصارى في بلادنا ، عصيان لديننا وخراب لدنيانا ،

اذا كان المسلمون قد شعروا شعورا صحيحا بالخطر الذي ينذر سلطتهم ، والبلاء الذي يتهدد ملتهم ، فعليهم ان يعرفوا كيف يقاومون العدوان بمثله لان الله تعالى يقول « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم واتقوا الله» أي ولا تبغوا وانما تعتدي علينا أوربا بقوة أمتها،وعلمها وصناعتها ، ونظامها وثروتها، ودهائها وحكمتها ، ولذلك تستفيد مما بقي لنا مالا نستفيد. فما دمنا على هذا الجهل والخلل ، والتفرق والفشل، فاننا لا يمكن ان نقف أمام أوربا . فاذا لم يظفروا بمكدونية تمام الظفر في المرة ، فانهم يظفرون بها و بغيرها اذا أعادوا الكرة ، ولنا فيما مضى عبرة وأي عبرة ، بماذا نقاومهم ؟ رؤساؤنا مستبدون، وحكامنا ظالمون، وعلماؤنا جامدون ، وأغنياؤنا ممسكون ، وخواصنا مترفون ، وعوامنا جاهلون ، فاذا رضينا لأنفسنا بهذا فاننا نكون من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ولا ينطبق علينا قول ربنا « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » فعلينا أن نبذل المال ، ونجمع شمل الرجال ، لترقي الامة فتلزم الحكام باصلاح الحال ، فان العصر عصر الامم لا عصر الافراد وعصر النظام والاجتماع لا عصر الاستبداد ،

وفاة الشيخ عبد القادر الرافعي

الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير أشهر فقهاء الحنفية في الازهر بل في البلاد العربية كلها أتقن المذاهب تعلما وتعليما وتأليفا وعملا بالمحاكم الشرعية فقد كان رئيس المجلس العلمي في المحكمة الشرعية بمصر . وقد وقع اختيار الحكومة على

ترشيحه لمنصب الافتاء فسمي مفتيا للديار المصرية في أوائل رمضان الماضي * فلم يلبث ان توفى فجأة ليلا وهو في مركبته يقصد زيارة أحد نظار الحكومة والناس يقصدون داره لتهنئته فاستحال السرور بالمنصب عند أهله حزنا وتحولت تهنئتهم به تعزية لهم عنه وشيع جنازته مع العلماء والوجهاء نظار الحكومة وبعض كبار حاشية الأمير وصلي عليه فى الجامع الازهر ودفن في قرافة المجاورين وكان ذلك اليوم موعد نشر خبر تعيينه مفتيا فى الجريدة الرسمية فلم ينشر

آل الرافعي في غنى عن التعريف فعلماؤهم وأدباؤهم وخدمة الحكومة منهم كثيرون في وطنهم (سوريا) ومهاجر الكثيرين منهم (مصر) وكان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كبيرهم في العلم والوجاهة ومن ذوي الدرجة الاولى في الازهر. ومما كان يمتاز به على أكثر الشيوخ البحث في الامور العامة وكثرة السؤال عن أحوال الدولة . وكان بعيدا من الفتن والخوض في الناس وقورا مهيب المجلس ذا أخلاق شريفة حافظا لكرامة العلم محترما عند أهل الدنيا كاحترامه عند أهل الدين . تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه وأحسن عزاء ولده وأهله وأسرته الكريمة عنه

﴿ إحياء سنة أزهرية ﴾

كان من عادة أهل الازهر اذا مات عالم منهم أن يجتمعوا في الازهر يوم جمعة بعد موته لقراءة ختمة يهدى ثوابها الى روحه ولانشاد المراثي التي يرثيه بها الشعراء منهم فأبطل الاصلاح هذه العادة مع عادات أخرى مثلها ولكن شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربيني أمر بالعود الى هذه العادة التي سماها المؤيد «سنة حسنة» فاجتمع الازهريون لرثاء الشيخ عبد القادر الرافعي في الجامع الازهر رحمه الله تعالى وحضر الاجتماع خلق كثير فقرءوا وأنشدوا مرثية لبعض الشيوخ ثم وزعوا على الحاضرين شيئاً من الحمص والزبيب كان يتناثر منهم في المسجد وهو من تمام سنتهم التي أحييت بعد أن ماتت وانه ليغلب على ظني أن الرافعي رحمه الله تعالى لو كان حياً واستشير في احياء هذه السنة لاشار بعدم احيائها ولما سماها سنة حسنة بل بدعة سيئة واذا كانت أمثال هذه السنن صارت تحيا بعد موتها فبشر المسلمين بحياة العلم والدين،

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر — ١٦ شوال سنة ١٣٢٣ — ١٣ ديسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٥ ﴾

﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها فى الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٤٢ : ٢٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، إِنَّ ٱللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * (٢٤٣ : ٢٤٥) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *

لما ذكر تعالى من الأحكام ماذكر في الآيات السابقة قفى عليه بذكر بعض أخبار الماضين لأجل العظة والاعتبار ، بما تتضمنه الوقائع والآثار ، كما هي سنة القرآن ، في تنويع التذكير والبيان ، بل الانتقال هنا انما هو من أحكام مسرودة مع بيان حكمتها ، والتنبيه لفائدتها ، الى حكم سبقته حكمته ، وتقدمته فائدته ، في ضمن واقعة مضت زيادة في البصيرة ومبالغة في الحمل على الاعتبار وهو حكم القتال في سبيل الله ويتلوه حكم بذل

المال في سبيله . الاحكام السابقة تتعلق بالاشخاص في أنفسهم وبيوتهم وهذان الحكمان في أمر عام يتعلق بالامم من حيث حفظ كيانها ودوام استقلالها بمدافعة المعتدين عنها وبذل الروح والمال في حفظ مصالحها وتوفير منافعها. ولذلك كان الاسلوب أشد تأثيرا، وأعظم تذكيرا، لأن الإشارة في سياق التذكير بمنافع الشخص ومصالحه في نفسه وفيمن يتصل به كافية للتذكر والعمل بما يوعظ به لموافقة ذلك لهواه فلها من النفس عون لايغيب ووازع لايعصى وأما المصالح العامة فانه لايفطن لها ولا يرغب فيها الا الاقلون فالعناية بالدعوة اليها، يجب أن تكون بمقدار بعد الجماهير عنها، فمن ثم جاءت هذه الآيات ببيان أجلى، وأسلوب أفعل وأقوى، كما ستعلم تفسيرها عن الأستاذ الإمام، لا عن القصاصين وأصحاب الأوهام،

رووا في تفسير قوله تعالى ﴿ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾ روايات من الاسرائيليات التي ولع بها المفسرون وكلفوا بتطبيق كتاب الله تعالى عليها أشهرها أبعدها عن السياق وهي رواية السدي قال كانت قرية وقع فيها الطاعون وهرب عامة أهلها والذين بقوا مات أكثرهم وبقي قوم منهم في المرض والبلاء ثم بعد ارتفاع المرض والطاعون رجع جميع الذين هربوا سالمين فقال من بقي من المرضى هؤلاء أحرص منا لو صنعنا ما صنعوا لنجونا من الامراض والآفات ولئن وقع الطاعون ثانيا لنخرجن كما خرجوا فوقع وهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا فلما خرجوا من ذلك الوادي ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا: فهلكوا وبليت أجسامهم فمر بهم نبي يقال له حزقيل فلما رآهم وقف عليهم وتفكر فيهم فأوحى الله تعالى اليه أتريد أن أريك كيف

أحييهم فقال نعم فقيل له ناد: أيتها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعي: فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام. ثم أوحى الله تعالى اليه ناد: أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحما ودما: فصارت لحما ودما ثم ناد: إن الله يأمرك أن تقومي: فقامت فلما صاروا أحياء قاموا وكانوا يقولون سبحانك ربنا وبحمدك لا إله الا أنت ثم رجعوا الى قريتهم بعد حياتهم وكانت أمارات انهم ماتوا في وجوههم ثم بقوا الى أن ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم

أقول على هذه الرواية اقتصر (الجلال) مع علمه بأن السدي هذا هو محمد بن مروان الكوفي المفسر الكذاب كما قال جرير وغيره (وليس هو اسماعيل السدي التابعي الذي وثقه أحمد وضعفه ابن معين) وذكر في عددهم أقوالا أقلها أربعة آلاف وأكثرها سبعون ألفا وأنهم عاشوا دهرا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم !!!

وهناك رواية أخرى وهي أن ملكا من ملوك بني اسرائيل استنفر عسكره للقتال فأبوا لأن الارض التي دعوا الى قتالها موبوءة فأماتهم الله ثمانية أيام حتى انتفخوا وعجز بنو إسرائيل عن دفنهم فأحياهم الله تعالى وبقي فيهم شيء من ذلك النتن وفي بعض القصص إن ذلك انتقل الى ذريتهم وسيبقى فيهم حتى ينقرضوا وقلما تجد في العلماء من ينبه الناس لهذه الأكاذيب.

والرواية الثالثة هي أن حزقيل النبي عليه السلام ندب قومه الى القتال فكرهوا وجبنوا فأرسل الله عليهم الموت فكثر فيهم فخرجوا من ديارهم فرارا منه فدعا عليهم نبيهم فأرسل الله الموت على الخارجين ثم ضاق صدره فدعا الله فأحياهم

اذا علمت هذا فألق السمع الى مارويناه عن الاستاذ الامام ، وتدبر مافيه من حقائق علم الاجتماع في القرآن، لتعلم أن حقائق هداية كتاب الله يتجلى منها في كل عصر للعارفين بالله مالم يتجل لسواهم وانه الكتاب الذي لا تنتهي هدايته ولا تنفد معارفه وأن هذه الأمة كالمطر قد يكون في آخره من الخير والبركة مالم يكن في أوله كما روي في الحديث الصحيح قال روّح الله روحه ما محصله

أطلق القرآن القول في هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم ولم يعين عددهم ولا أمتهم ولا بلدهم ولو علم لنا خيرا في التعيين والتفصيل لتفضل علينا بذلك في كتابه المبين فنأخذ القرآن على ماهو عليه لا ندخل فيه شيئاً من الروايات الاسرائيلية التي ذكروها ، وهي صارفة عن العبرة لا مزيد كمال فيها ، المتبادر من السياق ان أولئك القوم قد خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدوّ مهاجم لا من قلتهم فقد كانوا ألوفاً أي كثيرين وانما هو الحذر من الموت الذي يولده الجبن في أنفس الجبناء فيريهم أن الفرار من القتال هو الواقي من الموت وماهو الا سبب الموت بما يمكن من رقاب أهله

يرى الجبناء أن الجبن حزم　　وتلك خديعة الطبع اللئيم

ولما خرجوا فارين ﴿ قال لهم الله موتوا ﴾ أي أماتهم بإمكان العدوّ منهم فالأمر أمر التكوين لا أمر التشريع أي قضت سنته في خلقه بأن يموتوا بما أتوه من سبب الموت وهو تمكين العدوّ المحارب من أقفائهم بالفرار ففتك بهم وقتل أكثرهم. ولم يصرح بأنهم ماتوا لأن أمر التكوين عبارة عن مشيئته سبحانه فلا يمكن تخلفه وللاستغناء عن التصريح بقوله بعد ذلك ﴿ ثم أحياهم ﴾ وانما يكون الاحياء بعد الموت.

والكلام في القوم لا في أفراد لهم خصوصية لأن المراد بيان سنته تعالى في الامم التي تجبن فلا تدافع العادين عليها ومعنى حياة الامم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف . فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة بأن تفرق شملها وذهبت جامعتها فكان من بقي من أفرادها خاضعين للغالبين ضائعين فيهم مدغمين في غمارهم لا وجود لهم في أنفسهم وانما وجودهم تابع لوجود غيرهم . ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال اليهم . ذلك أن من رحمة الله تعالى في البلاء يصيب الناس أنه يكون تأديباً لهم ومطهراً لنفوسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة . أشعر الله أولئك القوم بسوء عاقبة الجبن والخوف والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مرارتها فجمعوا كلمتهم ووثّقوا رابطتهم حتى عادت لهم وحدتهم قوية فاعتزوا وكثروا الى أن خرجوا من ذل العبودية التي كانوا فيها الى عز الاستقلال فهذا معنى حياة الامم وموتها — يموت قوم منهم باحتمال الظلم ويذل الآخرون حتى كأنهم أموات اذ لا تصدر عنهم أعمال الامم الحية من حفظ سياج الوحدة وحماية البيضة بتكافل أفراد الأمة ومنعتهم فيعتبر الباقون فينهضون الى تدارك مافات ، والاستعداد لما هو آت، ويتعلمون من فعل عدوهم بهم كيف يدفعونه عنهم . قال علي كرم الله وجهه إن بقية السيف هي الباقية التي يحيا بها أولئك الميتون : فالموت والإحياء واقعان على القوم في مجموعهم على ما عهدنا في أسلوب القرآن اذ خاطب بني اسرائيل في زمن تنزيله بما كان من آبائهم الأولين بمثل قوله «أنجيناكم من آل فرعون — وقوله — ثم بعثناكم من بعد موتكم» وغير ذلك وقلنا ان الحكمة

في هذا الخطاب تقرير معنى وحدة الأمة وتكافلها وتأثير سيرة بعضها في البعض الآخر حتى كأنها شخص واحد وكل جماعة منها كعضو منه فان انقطع العضو العامل لم يكن ذلك مانعاً من مخاطبة الشخص بما عمله قبل قطعه وهذا الاستعمال معهود في سائر الكلام العربي يقال هجمنا على بني فلان حتى أفنيناهم أو أتينا عليهم ثم أجمعوا أمرهم وكروا علينا مثلا وانما كرّ عليهم من بقي منهم

أقول واطلاق الحياة على الحالة المعنوية الشريفة في الأشخاص والأمم والموت على مقابلها معهود في القرآن كقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم» وقوله «أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» الآية وانظر الى دقة التعبير في عطف الأمر بالموت على الخروج من الديار بالفاء الدالة على اتصال الهلاك بالفرار من العدو، والى عطفه الإخبار بإحيائهم بثم الدالة على تراخي ذلك وتأخره لأن الأمة اذا شعرت بعلة البلاء بعد وقوعه بها وذهابه باستقلالها فانه لا يتيسر لها تدارك ما فات الا في زمن طويل. فما قرره الاستاذ الامام هو ما يعطيه النظم البليغ وتؤيده السنن الحكيمة. وأما الموت الطبيعي فهو لا يتكرر كما علم من سنة الله ومن كتابه اذ قال «لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى» وقال «وأحييتنا اثنتين» ولذلك أول بعضهم الموت هنا بأنه نوع من السكتة والإغماء الشديد لم تفارق به الأرواح أبدانا بالمرة. وقد قال بعد ما قرره: هذا هو المتبادر فلا نحمل القرآن ما لا يحمل لنطبقه على بعض قصص بني اسرائيل والقرآن لم يقل أن أولئك الألوف منهم كما قال في الآيات الآتية وغيرها. ولو فرضنا صحة

ما قالوه من أنهم هربوا من الطاعون وأن الفائدة في ايراد قصتهم بيان أنه لا مفر من الموت لما كان لنا مندوحة عن تفسير إحيائهم بأن الباقين منهم تناسلوا بعد ذلك وكثروا وكانت الامة بهم حية عزيزة ليصح أن تكون الآية تمهيدا لما بعدها مرتبطة به والله تعالى لا يأمرنا بالقتال لأجل أن نقتل ثم يحيينا بمعنى أنه يبعث من قتل منا بعد موتهم في هذه الحياة الدنيا:

﴿ان الله لذو فضل على الناس﴾ كافة بما جعل في موتهم من الحياة اذ جعل المصائب والعظائم، محيية للهمم والعزائم، كما جعل الهلع والجبن وغيرهما من الاخلاق التي أفسدها الترف والسرف من أسباب ضعف الامم، وجعل ضعف أمة مغريا لأمة قوية بالوثبان عليها والاعتداء على استقلالها، وجعل الاعتداء منبهاً للقوى الكامنة في المعتدى عليه وملجئاً له الى استعمال مواهب الله فيما وهبت لأجله حتى تحيا الامم حياة عزيزة ويظهر فضل الله تعالى فيها. قال الاستاذ الامام المراد بالفضل هنا الفضل العام وهو أنه تعالى جعل إماتة الناس بما يسلط على الأمة من الأعداء ينكلون بها بمثابة هدم البناء القديم المتداعي والضرورة قاضية ببناء فلا جرم تنبعث الهمة الى هذا البناء الجديد فيكون حياة جديدة للامة. تفسد الأخلاق في الامم فتسوء الاعمال فيسلط الله على فاسدي الاخلاق النكبات ليتأدب الباقي منهم فيجتهدوا في إزالة الفساد وإدالة الصلاح ويكون ما هلك من الامة بمثابة العضو الفاسد المصاب بالغنغرينا يبتره الطبيب ليسلم الجسد كله. ومن لا يقبل هذا التأديب الالهي فان عدل الله في الأرض يمحقه منها وما للظالمين من أنصار. فهذه سنة من سنن الاجتماع بينها القرآن وكان الناس في غفلة عنها ولهذا قال

﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ أي لا يقومون بحقوق هذه النعمة، ولا يستفيدون من بيان هذه السنة، أي هذا شأن أكثر الناس في غفلتهم وجهلهم بحكمة ربهم فلا تكونوا كذلك أيها المؤمنون بل اعتبروا بما نزل عليكم وتأدبوا به لتستفيدوا من كل حوادث الكون حتى مما ينزل بكم من البلاء اذا وقع منكم تفريط في بعض الشؤون واعلموا أن الجبن عن مدافعة الأعداء، وتسليم الدار بالهزيمة والفرار، هو الموت المحفوف بالخزي والعار، وأن الحياة العزيزة الطيبة هي الحياة الملية المحفوظة من عدوان المعتدين، فلا تقصروا في حماية جامعتكم في الملة والدين،

﴿وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾ القتال في سبيل الله هو القتال لإعلاء كلمته، وتأمين دينه ونشر دعوته، والدفاع عن حزبه كي لا يُغلبوا على حقهم، ولا يصدّوا عن اظهار أمرهم. فهو أعم من القتال لاجل الدين لأنه يشمل مع الدفاع عن الدين وحماية دعوته الدفاع عن الحوزة اذا همّ الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا والتمتع بخيرات أرضنا، أو أراد العدو الباغي إذلالنا، والعدوان على استقلالنا، ولو لم يكن ذلك لاجل فتنتنا في ديننا، فهذا الامر مطلق كأنه أمرنا بأن نتحلى بحلية الشجاعة، ونتسربل بسرابيل القوة والعزة، لتكون حقوقنا محفوظة، وحرمتنا مصونة، لا نؤخذ من جانب ديننا ولا نغتال من جهة دنيانا، بل نبقى أعزاء الجانبين، جديرين بسعادة الدارين، ألا ترى أن من ساق الله لنا العبرة بحالهم، وذكرنا بسنته في موتهم وحياتهم، لم يذكر أنهم قوتلوا وقتلوا لأجل الدين، فالقتال لحماية الحقيقة كالقتال لحماية الحق كله جهاد في سبيل الله. فتفسير (الجلال) سبيل الله باعلاء دينه تقييد لمطلق وتخصيص لقول عام من غير دليل

ذكرنا الله تعالى بعد هذا الامر بأنه سميع عليم لينبهنا على مراقبته فيما عسى أن نعتذر به عن أنفسنا في تقصيرها عن امتثال هذا الامر في وقته، وأخذ الاهبة له قبل الاضطرار اليه. أمرنا أن نعلم أنه سميع لأقوال الجبناء في اعتذارهم عن أنفسهم: ماذا نعمل: ما في اليد حيلة: ليس لها من دون الله كاشفة: ليس لنا من الامر شيء: لو كان لنا من الأمر شيء ما قعدنا ههنا: فهذه الالفاظ في هذا المقام منفاخ الجبن، وعلل الخوف والحزن، فهي عند أهلها تعلات وأعذار، وعند الله تعالى ذنوب وأوزار، وما كان منها حقاً في نفسه فهو من الحق الذي أريد به الباطل — وأنه عليم بما يأتيه مرضى القلوب وضعفاء الايمان من الحيل والمراوغة، والفرار من الاستعداد والمدافعة. فاذا علمنا هذا وحاسبنا به أنفسنا عرفنا أن كلا من المعتذر بلسانه والمتعلل بفعاله مخادع لربه ولنفسه وقومه. قال الأستاذ الامام بعد نحو ما تقدم: وكثير من الناس يهزأ بنفسه وهو لا يدري اذ يصدق ما يعتاده من التوهم وهذه شنشنة المخذولين الذين ضربت عليهم الذلة وخيم عليهم الشقاء تعمل فيهم هذه الوساوس ما لا تعمل الحقائق وقد أنذرنا الله تعالى أن نكون مثلهم بتذكيرنا بأنه سميع عليم لا يخادع ولا يخفى عليه شيء. ونقول ان هذا التذكير كان بالأمر بالعلم لا بمجرد القول أو التسليم فمن علم علماً صحيحاً أن الله سميع لما يقول عليم بما يفعل حاسب نفسه وناقشها ومن حاسب نفسه وناقشها تجلى له كل آن من تقصيرها ما يحمله على التشمير لتدارك ما فات، والاستعداد لما هو آت، فمن تراه مشمراً فاعلم أنه عالم، ومن تراه مقصراً فاعلم بأنه مغرور آثم.

ومن مباحث اللفظ في الآيتين أن كلمة (ألم تر) اذا خوطب بها

من سبق له العلم بما يذكر بعدها تكون للتعجب والتقرير والتذكير واذا خوطب بها من لم يعرف ذلك تكون لتعريفه به وتعجيبه من شأنه وقد أجريت مجرى المثل في هذا المقام فنزل من لم ير ما تتعلق به منزلة من رآه كأنه لظهوره وتقرره في نفسه مما لا ينبغي أن يخفى أو أن يغفل عن التعجب منه والإذعان له.

قال الأستاذ الإمام في قول (الجلال) ان الاستفهام بها استفهام تعجيب وتشويق: أي ان الاستفهام الحقيقي ممتنع من الله تعالى ولذلك كان أكثر استفهام القرآن للانكار أو للتقرير. ولكن الاستفهام هنا لشيء آخر وهو ما يحدث العجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويوجب الشوق له الى ما يقص عليه والمعنى ألم ينته علمك الى حال هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم الخ والرؤية بمعنى العلم يمتنع أن تكون بصرية ولم يقل ألم تعلم للإشعار بأن الامر المحكي عنه قد انتهى في الوضوح والتحقق الى مرتبة المرئي. أقول ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة بل يصح مثله في القصص التمثيلية اذ يراد أن من شأن مثلها في وضوحه أن يكون معلوماً حتى كأنه مرئي بالعينين. ومنه ما نبهنا عليه من الفرق بين العطف بالفاء وبثم وقد قالوا ان العطف في قوله تعالى (وقاتلوا) للاستئناف لأن الجملة المبدوءة بالواو هنا جديدة لا تشارك ما قبلها في اعرابه ولا في حكمه الذي يعطيه العطف. قال الاستاذ الامام وهذا لا يمنع أن يكون بين الجملة المبدوءة بواو الاستئناف وبين ما قبلها تناسب وارتباط في المعنى غير ارتباط العطف والمشاركة في الإعراب كما هو الشأن هنا فان الآية الأولى مبينة لفائدة القتال في الدفاع عن الحق أو الحقيقة والثانية آمرة به بعد تقرير حكمته وبيان وجه الحاجة اليه فالارتباط بينهما شديد الأواخي لا يعتريه التراخي

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

الشبهة الثالثة — مريم أخت هارون

قال تعالى حكاية عن قوم مريم عليها السلام في خطابهم لها « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوْءٍ وما كانت أمك بغيًّا ». قال المسيحيون (ولا تجد كتاباً لهم في الطعن فى الاسلام خالياً من ذلك) إن القرآن هنا نص على أن مريم هي أخت لشخص يسمى هارون فتكون هي مريم أخت هارون وموسى النبيين عليهما السلام وعليه يكون القرآن قد دل على أن عيسى عليه السلام ابن أخت موسى فيكونان معاصرين. فانظر الى هذه البراهين المفحمة، والأقيسة المنطقية المدهشة !! هل يلزم من كون مريم أم المسيح لها أخ يسمى هارون أن تكون هي مريم أخت موسى ؟ أما رأيتم أنه قد يوجد في بيتٍ أبٌ وابن وأخت له وتكون أسماؤهم كأسماء أشخاص من بيت آخر ؟ قد رأينا ذلك كثيراً ولكننا ما رأينا أحدا يقول ان هذا البيت هو البيت الآخر بعينه. فما بالكم خرجتم عن العقل فى مسائل الدين !! هل ورد في القرآن أن هارون هذا هو هارون النبي أخو موسى أم ورد فيه أن مريم العذراء هي أخت موسى الذي جاء بالتوراة ؟ ألم يقل القرآن الشريف بعد ذكره التوراة وأنبياء بني اسرائيل التابعين لها في سورة المائدة « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم » فاذا كان هنا ينص على أن عيسى عليه السلام أتى بعد جميع أنبياء بني اسرائيل التابعين لموسى فكيف تستنتجون منه أن عيسى معاصر لموسى ! وقلما يذكر المسيح في القرآن الا بعد ذكر موسى أو أنبياء بني اسرائيل فليتق الله المنصفون.

هذا واذا علمنا أنهم لا يعرفون اسم أبي مريم عليها السلام بالجزم حتى سماه بعض الأناجيل القديمة التي رفضوها بيهو ياقيم علمنا كيف أنهم يجهلون نسبها فلا غرابة اذا جهلوا أخاً لها يسمى هارون. بل اختلاف أناجيلهم في نسب المسيح اختلافاً أتعبهم منذ وجودها فى التوفيق بينها يجعلنا لا نعبأ بما يعرفونه عنه وعن أهله

عليه السلام. ولا حاجة لنا بتأويل بعض مفسرينا الذين قالوا ان هرون كان رجلا صالحاً فجعلت أخته في الصلاح والتقوى أي انها مثله في ذلك أو كما يقال أخو العرب واخو الحرب

الشبهة الرابعة — السامري

قال تعالى في حكاية عجل بني اسرائيل (وأضلهم السامري) فقال المسيحيون ان السامري هذا الذي ذكره القرآن هو من السامريين وهؤلاء لم يوجدوا الا بعد موسى بعدة سنين . ولكننا نطالبهم بالدليل على هذا الزعم الفاسد وكيفية استنباطهم له . وهل اذا جهلنا أصل هذا اللفظ يحملنا الجهل على أخذه من لفظ السامريين فنقول انه واحد من تلك الفرقة و بعد ذلك نبني عليه ما نبني من الاوهام، فكم في الكتب المقدسة من ألفاظ لا يدرك اشتقاقها ولا تعرف أصولها . ولم لا يكون ما ورد في القرآن منسوباً لبلد غير ما عرفنا من البلدان ؟ وهل يمكنكم الجزم بأنه لم يسم بلفظ سامرة غير سامرة فلسطين مع علمنا بخلاف ذلك . وفي البلاد القديمة أيضاً ما يسمى (سامراه) أو (سمرا) (١) ويجوز أن يكون (السامري) نسبة لبيت رجل من بني اسرائيل يسمى (شامر) مثلا (٢) وهذا الاسم وما يشابهه له وجود في أسفار العهد القديم أنظر (١ أخبار الايام ٧:٣٤ و٨:١٢) واذا تذكرنا أن الاسماء المعربة تتغير بالتعريب تغيرا يبعد بها عن أصلها أحيانا (٣) كما في عيسى بالنسبة ليشوع (بالشين) ويحيى بالنسبة ليوحنا و يونس بالنسبة ليونان وغير ذلك فاننا لا نستغرب نسبة (السامري) الى شامر بل لا نرى من الغرابة أن نجهل الاصل المعرب منه هذا اللفظ بالمرة فانظر الفرق بين لفظ عيسى ويشوع مثلا . وما قيل في هذه الآية والتي قبلها يمكننا أن نرد بمثله اشتباههم في لفظ هامان الوارد في

(١) المنار : صرح بعض المفسرين بأن السامري منسوب الى بلد اسمها سامرة

(٢) أكثر الالفاظ التي هي في العبرية بالشين المعجمة تذكر بالعربية اذا نقلت اليها بالسين المهملة فسامرة فلسطين عبريتها شوميري واسم موسى عندهم بالمعجمة

(٣) ليس هذا خاصاً بالعربية فالافرنج أشد تغييراً وتحريفاً للالفاظ المنقولة الى لغاتهم

القرآن في قصة فرعون .

ويجوز أيضاً أن يكون السامري لقباً لشخص من بني اسرائيل ومعناه الحافظ وأصله من لفظ شمر العبري الذي معناه حفظ . فاذا كانت كل هذه الاحتمالات جائزة قريبة فكيف يجزمون بخطأ القرآن في ذلك ؟

الشبهة الخامسة — غروب الشمس في العين

قال تعالى في قصة ذي القرنين « وجدها تغرب في عين حمئة » أي الشمس فقالوا ان القرآن يدل على أن الشمس تغرب في نفس الأرض وتجاهلوا أن في مثل هذا المقام يقول القائل في كل لغة (رأيت الشمس تغرب في البحر) مثلا مع أن القائل قد يكون أعلم الجغرافيين والفلكيين وانما يعبر هذا التعبير بحسب ما يبدو لنظر الواقف على ساحل البحر . والقرآن الشريف انما نسب الأمر الى ذي القرنين فقال وجدها اشعاراً بأن ذلك هو ما تخيله بصره فما أحسن هذا اللفظ في مثل هذا المقام . ولو كان الكلام في مقام التكوين والخلق ونص القرآن على أن الشمس تغرب في جزء من الأرض لكان لهم الحق في هذا الانتقاد . على انه تعبير معروف عند كل الناس حتى المنتقدين

ويناسب هذا الموضوع أن نشير الى ما قاله العلماء في مسألة جريان الشمس بما يؤيد ما ورد في الكتاب العزيز « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » فقد اتفقت كلمتهم على أن الشمس وجميع ما حولها من السيارات تجري في الفضاء الى حيث لا يعلم أحد وهذا يوافق كل الموافقة ما قاله القرآن الشريف من غير زيادة ولا نقصان

الشبهة السادسة — آزر أبو ابراهيم

قال تعالى في ابراهيم عليه السلام « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر » فاعترض على ذلك دعاة المسيحية قائلين ان ما ورد في التوراة هو أن أبا ابراهيم يسمى تارح فمن أين أتى القرآن بآزر : قلنا اننا قد تكلمنا على ما يسمونه بالتوراة بما لا يمكنهم الرد عليه . ثم ان القرآن لم ينكر هذه التسمية وورود اسم آخر فيه قد يكون بسبب

أن الرجل مسمى باسمين أو أحدهما لقب له كما يقولون هم أنفسهم لرفع التناقض المالئ كتبهم في أسماء كثير من الاشخاص . ولكننا لانكتفي بذلك بل نبين لهم أصل هذه التسمية الواردة في القرآن ليعلموا أنه لو كان اخذ ما أتى به من كتبهم كما يهذون لما خالفها في مثل هذه الاشياء البسيطة خوفاً من أن يقع في تخطئة منهم لاحاجة اليه بها ، وكان في أمن منها لو وافق على ماورد فيها .

آزر لفظ قديم معناه النار وأطلقه قدماء الفرس والكلدانيين والاشوريين على كوكب المريخ لظنهم أنه من نار ثم عبدوه في صورة عمود وصاروا يلقبون الاشراف منهم بهذا اللفظ (آزر) تبركا به وقد وجد كثيراً في كتابات البابليين أيضاً وعليه قال العلماء ان آزر هو اللقب الوثني لأبي ابراهيم ويوافق ذلك ماورد في تفسير البيضاوي وغيره من أن آزر اسم للاله الذي كان يعبده فهل فيما أتى به القرآن بعد ذلك أدنى شبهة . بل أليس فيه حجة على صدق النبي الامي وخصوصاً اذا لاحظنا أن التوراة لم يرد فيها هذا اللقب ولا في التلمود الذي سماه (زاراج) فمن أين أتى القرآن بذلك لولا وحي الله ؟

الشبهة السابعة — جبل الجودي

قال تعالى في سفينة هود عليه السلام « واستوت على الجودي» فقال بعضهم المذكور في التوراة أن اسمه (أراراط) ولم يرد لفظ « جودي » فيها فمن أين أتى به القرآن ؟ ونجيب عن ذلك بأننا لانعبأ بكتبهم لما ذكرناه سابقاً ثم نبين أصل ماذكره كتاب الله . هذا الجبل يسكن بجواره الكرد (الاكراد) ولذلك سموه بلغتهم كاردو أوجاردو وحرفها اليونانيون جوردي ومنه عرب لفظ القرآن جودي (*)

(*) المنار: ان نسخ التوراة ليست متفقة على ان السفينة استوت على أراراط فان السريانية والكلدانية منها صرحت بأنها استقرت على جبل الاكراد وهذا موافق لقول بروزس معاصر الاسكندر الاكبر . أورد هذا في دائرة المعارف العربية وقال : ووافقه أيضاً القرآن الشريف ولاتزال الروايات تشير الى أن الجودي كان مركز الحادثة المذكورة (الطوفان) وهي تسند هذا الرأي الذي ذكره بروزس الى وجود آثار الفلك على قمة ذلك الجبل :

الشبهة الثامنة — الناسخ والمنسوخ

ذهب جمهور المسلمين الى أن القرآن قد وقع فيه نسخ كثير واستدلوا على ذلك بأحاديث آحادية وببعض آيات وردت فيه وتغالوا في المسألة حتى أنهم جعلوا جزءاً عظيما من القرآن منسوخاً . ولم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا الطين بلة بأن ادعوا نسخ بعضه بالسنة حتى جرأوا الخصوم على الطعن في الكتاب العزيز ولكن قيض الله لهم في كل زمن من رد عليهم في أكثر هذه الدعاوي أو في جميعها من علماء الاسلام المحققين . فقد ظهر بينهم من أفهمهم معنى أكثر هذه الآيات وأبان لهم أن لاناسخ ولا منسوخ فيها بالدليل الذي لايقبل الرد مثل الامام الشوكاني وغيره وقام الامام الشافعي رضي الله عنه وأبطل دعوى نسخ الكتاب بالحديث . وذهب أبو مسلم الاصفهاني المفسر الشهير الى أنه ليس في القرآن آية منسوخة وخرج كل ماقالوا انه منسوخ على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل ونقل عنه الفخر الرازي آراءه في ذلك في تفسيره المشهور. ومن العلماء المتأخرين الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان يدحض كل دعوى بالنسخ في أي آية فسرها بالحجة الواضحة والبراهين الظاهرة وقال في أحاديث الآحاد أنها ظنية يحتمل أن تكون مكذوبة من بعض رجال السند المتظاهرين بالصلاح لخداع الناس حتى أن بعضهم تاب ورجع عما كان وضعه ولولا اعترافه به لم يعرف فما يدرينا أن بعضهم مات ولم يتب ولم تعرف حقيقة حاله وبقي ما وضعه رائجاً مقبولا لم يطعن في سنده أهل النقد . وتبعه في كل آرائه هذه الاستاذ الرشيد حفظه الله . ولولا خوف التطويل لنقلت عنهم آراءهم في جميع هذه الايات . فليراجعها في كتبهم وليتدبر القرآن بنفسه من أراد أن يهتدي الى الحق

والخلاصة أن مذهب النسخ في القرآن ليس من العقائد الاسلامية في شيء بمعنى أن المسلم يمكنه أن يفهم كتاب الله ويكون مؤمناً به حقاً بدون أن يحتاج الى القول بشيء مما زعموه البتة . ومن أراد أن يحاججني في ذلك فعليه بالقرآن وحده .

الشبهة التاسعة — هاروت وماروت — السحر — هل سحر النبي؟

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ — وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ، وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

ذهب كثير من المحققين سلفاً وخلفاً الى أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل وكانا يعلمان الناس السحر وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء وما يعلمانه للناس هو بوحي من الله وبلغ مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما وفي علمهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما «انما نحن فتنة فلا تكفر» أي انما نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك أتشكر أم تكفر وننصح لك بأن لا تكفر. يقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية. وصناعتهما روحانية. وأنهما لا يقصدان الا الخير كما يفعل ذلك دجاجلة هذا الزمان قائلين لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض على زعمهم: نوصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة الى رجل غير زوجها الى غير ذلك من الأوهام والافتراء: ولليهود فى ذلك خرافات كثيرة حتى أنهم يعتقدون أن السحر نزل عليهما من الله وأنهما ملكان جاءا لتعليمه للناس وقد جاراهم في ذلك جهلة المفسرين. فجاء القرآن مكذباً لهم في دعواهم نزوله من السماء وفي ذم السحر ومن يتعلمه أو يعلمه فقال «يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين»

الى آخر الآية فما هنا نافية على أصح الاقوال ولفظ «الملكين» هنا وارد على حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت كما يرد ذكر آلهة الخير والشر في كتابات المؤلفين عن تاريخ اليونان والمصريين وغيرهم وكما يرد في كلام المسلم في الرد على المسيحيين ذكر تجسد الإله وصلبه وان كان لا يعتقد بذلك

والمراد بالشياطين المذكورين قبل ذلك في قوله «واتبعوا ما تتلو الشياطين» خبثاء الانس وأشرارهم كما في قوله «واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم» وقوله «شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض» والذي يعين هذا المعنى في الآية التي نحن بصدد تفسيرها قوله «تتلو» لأن تلاوة شياطين الجن لا يسمعها أحد ومعنى تتلو هنا تقص وقوله بعدها «يعلمون الناس السحر» يعين هذا أيضاً اذ لا يتعلم أحد السحر الا من شياطين الانس.

وقوله تعالى «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» هو من قبيل التمثيل واظهار الامر في أقبح صوره أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين أعظم مجتمع كالمرء وزوجه والخلاصة ان معنى الآية من أولها الى آخرها هكذا:—

ان اليهود كذبوا القرآن ونبذوه وراء ظهورهم واعتاضوا عنه بالاقاصيص والخرافات التي يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه وزعموا أنه كفر وهو لم يكفر ولكن شياطينهم هم الذين كفروا وصاروا يعلمون الناس السحر ويدعون أنه أنزل على هاروت وماروت اللذين سموهما ملكين ولم ينزل عليهما شيء وانما كانا رجلين يدعيان الصلاح لدرجة أنهما كانا يوهمان الناس أنهما لا يقصدان الا الخير ويحذرانهم من الكفر. وبلغ من أمر ما يتعلمونه منهما من طرق الحيل والدهاء أنهم يفرقون به بين المجتمعين ويحلون به عقد المتحدين

فأنت ترى من هذا أن المقام كله للذم فلا يصح أن يرد فيه مدح هاروت وماروت كما توهم كثير من المفسرين. والذي يدلك على صحة ما قلناه فيهما أن القرآن أنكر نزول أي ملك الى الأرض ليعلم الناس شيئاً من عند الله غير الوحي الى الأنبياء ونص نصاً صريحاً أن الله لم يرسل الا الانس لتعليم بني نوعهم فقال

«وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» وقال منكراً على من طلب إنزال الملك «وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون» وقال في سورة الفرقان «وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا * — الى قوله — فضلوا فلا يستطيعون سبيلا»

واعلم أن السحر لا يغير حقائق الاشياء وانما هو تخييل وشعوذة وحيل كما قال تعالى في حكاية سحرة فرعون «يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى» وقال أيضاً «سحروا أعين الناس واسترهبوهم» أي انهم دلسوا عليهم وخيلوا لأبصارهم وأوهموهم صحة ما يفعلون. فأين هذا من قول كتاب اليهود الذي يقول «وصارت العصي ثعابين» كأن المسألة كانت حقيقية.

هذا واذا لم يكن للسحر تأثير حقيقي فلا يمكن أن يسحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه صار يخيل اليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله كما افتراه المفترون اذ لو جاز ذلك لجاز أن يتوهم أنه أوحي اليه شيء وهو لم يوح اليه ولصدق عليه قول الكافرين «ان تتبعون الا رجلا مسحورا» وقد أنكر القرآن عليهم ذلك بنفسه وانما قالوه طعناً فيه ورداً لحجته الباهرة كما قالوا عنه انه ساحر وكاهن ومجنون وشاعر الى غير ذلك مما اختلقوه. وأما قوله تعالى «ومن شر النفاثات في العقد» الذي اتخذه المفترون دليلا على افكهم فمعناه هكذا:—

النفاثة من صيغ المبالغة كالعلامة والفهامة يستعمل كذلك للذكر والأنثى والنفاثات جمعه والمراد بها هنا النامون المقطعون لروابط الألفة المحرقون لها بما يلقون من ضرام نمائمهم وما ينفثون فيها من سموم وشاياتهم. والعقد كالعقود معنى مثل عقدة النكاح وعقدة البيع وغيرهما. كأنه قال تعوذ من شر من يسعى لحل المجتمعات الخيرية والتفريق بين المحبين المتحدين

والدليل على كذب المفترين غير ما ذكرنا أن هذه السورة مكية وما يزعمونه يدعون أنه حصل بالمدينة فكيف يصح أن يقال نزلت فيه. وهذا التفسير الذي ذكرناه مأخوذ من أفكار الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد ذكر ما يقاربه المحقق

أبو مسلم الاصفهاني ونقله عنه الامام الرازي واستحسنه وذكر مثله المفسر الشهير أبو السعود أيضاً.

فهذه هي أكبر مطاعنهم في القرآن الشريف وأكثرها ورودا في كتبهم وقد اتضح لك مما قررناه واتفق عليه العلماء المدققون أنها كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً. بل ان بعضها ليس فيه على القرآن شبهة بل هو له حجة كما يتبين لك من البحث عن أصل لفظي آزر والجودي مثلا. وقس على أمثالها مما لم نذكره هنا لشدة سخافته

هذا وليعلم القوم أن ما ذكر في القرآن من المسائل الغريبة كتكلم النملة وسماع سليمان لها ان حمل على ظاهره وتسخير الجن له وغير ذلك ليس مما يصادم البداهة العقلية أو يناقض البراهين القطعية. وانما هو غريب وليس كل غريب مستحيلا والا لكانت جميع المعجزات مستحيلة وكذا جميع الاختراعات والاكتشافات الحديثة. فمن ادعى أن في القرآن شيئاً مستحيلا فعليه بالدليل المنطقي الصحيح والا ضربنا بكلامه عرض الحائط واعتبرناه هاذياً

﴿مسألة صلب المسيح﴾

بقي عليّ أن أنبه الناس على ما يفتريه هؤلاء الدعاة طعناً في القرآن في مسألة أخرى وهي دعوى صلب المسيح قائلين انه وحده هو الذي أنكر صلب المسيح ولم يسبقه سابق الى ذلك فان هذه الحقيقة قال بها كثيرون من فرق النصارى الاولين مثل الباسيليديين والسيرينثيين والكاربوكراتيين والتاتيانوسيين وغيرهم وقد ذكرت أكثر هذه الطوائف من قبل في رسالة لي سميتها (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية) فمن شاء فليراجعها. وورد مثل ما قاله القرآن في كتب أخرى كالكتاب المسمى رحلة الرسل وهو يشبه كتاب الأعمال الذي عند النصارى الآن وفيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وغيرهم ومما ورد فيه أن المسيح لم يصلب وانما صلب واحد آخر بدله كما رواه العلامة سيل الانكليزي مترجم القرآن عن اخر يدعى (فوتيس) وكذا ما ورد في انجيل برناباس وهو أحد الأناجيل التي رفضها المسيحيون يؤيد ما أتى به القرآن تماماً حتى في ذكر اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم صراحة. وهذا

الانجيل مما كتب قبل الاسلام بقرون . وان ادعى بعضهم أن أحد المسلمين حرفه أجبنا كيف حرف المسلمون جميع نسخه حتى الموجودة عند النصارى ولم لم يحرف المسلمون غيره من كتبهم على ان المسلمين ماعرفوه الاعنهم

وان تعجب فعجب قولهم في مسألة قيام المسيح من القبر على زعمهم: اذا كانت هذه القيامة موهومة فأين جسده اذاً . وفاتهم أن موسى عليه السلام الذي مات موتاً طبيعياً بين قومه لم يعرفوا قبره الى الآن ونصت التوراة على ذلك في آخر اسفارها «تثنية ٣٤:٦» فهل يستبعدون قولنا ان المسيح لم يعرف أحد قبره مع ملاحظة أن التلاميذ فروا من حوله وتفرقوا وتولى الأمر غيرهم ممن لهم غاية وغرض في إخفاء جثته ـ لو قتل ـ لإطفاء نار المشاحنات والفتن ومحو الشغب بين الناس؟ هل يستبعد هذا ولا يستبعد أن كاتب سفر التثنية لم يعرف قبر موسى مع وجود الفرق العظيم بين هذه الحالة وتلك ؟

لا يبعد أن يكون ما يقصه النصارى علينا هو من قبيل تلفيق روايات التمثيل وغيرها مما كتبه الناس قديماً وحديثاً . ومثل هذه التلفيقات كان شائعاً في الأعصر الاولى المسيحية حتى أن كل طائفة من طوائفهم ألفت أناجيل ورسائل كثيرة ونسبتها الى المسيح وتلاميذه لتأييد آرائهم وهم باقرارهم برآء منها . فيجوز أن تكون هذه القصة مما كتب في أواخر القرن الاول أو في القرن الثاني . وقد خالفها يومئذ طوائف كثيرة كما خالفوا في مسائل أخرى كالتجسد والتثليث . وها قد أخذ الحق يحصحص الآن بينهم بعد أن صارعه الباطل أجيالا عديدة وأخذ الناس يدخلون في عقيدة التوحيد والتنزيه أفواجاً أفواجا . وانتشرت أفكار الموحدين في أوروبا وأمريكا وأوشك سراج الحق يكون وهاجا .

﴿ اعادة برهان النبوة بالاختصار ﴾

عند هذا الحد أقف بالقارئ . وقبل أن أتركه أكرر عليه مرة أخرى بغاية الايجاز برهان النبوة لعلمي أنه الآن يمكنه أن يدركه ادراكاً حقيقياً أكثر من ذي قبل فأضعه تحت نظر عقله مختصرا كي يجول بسهولة في انحائه ويحيط بأطرافه وأرجو من المخالفين أن يمعنوا النظر في جميع مقالاتي هذه امعان من يريد أن يكتب للناس

ردا عليها لا لأن يعموا بصيرتهم بأنفسهم لأجل ماورثوه عن آبائهم . فان الحق أحق أن يتبع (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) . وهاك البرهان، موجزا بقدر الامكان:

رجل يتيم، فقير، أمي، لم يشتغل بما كان يشتغل به قومه من الشعر أو الخطابة ونحوهما، لم يعهد عليه الكذب في صغره، نشأ في وسط الجهل والوثنية، فأتى والعالم محتاج الى الاصلاح بعقائد صحيحة أشار الى براهينها وعبادات وشرائع وأخلاق وحكم وقصص مفيدة ومسائل علمية لم تكن معروفة واخبار ببعض مغيبات تحققت وأخرج العرب من أحط دركات الهمجية الى أعلى سلم من المدنية في مدة قليلة . ثم انتشر اصلاحه في العالم بسرعة لم تعهد . ولم يوجد فيما أتى به شيء يقطع العقل ببطلانه الى الآن بعد مضي ألف ومئين من السنين . بل أخذ الناس المرتقون يستصوبون أعماله وأقواله ويفهمون اسرارها . أتى بجميع ذلك في عبارات خارقة للعادة في بلاغتها، ومخالفة للمعهود في أسلوبها، وطلب من البشر أن يعارضوه في شيء مما أتى به ويستعينوا بمن شاءوا فلم يقدم على ذلك أحد ونجح، بل أذعن جمهورهم ومن شذ افتضح، ثم هو لم ينغمس في الملاذ والشهوات والترف كما بينا ذلك فيما مضى بل كان أبعد الناس عنها

فكيف لا يعثر الانسان على غلطة مقطوع بها في قرآنه مع علمنا بحاله وكيف لم ينجح أحد في معارضته الى الآن كما أنبأ بذلك . فلم يأت بشر بشيء مثل جزء من كلامه لفظاً ومعنى ؟

فبماذا تجيبون أيها المبطلون، وكيف تعللون ذلك أيها الواهمون ؟؟ ولنجمع هنا آيات القرآن، الدالة على ذلك البرهان، اتماماً للفائدة، وبياناً لكونه حجة الله على الناس كافة

« ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالا فهدى * (١) ووجدك عائلا فأغنى *

(١) المنار الضلال في اللغة أن تخطئ الطريق وقد كان النبي قبل النبوة لا يعرف طريق الايمان والشرع فهداه الله اليه كما قال تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا»

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون * وما علمناه الشعر وما ينبغي له * فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون * هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين * قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسول أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير * أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً * فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »

وليلاحظ القارىء أني أوردت هذه الآيات على هذا الترتيب . لتكون كل دعوى من البرهان السابق مؤيدة بشيء من القرآن . فأعظم به من كتاب جمع فأوعى ، وأكرم به من نعمة من الله كبرى ، قشعت غياهب الظلام ، وأنارت قلوب الأنام بضياء الاسلام ، فبلغ الله عنا محمداً أزكى السلام في البداية والختام ،

﴿ ختم المقال بذكر شيء من كتاب الله تعالى ﴾

ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته . وما للظالمين من أنصار * ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة . انك لا تخلف الميعاد * فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى . بعضكم من بعض . فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب *

(محمد توفيق صدقي)
الطبيب بسجن طره

﴿ المنار ﴾ السبب في كتابة هذه المقالات هو أن كاتبها كان يحب البحث

عن كل ما يعرض له من الشبهات على الدين وهو تلميذ في مدرسة الطب ولهذه الشبهات مصدران التعليم الجديد ودعاة النصرانية الذين يعرضون لتلاميذ المدارس بأبلغ مما يتصدون لغيرهم وكان له رفيق في المدرسة اسمه عبده أفندي ابراهيم عرفناهما منذ سنين اذ كانا يرجعان الينا في بعض مباحثهما ويعرضان علينا أهم ما يشتبه عليهما كمسألة الروح والبعث وغير ذلك . وكنت أظن أنه لا يوجد في مصر من طلاب العلوم الدينية لاجل الاقتناع والاذعان ، والقدرة على الإقناع والبيان ، الاهذان التلميذان ، وأحدهما مسلم والآخر قبطي ، كانا يأخذان المسألة من مسائل الاعتقاد فيدققان فيها النظر ويتناصفان في المناظرة الى أن يتفقا على ان الحق فيها كذا فما خرجا من المدرسة الا وقد خرج المسلم من شكوكه في دينه ودخل القبطي في الاسلام البرهاني الصحيح (فهو المسلم عن بصيرة تامة وفهم لبراهين الدين وحكمه ثبتنا الله واياه) وهذه المقالات هي صورة اعتقادهما الذي هداهما اليه ربهما بعد اطالة النظر والاستدلال عدة سنين وأكثر ما فيها من المسائل في الألوهية والنبوة وفهم القرآن مقتبس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام ومن التفسير المقتبس عنه في المنار ومن مقالات أخرى في المنار لا تقليداً بل اقتناعاً بالنظر والاستدلال . وللكاتب مسائل كثيرة هداه اليها البحث والتنقيب ومراجعة كتب المسلمين والافرنج لاسيما في رد شبهاتهم كما رأيت وهو يدعو من خالفه في شيء مما كتبه الى المناظرة بشرط أن يكون الحكم بينهما الدليل القطعي وما هو الا العقل والقرآن والسنة المتواترة لأن المقام مقام تأييد الاعتقاد وهو لا يكون بأخبار الآحاد ، ولا بتقليد الآباء والأجداد ،

وكأني ببعض الشيوخ المقلدين وقد أنكروا عليه بعض المسائل التي انفرد بها أو وافق بعض العلماء المخالفين للجمهور كمسألة ابن السبيل ومسألة النسخ فاللين اللين منهم يعذره والجامد المتعصب يغلظ عليه وان كان قد خرج بهذه الطريقة من الشك الى اليقين وخرج صاحبه من النصرانية ودخل في الاسلام ، وأن مقاليدهم التقصر عن ذلك ولو راجعهم في شبهاتهم لما رجع الا بالجحود والالحاد « ومن يضلل الله فما له من هاد »

باب المقالات

روابط الجنسية والحياة الملية

وفلسفة الاجتماع البشري

وعدنا في خاتمة المجلد السابع بأن نعود في هذا المجلد الى نشر المقالات الاجتماعية والفلسفية وذكرنا هناك بعض الموضوعات التي سبقت الى الذهن عند كتابة تلك الخاتمة ومنها الحياة الزوجية والحياة الملية وكذا الوطنية . وقد حالت الحوادث دون الاكثار من المقالات وسبح القلم سبحاً طويلا في بحث الحياة الزوجية فكان ست مقالات ورأينا أن نقفي عليه بالكلام في الحياة الملية وكذا الوطنية بعد تمهيد في فلسفة الاجتماع البشري بالايجاز فنقول

خلق الانسان ليعيش مجتمعاً يتعاون أفراده على الأعمال التي هي قوام حياتهم الشخصية والنوعية واظهار استعدادهم الانساني في استعمار الأرض وإظهار أسرار الكون فأعني بالاجتماع ماهو أوسع من اجتماع الزوجين الذي يشاركهم فيه سائر أنواع الحيوان ومن اجتماع النحل والنمل وتعاون أفرادهما على ما به حفظ حياة نوعيهما فالحياة الزوجية ليست خاصة بالانسان ولا الحياة الأهلية (العائلية) فمن كان لايشعر بفائدة لنفسه الا أنه يعمل ليأكل ويطعم من يعول من أهل وولد فحياته ان كانت أوسع من حياة الطير فهي لاتصل الى مرتبة بعض الذباب والحشرات (النحل والنمل) فان لهذين النوعين من التعاون على الأعمال المشتركة ما تقصر عنه همة كثير من الناس فما أحقر من يرى وجوده أضيق من وجود الذباب والحشرات

لاتفاوت بين أفراد نوع من أنواع المخلوقات نعلمه كالتفاوت بين أفراد البشر يتسع وجود زيد منهم فيملأ الآفاق ،و يضيق وجود عمرو حتى يضيق به قفص جسمه، يشعر ذاك بروحه الكبيرة أنه خلق لينهض بأمة كبيرة أو ليفيد جميع الامم، ويحار هذا في خدمة جسده، ويرى نفسه عاجزة عن تغذيته وتوفير لذته، فاذا زدوج فصار له بيت كان همه أكبر،لأنه أعجز عن سياسته وأصغر ،و بين هذين

الطرفين سواد عظيم لكل منهم سهم من سعة الوجود على قدر قوة الانسانية فيه وضعفها فاذا كثر أصحاب السهام العظيمة في أمة من الأمم اتسع وجودها ببسط سلطانها على الأمم التي قلت سهامها وخف بها ميزانها فينقبض وجود هذه بمقدار اتساع وجود تلك فاما أن تعتبر فيخرج أفرادها من مضيق الحياة الشخصية الجسدية الى بحبوحة الحياة الاجتماعية حتى يتقلص ظل غيرهم عنهم واما أن يكونوا غذاء للغالب لابقاء لهم الا باستبقائه اياهم لحاجته وقد ينكمش وجودهم ويتقلص حتى يضمحل ويفنى كأن لم يكن شيئاً مذكورا

أين المصريون الأقدمون ، أين الكلدانيون والأشوريون والبابليون، أين الرومان والفرس الأولون، أين هنود أمريكا العريقون ؟؟ منهم من اندغم وجوده في وجود آخر أوسع منه وأقوى، ومنهم من انقرض وجوده فلا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا ، سنة الله في التكوين والتمكين ، « ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، » الذين يتقون أسباب الفساد والزوال، و يصلحون في الأرض بالأحكام والأعمال،«ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال »

قلنا ان وجود الشخص الواحد يتسع و يضيق بمقدار معنى الانسانية في روحه قوة وضعفاً، وان وجود الأمة ينبسط و ينقبض بحسب كثرة أصحاب السهام العظيمة من سعة الوجود فيها، فهذا هو معنى الحياة العزيزة في الأفراد وفي الامم فكمال الشخص انما هو في كونه يعمل للامة التي يعتز بعزتها،و يهون بهوانها وضعتها، وكمال الامة انما هو في حفظ ما به كانت أمة و بسطه بجعل وجود غيرها تابعاً لوجودها

ما به تكون الامة أمة معنى يوجد في كل فرد من أفرادها يربط بعضهم ببعض حتى يكون الجمع الكثير به واحداً وقد يعبر عنه بالجنسية وهو النسب والبيئة أو الوطن واللغة والدين والحكومة وأنت ترى أن بعض هذه المعاني أوسع من بعض فأول اجتماع كان بين البشر يتعاون به أفراد كثيرون على مصلحة الجميع هو اجتماع القبائل البدوية التي تنسب الى أب واحد ثم كانت دائرة الاجتماع تتسع في البشر فتكبر الهمم وتعلو النفوس لشعورها بسعة وجودها وما هي مطالبة به من العمل لحفظ

كون كبير واسع . وكلما اتسعت دائرة الاجتماع تتسع منها فائدة البشر فبعد أن كان امتياز القبائل والشعوب لاجل التناكر والتغابن ، صار باتساع ذلك المعنى لأجل التعارف والتعاون، كما قال تعالى «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»

اذا كانت الجنسية في الأمة هي النسب كانت بسطتها في الوجود بطيئة . كذلك الوطن اذا كان بلاداً محدودة كمصر أو الشام أو العراق . وليس نشر اللغة وجعلها جنسية بالامر السهل ومثلها الدين اذا كان خاصاً كاليهودية . وأما الحكومة فهي أوسع من جميع ماذكر وبها تكونت الأمم الكبرى كامبراطورية الاسكندر والامبراطورية الرومانية في الزمن الماضي وكالسلطنة العثمانية والحكومات الاستعمارية في هذا الزمان . ولكن الجنسية في الحكومة لاتعد جنسية حقيقية الا اذا كانت الشريعة أو القوانين التي يحكم بها الرعايا المختلفون في النسب والوطن واللغة والدين مبنية على قواعد العدل والمساواة بينهم وكان القائمون بها من لفيفهم لا من طائفة معينة منهم . على ان هذا الشرط الأخير انما تشترطه الطوائف والشعوب الراقية في معارج الاجتماع دون سواها وان من الشعوب ما يغلب فيها الشعور بأنها خلقت لتكون محكومة من الغرباء وأن جنسها لا يصلح للاحكام .

يكون اتساع محيط الجنسية نافعاً للبشر ما قصد بها تكثير سواد أهلها ومشاركة كل من يدخل فيهم لهم في جملة مزاياهم . ومتى قصد الشعب الاستئثار بالمنافع دون من يمتد وجوده اليهم وينبسط نفوذه فيهم كان آفة على سائر الشعوب لا يعدل فيهم ولا يمكنهم من الارتقاء في معارج الكمال الانساني فسنة الله في كمال الشعوب والامم ونقصها كسنته في الأفراد نقص كل منها بالأثرة والغلو في حب الذات حتى لا يتحرك حركة الا لمنفعة ذاته وكمال كل منها بالقصد الى نفع غيره وايصال الخير اليه وجعل المنفعة الذاتية تابعة للمنفعة العامة

فالنتيجة لما تقدم من القواعد أن أكمل الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجمعيات المختلفة في النسب والوطن واللغة والدين والحكومة بأن يقصد بها الخير للجميع والمساواة بينهم في الحقوق وتمكينهم من الرقي الى ما أعدتهم له الفطرة البشرية من الكمال الاجتماعي . وانما لجنسية يتحسر عليها نوابغ

الحكماء وهي موجودة في الملة الاسلامية وان كان المسلمون من أبعد الناس عنها فهذه الملة هي التي عرفها كتابها العزيز بقوله : «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون» :

الملة الاسلامية تساوي بين المختلفين في الأنساب والأوطان والأديان وتسمح لمن يدخل في حكمها وهو على دينه ان ينشئ في بلادها محاكم لأهل ملته وأبناء جلدته فلا تلزمه بأحكامها الزاماً فان هو اختار حكمها بنفسه ساوت بينه وبين أقرب الناس من بنيها وأعلى أفرادها مكانة فيها . فهي تدعو جميع البشر الى التعارف والتآلف في ظل حمايتها وانه لظل ظليل يباح للمستظل به كل شيء الا محاولة ازالته أو ازالة فائدته للناس وهي دفع الشر والأذى عنهم وتقريب الخير منهم مع حفظ حريتهم في أديانهم وأعمالهم التي لا تضر سواهم . هذا ما تبذله لكل من قبل حمايتها ، واستظل برايتها ، ثم انها تختص من قبل هدايتها في الدين بأخوة روحية ، أخص من هذه الأخوة الانسانية ، لأنه يشارك أهلها فيما يؤهلهم لسعادة الحياة الأخرى ، فهو أقرب اليهم بالروح ممن لا يشاركهم الا في سعادة الحياة الدنيا .

هذه الجنسية هي نهاية ما يمكن وضعه لسعادة البشر كلهم في هذه الحياة ولكن الناس لما يستعدوا لها تمام الاستعداد لذلك لم يرعوها حق رعايتها ونعتقد أن سيعودون اليها في يوم من الأيام . نقول يعودون اليها عوداً ، دون يقصدون اليها قصداً ، لأنها قد وجدت في الجملة مدة قليلة على عهد الخلفاء الراشدين فرقص لها العالم الانساني وأقبلت عليها شعوبه أيما اقبال ثم طفق نورها يخبو بما أفسد فيها الامويون ومن بعدهم ولكنه كان على ضعفه أفضل عند جميع الامم من كل ما عداه لذلك كان يخرجهم باختيارهم من جنسياتهم اخراجاً ، فيدينون لها شعوباً ويدخلون فيها أفواجاً .

كانت حكومة الخلفاء الراشدين حكومة عسكرية لأن الدعوة لم تكن أمنت ، والسلطة لم تكن استقرت ، وكانت على ذلك حكومة عادلة رحيمة فضلها كل من ذاق حلاوتها على ما عهد من قومه . وكانت حكومة الامويين في الشرق والغرب وحكومة العباسيين في الشرق اسلامية في أكثر الفروع دون الأصول وأعني بالأصول قواعد

الحكومة الأساسية كانتخاب الحاكم العام وإلزام الأمة له بالشورى واتباع الشريعة وكانت على ذلك أفضل من جميع الحكومات التي عرفها الناس قبل الراشدين . ولووجدت الحكومة الاسلامية على حقيقتها فى دولة آمنة مطمئنة لاختارها كل من عرفها من الراقين، حتى تكون ملاذ البشر أجمعين،

سيقول الجاهلون بحقيقة الاسلام ان هذا من غلو المسلم المذعن و يأتون على ذلك ببعض الاعمال والتقاليد التي انتقدت على المسلمين وانني لعلى علم بشبهاتهم لكثرة مابلوت من أمثالهم وما كشف تلك الشبهات عليّ بعسير ولكن القول قلما يقنع الجاهل لاسيما اذا كان متعصباً لرأيه ، غير محيط بتفصيل ماعند خصمه،

لست أعجب ممن نشأ فى دين يعادي الاسلام اذا هو أنكر مزايا الاسلام الظاهرة ، وأصوله الواضحة ، بله المزايا التي فقدت من المسلمين ، فلا أثر لها الا فى ثنايا آيات الكتاب المبين ، انما عجبي ممن نشأ فى المسلمين وهو منهم ثم هو يجهل مكان الجنسية الاسلامية الواسعة العامة لجميع الشعوب والطوائف، الشاملة لجميع الخيرات والعوارف، فيدعو الى جنسية الوطن كبعض أحداث المصريين أو جنسية اللغة والنسب كبعض جهلة الترك . فمثل هؤلاء كمثل من يهدم مصرا و يبني قصرا، بل هم أضيق وجودا وأضعف فكرا،

يعذر في مثل هذه الدعوة القبطي فى مصر والأرمني في بلاد الترك والاسرائيلي فى فلسطين لأن السلطة فى أيدي غيرهم فلهم الحق في أن يطلبوا مساواتهم بسائر أبناء بلادهم . على أن وجود هذه الطوائف القليلة العدد أوسع من وجود دعاة الوطنية والجنسية فانهم يطمعون في الاستقلال ببلاد أكثرها لغيرهم فهم يطلبون سعة وامتدادا، ودعاة الوطنية والجنسية منا يبغون ضيقاً وتقلصاً

لولا جنسية النسب لما تمزقت السلطة الاسلامية في ريعان شبابها فكانت عباسية فى الشرق أموية في الغرب فاطمية في الوسط والشريعة واحدة والملة واحدة ولما كان بين ذلك من ملوك الطوائف ما كان . لولا جنسية اللغة والوطن لما تفرق المسلمون بعد ذلك الى دول وممالك كالتركية والفارسية والافغانية وما كان قبلها فى الهند من السلطنة التيمورية وغيرها في المشرق وكالعربية في شمال افريقية

الغربي وغير ذلك مما كان في قلب هذه القارة الاسلامية التي استولت عليها أوربا الا قليلا. ولو عقل المسلمون معنى الحياة الملية، لكانوا في هذه الممالك كلها أحسن نظاما ووحدة من الامبراطورية الانكليزيه

ان الحياة الوطنية الصحيحة هي جزء من الحياة الملية الاسلامية فاذا حيي المسلمون في قطر ما حياة اسلامية فبشر جميع دعاة الوطنية الصحيحة من أهل الملل التي تعيش معهم بجميع ما يطلبون من عدل وحرية ومساواة وتعاون على درء المضار وجلب المنافع وكل ما به تعمر البلاد وتزيد خيراتها ، و بشر المسلمين منهم بأن سيكونون مركز الجاذبية العامة لجميع الشعوب المسلمة في الارض ثم مشرق المدنية الفضلى لجميع العالمين

يالله العجب ! ثلاث مئة مليون أي ثلاث مئة ألف ألف من المسلمين قد اكتظ بهم قلب الارض من مراكش الى الصين ولا تجد لهم قوة ولا سلطة عزيزة لا يعبث باستقلالها عابث ، ولا يلمس شرفها لامس ، أرأيت لو كان لهم حياة ملية، تشعرهم بحقيقة الأخوة الاسلامية ، أما كان يعتز بعضهم ببعض ويمد بعضهم بعضاً ولو امدادا معنوياً ؟ أكان يسهل على الناقم من شعب من شعوبهم أن ينتقم منه بغياً وعدواناً وهو يعلم أن قلب الارض يخفق للعدوان عليه خفقاناً لا يستهان به ؟

ما هو المرض الذي أضعف في المسلمين هذه الحياة الملية العليا ؟ هو عصبية الجنس واللغة والوطن وهي العصبيات التي حاول الاسلام القضاء عليها فلما غير الملوك شكل حكومته الى ضدها تمكنوا من محاربته بجنسياتهم فما أفسد علينا ديننا ودنيانا الا الملوك المستبدون وأعوانهم من علماء السوء وتلك سنة قد خلت في كل أمة قال فيها الشاعر

وهل أفسد الدين الا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

هل من سبيل الى اضعاف هذه النزعة الجنسية الخبيثة وإماطة هذه النزعة الوطنية الحمقاء من طريق الحياة الملية الاسلامية واشعار المسلمين في جميع الأقطار بحقيقة الرابطة التي تضم بعضهم الى بعض اشعاراً يملك الوجدان وتصدر عنه

الأعمال التي توثق هذه الرابطة وتؤكد ما فيها من حقيقة الأخوة مع بقاء كل قوم منهم في بلادهم وتعاونهم مع سائر أهلها على عمارتها بالعدل والاحسان والتوادّ والاخلاص ؟ السبيل واضحة وهي حبل الله المتين وسراجه المنير ولكن السياسة والجهل عقبتان كؤدان من دونها يصدان السالك عن المضي فيها ولا يذلل العقبات الا هم الرجال فأين الرجال ؟

السياسة المانعة من حياة المسلمين الملية نوعان سياسة أجنبية وسياسة مسلمية وان أهل البصيرة من المسلمين لعلى خلاف فى أيهما أشد وطأة فالذين يحكمهم الأجانب يعتقدون أن حكامهم أعداء دينهم فهم وحدهم العقبة في طريق رقيهم في هذه الحياة . والذين يحكمهم المسلمون يعلمون أن حكامهم بجهلهم وبما تيّمهم وتبلهم من عشق الاستبداد والسلطة المطلقة التي لا تكون الا لله هم العقبة الكبرى في طريق الحياة الملية بالاعتصام بحبل الله المتين، والاهتداء بكتابه المبين، والجمع بذلك بين مصالح الدنيا والدين،

ومن عرف الحكومتين، وعجم عودي السياستين، فهو أعلم بالحق، وأجدر ببيان الفرق،

الأجانب الحاكمون في بلاد المسلمين منهم القاسي الحائف كهولندا وفرنسا ومنهم اللين المتساهل كإنكلترا ولم يبلغ أشدها جورا ومنعاً للمسلمين من التعليم والتربية أن يحجب عنهم من كتب العلم والتربية ماتحرمه عليهم بعض الحكومات الاسلامية أو المسلمية ولكن محبي الاصلاح من المسلمين يرجون أن يغلبوا حكوماتهم ويلزموها بالعدل والمساواة وترقية العلوم والعقول وحرية الاجتماع للخير ويرون الاجانب عقبة في طريقهم فان إكراه الحكام على ترك الاستبداد لاتتمكن منه الامة المستعدة له الا بثورة داخلية والمسلمون يعتقدون ان الأجانب يتربصون بهم الدوائر فاذاهم ثاروا على حكومة من حكوماتهم المستبدة اغتنم الاجانب هذه الفرصة فأوقعوا بالدولة وقضوا عليها فالاجانب عقبة في طريق المسلمين أينما ساروا وتوجهوا لافرق بين بلادهم المستقلة و بلادهم المستعمرة. وهذا هو السبب في مقت عامة المسلمين لكل من يتكلم في عيوب الدولة العثمانية ولو كان صادقاً قاصدا للاصلاح فانهم

في الغالب يعتقدون ان اظهار عيوبها عون للاجانب عليها وقد يكونون مخطئين فى اعتقادهم هذا وأنى لنا بالرجال العارفين الذين يكشفون للعامة عن وجه الصواب فيعرفونه معرفة اذعان ؟

المرشدون الرسميون فينا جاهلون بشؤننا وسياستنا وعون للحكام كيفما كانوا لأن لهم سهماً من سلطتهم وأصحاب الجرائد منا لاهم لأكثرهم الا الازدلاف الى الحكام، والحظوة عند العوام، على أنهم لاحرية لهم فى بلادنا المستقلة تمام الاستقلال، ولوكانت هناك حرية لوجد من يفيد لاسيما في البلاد العثمانية فان البلاد لم تخل من العقلاء المخلصين .

هذا شأن السياسة في صد محبي الاصلاح الحقيقي عن السعي اليه في طريقه وأما الجهل فلا حاجة الى بيان وجهه القبيح فان ضرره ما لاينكره أحد في جملته ولا يتسع هذا المقال لتفصيله،

لانيأس من روح الله ولانقنط من رحمته فان حوادث الزمان تعمل لنا مالا نعمل لأنفسنا، ورب عدوان علينا لأجل إماتتنا، يكون سبباً من أسباب حياتنا، بينا في الجزء الماضي ان الحرب الروسية العثمانية قد أحدثت في المسلمين هزة حيوية كما قال حكيمنا رحمه الله وقد رأينا أثر هذه الهزة فى هذا الشهر عند ماعلم المسلمون بتهديد أوربا للدولة العلية واحتلال أساطيلها المختلطة لجزيرة (مدللي) لحمل الدولة على تمكينهم من ادارة الولايات المكدونية حتى ان بعض فضلاء المسلمين في الهند (هو القاضي أميرعلي الشهير) كتب الى التيمس أشهر الجرائد الانكليزية يبين سوء تأثير عمل أوربا فى نفوس المسلمين كافة و ينذر بسوء العاقبة. على أن الشدائد والبلايا انما تكون محيية اذا عرفت الأمة كيف تستفيد منها فلندع لها أثرها وفعلها الطبيعي ولنبحث فيما يجب علينا أن نعمله لحياتنا الملية، وكيف نجتنب مكافحة السياسة ومنازعة الجهل وهو ما نبينه في مقال آخر



باب الأخبار والآراء

الدعوة الى الاسلام

الدعوة حياة الأديان والمذاهب والجمعيات وغيرها من الأمور العامة التي يراد تكثير سواد أهلها فبالدعوة ينتشر الباطل ويظهر، وبترك الدعوة ينطوي الحق ويخفى، وأشد أهل الاديان عناية بالدعوة الى دينهم النصارى فما من مذهب من مذاهبهم المشهورة الا وله دعاة في جميع الأقطار تنفق عليها الجمعيات الدينية مما تجمعه من أغنيائها ودول أوربا تحميهم أينما كانوا، ويتبعهم سلطانها أينما تمكنوا، ولم أر كالمسلمين اهمالا للدعوة. ولولا أن الاسلام هو دين الفطرة الموافق للمصالح المطابق للعقول لارتد عنه في هذا الزمان أكثر المنتسبين اليه من العوام الجاهلين الذين لا يسمعون كلمة هداية، ولا يجدون في كثير من الاقطار عزة حماية، ولو أن المسلمين يعنون بالدعوة اليه لدخل الناس فيه كل يوم أفواجاً كما كان في أول نشأته، أيام نشر دعوته، ومن أعجب أمر هذا الدين المتين انه ينمو بنفسه، ويجذب الناس اليه بطبعه، « هذا وما كيف لو »

وانه ليسرنا أن نرى نفوس المسلمين الذين أيقظتهم حوادث الزمان قد توجهت الى احياء الدعوة الاسلامية وكثر الحديث فيه بينهم، حيث يجدون حرية في دينهم، كبلاد مصر وبلاد الهند. أما هذه البلاد فقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى عازماً على إعداد فرقة من طلاب الأزهر للدعوة يتعلمون ما ينبغي لها في هذا العصر من العلوم والفنون التي يتمكنون بها من اقناع أصناف المدعوين، وكشف شبهات المنكرين، ولكن ما أحدثه أعداء الاصلاح من الشغب والمقاومة حالت دون ما كان يريد ولعل مريده الشيخ شاكر يوفق الى ذلك في الاسكندرية اذا استقام على ماعهد به اليه، وان كان يعوزه ما كان المرحوم أقدر عليه، وأما مسلمو الهند فقد انتقل الامر فيهم من طور الفكر أو التمني الى طور العمل

والدعوة. وهاك ما جاء في العدد الاخير من جريدة الرياض الهندية التي تصدر بالعربية والأوردية المؤرخ في ٢٥ رمضان الماضي قال

دعوة الاسلام في السند

مضت بضعة أشهر على إعلان الجرائد الآريوية (فرقة حديثة من هنود الوثنيين) أنه دخل فى دين الوثنية عائلة اسلامية تحتوي ٥٦ نسمة تسكن بلدة لركانه (بليدة في السند) وأظهروا عليه فرحاً شديدا وحسبوا أن هذا هو الخسران المبين للاسلام والمسلمين والفوز العظيم لهم وشاع هذا الخبر أسرع من البرق في جميع أقطار الهند وأثر تأثيرا سيئاً في المسلمين وحزنوا حزناً شديدا فمنهم من يكذب هذا الخبر ومنهم من يتعجب منه غاية العجب ويقول من ذا الذي يعبد الله الواحد الأحد الصمد القدير الذي خلق الأرض والسماء ثم يتبع من اتخذ إلهه هواه وكيف يعبد أصناماً حجرية لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ان هذا لشيء عجاب—

ومنهم من يشدد النكير على علمائنا الكرام بأنهم لا يسعون في تسكين قلوب ضعفاء العقول من المسلمين ولا ينفعون بنصائحهم جميع الأنام بل يقصرون مواعظهم ونصائحهم على الذين يتبعونهم ويحسنون الظن بهم ولا يقدمون على اظهار الشك في أقوالهم ويحبون ان لا يسمعوا غير «سمعنا وأطعنا» قولا آخر — بل ينبزون الذي يعترض عليهم بالالقاب وبئس الخطاب—

فمن الذين أنكروا هذا الخبر وكذبوه أصحاب الجرائد وأعضاء اللجنات الاسلامية — فأصحاب الجرائد التمسوا في جرائدهم من المسلمين الذين يسكنون فى لركانه وحواليها أن يكاتبوهم بأحوالهم

وأعضاء اللجنات عزموا الى ارسال الواعظين الى لركانة ليصدقوا هذا الخبر ويعظوا المسلمين المترددين الذين يشكون في الاسلام— فوصل المولوي محمد ابراهيم ومولوي نبي بخش منده وبين من بعض اللجنات الى لركانه وكتبا وكتب بعض المسلمين منها أنه كانت في لركانه عائلة صغيرة من الهنود وكانوا هم وآباؤهم وأجدادهم هندين يعبدون الأوثان ويحرقون أمواتهم ويعتقدون بالعقائد التي يعتقدها سائر الهنود الوثنيين الا أن جدهم بدلداس صار موظفاً في ديوان السادات أمراء لركانه

واختار مراسم المسلمين كما يختار أكثر الهنود مراسم العزاء بسيدنا الامام الحسين بن علي رضي الله عنه ويبنون في المحرم تماثيل مقابرهم ويلبسون الثياب الخضراء ويجمعون الاشتراكات لهذه التماثيل ويقولون انهم فقراء الامام وينذرون لها نذوراً كما يفعل المسلمون الجاهلون في شهر المحرم ومن الهنود من لقب بالألقاب الاسلامية كمرزا تفته وغير ذلك فهكذا هذه العائلة قد اختارت رسوم جهال المسلمين استرضاء لمواليهم المسلمين واشتهروا بالشيوخ واستمروا عليه حيناً من الدهر الا أنهم لم يؤمنوا ولم يدخلوا في حوزة الاسلام قط وكانوا يعبدون الأوثان ويحرقون أمواتهم ويرسلون نبذاً من الشعور على رؤوسهم ويستعملون الزنانير ويسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء المشركين ويتبعون أهل الشرك في عقائدهم وتفردوا لهذا أو بسبب آخر من أقوامهم فسعت الآرية في انضمامهم الى فئتهم ففازوا بذلك وأظهروا في جرائدهم انهم كانوا من المسلمين

أما العالمان العاملان المذكوران فصمما عزمهما على دعوة الاسلام وتبليغه الى الذين لا يعرفون محاسن الاسلام واحياء سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم التي تركها العلماء منذ قرون عديدة فانه صلى الله عليه وسلم كان يذهب تارة الى عكاظ وتارة الى الطائف وتارة يضع مأدبة لقريش ويبلغهم آيات الله ويحثهم على طاعة الله ويهديهم الى سواء السبيل ويعظهم في المجامع العامة التي تشتمل على طوائف الناس من المؤمنين والمشركين —

وعلماء هذا الزمان مارعوا هذه السنة حق رعايتها بل حصروا مواعظهم ونصائحهم في المساجد حيث لا يحضر الا من يصلي ولا يصل وعظهم الى المسلمين الذين غرقوا في بحار المناهي والمناكر ولا يصل نداء وعظهم الى من لا يؤمن بالله واليوم الآخر — الا أن هذين العالمين قد أحييا هذه السنة وعملا عليها عملا حسناً فعمما مواعظهما وجددا عزمهما الى هداية الذين لا يدينون دين الحق وشرعا في الذهاب الى القرى والبلاد وأنتجت مساعيهما نتائج حسنة فاعتنق الدين الاسلامي في أسبوع واحد أربع مائة من الرجال والنساء والصبيان ومازال عدد التاركين الوثنية الداخلين في الاسلام يزداد يوماً فيوماً في هذه الاقطاع الى أن بلغ عدد من

أسلم ٨٥٧ نسمة والعالمان المتورعان يجتهدان في دعوة الاسلام وكل يوم ننتظر أن تصل الينا بشارة جديدة يفرح بها المسلمون فرحاً —

يا معشر المسلمين أفلا تنظرون بعين الناقد البصير الى أعمال علمائكم كيف نجحت مساعيهم في برهة من الزمان فما هذا الا نتيجة احيائهم سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فان اختار علماؤنا الكرام هذه الخطة التي عمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة عمره الشريف رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً —

فعليكم أيها المؤمنون أن تحسبوها تجربة حسنة وتبنوا عليها بناء جيداً فان ارتقاء القوم لما كان يتوقف على تعليم العلوم والصنائع والتجارة وكثرة العدد والعدد عقدتم لتعليم العلوم والصنائع جمعيات عديدة فالاجدر أن تقيموا لدعوة الاسلام جمعية أيضاً يشترك فيه المسلمون كلهم واجتهدوا في نشر الاسلام حق الاجتهاد وانظروا الى معاصريكم من المسيحيين كيف يجتهدون في اشاعة المسيحية وكيف يصرفون عليها قناطير الذهب والفضة كل سنة كما يظهر من رسالة مكاتبنا المكرم التي أدرجناها

وانظروا الى اخوانكم الآرية كيف يجتهد كل واحد منهم في اشاعة مذهبهم التكثير حزبهم مع أن معتقداتهم مخالفة للعقل السليم ولا تقاوم الادلة الفلسفية كتعدد الآلهة ومسئلة التناسخ وعبادة آلات التناسل وغير ذلك من العقائد الباطلة وشائنة ولكنهم يجتهدون فى تكثير أفراد هذه المذاهب ويفوزون فوزا تاماً حتى انه لم يبق قرية أو بلدة من الهند الا ويوجد فيه عدد من هذه الفرقة الحديثة التي بدت منذ خمس وعشرين سنة

أما دينكم فمطابق لفطرة الله التي فطر الناس عليها وأصوله موافقة للعقل والحكمة والفلسفة فوجهوا وجهتكم الى هذا الأمر الجليل والتفتوا اليه أجل التفات واعقدوا له جمعية جديدة أوحثوا احدى الجمعيات الموجودة عليه لتعمل فيه بالنظام المتين والتدبير المستقيم المستقل وتديم الجهد عليه فالفوز والنجاح بين أيديكم لا ريب فيهما ان العالمين المذكورين قد قرعا هذا الباب وفتحاه لكم وقدما نتائج مساعيهما الحسنة اليكم ليكون لكم درساً مفيدا — فعليكم أن تنصروهما وتدبروا تدابير

حسنة لاستمرار الاعمال التي شرعا فيها —

يامعشر المسلمين انتبهوا من هذه الغفلة وجددوا عزائمكم وقووا قلوبكم وصمموا نياتكم وقوموا لإحياء قومكم واشاعة دينكم وتكثير حزبكم لتكونوا من المسلمين الصادقين الذين يفاخر بكم نبيكم الامم لكثرة عددكم وقوة عددكم وجهادكم بأموالكم وأنفسكم وأقلامكم وأقدامكم واسعوا بالاخلاص في اعلاء كلمة الله ونشر شعائر الله وافشاء أحكام الله واتفقوا واجتمعوا ولا تفرقوا فان يد الله مع الجماعة.» اه بنصه مع تصحيح بعض الكلمات

﴿ الدعوة الى الاسلام في اليابان ﴾

كانت الجرائد رددت صدى مانشر في مجلة (شوكيا) اليابانية عن تصدي حسان المسلم الصيني لدعوة قومها الى الاسلام بتأليف كتاب نشره في تلك البلاد ثم نقل بعضها عن الجزء الصادر من تلك المجلة في أول سبتمبر الماضي شيئاً عن بحث لجنة الأديان اليابانية في ذلك الكتاب وملخصه أن رئيسها كلف المستر كوريما دراسة قسم العبادات من الكتاب والمستر جورافوش دراسة قسم المعاملات والمستر اوداوا دراسة قسم العقوبات مع اشتراك الجميع في المسائل العويصة من كل قسم. وكتب الى المستر حسان يدعوه الى اليابان لمذاكرته في مسائل كتابه فلبى وتلقته اللجنة بالحفاوة والاكرام وكان يحضر اجتماعهم. ولما دارت المناقشة في كلمة «لا إله الا الله» قاعدة التوحيد أورد المستر كوريما كل مافي خياله من الادلة النظرية لاثبات تعدد الآلهة ولكن رفيقيه مالا الى رأي المستر حسان. ومن رأي اللجنة أن تنشر كل ما تراه صحيحاً من المسائل الاسلامية بعد الاتفاق عليه فى الجرائد فى صحف خاصة توزع على العامة: واننا نخشى أن يعجز أخونا حسان عن اقناع القوم ببعض المسائل لتمسكه فيها بمذهب معين فان الذي نعرفه عن مسلمي الصين أنهم قلما يعرفون من الاسلام غير مذهب الحنفيه. ونود أن يستحضر لنا بعض أهل الغيرة هذه المجلة وما عساه يطبع في المناظرة ويترجمه ليتسنى لنا مشاركتهم فى بحثهم نحن ومن يهمه ذلك من العلماء ونكتب اليهم مانراه مقنعاً لهم ان شاء الله تعالى

﴿ مسألة مكدونية وتاثيرها في المسلمين ﴾

اتفقت النمسا وروسيا وانكلترا وفرنسا وايطاليا على ارسال أسطول مؤلف من سفنهن لتهديد الدولة العلية وإلزام السلطان باجابة مايطلبن من المراقبة المالية الاوربية في تلك الولايات وقد احتل الاسطول المتحد جزيرة مدللي وأصر السلطان على رفض طلبهن كما قلنا في الجزء الماضي

وكان من بعض أجوبته لسفرائهن انه لا يقدر على احتمال سخط المسلمين في هذه الحادثة أو ما هذا معناه ففسرت شركة روتر في برقياتها هذه الكلمة بأن السلطان يهدد أوربا أو النصارى بالحرب الدينية وقيام المسلمين عامة على النصارى وان السفراء فهموا هذا منه وأن سفير الانكليز قال انه هو المسؤل عن كل ماينجم من الاعتداء على رعية دولته. والسلطان لم يقصد شيئاً مما زعموا وانما أراد أن يبين لهم عذره في رفض طلب الدول وهو أن المسلمين يسخطون عليه ويقولون انه هو الذي أضاع بلاد الدولة

قال روتر كلمته وطيرها بالبرق الى مصر وغيرها فأحدثت في النفوس اضطراباً عظيما فكثر حديث الناس في المسألة حتى النساء وانتشر الخبر في العامة انتشاراً عظيما وتوقع الأجانب حدوث فتنة عظيمة اذا تمادى الخلاف بين الدول المتحدة وتركيا المنفردة وأنشأت الجرائد تبين ضرر العدوان وفوائد الصفاء والاتفاق. ولكن لم يطل ولله الحمد أمد الاضطراب والاشفاق على الدولة من عدوان أوربا فلم نلبث أن أنبأتنا البرقيات بأن الباب العالي اتفق مع الدول على قبول المراقبة بعد تعديل وتحوير فيها فسكنت النفوس مرة واحدة واطمأنت القلوب وسكتت الجرائد عن الخوض في المسألة ووعظ الناس بوجوب السكينة لولا ماحدث في الاسكندرية

حدث في الاسكندرية ان بعض رعاع اليونانيين أطلق الرصاص على آخر فأصاب رجلا مسلما فانتصر المسلم بعض العامة ولليوناني من حضر من قومه فانتشرت الفتنة وظن بعض الغوغاء من أحداث المسلمين ان ما يتحدث به الناس من الحرب الدينية قد وقع فتألبوا وكثر جمهم وصاروا يصيحون في الشوارع الحرب الدينية: ويضربون من يلقون من اليونانيين وغيرهم فجرح خلق كثير وعجز رجال

الشحنة عن فل الجموع وحفظ الأمن فأمر محافظ الاسكندرية بأن يجاء بمطافىء الحريق فيرش منها الماء في المحشر ففرق الماء تلك الجموع من حيث لم يضر أحدا منهم ونعم الرأي رأي المحافظ

وقد اتفقت الجرائد العربية والافرنجية على أن الذنب في الحادثة لشرار اليونان لا للمصريين وروى بعضها أن قنصل اليونان نفى طائفة منهم بالاتفاق مع الحكومة . وقد قبض على جماعة من المشاغبين لأجل محاكمتهم ويقال ان الحكومة ستعاملهم بالقسوة وتعاقبهم أشد العقاب عبرة لهم ولأمثالهم

وروت الجرائد أيضاً أن محافظ الاسكندرية أمر الخطباء والوعاظ بأن ينصحوا للناس بموادة النصارى وغيرهم من المخالفين لهم في الدين ليعلم الجاهلون أن الدين يأمر بالعدل والإحسان لا بالظلم والعدوان . وقد روت البرقيات والجرائد الأوربية أن السلطان أمر خطباء الاستانة ووعاظها بمثل هذا . وينكر بعض الناس مثل هذا محتجاً بأن أهل الاستانة لم يعرفوا من الخلاف بين الدولة العلية والدول ما يعرف الاوربيون والمصريون وان مثل هذا الوعظ قد يضر ولا ينفع لأنه ينبه النفوس الى ما كانت غافلة عنه ولا تعنينا هذه الآراء وما كان للمنار ان يذكر الحوادث الا لبيان العبرة فيها

العبرة في هذه الحادثة من وجوه (أحدها) أن لعامة المسلمين غيرة على دينهم وعلى سلطتهم وحظاً مّا من الشعور بالحياة الملية العامة ولكن ليس لهم زعماء يخدمون هذا الاستعداد ، ويستخدمونه بما ينفع الأمة والبلاد، (ثانيها) ان هؤلاء العوام لجهلهم بدينهم عرضة لمخالفته بقصد الاهتداء بهدايته حتى يسهل دفعهم الى الفتن ، وايقاعهم في مزالق المحن ، ولا علاج لهذا الجهل الا التعليم الديني النافع والتربية الاسلامية القويمة، واذا كانت الحكومة تظن أن القسوة في عقاب المذنبين في حادثة الاسكندرية تكون تربية لسائر العوام ورادعا لهم عن الوقوع في مثل ما وقع فيه المعاقبون فظنها هذا اثم فان العوام لا يندفعون بالفكر والقياس، بل بالوجدان والإحساس ، فاذا حدث في وقت آخر ما يحرك احساسهم للشر ، فانهم لا يتذكرون ماسبق للمذنبين من العقوبة والضر ، فعلى الحكومة المصرية أن تعنى بتعميم التعليم الديني ما استطاعت (ثالثها) ان شرار الاجانب باعتدائهم على الوطنيين

واعتزازهم بحماية حكوماتهم لهم من العدل يحفظون القلوب عليهم ويملأونها حقدا وضغنا فاذا جاءت أحداث الزمان بالفرصة للتشفي والانتقام، ومقابلة العدوان بالعدوان ، كان من ظلم الحكومة أن تنكل برعيتها اذا قدرت ، ومن البلية عليها وعلى البلاد ان عجزت ، (رابعها) ان بعض الاجانب ينبزون هذه الحركة بلقب التعصب الديني الذي هو عندهم من الالقاب الممقوتة ولو أنصفوا لعرفوا أن كل حركة ضدهم فهم سببها سواء كانت دينية أو دنيوية (خامسها) ان جميع الاجانب يقتنون السلاح و يتعلمون استعماله و يقل في الوطنيين من يقتنيه أو يحسن استعماله والحكومة المصرية تشدد على رعيتها في اتخاذه وذلك مما يحفظ قلوبهم على الاجانب اذ يعتقدون أنهم يستعدون للايقاع بهم ومن مصلحتها أن تقرب القلوب بعضها من بعض بالمساواة وهذا يتوقف على رضاء دول أوربا فلعلهن يفكرن في ذلك

وعلى ذكر السلاح نقول ان الحكومة العثمانية في سوريا قد أتقنت التشديد على العلم ومنع الكتب والجرائد خوفاً من حركة الفكر ولكنها لم تتقن منع السلاح فلا يكاد يوجد أحد في بيروت ولا لبنان لا يتخذ بنادق مرتيني وغيرها من المدى والمسدسات ويكثر السلاح أيضاً في سائر البلاد وسيعم فنسأل الله أن يقيها الفتن ، ما ظهر منها وما بطن

أنباء الازهر — الشيخ أحمد الرفاعي

هذا الشيخ هو أول من تجرأ على الجهر بمعارضة الاصلاح في الازهر باسم الانتصار للدين ودعا الشيوخ الى ذلك فأجاب دعوته كثيرون لا الا كثرون . وقد كان من عاقبة أمره ما عرفه الناس هنا وخاضت فيه الجرائد وهذا ما نشرته جريدة اللواء (فى ع ٨٧٧ الصادر في ١٨ رمضان الماضي)

«من المسائل التي يجب علينا نحن معشر الوطنيين النظر فيها وتلافيها قبل أن ينبهنا اليها الغير تلك الحالة المكدرة التي وقعت من الشيخ أحمد الرافعي شيخ المقاري . ومعلوم ان هذا الشيخ نال الحظوة السامية لدى الجناب العالي الخديوي عدة سنوات وكم من مرة طاف على العلماء بالعرائض لطلب عزل شيخ الجامع والمفتي وكان الكثيرون يتبعونه وكان يقرأ التفسير في القبة اثناء شهر رمضان . وقد

بلغ من تقربه ان سمو الأمير رشحه لمشيخة الازهر عقب احالة فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ سليم البشري على المعاش

«أما الذي علمناه وعلمه الكثيرون فهو ان الشيخ المذكور لما تعين شيخاً للمقاري أقيم ناظراً على وقف مشروط النظر فيه لمن يكون في وظيفته فكان من تصرفه المخالف للشرع الشريف انه أجر لحضرة سمعان بك صيدناوي التاجر الشهير في الموسكي قطعة أرض لمدة ستين عاماً بأجرة زهيدة جداً. ولما بلغ هذا الخبر أولياء الأمور فصلوه عن وظيفته من مشيخة المقاري فأصبح غير ناظر على الوقف ثم أبى الجناب العالي قبوله في السراي العامرة كما انه لم يدعه للافطار في عابدين مع بقية العلماء وسيجري الشأن بابطال عمل الرجل شرعاً وهذا وان كان يريح البال بعد العلم بهذه الحادثة الا ان الجاري الآن من الغرابة بمكان ذلك ان الشيخ لا يزال مدرساً في الازهر

«وغني عن البيان ان وظيفة التدريس خصوصاً في مدرسة كلية مثل الازهر الشريف هي وظيفة سامية لا تسند الا الى الرجل الشريف الطاهر السمعة ولا يليق ان يتقول الناس فى الخارج على واحد يشغلها. وعندنا أن عالماً حسن السمعة خير الف مرة من عالم أوسع منه علماً يكون سيء السمعة غير محمود الذكر لأن مثل هذا يكون مثالا رديئاً لتلاميذه وبه يعتقد الطلبة ان العلم يسمح لصاحبه بخراب الذمة

«فهل ترضى مشيخة الأزهر أن يهان التدريس الى حد أن يتربع في حلقاته من أتى أمراً مخالفاً للشريعة السمحاء (الصواب السمحة)

فان كان الشيخ قد أتى ما أتى وهو عالم بمخالفته الشرع فهذا يكفي لحرمانه من التدريس وان كان أتاه وهو غير عالم بمخالفته فهناك الطامة الكبرى لاسناد التدريس لمن لا يعرف نواهي الشرع وان كان أتاه عن ضعف وكبر فهو غير لائق للتدريس. فهل لمشيخة الازهر ان توجه أنظارها الى ذلك صيانة لشرف العلم والمتعلمين.» اه

(المنار) كان للواء أن يلتمس للشيخ عذراً فيما فعل ولو بالطرق التي يسمونها حيلا شرعية ونقول انه بعد هذا قد أقيل الشيخ الرفاعي من مجلس ادارة الازهر الذي عين عضوا فيه عقب ترك الاستاذ الامام له والذين كانوا يعارضون الاصلاح كلهم مثل هذا الشيخ أو دونه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

مصر الاربعاء غرة القعدة سنة ١٣٢٣ — ٢٧ ديسمبر (ك١) سنة ١٩٠٥

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها فى الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٤٤:٢٤٦) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

القتال للدفاع عن الحق أو الحماية الحقيقية يتوقف على بذل المال لتجهيز المقاتلة ولغير ذلك لا فصل في الحاجة الى هذا بين البدو والحضر فاذا كانت مقاتلة القبائل البدوية لا تتكلف رئيسها أن يتولى تجهيزها بل يجهز كل واحد نفسه فكل واحد مطالب ببذل المال لتجهيز نفسه واعانة من يعجز عن ذلك من فقراء قومه. وأما دول الحضارة فكانت تحتاج في الاستعداد للمدافعة والمهاجمة ما لا يحتاج اليه أهل البادية وقد كثرت نفقات الدول الحربية اليوم بارتقاء الفنون العسكرية وتوقف الحرب على علوم وصنائع كثيرة من قصر فيها كان عرضة لسقوط دولته. لهذا قرن الله تعالى الأمر بالقتال،

بالحث على بذل المال ، فالمراد بالبذل هنا مايعين على القتال وما هو بمعناه من كل ما يعلي شأن الدين ،ويصون الأمة ويمنعها من عدوان العادين ، ويرفع مكانتها في العالمين ،

ذكر هنا حكم الإنفاق في سبيل الله بعبارة تستفز النفوس وأسلوب يحفز الهمم ، ويبسط الأكف بالكرم ،فقال ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ فهذه العبارة أبلغ من الأمر المجرد ومن الأمر المقرون ببيان الحكمة ، والتنبيه الى الفائدة،والوجه في اختيار هذا الاسلوب هنا على ماقرره الأستاذ الامام أن الداعية الى البذل في المصالح العامة ضعيفة في نفوس الأكثرين والرغبة فيه قليلة إذ ليس فيه من اللذة والأريحية مافي البذل للأفراد فاحتيج فيه للمبالغة في التأثير. يدفع الغني الى بذل شيء من فضل ماله لأفراد ممن يعيش معهم أمور كثيرة منها ازالة ألم النفس برؤية المعوزين والبائسين ، ومنها اتقاء حسد الفقراء واكتفاء شرارهم والأمن من اعتدائهم،ومنها التلذذ برؤية يده العليا وبما يتوقعه من ارتفاع المكانة في النفوس وتعظيم من يبذل لهم وشكرهم واحترام غيرهم فان السخي محبب الى جميع الناس من ينتفع بسخائه ومن لاينتفع . واذا كان البذل الى ذوي القربى أو الجيران فحظ النفس فيه أجلى ، وشفاء ألم النفس به أقوى ، فإن ألم جارك وقريبك آلم لك ويتعذر أن يكون الانسان ناعماً بين أهل البؤس والضراء ، سعيدا بين الاشقياء ، فكل هذه حظوظ للنفس في البذل للأفراد تسهل عليها امتثال أمر الله فيه وان لم يكن مؤكدا . وأما البذل الذي يراد هنا — وهو البذل للدفاع عن الدين واعلاء كلمته وحفظ حقوق أهله — فليس فيه شيء من تلك الحظوظ التي تسهل

على النفس مفارقة محبوبها (المال) ولذلك يقل في الناس من يبذل المال في المصالح العامة فلهذا كان المقام يقتضي مزيد التأكيد والمبالغة في الترغيب وليس في الكلام ما يدرك شأو هذه الآية في ذلك لاسيما في موقعها هذا بعد بيان سنة الله تعالى في موت الأمم وحياتها

حسبك أنه تعالى جعل هذا البذل بمثابة الاقراض له وهو الغني عن العالمين الذي له ملك السموات والارض ومابينهما وانما يقترض المحتاج — وأنه عبر عن طلبه بهذا الضرب من الاستفهام ، المستعمل للإكبار والاستعظام ، فانه إنما يقال من ذا الذي يفعل كذا في الامر الذي يندر أن يقدم عليه أحد . يقال من ذا الذي يتطاول الى الملك فلان أومن ذا الذي يعمل هذا العمل وله كذا: اذا كان عظيما أو شاقاً يقل من يتصدى له. قال تعالى « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » وقال «قل من ذا الذي يعصمكم من الله » الآية ولا يقال : من ذا الذي يشرب هذه الكاس المثلوجة : وهجير الصيف متقد والسموم تلفح الوجوه — وأنه لم يكتف بتسميته إقراضاً وبالتعبير عنه بهذا الاستفهام حتى قال ﴿فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ ذلك أن الاقراض هو أن تعطي انساناً شيئاً من المال على أن يرد اليك مثله فالتعبير بالاقراض يقتضي أن القرض لايضيع وليس هذا بكاف في الترغيب الذي تقتضيه الحال هنا فصرح بأنه لايرد مثله بل أضعاف أضعافه من غير تحديد وقد قال في مقام آخر «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» وهو كاف هناك لما علمت من الفصل بين المقامين،والتفاوت بين الناس في الحالين ، وانك لتجد الناس على هذا التأكيد في الترغيب قلما يجودون بأموالهم في المصالح العامة «وقليل من عبادي الشكور»

قال الأُستاذ الامام معلوم أن الله تعالى غني عن العالمين فلا يحتاج الى شيء لذاته ولا هو عائل لجماعة معينين فيقترض لهم فلابد لهذا التعبير بالاقراض من وجه صحيح –أي غير مايعطيه الأسلوب من الترغيب– فماهو هذا الوجه؟ ورد في الحديث أن الفقراء عيال الله على الأغنياء (*) لأن الحاجات التي تعرض لهم يقضيها الأغنياء . ومعنى كونهم عيال الله أن ما أصابهم من الفاقة والعوز انما كان بالجري على سنن الله في أسباب الفقر وللفقر أسباب كثيرة منها الضعف والعجز عن الكسب ومنها إخفاق السعي ومنها البطالة والكسل ومنها الجهل بالطرق الموصلة ومنها ماتسوقه الأقدار من نحو حركات الرياح واضطراب البحار واحتباس الامطار ، . والأغنياء متمكنون من ازالة هذه الأسباب أو تدارك ضررها وإضعاف

(*) هكذا قال الاستاذ الامام وهو يشير الى الحديث المتداول « الفقراء عيال الله وأحب الناس الى الله أنفعهم لعياله» وقد رواه أبو يعلى في مسنده والبزار من حديث أنس والطبراني من حديث ابن مسعود بلفظ «الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » كذا في كنز العمال وقال الجلال في الأحاديث المشتهرة رواه البيهقي في الشعب وأبو يعلى من حديث أنس وسنده ضعيف وابن عدي من حديث ابن مسعود: أقول ورواه الخطيب عن ابن عباس بلفظ «فأحب الناس الى الله تعالى من أحسن الى عياله» والديلمي عن أبي هريرة بزيادة «وأبغض الخلق الى الله من ضيق على عياله» وتقرير الاستاذ الامام يتفق مع الرواية كما هو ظاهر على أن للفظه أصلا في هذا المقام وهو مارواه ابن جرير عن علي كرم الله وجهه: مات غنيان وفقيران فقال الله تبارك وتعالى لأحد الغنيين ما قدمت لنفسك وما تركت لعيالك فيقول يارب خلقتني واياهم سواء تكفلت برزق كل دابة وقلت «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له» وعلمت انك ترزق عيالي من بعدي: فيقول اذهب فلو تعلم مالك عندي لضحكت كثيراً ولبكيت قليلا الخ

أثرها كازالة البطالة بإحداث أعمال ومصالح للفقراء وازالة الجهل بالانفاق على التعليم والتربية –تعليم طرق الكسب والتربية على العمل والاستقامة والصدق . واذا كان فقر الفقير انما هو بالجري على سنة من سنن الله فازالة سبب فقره أو مساعدته عليه أو فيه انما يجري على سنة من سننه تعالى أيضاً كما أن غنى الغني كذلك فالإنفاق لإحياء سنة الله ومساعدة من ينتسبون الى الله تعالى على أنهم عياله اذ لاغنى لهم بكسبهم ولاحول لهم ولا قوة ينزل منزلة الإقراض له تعالى فالفقراء عيال والله يعولهم بأيدي الأغنياء ويعول الأغنياء بتوفيقهم لأسباب الغنى

أقول هكذا وجه العبارة رحمه الله تعالى بعد أن قال ان الحث على الإنفاق في هذه الآية يراد به الانفاق في المصلحة العامة لا مواساة الفقير فكأنه أراد أن يبين صحة التعبير في نفسه حيثما ورد وان استعمل في مقام آخر كقوله تعالى في سورة التغابن (٦٤:١٧) «إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم »ودخل فيما ذكره بعض المصالح العامة وهو ينطبق على سائرها فإن القتال لحماية الدين وتأمين دعوته وللدفاع عن الانفس والبلاد هو من سنن الله تعالى في الاجتماع البشري فالانفاق فيه يصح أن يسمى اقراضاً لله تعالى باعتبار اقامة سنته به على وجه الحق الذي يرضيه جل شأنه . وقد كنت أزيد مثل هذا وأسنده اليه في حياته اعتمادا على اجازته مع كونه مما يقتضيه قوله

ثم قال روح الله روحه مامثاله : والتعبير عن الإنفاق بالإقراض الذي يشعر بحاجة المستقرض الى المقرض عادة جدير بأن يملك قلب المؤمن ويحيط بشعوره ويستغرق وجدانه حتى يسهل عليه الخروج من كل مايملك

ابتغاء لمرضاة الله وحياء منه فكيف وقد وعد برده مضاعفاً أضعافاً كثيرة ووعده الحق. هذا التعبير بمثابة الهزّ والزلزال لقلوب المؤمنين فقلبٌ لا يلين له ويندفع به الى البذل قلبٌ لم يمسسه الايمان، ولم تصبه نفحة من نفحات الرحمن، قلب خاوٍ من الخير، فائض بالخبث والشر، أيٌّ الطف من عظم يداني هذا اللطف من الله تعالى بعباده؟ جبار السموات والارض رب كل شيء ومليكه الغني عن العالمين الفعال لما يريد المقلب لقلوب العبيد يرشد عباده الذين أنعم عليهم بفضل من المال واختصهم بشيء من النعمة الى مواساة اخوانهم بما فيه سعادة لهم أنفسهم ولمن يعيش معهم، ويهديهم الى بذل شيء من فضول أموالهم في المصالح العامة التي فيها صلاح حالهم وحفظ شرفهم واستقلالهم، فيبرز هذا الهدي والارشاد في صورة الاستفهام، دون صيغة الأمر والإلزام، ويسمي نفسه مقترضاً ليشعر قلب الغني بمعنى الحاجة التي ربما تصيبه يوماً ما ثم هو يعد بمضاعفة ذلك العطاء — أيكون هذا اللطف كله منه بعبده الذي غمره بنعمته وفضله على كثير من خلقه ثم يجمد قلب هذا العبد وتنقبض يده لا يستحي من ربه ولا يثق بوعده ويقال مع هذا انه مؤمن به وبأن ما أصابه من الخير فهو من عنده؟ كلا. مثل فى نفسك ملكا من ملوك الدنيا يريد أن يجمع إعانة للفقراء وقد خاطبك بمثل هذا الخطاب في التلطف والاستعطاف ومثل في خيالك موقع قوله من قلبك وأثر كلامه في يدك

أما كون القرض حسناً فالمراد به ما حل محله ووافق المصلحة لا ما وضع موضع الفخفخة وقصد به الرياء والسمعة نعم ان ما أنفق في المصالح العامة حسن وان أريد به الشهرة ولكنه لا يكون دالا على ايمان المنفق

وثقته بربه وابتغائه مرضاته ولا على حبه الخير لذاته لارتقاء نفسه وعلو همته بما استفاد من فضائل الدين وحسن التهذيب فلا يكون له حظ من نفقته يقربه الى ربه زلفى بل يكون كل جزائه تلك السمعة الحسنة «فهجرته الى ما هاجر اليه». ومن الناس من ينفق في المصالح بنية حسنة ولكن بغير بصيرة تريه مواطن المنفعة بنفقته فيبني مسجدا حيث تكثر المساجد فيكون سبباً في زيادة تفرق الجماعة وذلك مخالف لحكمة الشرع أو يبني مدرسة ولا يحسن اختيار المعلمين لها أو يفرض لها من النفقة مالا يكفي لدوامها فيسرع اليها الخراب أو يضع فيها معلمين فاسدي الاعتقاد أو الآداب فيفسدون ولا يصلحون فمثل هذا كله لا يقال له قرض حسن وانما يكون الانفاق قرضاً حسناً مستحقاً للمضاعفة الكثيرة اذا وضع موضعه مع البصيرة وحسن النية ليكون على الوجه المشروع من إقامة الدين، وحفظ مصالح المسلمين، أو منفعة جميع الأنام، من الطريق الذي أشرعه الاسلام،

وأما هذه المضاعفة الى أضعاف كثيرة - وسيأتي في آية أخرى ذكر سبع مئة ضعف والمراد الكثرة - فهي تكون فى الدنيا والآخرة. ذلك أن المنفق لاعلاء كلمة الله ولتعزيز الأمة وللمدافعة عن الحق والحقيقة يكون مدافعاً عن نفسه ومعززا لها وحافظاً لحقوقها لأن اعتداء المعتدين على الامة انما يكون بالاعتداء على افرادها فضعف الأمة وإذلالها وضياع حقوقها لا يتحقق الا بما يقع على أفرادها وهو منهم والبلاء يكون عاماً «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» ثم ان الأمة التي يبذل أغنياؤها المال، وتقوم بفريضة التعاون على الاعمال، فيكفل غنيها فقيرها، ويحمي قويها

ضعيفها، تتسع دائرة مصالحها ومنافعها، وتكثر مرافقها وتتوفر سعادتها، وتدوم على أفرادها النعمة مااستقاموا على البذل والتعاون في المصالح العامة ثم أنهم يكونون بذلك مستحقين لسعادة الآخرة ومضاعفة الثواب فيها

أقول ولوسرنا في الأرض وسبرنا أحوال الأمم الحاضرة، وعرفنا تاريخ الامم الغابرة، لرأينا كيف ماتت الامم التي قصرت في هذه الفريضة أواستعبدت ، وكيف عزت الأمم التي شمرت فيها وسعدت ، وهذه المضاعفة الدنيوية تكون لكل أمة أقامت هذه السنة الإلهية في حفظ كيانها واعزاز سلطانها سواء كان المنفقون فيها يبتغون الأجر عند الله تعالى أم لا . وانها لمضاعفة كثيرة لايمكن تحديدها فما أجهل الامم الغافلة عنها وعن حال أهلها اذيرون أهلها قد ورثوا الأرض وسادوا الشعوب فيتمنون لوكانوا مثلهم ولا يدرون كيف يكونون كذلك . ومن العجب أن يكون المسلمون اليوم أجهل الامم والشعوب بهذه السنة الالهية وهم يتلون كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار ولا تتحرك قلوبهم ولا تنبسط أيديهم عند تلاوة آياته الحاثة على بذل المال في سبيل الله لاسيما هذه الآية التي لوأنزلت على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من هيبة الله تعالى والحياء منه . عمل بهذه الهداية قوم فسعدوا ، وتركها آخرون فشقوا ، فان كان قدفات الأولين قصد مرضاة الله باقامة سننه فحرموا ثواب الآخرة فقدخسر الآخرون بتركها السعادتين وذلك هو الخسران المبين . ومن التفسير المأثور في الآية مارواه ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله : وهو اجمال لماتقدم تفصيله ومن محاسن عبارات المفسرين هنا أن لفظ المضاعفة هنا للمبالغة بما في

الصيغة من معنى المغالبة . قرأ أبو عمرو ونافع والكسائي (فيضاعفه) بالضم وعاصم بالنصب ولا محل هنا لتطبيق قواعد النحو عليه وقرأ ابن كثير (فيضعفه) بالرفع والتشديد ويعقوب وابن عامر بالنصب.

قال تعالى ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ وقرأ نافع والكسائي والبزي وأبو بكر يبصط بالصاد وهي لغة كأن الأصل فيها تفخيم السين لمجاورة الطاء أي يقبض الرزق عن بعض الناس فيجهلون طرقه التي هي سنن الله تعالى فيه أو يضعفون في سلوكها ويبسطه لمن يشاء بما يهديهم الى تلك السنن ويفتح لهم الأبواب ويسهل لهم الاسباب . ولوشاء أن يغني فقيرا ويفقر غنياً لفعل فان الامر كله له بيده القبض والبسط وهو واضع السنن والهادي اليها والموفق للسير عليها فليس حضه الأغنياء على مواساة الفقراء والإنفاق في المنافع العامة أو الخاصة من حاجة به أو عجز منه سبحانه ، كلا بل هي هدايته الانسان الى طرق الشكر على النعم بما يحفظها ويفضي الى المزيد فيها حتى يبلغ كماله الاجتماعي الذي أعده له بحكمته . وقال بعض المفسرين يقبض بعض الايدي عن البذل، ويبسط بعضها بالفضل، قال الاستاذ الإمام وهو لا يتفق مع ماتقدمه من الآية ولا يظهر بعده ماتضمنه قوله تعالى ﴿ واليه ترجعون ﴾ من الوعد والوعيد أي لأنه لا بد أن يكون مرتباً على عمل لنا فيه كسب واختيار، لا على ماتصرفه الاقدار ، وقد قال بعض العلماء ان هذا التعقيب يدل على أن البذل واجب يعاقب على تركه : أقول يريد عقاب الآخرة وأما عقاب الدنيا فهو أظهر لانه مشاهد لأرباب البصائر الباحثين في شؤون الامم اذ لا يبحثون في حال أمة عزيزة الا ويرون بذل أغنيائها المال ، لنشر العلوم واتقان الأعمال ، وتعاون أفرادها على مصلحتها ،

هي أسباب عزتها ورفعتها ، ولا يبحثون في حال أمة ذليلة مقهورة الا ويرون أغنياءها ممسكين. وأفرادها غير متعاونين ، فعلمنا بهذا أن قوله تعالى «والله يقبض ويبسط »الخ بيان لطريق المضاعفة ودليل عليه وتذكير بالله وبتدبيره لخلقه وبمصير الخلق اليه أي فهو يضاعف لهم في الدارين . وقد عهدنا في القرآن ختم آيات الاحكام بمثل هذا وعندي أن هذه الآية أبلغ آياته

قال الاستاذ الامام الرجوع الى الله تعالى رجوعان — رجوع في هذا العالم الى سننه الحكيمة ونظام خليقته الثابت ككون تحصيل الغنى يكون بكذا من عمل العامل وكذا من توفيق الله تعالى وتسخيره ، وكون الفقر يكون بكذا وكذا من نحو ذلك . وككون البذل من فضل المال يأتي بكذا وكذا من المنافع الخاصة بالباذل والعامة لقومه الذين يعتز بعزتهم ويسعد بسعادتهم وكون ترك البذل يأتي بكذا وكذا من المفاسد والمضار العامة والخاصة . ولا يستقل الانسان بعمل من ذلك تمام الاستقلال بحيث يستغني به عن الرجوع الى الله تعالى بالحاجة الى معونته وتوفيقه وتسخير الأسباب له . أقول ولو فرض أن بعض أعماله يتم بكسبه وسعيه وجده لما كان الا راجعاً الى الله تعالى فيه لأنه ما عمل ولا وصل الا بالسير على سننه وانما يكون مستغنياً عن الله تعالى ان قدر أن يغير سننه ونظام خلقه وينفذ بعمله من محيط ملكه وسلطانه « ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان » قال وأما الرجوع الآخر فهو الرجوع في الدار الآخرة حيث تظهر نتائج الأعمال وآثارها « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله »

باب المقالات

الحياة الملية* بالتربية الاجتماعية

﴿هذا ما وعدنا به في مقالة روابط الجنسية والحياة الملية في الجزء السابق﴾

ذهب كثيرون من نابتة الترك والمصريين مذاهب الخيال الذي انعكس الى أفكارهم مما شهدوا من ظواهر مدنية أوربا فحسبوا أن فلاح كل شعب وكل قطر معلول لعلة واحدة هي تقليد أوربا بنشر العلوم الرياضية والطبيعية ونظام الحكومة والأخذ بعادات أهلها ويستدلون على رأيهم هذا بما كان من ارتقاء اليابان في نحو ربع قرن بهذا التقليد ويحسبون هذا برهاناً قاطعاً لا سبيل الى المكابرة فيه الا ممن كان أعمى البصيرة جاهلاً بحال هذا العصر مغروراً بحال قومه في حاضرهم أو ماضيهم وكأني بمن تعود منهم قراءة الكلام المعقول في المنار وقد أنكر فاتحة هذا القول وساء ظنه بمن سمى هذه القضية البديهية اليقين عنده تخيلا وحسباناً .

لا تعجلوا بالانكار عليّ فلست بمنكر فائدة تلك العلوم ولا أقول ان أمة تعز وتقوى في هذا العصر مع الجهل بها وبطرق الاستفادة منها وارجعوا الى أنفسكم فانتم أعلم بها منكم بأوربا واليابان . انكم قد سبقتم اليابانيين الى هذا التقليد فالمصريون منكم قد مرّ على أخذهم بهذا التقليد قرن كامل والترك قد ناهزوا ثلاثة أرباع القرن ولم يدرك أحد من الفريقين غبار اليابانيين الذين لا يزيد سنهم في المدنية على ربع القرن الا قليلا . فدولة اليابان قد دوخت في بضع سنين أكبر دولة شرقية وأكبر دولة غربية وطفقت ترث الأرض وتستعمر البلاد ، وبلادكم تنقص من أطرافها ، ويفتات عليكم فيما بقيت لكم رسومه منها ، فأيّ أثر لتقليد أوربا تحمدون ، وأيّ فائدة له فى أنفسكم تعرفون ،

هل يستطيع المصري أن يقول ان حكومتنا لم تتشكل بشكل الحكومات الأوربية فلم يتم لنا التقليد الذي هو علة النجاح ؟ أنّى وكل ما عرفته هذه البلاد من نظام أوربا ومدنيتها فهو من حكومتها لا من الأهالي ولا تزال الحكومة

أرقى من الرعية تسوقها في كل طريق وتقودها بكل زمام . منح الشعب المصري حرية القول والعمل والاجتماع منذ ربع قرن ولم توجد له جريدة ذات مذهب ملي نافع ورأي اجتماعي ثابت ولا مدرسة كلية بل ولا جزئية يعتد بتعليمها وتربيتها تنظر البلاد الى المتخرجين فيها نظر الرجاء بما ترى من امتيازهم على المتخرجين في مدارس الحكومة فمدارس الحكومة وهي في أيدي الأجانب ترجح على جميع المدارس الأهلية رجحاناً مبيناً ، ولم تؤسس فيها شركات كبيرة للزراعة أو للتجارة أو للصناعة نجحت في عملها ، فكانت موضعاً للثقة بها ، ولم يوجد فيها للمسلمين وهم السواد الأعظم غير جمعية خيرية واحدة لاتزال فقيرة بالنسبة الى الجمعيات الخيرية في أوربا واليابان على ماقاسى مؤسسوها من العناء والبلاء في سبيلها ولا يزال مجلس ادارتها يمحو من دفاترها في كل سنة أسماء كثير من الاغنياء الذين يشتركون فيها وتمر عليهم السنون ولا يؤدون اليها مافرضوه على أنفسهم لإعانة فقرائهم وأكثرهم من المتعلمين علوم أوربا في بلادهم أو في أوربا نفسها .

وأما الترك فقد ملأ طلاب المدنية منهم الآفاق أنيناً وشكوى من حكومتهم وطعناً في سلطانهم واني على اعترافي لهم بأنهم في مجموعهم أرقى من المصريين علماً وأخلاقاً وأقوى عزيمة واستقلالاً أقول ما قاله كبير من كبرائهم : إننا بطعننا في السلطان وصراخنا بالشكوى من حكومة «المابين» نعترف للعالم علناً بأننا لسنا أمة اذلو كنا أمة لماقدر رجل واحد على أن يفعل فينا مايشاء ويحكم مايريد ولما عجزنا عن وضع بناء حكومتنا على أساس الشورى الشرعية التي فرضها ديننا ورأينا نجاح الأمم بها ، فهؤلاء الخائضون منافي السلطان انما يبصقون على ذقونهم : يريد هذا التركي الكبير ان الشعب لم يرتق الى المستوى الذي يقدر فيه على تغيير شكل الحكومة فهو اذاً لم يستفد من تقليد أوربا ماعتزت به أمته وارتقت به دولته بل كان كل خذلان أصيبت به الدولة أثراً من آثار خيانة هؤلاء المقلدين أوربا المعبر عنهم بالمتفرنجين فهم الذين اقترفوا جريمة الخيانة في حربها الأخيرة مع روسيا وهم هم الذين أفسدوا البلاد بظلمهم وبيعهم الدماء أو الحقوق بالرشوة لأجل ارضاء شهواتهم التي استفادوا التفنن بها من مدنية أوربا

لا ريب أن معظم ما أخذناه عن أوربا كان سبباً في زيادة نفوذها فينا واستيلائها على كثير من بلادنا وامتصاصها لثروتنا وقد ضعفنا وماقوينا وبعدنا عن الاستقلال ولم نقرب منه فلماذا كان هذا منتهى حظنا منها وكان حظ اليابان ما نعلم من القوة والمنعة والعزة والثروة ؟ وكيف السبيل الى استخراج لبن هذه المدنية من بين فرثها ودمها أم كيف السبيل الى نجاح أمتنا فهذه الصين قد أنشأت تقتدي باليابان في اصلاح شأنها وتنظيم حكومتها وهذه روسيا قد وضعت الثورة حكومتها في البوتقة لتذيبها وتنقيها من أوضارها واذا صلحت حال هاتين الحكومتين فان فساد الأرض ينحصر فينا وحدنا ، واذا جعلنا الكلام في الشعوب والملل ، لا في الحكومات والدول ، فاننا لانجهل أننا قد دفعنا من صدرها الى عجزها ، وصرنا الى ساقتها بعد أن كنا في مقدمتها ، فماذا يجب علينا من العمل ، قبل أن ينقطع منا الأمل ؟

أقول في الجواب يجب أن نكون أمة واحدة تربطنا رابطة واحدة تصل بعضنا ببعض حتى يشعر كل صنف وقبيل منا بل كل فرد بأنه عضو من جسم كبير له حياة واحدة عامة منبثة في جميع الأعضاء مادامت الأعضاء متصلة فاذا ما انفصل عضو منها فارقته الحياة اذ لاحياة له في نفسه . واننا لانشعر الآن بهذه الحياة وانما يشعر كل واحد منا بنفسه وحدها فهو يعمل لها وحدها فالمهندس والطبيب والفقيه والقانوني والمدرس وسائر أهل المعارف هم كالحداد والنجار والزارع والصانع والأجير والخفير وغيرهم من أهل الحرف والصنائع كل واحد منهم يتعلم ليتوسل الى رزقه ومايمتع به نفسه وأهله لايلاحظ مصلحة عامة ولا رابطة جامعة فوجوده لاينبسط الى أكثر مما ينبسط له وجود بعض الذباب والحشرات على ماشرحناه في مقالة روابط الجنسية فالعلوم الرياضية والطبيعية والشرعية وغيرها لاحظ فيها عندنا لمايسمونه الهيأة الاجتماعية وهي الأمة في مجموعها لا لأجزائها فلو صار كل فرد منا عالماً بفن من الفنون التي ارتقت بها أوربا ونحن على هذه الحال ، لما كان ذلك كافياً لجعلنا أمة عزيزة كاملة الاستقلال ، قصارى هذا العلم أن ينقل هؤلاء الأفراد من مرتبة الخزف والودع الى مرتبة الخرز زجاجاً كان أو جوهراً مع بقاء كل خرزة منفردة عن الأخرى اذ لاسلك

هناك تنتظم فيه ولا ناظم يؤلف بينها في السلك فيجعلها عقدا . وأعني بالسلك هنا رابطة الجنسية وبناظم العقد المربي الاجتماعي لا المربي الصناعي . حدثني محمد توفيق البكري قال سمعت السيد جمال الدين في الأستانة يقول: ان المسلمين لا ينتفعون بشيء من هذه العلوم التي يتعلمونها لأن السلك عندهم منقطع ولا فائدة بدونه: أو ما هذا معناه قال لي البكري وقد فاتني أن أسأله عن مراده بهذا السلك فما رأيك فيه

مثل المعلم الفني والمربي الصناعي كمثل من ينظف قطع المعدن أو الجوهر ليُنتفع بها في الجملة ولا يبالي أ كانت حبة في عقد أو فصا لخاتم أو كمثل من ينحت الحجارة النحت الأول لتباع لمريدها فهو لا يبني ولا يعنيه أمر الباني أ كان يريد مسجد صلاة أم هيكل أوثان. وأما المربي الملي والمعلم الاجتماعي فهو الذي يقيم بناء الأمة أو ينظم عقدها فيجب أن يكون هو الرئيس على معلمي الفنون والعلوم المدبر لمدارسهم لأنهم هم الذين يمهدون له العمل ويهيئون له الحجارة التي يقيم بها البناء فإذا خلت مدارس الأمة من هؤلاء المربين والمعلمين فبشرها بأنها تهيء أفرادها للدخول في بناء غير بنائها وهكذا نرى الذين تعلموا العلوم والفنون مناهم الذين مكنوا الأجانب منا بنصحهم لهم في خدمتهم، وان لم يصلوا في التشرف بهم الى أن يجعلوا من بنيتهم، وهكذا تتبدل أحوال الامم وتتغير أشكالها كما صارت كنائس القسطنطينية مساجد ومساجد قرطبة كنائس

ألا ان حياتنا الملية التي هي سلك اجتماعنا وينبوع سعادتنا لا تنفخ روحها فينا الا بالتربية الدينية الدنيوية فيجب أن يكون جل اهتمام طلاب الاصلاح منا في الدعوة الى هذه التربية والسعي لها وازالة العقبتين اللتين ذكرناهما في مقالة الجزء الماضي من طريقها أعني عاقبة السياسة وعقبة الجهل وكيف يكون ذلك ،

كتبت ما تقدم فلم يقف القلم دقيقة ولا لحظة انتظارا لما يمليه الفكر حتى اذا انتهى الى هذه النقطة وقف ساعة من الزمان ، وكان هذا شأنه في المقالة الاولى جرى فلم يقف الا عند نقطة بيان العمل الواجب علينا فكانت وقفته خاتمة المقالة . وقف القلم لوقوف الفكر ، ووقف الفكر لأن تصور العاملين حال بينه وبين تصور العمل ، انتقل من إملاء الواجبات التي يعلمها الى البحث عن العاملين الذين

يجهلهم ، كأن صائحا أهاب به : قف لا تخاطب من لا يسمع ، ولا تطالب من لا يعمل ، . فوقف هنيهة ثم أنشأ يجوب البلاد ويتصفح الوجوه فرأى أن أكثر الذين يعقلون ما يقال ، ويقدرون على الأعمال، أحلاس بيوت ، وأحلاف خمول، ومن قد ظهر بما نصح للأمة ، قد استفاد بنصحه الظنة ، فلا يثق به الجمهور ، ولا يكلون اليه تدبير الأمور ، ثم عاد الى قبر الاستاذ الامام ، فبكاه بالدموع السجام، وتذكر أن الامة ما فقدت رأيه ونصيحته ، وانما فقدت زعامته وامامته، فانها لم تكد تشعر بأنه رب السلك ، وربان الفلك ، فتستعد لقبول ما يأتيه من النظام ، إلا وقد اختطفه منها الحمام ،

فان لم يأتنا ندب بسلك   فلا عمل هناك ولا نظام
وان لم يأتنا نوح بفلك   على الاسلام والشرق السلام

هذا ما كان من الفكر في سكوته عن الاملاء قد أملاه ، ثم عاد الى ما كان وعد القلم به فوفاه ،

يجب على العامل في مصر والهند مالا يجب على العامل في الأستانة والشام، ويطلب من المصلح في تونس والجزائر، مالا يطالب من المصلح في فارس أو قزان، ولا أذكر مراكش اذ ليس فيها — على ما أظن — رجال ، ولا الصين لأن المسلمين فيها لا يهمهم غير جمع المال ، وجملة القول ان الشعوب الاسلامية متمزقة، في بلاد متفرقة، وليس لشعب منها من الحرية في العلم والعمل للدنيا والدين مثل ما لمسلمي مصر والهند وهم في مقدمة المسلمين ذكاء وفطنة ولولا ما يعوزهم من العزيمة والثبات والاستقلال الشخصي الذي تفضلهم به الشعوب العثمانية لكانوا هم الرجاء لسائر المسلمين ، ولا أعتد دعوة أحداث الوطنية في مصر مانعا لانتفاع المسلمين بالمصريين فان دعوتهم لا تزال ضعيفة لا يخشى أن تفصل هذا العضو من جسم الملة .

انما يكون العاملون لخير الاسلام في مصر والهند بمأمن من غائلة السياسة اذا هم اتقوا الاصطدام بالسياسة والافتتان بها فيجب أن يكون عملهم للاسلام نفسه لا لهوى أمير أو مليك، ولا اتكالا على دولة أو حكومة، ولا لأجل مقاومة السلطة ، أو معاندة

القوة ، ولولا افتتان المصريين بالسياسة وتعلق نفوسهم بمناهضة انكلترا اتكالا على فرنسا لنجحوا في ظل حرية الاحتلال الانكليزي نهضة كانوا بها أئمة المسلمين ولكنهم لم يكادوا يشفوا من داء الغرور بفرنسا حتى قام من خطباء الفتنة من يغرهم بألمانيا ويغريهم بمناصبة القوة المحتلة الحقيقية اتكالا على قوة ألمانيا الوهمية.

يخدع بعض المصريين أنفسهم ويخادعون قومهم اذ يقولون ان الحياة الوطنية انما تكون بكثرة الكلام في ذم كل عمل للمحتلين واظهار الميل عنهم الى غيرهم ، ويتوهم الأكثرون منهم ويوهمون قومهم بأن من يعمل لخير ملته وأمته في مصر فهو على خطر ايقاع الانكليز به لان الحرية التي عندهم لا تعدو اباحة القول وعمل المنكر ، وان كلاً لمخطيء فيما يقول ويزعم فان القول لا يزلزل القوم ولذلك أباحوه فاذا آنسوا ان وراءه عملا فلا يعجزهم إحباطه وهم هم الذين يلعبون بالأمم والدول كما يشاءون . وأما من يعمل في سلطتهم لخير نفسه بالاهتداء بدينه والارتقاء في دنياه فانهم لا يصدونه عن السبيل، ولا يقيمون في وجهه العراقيل، وقد ارتقى وثنيو الهند في ظل حريتهم ارتقاء مبينا والمسلمون نائمون فلم يقعدوا القائم، ولا أيقظوا النائم، ولما انتبه المسلمون من نومهم ،ودعاهم الداعي الى العمل لقومهم ،قال لهم الانكليز إن تعملوا لأنفسكم فانا مسعدون، وإن تهملوا شؤونكم فما نحن لكم إلا مهملون،

الانكليز قوم يحبون الكسب بهدوء وسلام فهم لا يحركون أضغان الناس عليهم ولا يقصرون في تسكين ما تحرك من نفسه أو حركه خصم آخر يناظرهم ، لا يعاندون الطبيعة ولا يساعدونها على أنفسهم ، فمن استعدت طبيعته لعلم أو عمل مع مسالمتهم اقتنعوا بأن يستفيدوا منه بحسب حاله فهم يرضون من العالم ما لا يرضونه من الجاهل، ويعاملون الشعب المستقل المتحد، بغير ما يعاملون به الشعب المستذل المستعبد، فما أجبن من يقول انهم لا يمكنوننا من العمل، وما أجهل من يقول لماذا لا يعملون لنا ما لا نعمل لا نفسنا أنهم اذاً أعداؤنا. نعم انهم أعداؤك العقلاء وأنت بجهلك أعدى أعداء نفسك

اذا ما أهان امرؤ نفسه   فلا أكرم الله من يكرمه

هذه ما نقتحم به عقبة السياسة في مصر والهند أعيده مختصرا وهو أن يكون

عملنا لاحياء ملتنا وترقية أمتنا بالعلوم النافعة والأعمال المالية المشتركة والجمعيات العلمية الخيرية مع مسالمة القوة بالصدق لا بالرياء والمخادعة وما مسالمة القوة الا ترك العبث بمقاومتها لاجل قوة خارجية سواها . أما مطالبتها بترك كذا مما يضر البلاد أو فعل كذا مما يفيدها فلا ينافي المسالمة ولا يقتضي المقاومة واذا صار في البلاد أمة تطالب بذلك على بصيرة وحق فان طلبها لا يكاد يرد اذا كان معقولا فان العاقل لا يظلم مع العاقل لا سيما اذا كان أمة (الكلمة للسيد جمال الدين رحمه الله) ولن تكون هذه الأمة أمة الا بالحياة الملية التي ندعو اليها

تلك الحقيقة وقد يتوهم ضعفاء العقول أن فيها مصانعة للمحتلين وما أنا بمحتاج الى مصانعتهم لدنيا أريدها منهم وهم أغنى بقوتهم وبراعتهم في استعمار البلاد وتدبير أمور الأمم عني . ولو كنت أصانع لكنت أحوج الى مصانعة العوام بمجاراتهم على أهوائهم لتزداد مجلتي رواجاً فيهم أو بعض الكبراء الذين يبذلون الأموال لمن يواتيهم على ما يريدون وما كان هذا مني ولا ذاك ولن يكون ان شاء الله تعالى. ان أريد الا اقناع طائفتين من الناس بما لو اقتنعوا به رجي أن تستفيد الامة من عملهم . الطائفة الاولى جماعة من أهل المعرفة بما ينفع الامة يصدهم عن العمل لها اعتقاد أن الانكليز واقفون بالمرصاد لكل عامل لملته لأنهم أعداؤها ولا قدرة لنا عليهم فعلينا السكون والسكوت وهؤلاء هم الواهمون . والطائفة الثانية مؤلفة من أفراد كثيرين لا يعرفون النافع للامة والمحيي للملة وانما يظنون أن الواجب على كل وطني أو مسلم أن يعتقد أن كل ما يعمله المحتلون البلاد ضارٌ فان كان نافعاً في الظاهر فهو ضار في الباطن وأن يقاوم القوم بالقول فيذمهم ويقبح أعمالهم ويظهر الميل الى دولة أوربية أخرى نكاية فيهم ، وهؤلاء هم المخدوعون. فأولئك لجبنهم لا يعملون بعلمهم النافع وهؤلاء لحمقهم يقولون ما لا يفعلون، والغارّون لهم يخادعونهم بما لا يعتقدون

أريد العمل لما يحيي الملة وينهض بالأمة ولا حرية لنا في غير مصر والهند فأحب أن يقدرها العارفون بالخير والشر قدرها ويستفيدوا منها لينشط أهل الهند ولكيلا يطول على المصريين أمد الوهم وسوء الظن بالانكليز كما طال على مسلمي الهند فحرموا

الاستفادة من حريتهم حقبة من الزمن ولم يشعروا بخطأهم الا بعد أن رأوا الوثنيين قد علوهم بالعلم والعمل والثروة والحكم. فحسب المصريين ربع تلك المدة وليعلموا أن اقتحام العقبة سهل كما ذكرنا ومن بين لنا خطأنا فاناله شاكرون، ولرأيه ناشرون، نعم ان حكومة فارس (ايران) لا تعادي العلم، ولا تمنع الاجتماع، ولكن الشعب نائم، يحلم بظهور المهدي القائم، وهي عاجزة عن النهوض بنفسها، وما أحوجها الى يقظة شعبها، قبل أن يفرغ لها الجاران، فتغتالها الغيلان،

بينا معنى الحياة الملية وأن رابطة الملة في الاسلام هي أقوى الروابط وأعمها نفعاً للبشر وأن العاقل اذا فقه سرها لا يرغب عنها ولا يفضل عليها غيرها ولو لم يكن من أهلها وأنها الآن منحلة وأنها على انحلالها موضع للأمل وانه يجب على المسلمين توثيقها وتوكيدها وأن أحرى الناس بالعمل والسعي لها مسلمو الهند ومصر — ويليهم مسلمو التتر في روسيا واستعدادهم قوي وستظهره الحرية المنتظرة بعد الثورة — وان ما يمنعهم من العمل ليس الا وهما يقويه الجبن أو جهالة يمدها الخداع والغرور. هذا وسنشير الى اقتحام عقبة الجهل فيما يأتي

أما العمل الواجب فلا يشرح بالتفصيل الا للعاملين ويجب أن يكون دائراً على أقطاب هذه المسائل الكلية (١) كون تعليم الدين مؤيداً للعقائد دافعاً للشبهات الرائجة في هذا العصر (٢) كون تعليم التاريخ وعلم الاجتماع والاخلاق والآداب موثقاً للرابطة الملية بين شعوب المسلمين وعناصرهم المختلفة (٣) تعليم العبادات مع بيان حكمها وفوائدها في تزكية النفس وتعليم أحكام المعاملات مع بيان انطباقها على مصالح البشر ومنافعهم في هذا الزمان ومن ذلك بيان أن كل محرم ضار وكل حلال نافع (٤) تعلم العلوم الرياضية والطبيعية بقصد ترقية النفوس بمعرفة سنن الله وحكمه في الخلق وترقية مجموع الأمة بالأعمال التي تزيد في ثروتها وعزتها (٥) احياء اللغة العربية بإلزام المتعلمين التحاور بها استبدالا لها باللغة العامية وبتعليمهم البلاغة في القول والكتابة ليكونوا كتاباً بارعين، وخطباء مؤثرين، (٦) تعليم الصنائع التي يمكن العمل بها في البلاد وفنون التجارة بقصد انماء ثروة الامة بغنى أفرادها (٧) الجمع بين التعليم على النهج الذي شرحناه وبين التربية العملية في المدارس

الاسلامية المفقودة من الأرض (٨) جعل مدار التعليم والتربية على استقلال الفكر واستقلال الارادة والاستقلال فى العمل الذي يعبرون عنه بالاعتماد على النفس، وعلى حب الأمة وشرف الملة. والكافل لهذه الاركان الثمانية هم المعلمون المربون الذين بينا وظيفتهم. وههنا تعترضنا عقبة الجهل جهل رجال الدين — والعامة من ورائهم — بهذه الطريقة للتعليم الديني وبفائدة العلوم الدنيوية وجهل علماء الدنيا بهذه الطريقة لتعليم علومهم. على أن أمر هؤلاء أهون، وارشادهم الى المطلوب منهم أيسر، واذا بعدنا عن علماء الرسوم الدينية ومعاهدهم كالأزهر وما ألحق به في هذه الديار فاننا نأمن معارضتهم ومناصبتهم لنا في تعليمنا على أن صوتهم في مصر قد خفت ونفوذهم قد ضعف، ولا نعدم من يعلم الدين على الوجه النافع الذي أشرنا اليه حتى ممن كان تعلم فى هذه المعاهد وصادف علوماً وهداية أخرى بشرط أن يوجد المدير العام رب السلك وناظم العقد

لا يكون هذا الا في المدارس الكلية فلا حياة بدونها ولو بقي الاستاذ الامام حياً لأسست في مصر مدرسة كلية وشرع فيها قبل مضي هذا العام فقد كان أعد لها عدتها وعزم على جمع المال لها فى هذا الشتاء، جزاه الله عن نيته وعمله أفضل الجزاء، وقد كان مضطلعاً بهذا الامر ولعله يوجد في مصر من يستخدم الاستعداد الذي تم لها كما كان يريد رحمه الله. أما إنشاء الجمعيات والشركات فان البلاد المصرية والهندية شرعت فيه ويرجى لها النجاح بالتدريج ان شاء الله تعالى

هذا ما نذكر به أهل العقل والغيرة من مسلمي مصر والهند وقزان وغيرهم من مسلمي الفرس على نومتهم، ومسلمي العثمانيين والتونسيين على ضيق عطنهم، وحيف زمنهم، وضعف مُنّهم، على أن استعدادهم الفطري للعمل ربما كان أقوى، واستقلالهم في الارادة والفكر أقوى، ولكن اقتحام العقبتين أشق عليهم وأعسر، فهم أحق بالاجتهاد وأجدر، ويتوقف ذلك على أعمال تعرف مما تنفثه الاخطار في الصدور، لا مما تبثه الافكار في السطور، وكل ميسر لما خلق له، «ألا الى الله تصير الأمور»

باب التربية والتعليم

﴿ تقرير مشيخة علماء الاسكندرية ﴾

الاحصاء العام

كتبنا في الجزء التاسع عشر رأينا في مقدمة هذا التقرير ونكتب الآن شيئاً عن فصوله ومسائله المقصودة منه بنفسها وأولها فصل الاحصاء العام وفيه ان الإقبال على طلب العلم في الاسكندرية كان في هذا العام عظيماً حتى بلغ عدد الطلاب في هذا العام ٧٢١ طالباً وكانوا في نهاية السنة الماضية (وهي الاولى للمشيخة) ٣٤١ فالزيادة ٣٨٠ ولكن لم يثبت من هؤلاء وهؤلاء الا ٤٤٠ وهو العدد الموجود والمسجل الآن . وقد قال الاستاذ واضع التقرير «ان جميع مديريات القطر المصري قد اشتركت في طلب العلم الشريف بهذه المدينة» وجعل ذلك دليلا على الشعور العام والميل الخاص الى الترقي في طلب العلوم الدينية وأحال في بيان هذا على الجداول التي وضعها لاحصاء الطلاب فراجعناها فلم نر فيها ذكرا لمديرية القليوبية ولا لمديرية الجيزة ولا لمديرية بني سويف . ورأينا أكثر من جاء الاسكندرية من مديرية البحيرة وسببه ظاهر وهو قربها منها و بعدها عن مصر ثم من الغربية ولعله لهذه العلة وأما الشرقية والفيوم فلكل منهما طالب واحد في الاسكندرية ولمديرية جرجا اثنان ولكل من قنا وأسيوط والمنيا ثلاثة وللمنوفية أربعة وللدقهلية خمسة ولأسوان ستة ولا يعرف السبب فى وجود هؤلاء في الاسكندرية .

وما ذكر في التقرير من كون هذا أثر الشعور العام والميل الخاص الى الرقيّ في العلوم الدينية فهو غير ظاهر لأن هذا العدد قليل وأسباب الاختيار مجهولة ولأن التعليم في الاسكندرية هو دون التعليم في مصر وطنطا من وجهين أحدهما أن المدرسين في المصرين أرقى في العلوم الدينية ووسائلها من المدرسين في الاسكندرية وثانيهما ان الدروس نفسها أرقى والعلوم أكثر . في الاسكندرية يقرءون الجلالين

في التفسير وفي الازهر يقرءون البيضاوي والكشاف وتفسير الجلالين أصغر كتب التفسير وأقلها فائدة والبيضاوي والكشاف أعلاها ولا يخفى أن روح الدين كله في القرآن فمن لم يرتق فيه فلا رقيّ له . وليس في الاسكندرية شيء من علم الاصول ولا المعاني ولا البيان وفهم الفقه والتفسير والحديث لا يتم لمن لا حظ له من هذه العلوم . والعذر في عدم قراءة هذه العلوم انه ليس فى الاسكندرية من الطلاب الاخمس فرق ابتدائية أوخمس سنين على اصطلاحهم وليس من غرضنا هنا الانتقاد على اختيار ما اختارت المشيخة لهذه السنين من الدروس وانما الغرض بيان أن العلوم في مصر وطنطا أرقى منها في الاسكندرية فطالب الرقيّ فى هذه العلوم لا يختار الادنى وهو الاسكندرية على الاعلى كالازهر .

فالتنبيه على هذه الدقائق مما لا بد منه للباحث في الامور العامة وسنن الاجتماع لأن أكثر الناس قد اعتادوا ترك التدقيق في أمثال هذه الاقوال، وأمثال هذه الطرق من الاستدلال، التي جرى عليها بعض أصحاب الجرائد في هذه البلاد، واعتاد السكوت عن التمحيص أهل الفهم والتدقيق من الكتاب، حتى صارت دهماء الامة تعتقد في الامور العامة غير الصواب، فالمعقول في مسألة إقبال الناس على التعلم فى الاسكندرية هو ما ذكرنا من أن أهل البحيرة والغربية يرجحونها لقربها وما جاء من غير هاتين المديريتين لا يعتد به ولا ينهض دليلا على ما رمي اليه التقرير من شعور الامة بأن العلوم الدينية في الاسكندرية أرقى فطالب الرقي يفضلها ويختارها . ويوضح ما يريد صاحب التقرير من تفضيل مشيخته على مشيخة الازهر في التعليم ما ذكره في الفصل الآتي قال

﴿ طرق التعليم ﴾

« كان الازهريون ولا يزالون يعتمدون في تعليمهم لطلاب العلم الشريف العناية بتنمية القوة العاقلة واعدادها للبحث واستنتاج النتائج من المقدمات ولذلك كانت عنايتهم بالجدل وطرق الاقناع أكثر من عنايتهم بالتماس النتائج الحقة (كذا) من مقدماتها الصحيحة . وقد كنا نرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقه لولا أن بعض المتأخرين استعملوها بافراط حتى مع صغار الطلبة والمبتدئين

في العلوم فيقضي الطالب الاعوام العديدة من بداية طلبه بين تشكيكات ومناقشات واعتراضات وأجوبة قلما يحسن معها العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها

«ولقد أدركنا الطرف الأخير من ذلك الزمن الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه الازهريين وغيرهم متجهة في بداية الطلب الى تكليف الطلاب بحفظ متون العلوم (كذا) وهي مسائلها التي تسرد سردا ثم التدرج معهم في ادراك تلك المسائل تدرجاً يناسب مداركهم وقواهم العقلية حتى يبلغوا الحد الذي يقتدرون فيه على الاشتغال بإقامة الادلة والبراهين على الذين كانوا يعلمون (كذا) . ولكن الولع بالشغب والمحدثات قد كاد يطفئ هذا المصباح الذي استضاء به العالم الاسلامي دهرا طويلا . وهذا التدرج في التعليم كان طريقة للمتقدمين يحسن بالمتأخرين أن يسلكوها اتباعاً لسلفهم الصالح»

ثم نقل من مقدمة ابن خلدون نبذة في التعليم ملخصها ان التعليم انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج مراعى فيه استعداد الطالب بأن يقرأ له الفن ثلاثاً يلقي عليه في الاولى أصول المسائل وتشرح بالاجمال ويخرج بالثانية الى التفصيل وذكر الخلاف ووجوهه ويستقصى فى الثالثة كل عويص ويوضح كل مقفل .

ثم ذكر ابن خلدون أنه شاهد كثيرا من المعلمين يجهلون طرق التعليم فيلقون على المتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة ويطالبونه بحلها ويخلطون عليه غايات العلوم في مبادئها ويكلفونه وعيها وهو لم يستعد لها فيكل ذهنه ويكسل ويهجر العلم ظناً منه انه صعب في نفسه وانما هو سوء التعليم . ثم ذكر صاحب التقرير مفسداً آخر من مفسدات التعليم في مثل الازهر فقال

« واذا أضمنا الى هذا الذي قاله المحقق ابن خلدون مفسدا آخر لطرق التعليم وهو اطلاق السراح للطلاب وتركهم يحضرون ما يشاءون ويتركون ما يشاؤن ويتدرجون في تلقي العلوم كما يشتهون بدون مراقبة على المواظبة في الطلب ولا ملاحظة لاستعداد الطالب فيما يريد تلقيه ، كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل ، فلم يكن من العجب أن يقضي الطالب العشرات من السنين فى دور العلم ومعاهد التعليم ثم لا يكون حظه من تلك السنين الطوال الا إضاعة العمر في

الاختلاف الى الدروس بلا فائدة يستفيدها ولا علم يحصله ولا يقتصر ضرره على نفسه ولكنه يتعدى الى العلماء المتصدرين للتدريس فيكون حجة للذين يسبون التدريس في الأزهر الشريف وملحقاته وبرهاناً تنقطع دونه ألسنة الذين يدافعون عن التعليم في دور العلم الاسلامية »

ثم ذكر أن مشيخة الاسكندرية تداركت هذا الفساد في طرق التعليم بشيئين (١) تكليف بعض العلماء مراقبة الطلبة في شؤونهم الدراسية وتعويدهم على الأخلاق المرضية (كذا) (٢) تقرير الامتحان السنوي على كل طالب حتى لا ينتقل من علوم سنته الى أرقى منها الا اذا أظهر الامتحان استعداده لعلوم تلك السنة . قال «أما العيب الذي أشار اليه ابن خلدون فقد تلافته المشيخة بشيئين أيضاً . الأول تنبيه حضرات العلماء والمدرسين الى ملاحظة قوى الطلبة والاقتصار على تفهيمهم مسائل الكتب المكلفين بتدريسها (كذا) بدون تعرض لكلام الحواشي والشروح الطوال خصوصاً مع المبتدئين في الطلب » والثاني عناية المشيخة بانتخاب الكتب التي تناسب كل سنة من سني الدراسة

ان الذي يمكن أن يلخص به كلامه في عيوب التعليم في الأزهر وما على شاكلته من المدارس الدينية على ما فيه من الاضطراب والايهام هو أن العيوب ثلاثة (١) أن بعض المتأخرين قد استعملوا طريقة الأزهر القديمة في التعليم التي كان يرجى خيرها بافراط حتى مع الصغار والمبتدئين فصار الطالب يقضي السنين بين التشكيكات والمناقشات فقلما يحسن العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها (٢) الولع بالشغب والمحدثات الذي كاد يطفئ مصباح الاسلام وهو ما كان عليه أهل الأزهر من الابتداء بحفظ المتون والتدرج في ادراك مسائلها . وقال ان هذا ما كان عليه سلف الأمة الصالح واستدل على ذلك بعبارة ابن خلدون (٣) اطلاق السراح للطلاب يتدرجون كما يشتهون ويحضرون من الكتب ما يختارون بدون مراقبة . وذكر من ضرر هذا العيب أن الطالب يقضى العشرات من السنين في معاهد العلم بلا فائدة وأن ذلك برهان للذين يسبون التدريس في الازهر وملحقاته لا يرد وحجة لا تدحض . ثم ذكر ان مشيخة الاسكندرية قد تداركت هذه العيوب أي فبرئت

من استحقاق السب و بقيت هذه العيوب فى الأزهر وسائر ملحقاته في التعليم . وانا نبحث في هذه المسائل شاكرين لله تعالى أن وفق عالماً من علمائنا الرسميين للكتابة في طرق التعليم وعرض آرائه على الباحثين والمنتقدين ولا غرو أن نثني بالشكر للشيخ شاكر

أبدأ ببيان ما أشرت اليه من الاضطراب والابهام بل والايهام في العبارة فأقول ان عبارة التقرير في هذا الموضوع عبارة من قضت عليه الحال بأن يداري و يواري فيوهم بعض القارئين بما يبهم على الآخرين، و يرضي المختلفين في الرأي: بالذم في معرض المدح والمدح في معرض الذم و يأتي بقياس مؤلف من مقدمات؟ تؤخذ بالتسليم وان كانت نظريات،وتكون النتيجة ان التعليم فى الأزهر له كذا وكذا من العيوب والمفاسد،وان التعليم في الاسكندرية له كذا وكذا من المحاسن والفوائد ،ولكن العبارة لم تواته على ما يكيد، (أي يحاول) فلم تأت الا ببعض ما يريد، هذا ما تومئ اليه العبارة من غرض الكاتب وما كان مستولياً عليه من الفكر ومتأثراً به من الشعور عند الكتابة ذكرناها على الطريقة الغربية في النقد وهي عندنا أفضل ما يعتذر به عن الكاتب عند من يرى الاضطراب في القول فيحمله على مركب آخر .

ماذا يفهم القارئ من قوله ان طريقة الازهريين التي درجوا عليها كانت تقضي بالعناية بالجدل وطرق الاقناع أكثر من العناية بطلب النتائج الحقيقية من مقدماتها الصحيحة وقوله انه كان يرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقة لولا ان أفرط فيها بعض المتأخرين فسلك فيها مع الصغار العاجزين عن الاستفادة بها. هذه الطريقة شر طريقة جرى عليها الناس لا يصل سالكها الا الى افساد العلم والدين كما بين ذلك حجة الاسلام الغزالي في كتاب العلم من الاحياء

ماذا يفهم القارئ من قوله بعد ذلك انه أدرك الطرف الاخير من ذلك الزمن الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه متجهة الى تكليف الطلاب حفظ المتون والتدرج معهم في فهمها؟ أهذه هي الطريقة الاولى أم غيرها؟ ظاهر السياق أن هذا ايضاح لما قبله وهو ما كان عليه المتقدمون لا بعض المتأخرين الذين قال انهم

أفرطوا في استعمال تلك الطريقة ولا ينافي ذلك قطعاً ما ذكره من أنهم ينتهون الى الاقتدار على الاشتغال باقامة الادلة والبراهين على الذين كانوا يعلمونهم لأنه انما جعل غايتهم الاستعداد لاقامة الادلة والبراهين على معلميهم لا الاقتدار على اقامة البراهين بالفعل على المطالب الصحيحة فلا يقال ان قوله هذا مناقض لقوله السابق لان العناية بالجدل لاجل الاقناع والالزام لا تفضي الى القدرة على تأليف البرهان لافادة العلم . وتشبيهه هذه الطريقة بالمصباح وقوله ان العالم الاسلامي استضاء بها دهراً طويلا كرجائه الانتفاع بها في النبذة الاولى

وأما قوله «ولكن الولع بالشغب والمحدثات قد كاد يطفئ هذا المصباح» فهو على ابهامه وايهامه لا يمكن أن يحمل الا على افراط أولئك المتأخرين في استعمال طريقة الازهر وهم بعضهم لأنه لم يذكر لغيرهم اساءة أخرى في اتباع الطريقة التي حمدها وقال ان الأزهريين كانوا ولا يزالون عليها . ولكن كلمة الشغب غريبة جداً في هذا المقام لأن معناها تهييج الشر فما هو الشر الذي هيج على العلماء من الأزهريين وغيرهم حتى كاد يطفئ ذلك المصباح—مصباح العناية بالجدل وتكليف الطلاب حفظ المتون والتدرج معهم في فهمها ؟؟ ألا ان هذه الكلمة في هذا المقام من أوابد الغرائب التي لا تأنس فيه ولعلها اقتبست من بعض الكلام البليغ لافادة معنى آخر فسقطت في هذا المكان، فلم تقبلها فيه الأذهان،على أن بعض ما عورض به الاصلاح قد كاد يكون شغباً أو كان والسياق هنا يأبى ارادته

وجملة القول إن الاستاذ صاحب التقرير بين طريقة الأزهر بما لا تحمد به ولكنه حمدها وغاية ما انتقده أن بعض المتأخرين بالغ فيها مع بعض الصغار من الطلاب وضرر هذا قليل تسهل ازالته مادام أكابر العلماء على خلافه وأن الولع بالشغب والمحدثات كاد يطفئ المصباح ولكنه لم يطفئه فبقي وهاجاً . ويا ليته بين لنا أزال هذا الشغب فصرنا آمنين على المصباح أم الولع به ما زال يلح بأهله فالمصباح على خطر ؟ولقد أيد مدح هذه الطريقة الأزهرية بقوله انها كانت طريقة المتقدمين من السلف الصالح واستدل بكلام ابن خلدون . ما قاله ابن خلدون ليس حكاية عن السلف وانما هو رأي له يرد به على من شاهد من المعلمين الكثيرين الذين

مخطئون طرق التعليم وليس هو كل رأيه فرأيه مخالف لما عليه الأزهر كما يعلم مما يأتي

يحار قارىء التقرير فلا يدري أهذا المدح لطريقة الأزهر بيان لاعتقاد الكاتب أم يراد به شيء آخر ؟ العبارة محتملة يقوي ارادة المدح فيها عزوها الى السلف والاستدلال عليها بكلام ابن خلدون ولكن قوله بعد ذلك كله ان هناك مفسداً آخر لطرق التعليم به « كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل » يدل على أنه لم يقصد غير الذم . فماذا فعل ذلك المصباح فى هذه الظلمات المتراكمة ؟

الفصل معقود لبيان طرق التعليم فكان ينبغي أن تذكر الطرق المعروفة فيه ويذكر أهلها ويفاضل بينها لبيان ما اختارته مشيخة الاسكندرية منها ولكنك تخرج من الفصل ولم تع غير طريقة واحدة للازهر عرضت لها عيوب ومفاسد فأزالت مشيخة الاسكندرية عيوبها ومفاسدها فصارت خير الطرق عندها ، تعي هذا بعد أن يضطرب ذهنك في الفهم ، وتحار في التزييل بين المدح والذم ، فهذا ما يقال في هذا الفصل من التقرير

وأما الموضوع في نفسه فالحق الذي نعلمه فيه علم اليقين ما نقول : ان طريق الازهر في التعليم طريق طويلة مشتبهة الصوى ، كثيرة التمعج والهوى ، وأن أهل الازهر كانوا ولا يزالون سائرين عليها على غوائلها ، الا نفرا من المتأخرين قد اتقوا بعض مفاسدها ، عملا ببعض ما هداهم اليه الاصلاح الذي دعا اليه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو الذي اختار للشيخ محمد شاكر بعض تلامذته منهم يدرسون في الاسكندرية . وقد بشرنا الشيخ محمد شاكر انه أنفذ شيئاً من ذلك الاصلاح شيئاً آخر فمجموع ما شرع فيه أربعة أمور ١ مراقبة المعلمين للطلبة و٢ تقرير الامتحان السنوي و٣ حمل المعلمين على التدرج في التعليم و٤ اختيار الكتب وهذه الامور مما دعا اليه الاستاذ الامام في الازهر واشتغل بها مجلس ادارته شغلا طويلا كما يعلم من تاريخه (كتاب أعمال مجلس ادارة الأزهر) وقد عارض في هذه الأمور بعض أكابر المشايخ المتقدمين لا (المتأخرين) الذين ذمهم التقرير المتقدمين الذين أدركهم أو بعضهم كاتبه قبل ظهور ما عبر عنه « بالشغب والمحدثات » ومن حسن الحظ أنه لا يوجد في مشيخة الاسكندرية أمثال هؤلاء الاكابر المتقدمين اذ لو وجد أمثالهم

فى شهرتهم ونفوذهم لما تيسر له أن يقرر ما قرره من ازالة المفاسد فان تيسر له تقريره بالقول فلا يتيسر إنفاذه بالفعل على ان الانفاذ عسر على كل حال لقلة من عندنا من أهل الكفاءة اذ لم تتعود هذه الطائفة على النظام ولم تعرف ما وصلت اليه الامم في الارتقاء في فن التعليم . ومالا يدرك كله لا يترك قله والعمل يمد بعضه بعضاً فنسأل الله كمال التوفيق للعامل والثبات عليه والإخلاص فيه ، وأما الصواب في نظام التعليم فلا محل هنا للكلام فيه لما سبق لنا من التفصيل من قبل ولكننا نأتي من تاريخ الامة فيه ومنه تعرف طريقة السلف والخلف فنقول

طريقة المسلمين في التعليم وتاريخه عندهم

أن التعليم فن صناعي يرتقي بارتقاء حضارة الأمة ويتدلى بتدليها ولم ينزل الوحي بكيفية تنظيم المدارس وتلقين العلوم والفنون للناشئين فنقول إن قوانين التعليم أحكام تعبدية تتلقى بالرواية ويتبع فيها طريق السلف الصالح من أهل الصدر الأول لأنهم أعلم الناس بغرض الشارع وأشدهم محافظة عليه . واذا كان التعليم فناً صناعياً فالذي ينبغي للأمة هو أن تفكر دائماً في ترقيته ولا يكتفي المتأخر فيه بتقليد المتقدم بحجة أنه متبع لسلفه معظم لهم اذ ليس من تعظيم الصحابة عليهم الرضوان أن نحارب بمثل ما كانوا يحاربون به من السيوف والرماح، ونترك المدافع وغيرها مما استحدث من آلات الكفاح ، فما جاء في تقرير مشيخة الاسكندرية من استحسان طريقة كذا اتباعاً للسلف الصالح — لو صح — غير سديد، انما السداد أن نختبر طرق التعليم المستحدثة ونتخير أمثلها فان التعليم في هذا العصر أقوى عوامل الكفاح بين الأمم حتى نقلوا عن البرنس بسمرك الشهير انه قال اننا قد غلبنا فرنسا بالمدرسة . على أن ما ذكر في التقرير هو مخالف لطريقة السلف الصالح في التعليم كما هو معروف للمطلع على التاريخ وتعرفه مجملا مما يأتي

كانت طريقة افادة العلم فى الصدر الأول الرواية اللسانية ثم الاملاء والمذاكرة . ولما كثر التصنيف واتسعت حضارة المسلمين صاروا يدرسون بعض الكتب المصنفة وأكثرها فى روايات الحديث والآثار وأشعار العرب ووقائعها وفي العلوم العربية والشرعية المؤيدة بهذه الروايات . ولما دخلت في الامة العلوم اليونانية اتخذوا لهم

معلمين من أهل الملل الاخرى فحدثت لهم طرق جديدة ، ثم انحصر التعليم في قراءة الكتب غالبًا فكانت طرق الناس في التعليم تابعة لطرقهم في التأليف، وأول اشتغالهم بالتأليف في الفنون كان بجمع الروايات التي يتلقونها والأمالي التي يميونها ويملونها ثم توسعوا في ذلك ويسهل أن تعرف طريقة التدريس في كل قرن بالاطلاع على طائفة من الكتب التي صنفت فيه . روايات ووقائع فأصول وقواعد مؤيدة بها فاختصار لتذكرة المنتهي فاقتصار على المختصرات وما كتب عليها فخلط للعلوم وخلل في التعليم . وجملة القول في سيرة المسلمين في التعليم انها كانت سائرة على سنة الفطرة بطبعها لا بقوانين وضعت لها ثم انحرفت حتى ضاع العلم وضل الفهم وصرنا الى ما نرى

لم يدون المسلمون قوانين للتعليم في عنفوان دولة العلم فيهم بل كان موكولا الى المدرسين يسلكون فيه مسالك الكتب المصنفة فكثرت الطرق بكثرة المصنفات واختلاف مذاهب المصنفين والمدرسين حتى قام في القرون الوسطى من ينتقد ما عليه أهل عصره ومن قبلهم كالامام الغزالي وتلميذه أبي بكر بن العربي ثم جاء الفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون فبحث في التعليم بحثًا لم يسبقه اليه سابق ووضعه على قواعد الفلسفة فأصاب كثيرًا من الاغراض . ومن الأصول التي قررها ان التعليم من الصنائع التي تتبع حال الحضارة والعمران في الترقي والتدلي كسائر الصنائع وأن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل وأن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتحصيل . وأن خلط العلوم بعضها ببعض يحول دون الظفر بشيء منها ، وان غاية تعليم الفن هي تحصيل الملكة فيه ، والمراد بالملكة ملكة العمل فملكة البلاغة هي أن يكون ذوق الكلام البليغ صفة مالكة للنفس بها يسهل الاتيان بالكلام البليغ قولا وكتابة دع فهمه والتمييز بين أقسامه وعلى ذلك فقس . وقد استفاد ابن خلدون هذه القواعد والاصول من النظر في كتب المتقدمين ومعرفة تاريخهم ومن اختبار حالة التعليم والتأليف في عصره، ولكن المسلمين لم يستفيدوا من أصوله هذه ولا من أصوله في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع لأن هذا انما جاءهم في طور التدلي في العلوم والعمران كما قلنا في مقدمة أسرار البلاغة وما نقله

عنه الشيخ محمد شاكر في تقريره هو من المواضع التي قصر فيها وأجمل وعذره الفرار من التكرار وانما يعرف رأيه من مجموع ما كتبه وتقدم التنبيه على بعضه ، ومنه تحصيل ذوق البلاغة بممارسة الكلام البليغ ومنه الاستدلال على حسن طريقة التعليم بقصر مدة التحصيل وذمه الاعتماد على الحفظ وتفضيله طريقة تونس بالاكتفاء بخمس سنين في تحصيل الملكة على طريقة المغرب في جعل مدة التحصيل ١٦ سنة وكانوا يعتمدون على حفظ المتون وقد استدرك عليه علماء التعليم والتربية (البيداجوجيا) في هذا العصر فيما رآه من ابتداء المتعلم بأصول المسائل من كل باب واعادتها بالتكرار ثلاث مرات بالتفصيل الذي ذكره، ومن الغريب ان صاحب التقرير لم يأخذ عنه الا المجمل المستدرك عليه وترك سائر آرائه وهي مخالفة لما عليه المشيخة بالاسكندرية

هذا صفوة ما نختصر به تاريخ التعليم عندنا وأما العلوم أنفسها فكانت العناية بها تختلف باختلاف حال الدولة التي هي أس الحضارة وشر ما حدث في القرون المتوسطة العناية بالجدل والخلاف في الفقه وقد انبرى حجة الاسلام الغزالي لبيان مفاسد هذه البدعة بعد أن خاض فيها مع الخائضين ، وكان في مقدمة المبرزين ،

﴿ رأي الامام الغزالي في التعليم الاسلامي ﴾

كتب ابن خلدون ما كتب في التعليم من حيث هو فن صناعي يرتقي بارتقاء العمران . وأما الامام الغزالي فقد كتب فيه من حيث هو طريق للارشاد وهداية الدين فما ذهب اليه هو هدي السلف الصالح – والجدير بأن تهتدي به مشيخة العلوم الدينية المحضة – الذين غرضهم حفظ الدين والاهتداء به . قال في فصل (بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة) بعد أن قسم العلوم الى محمود قليله وكثيره ومذموم قليله وكثيره وهو ما لا يفيد في دنيا ولا دين وقسم يحمد منه مقدار مخصوص ويذم التوسع فيه والاستقصاء ما نصه

«وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا» ثم مدحه وبين ما يحتاج اليه طالبه من المجاهدة وتهذيب النفس وقال «وأما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم

منها اقتصاراً وهو الأقل واقتصاراً وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لامرد له الى آخر العمر . فكن أحد رجلين اما رجل مشغول بنفسك واما متفرغ لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك . فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب مايقتضيه حالك ومايتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب ومايحمد منها ومايذم» وأطال فى بيان مكانة علم التهذيب من الدين وأن الأعمال الظاهرة لاتفيد عند الله بدونه ثم قال «وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك فى السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على مايتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك فى فن واحد منها طالباً للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير . وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها (يعني العمل المطلوب لعينه هو العلم بالله وبسننه في خلقه وحكمته كما تقدم) وكل مايطلب لغيره فلا ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ماتفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء» ثم ذكر نموذجاً لهذه المراتب الثلاث ومثل لها بالكتب المختصرة والمتوسطة والمطولة ومن رأيه أن المطولات تصنف للمراجعة لا للتدريس ثم نهى عن الجدل والخلافيات في المذاهب وذكرانها من البدع التي لم يعهد مثلها فى السلف وشبهها بالسم ثم قال

«وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال: الناس أعداء ماجهلوا: فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً وزاد على

الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلا وبياناً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الامر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الاغواء والاضلال»

ثم طفق يذم الجدل في العلم مطلقاً ومنه قوله : وفي الحديث في معنى قوله تعالى « فاما الذين في قلوبهم زيغ » الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم . وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العلم ويفتح لهم باب الجدل: ثم عقد بعد ذلك باباً لبيان سبب علم الخلاف وآفات الجدل والمناظرة والحديث الذي ذكره في تفسير الآية رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث عائشة وأورده بالمعنى . فلينظر القارئ أين طريق السلف في العلوم الدينية من طريق الازهر على رأي الشيخ محمد شاكر ، وكيف العناية عندهم بالجدل مكان العناية بالمهم عن السلف من العلم بالله وصفاته وأفعاله (وهي تعرف من علم الكون) وبسننه فى خلقه (وهي المعبر عنها فى هذا العصر بعلم الاجتماع وعلم نواميس الطبيعة) وعلم حكمة ترتيب الآخرة على الدنيا: لاشيء من ذلك في الازهر ولا فى الاسكندرية فعسى أن يوفقهم الله تعالى للاسترشاد وما كتبه حجة الاسلام في ذلك

تعب الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في اقناع كبار شيوخ الازهر في اصلاح التعليم فكانوا لا ينفذون كل ما اقتنعوا به وهو بعض مادعا اليه مما يريده ومنه أن يكون الغرض من كل فن وعلم القدرة على استعماله والوصول الى غايته دون الجدل والماحكة في

عبارات كتبه وهذا عين مايقوله الغزالي وما كان يعني به السلف . وسنعود في الجزء الآتى الى الكلام فى التعليم ان شاء الله تعالى

آثار علمية أدبية

المقتبس

أنشأ صديقنا محمد أفندي كرد علي الدمشقى في القاهرة مجلة أدبيـة علمية اجتماعية شهرية سماها (المقتبس) وقدأصدر الجزء الأول منها في شوال وهو لشهر المحرم من العام القابل أصدره قبل وقته تعجيلا للفائدة . اعتاد المصريون على كثرة رؤية الصحف الجديدة وعلى سرعة فقدها فقلت ثقتهم بالجديد وان كان مفيدا لعدم ثقتهم به وبدوامه ولسبب آخر هو عدم ثقتهم بثبات صاحب الصحيفة على الخطة التي يختطها لنفسه في ابتداء عمله . فمن النصيحة لقراء المنار أن نعرف اليهم المقتبِس (الكاتب) أولا والمقتبَس (المجلة) ثانياً ليشترك من يشترك عن بينة

محمد أفندي كرد علي من شبان دمشق الذين حسنت تربيتهم وعني بتعليمهم وقد اشتغل زمناً بتحرير جريدة (الشام) وله مقالات كثيرة فى مجلة المقتطف ويعرف التركية والفرنسية معرفة جيدة ويحسن الترجمة عنهما وعبارته من أحسن عبارات كتاب هذا العصر وأسلمها من الخطأ والعسلطة والمعاظلة . وهو حسن الاختيار فيما يقتبس من الكتب العربية والاوربية وحسن القصد فيه . وماحمله على انشاء هذه المجلة الا ولوعه بنشر العلم والأدب الذي يراه نافعاً فالكتابة انشاء وترجمة هي منتهى لذته لايكره فيها الا الخوض في السياسة وكل ما يختلف الناس فيه المذاهب والمشارب ، فأنشأ مجلة المقتبس ليمتع عقله بلذته ، ويفيد قراء العربية بحسب استطاعته ، ودعوة أصدقائه من الكتاب الى مساعدته ، وهو غني عن الكسب بقلمه وقد وطن نفسه علي الخسارة المالية سنتين أوثلاثا ولكن محبي العلم والأدب في مصر وغيرها لايرضون له الخسارة فى خدمتهم ان شاء الله تعالى

مباحث المجلة تدخل في عشرة أبواب (١) صدور المشارقة والمغاربة — وهو

لتراجم الرجال الذين ينتفع بسيرتهم ٢ المقالات ٣ التربيـة والتعليم ٤ الصحف المنسية — ينشر فيه ماطوي ذكره من منثور العربيـة ومنظومها في الجد والهزل ٥ تدبير الصحة ٦ تدبير المنزل ٧ المطبوعات والمخطوطات ويدخل فيـه تقريظ الكتب المنشورة بالطبع والتعريف بالكتب المخزونة فى المكاتب ٨ مقالات المجلات يذكر فيه أهم مافي المجلات العربية والافرنجيـة من المقالات والآراء ٩ سير العلم — يدخل فيه مايقتبس من المجلات الغربية ١٠ نفاضة الجراب — وهو في الشجون والأفاكيه

جاء في الجزء الأول ترجمة وجيزة لابن حزم ومقالة في الأمية والكتاتيب وأخرى في سيئات القرن الماضي ملخصة من مجلة فرنسية ، ومقالة في تعليم اللغات وهي مترجمة أيضاً وبعض مقاطيع من شعر حافظ وعبد الرحمن شهبندر والرافعي متفرقة ونبذة في التمثيل في الاسلام ونبذة في التناسل الغريب يريد كثرة النسل * ونبذة في العمل والعملة وشيء من نصائح ابن حزم وشيء من نكات الوهراني وشيء في وصف الجرائد لعبدالله باشا فكري * ونبذة فى أوقات الطعام ونبذة في استعمال السكر وأخرى في حياة الفقير ورابعة فى دواء الأرق * وكلام عن كتاب مداواة النفوس لابن حزم وعن منشآت الوهراني وعن كتاب فرنسي اسمه نصائح للعملة وعن قصة (في وادي الهموم) * كل شيء مما تقدم في الباب اللائق به عند الكاتب وفي باب سير العلم نحو ٢٠ نبذة وجيزة . وغير ذلك

وقد انتقدنا عليه أمورا لايسلم من مثلها المبتدىء بالعمل منها أنه كتب عن ابن حزم في ثلاثة أبواب وتكلم عن الوهراني في غير ما موضع . ترجم ابن حزم في الباب الأول ثم ذكر شيئاً من نصائحه في باب الصحف المنسية ثم ذكر الكتاب الذي اقتبس منه النصائح في باب المطبوعات وكان يحسن أن يذكر في باب واحد من هذا الجزء وكذلك يقال فى تكرار ذكر الوهراني والكلام في العملة . ومنها ان ما ذكره من النصائح لم يعد من الصحف المنسية وقد طبع الكتاب قبل وجود المجلة . فان أراد بالصحف المنسية ما أهمل الناس العمل به فالباب واسع يدخل فيه كثير من المجلدات العظيمة في التفسير والحديث والرقائق وغير ذلك

فالانتقاد على الباب نفسه أولى . ومنها أنه لم يكن يحسن ذكر منشآت الوهراني والتشويق اليها والتصريح بتعمد كتمان مكانها لأن هذا يغري أهل الولوع بأمثال هذه المسائل الى البحث عنها ومن بحث عن الموجود ظفر به غالباً . ومنها ان بعض المباحث لم توضع في الأبواب التي هي أليق بها فقد أدخل في باب التربية والتعليم الكلام في العملة والصناع وأخرج منه بحث تعليم اللغات . وذكر شيئاً من مقاطيع الشعر في باب المقالات دون باب الصحف المنسية . ومنها أن المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبته الى الكتب والعلماء تميزا ظاهراً يعرف أوله وآخره بلا اشتباه كما يرى المدقق في ترجمة ابن حزم وما نقل منها عن الذخيرة لابن بسام. ومنها الاختصار المخل في بعض المباحث كمبحث «الأمية والكتاتيب» فالظاهر انه يريد الكلام على الامية في الاسلام وكيف انتقلت العرب بعده منها الى التعلم حتى إنشاء الكتاتيب قديماً وحديثاً ولكنه جعل نحو ربع ما كتبه في معنى لفظ الأمي وفي تفسير ما ورد في أهل الكتاب من قوله تعالى «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الأماني» (وقد ذكر في المقتبس لفظ يقرأون بدل يعلمون سهواً فليصحح) وكان المناسب أن يذكر تفسير قوله تعالى «هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة» فقد فسر الكتاب هنا بالكتابة وهما مصدران لكتب . ثم ذكر شأن الكتابة في الجاهلية وذكر أمماً أخرى بالايجاز ولم يذكر عن الاسلام بعد ذلك الا سطراً ونصف سطر وقال بعد ذلك «هذه زبدة ما يقال في معنى الأمية في الاسلام» الخ والسبب في هذا الاختصار المخل رغبة الكاتب في ايداع الجزء مباحث كثيرة . وأمثال هذه الامور التي انتقدناها مما يسهل تلافيها لاسيما بعد التنبيه اليها . ومنها ما تبع فيه اصطلاح مجلات اوربا وان لم يكن عندنا مألوفاً

وجملة القول أن «المقتبس» مجلة نافعة حسنة العبارة وصاحبها كما قيل له في كل جو متنفس ، ومن كل نار مقتبس ، وهي مرجوة الثبات والدوام ، مرجو لها التقدم الى الأمام ، وصفحات الجزء منها ٥٦ وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً صحيحاً في مصر وثلاثه عشر فرنكا في سائر الاقطار

﴿ كشف الخبايا ـ والمسلمون والقبط ﴾

ظهرت جريدة أسبوعية جديدة بهذا الاسم لعبد الحميد أفندي فريد الذي كان قبطياً فأسلم تاركاً خدمة الكنيسة القبطية التي كان واعظاً فيها وخدمة مدرسة القبط في ملوي وكان ناظراً لها ـ تاركاً هذا وهو مورد معاشه لأنه اعتقد بعد طول البحث بحقية الدين الاسلامي فلقي من القبط مناهضة شديدة ومناصبة قوية كما هي عادتهم حتى انهم هددوه واتهموه بما يحكم فيه القضاء حكمه المبين لو ثبت فلم تثبت التهمة ، ولكنه هو ثبت في الفتنة ، وأنشأ هذه الجريدة يبين فيها الآيات والدلائل التي أخرجته من دين وهدته الى آخر ويذكر فيها بعض مالقي من القوم الذين فارقهم ، وما هم عليه مما نفره منهم ، فينتقد جميع ما يراه منتقدا من هذه الطائفة ، وقد صدر العدد الأول من الجريدة في ١٤ شوال الماضي وفيه شيء كثير من ذلك

لو أن القوم عذروا الرجل فيما ظهر له أنه الحق ولم يفتنوه ليكتم اعتقاده وينافق باظهار خلافه لما تصدى للاشتغال «بكشف الخبايا» وقد يقرأ قارؤهم هذه الكلمات التي كتبتها فيفهم منها أنني أنتصر له وأحمد عمله لانه صار مسلماً فأنا أتعصب له تعصباً جنسياً كما يعهد منهم وممن اتخذ الدين جنسية من المسلمين وغير المسلمين . ولكن من يقرأ المنار يعلم أنني أدعو دائماً لأن يكون الدين كله لله لا للعصبية الجنسية . وقد قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم «ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية» رواه أبو داود عن جبير بن مطعم أدعو الى هذا لاعتقادي ان الناس اذا تركوا العصبية الجنسية فانهم يعذرون كل معتقد في اعتقاده ولا يفتنونه فيه وانما يدعو الداعي الى اعتقاده بالبرهان الذي يستند اليه فيه كما أمر الله تعالى بقوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» ومن كان على بينة من اعتقاده فهو يعتمد في نشره على بيانه للناس كما قال تعالى « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» وسنة الله في الخلق تقضي باختيار الأمثل ، وترجيح الأفضل ، متى وجدت الحرية ، وزال الاضطهاد والفتنة ، رأيت في جريدة « كشف الخبايا » كلمة لعلي لو لم أرها لم أكتب ما كتبت

رأيت فيها الرجل يقول القوم فيما حكاه ان أحدهم قال له وهو أقرب الناس اليه وأعز الاصدقاء له « ياليتك كفرت بالله وصرت وثنياً أو طبيعياً فكان ذلك أولى وأحسن من دين محمد .....» وياليته حذف ماحذفت من قوله فلم يكتبه كله . ولا شك عندي بأن قائل هذه الكلمة لاحظ له من الدين الا العصبية الجنسية السوءى و بغض المسلمين لأن كل متدين بل كل انسان يرى أن أقرب الناس اليه فيما هو عليه من كان مشاركاً له فيه على نسبة ما به الاشتراك فأقرب الناس من الكتابي من كان يؤمن بالله و بالرسل والكتب ثم من كان يؤمن بالله دون الرسل ثم من كان له دين مّا ولو وثنياً وأبعدهم عنه من لا يشاركه فى شيء من ذلك فكيف يكون قائل تلك الكلمة مسيحياً يدين بما أمر المسيح من محبة الاعداء ثم يقول ما قال في دين ونبي جاء في كتابه « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى »

ليس الذنب في هذه العصبية الجنسية الجاهلية خاصاً بالقبط بل هي عامة بعموم الجهل في البلاد فغوغاء المسلمين وكثير ممن يعدون من نبهائهم يأتون بالأعمال المنكرة فى الحفاوة بمن يسلم من النصارى فيحفظون قلوبهم و يحركون أضغانهم وذلك ضار بمصالحهم الدنيوية التي تتوقف على البر والمجاملة وحسن المعاملة لا على ترك الايذاء فقط وليست من الدين فى شيء بل هي مخالفة له لأنه ينهى عن الايذاء ويأمر بالعدل والاحسان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين» ومن الدلائل على ان عمل هؤلاء الذين يفرحون و يطربون بمن يسلم من النصارى من عصبية الجاهلية لا من الغيرة الاسلامية أن أكثرهم يجهلون عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا يكادون يعملون بما يعلمون منها

المسلمون والنصارى في هذه العصبية الجاهلية سواء والعارفون بمضارها من الفريقين قلما ينهون عنها وقد علمت مما قص علي من الوقائع في ذلك أن الفرق بين المسلمين والقبط فيها من وجه واحد وهو أن علماء المسلمين وكبراءهم من الحكام وغيرهم قلما يوجد فيهم من يميل الى ما تفعله العامة أو يساعدهم عليه وأن القبط

يعملون ما يعملون بتواطىء بين كبرائهم من رجال الدين ورجال الحكومة وغيرهم والسبب الطبيعي في ذلك أن ما يفعله المسلمون لا يحتاج الى رأي ولا تدبير ولا مساعد ولا نصير لأنه عبارة عما يسميه فاعلوه من العامة (هيصة) يجتمع فريق من الغوغاء يحتفلون بالمسلم الجديد بالصياح فى الشوارع بالدعاء للاسلام والتعريض بالكفار . وقلما يتنصر مسلم وان وقع ذلك لا يبالون به ولا يجتهدون في ارجاع المتنصر عما ذهب اليه . وأما القبط فان جل فعلهم في منع من يريد الاسلام من الدخول فيه بالترغيب والترهيب ثم الايذاء ولا يخلو ذلك من خطر على فاعله فالترهيب مع اتقاء الخطر لا يكون الا من كبراء الامة رأياً ونفوذاً . ان تواطأ كبراء القبط على ما يتعلق بشرفهم آية بينة على حياتهم القومية وقوة رابطتهم الجنسية وهم يفضلون المسلمين بهذا ولكن توجيه هذه القوة الى مقاومة من يدخل فى الاسلام والكيد له والحيلولة بينه و بين زوجه وولده مما لا تقل فائدته ولا تؤمن غائلته فلو تساهلوا فيه وتركوا من يسلم وشأنه لكان خيراً لهم وان كان يعسر عليهم ما دام المسلمون مصرين على تلك المظاهرات الصبيانية . فأنا أدعو الفريقين الى ترك الدين لله وجعل الرابطة الملية حادياً يحدو بالأمة الى الاعتزاز بالعلم والعمل ولا عزة بمن يتوجه الى غير دينه مقتنعاً معتقداً ثم يترك ذلك خوفاً ويعيش منافقاً .

ثم انني أنصح لعبد الحميد أفندي فريد المسلم الجديد بأن يجعل عنايته في طلب فضائل الاسلام والاجتهاد في التحقق بها حتى لا يكتب ولا يأتي ما لا يبيحه له فقد رأيت فيما كتبه تحت عنوان عن أبواب الكنيسة السرية وأمورها الخفية إسناد حب الباطل واتباع الفساد الى بلعام بعد جعله نبياً والمسلمون لا يعترفون بنبوة بلعام حتى على ماذكر في التفسير من كونه هو المراد بقوله تعالى « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا » كما يعلم من مراجعة كتب التفسير . وأنصح له أن لا يكتب ما يكون سبباً للعداوة والبغضاء فان كان للقبط سيئات خفية فالشرع الاسلامي لا يأذن بفضيحة الناس واظهار سيئاتهم لما في ذلك من اعلان القبيح وغير ذلك من المضار وان كان فيها ما يضر المسلمين جهلهم به فالتحذير منه مما لا يتعسر مع الأدب والاحتراس وماذكره في الأبواب السرية ليس من النصيحة

للمسلمين في شيء . الجريدة تطلب من صاحبها في ملوي وقيمة الاشتراك فيها ٤٠
قرشاً في مصر و يقبل من طلاب العلم كافة ومن خدمة الجوامع نصف القيمة

﴿ كتاب الخير والشر — أو قصة كاترينا ﴾

لاسكندر دماس الشهير بتأليف القصص الخيالية قصة سماها « كاترينا بلوم» نقلها الى العربية كل من محمد أفندي وجيه رئيس كتاب المجلس البلدي فى المنصورة وحسين أفندي الجمل وكيل البريد في المطرية مطرية الدقهلية — نقلاها بالتعاون والاشتراك وطبعاها على نفقتهما فكانت صفحاتها ٢٤٠ وهي بشكل كتاب الاسلام والنصرانية وجعلا ثمنها ستة قروش صحيحة لمن يطلبها بالبريد

سميا القصة كتاب الخير والشر لأن كاترينا التى هي موضوع القصة خيرة فاضلة ربيت تربية فطرية بعيدة عن منازع الشر وكان لخالها الذي رباها ولد عني به كما عني بها فكانا نشأا كلين فتحابا ورغبا كما رغب مربيهما أن يكونا زوجين وكان هناك رجل شرير يكيد لهما و يحاول افساد ذات بينهما وايقاعهما في الهلاك فكان عاقبة أمره خسراً وانتصر الخير على الشر . على ان اسم « كتاب الخير والشر » أكبر من هذه القصة اذ ليس موضوعها بيان أنواع الخير وطرقها والهداية اليها و بيان أنواع الشر وطرقها وكيفية اجتنابها . وأكبر ما فى القصة من العبرة بيان مضرة جهل المرأة وتعصبها وتحكيم هواها فى أمر تزويج ولدها فقد كان جهل أم برنار وتعصبها للكاثوليكية واتباع هواها في منعه من التزوج ببنت عمه البروتستانتيه أضر من كيد ذلك الشرير له وخطيئته ولولاها لما كان لذاك الكيد أثر يذكر . فهذا دليل على أن المحب الجاهل كثيرا ما يكون أضر من العدو عاقلا أوغير عاقل . ومن قرأ وصف تلك المرأة رأى أنه ينطبق على أكثر نساء هذا العصر فى هذه البلاد وأمثالها

وأما عبارة الترجمة فهى تفضل أكثر مانرى من عبارات مترجمي القصص وتتحامى كثيرا من الاغلاط المشهورة فيها وفي الجرائد . وقد طلب المعربان في مقدمتهما للقصة غض الطرف عن السهو والزلل وعدا ذلك من نظر التنشيط دون التثبيط وليس الأمر كذلك فان التنبيه على ذلك هو الذي ينشط الكاتب

ويزيد الى الاحتراس من مثله وهو لا يمنع من رواج العمل لاسيما في القصص لأن أكثر قرائها أو جميعهم يبتغون بها التسلية

﴿ خاتمة الجزء من باب الفقه ﴾

﴿ شيخ الأزهر ، وزينة الكسوة والمحمل، حكم الفرجة عليهما ﴾

الشيخ عبدالرحمن الشربيني شيخ الجامع الأزهر مشهور بالقشف والزهد والعزلة والاعراض عن أهل الدنيا ولما ذهب الى الاسكندرية لوداع الأمير قبل سفره الى أوربا في الصيف الماضي ذكرت جريدة المؤيد من خصائصه أنه لم يزر الاسكندرية قبل هذه المرة ولم يحضر الاحتفال بمحمل الحج أي ولا الاحتفال بنقل كسوة الكعبة وقد لهج الناس يومئذ بما كتب المؤيد فمنهم من قال ان هذا ذم لا مدح ومنهم من توقف في الحكم — ذلك أن من الناس من يظن أن الاحتفال بالكسوة والمحمل من شعائر دين الاسلام و يظن أن حضور العلماء فيه هو من آيات ذلك والا لأبوا وأنكروا . والحق أن امتناع الشيخ الشربيني لم يكن الا لاعتقاده بأن حضور ذلك الاحتفال حرام وانا نورد هنا بعض نصوص فقهاء مذهبه فى ذلك

قال البجيرمي على الخطيب : والكسوة المعروفة حرام لاشتمالها على الفضة : (قال) والحرمة هنا عدها البلقيني من الكبائر وقال الأذرعي انها من الصغائر وهو المعتمد وقال ويحرم زركشة أستار الكعبة من الفضة ومثلها في حرمة الزركشة بما ذكر ستور قبور الأنبياء والمرسلين على المعتمد خلاف للبلقيني . واذا قلنا بحرمة ذلك فتحرم الفرجة عليه أيضاً كالفرجة على الزينة المحرمة لكونها بنحو الحرير بخلاف المرور عليها لحاجة وامتناع ابن الرفعة من المرور أيام الزينة كان ورعاً كما قاله الرملي . ولو أكره الناس على الزينة المحرمة لم يحرم عليهم وهل يجوز التفرج عليها حينئذ ، الذي يتجه المنع لأن ستر الجدران بالحرير حرام في نفسه وعدم حرمة وضعه لعذر الاكراه لا يخرجه عن الحرمة في نفسه وما هو حرام في نفسه يحرم التفرج عليه لانه رضاء به كما قاله ابن قاسم على المنهج اه كلام البجيرمي ومثل ذلك في حواشي الشبراملسي على الرملي

وقال البجيرمي على الخطيب أيضاً تنبيه يعلم من هنا — أي من الكلام على الحرير — وما يأتي في زكاة النقد أن المحمل المشهور غير جائز ولا تحل الفرجة عليه ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكذا الذهب الذي على الكسوة والبرقع الخ اه ق ل على المحلى اه

وقال الباجورى في حواشيه على ابن قاسم الغزي ويحرم التفرج على المحمل المعروف وكسوة مقام ابراهيم ونحوه ونقل عن البلقيني جواز ذلك لما فيه من التعظيم لشعائر الاسلام واغاظة الكفار وهكذا كسوة تابوت الولي وعساكره اه

وقال الجمل في حواشيه على المنهج ويحرم ستر الجدران ونحوها بالحرير كستر ضرائح الأولياء الا الكعبة وقبور الانبياء نعم لا يحرم ستر الجدران به في أيام الزينة بقدر ما يدفع الضرر ويحرم المرور والفرجة عليها لغير حاجة خلافاً للعلامة ابن حجر. وعلم من هذا ومما يأتي في باب زكاة النقد أن المحمل المشهور غير جائز ولا تحل الفرجة عليه ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكذا الذهب الذي على الكسوة والبرقع اه البرماوي اه الجمل

وقال الشيخ عوض على الخطيب وكذا يحرم تمويه كسوة الكعبة والمحمل الشريف والتفرج عليهما حرام وكذا الزينة التي تفعل بمصر اه

هذا هو المعتمد وما نقلوه عن البلقيني لم يحفلوا به هو رأي له مبني على شبهة واهية وهي إغاظة الكفار ولو جاز أن نتكلف اغاظة الذميين والمعاهدين لما جاز أن نرتكب المعصية لذلك وتعظيم شعائر الحج انما تكون في اقامتها على وجهها في مواضعها . وقد ذكرت الجرائد فى هذه الايام ان شيخ الجامع حضر الاحتفال بنقل الكسوة فياليتنا نعرف هل ظهر له بعد ان صار شيخاً للازهر خطأ فقهاء المذهب وصحة رأي البلقيني فاتبعه ليعظم الشعائر ويغيظ الكفار أم ظهر له دليل آخر على الحل؟

(تصحيح غلط) وقع السطر الذي ينبغي أن يكون في آخر ص ٧٣٦ من الجزء ١٩ بعد السطر الثالث عشر من تلك الصفحة فليعلم

وجاء في السطر ١٥ من صفحة ٧٤٧ كلمة (سفينة هود) والصواب (سفينة نوح) فلتصحح

المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب
(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)
«مصر الخميس ١٦ القعدة سنة ١٣٢٣ — ١١ يناير (ك٢) سنة ١٩٠٥»

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٤٥:٢٤٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ، قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦:٢٤٨) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ، قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ، قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ، وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

تمهيد في نسبة قصص القرآن الى التاريخ وبيان حال الامم قبل القرآن وبعده

بدأ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى تفسير هذه الآيات بمقدمة في

قصص القرآن قال انها كالتمهيد لتفسيرها فقال مامثاله مع ايضاح: تقدم في تفسير «ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم» أن القرآن لم يعين هؤلاء القوم ولا الزمان ولا المكان الذي كانوا فيه. ثم ذكر ههنا قصة أخرى عن بني اسرائيل فعين القوم وذكر انه كان لهم نبي ولم يذكر اسمه ولا الزمان ولا المكان الذي حدثت فيه القصة ولكنه ذكر بعد ذلك اسم طالوت وجالوت وداود

يظن كثير من الناس الآن – كما ظن كثير ممن قبلهم – ان القصص التي جاءت في القرآن يجب أن تتفق مع ماجاء في كتب بني اسرائيل المعروفة عند النصارى بالعهد العتيق أو كتب التاريخ القديمة وليس القرآن تاريخاً ولا قصصاً وانما هو هداية وموعظة فلا يذكر قصة لبيان تاريخ حدوثها ولا لأجل التفكه بها أو الإحاطة بتفصيلها وانما يذكر ما يذكره لأجل العبرة كما قال «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب» وبيان سنن الاجتماع كما قال «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وقال «سنة الله التي قد خلت في عباده» وغير ذلك من الآيات. والحوادث المتقدمة منها ماهو معروف والله تعالى يذكر من هذا وذاك ماشاء أن يذكر لاجل العبرة والموعظة فيكتفي من القصة بموضع العبرة ومحل الفائدة ولا يأتي بها مفصلة بجزئياتها التي لاتزيد في العبرة بل ربما تشغل عنها فلاغرو أن يكون في هذه القصص التي يعظنا الله بها ويعلمنا سننه مالا يعرفه الناس لأنه لم يرو ولم يدون بالكتاب. وقد اهتدى بعض المؤرخين الراقين في هذه الأزمنة الى الاقتداء بهذا فصار أهل المنزلة العالية منهم يذكرون من وقائع التاريخ مايستنبطون منه

الاحكام الاجتماعية وهو الأمور الكلية ولا يحفلون بالجزئيات لما يقع فيها من الخلاف الذي يذهب بالثقة ولما في قراءتها من الاسراف في الزمن والاضاعة للعمر بغير فائدة توازيه، وبهذه الطريقة يمكن ايداع ماعرف من تاريخ العالم في مجلد واحد يوثق به ويستفاد منه فلا يكون عرضة للتكذيب والطعن كما هو الشأن في المصنفات التي تستقصي الوقائع الجزئية مفصلة تفصيلا

ان محاولة جعل قصص القرآن ككتب التاريخ بادخال مايروون فيها على أنه بيان لها هي مخالفة لسنته، وصرف للقلوب عن موعظته، واضاعة لمقصده وحكمته، فالواجب أن نفهم مافيه، ونعمل أفكارنا في استخراج العبر منه، ونزع نفوسنا عما ذمه وقبحه، ونحملها على التحلي بما استحسنه ومدحه، واذا ورد في كتب أهل الملل أو المؤرخين مايخالف بعض هذه القصص فعلينا أن نجزم بأن ماأوحاه الله الى نبيه ونقل الينا بالتواتر الصحيح هو الحق وخبره الصادق، وماخالفه هو الباطل وناقله مخطيء أو كاذب، فلا نعده شبهة على القرآن ولا نكلف أنفسنا الجواب عنه، فان حال التاريخ قبل الاسلام، كانت مشتبهة الأعلام، حالكة الظلام، فلا رواية يوثق بها، للمعرفة التامة بسيرة رجال سندها، ولا تواتر يعتد به بالاولى، وانما انتقل العالم بعد نزول القرآن من حال الى حال فكان بداية تاريخ جديد للبشر كان يجب عليهم – لو أنصفوا – أن يؤرخوا به أجمعين

أقول ان الذي يسبق الى الذهن من هذا القول هو أن ما كان من شؤون الامم وسير العالم بعد الاسلام لم ينطمس ولم تذهب الثقة به وينقطع سند رواته كما كان قبله. وبيان ذلك بالاجمال أن القرآن قد جاء البشر

بهداية جديدة كاملة كانوا قد استعدوا للاهتداء بها بالتدريج الذي هو سنة الله تعالى فيهم فكان من عمل المسلمين في حفظ العلم والتاريخ العناية التامة بالرواية مايقبل منها ومالا يقبل ولذلك ألفوا الكتب في تاريخ الرواة لتعرف سيرتهم ويتبين الصادق والكاذب منهم وتعرف الرواية المتصلة والمنقطعة وبحثوا في الكتب المؤلفة متى يوثق بنسبتها الى مؤلفيها وبينوا حقيقة التواتر الذي يفيد اليقين والفرق بينه وبين مايشتهر من روايات الآحاد ولهذا لم ينقطع سند لنوع من أنواع العلم التي وجدت في المسلمين على أن العناية بعلوم الدين أصولها وفروعها كانت أتم. ثم كان شأن من قفى على آثارهم في العلوم والمعارف بعد ضعف حضارتهم على نحو شأنهم في التصنيف وان كان دونهم في ضبط الرواية ونقدها والامانة فيها فلم يضع شيء من العلوم والفنون ولا من الحوادث والوقائع التي جرت في العالم بعد الاسلام. وما اختلف الرواة والمصنفون في جزئياته من تاريخ الاسلام وغيره يسهل تصفيته وأخذ المصفّى منه لأجل الاعتبار به وعرفان سنن الاجتماع منه على هدي القرآن فيه

لقد وصل الراقون في مدارج العمران اليوم الى درجة يسهل عليهم فيها من ضبط جزئيات الوقائع مالم يكن يسهل على من قبلهم كاستخدام الكهرباء في نقل الاخبار لمن يدونها في الصحف وتصوير الوقائع والمعاهد بما يسمونه التصوير الشمسي (فوتغرافيا) وسهولة الانتقال على الكاتبين من مكان الى مكان وتأمين الحكام لهم من المخاوف وغير ذلك. وقد اجتمع من هذه الوسائل في الحرب التي كانت في هذين العامين بين دولتي اليابان وروسيا مالم يجتمع لمدوني التاريخ في غيرها من الحروب ولا غير الحروب من حوادث

الزمان وقد كان لأشهر الجرائد الغربية مكاتبون في مواقع الحرب يتبارون في السبق الى الوقوف على جزئيات الحوادث وإيصالها الى جرائدهم كما تفعل شركات التلغرافات في إنباء المشتركين فيها بذلك وكنا نرى في رسائل الفريقين من الخلاف والتناقض مايتعذر معه العلم بالحقيقة وكم من رسالة للشركات البرقية ولمكاتبي الجرائد كانت من المسائل المتفق عليها فتبين بعد ذلك كذبها . فهذه آية بينة على أنه لاسبيل الى الثقة بجزئيات الوقائع التي تحدث في عصرنا ويعنى المؤرخون أشد العناية بضبطها الا مايبلغ رواته المتفقون عليه مبلغ التواتر الصحيح وقليل ماهو فما بالك بما كان في الامم الخالية

وجملة القول ان طريقة القرآن في قصص الذين خلوا هي منتهى الحكمة وما كان لمحمد الأمي الناشيء في تلك الجاهلية الأمية أن يرتقي اليها بفكره، وقد جهلها الحكماء في عصره وقبل عصره، ولكنها هداية الله تعالى لعباده أوحاها الى صفوته منهم صلى الله عليه وسلم « وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » فعلينا وقد ظهرت الآية ووضحت السبيل أن لا نلتفت الى روايات الغابرين في تلك القصص ولا نعد مخالفتها للقرآن شبهة نبالي بكشفها كما قال الاستاذ الامام روّح الله روحه في مقام الرضوان

بعد هذا نقول ان وجه الاتصال بين آيات هذه القصة وماقبلها هو أن الآيات التي قبلها نزلت في شرع القتال لحماية الحقيقة واعلاء شأن الحق وبذل المال في هذه السبيل سبيل الله لعزة الامم ومنعتها وحياتها الطيبة التي يقع من ينحرف عنها من الاقوام في الهلاك والموت كما علم من قصة الذين خرجوا من ديارهم فارين من عدوهم على كثرتهم . وهذه القصة قصة قوم من بني اسرائيل تؤيد ماقبلها من حاجة الامم الى دفع الهلاك عنها

فهي تمثل لناحال قوم لهم نبي يرجعون اليه وعندهم شريعة تهديهم اذا استهدوا وقد أخرجوا من ديارهم وأبنائهم بالقهر كما خرج أصحاب القصة الاولى بالجبن فعلموا ان القتال ضرورة لا بد من ارتكابها مادام العدوان في البشر وبعد هذا كله جبنوا وضعفوا عن القتال ، فاستحقوا الخزي والنكال ، فهذه القصة المفصلة ، فيها بيان لما في تلك القصة المجملة ، فر أولئك من ديارهم فماتوا بذهاب استقلالهم ، واستيلاء العدو على ديارهم ، فالآية هناك صريحة في أن موتهم هذا مسبب عن خروجهم فارين بجبنهم ولم تصرح بسبب احيائهم الذي تراخت مدته ولكن ماجاء بعدها من الامر بالقتال وبذل المال الذي يضاعفه الله تعالى أضعافاً كثيرة قد هدانا الى سنته في حياة الامم وجاءت هذه القصة الاسرائيلية تمثل العبرة فيه، وتفصل كيفية احتياج الناس اليه ، اذ بينت ان هؤلاء الناس احتاجوا الى مدافعة العادين عليهم،واسترجاع ديارهم وأبنائهم من أيديهم،واشتد الشعور بالحاجة حتى طلبوا من نبيهم الزعيم الذي يقودهم في ميدان الجلاد ، وقاموا بما قاموا به من الاستعداد ، ولكن الضعف كان بلغ من نفوسهم مبلغاً لم تنفع معه تلك العدة فتولوا وأعرضوا للاسباب التي أشير اليها وألهم القليل منهم رشدهم واعتبروا فانتصروا

قال تعالى ﴿ ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى ﴾ تقدم الكلام على هذا الضرب من الاستفهام في تفسير القصة السابقة لهذه. والملأ القوم يجتمعون للتشاور لا واحد له قاله البيضاوي وغيره وقال غيرهم الملأ الأشراف من الناس وهو اسم للجماعة كالقوم والرهط والجيش وجمعه أملاء سموا ملأ لأنهم يملؤن العيون رواء والقلوب هيبة ﴿ اذ قالوا لنبي

لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ﴾ وهذا النبي لم يسمه القرآن وقال الجلال هو شمويل وهذا أقوى أقوال المفسرين وهو معرب صمويل أو صموئيل وقيل انه يوشع وهذا من الجهل بالتاريخ فان يوشع هو فتى موسى والقصة حدثت في زمن داود والزمن بينهما بعيد ، وبعث الملك عبارة عن اقامته وتوليته عليهم ﴿ قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا ﴾ قرأ نافع وحده «عسيتم» بكسر السين وهي لغة غير مشهورة والباقون بفتحها وهي اللغة المشهورة والمعنى هل قاربتم أن تحجموا عن القتال ان كتب عليكم كما أتوقع أو أتوقع منكم الجبن عن القتال ان هو كتب عليكم. فعسى للمقاربة أو للتوقع ﴿ قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ أي أيّ داع لنا يدعونا الى أن لا نقاتل وقد وجد سبب القتال وهو اخراجنا من ديارنا باجلاء العدو ايانا عنها وافرادنا عن أولادنا بسبيه اياهم واستعباده لهم ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ﴾ ذلك أن الامم اذا قهرها العدو ونكل بها يفسد بأسها ويغلب عليها الجبن والمهانة . فاذا أراد الله تعالى احياءها بعد موتها ينفخ روح الشجاعة والإقدام في خيارها وهم الاقلون فيعملون مالا يعمل الاكثرون كما علمت من تفسير قوله تعالى « ثم أحياهم » وما هو منك ببعيد ولم يكن هؤلاء القوم قد استعد منهم للحياة الا القليل قال الاستاذ الامام وفي الآية من الفوائد الاجتماعية أن الامم التي تفسد أخلاقها وتضعف قد تفكر في المدافعة عند الحاجة اليها وتعزم على القيام بها اذا توفرت شرائطها التي يتخيلونها على حد قول الشاعر

واذا ماخلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

ثم اذا توفرت الشروط يضعفون ويجبنون ويزعمون انها غير كافية ليعذروا أنفسهم وماهم بمعذورين ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ الذين يظلمون أنفسهم وأمتهم بترك الجهاد دفاعاً عنها او حفظاً لحقها فهو يجزيهم وصفهم فيكونون في الدنيا أذلاء مستضعفين، وفي الآخرة أشقياء معذبين ·

أقول وفي تاريخ أهل الكتاب مايفيد ان بني اسرائيل كانوا في الزمن الذي بعث فيه صموئيل نبياً ملهما قد انحرفوا عن شريعة موسى ونسوها فعبدوا من دون الله آلهة أخرى فضعفت رابطتهم الملية وسلط الله عليهم الفلسطينيين فحاربوهم حتى أثخنوهم فانكسروا وسقط منهم ثلاثون ألف مقاتل وأخذ تابوت عهد الرب منهم وكان بنو اسرائيل يستفتحون (يستنصرون ويطلبون الفتح) على أعدائهم فلما أخذه أهل فلسطين انكسرت قلوب بني اسرائيل ولم تنهض همتهم لاسترداده · وكانوا الى ذلك العهد لاملوك لهم وانما كان رؤساؤهم القضاة بالشريعة ومنهم الانبياء ومنهم صموئيل كان قاضياً فلما شاخ جعل بنيه قضاة وكان ولده البكر وولده الثاني من قضاة الجور وأكلة الرشوة فاجتمع كل شيوخ بني اسرائيل (وهم المعبر عنهم في القرآن بالملأ) وطلبوا من صموئيل أن يختار لهم ملكاً يحكم فيهم كسائر الشعوب فحذرهم وأنذرهم ظلم الملوك واستعبادهم للامم فألحوا فألهمه الله تعالى أن يختار لهم طالوت ملكاً واسمه عندهم شاول فذلك قوله تعالى

﴿ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ الظاهر أن طالوت تعريب لشاول وان كان بعيدا منه في اللفظ وقيل انه لقب له من

الطول كملكوت من الملك وأمثالها وذلك انه كان طويلا مشذبا ففي سفر صموئيل الاول من العهد العتيق « من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب » وفيه « فوقف بين الشعب فكان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق » واعترض بمنع صرفه · وقال الاستاذ الامام عند ذكر طالوت هو الذي يسمونه (شاول) وقد سماه الله طالوت فهو طالوت · أي اننا لا نعبأ بما في كتبهم لما قدمناه · واذا علم القارئ أن القوم لا يعرفون كاتب سفري صموئيل من هو ولا في أي زمن كتبا فانه يسهل عليه أن لا يعتد بتسميتهم وأما استنكارهم جعله ملكاً فقد صرحوا به وقالوا ان منهم من احتقره ولكن أخبارهم لا تتصل بأسبابها ولا تقرن بعللها · وقال المفسرون في استنكارهم للملك وزعمهم أنهم أحق بالملك منه انه كان من أولاد بنيامين لا من بيت يهوذا وهو بيت الملك ولا من بيت لاوي وهو بيت النبوة · وفهم بعضهم من قولهم « ولم يؤت سعة من المال » انه كان فقيرا وقالوا كان راعياً أو دباغاً أو سقاء ولا يصح كلامهم في بيت الملك لأنه لم يكن فيهم ملوك قبله ونفيهم سعة المال التي تؤهله للملك في رأي القائلين لا تدل على انه كان فقيرا وانما العبرة في العبارة هي ما دلت عليه من طباع الناس وهي انهم يرون ان الملك لابد أن يكون وارثاً للملك أو ذا نسب عظيم يسهل على شرفاء الناس وعظمائهم الخضوع له وذا مال عظيم يدبر به الملك والسبب في هذا أنهم قد اعتادوا الخضوع للشرفاء والأغنياء وان لم يمتازوا عليهم بمعارفهم وصفاتهم الذاتية فبين الله تعالى فيما حكاه عن نبيه في أولئك القوم أنهم مخطئون في زعمهم ان استحقاق الملك يكون بالنسب وسعة المال بقوله ﴿ قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ﴾ فسروا اصطفاه

الله تعالى هنا بوحيه لذلك النبي أن يجعل طالوت ملكاً عليهم ولعله لو كان هـذا هو المراد لقال اصطفاه لكم كما قال «اصطفى لكم الدين» والمتبادر عندي ان معناه فضله واختاره عليكم بما أودع فيه من الاستعداد الفطري للملك ولا ينافي هذا كون اختياره كان بوحي من الله لان هذه الامور هي بيان لاسباب الاختيار وهي أربعة ١ الاستعداد الفطري و٢ السعة في العلم الذي يكون به التدبير و٣ بسطة الجسم المعبر بها عن صحته وكمال قواه المستلزم ذلك لصحة الفكر على قاعدة «العقل السليم في الجسم السليم» وللشجاعة والقدرة على المدافعة والهيبة والوقار و٤ توفيق الله تعالى الاسباب وهو ما عبر عنه بقوله ﴿ والله يؤتي ملكه من يشاء ﴾ والاستعداد هو الركن الاول في المرتبة فلذلك قدمه والعلم بحال الامة ومواضع قوتها وضعفها وجودة الفكر في تدبير شؤونها هو الركن الثاني في المرتبة فكم من عالم بحال زمانه غير مستعد للسلطة اتخذه من هو مستعد لها سراجاً يستضيء برأيه في تأسيس مملكة أو سياستها ولم ينهض به رأيه الى أن يكون هو السيد الزعيم فيها . وكمال الجسم في قواه ورواثه هو الركن الثالث في المرتبة وهو في الناس أكثر من سابقيه . وأما المال فليس بركن من أركان تأسيس الملك لأن المزايا الثلاث اذا وجدت سهل على صاحبها الإتيان بالمال . وانا لنعرف في الناس من أسس دولة وهو فقير أمي ولكن استعداده ومعرفته بحال الامة التي سادها وشجاعته كانت كافية للاستيلاء عليها والاستعانة بأهل العلم بالإدارة والشجعان على تمكين سلطته فيها . وقد قدم الأركان الثلاثة على الرابع لأنها تتعلق بمواهب الرجل الذي اختير ملكاً فأنكر القوم اختياره فهي المقصودة بالجواب وأما

توفيق الله تعالى بتسخير الاسباب التي لا عمل له فيها لعمله فليس من مواهبه ومزاياه فتقدمَ في أسباب اختياره وانما تذكر تتمة للفائدة وبياناً للحقيقة ولذلك ذكرت قاعدة عامة لا وصفاً له.

وأقول من الناس من يظن ان معنى إسناد الشيء الى مشيئة الله تعالى هو ان الله تعالى يفعله بلا سبب ولا جريان على سنة من سننه في نظام خلقه وليس كذلك فان كل شيء بمشيئة الله تعالى «وكل شيء عنده بمقدار» أي بنظام وتقدير موافق للحكمة ليس فيه جزاف ولا خلل فإيتاؤه الملك لمن يشاء بمقتضى سنته إنما يكون بجعله مستعدا للملك في نفسه وبتوفيق الاسباب لسعيه في ذلك أي هو بالجمع بين أمرين أحدهما في نفس الملك والآخر في حال الامة التي يكون فيها. وفي الاحاديث المشهورة على ألسنة العامة «كما تكونوا يولى عليكم» (قال في الدرر المنتثرة رواه ابن جميع في معجمه من حديث أبي بكرة والبيهقي في الشعب من حديث يونس بن اسحاق عن أبيه مرفوعاً ثم قال هذا منقطع . وفي كنز العمال أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي بكرة والبيهقي عن أبي اسحاق السبيعي مرسلا) . نعم اذا أراد الله اسعاد أمة جعل ملكها مقوياً لما فيها من الاستعداد للخير حتى يغلب خيرها على شرها فتكون سعيدة واذا أراد إهلاك أمة جعل ملكها مقوياً لدواعي الشر فيها حتى يغلب شرها على خيرها فتكون شقية ذليلة فتعدو عليها أمة قوية فلا تزال تنتقصها من أطرافها وتفتات عليها في أمورها أو تناوشها الحرب، حتى تزيل سلطانها من الارض، يريد الله تعالى ذلك فيكون بمقتضى سننه في نظام الاجتماع فهو يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء بعدل وحكمة ، لا بظلم ولا عبث، ولذلك

قال «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون» وقال «ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» فالمتقون في هذا المقام — مقام استعمار الارض والسيادة في الممالك — هم الذين يتقون أسباب خراب البلاد وضعف الامم وهي الظلم في الحكام والجهل وفساد الاخلاق في الدولة والامة وما يتبع ذلك من التفرق والتنازع والتخاذل والصالحون في هذا المقام هم الذين يصلحون لاستعمار الارض وسياسة الامم بحسب استعدادها الاجتماعي

أطلت في بيان معنى مشيئة الله تعالى في اتيان الملك لانني أرى عامة المسلمين يفهمون من مثل عبارة الآية في ايجازها أن الملك يكون للملوك بقوة إلهية هي وراء الاسباب والسنن التي يجري عليها البشر في أعمالهم الكسبية. وهذا الاعتقاد قديم في الامم الوثنية وبه استعبد الملوك الناس الذين يظنون ان سلطتهم شعبة من السلطة الإلهية وأن محاولة مقاومتهم هي كمحاولة مقاومة الباري سبحانه وتعالى والخروج عن مشيئته . وكان الاستاذ الامام أوجز في الدرس بتفسير قوله تعالى «والله يؤتي ملكه من يشاء» اذ جاء في آخره وقد كتبت في مذكرتي عنه: أي ان له سنة في تهيئة من يشاء للملك: ومثل هذا الاجمال لا يعقله الامن جمع بين الآيات الكثيرة في ارث الارض وفي هلاك الامم وتكونها والآيات الواردة في أن له تعالى في البشر سننا لا تتبدل ولا تتحول وقد ذكرنا بعضها ومنها قوله تعالى «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» فحالة الامم في صفات أنفسها وهي عقائدها ومعارفها وأخلاقها وعاداتها هي الأصل في تغير ما بها من سيادة أو عبودية وثروة أو فقر وقوة أو ضعف وهي هي التي تمكن الظالم من اهلاكها .

والغرض من هذا البيان أن نعلم أنه لا يصح لنا الاعتذار بمشيئة الله عن التقصير في اصلاح شؤوننا اتكالا على ملوكنا فان مشيئة الله تعالى لا تتعلق بابطال سننه تعالى وحكمته في نظام خلقه. ولا دليل في الكتاب والسنة ولا في العقل أو الوجود على أن تصرف الملوك في الامم هو بقوة إلهية خارقة للعادة بل شريعة الله تعالى وخليقته شاهدتان بضد ذلك فاعتبروا يا أولى الألباب

ثم ختم الآية بقوله تعالى ﴿ والله واسع عليم ﴾ على طريقة القرآن في التنبيه على الدليل بعد الحكم والتذكير باسمائه الحسنى وآثارها أي واسع التصرف والقدرة اذا شاء شيئاً اقتضته حكمته في نظام الخليقة فانه يقع لا محالة عليم بوجوه الحكمة فلا يضع سننه في استحقاق الملك عبثاً ، ولا يترك أمر العباد في اجتماعهم سدى ، بل وضع لهم من السنن الحكيمة ما هو منتهى الابداع والإتقان ، وليس في الإمكان أبدع مما كان ،

هذا وقد جرى المفسرون على أن وجوه الرد على منكري جعل طالوت ملكا أربعة وأحسن عبارة لهم على اختصارها عبارة البيضاوي قال : لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك (أولا) بان العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم و (ثانياً) بأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكن من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون أعظم خطرا في القلوب ، وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب ، لا ماذكرتم وقد زاده الله فيها وقد كان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه ، و (ثالثاً) بأنه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله أن يؤتيه من يشاء و (رابعاً) بأنه واسع الفضل يوسع الفضل على الفقير

ويغنيه عليم بمن يليق بالملك وغيره : اه فجعلوا الأول بمعنى الثالث وجعلوا مزية العقل ومزية البدن شيئاً واحدا وهما شيئان وأجملوا القول في المشيئة حتى ان المتوهم ليتوهم ان ذلك يكون بعناية غيبية لابسنة إلهيـة وجعلوا كونه تعالى واسعاً عليماً وجهاً خاصاً . ولا أحفظ عن الاستاذ الامام في الاول شيئاً ورأيه في مشيئة الله تعالى هنا ماتقدم آنفاً وقد فسر الواسع بواسع التصرف والقدرة وهو يتفق مع قولهم واسع الفضل وقال في تفسير عليم: عليم بوجوه الاختيار ومن يستحق الملك

تجارة الرقيق وأحكامه في الاسلام

من آثار المرحوم السيد عبد الرحمن افندي الكواكبي الشهير كتبها بعد سياحته الاخيرة قبل موته

من كان مطلعاً على احوال سواحـل شرقي افريقيا وسواحل جزيرة العرب ويطلع على ما كتبه المستر... بخصوص مسألة الرقيق وما نسبه فيها من القصور للمؤتمر الدولي في زنجبار يستغرب جدا من تسرع وتهجم الكاتب المذكور على مؤاخذة مصلحة الرقيق بدون تثبت في الامر ولو أن جنابه اعتنى بتحقيق مسألة الرقيق لظهرت له الحقائق الآتية

(أولا) ان هـذه التجارة بهمة المؤتمـر المشار اليه وحراسة أوربا الدائمة لم يبق منها الا اسمها تقريبا

(ثانياً) هذه البقية مقصورة على شمال شرقي افريقيا حيث نخاسي الجنس السواكني والجنس الدنقلي يجلبون من السودان بعض الرقيق الى الثغور المهملة الافريقية المقابلة من جزيرة العرب لثغور الوجه وينبع وجدة ورابغ وميلت وقونفذه وجران

(ثالثاً) تهريب الرقيق كاد ينحصر بسفائن جده المشهور أصحابها بالمهارة البحرية وبالاقدام على المخاطرات . فهذه السفائن تنقل الرقيق من شرقي

افريقيا الى غربي جزيرة العرب يعني ان الثغور المذكورة التي تفصل بين السواحل الغربية فيها وما بينهما من الثغور المهملة تلك الثغور الباقية وحيدة في تجارة الرقيق بل ومنذ سنين الى الآن يتشكى أهل الحجاز من وجود قرصان في تلك المياه تحت رياسة ابن غيش والحكومة العثمانية لا تصغى لتلك الشكايات البتة

(رابعا) هذه السفائن ليست حرة في نقل الرقيق انما هي تخاف من بواخر حراسة الرقيق ولذلك تترصد أواخر الشهر القمري لتغتنم السرى ليلا تحت ستار الظلام فتقلع من الساحل الافريقي اذا صادفت الريح موافقة عند غروب الشمس وتصبح في شاطئ جزيرة العرب

(خامسا) اذا تعمق جنابه في التحقيق كما يفعله المغرمون بالحرية غراما أصوليا يعرف ان البقية اليسيرة للرقيق هي تصدر من الحجاز مع قوافل الحجاج فتدخل بالاكثر الى نجد وأقل منها الى اليمن وأقل من الجميع الى بلاد سوريا وهذه الاخيرة ماعاد يدخلها رقيق الذكور مطلقا

ثم لابد أنه كتب ملاحظته في التدابير التي يراها تفيد في حسم هذا الامر الذي يشتكى منه ونحن لاجل ان لانترك عين هذا الاعتراض يتوجه علينا نقول ان أفعل التدابير في هذا الخصوص هي هذه

(أولا) أخذ سفائن جده وينبع وسفائن سواكن وما في جوارها أيضا التي أصحابها من أهالي جدة تحت مراقبة قوية من قبل قناصل الدول المجتمعين في جده

(ثانيا) ابرام السفارات في الاستانة على الباب العالي ان تلزم حكومة الحجاز بمنع بيع الرقيق علنا حتى في سوقه المخصوص في مكة المسمى (الدكة) كما هو جار الآن

(ثالثا) ان يصير تهديد الباب العالي تهديدا مشتركا دوليا بان اذا بقيت تجارة الرقيق مباحة في الحجاز فالدول تسحب تنازلها عن اقامة وكلاء سياسيين لها في ولاية الحجاز في غير جدة وذلك لاجل مراقبة تحرير الرقيق مع حماية

الحجاج المسلمين من رعايا الدول أو الذين في حمايتها) (١)

لي صديق من علماء العرب المسلمين ومن مشاهير الاحرار والكتاب السياسيين (٢) فذاكرته في شأن خصوص الرقيق والديانة الاسلامية وما هو نظر علماء الاسلام في هذه الخدمة للانسانيه القائمة بها الدول الغربية فقال

***

ان الدين الاسلامي جوز الرق كسائر الاديان ولكن هذا الدين المترقي في الحكمة التشريعية بالنسبة الى كل الشرائع القديمة لم يمنع الاحكام القاسية المألوفة منع مصادمة انما شدد في ثبوتها وجعل للمبتلين بها كثيرة منقذة من العقوبات الشديدة باسم الدين (٣) ومن جملة ذلك انه ضيق دائرة الرق جدا بحيث يظهر بكل وضوح ان قصد الشريعة الاسلامية ابطال الرق أساسا بالتدريج كما يعلم من الاحكام الآتية

(١) الشريعة حصرت الرق في المتولدين من أبوين رقيقين وفي اسرى الحرب القانونية مع غير المسلمين وغير العرب وغير الاقارب فان هذه الاصناف لا تسترق

(٢) جعلت الاسترقاق غير الشرعي من أعظم المحرمات فيأتي في المحرمات تالي النفس (وفي نسخة : ومبلغه منها ان يأتي بعد قتل النفس)

(٣) جعلت العتق هو الكفارة الوحيدة لجملة خطايا دينية اذا وجد الرقيق مهما بلغت قيمته

(٤) جعلت العتق هو الكفارة العظمى لجميع أنواع الخطايا التعبدية

(٥) جعلت العتق من أهم النذور

(٦) جعلت العتق محللا للحنث باليمين التي لا يتعلق بها حق من حقوق الناس

---

(١) هذه الجملة التي بين قوسين قد رمجت من الاصل وكأنه كان يريدان يكتب في موضعها رأيا آخر وقد أصاب بحذفها على ان الدول لا تتجرأ على هذا الآن (٢) لا يخفى على القارىء انه يعني بهذا الصديق الاستاذ الامام (٣) هذه العبارة مبهمة مقتضبة والمراد منها أن الاسلام شدد في شروط جواز هذه الامور كالرق وتعدد الزوجات تنفيرا عنها وجعل للخروج منها منافذ كثيرة كما يأتي

(٧) جعلت العتق أتم وفاء لحق شكر الله على النعمة أو على السلامة من خطر

(٨) جعلت العتق أهم ما يوصي به المسلم بعد موته ليكافئه الله بعتقه من عذاب الآخرة

والحاصل ان الاسلام كاد ان يلزم أهله بأن كل فرد منهم يعتق ما يمكنه إعتاقه من الرقيق ولهذا لا يستمر الرقيق عند المسلم مدة طويلة قط بل مدة موقتة

وكذلك الشريعة المدنية الاسلامية هي أعظم شريعة جاءت محامية عن الحرية وذلك انها (١) جعلت الرق يسقط بمجرد ان يدعي الانسان انه حر إذ اعتبرت لزوم تصديقه لانه يدعي حقا طبيعيا وألزمت مدعي ملكه باثبات أصل رقيته (٢) جعلت اقرار الانسان على نفسه بالرق ولو ألف مرة لا يسلب حريته ولا يمنعه من ادعاء الحرية بعد (٣) جعلت الرق يسقط بورود لفظة العتق على لسان المالك ولو هازلا أو سكرانا أو بلغة لا يفهمها أو مكرها على النطق بها (٤) جعلت رق الانثى شبه ساقط بمجرد ان تلد ولدا من مالكها فلا تنقل الى ملك آخر وبموته تصير حرة مطلقة (٥) جعلت القول قولها في ان حملها هو من مالكها واذا أنكر فقولها يؤثر في عتقها وان لم يؤثر في ثبوت نسب الولد منه (٦) جعلت مالك جزء من رقيق ولو واحدا من ألف اذا أعتق جزءا عتق الكل رغما عن باقي شركائه وحق لهم تضمين المعتق خسارتهم فقط (٧) جعلت حكم القاضي بالعتق ينفذ مطلقا ولو كان ظالما في حكمه (٨) جعلت خليفة المسلمين اذا رأى في اجتهاده (ولا بد ان يكون الخليفة مجتهدا شرعا) ان كافة الارقاء المملوكين للمسلمين رقيتهم غير صحيحة فحكم بحريتهم جميعهم نفذ حكمه وصار العبيد أحرارا دفعة واحدة ولو خالف في حكمه آراء بعض المذاهب الاسلامية القديمة الى غير ذلك من الاحكام الشرعية التي تقاوم عادة الاسترقاق القديمة في البشر مقاومة شديدة فشريعة الاسلام هي أول شريعة دينية سياسية دافعت عن الحرية ونادت بابطال الرق بتلك الوسائل وليست معاداة الشريعة الاسلامية للرق من الغريب لانها ظهرت في العرب الذين هم أحرص الامم على الحرية ونزلت في أرضهم التي نزلت فيها أيضا صحف الحكمة على موسى أبي الانبياء عليهم

السلام وتحررت بلغتهم التي كتب بها أول قانون للحرية والاخاء والمساواة ولكن كما جرفت سيول برابرة الشمال رياض الرومان واليونان فأوقعتهم في القرون الوسطى المظلمة .. كذلك جرفت سيول المغول واخوتهم رياض العرب فأوقعتهم في مثل تلك القرون التي يسعون للخروج منها

ومن ثم فالعلة الحقيقية لاستمرار الرق هي الامراء المستبدون الذين لا ينقادون للدين الاسلامي الا لاجل تطبيقه على اهوائهم فهم يتخذون الدين في الظاهر حجة للتمتع بالرقيق لاسيما بعد ان قامت الامم الغربية ودولها بتحريره فهؤلاء الامراء يظهرون الآن امام اوربا انهم يودون منع الرقيق ولكن يخافون رعاياهم المسلمين لان الرقيق جائز شرعا ولضرورة المحافظة على الآداب والعادات الاسلامية لا يمكنهم ابطاله دفعة بل تدريجا مع ان مسامير الرق في الحقيقة هي كبرياء الامراء والمقلدين لهم وليست هي الاسلام نفسه كما يفترونه عليه ولا بد ان يستغرب الاورباويون اذا قلنا ان علماء الدين الاسلامي ليس فيهم من يجوز الرقيق مطلقا منذ عدة قرون اي منذ لم تبق حرب قانونية اسلامية يراد بها حماية الدعوة الاسلامية ونشرها او يراد بها المدافعة عن الجمعية الاسلامية وكذلك لم يبق في الامة اسراء متسلسلين وانما العلماء الاحرار يسكتون ويتجاهلون خوفا من الامراء او محاباة لهم لانهم يرون ان اعظم بيت في الامراء المسلمين لم يزل منذ اربعة قرون تقريبا متبعاً قانونا عائليا من مقتضاه عدم زواج ذكورهم بنساء غير رقيقات فأمهاتهم وزوجاتهم جميعهن رقيقات من الكرج او الچركس . مع ان الرق لا ينطبق شرعا على الكرج منذ قرن ونصف اذ انقطع دخول جيوش الاسلام الي بلاد الكرج وكذلك لا ينطبق على الچركس لانهم مسلمون ولما هو معروف ايضاً من ان الچركس يبيعون اولادهم بيعا او يسترقون من المدينين لهم اولادهم في مقابلة ديونهم

العلماء والمسلمون اذا لم يسكتوا عن بيان هذا الخلل في الكرج والچركس يلزمهم ان يحكموا ويصرحوا ايضاً بان جميع أولئك الامراء ليسوا باولاد شرعيين .. وهؤلاء الامراء يمكنهم بلا صعوبة ان يبطلوا هذا القانون العائلي كما أبطلوا اخيراً

منذ أربعين سنة قانون قتل جميع اولاد الاميرات السلطانيات اللائي كن يزوجن لأزواجهن بشرط ان لا يعقبن اولادا ابدا وذلك للحرص على عظمة بيتهم الملوكي من ان يكثر الانتساب اليه

اما مايقال عن حاجة المسلمين للرقيقات لاجل الخدمة فليس هناك حاجة ضرورية انما هي كبرياء وعظمة وتقليد لأرباب البيوتات من الامراء فقط كما ان الخصيان لاضرورة لوجودهم والشريعة الاسلامية لا تجوز خصاء الحيوان فضلا عن الانسان وإذا وجد رجل مخصي بفعل الغير فأكثر المذاهب الاسلامية ومن ومن جملتها المذهب الحنفي السلطاني تعتبره كسائر الرجال بلا فرق ولا تجوز استخدامه في القصور بين النساء ولا يخالف هذه المذاهب في ذلك غير المذهب الشافعي فقط

الشريعة الاسلامية وعلماؤها الاحرار يشكرون أوربا على منعها الرقيق وهم مسرورون من نجاح سعيها لتحقيقه ويتمنون لو ان اوربا تهتدي الى وسيلة تكون قاطعة مانعة بها يسد باب الرقيق بالكلية

يقول صديقي المذكور انه يلوح لفكره من التدابير المؤثرة في هذا الشأن ما يأتي

(أولا) ان تستعمل اوربا نفوذها الأدبي في استقباح وجود الجنس الاسود ذكورا واناثا في قصور الامراء بحجة قبح خلقهم واخلاقهم وكذلك استقباح وجود اناث بيض في تلك القصور اسيرات ذليلات بدون جناية ولا اختيار

(ثانياً) ان تحمل اوروبا الامراء الشرقيين على اتباع عادات امراء الغرب باعلان زواجهم الشرعي وتكرههم بالتدريج ان يطلبوا من دول اوروبا ان لا تعتبر رسميا من ورثائهم الشرعيين في الامارة كل مولود لهم من زوجة غير شرعية وهذا التحديد لاجل ان يعلن زواجها قبل الولادة بسبعة أشهر على الأقل ومنع اعلان الزواج بعد ظهور الحمل

(ثالثا) ان تكلف الدول سفراءها في القسطنطينية وطنجة وطهران وكابول وقناصلها في تونس ومصر وجدة (عوضاً عن مكة) بان يستفتوا بواسطة حكومات العواصم الاسلامية من المفتين الرسميين التابعين لمذاهب مختلفة عن الحكم الشرعي

في مسألة نصها كما يأتي

(ماقول علماء الشرع الإسلامي المحترمين فى الانسان هل يصح اعتباره رقيقا بشرائه من اوليائه او بالسرقة او بصورة الاسر ولكن في حرب قامت بها فئة صغيرة مسلمة خارجة عن الجامعة الاسلامية ومخالفة في ذلك الاسر عهدا كثر سلاطين المسلمين عهدا عاما دوليا بابطال الاسر الحربي مقابل عدم وقوع الاسر على كافة المسلمين (١)

ان هذا الاستفتاء ينتج ان القسطنطينية تحاول في الجواب وتمنع علماء مكة عن الجواب اما باقي العواصم فكلها تجيب بعدم جواز الرق وهذا الجواب من الباقين يكفي لامتناع الامراء من فخفخة استخدام الرقيق خوفا أدبيا من رعاياهم ويكفي لامتناع الناس امتناعاً دينيا من تملك الرقيق فيصبح أنصار الرق من المسلمين اعداءله وبذلك يتم بعد سنين قلائل إبطال الاسترقاق من العالم فيرتفع عن عاتق الانسانية هذا العار العظيم والاولى ان يكون الاستفتاء مرفقا بالنص العربي السالف البيان لاجل أن لايقع فيه تحريف من ترجمة الي ترجمة فيجد العلماء المتشرعون الرسميون مهربا بالتأويل والمواربة في الجواب فيرضون السائلين ويرضون الامراء بخلاف ما اذا كان النص عربيا بلغة الشريعة الاسلامية ذاتها اه

المنار

يعلم القراء ان علماء الأفرنج يعدون مسألة الرقيق من أكبر المطاعن في الاسلام ويفتخرون بأن مدنيتهم أرقى من الاسلام لأن الاسلام يأمر باستعباد البشر وهم يحررون الارقاء حبًا في الانسانية وقد أرجع دعاة النصرانية ملكاً من ملوك المسلمين عن الاسلام بحجة ان النصرانية والاسلام شيء واحد الا انها تفضله بهذه المسألة رحمة بالبشر فرجع وتبعه قومه . على أن كتاب دينهم الذي ينصرونه و ينشرونه فيه من الشدة على الارقاء مالا يوجد له نظير في الاسلام

(١) ينبغي أن يزاد في السؤال وليست هذه الحرب لأجل حماية الدعوة الاسلامية اذ لاتوجد حكومة شرعية تدعو الى الاسلام

والاسلام لم يأمر بالرق ولا جعله فرضاً ولا سنة وانما هو شيء كان عليه الناس من جميع الأمم فوضع له من الاحكام مايمحوه مع الحكمة . وهذه المقالة كان الكواكبي رحمه الله تعالى كتبها ولم ينقحها فنشرناها على علاتها بتصحيح ما دفاعاً عن الاسلام وضنا بآثار هذا الرجل العاقل ان تضيع حتى اننا نشرنا ذلك الرأي الذي رمجه (أي أفسد سطوره أو شطبه كما يقولون) وأما ماذكره عن استرقاق الكرج والشركس فما أراه الا له لا لصديقه الذي نقل عنه تلك المسائل الشرعية في الرق فقد عهدناه يبحث فى هذه الشؤون ونحن لا وقوف لنا على شيء من أحوال السراري الشركسيات والكرجيات فنحكم في المسألة فمن كان عارفاً بذلك من فضلاء القراء فليكتب الينا به وله الفضل وبما يراه نافعاً في المسألة

هذا وان للمرحوم الكواكبي كتاباً سماه (ماذا أصابنا وكيف السلامة) أودعه مالم يرجع عنه من آرائه فى طبائع الاستبداد مع فوائد كثيرة سياسية واجتماعية ولعلنا نجعله ملحقاً للمنار في العام القابل

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(أسئلة من دمياط تتعلق بقصة المولد النبوي)

من الشيخ محمد عبد الفتاح المدرس ببعض مدارس دمياط قال بعد الثناء والتحية:

جاء الى مدينة دمياط ليلة النصف من شعبان رجل (من الاشراف) المنتسبين للعلم وقصد أشهر مسجد ومدرسة دينية بها (جامع البحر) حيث اجتمع خلق كثير لرؤية ما أعده أرباب الطرق به من الاحتفال بهذه الليلة و بعد صلاة العشاء أخذ القوم مجالسهم فقام هذا الرجل وجلس على كرسي مرتفع أعد لتدريس شيخ العلماء (وقد قرأ عليه هنا درسين فقيد الاسلام والشرق المرحوم

الشيخ محمد عبده حينما كان بعصيف رأس البر في السنة الماضية) وابتدأ يسرد فوائد جمة لسماع قصة المولد النبوي ثم سرد مالا اذكر منه على كثرته غير ما يأتي

(١) ان أول ماخلق الله نور نبينا صلى الله عليه وسلم ومنه استمد جميع مخلوقاته

(٢) ان الله تعالى حينما زوج آدم بحواء قام في الملائكة خطيباً معلنا بذلك ثم فرض عليه صداقا صلاته على النبي (ص) مائة مرة وقد صدع بالامر غير انه لم يستطع اكمال العدد بل انقطع نفسه عند اتمام السبعين فأقاله الله من الباقي وجعل ذلك سببا في جعل الصداق قسمين مقدم ومؤخر

(٣) ان جميع الوحوش البرية والبحرية بشر بعضها بعضا ليلة الحمل بالنبي (ص) ونطقت بذلك بلسان عربي مبين

(٤) ان مريم حضرت ليلة ولادة النبي مع سارة وآسية لأنهن زوجاته في الجنة

(٥) ان العلماء اختلفوا في أمر آسية فقيل انها لم تكن ماتت الى هذا الحين لانها رفعت الى الجنة حين استغاثت بالله من فرعون وعمله وقيل ان الله أحياها لهذا الغرض والاول أصح

(٦) ان من يعتقد ان أحد الانبياء ولد من الفرج يكون كافرا لانهم جميعاً ولدوا من ثقب في الجنب الايسر

(٧) ان النبي وجميع الانبياء أحياء في قبورهم حياة كحياتنا هذه لقول النبي (ص) (أنا في قبري حي طري) وقوله (نحن معاشر الانبياء أحياء في قبورنا)

ومن الادلة المحسوسة (تأمل) على ذلك ان علياً (رضي الله عنه) حمل زوجته فاطمة بعد موتها على يديه وأتى بها الى القبر الشريف وقال يارسول الله هذه فاطمة الزهراء بضعتك الطاهرة قد جادت بروحها الى الله في هذا اليوم وقد جئت بها اليك لتزورك فانفتح القبر (سبحانك بهتان عظيم) ومد النبي يديه فتلقاها من علي وأضجعها بجانبه وقيل انه ردها اليه فدفنها بالبقيع ولذلك ترى الناس يزورنها بالمكانين عملا بالروايتين

وان سيدي أحمد الرفاعي حين زار القبر الشريف أنشد هذين البيتين

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الارض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الاشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد النبي يده الشريفة اليه امام الحاضرين فقبلها

(٨) ان عدد الانبياء ونجوم السماء كعدد شعر لحية النبي صلى الله عليه وسلم ١٢٤٠٠٠

هذا يامولاي قليل من كثير مما قصه هذا الرجل في تلك الليلة أمام المئات من المسلمين عامتهم وخاصتهم وفضيلة شيخ العلماء ساكت لايبدي أقل اعتراض على هذا الكلام مع ماعرف عنه من الغيرة على الدين ومحاربته لمثل هذه العقائد التي حشرها القصاصون في الدين فشوهوا بها وجهه الجميل .

لو كان هذا الرجل من العامة لسكتنا ولكنه معدود ضمن العلماء في قرية المنزلة وقد خطب أمام أمير البلاد هناك وصلى خلفه فريضة الجمعة سمعت ذلك من بعض أهل المنزلة

وقد رفع حضرة الفاضل مكاتب المقطم أمر الرجل الى فضيلة شيخ الازهر وطلب منه اعلان رأيه فى جميع ذلك وما نظنه الامبرئا للدين من هذه الاضاليل وسيكتب جواب فضيلته بجريدة المقطم . وكتب حضرة الفاضل مكاتب البصير بجميع ذلك الى جريدته أما مكاتبي الجرائد الاسلامية فلم يكتبوا شيأ من ذلك . لهذا نرجوكم توضيح رأيكم في ذلك خدمة للدين وأهله والسلام

جواب المنار

لو أن مدرساً عالما مفسرا محدثا على صراط السلف الصالح قعد مقعد ذلك الرجل المختلق على الله ورسوله ودينه ونهى الناس عن بعض البدع الفاشية ، والظلمات الغاشية ، وفسر لهم النصوص التي تنهى عن جعل الصالحين لله أندادا ، وجعل قبورهم أعيادا ، والاحاديث التي تلعن الذين اتخذوا القبور مساجدا، وشرفوها وأوقدوا عليها السرج ، وهداهم الى رفض البدع ، والوقوف عند حدود السنن ، لزلزلت به الارض زلزالها ، ووجهت اليه العامة أنكالها ، ولوجد ممن يعرفون بالخاصة من ينصر الجهلة عليه ، ومن أصحاب الجرائد التي تدعى اسلامية من

يفوق السهام اليه ، ولكادت له السياسة ، وناصبته منصات الرياسة ، أما أمثال هذا المدرس فكثيرون لاسيما من المسجد الحسيني في العاصمة حيث يكثر تردد العلماء ، والمحافظين على الرسوم الدينية من الكبراء ،لاسيما في شهر (رمضان) ومن هؤلاء المدرسين من يبيع البطائق للنجاة من النار ، ويعلم الناس مكفرات الاوزار ، ومنهم من يبيع النشرة والحجاب ، لقضاء الحاجات وشفاء الاوصاب ، ومنهم من يدلي الناس بغرور ، ويحوّلهم عن النور الى الديجور ، ولا منع ولا استنكار ، ولا تعجب ولا استكبار ، وقد صاح من سنين صائح بهذه البدع ففرقها بتفريق الناس عنها ، ودعا الى السنة الصحيحة فجذب اليها وأدنى منها ، فاضطرب لصيحته سدنة القبور ، وأكلة مايقدم اليها من الهدايا والنذور ، ووسوسوا في شأنه لبعض المتحمسين من العوام ، وقالوا انه ينكر نفع عمود الرخام ، (هو عمود من أعمدة المسجد الحسيني ينسب الى السيد البدوي ويستشفي الناس بالتمسح به) وينكر صحة حديث « لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه » ، ويقول بجهالة من اختلقه بزعمه ووضعه ، فتألب الناس على داعي السنه ، وكاد يبتلي بما ابتلى به الأئمة من المحنه ، فلا تعجبوا لما سمعتم فمثله كثير ،والامر لله العلي الكبير

أما المسائل التي لخصتم بها قول ذلك المدرس فبعضها باطل باجماع المسلمين لم يقل به أحد منهم يعتد بقوله ومنها ماجاءت فيه رروايات كاذبة أو واهية أو لايحتج بها في أمر اعتقاد يشترط الإذعان له في صحة الايمان أو يعد انكاره كفرا ولا في الاحكام التي يكتفى فيها بالظن وانما تساهل الجماهير بمثله في باب الفضائل والمناقب . وما اختيار الناس أمثال هذه الروايات في قصة المولد الا لجلهم بما أعطى الله خاتم الرسل والنبيين ، من المزايا التي فضل بها الاولين والآخرين ، جهلوا الفضائل الواضحة اليقينية ، فاستبدلوا بها تلك الاقاويل الواهية والوضعية ، وقلما تجد في هؤلاء الغالين فى الاطراء عالما بالحديث يعرف ماصح منه وما لم يصح أوعالما بأصول العقائد يقيم البرهان عليها ويقدر على الدفاع عنها ، أوعاملا متبعا لهدي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معتصما بالاخلاص والتقوى . ان هم الا أصحاب أوهام، وشقاشق يتقربون بها من

العوام، واننا نشير الى أجوبة تلك الاسئلة بالتفصيل الذي يتسع له الباب

١ - مسألة خلق كل شيء من نور النبي (ص)
واول من خلق الله

(ج٤٢)قولهم إن أول ماخلق الله نور نبينا صلى الله عليه وسلم لاتكاد تجده في غير هذه القصص التي يسمونها الموالد الا قليلا ويروونه عن عبد الرزاق وليس في الايدي نسخة من جامعه اومصنفه ولا هوممايتلقاه أهل هذا العصر بالرواية فيعتد بنسبته اليه فالعمدة في قبول ماخرجه رواية الحفاظ بعده عنه وأجمعهم للأحاديث الحافظ السيوطي ولم يذكر هذه الرواية في الخصائص الكبرى التي جمع فيها كل ماورد فى خصائصه عليه الصلاة والسلام من صحيح وغير صحيح ولا في الجامع الكبير أو جمع الجوامع وهو الذي قال أنه لم يترك حديثاً مرويا الا أودعه فيه وانما أورد الروايات في كونه صلى الله عليه وسلم كان نبياً بين خلق آدم ونفخ الروح فيه ولا شيء منها في الصحيحين ولا في السنن الاربع وأقواها حديث ميسرة الفجر عند أحمد والبخاري في تاريخه (لافي صحيحه) والطبراني والحاكم والبيهقي وأبي نعيم قال متى كنت نبياً؟ قال(ص) « وآدم بين الروح والجسد » . وحديث العرباض بن سارية عند أحمد والحاكم والبيهقي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته »

قال فى المواهب وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين: فقال شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى : قال الزرقاني في شرحها أي انتهى : ما نقله من كلام شيخه و بقيته « فضلا عن زيادة: وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين» قال شيخنا — يعني الحافظ ابن حجر — في بعض الاجوبة عن الزيادة أنها ضعيفة والذي قبلها قوي ولعله أراد بالمعنى والا فقد صرح في السيوطي في الدرر بأنه لا أصل لهما والثاني من زيادة العوام وسبقه لذلك الحافظ ابن تيمية فأفتى ببطلان اللفظين وأنهما كذب وأقره في النور والسخاوي نفسه فى فتاويه أجاب باعتماد كلام ابن تيمية في وضع اللفظين قائلا وناهيك به اطلاعاً وحفظاً أقر له بذلك المخالف

والموافق . قال وكيف لايعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي مارأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه ولسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة انتهى

وقد فسر بعض العلماء المتقدمين أمثال هذه الأحاديث بأنها اخبار عما في علم الله تعالى ولم يرضه التقي السبكي . قال السيوطي في الخصائص :

« فان قلت أريد ان أفهم هذا القدر الزائد فان النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودا وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله وان صح ذلك فغيره كذلك ؟ (قلت) قد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الاشارة بقوله « كنت نبياً » الى روحه الشريفة أو الى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور إلهي ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاه الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً » اه المراد منه ثم أورد بعد هذا التأويل بأنه كان نبياً في العلم الالهي وهو ظاهر في حديث العرباض الذي يؤيده حديث عبدالله بن عمرو في صحيح مسلم « أن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ومن جملة ما كتبه في الذكر وهو أم الكتاب أن محمدا خاتم النبيين » والشاهد قوله أن حقيقة نبينا قد تكون مخلوقة قبل خلق آدم ولو كان هناك حديث يثبت أن نور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلق قبل كل شيء لاحتج به ولم يدع أن حقيقة الانسان هي شيء غير روحه وجسده و يبني جوابه الثاني على احتمال أن تكون حقيقة النبي (ص) خلقت قبل حقيقة آدم . وهذا الحافظ أبو نعيم وهو قبل السيوطي لم يذكر ذلك الحديث في كتابه (دلائل النبوة) الذي جمع فيه كل ما رواه في هذا الشأن

واذا رجعت الى استقصاء مارووه في خلق العالم تراهم أهملوا ذلك الحديث ورووا ما يخالفه كحديث عبادة بن الصامت عند أبي داود والترمذي « ان أول

ماخلق الله القلم » الحديث وهو عند ابن أبي شيبة وأبي نعيم في الحلية والبيهقي عن ابن عباس « ان أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون » وعند البيهقي في الصفات عن ابن عمر ، وحديث أبي هريرة عند أحمد والحاكم « كل شيء خلق من الماء » لعل المراد كل شيء حي كما قال تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . ولهذه الاحاديث أحاديث تعارضها وليس فيها شيء قطعي الثبوت والدلالة والقرآن صريح في أن السموات والارض كانتا رتقا ففصلهما وخلقهن من مادة تشبه الدخان

ثم ان لحديث عبدالرزاق تتمة فيها ان ذلك النور تجزأ مرات الى أجزاء خلق منها القلم واللوح والعرش والكرسي والملائكة والسموات والارضين والجنة والنار ونور أبصار المؤمنين ونور قلوبهم فمعناه الظاهر أن الله خلق من نوره شيئاً وخلق من هذا الشيء سائر الاشياء حتى نار جهنم والأرض وما فيها من الجماد والنبات والحيوان فما معنى كون ذلك الشيء الأول نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو فرد من الأحياء الذين خلقهم الله في هذه الأرض التي هي من أصغر الكواكب التي لا يعلم عددها الا خالقها ؟ وما نسبة هذا الفرد الكريم الى ذلك الخلق العظيم الذي منه العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والسموات والارض والجنة والنار ؟؟ ظاهر الحديث أن المخلوقات كلها هي نور محمد (ص) كله وهو من المخلوقات بالضرورة فما هي نسبته الى سائرها أي ماهي نسبة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي القرشي الذي بعثه الله تعالى نبيا منذ نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن الى جميع المخلوقات ؟ هل هو جزء منها أو كل لها وهي أجزاء له فيقال ان حقيقة محمد هي مجموعة الكائنات ومجموعة الكائنات هي محمد بن عبدالله الذي ولد من نحو أربعة عشر قرنا (ص) ؟ ثم ما معنى كون هذا من نور الله واذا سلمنا بظاهر هذا الحديث فبماذا نحاج من نسميهم كفارا اذا قالوا ان واجب الوجود قد انقسم فكان هذه الانواع من الكائنات ؟ « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » « ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون »

هذا الحديث حديث جابر المروي عن عبد الرزاق لا أصل له وليس فيه تعظيم

لخاتم النبيين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، بل هو مثار شبهات وشكوك في الدين يعسر تأويلها بما يقبله عقلاء الباحثين،

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل» وما الرسل الا بشر مثلكم، يوحى اليهم مافيه هداية لكم وما البشر الاجند قليل من جنود الله التي لايعلمها الا هو قال فيهم « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ورفع بعضهم فوق بعض درجات وجعل أفضلهم أنفعهم لعباده ففضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الناس أنه اختاره من خلقه لهداية جميع الناس في طور ارتقائهم واستعدادهم لاتصال بعضهم ببعض فهو صلى الله عليه وسلم أنفع الناس للناس ولو كان هو الاصل لجميع المخلوقات وفرضنا أن هذا معقول أو أنه تعالى يكلفنا ماليس في وسعنا أن نعقله لصرح بذلك في كتابه المبين، الذي مافرط فيه في شيء من مهمات الدين ، أو لروي برواية صححها جماهير المحدثين ، وكل ذلك لم يكن فانفراد عبد الرزاق بهذا لايكفي في القول بهذه المسألة التي لايتصورها عقل ، ولا يشهد لها نقل ، فان عبد الرزاق وان احتج كثيرون بحديثه وروى عنه الأئمة وبجلوه قدجرحه مسلم وغيره واليك بعض ماقالوا فيه

قال الامام أحمد أتينا عبدالرزاق قبل المئتين وهو صحيح البصر ومن سمع منه بعد ماذهب بصره فهو ضعيف السماع . وقال النسائي فيه نظر لمن كتب عنه بآخره روي عنه أحاديث مناكير . وقال ابن عدي حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد ومثالب لغيرهم مناكير ونسبوه الى التشيع . وقال الدارقطني ثقة لكنه يخطئ على معمر في أحاديث . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل سألت أبي عن عبد الرزاق يفرط فى التشيع قال أما أنا فلم اسمع منه شيئاً ولكن كان رجلا يعجبه أحاديث الناس وقال محمد بن عثمان الثقفي البصري لما قدم العباس بن عبد العظيم من صنعاء من عند عبد الرزاق أتيناه فقال لنا ألست قد تجشمت الخروج الى عبد الرزاق ورحلت اليه وأقمت عنده ؟ والله الذي لاإله الا هو ان عبد الرزاق كذاب والواقدي أصدق منه . أورد الحافظ الذهبي هذا ثم قال : قلت هذا ماوافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ ،وأئمة

العلم يحتجون به الا في تلك المناكير المعدودة فى سعة ماروى

وقال الذهبي في أحمد بن عبد الله ابن أخت عبد الرزاق : قال ابن حبان كان يدخل على عبد الرزاق الحديث فكل ماوقع في حديث عبد الرزاق من المناكير فبليته منه وقد تقدم ذكره كذبه أحمد والناس

(٢ — مسألة مهر حواء من آدم)

(ج ٤٣) ماذكره في ذلك كذب صريح لاحاجة لإطالة الكلام في رده اذ لاشبهة فيه على الدين فترد ولا شبهة عليه هو فتكشف ولم ينقله محدث فينظر فى سنده وانما وردت رواية ضعيفة فى أمره بالصلاة على النبي (ص) ٣ مرات أو عشرين مرة

﴿ ٣ — بشارة الوحوش بحمله (ص) ﴾

(ج ٤٤) ان الأثر الذي يذكرونه في نطق الدواب والوحوش ليلة حمله صلى الله عليه وسلم قدأخذه واضعو قصص المولد من رواية أبي نعيم وهو منكر جدا أورده السيوطي في الخصائص الكبرى وأنكره مع أثرين آخرين وهذه الآثار الثلاثة قد جمعت أكثر المنكرات في قصص المولد واننا نوردها بنصها ليعلم القراء أنه لم يصح منها شيء فلا يغتروا بأصحاب العمائم العجراء اذا قرءوها وأجازوها قال :

(١) أخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال لما حضرت ولادة آمنة قال الله للملائكته افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان كلها وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت تبشر بعضها بعضا وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك الا حضر . وأخذ الشيطان فغلّ سبعين غلا وألقي منكوساً في لجة البحر الخضراء وغلّت الشياطين والمردة وألبست الشمس يومئذ نورا عظيما وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرن ولادة محمد صلى الله عليه وسلم . وكان أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن لاتبقى شجرة الاحملت ولا خوف الا عاد أمنا فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الدنيا كلهانورا وتباشرت الملائكة وضرب في كل سماء عمود من زبرجد وعمود من ياقوت قد

استنار به فهي معروفة في السماء ، قد رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، قيل هذا ماضرب لك استبشارا بولادتك: وقدأنبت الله ليلة ولدعلى شاطئ نهر الكوثر سبعين الف شجرة من المسك الأذفر جعلت ثمارهابخور أهل الجنة وكل أهل السماء يدعون بالسلامة ونكست الاصنام كلها وأما اللات والعزى فانهما خرجتا من خزانتهما وهما تقولان ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها . وأما البيت فأياما سمعوا من جوفه صوتا وهو يقول الآن يرد عليّ نوري ، الآن يجيئني زواري ، الآن أطهر من أدناس الجاهلية ، أيتهاالعزى هلكت . ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن . وهذه أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) واخرج ابو نعيم عن ابن عباس قال كان من دلالات حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت فى تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوساً والملك مخرسا لاينطق يومه ذلك . ومرت وحش المشرق الى وحش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا ، وله في كل شهر من شهوره نداء في الارض ونداء في السماء:أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج الى الارض ميمونا مباركا * قال و بقي في بطن أمه تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا ريحا ولا مغصا ولا مايعرض للنساء من ذوات الحمل . وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيما فقال الله أناله وليّ وحافظ ونصير . وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول أتاني آت حين مر بي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال لي يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين طرا فاذا ولدتيه فسميه محمدا . فكانت تحدث عن نفاسها وتقول لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم فسمعت وجبة شديدة وأمرا

عظيما هالني ذلك فرأيت كان جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل وجع كنت أجد ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء لبنا وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينا أناأعجب واذا بديباج أبيض قد مدّ بين السماء والارض واذا بقائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم اباريق من فضة ورأيت قطعة من الطير قداقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد واجنحتها من اليواقيت فكشف الله عن بصري وابصرت تلك الساعة مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام منصوبات علما في المشرق وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم . فلما خرج من بطني نظرت فيه فاذاانا به ساجدا قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتي غشيته فغيب عن وجهي . وسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا أنه سمي فيها الماحي لايبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه . ثم تجلت عنه في أسرع وقت فاذا أنابه مدرج في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب واذا قائل يقول قبض محمد على مفاتيح النصرة ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة . ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة حتى غشيته فغيب عن عيني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد الشرق والغرب ومواليد النبيين واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والطير والسباع وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل و بشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى واغمروه في أخلاق الانبياء . ثم تجلت عنه فاذا أنابه قد قبض على حريرة خضراء مطوية واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الا دخل في قبضته واذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه

فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده الي

(٣) وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف عن العباس قال لما ولد أخي عبدالله وهو أصغرنا (١) كان في وجهه نور يزهر كنور الشمس فقال أبوه ان لهذا الغلام لشأناً فرأيت في منامي أنه خرج من منخره طائر أبيض فأتيت كاهنة بني مخزوم فقالت لي لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب له تبعاً فلما ولدت آمنة قلت لها ما الذي رأيت في ولادتك قالت لما جاءني الطلق واشتد بي الامر سمعت جلبة وكلاماً يشبه كلام الآدميين ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب ما بين السماء والأرض ورأيت نورا ساطعاً من رأسه قد بلغ السماء ورأيت قصور الشام كلها شعلة نار ورأيت قربي سرباً من القطا قد سجدت له ونشرت أجنحتها ورأيت تابعة سعيرة الاسدية قد مرت وهي تقول مالقي الاصنام والكهان من ولدك هذا هلكت سعيرة والويل للأصنام ورأيت شاباً أتم الناس طولا وأشدهم بياضاً فأخذ المولود مني فتفل في فيه ومعه طاس من ذهب فشق قلبه شقاً ثم أخرج قلبه فشقه شقا فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها ثم أخرج صرة من حرير أبيض ففتحها فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة وألبسه قميصاً فهذا مارأيت » اه

أقول هذه الآثار الثلاثة هي ينبوع خرافات قصة المولد والثاني منها يذكرونه برمته في أكثرها وقد قال السيوطي بعد ايرادها هنا مانصه:

هذا الأثر والأثران قبله فيها نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم

(١) قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب : كان العباس أسن من رسول الله (ص) بسنتين وقيل بثلاث : أقول وهذا القول مجمع عليه من المحدثين والمؤرخين وهذا الحديث مبني على أن العباس أسن من والد النبي صلى الله عليه وسلم فهو مخالف لاجماع المحدثين وكفى بذلك كذبا

تكن نفسي لتطيب بايرادها لكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك

هذا كلام السيوطي على تساهله في الجمع وأقول إن أبا نعيم لم يذكر هذه الآثار الواهية في كتابه دلائل النبوة على مافيه من الروايات الضعيفة والمنكرة كما ترى في النسخة المطبوعة منه فكان ينبغي ان يتبعه في ذلك لأن الخصائص كالدلائل مؤلفة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم على ان ذكره لها مع براءته منها كان خيرا من السكوت عنها . وعبارته تدل على أنه أورد في الخصائص كثيرا من الروايات المنكرة وهو كذلك . وقد ذكر بعد الآثار الثلاث رواية مخزوم ابن هاني عن ابيه عند البيهقي وابي نعيم وفيها انه ارتجس ليلة المولد إيوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس وغاضت بحيرة ساوة وفيها رؤيا الموبذان وحكاية سطيح الكاهن وقال في آخرها : قال ابن عساكر حديث غريب لانعرفه الا من حديث مخزوم عن ابيه تفرد به ابو أيوب البجلي :اي وما تفرد به لايحتج به

وتذكر هذه الآثار في بعض القصص والكتب بعبارات مختلفة بزيادة ونقص ولا يلتفت الى شيء منها فان العبرة بما يروي المحدثون ، لابما يهذي به القصاصون ، هذا واذا اردنا ان نبحث في هذه الآثار من جهة موضوعها وحفظ المشركين في الجاهلية وسائر الامم لها الى ان ظهر الاسلام فاننا نجد فيها مالا تقبل معه فان أمثال هذه الغرائب من شأنها أن تستفيض وينقلها الجماهير ولم يرو ان أحدا من المشركين آمن لأجلها ولم يروها أهل الصحاح كالبخاري ومسلم بل تركوها لعدم الثقة برواتها . وأما أبو نعيم فانه لم يروها واثقاً بها ولكنه كان يروي المناكير بل والموضوعات ويسكت عليها اعتمادا على ان الناس يعرفون درجتها من سندها ولكنهم انتقدوا عليه ذلك هو وابن منده وكان يطعن احدهما بالآخر للمعاصرة . قال الحافظ الذهبي في الميزان فيهما: لاأقبل قول كل منهما في الآخر وهما عندي مقبولان لا أعلم لهما ذنبا أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عليها : اه

ويوجد شيء من هذه الروايات في كتب اخرى لغير المحدثين لايوثق بها

ولا بأسانيدها ككتاب مسامرة الاخيار المنسوب للشيخ محي الدين بن عربي على ان فيها ذكر المجهولين والضعفاء ورواة المناكير كسعيد بن عثمان الكريزي قال الذهبي كان محدث في اصبهان بالمناكير وحفص بن الصباح الرقي قال الحاكم حدث بغير حديث لم يتابع عليه ويحيى البابلتي ضعفوه وضعفوا شيخه ابا بكر بن مريم الحمصي وغيرهم . وحسبنا مافي كتاب الله تعالى والاحاديث والآثار الصحيحة في آياته وفضائله عليه أفضل الصلاة والسلام فلا حاجة لنا بامثال هذه الروايات

هذا وقد طال بنا القول وسنجيب عن بقية المسائل في الجزء الآتي ولم ننس الاسئلة الواردة من تونس وسنغافورة ولكل شيء اجل

باب التربية والتعليم

نكتفي في هذا الباب من هذا الجزء باقتباس المقالة الآتية من مجلة « المقتبس » تنويها بحسن اختيارها للمفيد وايذانا بما للغربيين من الرقي في فن التعليم ، قالت

تعليم اللغات

ان تعليم اللغات على الطريقة التي جرى عليها الغربيون واقتبسها المشارقة قد تكون نظرية أكثر مما هي عملية فيطول أمرها ويصعب تناولها . ولطالما رأينا من يترجم أشعار شكسبير الانكليزي أو بوالو الافرنسي واذا رمته الاقدار في شوارع لندن أو باريز لا يطاوعه لسانه أن يلفظ كلمات يهتدي بها الوجه طريقه . ذلك لأن الطريقة في تعلمه تلك اللغة الاجنبية هي عين الطريقة التي يستخدمها الاوربيون في تعليم الصم البكم بل عين النهج الذي ينهجه المغاربة في تعليم احدى اللغات الميتة من لاتينية ويونانية أو احدى اللغات الحية من انكليزية وافرنسية وايطالية وغيرها .

اذ يكون تدريس النحو والصرف والترجمة من الكتب هو العدة في اتقان اللغات ويسهل على المعلم أن يدرس تلميذه على هذا النحو وربما أخذ في تعليمه لغة وهو لا يحسن أن يؤلف بين جملتين صحيحتين في تلك اللغة التي عهد اليه تدريسها ولم يجود التلفظ بها فكان شغله الشاغل تعليم تلامذته أصول التصريف

والاعراب والترجمة على حين قد ثبت ان الدارس قد يستظهر قواعد لغة وقوانينها ولا يبرع في اللغة نفسها . واسقم المذاهب في تعلم لغة أن يتكلم المرء بلغته في خلال تعلمه لغة غيرها .

من أجل هذا قضت الحال أن تكون دراسة قواعد الاعراب والتصريف بعد معرفة اللغة معرفة عملية لا نظرية ولا تفيد الترجمة والنقل الا اذا توفرت للطالب بادئ بدء معرفة الاساليب في اللغة الغريبة . فعلى من رام أن يتكلم لغة ويكتب فيها أن يفكر في تلك اللغة ويكون شعوره شعور أهلها فيها لا ان يصيغ تراجم وينقل جملا . فتستدعي الأفكار والانفعالات للحال ما يحتاج اليه الطالب من الالفاظ التي يعبر بها عنها فتصير اللغة التي يتعلمها لغة ثانية له ولا تكون الترجمة من لغته أو اليها اذا دعت الحال حرفاً بحرف بل على طريقة تنقل بها الصورة الى التعبير عنها . وقلما يسمع المتعلم في معظم المدارس اليوم صدى اللغة التي يتعلمها ويقتضي له أن يربي عليها أذنه وذاكرته ما أمكن . وما أشبه المدرس وهو يشرح للدارس دروسه بلغته الاصلية الا بأم تود أن تعلم طفلها وهو ألكن تمام قواعد الفعل الماضي وتصريف الافعال الشاذة بدلاً من أن تعنى بتعليمه أن يحسن تلفظ الكلمات الاولى التي يحاول لفظها .

وما فتئ تعلم اللغات يختلف باختلاف الاجتهاد في كل قوم ومعظمه دائر في الغرب منذ ثلاثين سنة على طريقتين وهما اما أن يقيم المتعلم زمناً في بلد اللغة التي يريد تعلمها أو ان يكون أهل الطفل في سعة من العيش فيتخذون له مؤدباً أو مؤدبة يعلمه اللغة بالعمل بين ظهراني أهله وأسرته . وقد ابتدع الاستاذ برليتز الاميركاني طريقة سهلة لتعليم اللغات جرى عليها بعضهم في أميركا وأوربا فاسفرت عن نجاح أكيد . وطريقته عبارة عن نظر عقلي وعلم عملي وبلفظ آخر نظر في المحسوسات لا المجردات اذ اللغة عبارة عن أصوات محكية لا عن اشارات مكتوبة . والتعليم سماعي أولاً ثم نظري . ولا يعمد في طريقته الى الترجمة ولا الى النقل ولا يستخدم فيها الطالب معجماً ولا يستصحب كتاب قواعد بل يتعلم الانسان القوانين بعد لاكمال المعرفة العملية على نحو ما يتعلم الطفل لغة أبيه وأمه . وليس

في تعلم القواعد نفع حقيقي الا متى عرف المرء اللغة فالقواعد تشرح اللغة شرحاً علمياً فتبحث عن علل يتأتى الاستغناء عنها بادئ بدء وقلما تنفع في تلقين اللغة شأن مصور لا يحتاج الى اتقان العلوم الطبيعية والكيماوية ليصنع صوراً شمسية بديعة.

ما اللغة فى الحقيقة الا صورة محكية من الحياة فاقتضى في تعلمها أن يسير الانسان من نفس الحياة لا ان يعمد الى اشكال من التعبير لا تمس ولا تتحرك وقلما تتلاءم الالفاظ وصور الافكار بين لغة وأخرى كل التلاؤم فالبداءة بالترجمة الحرفية من لغة الى لغة يراد تعلمها اضاعة للوقت واتعاب للذهن على غير طائل. ومن العسر المتعذر ان يرسم المرء صورتين رسماً خفيفاً على حين لا يضع احداهما على الاخرى وكذلك الحال في اللغات فقد امتنع أن يحكم وضع لغتين بعضهما على بعض

واللغة بموجب هذه الاصول الجديدة عبارة عن محادثة دائمة باللغة الغريبة فكل ما يقع نظر التلميذ عليه مباشرة يكون له منه مادة درس وموضوع تعلم. وذلك بتربية الاذن والحواس الصوتية. فيلقن الاستاذ تلميذه حسن اللفظ وسرعة التركيب فيدرس الافعال الاولى بالاعمال والحركات يقوم ويذهب الى اللوح الاسود فيكتب ويفتح الباب ويرفع الكتاب ويضعه ثم تعرض على سمعه مشاهد الحياة اليومية فيسهل عليه تأليف جمل صغيرة يتزايد كل يوم عددها بسرعة. فيكون للتلميذ بهذه الطريقة فى تأليف الجملة ما يلزمه من أوليات القواعد والروابط. والامم بأسرها تتعلم لغاتها بالعمل أولا ثم بالنظر. فيتعلم المتعلم ما تمس حاجته اليه الى أن يكتب بدون غلط ويتعلم التلميذ أولا معاني الكلمات الغريبة ثم يلقن التمرينات العديدة بعد معرفة اللغة معرفة فطرية فمعرفة عقلية. ومن اللازم اللازب الاعتياد على الصور قبل القواعد. ثم يبدأ المعلم بالسؤال فيجيبه المتعلم ولا يزالان ينتقلان من البسيط الى المركب ومن شرح المفردات الى تفسير العبارات ويكون كل ذلك باللغة التي يراد اتقانها.

وللفظ فى هذه الطريقة المقام الاعلى. ولم يكن يعنى بتقويمه من قبل. والاساتذة الذين يحسنون التلفظ بلغة ما هم ممن تعلموها على الأسلوب الطبيعي في طفوليتهم أو أتقنوها بمقامهم في البلاد التي تتكلم فيها تلك اللغة. وجودة

التلفظ هو روح اللغة على التحقيق. ولا تعد العبارة شيئاً مهما بلغت من الضبط متى قبح اللفظ وتجلت اللهجة الأعجمية فيه عياناً. ومن الهجنة أن التلفظ لا يكاد يصلح اذا فسد لأول أمره * وصعب على الانسان ما لم يعود*

فالطريقة المشار اليها مغايرة لطريقة الترجمة المألوفة في الاغلب اذ كل معرفة يرشد اليها المتعلم على هذه الصورة لا تحسب ناقصة الجهاز مشوشة الاسلوب. وقلما تجد الالفاظ في لغة ما يقابلها في لغة ثانية ولكل لغة اصطلاحاتها الخاصة بها ليس للترجمة مهما أتقنت أن تنقلها على أصلها اذ التصورات التي تمثلها لغة لا تتحد مع تصورات تمثلها ألفاظ لغة أخرى اتحاداً ذاتياً معنى ومبنى. كتب أحد الغرباء الى فنيلون العالم الفرنسوي المشهور «أن لي منك يا مولاي امعاء والد» يريد أن يقول «قلب والد» وقال الفونس الثاني عشر ملك اسبانيا وقد جاء قصره في يوم احتفال: «أتود أن تتعب معي نحو النافذة» يعني بذلك أن تقترب نحو النافذة.

ولو تعلم ذاك الكاتب وهذا الملك ان يتكلما الافرنسية على طريقة الاستاذ برليتز اذاً لنجيا من هذا الغلط الشائن وكان شأنهما في سهولة التعبير وجودة التصوير شأن اولئك التجار والسوقة ممن ينزلون بلاداً لا يحسنون لغتها فما هو الا قليل حتى يمرنوا على تكلمها زمنا فيحسنونها ولا إحسان من تعلموها على دكات المدارس وهم يقلبون المعاجم ويتأبطون كتب نحوها وصرفها وبيانها ناقلين ناسخين مستظهرين ناسين. وطريقة برليتز هذه ان يستعمل اولاً اللغة المتعلمة خاصة وان يتابع التصور في اللغة الغريبة مباشرة بدون وساطة اللغة الاصلية وان تعلم أسماء الاعيان بقوة الحس وتعلم اسماء المعاني بتتابع التصور ويدرس النحو بالامثلة والشواهد

هذا مذهب الاستاذ برليتز في اتقان ملكة اللغات وقد انتقل من نيويورك الى باريز عام ١٨٨٩ فاسست في هذه العاصمة أول مدرسة على تلك الطريقة وانتقل هذا المذهب في تلك السنة الى انكلترا والمانيا فاسست في كل من لندن وبرلين مدارس لهذا الغرض. وما برحت مدارسها تتكاثر فى الاصقاع الاوربية حتى كانت في بدء هذه السنة ٢٤٢ مدرسة في أوربا وحدها وكلها أسفرت عن ارتقاء واقتصاد في الوقت والمال وطريقة القائمين بهذا الامر أن يكون لكل

تلميذ استاذه الخاص به فيأخذ هذا يعلم تلميذه ما يقع نظره عليه في قاعة الدرس من منضدة وكرسي وكتاب وباب ونافذة يلفظها بلغتها ولا يزال يكررها المتعلم حتى يتقن اللفظ فاذا نفدت المسميات لدى الاستاذ في الغرفة يعمد الى صور سهلة واضحة رسمت على صفحات مجموعة رسوم فما هو الا ان يتعلم التلميذ أسماء الاشياء الواقعة تحت حسه مع الالوان التي يمتاز بها كل منها ثم ينتقل الى صفات الحجم وافعال الحركات والاعداد . فاذا أنجز درس الاشياء يشرع المعلم في اختيار جمل يكون التلميذ قد عرف اكثر مفرداتها . فلا يمضي ثلاثون درساً الا وقد عرف التلميذ الافعال الشائعة في الاستعمال والمفردات التي تدخل غالبا في الاحاديث العامة ويتمكن في ستين درساً من بيان فكره أصح بيان في كل ماله علاقة بمجرى الحياة الاجتماعية العادي . ويحسن في اختيار المعلمين ان يكونوا ممن لا يعلمون لغة المتعلم .

ومما يضحك ماوقع لولد أحد كبار المنشئين الفرنسويين وكان يدرس الالمانية على طريقة برليتز قيل انه لما بلغ به المعلم الى تمييز الفعل المتعدي من اللازم لم يفهم التلميذ المراد من المتعدي واللازم وأخذ معلمه يشرحهما له بالاشارة تارة والتشبيه طورا فلم يفلح وكان تلميذه معه كاعجم طمطم لا يفهم ولا يفهم . وأبى الاستاذ على تلميذه أن يفسر له شيئاً بلغته مع إلحاحه عليه في ذلك وراح الطفل الى دار أبيه وقد بلغ منه الغيظ وأنشأ يقلب كتاب نحوه يفتش عن الاشكال فاهتدى بنفسه الى حله وشكا أمره الى والده فقال له : أي بني لقد أحسن الاستاذ أن أبى عليك شرح ما يريد تعليمك بلغتك ولو قاله لك لغرب عن ذهنك وأصبح لديك بعد زمن نسياً منسياً . أما الآن فاني على ثقة من انك لا تنسى التفرقة بين الفعل اللازم والمتعدي ولو بعد مئة سنة

قال الكاتب الذي عربنا عنه هذا المبحث وقد كاد أرباب الافكار والحصافة يجمعون على ان اللغات الحية لا تعلم كاللغات الميتة بل انه لابد في الاولى من المران على التكلم بها من أول وهلة وانه مامن لغة مهما تراءى من صعوبتها على المتعلمين بادىء بدء سواء كانت اللغة الروسية أو الهندية أو العربية أو الصينية الا ويتيسر اتقانها على طريقة برليتز في مدة تختلف باختلاف ذكاء المتعلم وصعوبة اللغة والله أعلم

باب الأخبار والآراء

مسلمو الصين . والاسلام في اليابان

في الصين عشرات من الملايين المسلمين هم أكثر أهل تلك المملكة الكبرى مالا وأعز نفرا — هم أكثر مالاً لأنهم أبرع في التجارة وأكثر اشتغالا بالصرف والدين بالربا الفاحش ويستحلون الربا على تشددهم بما يعرفون من دينهم لأن كتب الفقه الحنفي (كتب مذهبهم) تبيحه في دار الحرب . وهم أعز نفرا لشجاعتهم واتقانهم للفنون العسكرية فهم أقوى جيش الدولة وأمنع حماة الأمة . وقد أنشأوا يهاجرون الى اليابان بأموالهم وسلعهم لأجل الصرف والدين والتجارة بعد ما كانوا محجمين عنها لأنهم علموا أن اليابان تغيرت حالها بعد الحرب فصارت تحترم الغرباء وكانت تحتقرهم . واننا نتوقع أن يستفيد المسلمون من معاشرة اليابانيين الميل الى الأعمال الاجتماعية والعلوم العصرية فاننا نعرف عنهم أنهم لا يتعلمون الا قدر الحاجة من القراءة والكتابة والاحكام الفقهية ثم ينصرفون الى الأعمال المالية ان لم يدخلوا في أعمال الدولة العسكرية والادارية

ومن الغريب أن تظهر الدعوة الى الاسلام في اليابان من بعض مسلمي الصين دون مسلمي الهند أو الاستانة أو مصر . ولو كان مسلمو الصين على علم واسع بالاسلام لكانوا أحق بهذه الدعوة لأنهم أول من تستفيد منها وفائدة اليابان من الاتحاد معهم أعظم فانها بهم تستعمر مملكة ابن السماء (الصين) كلها وناهيك بمملكة تضم بين جوانحها أكثر من ربع البشر وما أرى أن مسلمي الصين يلاحظون هذه الفائدة اذ بلغني أنهم لا يحفلون بالسياسة بل لا يفكرون فيها وما أظن أن دعوة الشيخ حسان لهم الى الاسلام الا بباعث ديني وذلك — ان صح — خير من أن يكون بباعث سياسي فان من يدعو الى الدين لأجل السياسة لا يكون جديرا بالنجاح كمن يخلص في دعوته لله رب العالمين

المعروف عن الأمة اليابانية ان العلم قد هدى فضلاءها وزعماءها الى بطلان

الوثنية التي درجوا عليها وانهم يطلبون باستعدادهم الجديد دينا معقولا يتفق مع المدنية والعلم والعمران فهم يطلبون الاسلام ولا يجدون من يمثله لهم ونخشى أن يعجز الشيخ حسان الصيني عن اقناعهم فيظنون أن مبلغ علمه بالاسلام هو الاسلام فينصرفوا عنه الى غيره . فهل نجد في مسلمي هذه الديار رجلين أو ثلاثة قد استعدوا للدعوة الى الاسلام بفهم الكتاب والسنة وحكم التشريع ومواضع الشبهات على الدين ومسالك كشفها والقدرة على تمثيل الاسلام جامعا بين مصالح الدنيا والآخرة موافقاً لحال الناس فى عصر العلم والحضارة والصناعة عصر الكهرباء والبخار = يتركون وطنهم المحبوب ويسافرون الى اليابان لمساعدة أخيهم الشيخ حسان الصيني على الدعوة ؟ وهل نجد في أغنيائنا من يتبرع بشيء من فضل ماله لمساعدة هؤلاء الدعاة ان وجدوا أو لأجل ايجاد دعاة للاسلام يعلمون تعليماً خاصاً يساعدهم على ذلك ؟

يوجد فى المسلمين من يثق بدينه ولا يرتاب فيه أكثر مما يوجد في اليهود والنصارى ولكن الشاك في دينه من اليهود والنصارى يبذل في نشره ونصره مالا يبذل المسلم الموقن لأن المسلمين قد ضعفت فيهم الحياة الاجتماعية وغلبت عليهم الأثرة بعد ذلك الايثار الذي مدح الله سلفهم عليه بقوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» وانا لا نطمع بأن نرى من مساعدة جميع أغنيائنا على نشر دعوة الاسلام مثل ما تبذله جمعية غسالات ليون للمبشرين بالنصرانية وهي جمعية ألفتها غسالة في تلك البلدة الفرنسية من بنات حرفتها ورأس مالها الآن يبلغ ألوف الألوف .

نعم ان كثرة تعرض دعاة النصرانية في مصر للطعن في الاسلام قد وجه قلوب كثير من أهل الغيرة الى مسألة الدعوة فهم قد نفعوا المسلمين ولم يضروهم وان لم تفهم هذا جرائدنا التي طفقت تدعو الحكومة الى منعهم من الدعوة ونشر الكتب ولو كانت هذه الجرائد تحسن خدمة الاسلام لردت عليهم بما يدفع الشبه ويقوي استعداد المسلمين لمثل عملهم وأنى لها بذلك ؟ وانا لنرجو من المسلمين نهضة جديدة لدعوة دينهم الحق بالاستعداد والامداد ، والله الهادي الى سبيل الرشاد،

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر الجمعة غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٣ — ٢٦ يناير (ك٢) سنة ١٩٠٦ ﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٢٤٧ : ٢٤٩) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * (٢٤٨ : ٢٥٠) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي، إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ. فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * (٢٤٩ : ٢٥١) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * (٢٥٠ : ٢٥٢)

فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين (٢٥١:٢٥٣) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين

قوله تعالى ﴿ وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴾ يدل على أن بني اسرائيل لم يقتنعوا بما احتج به عليهم نبيهم من استحقاق طالوت الملك بما اختاره الله وأعده له وآتاه من سعة العلم وبسطة الجسم مايمكنه من القيام بأعبائه حتى جعل لذلك آية من العناية الإلهية به وهي عود التابوت اليهم . أما التابوت فهو صندوق له قصة معروفة في كتب اليهود . ففي الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج مانصه:

« وكلم الرب موسى قائلا كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة . من كل من يحثه قلبه يأخذون تقدمتي . وهذه هي التقدمة التي يأخذونها منهم . ذهب وفضة ونحاس وأسمانجوني وأرجوان وقرمز و بوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة . فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم . بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون . فيصنعون تابوتاً من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف . وتغشيه بذهب نقي ، من داخل وخارج تغشيه ، وتصنع عليه أكليلا من ذهب حواليه . وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربع على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثاني حلقتان. وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بهما . تبقى العصوان في حلقة التابوت لا تنزعان

منها . وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك . وتصنع غطاء من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف . وتصنع كروبين (١) من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفي الغطاء . فاصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروبا آخر على الطرف من هناك من الغطاء تصنعون الكروبين على طرفيه . و يكون الكروبان باسطين أجنحتهما الى فوق مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر نحو الغطاء يكون وجها الكروبين . وتجعل الغطاء على التابوت من فوق وفي التابوت تضع الشهادة التي أنا أعطيك »

هذا ماورد في كيفية الأمر بصنع ذلك التابوت الديني وذكر بعده كيفية صنع المائدة الدينية وآنيتها والمسكن والمذبح وخيمة العهد ومنارة السراج والثياب المقدسة وهي غرائب يعدها عقلاء هذه العصور ألاعيب والحكمة فيها والله أعلم ان بني إسرائيل كانوا ـ وقد استعبدهم وثنيو المصريين أحقاباً ـ قد ملكت قلوبهم عظمة تلك الهياكل الوثنية وما فيها من الزينة والصنعة التي تدهش الناظر وتشغل الخاطر فأراد الله تعالى أن يشغل قلوبهم عنها بمحسوسات من جنسها تنسب اليه سبحانه وتعالى وتذكر به فالتابوت سمي أولا تابوت الشهادة أي شهادة الله سبحانه ثم تابوت الرب وتابوت الله كذلك أضيف الى الله تعالى كل شيء صنع للعبادة . وهذا مما يدل على أن تلك الديانة ليست دائمة فلا غرو اذا نسخ الاسلام كل هذا الزخرف والصنعة من المساجد التي يعبد فيها الله تعالى حتى لا يشتغل المصلي عن مناجاة الله بشيء منها . وما كلفه ذلك الشعب الذي وصفته كتبه المقدسة بأنه صلب الرقبة أوكما تقول العرب « عريض القفا » على قرب عهده بالوثنية وإحاطة الشعوب الوثنية به من كل جانب لا يليق بحال البشر

(١) المراد بالكروب الملك أي صورته وعندنا ان الكروبين صنف من الملائكة

في طور ارتقائهم اذ لا يربى الرجل العاقل بمثل ما يربى به الطفل أو اليافع .

وفي سائر فصول سفر الخروج تفصيل لما قدمه بنو إسرائيل لصنع تلك الدار التي يقدس فيها الله ولصنع الخيمة والتابوت وغير ذلك وكيفية صنعها وغرضنا منها معرفة حقيقة التابوت عندهم فانك لتجد في بعض كتب التفسير وكتب القصص عندنا أقوالا غريبة منها انه نزل مع آدم من الجنة ومنشأ تلك الأقوال ما كان ينبذ به الاسرائيليون من القصص بين المسلمين مخادعة لهم

وفي آخر فصول سفر الخروج ان موسى عليه الصلاة والسلام وضع اللوحين اللذين فيهما شهادة الله أي وصاياه لبني إسرائيل في التابوت . وفي كتبهم الأخرى انه كان بعده عند فتاه يشوع أو يوشع وأنهم كانوا يستنصرون بهذا التابوت فاذا ضعفوا في القتال وجيء به وقدموه تثوب اليهم شجاعتهم وينصرهم الله تعالى أي ينصرهم بتلك الشجاعة التي تتجدد لهم باحضار التابوت لا بالتابوت نفسه ولذلك غُلبوا على التابوت فأخذ منهم عند ما ضعف يقينهم وفسدت أخلاقهم فلم يغن عنهم التابوت شيئاً كما قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

كانت حرب بين الفلسطينيين وبني اسرائيل على عهد عاليا أو عالي الكاهن فانتصر الفلسطينيون وأخذوا التابوت من بني اسرائيل بعد ما نكلوا بهم تنكيلا فمات عالي قهرا وكان صموئيل — الذي يدعى في الكتب العربية شمويل — قاضياً لبني اسرائيل من بعده وهو نبيهم الذي طلبوا منه أن يبعث لهم ملكاً ففعل كما تقدم وجعل رجوع التابوت اليهم آية لملك طالوت الذي أقامه لهم . وقالوا في سبب اتيان التابوت ان أهل فلسطين بعد أخذ التابوت ابتلوا بالفيران في زرعهم والبواسير في أنفسهم فتشاءموا

منه وظنوا أن آله اسرائيل انتقم منهم فأعادوه على عجلة تجرها بقرتان ووضعوا فيه صور فيران وصور بواسير من الذهب جعلوا ذلك كفارة لذنبهم

وأما قوله تعالى في التابوت ﴿ فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾ فقد كثرت فيه الروايات ومنها ما لا يدل عليه نقل ولا يقبله عقل على أنها متعارضة لا يمكن الجمع بينها كما ترى في تفسير ابن جرير ، وهو أم التفاسير ، وقد أوردنا ما أوردنا من كتب اليهود ليعلم أن اكثر ما ذكر عن التابوت وعما فيه من الغرائب لا أصل له في تلك الكتب . وحي الله تعالى ناطق بأن فيه سكينة والسكينة في اللغة ما تسكن اليه النفس ويطمئن به القلب وفي إتيان الصندوق سكينة لا تخفى لما كان له من الشأن الديني عند القوم او فيه نفسه سكينة وهي الفيران والبواسير الذهب تدل على خوف العدو أو الألواح او رضاضتها وهي هي البقية مما ترك آل موسى وآل هارون وروي عن عطاء نحو ما قلناه . قال ابن جرير وأولى هذه الاقوال بالحق في معنى السكينة ما قاله عطاء بن أبي رباح من الشيء تسكن اليه النفوس من الآيات . وقوله ﴿ تحمله الملائكة ﴾ يحتمل وجهين أحدهما أن المراد بالملائكة صور الكروبين وقد حمل أي وضع عليهما كما تقول في وصف القصور والتماثيل المصنوعة : فيها فلان الملك على فرس من نحاس : تريد تمثال الملك وتمثال الفرس . وثانيهما أن البقرتين اللتين حملتا التابوت من بعض بلاد الفلسطينيين الى بني اسرائيل كانتا تسيران بإلهام الملائكة . وفي كتب القوم أن البقرتين اللتين جرتا عجلة التابوت لم يكن لهما قائد ولا سائق وما يجري بإلهام لا كسب فيه للبشر وهو من الخير يسند الى إلهام الملائكة . روى نحو هذا ابن جرير قال حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد

الرزاق قال أخبرنا عبدالصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول وكل بالبقرتين اللتين سارتا بالتابوت أربعة من الملائكة يسوقونهما الخ وختم الآية بقوله تعالى ﴿ ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ قالوا يحتمل أن يكون هذا تتمة كلام نبي بني اسرائيل لهم أي إن في مجيء التابوت علامة أو حجة لكم تدل على عناية الله بكم واصطفائه لكم هذا الملك الذي ينهض بشؤونكم وينكل بأعدائكم فعليكم أن ترضوا بملكه ولا تفرقوا عنه ويحتمل أن يكون ابتداء كلام منه تعالى لهذه الأمة أي ان فيما أوحاه الله تعالى الى نبيه عليه الصلاة والسلام من هذه القصة لآية على نبوته اذ لولا الوحي لما كان يعرفها وهو الأمي الذي لم يقرأ ولم يتعلم شيئاً ولا كان يعرف ما انطوت عليه من العبرة والفائدة لا سيما ما يعتبر في الملوك من الصفات التي تؤهلهم للقيام بأعباء السياسة وأعمال الرياسة . وانما يكون ذلك آية بينة وعبرة نافعة لمن يؤمن بالله وآياته التي يؤيد بها أنبياءه ورسله عليهم السلام لذلك قيدها بالشرط الذي حذف جوابه لدلالة الكلام عليه

علم من السياق ان الغرض الأول من طلب القوم نصب الملك عليهم هو أن يتولى قيادتهم للقتال في سبيل الله ويثأر من أولئك الوثنيين الذين أخرجوهم من ديارهم وأبنائهم فكان المتوقع بعد بيان نصب الملك أن يذكر ما كان من شأنه في القتال وذلك ما بينه تعالى ذكره بقوله ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده ﴾ . فصل بالجنود انفصل بهم من مقامهم وقادهم لقتال أعدائهم ولما كانوا من قبل كارهين لملكه عليهم ثم أذعنوا من بعد وكان اذعان الجميع ورضاهم مما لا يمكن العلم به الا بالاختبار

والابتلاء أراد الله أن يبتلي هذا القائد جنده ليعلم المطيع والعاصي والراضي والساخط فيختار المطيع الذي يرجى بلاؤه في القتال ، وثباته في معامع النزال ، وينفي من يظهر عصيانه ، ويخشى في الوغى خذلانه ، فان طاعة الجيش للقائد وثقته به من شروط الظفر . وأحوج القواد الى اختبار الجيش من ولي على قوم وهم له كارهون أو كان فيهم من يكرهه فإذا وجد في الجيش من ليس متحدا معه يخشى أن يوضعوا خلاله يبغونه الفتنة ويسومونه الفشل . أخبر طالوت جنوده بأن سيمرون على نهر يمتحنهم به باذن الله فمن شرب منه فلا يعد من أشياعه المتحدين معه في أمر القتال الا أن يكون ما يشرب به قليلا فان الغرفة تؤخذ باليد مما يتسامح فيه ولا يراه مانعاً من الاتحاد به والاعتصام بحبله ، ومن لم يطعمه أي يذقه بالمرة فانه منه وهو الذي يركن اليه ويوثق به تمام الثقة فالابتلاء سيكون على ثلاث مراتب مرتبة من يشرب فيروى لا يبالي بالأمر وحكمه أن يتبرأ منه ومرتبة من يأخذ بيده غرفة يبل بها ريقه وهو مقبول في الجملة ومرتبة من لا يذوقه بالمرة وهو الولي النصير الذي يوثق باتحاده ، ويعول على جهاده ، قال تعالى ﴿ فشربوا منه الا قليلا منهم ﴾ ذلك أن القوم كانوا قد فسد بأسهم وتزلزل ايمانهم ، واعتادوا العصيان فسهل عليهم عصيانهم ، وشق عليهم مخالفة الشهوة وان كان فيها هوانهم ، ولم يبق فيهم من أهل الصدق في الايمان والغيرة على الملة والامة الا نفر قليل « وقليل من عبادي الشكور » والعدد القليل من أهل العزائم ، يفعل ما لا يفعل الكثير من ذوي المآثم ، كما يعلم من قوله تعالى ﴿ فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ﴾ أي فلما جاوز النهر طالوت هو والذين آمنوا معه ﴿ قالوا ﴾ أي الجنود وهم أولئك الذين شربوا منه الا قليلا منهم

﴿ لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ وجالوت هو أشهر أبطال أعدائهم الفلسطينيين وعربه النصارى الذين ترجموا سفر صموئيل الذي فيه القصة (جليات) ولا اعتداد بتعريبهم والعبارة تشعر بأن جنود الفلسطينيين كانوا أكثر من الاسرائيليين ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ وهؤلاء الذين يظنون أنهم ملاقوا الله هم الذين آمنوا وجاوزوا النهر مع طالوت وقد توهم بعض الناس أن الآخرين الذين شربوا من النهر لم يجاوزوه لأنه تعالى لم يذكرهم وظنوا أن القولين من المؤمنين الذين جاوزوا النهر قال ضعافهم لا طاقة لنا اليوم بطالوت وجنوده : وقال أقوياؤهم : كم من فئة قليلة الخ ثم اشتد بعضهم بعزيمة بعض وكان من أمر انتصارهم ما يأتي في الاية التي بعد هذه .

والعبارة لا تدل على أن الذين شربوا من النهر لم يجاوزوه وانما خص بالذكر الذين لم يشربوا لأنهم لم يتخلفوا عن طالوت لأجل الشرب فهم الذين جاوزوه معه مقترنين وهم الذين يعتدهم منه ويتبرأ من المتخلفين العاصين كما علم من قوله في الابتلاء . سياق الكلام فيمن فصل بهم من الجنود وابتلوا بالنهر وقد قال فيهم انهم شربوا الا قليلا ثم أعلمنا أن فريقاً منهم وصفهم بالمؤمنين جاوزوا النهر مع طالوت فعلمنا أنهم هم الذين أطاعوا ولم يشربوا كانوا معه لأنهم أظهروا الطاعة له ولم يشربوا ثم أخبرنا بقولين يصلح أحدهما لمعارضة الآخر ورده الأول أسنده الى ضمير الجماعة المحكي عنهم الذين قال فيهم انهم شربوا الا قليلا منهم ومثله يصدر ممن خالف القائد وجبن عن القتال ، والثاني أسنده الى الذين يظنون أنهم ملاقو الله وهو ينطبق على الذين أطاعوا القائد واتحدوا معه فلم يعصوا ويتفق مع وصف الايمان

الذي سبقه فعلمنا ان الجميع جاوزوا النهر وأن هذين القولين كانا بعد مجاوزته وان التصريح بمجاوزة المؤمنين منهم ليست للحصر وانما هي لبيان المعية والمصاحبة كأن القوم افترقوا عند النهر فسبق من لم يشرب والتف حول القائد وجاوز النهر معه وتخلف الآخرون قليلا للشرب والارتفاق بالماء ثم جاوزوا ولحقوا بالآخرين كما علم من محاورتهم معهم اذ ظهر أثر مافي نفس كل فريق منهما على لسانه . ومن بديع ايجاز القرآن أن يحذف الشيء ويأتي في السياق بما يدل عليه وأن يذكر القوم بوصف غير ما دل عليه الكلام أو يجعله في مكان الضمير لإفادة ان هذا الوصف المذكور هو السبب في الفعل أو الوصف الذي سيق الكلام لتقريره كما وصف الذين لم يشربوا بالايمان مرة وباعتقاد لقاء الله تعالي مرة أخرى فأعلمنا أن هذا الايمان والاعتقاد هما سبب طاعة القائد وترك الشرب وسبب الشجاعة والإقدام على لقاء العدو الذي يفوقهم عددا

هذا ما ظهر لي في بيان هذه العبارة ويؤيده ما رواه ابن جرير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : لما جاوزه هو والذين آمنوا معه قال الذين شربوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده : (قال ابن جرير) وأولى القولين في ذلك الصواب ما روي عن ابن عباس وقاله السدي وهو انه جاوز النهر مع طالوت المؤمن الذي لم يشرب من النهر الا الغرفة والكافر الذي شرب منه الكثير ثم التميز بينهم بعد ذلك برؤية جالوت ولقائه وانعزل عنه أهل الشرك والنفاق : الخ وفيه ذكر قول كل من الفريقين . ووسم من يقول بأنه لم يجاوز مع طالوت النهر الا أهل الايمان بالغفلة ورد عليه قوله .

وفي كتب اليهود ان الابتلاء بترك شرب الماء كان على يد جدعون

قبل قصة طالوت ويوردون ذلك بما لايليق بالله تعالى ولكنه يوافق ما بنيت عليه حوادث تاريخهم من كونها كلها عجائب وخوارق عادات لاشيء منها مبني على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري . ففي الفصل السابع من سفر القضاة مانصه :

« وقال الرب لجدعون ان الشعب الذي معك كثير عليَّ لأدفع المديانيين بيدهم لئلا يفتخر عليّ إسرائيل قائلا يدي خلصتني . والآن ناد في آذان الشعب قائلا من كان خائفاً ومرتعداً فليرجع وينصرف من جبل جلعاد فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفاً وبقي عشرة آلاف . وقال الرب لجدعون لم يزل الشعب كثيرا انزل بهم الى الماء فأنقيهم لك هناك ويكون أن الذي أقول لك عنه هذا يذهب معك فهو يذهب معك وكل من أقول لك عنه لايذهب معك فهو لايذهب . فنزل بالشعب الى الماء وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فأوقفه وحده وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب . كان عدد الذين ولغوا بيدهم الى فمهم ثلاث مئة رجل وأما باقي الشعب جميعاً فجثوا على ركبهم لشرب الماء . فقال الرب لجدعون بالثلاث مئة رجل الذين ولغوا أخلصكم وأدفع المديانيين ليدك وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد الى مكانه »

وقد علمت ان القوم خلطوا في تاريخهم وأن أكثره لايعرف كاتبه ومنه سفر صموئيل الذي فيه قصة طالوت وعبارته تدل على انه كتب بعد حدوث وقائعه فان الكاتب يذكر بعض الاشياء ويقول انها لاتزال الى الآن كأن الزمن كان كافياً لأن تندرس فيه جميع الرسوم والمعالم التي عهدت عند وقوع تلك الوقائع وانا نرى المؤرخين في زماننا يغلطون بما يقع في عهدهم غلطاً أبعد من هذا الغلط في اسناد الشيء الى غير فاعله(*) وتقديمه

(*) ذكرت بعض الجرائد اليومية المشهورة بمصر في تأبين الاستاذ الامام انه

أو تأخيره عن زمنه . وكما فات مؤرخي بني اسرائيل تحرير الوقائع والحوادث بالتدقيق فاتهم مافيها من العبر والحكم فأين ما نقلناه في تفسير هذه القصة عنهم مما تجده في عبارة القرآن من صنوف العبرة ، فالحق ماقاله الله تعالى في مسألة النهر وغيرها ولا يعتبر ماخالفه من أقوال سائر الكتب معارضاً له فيحتاج الى التوفيق أو الجواب كما تقدم في مقدمة تفسير هذه القصة والله أعلم وأحكم .

ستجد الكلام في غلب الفئة القليلة للفئة الكثيرة وعلى الصبر في آخر القصة

تتمة سيرة الاستاذ الامام

تابع لما في الجزء الرابع عشر

(مذهبه وطريقته في الاصلاح)

كان تغمده الله برحمته قد شرع في كتابة تاريخ لنفسه كتب في فاتحته مذهبه في الاصلاح مجملا وشرع بعدها في الفصل الاول وهو في أهله الذين نبت فيهم وتربى التربية الأولى معهم ولم يتمه (وقد جعلنا جميع ما كتبه من ذلك في الجزء الاول من تاريخه الذي يطبع الآن) فكلمته في تلك الفاتحة هي خير مانورده في بيان مذهبه بالاجمال

قال بعد البدء بالبسملة والحمدلة والصلاة والتسليم على خاتم المرسلين « وبعد فما أنا ممن تكتب سيرته ، ولا ممن تترك للاجيال طريقته ، فاني لم آت لأمتي عملا يذكر ، ولم يكن لي فيها الى اليوم أثر يؤثر ، حتى أكون لأحد منها قدوة ، أو يكون لأحد فيّ أسوة ، وهذا الذي أجد من استصغار أمري وخفاء أثري ، وظهور

اختفى بعد الثورة العرابية وجعلت الحكومة لمن يدلها عليه عشرة آلاف جنيه وانما ذلك عبد الله أفندي نديم الذي حكم باعدامه . هذا والثورة العرابية أشهر حوادث مصر والاستاذ الامام من أشهر رجال العصر

عجزي عن بلوغ مايرمي اليه فكري ويطمح اليه نظري ، كان يمنعني من ان اكتب شيئاً يتعلق بحياتي ، تعرض فيه بداياتي وشيء من أعمالي بعدها وصفاتي ، حتى أكون به باقيا عند من يطالعه بعد مماتي ، وكنت أقول: وقت أصرفه في حكمة أستفيدها ، خير من زمن أنفقه في قصة أستعيدها ، وما الذي عساه يبقى مني ، وأنا في قومي لم أترك مايؤثر عني ، »

ذكر بعدهذا ان بعض معارفه من الغربيين وغيرهم طالبوه بأن يكتب تاريخا لنفسه وألحوا في ذلك ثم قال

« لما تكرر الطلب في هذه الصور المختلفة رأيت أن الإضراب عن الإجابة اغراق في الخمول ، وتقصير في احترام رأي لم يشبه رياء ، ولم يحمل عليه الا قوة الظن بالفائدة في المطلوب ثم نظرت نظرة في نفسي وما كانت بدايتي ، وما نزعت اليه أثناء الطريق في سيري ، وما انتهيت اليه فيما تأخر من أيام عمري ، وقست جميع ذلك الى ماعليه الناس حولي ، فوجدت اختلافا قد يسهو عنه الغافل ، ولكن ربما ينتفع بملاحظته العاقل ،

« وجدت انني نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر ودخلت فيما فيه يدخلون ، ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على مايألفون ، واندفعت الى طلب شيء مما لا يعرفون فعثرت على مالم يكونوا يعثرون عليه ، وناديت بأحسن ماوجدت ودعوت اليه ، وارتفع صوتي بالدعوة الى أمرين عظيمين (الأول) تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الأولى ، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم ، باعثا على البحث في أسرار الكون ، داعيا الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبا بالتعويل عليها في آداب النفس واصلاح العمل ، وكل هذا أعده أمرا واحدا . وقد خالفت في الدعوة اليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة — طلاب علوم الدين ومن

على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم ،

« أما الامر الثاني فهو اصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ أو مترجما من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس . وكانت أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب الخ

(ثم قال) « وهناك أمر آخر كنت من دعاته والناس جميعاً في عمى عنه وبعد عن تعقله ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية وما أصابهم الوهن والضعف والذل الا بخلو مجتمعهم منه وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة . نعم كنت فيمن دعا الامة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الامة التي لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرنا — دعوناها الى الاعتقاد بأن الحاكم وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم ، وأنه لا يرده عن خطأه ولا يقف طغيان شهوته ، الا نصح الامة له بالقول و بالفعل

« جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه * والظلم قابض على صولجانه * ويد الظالم من حديد * والناس كلهم عبيد له أي عبيد *

« نعم انني في كل ذلك لم أكن الامام المتبع ، ولا الرئيس المطاع ، غير أني كنت روح الدعوة ، وهي لاتزال بي في كثير مما ذكرت قائمة ولا أبرح أدعو الى عقيدتي في الدين ، وأطالب باتمام الاصلاح في اللغة — وقد قارب — أما أمر الحكومة والمحكوم فتركته للقدر يقدره ، وليد الله بعد ذلك تدبره ، لأنني قد عرفت أنه ثمرة تجنيها الامم من غراس تغرسه وتقوم على تنميته السنين الطوال ، فهذا الغراس هو الذي ينبغي ان يعنى به الآن ، والله المستعان ، » اه المراد

وذكر بعده اصابته ونجاحه في بعض الأمور واخفاقه في بعضها

علم من عبارته ان الإصلاح الذي دعا اليه ديني وأدبي وسياسي وأنه ترك الاخير بعد طول الاختبار ويؤيد ذلك ما يؤثر عنه من القول في ذم السياسة كقوله: مادخلت السياسة في عمل الا أفسدته: وقوله في مقالات الاسلام والنصرانية

« فان شئت أن تقول ان السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فانا معك من الشاهدين . أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يُجَنّ أو يعقل في السياسة ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس »

ترك السياسة التي هي مقاومة الاستبداد والحكم المطلق ومحاولة تغيير شكل حكومة بقوة رعية . وأما السعي في اصلاح حكومة بلاده باقناع حكامها وأولي الأمر فيها بما فيه خيرها ومصلحتها وإرشاد رجال الشورى من الأمة الى طرق السداد في قوانين الحكومة ومسالك الإقناع لما يظهر بالمشاورة أنه الصواب فهو لم يتركه بل كان يصرف فيه أكثر أيام حياته ، وهو ليس من السياسة التي حكم بإفسادها للأعمال ، وإبطالها للأماني والآمال ،

ترك السياسة خيرها وشرها ، ولكنها — قاتلها الله — لم تتركها من ضرها ، فقد كان يناجي ربه على فراش الموت برمل الاسكندرية والسياسة تنقب في سواحل بيروت باحثة عنه معتقدة بما أوحى اليها شياطين الجواسيس انه جاء بيروت متنكراً ليزيل سلطة ابن عثمان ويديل منها سلطة جديدة لأحد أبناء عليّ ، وتعدت بشرها الى بعض من قيل لها انهم من محبيه في تلك البلاد فاتهمتهم بالجرائم بل وبالجنايات السياسية وعاقبت بعضهم ولا تزال تعاقب بعضاً وكان أشدهم عقوبة أقواهم براءة ، وان أقواهم تهمة لأظهر براءة من الامام نفسه إذ اتهم بأنه متنكر في بيروت أيام كان يعالج الموت في رمل الاسكندرية . أفلا يكون رضي الله عنه جديراً بالاستعاذة من شيطان السياسة الذي هو شر من شيطان الوسوسة وأشد ضرراً؟ بلى . ولولا معارضة السياسة لَعملَ الرجل للإسلام في هذه البلاد ما يتمناه الاسلام في جميع البلاد ، على ان السياسة ما قويت عليه نفسه بل كان الله ناصره لنصره دينه فكلما كادت له تلك الماكرة كيداً رد الله كيدها في نحرها فتنثني وقد زادت شهرة الرجل بما كانت تحاول من إخفاء ذكره، وعرف الناس بعض ما كانوا يجهلون من فضله ، فما أضرته ولكنها أضرت الأمة بتأخير الإصلاح ولا أقول

بمنعه فإن البذور التي ألقاها قد نبتت فكانت زرعاً أخرج شطأه ولا يلبث أن يستوي على سوقه ويجود بثمره فيغيظ المفسدين في الأرض، ويطلق ألسنة التاريخ بلعن محاولي قلعه الى يوم العرض

هذا ما يتسع له المنار من ذكر مذهبه في الإصلاح مجملا وموعدنا بالتفصيل التاريخ الذي نشتغل بطبعه الآن

﴿ آماله وامانيه ﴾

كان أمله في الإصلاح محصورا في الأزهر فكان عازما على توسيع دائرة العلوم والعرفان فيه وعلى إيجاد طوائف من الإخصائيين الذين يتقنون علما واحدا يكونون فيه مرجعا . وكان يودّ ان يبدأ بايجاد طائفة للقضاء الشرعي وطائفة تستعد للدعوة الى الاسلام ، وأخرى للخطابة ووعظ العوام ،وأهل الأزهر لا يزالون بمعزل عن العالم فهم لا يشعرون بشيء مما وراء جدران الأزهر ويا ليتهم كانوا يعرفون حقيقة جميع ما يرون في ذلك المحيط فالاستعداد فيهم لقبول الاصلاح ضعيف ولمقاومته قوي الا ان يكون من جانب السلطة لذلك لجأ الرجل الى الامير وطلب إسعاده على إصلاح الأزهر وكان نجاح الاصلاح بقدر ذلك الاسعاد

﴿ مدرسة كلية ﴾

ولما ضعف أمله في الأزهر منذ ثلاث سنين فكر في إنشاء مدرسة كلية في القاهرة تغني عنه في تخريج رجال يخدمون الملة والأمة فاستمال أحمد باشا المنشاوي ونفخ فيه من روحه حتى عزم الرجل على تأسيس المدرسة بماله وإيقاف أرض واسعة عليها تكفي لنفقاتها ولكن المنية اخترمته عند الشروع في الاستعداد بارشاد الاستاذ الامام . وقد قضت الحوادث بعد موت المنشاوي ان يستقيل من مجلس ادارة الأزهر ويتركه الى أن يفعل الزمان فيه فعله ، ويعده لما خبيء في الغيب له ، وعند ذلك قويت العزيمة على انشاء المدرسة الكلية وبعد التروي وطول التشاور مع أهل الغيرة والاخلاص وضع المشروع للاشتغال بانشاء الكلية في هذا الشتاء كما قلنا في جزء سابق وان ما خسرنا بموت هذا الرجل العامل لم يدع في نفوسنا مكانا للحسرة على الحرمان من هذا العمل

﴿ جريدة يومية ﴾

وكان في عزمه السعي فى انشاء شركة تنشىء جريدة يومية في القاهرة تختار لها طائفة من الكتاب الإخصائيين ينفرد بعضهم فى بيان ما عليه المصريون في المدن والقرى والمزارع من العادات والتقاليد والاعتقادات و بعضهم في المسائل الاقتصادية والزراعية و بعضهم في الموضوعات العلمية والأدبية. ويوضع لهم قانون لايتعدونه ومن أحكامه الاقتصار في المسائل السياسية والاخبار الصادقة على ما فيه العبرة والفائدة لأهل البلاد، وعدم المدح والذم الشعري، وقبول الانتقاد على ماينشر فيها من كل كاتب أديب، ومنها أن يرجع في بيان جميع المصالح ذات البال الى مايقرره مجلس ادارة الجريدة بالمشاورة فلا يكون ماينشر فيها عبارة عن رأي رجل واحد ومثالا يتذبذب مع ميله وهواه، ومنها أن لاتكون الجريدة خصما لجريدة أخرى. كنت ممن يلح عليه بهذا السعي منذ سنتين واخترت لهذا العمل من الكتاب المجيدين المعتدلين من رضي بهم وكاشفنا كثيرين من الكبراء والفضلاء في ذلك واخترنا منهم أعضاء لمجلس الادارة وضعت تقديرا تمهيدياً لانشاء المطبعة ونفقات العمل. ولو بقي الامام حيا لرجونا أن يبرز هذا العمل في هذا الشتاء وان خسارتنا بفقده لاعظم من كل خسارة

(السياحة في الشرق)

كان من نيته الحسنة احسن الله مثوبته — أن يسيح في بلاد الهند وبلاد الفرس وبلاد روسيا الاسلامية ليختبر حال المسلمين بالفعل في الشرق كما اختبرها في الغرب والوسط فيعرف مايصلح لجميع شعوب المسلمين من التربية والعمل وما يصلح الآن لبعض دون بعض ولا حاجة الى شرح ما وراء هذا الاختبار لو كان

﴿ تفسير القرآن * وتاريخ الاسلام ﴾

كان صاحب هذه المجلة قد اقترح على الاستاذ الامام ان يكتب تفسيرا للقرآن في رمضان سنة ١٣١٥ اي قبل الشروع فى انشاء المنار وذلك بعد ان اقترحت عليه قراءة درس في التفسير تردد فيه ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور. زرته

في يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من الشهر فقرأ لي عبارة من كتاب فرنسي يطعن في الاسلام وطفق يرد عليها واحتاج في الرد الى الكلام في تفسير «رب العالمين» فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان يفسر فاقترحت ذلك عليه وانني اذكر هنا شيئا مما كتبته يومئذ في مذكرتي عن ذلك الاقتراح وهو:

«قلت لو كتبت تفسيرا على هذا النحو تقتصر فيه على حاجة العصر وتترك كل ماهو موجود فى كتب التفسير وتبين ما أهملوه .. فأجاب ان الكتب لا تفيد القلوب العمي فان دكان السيد عمرا الخشاب مملوءة بالكتب من جميع الفنون وهي لاتعلم شيئاً منها .. لاتفيد الكتب الا اذا صادفت قلوباً عاملة بوجه الحاجة اليها تسعى في نشرها. اذا وصل كتاب الى أيدي هؤلاء العلماء وفيه غير مايعلمون لا يعقلون المراد منه واذا عقلوا شيئاً منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه صرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربهم كما جروا عليه في نصوص الكتاب والسنة التي نريد بيان معناها الصحيح وما تفيده. ان الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته في الكلام كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع أن يسأله عما يخفي عليه منه فاذا كان مكتوباً فمن يسأل؟ ان السامع يفهم من كلامه المتكلم ٨٠ فى المئة والقارئ لكلامه يفهم ٢٠ في المئة على ماأراد الكاتب. مع هذا كنت أقرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الأزهر و بعض طلبة المدارس الأميرية وكنت أذكر كثيرا من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم، وكان من حقها أن تكتب وما علمت أحدا كتب منها شيئاً خلا تلميذين قبطيين من مدرسة الحقوق وكانا يراجعانني في بعض مايكتبان. وأما المسلمون فلا.. قرأت تفسير سورة العصر في ستة أو سبعة أيام وكان كل درس لا يقل عن ساعتين أو ساعة ونصفا بينت فيها وجه كون نوع الانسان في خسر الا من استثنى الله تعالى وما المراد بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر الى غير ذلك مما لو جمع لكان رسالة حسنة في تفسير السورة وما علمت أحدا كتب منه شيئاً الا أن يكون عبد العزيز (المتبادر انه يريد عبد العزيز افندي محمد القاضي في المحاكم الأهلية لهذا العهد وكان يومئذ

تلميذا في مدرسة الحقوق)

« قلت له انه يوجد كثير من المتنبهين لحال العصر والاسلام في البلاد المتفرقة وكثير منهم انما نبههم (العروة الوثقى) فأجاب بجواب طويل حاصله أن حال المخاطب تؤثر في نفسه وأنه يعسر أو يتعذر عليه إلقاء الحكمة الى كل أحد

« قلت ان الزمان لا يخلو ممن يقدر كلام الاصلاح قدره وان كانوا قليلين فالكتابة تكون بمثابة مرشد لهم فى سيرهم وان الكلام الحق وإن قل الآخذ به والعارف بشأنه لكنه بحسب ناموس الانتخاب الطبيعي لابد أن يحفظ و ينمو بمصادفة المباءة المناسبة له كما حفظت العروة الوثقى فان أوراقها الأصلية الضعيفة قد بليت ولكن مافيها من المقالات البديعة المثال والفوائد العظيمة حفظت في الطروس والنفوس : ثم أطلنا القول فى العروة الوثقى»

نقلت بعض ما كتبت يومئذ بنصه لما فيه من بيان رأيه رحمه الله وتأثره باستعداد المسلمين في ذلك الوقت . وكنت أذكر له وجوب الكتابة في التفسير كلما سنحت لي الفرصة وكان خلاصة رأيه أنه ينبغي أن يكتب تفسير لبعض القرآن لا لجميعه بأن تفسر الآيات التي قصر المفسرون في بيان حكمها وأسرارها لاسيما مايتعلق منها بروح الدين من الهداية والتهذيب وأمور الأمم الاجتماعية.

ثم شرع في قراءة التفسير بالأزهر وكان ذلك في غرة المحرم سنة ١٣١٧ وقبل شروعه كتبت مقالة في المؤيد عنوانها (القرآن) بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتداء به وأن كتب التفسير غير كافية لذلك وان الاستاذ سيقرأ التفسير على ذلك الوجه فانتشر الخبر وعلم الناس فأقبلوا على تلك الدروس إقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين فى هذا العصر تبين به ان الاستعداد للاصلاح ينمو وكان ذلك الدرس أعظم ما خدم به الأزهر والاسلام كما كانت قراءته لأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز أنفع ماخدم به اللغة العربية هناك

عين مفتياً للديار المصرية في الشهر الذي شرع فيه بقراءة التفسير فظننت كما ظن هو أن هذا المنصب ليس فيه عمل يستغرق الوقت! وطمعت في وجدانه فرصة يكتب فيها تفسيرا على طريقته في الدرس فلما رأيت الأعمال قد كثرت وفتح

لها من منصب الافتاء أبواب جديدة شرعت في كتابة التفسير على تلك الطريقة كما اقترح علي بعض اهل العلم والفضل. وكنت في البداية لا أكاد أزيد على خلاصة ما يقرره فى الدرس الا قليلا اذ لم يكن في نيتي تجريد ما يكتب منه في المنار وجعله كتاباً مستقلا . ثم رأيت من الواجب بسط القول وطبع التفسير على حدته عند سنوح الفرصة ففعلت بإجازته رحمه الله تعالى واستحسانه . فكان المختصر نصف الجزء الأول من سورة البقرة عرضته عليه بعد ذلك فقرأه وزاد فيه ما رأى حاجة الى زيادته ومنها ايضاح الكلام في الملائكة وأجاز باقي ما كتبناه كما هو فكأنه هو الذي كتبه .

رأى رحمه الله تعالى ان هذا التفسير الذي ننشره على طريقته التي تلقيناها عنه ونودعه اختياره وفهمه للآي وفقهه في القرآن هو الضالة المنشودة وانه لا حاجة معه الى أن يكتب هو بيده تفسيرا ولكنه كان عازماً على تأليف كتاب يكون مقدمة لهذا التفسير يبين فيها حاجة البشر الى ما في القرآن من الاصلاح العظيم، والهدي القويم ، على طريقة رسمها ، وأعدّ لها عدتها، واني لأرجو من عناية الله وفضله أن يوفقني لوضعها على الوجه الذي فصله لي تفصيلا ، وأن يحقق أمله فى هذا العاجز بإقداره على اتمام التفسير فانه قد صرح بهذا الأمل وبآمال أخرى من جنسه « وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب»

ذلك أمله في التفسير ومقدمته وأما تاريخ الاسلام فقد كان عزم على تأليف كتاب فيه بعد أن أتم تدريس كتاب (دلائل الاعجاز) وكان قد كثرت الاقتراحات عليه فى اختيار ما يقرأ بعده في وقته ومنها اقتراح السيد علي البلاوي شيخ الأزهر لذلك العهد (رحمه الله تعالى) أن يقرأ تاريخ الاسلام اذ لا يقدر على ذلك غيره ورأيته نور الله مضجعه يعتذر بأنه لا يوجد عند المسلمين تاريخ ديني فيدرس فعززت رأي شيخ الأزهر رجاء أن يكتب هو ما يقرأ فما كان الا أن شرح الله صدره وعزم على أن يكتب فنطبع ما يكتب كراساً بعد آخر وهو يدرسه في الازهر ـ التدريس يتبع الطبع والطبع يتبع التأليف. ولكن حال دون ذلك ما كان من الاحداث فى مقاومة الاصلاح التي انتهت باستقالته من ادارة الازهر في إثر استقالة شيخ الازهر وحرم الاسلام بتلك الفتن « أو الشغب » كما قيل من هذه الخدمة الكبرى التي

يعز علينا أن نجد عنها عوضاً ولكن ماخسرناه بوفاة الرجل أعظم والأمر لله العلي الكبير

تلك أقرب آمال الرجل في خدمة دينه وأمته واما آمال الامة فيه فقد كانت عظيمة تتناول المصالح العامة والخاصة فكم من غيور على ملته و بلاده كان في نفسه أن يقوم بأعمال نافعة بارشاد من فقدنا واسعاده ، وكم من متعلم ذكي كان يود أن يضع كتباً نافعة بهديه وامداده ، وكم من عامل كان يرجو الرقي في عمله بجاهه وشفاعته، وكم من عائل كان ينتظر الاستغناء بكرمه ومساعدته، وقد ماتت بموته أكثر هاتيك الآمال، وانقطع الرجاء من أكثر تلك الاعمال

وقد أشار الى تلك الآمال في ابيات قالها قبل موته اذ كان أشيع خبر موته قبل الوفاة بأيام فبلغه ذلك فجالت نفسه في آماله وامانيه للامة وآمال الناس فيه فجاش في نفسه الشعر فأنشد

ولست أبالي أن يقال محمد ... أبلّ ام اكتظت عليه المآتم(١)
ولكنه دين أردت صلاحه ... أحاذر أن تقضي عليه العمائم(٢)
وللناس آمال يرجّون نيلها ... اذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيارب ان قدرت رُجعى قريبة ... الى عالم الأرواح وانفضّ خاتم(٣)
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا ... رشيدا يضيء النهج والليل قاتم
يماثلني نطقاً وعلماً وحكمة ... ويشبه مني السيف والسيف صارم

(١) أبلّ المريض شفي من مرضه واكتظت المآتم امتلأت وازدحمت بالناس والمآتم جمع مأتم وهو مجتمع الناس في الحزن وهو في أصل اللغة عام في الحزن والفرح ثم غلب على جماعتهن في المصائب ثم نسيت هذه الغلبة (٢) قضاء العمائم على الدين قد يكون بعداوتهم للعلوم والفنون التي هي قوام الدول والامم باسم الدين فيكون المشتغلون بها بعداء عن الدين معتقدين انه آفة العمران واصحاب العمائم عاجزين عن الجمع لهم بين مصالح الدنيا والدين حتى يترك بالمرة الا من افراد لا تقوم له بهم قائمة (٣) انفضاض الخاتم عبارة عن مفارقة الروح للبدن وهي من اشارات الصوفية

قال هذه الابيات مرة واحدة في حال مؤثرة من غير روية ولا تفكر وكتبها عنه أخوه حموده بك ومصطفى بك الباجوري ولم أكن حاضرا فلما جئت قال لي: قد جاش في نفسي الشعر في غيبتك كأنني لا أقول الشعر الا في الحبس أو المرض:- يشير الى تلك القصيدة التي نظمها في السجن أيام الحوادث العرابية — وأنشدني الأبيات فكتبتها على هذا الوجه وقد وصلت الى الجرائد فنشرتها وذكرت البيت الثاني هكذا

ولكن ديناً قد أردت صلاحه ... أحاذر أن تقضي عليه العمائم

ثم قال انه خطرت له أبيات أخرى بعد ذلك وأنشدنيها فكتبتها ورأيته قد ترك فيها ألف التأسيس كأنه نسيه أو أذهله عنه المرض وهذه الأبيات في وصف المرشد الذي طلبه في دعائه ذكر منها بيت واحد في بعض الجرائد الاسبوعية محرفاً فأذكره صحيحاً وهو

ويخرج وحي الله للناس عارياً ... عن الرأي والتأويل يهدي ويلهم

هذا مجمل ما يتسع له المنار من سيرة هذا الامام الجليل وأخلاقه ومآثره وأما خلقه فقد كان ربعة بادنا متماسكا قوي العضل أسمر اللون براق العينين جهوري الصوت مهيب الطلعة عظيم الهامة قال مختار باشا الغازي لو وزن دماغ هذا الرجل لرجح بكل مخ عرف من عظماء الرجال فيما أظن وانني لآسف على عدم وزنه اذ لو تحقق ظني لكان من الفخر العظيم لنا ان كان أكبر دماغ عرف في البشر منا : وقد كان في شبابه من أفراد الناس في قوة العضل حتى انه دفع حصانا جامحاً فأرجعه الى الوراء حتى وقع على عقبه . ولكنه كان مع ذلك كثير الأسقام ومبدأ ذلك تسمم صديدي أصابه فغاب عن الوجود أكثر من شهر لا يحس ولا يعي بل كان جسمه يتصبب عرقاً وبعد أن شفي منه كان يعاوده في كل سنة كما كان يعاود النبي صلى الله عليه وسلم سم أكلة خيبر كل عام ، واعترته أمراض أخرى أضعفت من قوته ولم تضعف من همته وعزمه وحزمه حتى لقي ربه تغمده الله برحمته ورضوانه . وأسكنه فسيح جنانه . ونفعنا والمسلمين بل وسائر العالمين بسيرته وعلمه آمين

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله.

﴿ تتمة أجوبة الاسئلة الدمياطية ﴾

﴿ ٤ و٥ — حضور مريم وسارة وآسية مولده (ص) ﴾

(ج ٤٥) أورد في المواهب الاثر الذي فيه بيان ان أولئك النسوة الطوال اللواتي جئن آمنة عند ولادتها هن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وبعض الحور العين وقال: « وهو مما تكلم فيه » أي طعنوا في سنده وكم من حديث ضعيف يورده صاحب المواهب ولا ينبه الى طعن المحدثين فيه فلولا أن هذه الرواية من أوهى الروايات لما قال انهم تكلموا فيها وحسبك أن السيوطي لم يذكرها في الخصائص ولا أبو نعيم في الدلائل، فلا حاجة الى ذكر سند من رواها وتفصيل القول في جرح رجاله

(ج ٤٦) وأما ما قاله ذلك الرجل في اختلاف العلماء في أمر آسية فهو من الخرافات التي لا قيمة لها عند أهل النقل، وهي مما ينبذه العقل، نعم ذكر في بعض كتب التفسير التي تعنى بنقل القصص أن الله تعالى رفع امرأة فرعون الى الجنة وعزوا هذا القول الى الحسن البصري وهو كما قال الألوسي لا يصح بل هو كذب من القصاصين على الحسن

(٦ ولادة الانبياء)

(ج ٤٧) ماذكره في ولادة الانبياء جهل قبيح لا شبهة عليه من كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا تابعي ولا فقيه مجتهد ولا عالم ولا محدث ولا مؤرخ يعتد به وقد روى المحدثون كل ماقيل في ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صحيح وضعيف ومنكر وموضوع ولم تخطر هذه الفرية على بال أحد منهم فهي

خرافة من مفتريات الجاهلين الذين يتوهمون ان الانبياء منزهون عن الامور البشرية وان الولادة كما يولد الناس نقيصة لا تليق بهم. وليت شعري كيف تكون الولادة المعتادة نقيصة لمن أودع في هذا الرحم نطفة ثم كان علقة ثم كان مضغة ثم نما في بطن أمه بدم الحيض؟ أم يقول هؤلاء الجاهلون انهم لم يحمل بهم كما حمل بغيرهم فلم يكونوا من نطف آبائهم ولا من بيوض ودماء أمهاتهم؟ ان كانوا يقولون ان هذه السنة الالهية في الحمل والولادة نقيصة فقد انكروا ماذكر الله من خلق الانسان في أحسن تقويم. ولم يحسن في نظرهم قوله تعالى بعد ذكر اطوار الحمل « فتبارك الله أحسن الخالقين » ومن العجائب أن يمكن ذلك الجاهل من الكلام على الناس في المسجد فيكفر المسلمين سلفهم وخلفهم إذ لم تخطر هذه الخرافة على بال أحد منهم ويجعل الاسلام والايمان من خصائص من اقترى هذه الخرافة ومن صدق بها من الجاهلين

(٦ حياة الانبياء في قبورهم)

(ج ٤٧) لهذه المسألة أصل في الروايات المنقولة ولكن ما أورده لا يصح منه شيء لاسيما الخبر الأول وأنا أذكر هنا أشهر ماورد في هذا الباب من الاحاديث

(الحديث الاول) عن أوس بن أوس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه « ومن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة عليّ » قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت قال « ان الله عز وجل حرّم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء » رواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وحياة الانبياء وغيرهما من كتبه وأبو داود والنسائي والطبراني في معجمه وابن حبان وابن خزيمة والحاكم في صحاحهم فصححه بعضهم وتبعهم النووي في الاذكار وحسنه آخرون منهم المنذري. لكن قال الحافظ السخاوي بعد ما أورد تصحيحهم وتحسينهم « قلت ولهذا الحديث علة خفية وهي ان حسينا الجعفي رواه أخطأ في اسم جد شيخه عبد الرحمن بن يزيد حيث سماه جابرا وانما هو تميم كما جزم به أبو حاتم وغيره وعلى هذا فابن تميم منكر الحديث ولهذا قال أبو حاتم

ان الحديث منكر وقال ابن العربي انه لم يثبت: لكن رد هذه العلة الدارقطني وقال ان سماع حسين من ابن جابر ثابت والى هذا جنح الخطيب والعلم عند الله تعالى. ثم نبه على ان ابن ماجه سمى الصحابي في كتاب الصلاة من سننه شداد ابن أوس وذلك وهم نبه عليه المزي وغيره ووقع عنده في الجنائز على الصواب

(الحديث الثاني) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلي عليّ الا عرضت عليّ صلاته حين يفرغ منها» قلت وبعد الموت قال «وبعد الموت ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء فنبي الله حي يرزق» رواه ابن ماجه لكن بسند منقطع والطبراني في الكبير بلفظ قريب من لفظ ابن ماجه وليس فيه «ونبي الله حي يرزق» وكذلك النميري بلفظ آخر. قال الحافظ العراقي ان اسناده لا يصح

(الحديث الثالث) عن أنس (رض) رفعه «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» أخرجه البيهقي في حياة الانبياء من طريق يحيى بن أبي بكر عن المستلم بن سعيد عن الحجاج بن الأسود وهو ابن أبي زياد البصري عن ثابت البناني عنه، ومن طريق الحسن بن قتيبة عن المستلم. وأخرجه أبو يعلى والبزار من الوجه الأول والبزار وابن عدي من الثاني والحسن ضعيف. قال السخاوي وأخرجه البيهقي أيضاً من رواية محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن ثابت بلفظ آخر قال «ان الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في في الصور.» قال ومحمد سيئ الحفظ اهـ أقول حديث أنس هذا رواه ابن حبان وقال باطل وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقواه في اللآلئ بشواهده

وهذه الاحاديث الثلاثة هي عمدة القائلين بحياة الاجساد ولم يصرح بها الثالث.

وهناك روايات أخرى في ان الصلاة والسلام عليه يبلغهما ملك أو ترد روحه فيعرض عليها ذلك ونذكر اشهرها

(الحديث الرابع) عن عمار بن ياسر (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لله ملكاً أعطاه الله أسماع الخلائق فهو قائم على قبري اذا مت فليس أحد يصلي عليّ

صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان بن فلان»: الحديث رواه أبو الشيخ ابن حبان وأبو القاسم التيمي في الترغيب والحارث في مسنده وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير والبزار في مسنده وغيرهم وفي سند الجميع نعيم بن ضمضم وفيه خلاف عن عمران قال المنذري لا يعرف قال السخاوي بل هو معروف لينه البخاري (أي قال في حديثه لين أي ضعف ما) وقال لا يتابع عليه وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال صاحب الميزان أيضاً لا يعرف. هذا كلامهم في عمران وحسبك قول البخاري بلينه وعدم متابعته وأما نعيم بن ضمضم فقد قال الذهبي في الميزان ضعفه بعضهم وقال الحافظ ابن حجر انه لا يعرف لأحد فيه قولا غير قول الذهبي هذا

(الحديث الخامس) عن أبي امامة الباهلي (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا بها ملك موكل حتى يلقيها: رواه الطبراني في الكبير من رواية مكحول عنه وقد قيل انه لم يسمع منه وروى له عن مكحول موسى بن عمير وهو الجعدي الضرير كذبه أبو حاتم

(الحديث السادس) عن أبي هريرة (رض) رفعه: من صلى علي صلاة جاءني بها ملك فأقول أبلغه عني عشرا وقل له لو كانت من هذه العشر واحدة لدخلت معي الجنة كالسبابة والوسطى وحلت لك شفاعتي ثم يصعد الملك ينتهي الى الرب الخ ولا حاجة الى ذكره كله وهو مكذوب أخرجه أبو موسى المديني قال السخاوي وهو موضوع بلا ريب. ومثله حديث معاذ الذي فيه: ووكل بقبري ملكا يقال له منطروس رأسه تحت العرش الخ قال السخاوي أخرجه ابن بشكوال وهو غريب منكر بل لوائح الوضع لائحة عليه: وانما ذكرت أمثال هذا الحديث لئلا يغتر بها من يراها في الكتب التي لا يعرف مؤلفوها الحديث

(الحديث السابع) عن ابن مسعود (رض) رفعه «ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام» رواه أحمد والنسائي والدارمي وأبو نعيم والبيهقي والخلعي وابن حبان وقال الحاكم صحيح الاسناد ولعل هذا أقوى ما في الباب وان كان الحاكم يتساهل في التصحيح حتى انه صحح بعض الاحاديث المنكرة والموضوعة واستدركها على الصحيحين. وقد حسنه غيره وعضدوه بما له من كثرة الشواهد

(الحديث الثامن) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » أخرجه أحمد وأبو داود وصححه النووي وهو معضد وليس صحيحاً في نفسه ولكن له شواهد مراسيل من وجوه مختلفة . وفي الجملة ان ماورد في ابلاغ الملائكة إياه عليه الصلاة والسلام هو أقوى مافي الباب وأما ماورد في رد روحه وسماعها فهاك أقوى ماورد فيه

(الحديث التاسع) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن أحد يسلم عليّ الا رد الله تعالى اليّ روحي حتى أرد عليه السلام » رواه أحمد وأبو داود والطبراني والبيهقي وحسنه وصححه النووي في الاذكار بل قال الحافظ ابن حجر رواته ثقات واستدرك عليه تلميذه الحافظ السخاوي قال : لكن قد انفرد به يزيد بن عبد الله بن قسيط برواية له عن أبي هريرة وهو يمنع الجزم بصحته لان فيه مقالا وتوقف فيه مالك فقال في حديث خارج الموطأ : ليس بذاك وذكر التقي ابن تيمية مامعناه ان رواية أبي داود فيها يزيد بن عبد الله وكأنه لم يدرك أبا هريرة وهو ضعيف وفي سماعه منه نظر انتهى على أن طريق الطبراني وغيره سالمة من ذلك لكن فيها من لم يعرف : اه ما كتبه السخاوي

وقال ابن القيم : ان هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة وهو أجود ما استدل به في هذا الباب ومع هذا فانه لايسلم من مقال في اسناده ونزاع في دلالته

أما المقال في اسناده فمن جهة تفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة ولم يتابع ابن قسيط في روايته عن أبي هريرة أحد ولا يتابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط . وأبو صخر هو حميد بن زياد وهو ابن أبي المخارق المدني الخراط صاحب العباء سكن مصر ويقال حميد ابن صخر — وبعد ان ذكر الاشتباه في كون هذا الاسم لاثنين وحقق انه واحد — ذكر أن يحيى بن معين واسحاق بن منصور ضعفاه وذكر عن أحمد روايتين احداهما انه قال ليس به بأس والثانية قال انه ضعيف ثم أطال في ذكر الخلاف في عدالته وحقق ان ماتفرد به يستشهد به ولا

يصح . ثم ذكر الخلاف في عدالة ابن قسيط شيخ أبي صخر ومنه قول مالك فيه ليس هناك عندنا : أي لايعتد بروايته على انه روى عنه وقول ابن أبي حاتم : ليس بقوي : وقول ابن حبان : إنه رديء الحفظ : فان قيل روى له الشيخان قلنا نعم لكن من غير حديث أبي هريرة فروايته عن أبي هريرة هي محل النزاع

(الحديث العاشر) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى علي بعيداً علمته » أخرجه أبو الشيخ في الثواب له من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عنه ومن طريقه الديلمي . كذا قال السخاوي قال وقال ابن القيم انه غريب وذكر عن شيخه ان سنده جيد . ثم ذكر اللفظ الآخر للحديث وهو « من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً وكل الله به ملكا يبلغني » الخ وقال أخرجه العشاري وفي سنده محمد بن موسى وهو الكديمي متروك الحديث وهو عند ابن أبي شيبة والتيمي في ترغيبه والبيهقي في حياة الأنبياء باختصار : من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً أبلغته : ثم قال : وأورده ابن الجوزي من طريق الخطيب واتهم به محمد بن مروان السدي ونقل عن العقيلي انه قال لا أصل لهذا الحديث من حديث الأعمش وليس بمحفوظ اه

أقول هذا ماقاله السخاوي وقال ابن القيم ان هذا الحديث لايعرف الا من حديث محمد بن مروان السدي الصغير عن الأعمش كما ظنه البيهقي وما ظنه في هذا هو متفق عليه عند أهل المعرفة وهو عندهم موضوع على الأعمش . ثم ذكر أقوال المحدثين في جرحه . وذكره الشوكاني في الموضوعات وقال في اسناده كذاب

أقول هذه الاحاديث أشهر وأقوى ماروي في هذا الباب وقد رأيت مالأئمة الحديث فيها من الكلام والطعن في رجالها ومن عرف أسانيد أمثال هذه الأخبار وتاريخ رجالها تجلى له فضل البخاري ومسلم واحتياطهما في صحيحيهما . وهي في مجموعها تدل على أن الأنبياء أحياء في البرزخ ولكن هذه الحياة غيبية لانعرف حقيقتها وليست هي كالحياة في هذه الدنيا كما حققه ابن القيم في كتاب الروح وغيره من المحققين . واذا لم تنهض هذه الاحاديث حجة على مايجب الايمان به من عالم

الغيب فعندنا البرهان القطعي وهو كتاب الله تعالى الناطق بحياة الشهداء عند ربهم والانبياء أفضل منهم وأجدر بهذه الحياة و بما هو أعلى منها ولكن الواجب علينا أن نفوض العلم بكيفية ذلك الى الله تعالى ولا نقيسه على أمر الدنيا كما فعل بعضهم اذ قالوا ان الأنبياء يأكلون في قبورهم ويشربون وينكحون وكل هذا من الجراءة على عالم الغيب والقول فيه بالرأي . والمتبادر من قوله تعالى « أحياء عند ربهم » أن هذه العندية أعلى من الثواء في القبور وقد ورد فيها أحاديث بأن أرواحهم تسرح في الجنة أو تكون معلقة بالعرش ولا محل لايرادها هنا وانما نقول ان الواجب علينا هو أن نعتقد أن الموت ليس عدماً محضاً وأن في البرزخ حياة قبل حياة الآخرة وكلاهما من عالم الغيب الذي نفوضه الى الله تعالى . وقد ورد في حديث ابن عباس مرفوعاً ان الرجل اذا سلم على ميت يعرفه رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وقد صححه ابن عبد البر . أفنقول ان حياة كل ميت ورد روحه اليه اذا صح هو كحياة الانبياء والشهداء ؟ كلا انها حياة غيبية لا ينكرها الا منكر البعث والآخرة ولا يقول فيها بالرأي والقياس الا المتجرئ على الكذب المستهزئ بالدين والله ولي المتقين

وأما ماذكره ذلك الجاهل من أثر علي وفاطمة عليهما السلام فهو من اختلاق غوغاء العامة . وأما حكاية الرفاعي فقد ذكرها شارح القاموس لعلي أبي شباك الرفاعي لا للشيخ أحمد الرفاعي وهي من الحكايات المملوءة بها كتب القصص لا تدخل في باب الاحتجاج الشرعي وسيجيء ذكرها وذكر أمثالها في مبحث الخوارق والكرامات الذي كان آخر عهدنا ببيان أنواعه ووجوه تأويلها المجلد السادس وسنعود اليها ان شاء الله تعالى

استدراك

بعد كتابة ماتقدم وطبع بعضه راجعت اسم عبد الرحمن بن ميسرة راوي الحديث الأول وحجاج بن الاسود راوي الحديث الثالث في الميزان للحافظ الذهبي فاذا به يقول: عبد الرحمن بن ميسرة عن أبيه ضعيف قاله يحيى وقد وهّاه ابن حبان (أي قال انه واه اي شديد الضعف) ووهم حيث يقول عبد الرحمن بن بديل بن

ورقاء وقواه غيرهما :

وقال : حجاج بن الاسود عن ثابت نكرة ماروى عنه فيما أعلم سوى مسلم بن سعيد فاتى بخبر منكر عنه عن أنس في أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون رواه البيهقي

٨ – عدد الانبياء

(ج ٤٩) وردت أحاديث في عدد الانبياء لا يصح منها شيء منها حديث ابي ذر عند الحاكم والبيهقي انهم ١٢٤ ألفاً وان المرسلين ٣١٣ ومنها حديث أبي الدرداء يخالفه في عدد المرسلين ففيه أنهم ٣١٥ وهو عند احمد والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي في الاسماء ومنها حديث أنس عند الحاكم وابن سعد انهم ثمانية آلاف نصفهم من بني اسرائيل ومنها حديث جابر عند ابن سعد وابي سعيد عند الحاكم « اني خاتم ألف نبي أو أكثر » . وروي عن كعب أنهم ألف ألف واربعمئة ألف واربعة وعشرون ألفاً (اي نحو مليون ونصف) والذي عليه المحققون وذكروه في كتب العقائد انه يجب الايمان بأن لله تعالى أنبياء كثيرين هو يعلم عددهم وأن منهم من ذكره تعالى في كتابه العزيز فنؤمن بهم تفصيلا ومنهم من لم يذكرهم كما قال « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » وقالوا ان من عدّ فأخطأ فلا يخلو من أن يكون زاد في الأنبياء من ليس منهم أو نقص منهم من هو منهم من غير خبر عن المعصوم متواتر بل ولا صحيح . وأما ماقاله ذلك الرجل في شعر لحية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من سوء الأدب

هكذا عمّ الجهل فصار الناس يكذبون على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويروج كذبهم في العامة لاسيما اذا كان في سياق تعظيم الانبياء ، وما بالنا لا نعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيان ما آتاهم الله تعالى من الفضائل ولا نتخذهم قدوة ونمتثل قول الله تعالى « فبهداهم اقتده » وقوله « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » ؟ ان هذا يشق على المفتونين بالدنيا ولكن الكذب يسهل عليهم ، ويجذب قلوب جهلة العامة اليهم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ قصة المولد لدبيع ﴾

(س ٥٠) من أحد أهالي (جوهر) في جنوب ميلاي

أنكر أحد طلبة العلم وهو رجل غريب قراءة قصة المولد النبوية للدبيعي ولعله غير المحدث بدعوى أن فيها كذباً وخرافات والقصة المذكورة مما يداوم على قراءتها للعوام عدد وافر من الذين تعتقد فيهم الولاية يقولون للعوام ان روحانية المصطفى صلى الله عليه وسلم تحضره من أوله الى آخره وتحضر في غيره عند القيام فقط فترى بهجيّرى أهل هذه البلاد قصة المولد المذكورة فهي قد مرت على سمع الجم الغفير من العلماء ولم ينكرها غير الرجل المذكور فهل هو مصيب أم لا؟ أفيدوا والله يبقيكم للأمة

(ج) الصواب ما قال ذلك الطالب الغريب ولعله من الغرباء الذين ذكروا في حديث مسلم « بدا الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء » وقد قرأت طائفة من هذه القصة فاذا بصاحبها يقول في فاتحتها « فسبحانه تعالى من ملك اوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب ، وعرض فخره على الاشياء ، وقال هذا سيد الأنبياء وأجل الاصفياء ، وأكرم الحبائب ، قيل هو آدم قال آدم أنيله به أعلى المراتب ، » ثم ذكر ابراهيم وموسى وعيسى بمثل هذه الاسجاع الركيكة فهذا كذب صريح على الله تعالى لم يروه المحدثون . ثم رأيته يذكر (في ص ٦ و٧) حديثين أحدهما عن ابن عباس رفعه ان قريشاً كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه الخ وهذا كذب ظاهر أيضاً وقريش كانت قبل الاسلام مشركة وعند ظهور الاسلام كان منها أشد الناس كفراً وإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم وصدا عن سبيل الله فما معنى ذلك الأصل النوراني الذي يناقضه هذا الفرع الظلماني . والثاني أثر عن كعب الاحبار لا يصح وقد سماه مؤلف القصة حديثاً لجهله

أما قول قراء هذه القصة من المحتالين على الرزق بدعوى الولاية ان روحانية المصطفى تحضر مجالسهم التي يكذبون فيها عليه فمثله كثير من أولئك الدجالين

ولا علاج لهذا الجهل الا كثرة العلماء بالسنة والدعاة اليها بين المسلمين وذلك بساط قد طوي وان كثيرا من المسلمين ليعادوننا ولا ذنب لنا عندهم الا الانتصار للسنة السنية والدعوة الى الله ورسوله بالحق لا بالأهواء

وأما قولكم : ولعله غير المحدث : فلا حاجة اليه لأن هذه القصة منسوبة الى رجل مجهول يسمى دبيعاً بدال مهملة فموحدة فمثناة تحتية فعين مهملة ولا يوجد محدث بهذا الاسم ولعلكم ظننتم أنهم يعنون به عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي الملقب (أي علي هذا) بديبع كحيدر بتقديم المثناة التحتية على الموحدة ولو كان هو لصرحوا بنسبته اليه

﴿ فائدة عظيمة في بحث العمل بالحديث الضعيف ﴾

اذا رأى من لم يشتغل بعلوم الحديث ما ذكرناه في تخريج الاحاديث التي ذكرناها في هذا الجزء وما قبله ونحوها يظهر له فضل المحدثين بعض الظهور ويعلم منه غير المسلم أنه لم تعن أمة بضبط دينها كما عنيت الأمة الاسلامية . هذا وان ما ذكرناه لم نقصد به الاستقصاء ولم نراجع فيه جميع الكتب التي خرجت هذه الاحاديث اذ لا توجد كلها عندنا ولم نر حاجة الى البحث عنها مع حصول المقصود فيما ذكرناه

هذا وان كثيرا من المحدثين قد تساهلوا في تخريج الأحاديث التي وردت في الفضائل والترغيب والترهيب لاعتقادهم جواز العمل بالضعيف منها ما لم يكن شديد الضعف قال النووي بل قال بعضهم يستحب العمل به لأنه من الاحتياط وجعلوا المناقب من هذا القبيل

قال السخاوي وقد سمعت شيخنا (يعني الحافظ ابن حجر) يقول وكتبه لي بخطه ان شرائط العمل بالضعيف ثلاثة (الاول) متفق عليه ان يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه (الثاني) ان يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا (الثالث) ان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه

وسلم مالم يقله (قال) والاخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد والأول نقل العلائي الاتفاق عليه . ونقل عن الامام أحمد انه يعمل بالضعيف اذا لم يوجد غيره ولم يكن ثَمَّ مايعارضه . ونقل ابن منده عن ابى داود أن الامام أحمد يخرج الاسناد الضعيف اذا لم يجد في الباب غيره وأنه عنده أقوى من رأي الرجال

فالمذاهب في الحديث الضعيف ثلاثة مانقل عن أحمد بشرطه المذكور آنفا ومذهب الجمهور الذين يشترطون فيه الشروط الثلاثة المتقدمة . والثالث أنه لايجوز العمل به مطلقا وهو ماصرح به ابو بكر ابن العربي المالكي .

قالوا وأما الموضوع فلا يجوز العمل به مطلقاً ولا روايته الا مع بيان وضعه واستدلوا على ذلك بحديث سمرة (رض) عند مسلم في الصحيح «من حدثني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» ويروى «يرى» بضم الياء أي يظن وفي «الكاذبين» روايتان التثنية والجمع . وأنت ترى ان بعض الأحاديث التي لاتصل الى درجة الوضع في اصطلاحهم قد يظن الظانّ أنها كذب بل قد يعتقد ذلك بقرائن قوية ككون اسلوب الحديث وعبارته كعبارات المولدين وكون معناه مخالفا لماهو ثابت في الكتاب أو السنة الصحيحة أو نظام الخليقة المعبر عنه بسنن الله تعالى أو لغير ذلك من الاسباب . ومن فهم القرآن المجيد وعرف السنة الصحيحة لايطمئن قلبه لشيء من تلك الروايات الغريبة في المناقب وان وجد لها متابعات من الضعاف

وههنا مزلة قدم زلّ فيها كثيرون فصححوا أو حسنوا أحاديث من المناكير والضعاف الشديدة الضعف بحجة أن لها شواهد من جنسها وما كل شاهد يصلح مقويا وان فاقد الشيء لايعطيه

ثم ان باب المناقب الذي ألحقوه بفضائل الأعمال في جواز رواية الحديث الضعيف فيه قد يدخل فيه الاخبار عن عالم الغيب وهو من العقائد التي يطلب فيها اليقين فيروون فيه حديثاً منكرا أو ضعيفاً واهيا ويسكتون عليه لأنه من باب المناقب فيشيع ويشتهر فيتخذ عقيدة تحكم العامة بكفر منكره وهو أقرب من مثبته الى حقيقة الايمان

وقد يكون هذا النوع من الروايات شبهة على الدين وسبباً في الطعن فيه أو صادًّا لكثير من الناس عن قبوله انك اذا أردت أن تدعو أهل أوربا أواليابان الى الاسلام وتشترط عليهم التصديق بأن أجساد الأنبياء لاتبلى وأنهم لم يولدوا كما يولد البشر ونحو ذلك فان مثل هذا الشرط كافٍ لرفضهم الدعوة وقد علمت أنه لم يرد في هذا حديث صحيح فضلا عن متواتر فضلا عن آية قرآنية . وهو مخالف لسنة الله في الخلق الثابتة بالمشاهدة وبقوله تعالى «ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا» فاذا اطمأن قلبك لحديث ضعيف أو حسن في مثل ذلك وصدقت به أيها المسلم فلاينبغي لك أن تجعله عقيدة دينية وتجعل عدم النص من الصحابة وأئمة السلف على نفيه اجماعاً اذ يجوز أن يكون لم يخطر لهم على بال

واعلم انه ليس من تعظيم الانبياء عليهم الصلاة والسلام تنزيههم عن الصفات البشرية فان هذه نزغة كفر سبق اليها المشركون الذين احتجوا عليهم بمثل ما أخبر الله عنهم بقوله «ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون» وقوله عنهم «ماهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق» وقوله عن فرعون وقومه «أنؤمن لبشرين مثلنا» وقد ثبت في العقائد ان الأنبياء تجوز عليهم جميع الأعراض البشرية التي لاتنافي تبليغ رسالة ربهم والقرآن ناطق بذلك وهو الحق الذي «لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»

﴿ إزالة وهم ﴾

يرى كثير من أهل العلم والمعرفة أن من الصواب إقرار العوام على مايعتقدون من الخرافات والأوهام في الدين وكتمان ماقاله الأئمة من حفاظ الحديث من بيان ضعف بعض الروايات في ذلك أو وضعه ورأيت منهم من يحتج على ذلك بأن لاحجة للعوام تثبت دينهم الا هذه الخرافات فاذا بطل اعتقادهم بها مرقوا من الدين . وهي حجة داحضة فكتمان العلم من الكبائر والباطل لايؤيد الحق واقرار الخرافات ينفر العقلاء والمتعلمين من الدين والعوام تبع لهم ولو بعد حين . ولولا إقرار العلماء للخرافات لما ظن اكثر العقلاء انها منه فصاروا يمرقون منه فبيان الحق ينفع العوام والخواص ويحفظ الدين وكتمانه يضيعه «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

باب التربية والتعليم

بقية الكلام على تقرير مشيخة العلماء في الاسكندرية

﴿ المراقبة العامة على الطلاب ﴾

ذكر في هذا الفصل انه عهد الى تسعة نفر من العلماء في مراقبة الطلاب في مسجد ابي العباس المرسي يتناوبونها ثُلاث فيفصلون في المنازعة أو الاساءة العادية التي يكفي في التأديب عليها الزجر والنصيحة والموعظة الحسنة ويرفعون الامر فيما يستحق فاعله العقوبة الى المشيخة ويأمرون بالصلاة مع الجماعة و يكونون مرجعا للطلاب في تصحيح المتون التي يحفظونها وحل المشكلات التي تعرض لهم . وقد كان من عقوبة بعض فاسدي الاخلاق من الطلاب طردهم من معاهد العلم . وعهد الى فريق من العلماء فى زيارة الطلاب فى مساكنهم يراقبون شؤونهم في معيشتهم و يسألون الجيران عن أحوالهم . ووعد بأن سيعنى بهذه المراقبة في القابل بأكثر مما عني بها في هذا العام . وهذا مما يمتاز به التعليم في الاسكندرية على التعليم في الأزهر فنثني على الشيخ محمد شاكر الثناء الحسن ونرجو له زيادة التوفيق

﴿ الامتحان ونتائجه ﴾

ذكر في هذا الفصل ان مشيخة الاسكندرية رأت أن تمتحن جميع طلاب العلم الخاضعين لنظامها في كل عام . وان تستعين في عملها هذا ببعض المتخرجين في مدرسة دار العلوم . وكذلك فعلت وتم الامتحان قولا وكتابة فكان أن تقدم للامتحان من طلاب السنة الأولى ٣٠٣ من مجموعهم وهو ٣١٢ نجح منهم ١٩١ نقلوا الى دروس السنة الثانية . وتقدم من طلاب الثانية ٥٠ من ٥٤ فنجح ٤٨ نقلوا الى دروس الثالثة . وتقدم من الثالثة ٣٨ من ٤٢ نجح منهم ٣٥ وتقدم من طلاب الرابعة ٢١ من ٢٤ نجح منهم ١٨ قال

« وقد ألحقنا بناجحي هذه السنة من نجح من طلاب السنة الخامسة ورغب في الاستمرار على طلب العلم الشريف والانقطاع له وهم ثمانية أشخاص مختلفو

المذاهب لا يمكن أن تنشيء المشيخة لأجلهم سنة مخصوصة

ثم قال: كان الامتحان الشفهي وسطا في الشدة واللين والتحريري غاية في النظام والترتيب وهذه أول مرة جلس فيها طلاب العلوم الدينية مجلس الامتحان المهيب امام الاساتذة وبين يدي المحبرة والقرطاس يستعملون قواهم العقلية للاجابة عما سئلوا عنه ولكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه عن النظر الى ما يفعله غيره: اه

وهو من دواعي السرور والثناء على مشيخة الاسكندرية

﴿ مكافأة الناجحين ﴾

ذكر في هذا الفصل ان الأمير وضع مئة جنيه مصري «تحت تصرف المشيخة من مخصصاتها في الميزانية لمكافأة جميع الناجحين في هذا الامتحان» وهذه الجنيهات من مال الاوقاف . ثم ذكر ان الذين استحقوا الجائزة ٣٠٠ طالب ونقول ان الناس هنا لم ينسوا انه كان قد خصص للمكافأة فى الأزهر ٤٠٠ جنيه من مال الأوقاف فما زال الشيوخ الجامدون يتوسلون الى الامير حتى ألغاها وهذا مما تفضل به مشيخة الاسكندرية مشيخة الأزهر

النظام الدراسي

ذكر في أول هذا الفصل ان نظام التدريس في هذه السنة (التي وضع التقرير لها) كان تجربة واختبارا وان المهم الآن هو النظام للسنين المقبلة . ثم وضع لكل سنة جدولا ذكر فيه الكتب التي تقرأ فيها وأوقاتها والبحث في ذلك وفي الكتب التي اختارها يطول ومن قرأ كلامه فيها علم أنه فى حيرة من فقد الكتب التي تصلح لتعليم المبتدئين وله العذر فى ذلك فان الكتب الأزهرية لا يوجد فيها ما يصلح للمبتدىء والاستغناء عنها بمثل كتب نظارة المعارف فى الفنون العربية و بعض المصنفات الجديدة في غيرها كسرٌ لقيود التقليد وهو مما يتعذر أو يتعسر لاسيما على المبتدىء في العمل ولكن الاصلاح يتوقف على تدريس بعض الكتب الجديدة كما توقف الامتحان والنظام على مساعدة بعض من عرف الطرق الحديثة في التعليم .

اذا كان ثمَّ مايمنع تدريس كتب المعارف فى النحو والصرف والبلاغة فما أظن ان شيئاً يمنع من تدريس كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) الذي ألفه الشيخ محمد الخضري الازهري الداري" اذ لا يوجد في الايدي مختصر للسيرة النبوية يصلح للتدريس سواه وله كتاب آخر في تاريخ الخلفاء الراشدين لم أره وأظن انه يصلح للتدريس أيضاً . فهذا جواب ما طلبه في الكلام على دروس السنة الاولى من الارشاد الى مختصر وجيز في السيرة النبوية وتاريخ الراشدين . واذا أراد التوسع فى تاريخ الاسلام في غير هذه السنة فلا أراه يستغني عن كتاب أشهر مشاهير الاسلام .

ثم ان الاكتفاء بمختصر البخاري يقرأ في عدة سنين تقصير في الحديث فهذا المختصر يقرأ في سنة واحدة ثم لا بد من قراءة غيره ومن العناية بعلم المصطلح ونقد الرجال . ونكتفي بالتنبيه الى هذين الامرين في هذا المقام ونحن نعلم عذر المشيخة في كل تقصير ، ونسأل الله تعالى أن يسهل لها كل عسير ،

وفي التقرير فصول أخرى في المدرسين وفي المساجد المعدة للتدريس فيها وفي مساكن طلاب العلم ، وفي كل فصل منها دلائل واضحة على همة شيخ العلماء وعنايته باتقان عمله

(عبارة التقرير)

نكتفي بما تقدم من القول الوجيز في موضوع التقرير ونختم التقريظ والانتقاد ببعض الشواهد على مالاح لنا من التساهل في عبارته لأن في تساهل العلماء بايراد المفردات والاساليب العامية ووضع الكلم في غير مواضعه جناية على اللغة لأن الناس يقلدونهم فيما يكتبون . وانني أورد هنا ما يقبل التأويل بتكلف ، ومالا يقبله ولو مع التعسف . وأرى ان صاحب التقرير لو شاء ان ينقحه حتى يسلم من الخطأ الا مالا يسلم منه المولدون لفعل وعسى أن يفعل فى تقرير آخر وهو أهل لذلك

(١) قال في الصفحة الثانية : ولا شية في الخطأ اذا صحبه حسن النية : والشية هي اللون في الشيء يخالف لونه الأصلي ومنه قوله تعالى فى وصف البقرة «لاشية فيها» أي لا لون آخر في جلدها . وقد استعمل الشية هنا بمعنى العار والعيب بدليل

قوله بعد ذلك : بل العيب كل العيب أن يخطئ المرء ثم يصر على خطأه وقد نبه الى موضعه من عمله عنادا واستكبارا :

(٢) وقال فيها : وترغيبا في تربية الشبيبة المصرية : الخ الشبيبة مصدر وقد جعلها هنا وفي مواضع أخرى جمع شاب . وقد سرى اليه هذا من الجرائد

(٣) قال (في ص ٣) : و بالتالي تكون كل الوظائف الدينية : كذا ولفظ التالي لامعنى له هنا والمقام مقام الاضراب

(٤) وجمع النظام في أول الصفحة الرابعة بالنظامات وكرر هذا الجمع في مواضع أخرى وهو جمع مؤنث للمصدر غير صحيح اذا أريد به النوع .

(٥ و ٦) وقال فيها وأيدينا مبسوطة بالدعاء لسموه على هذه النعم المتتابعة التي أحسن بها على الامة الاسلامية : علل الدعاء بعلى وعدى به الاحسان وهو غير معروف وهذه الصفحة لا تزيد على أربعة أسطر

(٧) قال في (ص ٥) أقبل الطلاب اقبالا كليا : وهذا الوصف من استعمال الدواوين والجرائد ولا يظهر له وجه عربي وجيه

(٨) وقال فيها : ولكن هذا الظن لم يثبت زمنا طويلا حتى تبدد : يريد لم يلبث أن زال ولا تفيد هذا المعنى كلمة تبدد اذ معناها تفرق فكان بددا أي حصصا وقالوا تبدد الحلي على صدر الجارية أي أخذه كله

(٩) وقال فيها أسلفنا ان عدد الطلاب الخ أي بينا ذلك فيما سلف ومضى ولم ترد في اللغة بهذا المعنى . وقد يقال انه كقوله تعالى « بما أسلفتم في الايام الخالية » والصواب ان الاسلاف فى الآية وان فسروه بما قدمتم من الاعمال الصالحة هو بمعنى السلم ودين السلف فقد سمى الله تعالى الانفاق في سبيله قرضا حسنا في عدة آيات وسماه عند ماذكر الجزاء عليه إسلافا وهذا هو معنى تفسيرهم له بتقديم الاعمال اي جعلها قدامهم وأمامهم ولا يسمى الكلام الماضي إسلافا ولا كل شيء فعل في الماضي اسلافا . هذا ما أجزم به فمن لم يقبله فأنا أترك له هذا الانتقاد جدلا الا أن يأتي بشاهد عربي فانني أتبعه فيه اتباعا

(١٠) وقال فيها ومن مطالعة الجدول المرفق بهذا يتضح كذا . أقول إن

لفظ المرفق بكذا يستعمل فى عرف الدواوين بمعنى المرسل مع الشيء يقولون ورقة الحساب مرفقة بورقة الخطاب (مثلا) وهذا خطأ فان أرفق فى اللغة لم يرد بهذا المعنى ولكنه ورد بمعنى رفق به ونفعه . على ان استعمال التقرير ليس بمعنى ماتقدم بيانه من استعمال الدواوين وانما يعني بقوله « الجدول المرفق بهذا » الجدول المسطور في هذا الفصل من التقرير كما قال بعد ذلك « جداول الاحصاء المرفقة بهذا الفصل » وما كان أغناه عن لفظ المرفق . ولعله يجعل بعد هذه الجداول عددا يشير اليه بالارقام أو باسماء العدد فيقول ويعلم من الجدول الاول كذا ومن الجدول الثاني كذا :

(١١) وقال فيها : ولكنه على العموم يبشر بكذا :وكتاب الجرائد تستعمل هذه العبارة بمعنى قولهم في «الجملة» والعموم مصدر عمّ ومعناه الشمول ويستعمل في اصطلاح الاصوليين بمعنى استغراق اللفظ لافراد غير محصورين وعند أهل المنطق بنحو هذا ويقابل بالخصوص ولامحل لشرح ذلك هنا وعبارة التقرير ليست من هذا فى شيء

(١٢) قال (في ص ٦) وقد يستلفت انظار الباحث الخ وصيغة الاستلفات لم ترد في اللغة وقد سبق لنا ولكثير من الكتاب المدققين استعمالها تبعا للجرائد وكان أول من نبهنا اليها المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي فذكرنا ذلك في المنار يومئذ . وقد ورد لفته وألفته

(١٣) واستعمل فيها وفي غيرها لفظ (الاحناف) جمعاً لحنفي وهوغيرصحيح

(١٤و١٥) وقال فيها وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل : يعني بالاحصائية الجدول الذي أحصى فيه عدد التلاميذ ولا يظهر لي وجه وجيه لتسميته إحصائية . ولاحظ لا يتعدى بعلى وهو يكثر من قول لاحظ عليه فهو خطأ . والعرب تستعمل لفظ «عام قابل» للعام الذي بعد عام المتكلم وورد في الحديث فلا أدري لماذا يستبدل به صاحب التقرير لفظ المقبل ولم اعده عليه . ومعنى أقبل في اللغة جاء من قبل أي من جهة الامام فلفظ مقبل ليس نصا في العام الذي بعد عامك كلفظ « قابل» وليس فى الصفحة السابعة والتين بعدها الا الجداول

(١٦) كتب فوق الجدول الذي في (ص٩) مانصه « إحصائية طلاب العلم الشريف بثغر الاسكندرية والجهات التابعين لها » فوصف الجهات بوصف المذكر العاقل ولعل هذا سبق قلم أو تحريف من المطبعة

(١٧) وفي هذا الجدول كلمة (أصوان) والصواب أسوان بالسين المهملة ولكن هذا من الخطأ الرسمي الذي عليه الحكومة وبلغنا ان نظارة المعارف صححته لها

(١٨) وفي (ص ١٠) وصف النتائج بالحقة وهي تأنيث للحق وهو لا يؤنث وقد كثرت الجرائد استعمال الحقة فترى فيها الوطنية الحقة، الشريعة الحقة، الديانة الحقة، وهو خطأ

(١٩) وقال فيها استعملوها بإفراط: يعني الطريقة والطريقة لا تستعمل استعمالا وكان يحسن ان يقول أفرطوا فيها

(٢٠) وقال فيها: تكليف الطلاب بحفظ : الخ ولم يرد كلف متعديا بالباء بل ورد كلفه الأمر ولكن الفقهاء قد عدوا كلف بالباء فلمزاول كلامهم العذر بتعديته بها ولا نكاد نسلم منه على علمنا به

(٢١) وقال فيها « حتى يبلغوا الحد الذي يقتدرون فيه على الاشتغال باقامة الأدلة والبراهين على الذين كانوا يعلمون » وحسب القارىء لهذه الجملة قراءتها فلا حاجة الى بيان ضعفها .

عبارة هذا التقرير الذي يبلغ زهاء ٩٠ صفحة وهذه الاغلاط مستخرجة من اربع صفحات منه قد عدت عشرا لأن منها الاولى وليس فيها الا عنوان التقرير والثانية نصف صفحة . والرابعة اربعة أسطر ، والسابعة والثامنة والتاسعة ليس فيها غير الجداول . وفي هذه الصفحات غير ماذكرنا ولكنه يحتمل التأويل فتركناه . هذا واننا نعتقد ان الشيخ شاكرا هو من اكتب العلماء ونكتفي بهذا النموذج من انتقاد الرسميين ولكنه يكثر قراءة الجرائد فأثرت في نفسه أساليب أكثرها حظوة عنده وهو لكثرة شغله لم يدقق في تحرير عبارة تقريره فجاءت كعبارة بعض الجرائد واننا لم نقدم على انتقاد التقرير الا لعلمنا بسعة صدره وعرفانه لقيمة الانتقاد وقد أشار الى ذلك في المقدمة فله الشكر على هذا الارشاد وعلى خدمته للعلم والتعليم

« والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

(أبونا آدم ومذهب دارون . من باب الانتقاد على المنار)

كتب الينا بعض القراء وكلمنا بعضهم في إنكار ما كتبه الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي في مقالات (الدين في نظر العقل) عن خلق آدم ومذهب دارون . وأنكر بعضهم سكوتنا له على ما كتب فنجيبهم (أولا) بأنه ليس من شأن أصحاب الصحف أن يقرنوا رأيهم بكل ماينشرونه لغيرهم و(ثانيا) ان الكاتب قد ذكر ماذكره في المسألة على تقدير ثبوت مذهب دارون ثبوتا قطعياً وهو غير ثابت عنده الآن فهو يقول ان مذهب دارون في المسألة ظني لايقيني وهو ان ثبت بالبرهان اليقيني فانه لاينقض القرآن بل يمكن أن يؤخذ من القرآن مايوافقه

واعلم ان ماورد في القرآن من خلق آدم من تراب ومن طين قد ورد نظيره في خلق الناس كلهم قال تعالى في سورة الانعام (٦ : ٢) « هو الذي خلقكم من طين» وقال في سورة الصافات (٣٧ : ١١) «فاستفتهم أهم أشدّ خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب» فهل هذه الآيات نصوص قاطعة على ان المخاطبين بها خلقوا من الطين مباشرة ؟ واذا جاز تأويلها جاز تأويل ماورد في آدم وذلك بمثل قوله تعالى فى سورة المؤمنين (٢٣ : ١٣) « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » ومعلوم ان مادة النسل من الطعام وأصله مواد الارض النباتية . وماورد في خلق الناس من نفس واحدة ليس نصا قطعيا في أن المراد بالناس جميع البشر اذ لوكان ذلك نصا لما قالوا ماقالوا في تفسير قوله تعالى في سورة الاعراف (٧ : ١٨٩) « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » وهو ان الخطاب لقريش والمراد بالنفس الواحدة ابوهم قصيّ وذلك ان الله تعالى أخبر عن هذه النفس الواحدة وعن زوجها انهما جعلا له شركاء وآدم لم يكن مشركا . وقد سبق لنا بيان آخر لمعنى الآية والمراد هنا ان اختلاف المفسرين في معنى الآية دليل على أنها ليست نصا قطعياً في ان النفس الواحدة آدم . وليت شعري ماذا يضر المسلمين بيان المخرج من اعتراض الكفار على القرآن فمن لم يعجبه هذا الجواب فليأت بأحسن منه وليعتقد غير هذا وذاك فانما غرضنا بيان أن كلام الله تعالى حق لاسبيل الى نقضه بحال

المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب
(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)
﴿ مصر السبت ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ — ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦ ﴾

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

تتمة تفسير الآيات التي في الجزء السابق

﴿ ولما برزوا ﴾ أي لما ظهر طالوت وجنوده بالبراز وهي ما استوى من الارض ﴿ لجالوت وجنوده ﴾ وهم أعداؤهم الفلسطينيون ﴿ قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ أي لجأ قوم طالوت المؤمنون الى الله تعالى يدعونه بأن يفرغ على قلوبهم الصبر ويثبت أقدامهم في مواقع القتال بثبات قلوبهم واطمئنانها بالايمان والثقة به وينصرهم على القوم الكافرين عبدة الاوثان الذين تعلقت قلوبهم بالأوهام وهذه الامور الثلاثة بعضها مرتب على بعض بحسب الاسباب الغالبة فالصبر سبب للثبات الذي هو سبب من أسباب النصر . واجدر الناس بالصبر المؤمنون بالله عزوجل الغالب على أمره كما سنوضحه بعد تمام تفسير الآيات

﴿فهزموهم بإذن الله﴾ الذي أعطاهم ماسألوا ببركة التوجه اليه وتذكر مايؤمنون به من قوته التي لاتغالب ﴿وقتل داود جالوت﴾ قالوا ان جالوت جبار الفلسطينيين طاب البراز فلم يجرأ أحد من بني اسرائيل على مبارزته حتى ان طالوت جعل لمن يقتله ان يزوجه ابنته ويحكمه في ملكه ثم برز له داود بن يسى وكان غلاما يرعى الغنم ولم يقبل ان يلبس درعا ولا أن يحمل سلاحا بل حمل مقلاعه وحجارته فسخر منه جالوت واحتمى عليه اذ لم يستعده وقال هل أنا كلب فتخرج الي بالمقلاع فرماه داود بمقلاعه فأصاب الحجر رأسه فصرعه فدنا منه فاحتز رأسه وجاء به فألقاه الى طالوت فعرف داود وكان له الشأن الذي ورث به ملك بني اسرائيل كما قال تعالى ﴿وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾ فسروا الحكمة هنا بالنبوة والأظهر عندي أن تفسر بالزبور الذي أوحاه الله اليه كما قال في آية أخرى «وآتينا داود زبورا» وبه كان نبيا. واما تعاليمه مما يشاء فهو صنعة الدروع كما قال تعالى في سورة الانبياء (٢١) «٧٩ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون»

ثم بين تعالى حكمة الاذن بالقتال الذي قررته الآيات فقال ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ قرأ نافع «دفاع الله» والباقون «دفع الله» أي لولا أن الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق وأهل الفساد في الارض بأهل الاصلاح فيها لغلب أهل الباطل والافساد في الأرض وبغوا على الصالحين وأوقعوا بهم حتى يكون لهم السلطان وحدهم فتفسد الارض بفسادهم فكان من فضل الله على العالمين واحسانه الي الناس أجمعين أن أذن لأهل دينه الحق

المصلحين في الارض بقتال المفسدين فيها من الكافرين والبغاة المعتدين فأهل الحق حرب لأهل الباطل في كل زمان والله ناصرهم مانصروا الحق وأرادوا الإصلاح في الارض . وقد سمي هذا دفعاً على قراءة الجمهور باعتبار أنه منه سبحانه اذ كان سنة من سننه في الاجتماع البشري وسماه دفاعاً في قراءة نافع باعتبار ان كلا من أهل الحق المصلحين وأهل الباطل المفسدين يقاوم الآخر ويقاتله

ثم بين ان اتياء النبي الأمي أمثال هذه القصص من دلائل نبوته فقال ﴿تلك آيات الله﴾ يشير الى قصة الذين خرجوا من ديارهم وقصة بني اسرائيل التي بعدها ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ فيه تعريض بأن مايقوله بنو اسرائيل مخالفاً لهذا فهو باطل ﴿وانك لمن المرسلين﴾ اذ لولا الرسالة لما عرفت شيئاً من هذه القصص وأنت لم تكن في أزمنة وقوعها ولا تعلمت شيئاً من التاريخ ولو تعلمته لجئت بها على النحو الذي عند أهل الكتاب أو غيرهم من القصاصين . وقد قرر تعالى هذه الحجة على نبوته صلى الله عليه وسلم في سورة القصص (٢٨) بعد ذكر قصة موسى في مدين وذكر نبوته بقوله تعالى «٤٤ وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين * ٤٥ ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر، وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين *»

السنن الاجتماعية في القصة

أذكر ما يظهر لي من السنن والأحكام الاجتماعية في آيات هذه القصة مفصلة معدودة لعلها توعى وتحفظ فلا تنسى ان شاء الله تعالى

(السنة الاولى) ان الأمم اذا اعتدي على استقلالها وأوقع الأعداء

بها فهضموا حقوقها تتنبه مشاعرها لدفع الضيم وتفكر في سبيله فتعلم أنه الوحدة التي يمثلها الزعيم العادل ، والقائد الباسل ، فتتوجه الى طلبه حتى تجده كما وقع من بني اسرائيل بعد تنكيل أهل فلسطين بهم

(الثانية) ان شعور الامة بوجوب حفظ حقوقها وصيانة استقلالها انما يكون على حقيقته وكماله في خواصها فمتى كثر هؤلاء الخواص في أمة فانهم هم الذين يطلبون الرئيس الذي يملك عليهم كما علمت من اسناد طلب الملك الى الملأ من بني اسرائيل وهم شيوخهم وأهل الفضل فيهم

(الثالثة) متى عظم الشعور في نفوس خواص الأمة بوجوب حفظ استقلالها ودفع ضيم الاعداء عنها فانه لا يلبث أن يسري الى عامتها فيظن الناقص أن عنده من النعرة والحمية للامة ما عند الكامل حتى اذا خرجت من طور الفكر والشعور، الى طور العمل والظهور، انكشف عجز الأدعياء المدعين ؛ ولم ينفع الا صدق الصادقين ، كما علم من قوله تعالى « فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين »

(الرابعة) ان من شأن الامم الاختلاف في اختيار الرئيس الذي يكون له الملك عليها والاختلاف مدعاة التفرق فيجب أن يكون هناك مرجع يقبله الجمهور من الامة . لذلك لجأ الملأ من بني اسرائيل الى نبيهم وطلبوا منه أن يختار لهم رجلا يكون ملكا عليهم . وقد جعل الاسلام المرجع لاختيار إمام المسلمين مبايعة أولي الامر لمن يختارونه وهم أهل الحل والعقد والمكانة في الامة الذين هم عون السلطان وقوته باحترام الأمة لهم وثقتها فيهم ولذلك لم ينصب النبي صلى الله عليه وسلم اماماً للمسلمين في أمر الزعامة والحكم ولكن استنبط بعض العلماء من الصحابة رضاء

النبي (ص) بامامة أبي بكر الدنيوية بانابته عنه في الامامة الدينية وهي امامة الصلاة ومع هذا قال عمر ان بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها. أي ان الشورى لم تكن تامة، وانما كان هو الذي عجل بالبيعة خوفاً من عاقبة طول أمد الخلاف مع اجماعهم على عدم دفن النبي (ص) قبل نصب الخليفة له

(الخامسة) ان الناس لا يتفقون على التقليد أو الاتباع فيما يرونه مخالفاً لمصلحتهم الاجتماعية ولذلك اختلف بنو اسرائيل على نبيهم في جعل طالوت ملكا عليهم واحتجوا على ذلك بما لا ينهض حجة الا في ظن المنكرين . ومن عجيب أمر الناس أن كلا منهم يحسب انه يعرف الصواب في السياسة ونظام الاجتماع في الامم والدول فلا تعرض مسألة على عامي الا ويبدي فيها رأياً يقيم عليه دليلا . على أن هذا العلم هو أعلى من سائر العلوم التي يعترف الجاهلون بها بجهلهم فلا يحكمون فيها كما يحكمون في علم السياسة والاجتماع وما يعقله الا الافراد من الناس. ومن فروع هذه القاعدة أن عامة المسلمين لهذا العهد يرون أن الدعوة الى جعل الخلافة موافقة للقواعد الشرعية التي يعتقدونها مخالف لمصالحهم وكثير منهم يعد الداعي الى ذلك عدواً لهم بل للاسلام نفسه

(السادسة) ان الامم في طور الجهل ترى ان أحق الناس بالملك والزعامة أصحاب الثروة الواسعة كما علم من قول المنكرين على ملك طالوت في تأييد انكارهم « ولم يؤت سعة المال» وأصحاب الأنساب الشريفة كما علم مما فسر به العلماء قوله « ونحن أحق بالملك منه » فهذا الاعتقاد من السنن العامة في الامم الجاهلة خاصة . فانها هي التي تخضع لأصحاب العظمة الوهمية وهي التي ليست صفة لنفس صاحبها كالمال والانتساب الى بعض

العظماء في عرفهم سواء كانت عظمتهم بحق أو بغير حق. هذا موضع الخطأ في تعظيم ذي النسب والقرآن لم يصرح بأن ذلك وجه قولهم انهم أحق بالملك. وفي المسألة نظر لا محل هنا لبسطه ولكن نقول بالاجمال ان الانتساب الى أهل الشرف الحقيقي وهم أصحاب المعارف الصحيحة والأخلاق الفاضلة والنفوس الكريمة العزيزة له أثر في النفس عظيم فان سليل الشرفاء يحافظ على كرامة نفسه فلا يدنسها بالخيانة ثم انه لابد أن يرث شيئاً من فضائلهم النفسية فيكون استعداده للخير أعظم في الغالب. وانك لتجد الأمم الراقية في العلم والاجتماع تختار ملوكها من سلالة الملوك والامراء وتحافظ على قوانين الوراثة في ذلك. وماارتقى عن هذا لا أصحاب الحكومة الجمهورية. وقد جاء حكم الاسلام في هذه المسألة وسطاً فلم يغفل أمر النسب بالمرة لئلا تتسع دائرة الخلاف بطمع كل قبيلة في الإمامة الكبرى ولم يجعل الأمر في بيت معين لما في ذلك من الغوائل بل جعله في قبيلة عظيمة كثيرة العدد لا تخلو ممن هو أهل للإمامة وهي محترمة في نفسها كانت محترمة العصر الأول ويرجى أن يدوم احترامها مادام الاسلام الذي ظهر على يد نبي منها وهي قريش

(السابعة) ان الشروط التي تعتبر في اختيار الرجل للملك هي ما استفدناه من قوله تعالى «ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم» الآية كما تقدم

(الثامنة) هي ما أفاده قوله تعالى «والله يؤتي ملكه من يشاء» كما بيناه معززا بالشواهد من الكتاب العزيز على أن مشيئته تنفذ بمقتضى سننه العامة في تغيير أحوال الامم بتغييرهم ما في أنفسهم، وبسلب ملك الظالمين وايراث الأرض للصالحين، وتأويل هذه الآيات وأمثالها مشاهد في كل

زمان وأين المبصرون «٢١ : ٤٤ أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون» أولم يسمعوا دعوة الانبياء بقوله تعالى في سورة الشعراء (٢٦: ١٥٠-١٥٢) «فاتقوا الله وأطيعوني، ولا تطيعوا أمر المسرفين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون،» أيظن المسلم الغافل أن مشيئة الله تعالى في قوله (٣: ٢٥) «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء» هي عبارة عن مخالفة سننه التي بينتها الآيات التي ذكرناها وما في معناها مما لم نذكره؟ بل أقول ولا أخشى في الحق لومة لائم أيظن المسلمون ان تنازع الامم والدول علي ممالكهم وسلبها من أيديهم مخالف لعدل الله العام، وسننه الحكيمة التي جاء بها القرآن، ؟؟ كلا انه تعالى ما فرط في الكتاب من شيء ولكنهم هم الذين فرطوا فذاقوا جزاء تفريطهم فإن تابوا وأصلحوا تاب الله عليهم والا فقد مضت سنة الأولين،

(التاسعة) ان طاعة الجنود للقائد في كل ما يأمر به وينهى عنه شرط في الظفر واستقامة الأمر. وقوانين الجندية في هذا الزمان مبنية على طاعة الجيش لقواده في المنشط والمكره والمعقول وغير المعقول فاذا أمر القائد بتسليم الديار أو الأموال أو الأنفس للاعداء وجب تسليمها في قانون كل دولة؛ نعم انهم قرنوا بهذا الحق للقائد إيجابهم عليه أن يبرم الأمور باستشارة أهل الرأي في الحرب وهم الذين يسمونهم أركان الحرب

(العاشرة) ان الفئة القليلة قد تغلب بالصبر والثبات وطاعة القواد الفئة الكثيرة التي أعوزها الصبر والاتحاد مع طاعة القواد لأن نصر الله مع الصابرين أي جرت سنته بأن يكون النصر، أثرا للثبات والصبر، وأن أهل

الجزع والجبن هم أعوان لعدوهم عليهم .هذا مشاهد في كل زمان ، وهو كثير لامطرد كما جاء في الآية الكريمة

(الحادية عشرة) ان الايمان بالله تعالى والتصديق بلقائه من أعظم أسباب الصبر والثبات في مواقف الجلاد . فان الذي يؤمن بأن له إلهاً غالباً على أمره يمده بمعونته الالهية ، كما أمده بالقوى الروحية والجسدية، فاذا ظفر باذنه كان مصلحاً في الارض مستعمرا لها ، واذا قبضه اليه بانتهاء أجله المسمى كان في رحمته ناعما فيها ، جدير بأن يستخف بالأهوال، ويثبت في القتال ثبات الأجبال ، وقد وافقنا كتاب الافرنج في هذه المسألة فصرحوا بأن من أسباب ثبات البوير وبلائهم في حربهم للانكليز كونهم أقوى ايمانا وأرسخ عقيدة. وجميع الأمم تشهد بأن الجيش العثماني أثبت جيوش العالم وأصبره وأشجعه وقد تمنى قائد يعد من أشهر قواد الارض لو أن له مئة الف من هذا الجيش ليملك به العالم . ذلك انه جيش يؤمن بلقاء الله تعالى ايمانا قوياً يقل في قواده من يساهمه فيه

وقد عبرت الآية في هذا المقام عن الايمان بالظن . والايمان بالآخرة من أصول الدين التي لابد فيها من اليقين كما قال تعالى في سورة البقرة (٤:٢) «وبالآخرة هم يوقنون» وقد ذهلنا عن بيان حكمة ذلك في تفسير الآية فنستدركه هنا لأن المقام مقام تتمة تفسيرها فنقول ذهب جماهير المفسرين الى أن الظن يستعمل بمعنى اليقين المقطوع به وبمعنى الاعتقاد الراجح والقرائن الحالية أوالقولية تعين أحد المعنيين. ومن استعمال الظن بمعنى اليقين قوله تعالى في سورة التطفيف(٨٣:٤) « ألا يظن أولئك انهم مبعوثون» وقوله في سورة الانشقاق (٨٤:١٤) « انه ظن أن لن يحور »

وقال الاستاذ الامام ان الظن في هذه الآيات كلها بمعنى الاعتقاد الراجح لامعنى له سواه والنكتة في ذلك بيان أن الاعتقاد الراجح يثمر هذه الثمرات ويكون له هذا الجزاء فكيف باليقين (راجع ص ٣٢٨ م ٥)

(الثانية عشرة) ان التوجه الى الله تعالى بالدعاء مفيد في القتال كما يدل عليه قوله تعالى « فهزموهم باذن الله » اذ عطفها بالفاء على آية الدعاء، وذلك معقول المعنى فان الدعاء هو آية ذلك الايمان الذي بينا فائدته آنفاً ولذلك قال عزوجل في سورة الانفال (٨:٤٤) « ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون

(الثالثة عشرة) دفع الله الناس بعضهم ببعض من السنن العامة وهو ما يعبر عنه علماء الحكمة في هذا العصر بتنازع البقاء ويقولون ان الحرب طبيعية في البشر لانها من فروع سنة تنازع البقاء العامة . وانت ترى أن قوله تعالى «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض» ليس نصاً فيما يكون بالحرب والقتال خاصة بل هو عام لكل نوع من أنواع التنازع بين الناس الذي يقتضي المدافعة والمغالبة . ويظن بعض المتطفلين على علم السنن في الاجتماع البشري أن تنازع البقاء الذي يقولون إنه سنة عامة هو من أثرة الماديين في هذا العصر وانه جور وظلم هم الواضعون له والحاكمون به وانه مخالف لهدي الدين ولو عرف من يقولون هذا معنى الانسان أو لو عرفوا أنفسهم لما قالوا ماقالوا

(الرابعة عشرة) قوله تعالى «لفسدت الأرض» يؤيد السنة التي يعبر عنها علماء الاجتماع بالانتخاب الطبيعي أو بقاء الامثل ووجه ذلك جعل هذا من لوازم ماقبله فانه تعالى يقول ان مافطر عليه الناس من مدافعة بعضهم بعضاً عن

الحق والمصلحة هو المانع من فساد الارض أي هو سبب بقاء الحق وبناء الصلاح • ويعزز ذلك قوله تعالى في بيان حكمة الاذن للمسلمين بالقتال في سورة
الحج (٧١) — « ٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ، وَلَوْلَا
دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ
يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *
٤٠ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » فهذا إرشاد الى تنازع البقاء
والدفاع عن الحق وأنه ينتهي ببقاء الأمثل، وحفظ الأفضل،

ومما يدل على هذه القاعدة من القرآن المجيد قوله تعالى في سورة الرعد (١٣)
« ١٧ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً،
وَمِمَّا تُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ
فِي الْأَرْضِ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ » فهو يفيد ان سيول الحوادث
ونيران التنازع تقذف زبد الباطل الضار في الاجتماع وتدفعه وتبقي إبليز (١) الحق النافع الذي ينمو فيه العمران، وإبريز المصلحة التي يتحلى بها الانسان، وهناك آيات أخرى تدل على أن الحق يزهق الباطل وسيأتي بيان ذلك ودفع الشبه عنه في موضعه إن أمهلنا الزمان والله المستعان

(١) الابليز هو الطين الذي يأتي به النيل في فيضانه ويعبر عنه بالطمي وهو من ذكر الخاص المراد به العام

باب الانتقاد على المنار

﴿ اشتراط الولي في النكاح ﴾

قد تكرر القول منا بأننا ننشر في المنار كل ما ينتقده أهل العلم علينا ونبدي رأينا فيه ونترك الترجيح للقراء والحق أبلج لا يخفى على ذي البصيرة • واننا نحب أن ننشر ذلك في آخر جزء من السنة الا أن يكون الانتقاد يتعلق بشبهة على الاعتقاد أو نحو ذلك مما يضر تأخير نشره • وقد ورد علينا في ذي الحجة من السنة الماضية انتقاد من أحد فقهاء الحنفية في الهند على ما كتبناه في مسألة اشتراط الولي في النكاح وكان الجزء الرابع والعشرين قد كتبت أصوله فأخرت الانتقاد ونسيته زمناً ولما راجعت الآن مالدي مما انتقد به عليَّ رأيته مع آخر فجعلته في أول الباب فأنا أنشره ثم أجيب عنه بما يتسع له الباب. قال المعترض بعد البسملة والحمد والاستعانة ما نصه :

« أما بعد فما أغرب المنار ما أتى به في مجلته (كذا) (الجزء الثاني عشر من المجلد السابع) بان الولى لا بد منه للنساء (كذا) في عقد النكاح سواء كن بالغات أم لا وانه لا يجوز نكاح المرأة بغير الولى وزعم ان قول الامام ابى حنيفة رحمه الله بعدم اشتراط الولى في نكاح المرأة المكلفة مخالف للكتاب والسنة وقول الصحابة واستدل على دعواه بحجج ليست بنص على ما ادعى، واستدلالات غير مثبتة لما نطق وقضى، فأوردنا في هذه المقالة كشف الستر عن وجه هذه المسئلة ورفع الحجاب عن ساحة تلك القضية فأقول وبالله التوفيق ان قول الامام في هذا الباب هو الموافق للكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين وآثار الصحابة والتابعين

أما كتاب الله تعالى فقد قال جل وعلا « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » فانه سبحانه نسب النكاح الى النساء وان كان لا يجوز بدون الرجال ما نسبه اليهن (كذا) بل الى الاولياء. وأما قوله تعالى « وأنكحوا الايامى منكم » فهو وان كان فيه خطاب مع الرجال الذين يتولون العقد لكن لا يفهم منه اشتراط الولي وانه لا بد منه كذلك قوله تعالى « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن

فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف» لا يفهم منه أيضا اشتراط الولي بل ليس فيه ذكر الولي حتى يستدل به على الاشتراط أو عدمه فان الخطاب فى « فلا تعضلوهن » للازواج لا للاولياء كما فهمه صاحب المنار كيف وينتشر منه الكلام ويتفكك به النظام فان الخطاب في اذا طلقتم مع الازواج قطعاً واذا كان الخطاب فى «فلا تعضلوهن» مع الاولياء لا مع الازواج ينتشر الكلام ويتعذر فهم المرام وكلام الله تعالى عما يصفون كما حققه الرازى في تفسيره حيث قال اختلف المفسرون في أن قوله فلا تعضلوهن خطاب لمن؟ فقال الاكثرون انه خطاب للاولياء وقال بعضهم انه خطاب للازواج وهذا هو المختار الذى يدل عليه أن قوله تعالى « اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن» جملة واحدة واحدة مركبة من شرط وجزاء فالشرط قوله اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن والجزاء قوله فلا تعضلوهن ولا شك ان الشرط وهو قوله اذا طلقتم النساء خطاب مع الازواج فوجب ان يكون الجزاء وهو قوله فلا تعضلوهن خطابا معهم أيضا اذ لو لم يكن كذلك لصار تقدير الآية اذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن أيها الاولياء وحينئذ لا يكون بين الشرط والجزاء مناسبة أصلا وذلك توجب تفكك نظم الكلام وتنزيه كلام الله عن مثله واجب.

وأما حديث معقل بن يسار قال كانت لى أخت فأتاني ابن عم فانكحتها اياه فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة فهويها وهويته ثم خطبها مع الخطاب فقلت له يا لكع اكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخطبها والله لا ترجع اليك ابدا وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الى بعلها فانزل الله هذه الآية قال ففيّ نزلت فكفرت عن يميني وانكحتها اياه. فهو أيضا لا يدل على ان الخطاب مع الاولياء اما تعلم ما تقرر في الاصول من ان العبرة بعموم المعنى لا لخصوص المورد فهذه الآية وان كانت مورده (كذا) الخاص الازواج ولكن لما كانت العبرة لعموم الفحوى دخل فيه عضل معقل بن يسار الذى هو ولى هذه المرأة ففهم أن الآية فىّ نزلت (كذا)

أما قول القائل « ولو كان لها ان تزوج نفسها لفعلت مع ماذكر من رغبتها»

فمدفوع اذ يجوز ان تكون امتناعها (كذا) عن التزوج بعدم تمكنها مخالفة أخيها (كذا) الذى حلف بان لا يزوجها به مع رغبتها اليه (كذا) لأن الغالب في النساء ان يكن تحت تدبير الاولياء وآرائهم ولا يقدرن على المخالفة فى باب النكاح وان كان الاذن الشرعي لهن في ذلك (كذا) كما حققه الرازي في تفسيره حيث قال لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله فلا تعضلوهن ان يخليها ورأيها في ذلك وذلك لأن الغالب في النساء الايامى أن يتركن الى رأي الاولياء في باب النكاح وان كان الاستئذان الشرعي لهن وان يكن تحت تدبيرهم ورأيهم وحينئذ يكونون متمكنين من منعهن كتمكنهم من تزويجهن فيكون النهي محمولا على هذا الوجه وهو منقول عن ابن عباس فى تفسير الآية

وكذلك قوله « وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » الآية لا يفيد لدعواكم (كذا) سلمنا ان المراد بالذي بيده عقدة النكاح هو الولي لكن يحمل على الصغيرة كما ان «ان يعفون» على الكبيرة (كذا) غاية ما في الباب انه يلزم منه ان نكاح الصغيرة لا ينعقد بدون الولي وانه لا بد منه وهذا عين ما ذهبنا اليه

وأما سنة رسول الله فمنها ما رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى قال جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت يارسول الله جئت أهب لك نفسي فنظر اليها رسول الله (ص) فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله (ص) رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال يارسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال وهل عندك من شيء قال لا والله يارسول الله فقال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله ماوجدت شيئاً فقال رسول الله (ص) انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال والله يارسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزاري فقال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال يارسول الله (ص) ما تصنع بإزارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله صلعم موليا فامر به فدعي فلما جاء قال ماذا معك

من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها فقال تقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال نعم قال «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن» فقد أنكحها رسول الله (ص) بغير إذن وليها بل ومع عدم التفتيش والتنقيح بحال وليها (كذا) ودعوى الخصوصية لا تسمع بغير دليل (رواية الاكثرين زوجتكها بدل ملكتها)

ومنها ما رواه الطحاوي في معاني الآثار عن أم سلمة قالت دخل علي رسول الله (ص) بعد وفاة أبي سلمة فخطبني الى نفسي فقلت يارسول الله انه ليس أحد من أوليائي شاهدا فقال انه ليس منهم شاهد ولا غائب يكره ذلك قالت قم ياعمر فزوج النبي (ص) فتزوج. ومنها مارواه سعيد بن منصور في سننه حدثنا أبو الاحوص عن عبد العزيز بن ربيع عن أبي سلمة جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت ان أبي أنكحني رجلا وانا كارهة فقال لابيها لا نكاح لك اذهبي فانكحي من شئت. فهذه الأحاديث كما ترى دالة على عدم اشتراط الولي وان النساء البالغات لهن ان يباشرن العقد بنفسهن من غير احتياج الى الرجال

وأما مارواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن فلا يفهم منه ان حق التزوج (كذا) للرجال دون النساء كيف ومفاد الحديث ان نكاح الايم وكذا البكر لا تنعقدان (كذا) بدون إجازتهما صريحا او كناية وأما ان حقية مباشرة العقد للرجال أو النساء فهو بمعزل عن هذا كيف لا وقد روى هذا الحديث ابن عباس بلفظ الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وأذنها صماتها والتأويل بان المراد أن لا يزوجها الا بأمر صريح تحريف باطل لا يقبله العقل السليم والفهم المستقيم

واما حديث ابي موسى لا نكاح الا بولي: فقد أعله ابن حبان بالارسال كما ذكره الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام وتصحيح الحاكم كتحسين الترمذي لا يعتدان بشيء (كذا) وكذلك حديث ايما امرأة نكحت بدون أذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل فان دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له. ايضا ضعيف فان الزهري الراوي انكر منه (كذا) وقال اخشى ان يكون سليمان وهم كما نقله الحافظ ابن حجر في الدراية على ان

عائشة التي روت هذا الحديث زوجت حفصة بنت اخيها عبد الرحمن وهو غائب بالشام كما اخرجه مالك في الموطأ: فنسبة النسيان الى الزهري كما فعله صاحب المنار كما ترى

والحاصل ان حديث لا نكاح الا بولي: وان كان ينجبر ضعفه بكثرة الطرق لكن لا يساوي درجة الكتاب والصحاح من الاحاديث التي ذكرت فضلا عن ان يكون فاضلا فافهم وأنصف. وكذلك حديث ابي هريرة: لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها: رفعه غير محفوظ كيف واكثر اصحاب هشام بن حسان أحد رواة هذا الحديث كنضر بن شميل وسفيان بن عيينة وغيرهما يروونه موقوفا وكذا الامام الاوزاعي الذى هو المتابع للهشام (كذا) ايضا يرويه موقوفا قال الشوكاني فى نيل الاوطار الصحيح وقفه على ابي هريرة

وقد نقل في عدم (كذا) اشتراط الولي في النكاح عن عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة وموسى بن عبد الله والزهري والشعبي وغيرهم من التابعين كما نقله ابن أبي شيبة في مصنفه فتبين بهذا بطلان قول الحافظ ابن المنذر انه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك. فتنور بهذا جله ان كتاب الله وسنة رسول الله وأقوال الصحابة والتابعين كلها تدل على ان نكاح الحرة البالغة العاقلة نفسها (كذا) بغير ولي جائز هذا حكم الله في دينه وحكمته ظاهرة فان النكاح تصرف فى خالص حقها وهي من أهله لكونها عاقلة بالغة ولهذا جاز لها التصرف في الاموال واختيار الازواج فلا معنى لاشتراط الولي لصحته غاية ما في الباب ان يكون للولي الاعتراض اذا قصرت في أمر بان تزوجت بغير كفوء أو بأقل من مهر المثل والله أعلم وعلمه أتم

(عبد الرؤف البهاري)

هذا ما كتبه بحروفه المعترض لم نصحح منه الاعبارة الرازي وبعض أغلاط الإملاء وهي قليلة وأشرنا الى بعض مافي عبارته من الغلط والضعف بكلمة (كذا) وقد أرسل الينا مقالته بعض قراء المنار الأخيار وكتب الينا فى آخرها ما يأتي:

حضرة الفاضل العلامة والماجد الفهامة أدام الله مجدكم

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فان مقالتكم في المنار في اشتراط الولي في النكاح لما نظر بعض أحبتي اليها وأمعن فيها كتب لي بما يتضمنه هذا الكتاب فأحببنا ارسالها الى جنابكم رجاء إشاعتها في مجلتكم . وإن شئتم أجبتم عما فيه ولكم الفضل ولا زلتم بخير

السيد رحمة الله مهتمم مدرسة جامع العلوم
مظفر بور — الهند

﴿ جواب المنار ﴾

نشهد الله تعالى انه لو ظهر لنا أن ماقاله هذا المعترض حق لاعترفنا به وهل يمنع المشتغل بالعلم من رؤية الحق حقا والاعتراف به الا التعصب لمذهب معين يحاول أن يثبت له الحق في جميع مسائل الخلاف وينفيه عن مخالفيه وما نحن بالمتعصبين ، إن نقول الا كما قال إمام دار الهجرة « كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر » يعني قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، واذا كان جماهير علماء الأمة قد اثبتوا في الأصول أن الحق واحد في كل مسألة وأنه لاعصمة في بيان أحكام الشريعة الا للانبياء فليس يعقل أن يكون واحد من الأئمة قد أصاب في كل ماخالف به غيره وأخطأ سائرهم فيه بل يصيب هـذا تارة وذاك تارة أخرى والمتأخر اقرب الى الصواب غالبا لأنه يطلع على ماقاله المتقدم ويزيد عليه . وقد قال الامام الشافعي للإمام محمد صاحب الامام ابي حنيفة (رحمهم الله تعالى أجمعين) : ناشدتك الله أصاحبنا (يعني الامام مالكا) أعلم بكتاب الله أم صاحبكم (يعني ابا حنيفة) فقال اللهم صاحبكم وسأله مثل هذا في السنة فاعترف بان مالكا أعلم بها فقال له الشافعي فعلام تقيس أنت وصاحبك . اه بالمعنى . ونحن نعلم ان الشافعي قد أخذ الحديث عن مالك وحفظ الموطأ وزاد عليه في الرواية وكان عربيا يحتج بعربيته ومع ذلك قال طلبت لغة العرب عشرين سنة . ثم ان الامام أحمد أخذ عن الشافعي وزاد عليـه في الرواية وكان عربيا فصيحا فالذي يغلب على الظن ويوافق سنة التدريج التي كان بها خاتم النبيين أفضلهم أن أقرب المذاهب الى الصواب في المسائل الخلافية أحمد فالشافعي فمالك فأبو حنيفة رضوان

الله عليهم أجمعين . وليس هذا بقادح في فضل المتقدم بالسبق اذ يوجد في الفاضل مالا يوجد في الأفضل كما مثلنا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يجب أن يكون المتأخر هو المصيب دائما وان تساوى مع سابقه في درجة الاجتهاد وزاد في الاطلاع لما يعرض للمرء أحيانا من الذهول والنسيان وكلال الذهن وغير ذلك من العوارض ولذلك وجب عرض مسائل الخلاف على الكتاب والسنة كما قال تعالى (٥٩:٤) « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » والرد الى الله تعالى هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول بعد وفاته هو الرد الى سنته لاخلاف في ذلك . والواجب ان يرد ما يتنازع فيه اليهما على انهما الاصل الذي يحمل عليه غيره لالأجل تطبيقهما على قول معين ولو بالتكلف وجعلهما فرعين فان هذا هو التفسير بالرأي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» رواه أصحاب السنن ٣ من حديث ابن عباس مرفوعا . اذ تمهد هذا فاليك البحث فيما كتبه المعترض في تطبيق الآيات والاحاديث على مذهبه على ضعفه في اللغة العربية كما علمت من عبارته

(١) استدل بقوله تعالى (٢٢٩:٢) «فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره» على أن المرأة تتولى العقد بنفسها دون وليها لانه أسند النكاح اليها . ونسي أو تناسى أن النكاح هنا لايصح ان يفسر بالعقد اذ لو فسر به لكانت الآية دليلا على أن المطلقة ثلاثا اذا عقد عليها رجل آخر وطلقها ولم يدخل بها فانها تحل لزوجها الاول وهذا مخالف لمذهب إمامه الذي يريد الانتصار له ولمذاهب الائمة الثلاثة وغيرهم من السلف والخلف فهو تفسير مردود لا يقول به أحد من المسلمين وقد بينا معنى الآية في موضعها من التفسير فراجعها في الجزء الثالث (ص ٤٨١) من هذا المجلد

(٢) زعم ان قوله تعالى (٢٣:٣٢) « وأنكحوا الايامى منكم » الآية يفهم منه اشتراط الولي . ونقول يفهم منه ان الرجال مخاطبون من الله تعالى بتزويج النساء ولم يخاطب سبحانه النساء بتزويج أنفسهن فكيف تزعم ان القرآن يدل على انه شرع للمرأة ان تزوج نفسها . وقد علم من السنة التي جرى عليها السلف والخلف

من الأمة ان الرجال المخاطبين بتزويج النساء هم الاقربون المعبر عنهم بالاولياء لا الاجانب

(٣) وزعم أيضاً ان قوله تعالى (٢: ٢٣١) «فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن» لا يفهم منه اشتراط الولي لانه لم يذكر الولي ولأن النظام يتفكك بهذا التفسير. وانه لزعم غريب اعتاد مثله اهل الجدل. كأن هذا القائل ومن نقل عنه أعلم بمدلول الكلام ونظامه من الصحابي الذي قال ان الآية نزلت فيه اذ عضل أخته فلم يرض ان يعيدها الى زوجها الذي طلقها حتى نزلت الآية فيه فزوجها منه ، وأعلم بهذا المدلول من الأئمة الثلاثة وسائر علماء السلف والخلف الذين أخذوا بحديث البخاري في سبب نزولها . فراجع تفسيرها في (ص٥٢٧) وما بعدها من هذا المجلد . وما نقله من اختيار الرازي مردود لمخالفته الحديث الصحيح وقول الجمهور باعترافه على أن الرازي أجاب عنه وأشار الى ترجيح مذهب إمامه الشافعي

(٤) زعم ان حديث معقل بن يسار لا يدل على أن الخطاب في النهي عن العضل للأولياء لما تقرر فى الأصول من ان العبرة بعموم الفحوى . ونقول أن المراد بعموم الفحوى أن ماورد بسبب خاص لا يقصر على سببه بل يؤخذ بعموم اللفظ فكل رجل منهي عن عضل موليته كمعقل بن يسار . وجعل الخطاب في هذا النهي للأزواج المطلقين لا وجه له في العربية لأن المعنى عليه : لا تعضلوا أيها الأزواج مطلقاتكم ان ينكحن أزواجهن : وما أزواجهن الا مطلقوهن ولا معنى لعضلهن عن أنفسهم . وما قاله من زعم أن النهي للأزواج من أن المراد بأزواجهن من يصيرون أزواجهن على سبيل المجاز المرسل تنافيه الإضافة اليهن على ماحققه الامام عبد القاهر الجرجاني في مثله . واذا لم تكن الآية مع الحديث نصا في أن الرجال هم الذين يزوّجون ويمنعون فليكن ظاهرا فى ذلك واين النص أو الظاهر أو الاشارة من الكتاب على مذهب المعترض من أن المرأة تزوج نفسها ؟

(٥) مادفع به قولنا «لو كان لها ان تزوج نفسها لفعلت» الخ مدفوع من نفسه وقوله عن الرازي ؟ لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله «فلا تعضلوهن» أن يخليها ورأيها : لا يصح سندا لأن الحديث ناطق بأنه كفر عن يمينه واستحضر زوجها وعقد له عليها ولو كان المراد ماذكره لسكت عن المعارضة أو لأذن لها ان تعقد عليه . ولو كان هو وغيره من الاولياء منعوا النساء مما هو حق لهن لما أقرهم الشرع على ذلك بل لأمرهم بتركهن يزوجن أنفسهن أمرا صريحا

(٦) سلم ان الذي بيده عقدة النكاح في قوله تعالى «الا ان يعفون» الخ هو الولي ولكنه خصه بوليّ الصغيرة . على أن الخلاف فيه اقوى من الخلاف في المنهيين عن العضل . وهو على قول من ذهب الى أنه الولي حجة من الحجج على ماذهبنا اليه من ان الرجل هو الذي يزوج المرأة وان الشريعة لم تسمح لها بأن تزوج نفسها ، وعلى القول الآخر لا يدل على ماذهب اليه الحنفية من أن أمرها بيدها اذا كانت راشدة — فهذا مجموع ماذكره من آيات القرآن دليلا على مذهبه وقد رأيت أنه لا حجة له في شيء منه بل هو حجة عليه

(٧) حديث سهل بن سعد حجة على مذهب المعترض في جعل الصداق منفعة فانه صريح في جعل تعليم مامعه من القرآن صداقا وهو لا يجيزه وفي عدم استقلال المرأة بتزويج نفسها ورجوعها الى ولاية الامام اذا لم يكن لها ولي كما قال بعض العلماء في تلك المرأة فانه لم يكن يعرف لها ولي من المؤمنين . على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو صاحب الولاية العليا على جميع من آمن به لقوله تعالى في سورة الاحزاب (٣٣: ٦) «النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض» فولاية الأقربين بعضهم على بعض هي دون ولايته عليه الصلاة والسلام ومن فروع هذه الولاية مانزل فيه قوله تعالى في هذه السورة «٣٦ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» وقد نزلت في إباء زينب وأخيها الذي هو وليها تزويجها بزيد . فتزويج النبي عليه الصلاة والسلام تلك المرأة المجهولة لذلك الرجل لا حجة فيه على أنه يجوز للمرأة التي لها ولي أن تزوج نفسها أو توكل من تشاء من الرجال في تزويجها كما هو مذهب المعترض الذي يزعم أن حديث سهل حجة له اذ لا يقاس أحد به صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكر الحافظ السيوطي هذا الحديث في باب اختصاصه (ص) بأنه يزوج

من شاء من النساء بمن شاء من الرجال . واستدل على هذه الولاية الخاصة له (ص) بالآية التي ذكرناها آنفا وقلنا انها نزلت في زيد وزينب وبحديث أبي هريرة عند البخاري وغيره «ما من مؤمن الا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة» وذكر في الباب ما أخرجه ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي أن عبد الله ذا البجادين خطب امرأة فلم تتزوجه فسألها أبو بكر وعمر فأبت فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «ياعبدالله ألم يبلغني أنك تذكر فلانة» قال بلى قال «فاني قد زوجتكها» فأدخلت عليه وهذا الحديث معضد بالآية وبما ورد في الصحيح . فلينظر المنصف الى تحريف هؤلاء المتعصبين يتركون العمل بالحديث فيما هو صريح فيه ويحتجون به على مخالفهم فيما لا يدل عليه وهكذا شأن من يجعل مذهبه أصلا والكتاب والسنة فرعين يحملان عليه ولو بالتأويل أو يتركان

(٨) حديث أم سلمة فيه حجة على مذهب المعترض فان قولها «ليس أحد من أوليائي شاهدا» دليل على انه كان من المعروف في الاسلام أن المرأة لا يزوجها الا بعض أوليائها وليس فيه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبطل هذه السنة حتى يكون حجة على جماهير الأمة القائلين بأن الولي هو الذي يتولى التزويج بل فيه أن عمر ولدها هو الذي زوجها وهو وليها ان صح الاحتجاج بالحديث

وقد استدل الطحاوي (محدّث الحنفية) رحمه الله تعالى بهذا الحديث على ان المرأة لا تتولى بنفسها عقد النكاح وان كانت ثيبا بل توليه الرجال خلافا لما زعم المعترض .

هذا وقد أعلّ المحدثون حديث أم سلمة هذا بان عمر ابنها كان صغير السن يومئذ فانه ولد في الحبشة في السنة الثانية من الهجرة وتزوج (ص) بأمه في السنة الرابعة ، وبأنه عليه الصلاة والسلام لا يفتقر في نكاحه الى وليّ

(٩) حديث أبي سلمة عند سعيد بن منصور غير معروف وسنن سعيد غير متلقاة بالرواية ونسخها مفقودة فما عساه يوجد منها لا يحتج به بمقتضى القاعدة التي قررها ابن الصلاح في تلقي الكتب والاحتجاج بها وأبو الاحوص شيخ سعيد هو سلام بن سليم وقد روى عن عبد العزيز بن رفيع بالفاء (لا بالباء الموحدة

كما ضبطه المعترض) وقد ذكر في تهذيب الكمال جميع من روى عنهم عبدالعزيز ولم يذكر فيهم أبا سلمة . وهذه كنية غير واحد من الصحابة والتابعين . ثم ان ما ينفرد به سعيد في سننه يجب ان يكون محل النظر فقد ذكر صاحب التهذيب وتبعه الذهبي في الميزان عن يعقوب بن سفيان أن سعيدا كان اذا رأى في كتابه خطأ لا يرجع عنه .

والذي روي في هذا المعنى واحتج به الحنفية حديث ابن عباس عند أحمد وأبي داود وابن ماجه والدارقطني أن جارية بكرا أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ان أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم : ورواه الدارقطني عن عكرمة مرسلا وذكر انه أصح . والحنفية يحتجون بالمرسل . وقد حققنا من قبل أن ليس للولي أن يجبر موليته على النكاح والحديث مرسله وموصوله لا يدل على أكثر من ذلك فلا شبهة فيه على القول باستقلال المرأة بتزويج نفسها. فمن قال من الأئمة بنفي الاجبار مصيب فالحق انه هو الذي يزوج برضاها واذنها . ومن قال ان لها ان تستقل بتزويج نفسها فلا دليل له من كتاب ولا سنة بل الكتاب والسنة حجتان عليه

(١٠) زعم ان حديث أبي هريرة عند الجماعة «لا تنكح الأيم حتى تستأمر» الخ لا يفهم منه ان حق التزوج (يريد التزويج) للرجال . ولو قال لا يدل على اشتراطه لكان له وجه أما نفيه الفهم فلا وجه له لأن الكلام مبني على ان سنة الاسلام جارية بتزويج الرجال للنساء فالشارع ينهاهم أن يفعلوا هذا — وهو حق لهم أقرهم عليه بشرطه — الا بعد أمر من الثيب واستئذان البكر . فهو اذا لم يدل على إنشاء مشروعية كون الولي هو الذي يزوج فهو يدل حتما على ان ذلك كان مشروعا وعليه العمل . ولا تنافي ذلك الرواية الثانية عن ابن عباس فان كونها أحق بنفسها يقتضي أن يكون للولي حق ولها حق هو آكد وهو يتفق مع وجوب استئمارها . والحكمة في هذا التعبير أن الثيب كثيرا ما كانت تخطب الى نفسها وأما البكر فلم تجر العادة بخطبتها الى نفسها بل الى أوليائها ، والثيب لا تستحي أن تصرح برضاها بمن خطبها والبكر تستحي وغرض الشارع أن يبين للاولياء ما ينبغي لهم

مراعاته في تزويج مولياتهم فحرم عليهم الاكراه والاجبار وأمرهم أن يستأذنوا البكر فيمن يرضونه لها من الخاطبين وأن يكتفوا منها بالسكوت الذي يشعر بالرضى ولا يكلفوها الاذن الصريح وأن يتركوا الثيب وشأنها في الاختيار اذا خطبت الى نفسها واليهم فلا يزوجوها بمن يخطبها اليهم الا بأمر صريح منها لأنها لا تستحي من التصريح بمن ترضى وتختار. هذا هو مفهوم مجموع الروايات ولو فهم الصحابة منه أن الثيب تعقد على نفسها لفعل ذلك كثيرات منهن ولكن لم يرد ذلك من أحد في رواية سالمة من العلل «وفي مختصر مشكل الآثار أن الذي للمرأة قبل الحق في عقد نكاحها أن تأذن فيه لوليها وتوليه ذلك فيكون العقد منه عليها عقدا منها على نفسها لان عقود الوكلاء في هذا مضافة الي آمريهم وبهذا الجمع بين الروايات نقول

(١١) اقتضب المعترض الكلام في اعلال حديث «لا نكاح الا بولي» مع علمه بما ورد في تصحيحه قال في نيل الاوطار بعد ان أورد حديثي أبي موسى وعائشة في المنتقى معزوين الى الامام أحمد وأصحاب السنن ماعدا النسائي ما نصه: «حديث أبي موسى أخرجه أيضاً ابن حبان والحاكم وصححاه وذكر له الحاكم طرقاً وقال وقد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش ثم سرد تمام ثلاثين صحابيا. وقد جمع طرقه الدمياطي من المتأخرين. وقد اختلف في وصله وارساله فرواه شعبة والثوري عن أبي اسحق مرسلا ورواه اسرائيل عنه فأسنده. وأبو اسحق مشهور بالتدليس. وأسند الحاكم من طريق علي بن المديني ومن طريق البخاري والذهلي وغيرهم أنهم صححوا حديث اسرائيل وحديث عائشة أخرجه أيضا أبو عوانة وابن حبان والحاكم وحسنه الترمذي وقد أعلّ بالارسال وتكلم فيه بعضهم من جهة ان ابن جريج قال: ثم لقيت الزهري فسألته عنه فأنكره: وقد عدّ ابو القاسم بن منده عدة من رواه عن ابن جريج فبلغوا عشرين رجلا وذكر ان معمرا وعبيد الله بن زحر تابعا ابن جريج على روايته إياه عن سليمان بن موسى وان قرة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحق وأيوب بن موسى وهشام بن سعد وجماعة تابعوا سليمان بن موسى عن

الزهري. قال ورواه أبو مالك الجنبي ونوح بن دراج ومندل وجعفر بن برقان وجماعة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. وقد أعلّ ابن حبان وابن عدي وابن عبد البر والحاكم وغيره الحكاية عن ابن جريج بانكار الزهري. وعلى تقدير الصحة لا يلزم من نسيان الزهري له ان يكون سليمان بن موسى وهم فيه» اه كلام نيل الاوطار ومنه تعلم ان ما ذكره المعترض من إعلال الحديثين لا يشفي العلة ولا يبرد الغلة وان الحجة بهما قائمة.

(١٢) وأما قوله ان عائشة راوية الحديث زوجت حفصة بنت أخيها الخ أي فهو ضعيف بعمل الراوي بخلاف روايته على طريقة الحنفية فجوابه من وجهين احدهما اننا لا نسلم ان عمل الراوي بخلاف روايته يبطل العمل بها لأن الرواية حجة بشرطها وعمل الراوي ليس بحجة لأنه غير معصوم لاسيما اذا كان عمله مخالفا لما ورد عن الشارع المعصوم. وثانيهما ان فقهاء مذهب المعترض اوردوا أثر عائشة في كتبهم وذكروا ما قيل في معناه من انها أذنت في التزويج ومهدت أسبابه فلما لم يبق الا العقد أشارت الى من يلي أمرها عند غيبة أبيها ان يعقد. يدل على ذلك ماروي عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال كانت عائشة رضي الله عنها تخطب اليها المرأة من أهلها فتشهد فاذا بقيت عقدة النكاح قالت لبعض أهلها: زوج فان المرأة لا تلي عقد النكاح: أسنده البيهقي عنه

(١٣) ثم ان المعترض جاء بعد ايراد ما تقدم بحاصل مردود وهو ان حديث « لا نكاح الا بولي » وان كان ينجبر ضعفه بكثرة الطرق لا يساوي درجة الكتاب والصحاح التي ذكرت. وقد علمت مما تقدم أن الحديث صحيح بل يكاد بكثرة طرقه والعمل به يكون متواترا، وأن الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة ماذكره المعترض منها وما لم يذكره مؤيدة له لا معارضة

(١٤) ومن غريب أمر المعترض في تحريفه انه قال بعد هذا ان حديث ابي هريرة « لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها » غير محفوظ مرفوعا وينقل تصحيح وقفه عن نيل الاوطار وهذه عبارة نيل الاوطار فيه: « وحديث أبي هريرة أخرجه أيضاً البيهقي قال ابن كثير الصحيح وقفه على أبي

هريرة وقال الحافظ رجاله ثقات . وفي لفظ للدارقطني كنا نقول التي تزوج نفسها هي الزانية : قال الحافظ فتبين ان هذه الزيادة من قول أبي هريرة وكذلك رواها البيهقي موقوفة في طريق ورواها مرفوعة في أخرى » اه فعلم من هذا أن الجملة الأخيرة من الحديث رويت مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وموقوفة على أبي هريرة . وعبارة أبي هريرة كنا نقول ان الزانية هي التي تزوج نفسها صريحة فى ان هذا القول كان فاشيا في الصحابة ومثله لا يفشو بمجرد الرأي فله حكم المرفوع ولو لم يرفع فكيف وقد رفع كما علمت

(١٥) قال ان عدم اشتراط الولي في النكاح منقول عن عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة وموسى بن عبد الله والزهري والشعبي وغيرهم من التابعين الخ ونقول ان هذا نقل لم يثبت ولذلك قال الحافظ ابن المنذر انه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك أي خلاف اشتراط الولي . وقد روى الدارقطني عن الشعبي قال ما كان أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه أشد في النكاح بغير ولي من علي كان يضرب فيه : فظهر بهذا كله بطلان قول المعترض « فتنوّر بهذا جله أن كتاب الله » الخ بل كتاب الله تعالى وسنة رسوله وأقوال الصحابة والتابعين وعملهم فى جملته على ان المرأة لا تزوج نفسها بل يزوجها من حضر من أوليائها الاقرب فالاقرب برضاها . فان لم يوجد لها ولي رجع أمرها الى امام المسلمين ذي الولاية العامة فهو يزوجها ولهذا خالف أبا حنيفة فيما انفرد به صاحبه محمد بل صاحباه وقالا بوجوب الولي ذكر الطحاوي في شرح معاني الآثار قول الامام أبي حنيفة ان للمرأة الحق في تزويج نفسها بدون ولي قياسا على تصرفها في مالها وانه ليس للولي ان يعترض الا اذا تزوجت بغير كفؤ أو بدون مهر المثل قال: وقد كان أبو يوسف يقول ان بضع المرأة اليها وانه ليس للولي ان يعترض عليها في نقصان ما تزوجت عليه عن مهر مثلها ثم رجع الى قول محمد انه لا نكاح الا بولي : اه فاذا كان صاحبا أبي حنيفة (رحمهم الله تعالى) قد خالفاه في هذه المسألة بعد ما علما بما ورد فيها عن الشارع وأصحابه مما لا محل له معه لقياس البضع على المال ، فما بال هذا المقلد المعترض جاء في آخر الزمان يحرف الكلم عن مواضعه ليصحح

قول أبي حنيفة على أن في المذهب الحنفي مسائل لا تحصى قد رجح الشيوخ فيها قول صاحبيه على قوله .

وأما ماذكره في حكمة مذهبه فهو وجه القياس الذي بطل بالنص والحكمة البينة لما ثبت بالنصوص هي ما بيناه في المنار (ص ٤٦١) من المجلد السابع ونقول في خاتمة البحث ان من يريد الاهتداء بالكتاب والسنة يجب عليه عند النظر فيهما أن ينبذ هواه وتعصبه و يقصد ان يجعلهما الأصل الأصيل الذي يعمل به و ينبذ كل ما خالفه لا أن ينظر فيهما التماسا لتأييد قول رجل معين كلامه هو أصل الدين عنده فان وافقته النصوص الالهية قبلها والا حرفها وصرفها عن وجهها على أن المتعصب لرأي ما يعميه تعصبه عن رؤية الحق والمقلد قد قطع على نفسه طريق النظر في الدليل، «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

﴿ طعام أهل الكتاب ومجاملتهم ﴾

كتب الينا بعض القراء الفضلاء من مسلمي « بوسنه » ما يأتي

الى حضرة العالم الكامل الافخم !

أيها النحرير الشهم الفاضل

ما مرادكم بالعبارة الآتية في الجزء السابع من المجلد الثامن من المنار الغراء في صحيفة ٢٥٥ الا وهي « وأراد تعالى ان نجاملهم ولا نعاملهم معاملة المشركين استثنى طعامهم فأباحه لنا بشرط ولا قيد »

وهذا لا يصح نظرا الى الظاهر لانه لابد ان يكون مقيدا بأمور ولا أقل من التقييد بالوجوه التي تبيح أكل مال الغير لنا

وقد وقعت بعد العبارة السابقة في السطر الخامس في تلك الصحيفة أيضاً هذه العبارة « : ولاجل كون حل طعام أهل الكتاب ورد مورد الاستثناء من المحرمات المذكورة بالتفصيل في سورة المائدة » فان الظاهر من تينك العبارتين ان النص الوارد في تحليل طعام أهل الكتاب مطلق لا يتقيد بقيد ما أصلا وانه مستثنى من جميع المحرمات الواردة في آية « حرمت عليكم الميتة » الى آخره فيلزم من هذا ان يكون طعام أهل الكتاب حلالا لنا ولو كان مطبوخا من الميتة أولحم

الخنزير أو الدم المسفوح أو الخمر أو غير ذلك

وأما تعليلكم بالمجاملة فلا نسلم انا محرضون عليها من الشارع الا اذا كانت في حدود الشرع . والقول الواقع فى الآية بمقابلة هذا يدل صريحا على ان المراد محل طعامهم المجاملة معهم في المعاشرة كالاجابة الى دعوتهم ودعوتنا اياهم الى موائدنا وكالمساهلة فى البيع والشراء معهم والا فلا معنى لحل طعامنا بالنسبة اليهم لان الحل من عائد لنا .

وأول الآية وآخرها ينفي صراحة الحل المطلق ويدل على الحل المقيد بالحدود الشرعية فينتج من هذا ان مجاملتنا اياهم وان وسعت فى الشريعة بالنسبة للوثنيين لكنها أيضاً محدودة بالاحكام الشرعية . والا فالمجاملة الكلية لا تقع الا باتباعهم في الجميع « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » ولسنا مأمورين بل نحن منهيون عن تجاوز حدود الله في مجاملة أخ ديني ولو كان أشرف من فى الارض فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

ألتمس من فضلكم التفصيل الشافي على هذه الاستفسارات لتزيلوا تحيري في هذا الشأن ولكم من الله الاجر الجزيل ومني المنة العظيمة وان لم يمكن لجنابكم تعريف المراد بالكتابة القصيرة فارجو من مروءتكم ان تكرموني بارسال الاجزاء الباحثة في هذه المسئلة . وان كان عليكم بأس بفصل بعض الاجزاء من المجلد الواحد فأرسلوا المجلد المطلوب بتمامه وأنا أرسل لكم على الفور قيمته   ع . ق . م

(المنار) المراد بطعام أهل الكتاب الذى أحله الله لنا هو ما كان حلالا فى دينهم والميتة والدم ولحم الخنزير من المحرمات في التوراة ولم ينسخ المسيح تحريمها وانما أكله النصارى بقول بولس الذي يدخل الفم لا ينجس الفم وانما ينجسه ما يخرج منه وهذا مبالغة منه فى ذم الكلام القبيح . ونحن لا نقول بأن الخنزير يدخل في عموم طعامهم فاذا خالفوا دينهم وأكلوه فأكلهم اياه لا يبيحه لنا . ولا ينافي هذا قولنا ان الله تعالى أباح لنا طعامهم بلا شرط ولا قيد لان هذا بيان للآية ولا شرط فيها ولا قيد . وقد صرح بعض علماء السلف من الصحابة وغيرهم أن المراد بطعام أهل الكتاب في الآية ذبائحهم لأنها مظنة التحريم وغيرها حل بمقتضي الاصل في الاشياء وهو الاباحة الا ما حرم بالنص علينا وعليهم وهو الميتة

المحرمة لعارض ولحم الخنزير المحرم لذاته . وهذا لا ينافي الاطلاق في العبارة ولا في بيانها كما قلنا اذ لم يعهد فى أساليب لغة من اللغات عند بيان مسألة علمية أو حكم شرعي ان يذكر معها أو معه جميع ما تقرر فى بيان مسألة أو حكم آخر يمكن أن يكون له علاقة بالمبين بتقييد أو تخصيص. مثال ذلك اذا قلنا : ان العسل نافع : فان هذا الاطلاق صحيح ولا حاجة لتقييده بقولنا : بشرط أن لا يكون آكله أو شاربه محرورا وأن لا يسرف فى الاكثار منه. واذا قلنا أن الشرب في آنية الزجاج حلال فلا حاجة في صحة القول الى تقييده بقولنا اذا كان الاناء طاهرا وغير مغصوب: اذا تدبرتم هذا علمتم أنه اذا قال قائل: تستحب مجاملة أهل الكتاب أو برهم: فلا يجب عليه أن يقيد ذلك بقوله : بشرط أن لا يشاركهم في عباداتهم وتقاليدهم الدينية ولا يرتكب معهم محرما كشرب الخمر : فان هذا لا يدخل في اطلاق القول فيحتاج الى اخراجه بالقيود ولا أقول أنه يدخل فيها وتعتبر في اخراجه القرائن المعلومة بالضرورة كما يتوهم الضعيف في اللغة

هذا واننا قد فصلنا القول في مسألة الذبائح وطعام أهل الكتاب في المجلد السادس واننا نرسله اليكم فطالعوه وان لاحت لكم شبهة فاكتبوا الينا بها

﴿ مسألة خلق أبينا آدم ﴾

أجبنا في الجزء الماضي عما انتقد به على رأي الدكتور محمد أفندي صدقي فى مسألة خلق آدم ومذهب دارون التي جاءت في مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) ثم راجعنا ما كتب الينا في ذلك فاذا بالشيخ قاسم محمد أبي غدير يذكر آية من الكتاب لم نذكرها فى جوابنا وهي قوله تعالى « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » الآية وهي أقرب الى تأويله من غيرها لأنها تشبه خلق عيسى بخلق آدم وعيسى لم يخلق من التراب مباشرة والضمير في قوله خلقه يحتمل عوده اليه . ثم سأل عن الأحاديث التي تفيد خلق آدم من التراب مباشرة والجواب ان تلك الاحاديث رواية آحاد لا تفيد اليقين ، فان فرضنا أنه ثبت ما يناقض شيئاً منها فاننا لا نعده ناقضاً للدين ، ولا ننس أننا نؤمن بأن آدم خلق من التراب كما ورد بلا تأويل ، وانما التأويل لالزام المعترض على الدين

آثار علمية ادبية

(انتقاد شواهد الطبعة الاولى من تفسير ابن جرير)

﴿تابع ص ٣٠ من الجزء الاول﴾

(١١٠) متبذّلاً تبدو محاسنه يضع الهِناءَ مواضع النقب

ورد في الرابع ص ١٥١ وهو لدريد بن الصمة وكتب هكذا

* متبدلا تبدوا محاسنه يضع الهنا مواضع النقب

(١١١) أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب

في الخامس ص ١٠٦ وكتب الشطر الثاني هكذا * يعلنا٧ نار أوقدت بثقوب *

(١١٢) قريب قراه ماينال عدوه له نبطاً عند الهوان قطوب

في الخامس ص (١١٧) وكتب الشطر الثاني هكذا * له نبط أبي الهوان قطوب *

(١١٣) وكنت لزاز خصمك لم أعرّد وقد سلكوك في أمرٍ عصيب

ورد في الثاني عشر ص ٤٧ وفي الرابع عشر ص ٧ وكتب في كليهما بدل أعرد أعود بواو و بدل أمر يوم . وورد في الثامن عشر ص ١٢ وكتب صحيحا الا في استبدال يوم بأمر

(١١٤) تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب

في الثالث عشر ص ١١٦ وقد كتب بدل خال حال بحاء مهملة وصوابه بخاء معجمة

(١١٥) وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي نحوه وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه

في الرابع عشر ص ١٤ وكتب الشطر الاول من البيت الثاني هكذا

* وأسقيته حتي كاد مما أتيته *

(١١٦) صداع وتوصيم العظام وفترة وغم مع الاشراق في الجوف لاتب

في الثالث والعشرين ص ٢٥ وكتب الشطر الثاني هكذا

* وغم مع الاشواق في الجوف لاتب *

وقبل البيت: فان يك هذا من نبيذ شربته فاني من شرب النبيذ لتائب

(١١٧) قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العِنَاج وشدوا فوقه الكَرَبا

في السادس ص ٢٨ وكتب بدل العناج القناح والعناج للدلاء ماتعنج به من حبل يجعل تحتها مشدودا الى العراقي يكون عونا للوذم والكرب حبل يشد على العراقي ثم يثنى ثم يثلث

(١١٨) لَدْن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

في الثامن ص ٩٢ وكتب بدل بهز بهن و بدل فيه فيها

(١١٩) أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

في التاسع ص ٤٨ وكتب بدل نشب نسب بسين مهملة وصوابه بمعجمة

(١٢٠) ما ان رأيت ولا سمعت بمثله كاليوم طالي أنيق جرب

في السادس والعشرين ص ١١٣ وكتب هكذا

ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم طال أنيق حرب

(١٢١) وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب

في السابع والعشرين ص ٨ وكتب الشطر الاول هكذا

* وفي كل يوم قد حبطت بنعمة *

(١٢٢) كانوا كسالئة حمقاء اذ حقنت سلاءها في أديم غير مربوب

فى الاول ص ٤٧ وكتب بدل كسالئة كسائلة و بدل مربوب مزبوب مع ان فيها الشاهد

(١٢٣) فلست لانسيّ ولكن للأكٍ تنزل من جو السماء يصوب

في موضعين في الاول ص ١١٣ وكتب هكذا

فلست بانسيّ ولكن ملائكا تنزل من جو السماء بصوب

وفى الاول ص١٥٢ وكتب الشطر الاول هكذا: فلست بجني ولكن ملأكا *

وكتب في الثاني تحدر بدل تنزل ولعله رواية

(١٢٤) حتى اذا سلكوهم في قتائدة شلاًّ كما تطرد الجمالة الشردا

في أربعة مواضع (١) في الاول ص ١٥٠ وكتب فيه قيافدة بدل قتائدة ويطرد بدل تطرد (٢) في الرابع عشر ص ٧ وكتب هكذا

حتى اذا أسلكوهم في قتائده شللا ٧ كما تطرد الجمالة الشردا

(٣) في الثامن عشر ص ٢١ وكتب هكذا

حتى اذا أسلكوهم في قنابذة سلا كما تطرد الجمالة الشردا

(٤) في الرابع والعشرين ص ٢٢ وكتب كالثالث الا انه بدل أسلكوهم سلكوهم

(١٢٥) اسود شرى لاقت اسود خفية تساقوا على حرد دماء الاساود

في التاسع والعشرين ص ١٨ وكتب كرى بدل شرى . وفساقوا بدل ساقوا . و بدل خفية حنية

(١٢٦) لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغّص الموت ذا الغنى والفقيرا

في الرابع عشر ص ٢٧ وكتب هكذا

لا أرى الموت ان الموت شيء يعض الموت الغني والفقيرا

(١٢٧) كأن عذيرهم بجنوب سلّى نعام قاق في بلد قفار

في الرابع ص ٥٦ وكتب الشطر الاول هكذا * كان غديرهم بجنوب سلى *

والعذير بالعين المهملة والذال المعجمة الصوت وهو يصف قوما منهزمين

(١٢٨) وشر المنايا ميت وسط أهله كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره

في الاول ص ١٠٧ وكتب الشطر الثاني هكذا * كهلك الفتاة استسلم الحي حاضره

(١٢٩) سألتاني الطلاق ان رأتاني قلّ مالي قد جئتماني بنكر

وَيْ كأن من يكن له نشب يُحَبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

في العشرين ص ٧١ وفيه رأياني بدل رأتاني وكتب في الثاني يحب بدل يُحَبب وكلها في الشطر الاول والصواب ما كتبنا

(١٣٠) قد شربت الا دُهَيْدِهينا قُلَيِّصات وأبيكرينا *

ورد في الثلاثين ص ٥٦ وكتب هكذا

قد رويت الا الدهيد هينا قليصاب وابيكرينا ٧

الدَّهداه ماشية الابل صغره وجمعه جمع سلامة وقليصات جمع سلامة لمصغر

قلوص وابيكرينا صغر أبكرا جمع بكر ثم جمعه جمع سلامة

(١٣١) لعمر أبيها لا تقول ظعينتي الا فرّ عني مالك بن أبي كعب

ورد في الصفحة ٦٦ من الجزء السابع عشر وكتب هكذا

لعمر أبيها لا تقول ظعينتي الا ترعني مالك بن أبي كعب ٧

(١٣٢) الا لحا الله بني السعلات عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا أعفّاءَ ولا أكيات

هكذا أنشدها صاحب اللسان في مادة ن وت وقال انه يريد الناس والاكياس

وورد هذا الرجز في الجزء الثامن ص ١٤٦ هكذا

الا لحا الله بني السعلاب عمرو بن يربوع لئام الباب ليسوا بأعقاب ولا كتاب

(١٣٣) وصاليات للصِّلِي صُلِيّ

ورد في الرابع ص ١٧٠ وكتب بدل وصاليات والصاليات وهو غلط كما كتب الصلا بالالف للصلي والبيت من أرجوزة عجاجية ويريد بالصاليات الاثافيّ وبالصلي الوقود

(١٣٤) يحوذها وهو لها حُوذيّ

من الارجوزة السابقة وورد في الخامس ص ١٩٧ وكتب هكذا

يحوذهن وله حوذي

ثم ذكر الطبري ان فيه رواية أخرى وقد كتبت بالشكل السابق تماما من غير فرق

(١٣٥) وحاصن من حاصنات مُلّس من الاذى ومن قراف الوقس

ورد في الخامس ص ٥ وكتب فيه بدل مُلس ملمس وبدل قراف فراق وهما من ارجوزة للعجاج يمدح الوليد بن عبد الملك والقراف المداناة والوقس الجرب

(١٣٦) أخاف زيادا أن يكون عطاؤه أداهم سودا ومحدرجة سمرا

في الرابع ص ٨٣ وكتب بدل أداهم دراهم وهو غلط والأداهم القيود

(١٣٧) الله يعلم انا في تَلَفُّتنا يوم الفراق الى أحبابنا صور

في الثالث ص ٣٣ وقد كتب بدل تلفتنا تلقينا وهو تحريف يخل بقوام البيت

وبدل أحبابنا جيراننا ولعلها رواية وما ذكرناه رواية اللسان فى مادة صور

(١٣٨) صرت نظرة لو صادفت جوز دارع   غدا والعواصي من دم الجوف تنعر

في الثالث ص ٣٤ وكتب بدل جوز جون وبدل الجوف الجون وكلاهما تحريف

(١٣٩) ولم يستريثوك حتى رميت   من فوق الرجال خصالا عشارا

في الرابع ص ١٤٧ وكتب بدل ولم يستريثوك: فلم يسترثبوك: وهو تحريف

(١٤٠) فما ألوم البيض الا تسخرا   لما رأين الشمط القفندرا

في الاول ص ١٦ وكتب بدل رأين رأينا وهو تحريف ولحن

(١٤٠) ألكني اليها عمرك الله يافتى   بآية ماجاءت الينا تهاديا

ورد في موضعين الاول في الاول ص ٣٥ وكتب بدل الكني اتكني . الثاني في الاول ص ١٥٢ وكتب صحيحا

(٢٤٢) ياابن أمي ولو شهدتك اذ تد   عو تميما وأنت غير مجاب

في التاسع ص ٤٣ وكتب بدل تدعو تميما تدعوهما وهو تحريف يخل بالوزن والمعنى

(١٤٣) أنت المصفى المهذب المحض في النسـ   ـبة ان نص قومك النسب

ورد في الاول ص ٣٦٤ من أبيات الكميت الاسدي وقد كتب هكذا

المصطفى المحض المهذب في   النسبة ان نص قومك النسب

والشطر الاول مختل وصحته ماذكرنا

(١٤٤) قالت قتيلة ماله   قد جللت شيبا شواته

في التاسع والعشرين ص ٤٢ وكتب هكذا

قالت نبيثة ماله قد   حالت شيبا شواته

(١٤٥) إني ومن أين آبك الطرب   من حيث لا صبوة ولا ريب

في الثاني ص ٢٢٤ وكتب بدل آبك يأتيك والبيت مطلع كلمة الكميت التي منها البيت المذكور في الشاهد ٣

(١٤٦) ترى أرماحهم متقلديها   اذا صدئ الحديد على الكماة

ورد فى موضعين الاول في الاول ص ٥٨ وكتب بدل ارماحهم ارياقهم

والثاني في التاسع عشر ص ٣٥ وكتب بدل الكماة الكتاب وبدل صدئ صدأ

١٤٧ اذا القنبضات السود طوفن بالضحى   رقدن عليهن الحجال المسجف

ورد في التاسع عشر ص ٣٥ وكتب بدل القنبضات القسمات وبدل رقدن وفدن وأعقب بعدد ٧ والقنبضة المرأة الدميمة أو القصيرة والبيت للفرزدق من كلمته التي أولها

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف   وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

ويصف ببيت الشاهد وما قبله وما يليه نساءه المترفات اللاتي يتغزل بهن

١٤٨ يقذفن كل مُعجل نشّاج   لم يكس جلدا في دم أمشاج

في التاسع والعشرين ص ١٠٩ وكتب هكذا

يطرحن كل معجل نشاج   لم يك خلدا في دم امشاج

والبيت من أرجوزة لرؤبة ويصف النوق انهن اجهدن حتى قذفن بما في بطونهن والمعجل الذي لم تكمل مدة حمله والنشاج الذي ينشج والنشيج الشهيق

١٤٩ كان بقايا الأتْر فوق متونه   مدب الدبى فوق النقا وهو سارح

ورد في موضعين الاول في الرابع عشر ص ٥١ وكتب هكذا

كان بقايا الأتن فوق متونه   مدب الذي فوق النقا وهوسارح

الثاني في التاسع والعشرين ص ٩٨ وكتب صحيحا الا انه وضع البنا موضع النقاء وكتب الدبى بالالف   (لها بقية)

محمد الخضري

التقريظ

تاريخ القرآن والمصاحف

عني المسلمون بالقرآن المجيد عناية لم تعن مثله أمة بكتابها فحفظوه فى الصدور والسطور من زمن تنزيله الى هذا اليوم وألفوا الكتب الكثيرة فى ضبط كتابته وتلاوته فبينوا الرسم مهمله ومعجمه وغفله ومنقوطه وكيفية الأداء والتجويد والوقف والابتداء وعدد الآيات والكلمات والحروف كما بينوا المعنى والاعراب ونكت البلاغة وطرق الاستنباط . ولما كان المصحف المعظم قد وصل الى المتأخرين في أحسن

خط وأجمل شكل حتى بين فيه مواضع الوقف المطلق والجائز والصالح والممتنع اكتفوا بذلك عن الرواية والمدارسة في رسم الحروف وتاريخ المصاحف ولم يعنوا في ألفاظه الا بتجويدها علما وعملا في الاكثر فأتقنوا مخارج الحروف وصفاتها من الاظهار والإخفاء والجهر والهمس والقلقلة والمد والقصر وغير ذلك . ثم قضت حاجة هذه الأيام بمراجعة ما كتب في تاريخ المصاحف فانتدب صاحبنا موسى أفندي جار الله روستوفدوني الروسي الى تأليف كتاب في تاريخ المصاحف يصدره أجزاء صغيرة كلما أتم جزءا طبع ونشر . وقد طبع الجزء الأول في بطرسبرج في أوائل ربيع الأول من هذه السنة وأرسل الينا نسخة منه وطلب منا انتقادها واتفق ان رأى النسخة في يدنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى قبل ان نقرأها فأحب ان يطلع عليها فأخذها وكان المرض قد اشتد عليه وشغلنا بمرضه ثم بموته عن البحث عنها في أوراقه وكتبه ثم أرسل الينا نسخة أخرى سنقرظها في جزء آخر ان شاء الله تعالى

﴿ كتاب الخدمة المدرسية . في تسهيل قواعد العربية ﴾

كتاب في مبادي النحو والصرف لجرجس أفندي الخوري المقدسي مدرس العربية في المدرسة الامريكية بطرابلس الشام قال في مقدمته انه أطال الفكر في كيفية التأليف المفيد للتعليم وكتب في مذكرته كل ما كان يخطر له في أثناء التدريس للتلاميذ والتلميذات من الاحداث موافقا لأذواقهم وجعل ذلك دعامة كتابه هذا ثم قال :

« فجمعت فيه من الصرف والنحو ما يسهل فهمه على التلميذ ويتمكن به من ضبط ألفاظه وكتابته ونسقته حسب أفكاري تنسيقا يرتاح اليه المتعلم مفضلا القليل المفهوم على الكثير المعقد اتباعا لرأي فلاسفة هذا العصر بشأن التعليم . وافتتحت الفصول ببيانات وذيلتها بتمارين موافقة لمقتضى الحال وأدخلت الى اللغة نوعا جديدا من الاعراب سميته (الاعراب التصويري) اقتبسته من الانكليزية » الخ

ثم طلب من الاساتذة والكتبة انتقاد الكتاب ليعمل بما يرشدونه اليه في الطبعة الثانية . وقد أخرنا تقريظ الكتاب لعلنا نجد وقتا لمطالعته وانتقاده فأعوزنا الوقت فلم نجد بدا من ذكره والتنويه بما توخاه مؤلفه فيه توجيها للانظار اليه

﴿ مجلة الشتاء ﴾ مجلة أدبية علمية تاريخية فكاهية شعرية أنشأها في مصر سليم بك العنحوري الشاعر الدمشقي العصري الشهير وهي تصدر في فصل الشتاء وتحتجب في الصيف، وقيمة الاشتراك فيها أربعون قرشا مصريا في السنة التي هي الشتاء تدفع مقدما . وقد صدر الجزء الاول منها في شهر يناير والثاني فيما يليه . وانك لتقرأ بعض ما جاء في الجزء الأول فاذا هو يمزج الفكاهة والدعابة بالجد فتتجلى لك روح هذا الشيخ الكبير، بخفة الحزوّر الطرير، حتى لا أكاد أفرق بين ما قرأته له اليوم وما كنت قرأته له وأنا تلميذ مبتدي، كأن الأدب قد طبع روح هذا الرجل بطابع لم تقو عليه السنون ولم تؤثر فيه عواصف السياسة التي تغير الاوضاع، وتبدل الطباع، واني اكتفي الآن بهذا التشويق الى مجلة الشتاء بالإشارة الى ما فيها من حرارة الشباب ولعلي أجد وقتا آخر أنتقد فيه ما لعلي أجده فيها من برد الشتاء ولا أقول برد الشيخوخة لئلا أجمع بين الضدين وان كان الجمع بينهما من محسنات البديع عند الشعراء فيشفع لي عند الرصيف القديم الجديد، الذي اشتغل بالصحافة وأنا وليد، على أن السوري لا ينتقد برد الشتاء، فمالي الا أن أعهد بذلك الى أحد المصريين الادباء

باب الأخبار والآراء

﴿ مسألة تزوج الهندي بالشريفة في سنغافوره ﴾

اختلف علينا القول في هذه المسألة التي استفتينا فيها من قبل . وقد كتـ الينا السيد حسن بن علوي بن شهاب أحد شرفاء الحضارمة المقيمين في سنغافوره حقيقة الواقعة فنحن ننشرها هنا (اذ فاتنا نشرها في باب الانتقاد على المنار) لئلا نكون مصرين على الخطأ بعد ظهور الصواب، قال بعد رسوم الخطاب، :

تكرر في المنار المنير ذكر مسألة تزوج هندي بشريفة بسنغافوره ولكن لم تكن المسألة كما قالوا بل كستها الاغراض أثواب اللبس والتدليس فأحببت أن أفيدكم بالواقع وما راء كمن سمع واني أعتقد ان المنار طالب للحق ولا تهمه الشخصيات ولذلك لم أكتب له فيما سبق حرفا ولسيدي الرأي في نشر ما كتبته واغفاله

الهندي رجل نفي من الهند مؤبدا الى سنغافوره وليس له نسب يعرف ولكن يقال ان أباه معلم صبيان والشهود الذي قيل عنهم انهـم شهدوا له بالشرف لا صحة لماقيل في كثرتهم بل قال اثنان نسمع انه سيد ولا يعرفون له ثلاثة آباء في الاسلام هـذه هي حال الزوج المشهود له بالشرف . وأما المرأة فبنت لم تجاوز خمس عشرة سنة من السادة العلويين الحضارمة المشهور نسبهم المدون في الأسفار بالتواتر عند أهله وفي آبائها العدد الجم من العلماء والمصنفين وأهل الفضل والزهد والتقوى لايمتري في ذلك أحد من الحضارمة

عجز الهندي عن استمالة الشريفة فقصد رجلا من بني العطاس جعله العرب عريفاً لتسجيل العقود في المحكمة الانكليزية فتوسل به الهندي فتردد الى أم الشريفة حتى أقنعها وكان للشريفة أخوان أحدهما غائب والثاني حاضر الا انه جاهل فراوده العطاس في تزويجها بالهندي فتأبى وامتنع وقد تم أمر العطاس مع الأم فلما لم يجد الاخ بُداً من تزويجها طلب من العطاس أن يتحقق من العلماء الموجودين من العرب عن نسب ذلك الرجل فأكد له وأقسم بأنه قد تحقق الامر ولم تبق لديه شبهة ولا ريبة فدلاهما بغرور ولقن العطاس أخا المرأة العقد في الساعة الحادية عشرة ليلا فعير الجميع أخاها ووبخوه حتى انه بعد ذلك هرب مما أصابه من التعيير ثم ان أخا المرأة الغائب شكا من ذلك وتذمر فبما ذكر يتضح فساد النكاح على مذهب الشافعي كما لا يخفى على من له إلمام بالفقه والله على مانقول شهيد وحسبنا الله وما شرحته ثبت بالتحقيق الذي أجرته الجمعية العربية و بشهادة الشهود واقرار أهل القصة فلا مرية في شيء منه البتة

أما ماقيل من اهانة بعض من حضر العلم الشريف وكتبه فأمر مبالغ فيـه والواقع ان اثنين من طلبة العلم وجها كلاما قارصا الى رجل له شرف وسن وجاه لدى الجميع أراد المناضلة عن العطاس لأنه بكى اليه واستنصره ولبّس عليه وكان ذلك الرجل ساذجاً ويرى ذينك الطالبين مثـل أولاده فقصد ردعهما عن تعنيفه لا استخفافاً بالعلم وأهله . وأما ماجاء في فتيا السيد عمر بن سالم العطاس فى بيان خطأ ابن عمه من أن إسقاط الكفاءة من الشريفة غير ممكن لأن شرفها ذاتي

فذلك مذهب لكثيرين من علماء حضرموت واليمن والحجاز وعدد منهم مجتهدون فلا غرو اذا خالفوا الشافعي أو هو و بقية الثلاثة ولا يلزم من المخالفة التحقير أو عدم الاتباع و يطول الشرح والقصد ايضاح الحق وتحقيقه جعلنا الله وايا كم من الطالبين له المنقادين آمين

حسن علوي بن شهاب

﴿ المنار ﴾ قد كتب الينا غير هـذا السيد أيضاً ممن نثق به ان الواقعة كما قال . أما الحق في الكفاءة بالنسب فهو مابيناه من قبل من أنها مسألة اجتهادية مدارها على التعيير فحيث كانت المرأة تعير هي وأولياؤها بالرجل فهو غير كفؤ لها وما قاله العطاس فى الشرف الذاتي لايصلح دليلا شرعياً . نعم ان مخالفته للشافعي أو لغيره لايعد تحقيرا ومن قال ان الخلاف يستلزم التحقير فقد زعم ان السلف وغيرهم من الائمة والعلماء في كل زمان يحقر بعضهم بعضاً اذ لم يتفق اثنان منهم في كل مسألة والله أعلم

السيد علي البيلاوي — وفاته

السيد علي البيلاوي من شرفاء مصر وكبار علماء المالكية في الأزهر ولما جئنا مصر كان نقيب الاشراف وشيخ المسجد الحسيني وكان يلازم هذا المسجد وقد عرفناه فيه وكلمناه في إبطال البدع التي يأتيها العوام عند القبر الحسيني وعمود الرخام الذي أمام مقصورته وهو كما سبق لنا القول يتمسح به للتبرك والاستشفاء لأنه يسمى عمود السيد ، فقال ان هـذه البدع قد استحكمت في نفوس العامة وصارت أرسخ العقائد فيها فلا يمكن نزعها الا بالتدريج البطيء واذا فاجأناهم بقولنا ان هذا ليس من الدين خشينا عليهم أن يشكوا في أصل الدين ويمرقوا منه . وقد ناقشناه يومئذ في رأيه بل ظننا انه لايود إبطال شيء من تلك البدع وانما قال ماقال جدلا ثم تبين لنا ان ظننا هذا كان على اطلاقه خطأ ولم نعرف حقيقة فضل الرجل بل لم يعرفه جمهور أهالي البلاد الا بعد ان صار شيخاً للأزهر

عين شيخاً للأزهر بعد عزل الشيخ سليم البشري في ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ وكانت ادارته قد وقفت حركتها فكان خير عون للاصلاح اذ اتفق مع الاستاذ الإمام في كل رأي ولم يخالفه الا فيما كان يسميه التدريج في التنفيذ وان كان بطيئاً وكان الاستاذ

الامام يفضل التعجيل بالتنفيذ اغتناماً للفرصة وخوفاً أن تفوت قبل اتمام العمل وكذلك كان . وقد قلنا في كلام عن الأزهر في أجزاء هذه السنة انه قد ظهر للحكام وغيرهم من حسن ادارة هذا الرجل فوق ما كانوا يظنون . ومن أراد أن يعرف ما كان على عهده من حسن الادارة والنظام فليرجع الى كتاب (أعمال مجلس ادارة الأزهر)

وجملة القول إن الرجل كان في عقله وفضله وإدارته وأخلاقه وادابه من خيرة علماء المسلمين في هذه الديار بل لانفضل عليه ممن عرفناهم بعد الاستاذ الامام أحدامنهم . توفاه الله تعالى في مصر وقد ترك من الولد الصالح من يحيي ذكره في العلم ومكارم الاخلاق اللائقة بالشرفاء فنعزي عنه ولديه النجيبين السيد محمد المدرس في الازهر وأمين دار الكتب المصرية (الكتبخانه) والسيد محمودا شيخ المسجد الحسيني وسائر الاهل والاقربين والعلماء والشرفاء ونسأل الله تعالى له الرحمة والرضوان

(خاتمة السنة الثامنة)

باسم الله وحمده نختتم الجزء الأخير من هذه السنة كما بدأنا أول جزء منها باسمه وحمده فهو الذي يذكر و يحمد في السراء والضراء، وعلى الزعزع والرخاء ، فان السراء من نعمه الظاهرة، والضراء من نعمه الباطنة، يربي بهما عباده فيبتلي مافي قلوبهم، ويمحص مافي صدورهم، والله عليم بذات الصدور

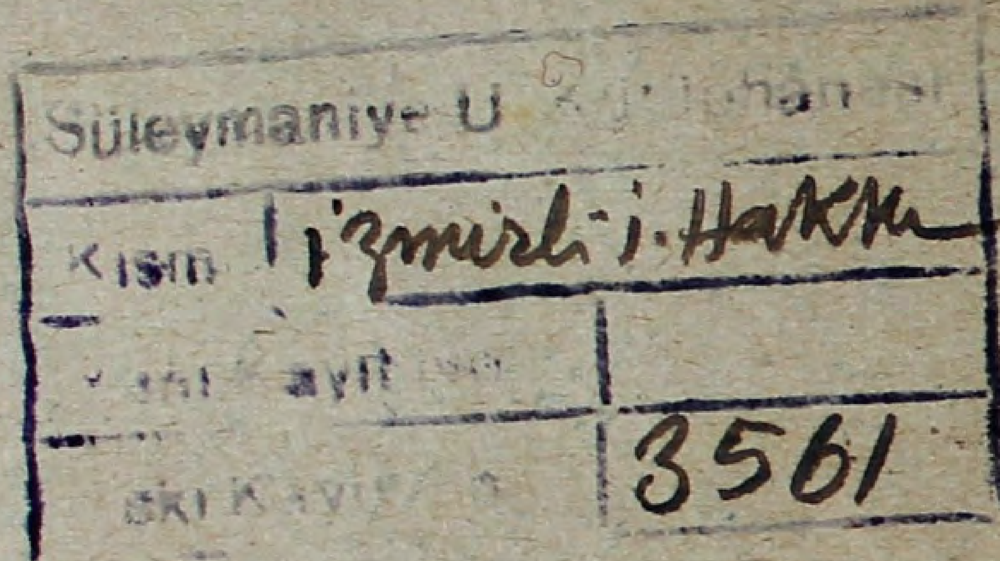
منينا في هذه السنة بشيء من المصائب والنوائب نرجو ان نكون وفقنا معه للصبر ، وادّخر لنا عند الله فيه الأجر ، زيادة عما آتانا به من الثقة بوعده، والتوكل عليه والرضى بقضائه وقدره، والعبرة بشؤونه في خلقه ، والاعتماد بعد ذلك كله على ماوهب من القوى، والتحقق بمقام «ربّنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى،» فله الحمد على ما استأثر به وعلى ما أبقى، ولله الحمد على ماأخذ وعلى ماأعطى، ولله الشكر والثناء الحسن في الآخرة والاولى،

قلنا في فاتحة السنة الماضية وخاتمتها ان المنار قد دخل في سن التمييز نعم وقد ميزنا في هذه السنّ بين كثير المتشابهات كالخل الصادق ، والخب المماذق ، والمتودد يبتغي العرض، والوديد لا لعلة ولا لغرض ، والموافق في الاعتقاد والشعور ، والمنافق اللابس ثوب الزور ، فنسأل الله كمال البصيرة، وتمام صفاء السريرة ،

أما قراء المنار فهم ينمون بنموه ، يزيدون بزيادة سنيه ولم ينقص من عددهم انتقاص أهل الاهواء ، ولا خوض أهل الدهان والرياء ، ولا نشكو الا من تقصير بعضهم في اداء قيمة الاشتراك ومعظم التقصير في هذا منا فاننا قلما نتقاضى مشتركا أو نذكره بكتاب يرسل، أو وكيل يسأل، بل تركناهم الى أريحيتهم، ووكلنا بهم غيرتهم ومروءتهم، ومنهم من ينسى فيحتاج الى التذكير ، ومن يكسل عن ارسال المبلغ في البريد فيغريه التسويف بالتأخير ، ومنهم السابقون الى الاداء، والمقتصدون في الوفاء ، وانما تنهض الأعمال بأمثال أولئك وهؤلاء، و يندر أن يكون في قراء المنار من يهضم حقه عمدا ، و يقصد الى أكل قيمة الاشتراك قصدا ،

نعم ان أهل مصر قد اعتادوا أن يدفعوا قيمة الاشتراك في الصحف للوكلاء الذين يتقاضونهم ولعل أهل تونس مثلهم اذ لا يرسل القيمة الينا بغير طلب أكثر من عشرهم وجميع المشتركين في الشرق والغرب يرسلون الينا قيمة الاشتراك من غير طلب لا يمطل منهم الا بعض أهل الهند وأفراد من أهل الجزائر وأهل المغرب الاقصى وقد كنا عهدنا بوكالة المنار في تونس الى رجل اسمه علي زنين فحصل ماشاء أن يحصل وأكله مع ثمن كتب كنا أرسلناها اليه . ثم وكلنا رجلا من الادباء فتضاعف المشتركون في القطر التونسي بدعوته ولكنه كان يشكو من صعوبة التحصيل وقد كانت وكالته في السنة الخامسة ولم يرسل الينا بيانا بأسماء بعض من دفع القيمة الى محصله (أحمد أبي خطيوه) الا في أول هذه السنة كتب الينا أسماء من دفعوا الاشتراك في السنة الخامسة ومن مطلوا وعشرين مشتركا دفعوا في السادسة ووعد بارسال بيان أسماء بقية المشتركين الذين دفعوا فيها وفيما بعدها والذين مطلوا وقد انسلخت السنة ولم يرسل الينا شيأ

وقد كتبنا اليه منذ شهر ونصف كتابا أرسلناه في البريد مضمونا فلم يحر جوابا ولم يرجع الينا قولا ولعل له عذرا ونحن نلوم مثله في أدبه وفضله لا يقصر في حقوق الأدب عمدا واننا نعتبر وكالته موقوفة حتى يأتينا منه مانعرف به سبب ترك المكاتبة والمحاسبة ونرجو من المشتركين في القطر التونسي أن يرسلوا الينا قيمة الاشتراك بعد وصول هذا الجزء اليهم حوالة على البريد في القاهرة وسواء عاد



الوكيل في تونس الى التحصيل للمنار أو وكلنا غيره لايجوز لمشترك أن يدفع الى أحد قيمة الاشتراك بمقتضى وصل من الوصولات القديمة فاننا سنطبع وصولات خاصة بتونس والبلاد التي حكمها كحكمها في الاشتراك يذكر فيها المطلوب بالارقام والحروف هكذا

١٨ فقط ثمانية عشر فرنكا لاغير

وتختم بختم ادارة المجلة وتذيل بتوقيعنا المعروف

﴿ شرط الاشتراك في السنة التاسعة ﴾

يرسل المنار في القابل الى من كان يرسل اليهم عملا بالاستصحاب فكل من قبل الجزء الاول من السنة التاسعة نعتبره مع علمه بشرطنا مشتركا الى آخر السنة فان لم يرض فليردّ الينا الجزء الأول لأن فقد جزء من أجزاء السنة كفقد جميع أجزائها فهذا عقد بيننا وبين جميع المشتركين آية قبوله منهم ورضاهم به قبول الجزء الأول من السنة التاسعة فمن قبله وجبت لنا عليه قيمة الاشتراك كاملة وإن ردّ بقية الأجزاء فان لم يرسل القيمة فهو غير موف بما عاقد عليه

ثم ان ادارة المجلة لاتمسك جزءا ما عن أحد من المشتركين فمن طلب منها جزءا لم يصل اليه بعد موعد صدوره بمدة لاتزيد على شهر يرسل اليه حتما واذا طلبه بعد شهر من موعد وصوله اليه وجب عليه ارسال ثمنه وهو خمسة قروش مصرية اذا كان الطالب من القطر المصري وفرنك و ٧٥ سنتيما اذا كان الطالب من قطر آخر وعند ذلك يرسل اليه ان وجد والا رد اليه ما أرسله

وسيصدر المنار في السنة التاسعة في كل شهر عربي مرة عملا باقتراح كثير من القراء ولاينقص من أوراقه شيء فسيكون الجزء ٨٠ صفحة و بذلك يتيسر لنا أن نكثر في كل جزء من مواده في التفسير والمقالات والفتاوى والمسائل العلمية والأدبية والأخبار والآراء فهو زيادة إتقان وإكثار في مسائله ومباحثه وقد رأى القراء اننا جددنا حروفه ونسأل الله تعالى أن يوفقنا في المستقبل لخير ما وفقنا له في الماضي فهو الموفق والمعين، وسلام على المرسلين والحمد رب العالمين